المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
قسم الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
شعبة الأدب والبلاغة والنقد



أسلوب الاحتباك

في آثار أهل العلم ومواقعه في القرآن الكريم

(دراسة بلاغية)

دراسة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في البلاغة والنقد

إعداد الطالبة

أمينة بنت سعود بن خيشان العواضي القرشي

الرقم الجامعي : (٤٢٦٨٠٠٢٠)

إشراف الأستاذ الدكتور

محمود توفيق محمد سعد

الأستاذ في قسم البلاغة والنقد

١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م

ملخص الرسالة:

- **عنوان الرسالة :** أسلوب الاحتباك في آثار أهل العلم ، ومواقعه في القرآن الكريم ، دراسة بلاغية .
- **الدرجة العلمية** : ماجستير في البلاغة والنقد .
- **موضوع الرسالة** : دراسة الاحتباك وشبهه في تراث أهل العلم من نحاةٍ ومفسرين وبلاغيين ونقاد ، والموازنة بين مناهج النظر المتبعة في بيان هذا النوع من الحذف الذي بدأ في صورة ملاحظات أوَّلية لم تلق من المتقدمين عناية خاصة ، ثم دراسة الآيات القرآنـــــية -التي توصل البحث إلى إحصائها- التي قيل فيها بالاحتباك أو شبهه .
- **هدف الرسالة :** تتبُّع أسفار أهل العلم بغية الكشف عن أسلوب الاحتباك وشبهه ، ودراسته في البيان العليّ؛ لما يحتويه من لطائف المعاني الآخذة بأيدي العباد إلى مقام القرب من الله .
- **منهج الرسالة** : راعت الدراسة في الجانب النظري المنهج التاريخي القائم على مراعاة التسلسل الزمني في التتبع والاستقراء لما في تراث أهل العلم ، فهو أصلٌ عليٌّ في متابعة رصد حركة النّمو التصاعدي التراكمي للمعرفة بأسلوب الاحتباك وشبهه ، وفي الجانب التطبيقي المنهج التحليلي في دراسة الآيات ، فغلب على هذا الجانب مراعاة : صورة الاحتباك ، وسياقه ، ومقتضاه ، وأثره في المعنى والسامع .
- **من نتائج الرسالة:** أثبتت الدراسة أنَّ من أقدم الإشارات إلى هذا الحذف كانت في أوائل القرن الثاني الهجري عند سيبويه(١٨٠هــ) ، أمّا بداياته فقد ظهرت واضحة في أواخر الخامس عند ابن عطية الأندلسي(٥٤٦هــ) ، وتحرَّر القول في بيان مفهومه في أواخر السابع عند أبي حيان الأندلسي(٧٤٥هــ) ، كما اتضح أنَّ مِن أقدَم من أطلق عليه اسم (حذف التقابل) السجلماسي(٧٠٤هــ) ، في أوائل السابع الهجري ، و(احتباك) ابن هاني الغرناطي(٧٧١هــ) ، في أوائل الثامن الهجري، وهذه من أبرز النتائج في الباب الأول ، أما الباب الثاني فحقق أن للاحتباك وشبهه أثرًا فاعلًا في إنماء الجانب الإيماني والعاطفي لمن يتدبره ، فجماله يكمن في لطائف المعاني التي تحملُها الأساليب البلاغية إذ أثبت جملة جليلة من المعاني الإحسانية الدافعة إلى الترقي في مدارج الإيمان والبعد عن التردِّي في دركات الكفر.

Thesis Abstract-

Title: Methods of research concerning scientist's leftovers and its position at the Holy Quran.

Scientific degree: Rhetorical criticism magister.

Name of student: Aminh Bint saud Bin Khishan Al qurashi.

Subject of letter: Accurate enlistment concerning scientist's cultures wherefrom interpreters and Rhetorical critics, as well as balancing between followed curriculums by showing that kind of cutting wich eas presented in the name of notes wich didn't take much care from older students , and than studying quraan verse wich researches' could of found , and was said about Methodist .

Purpose of the letter : Following scientists in the purpose of discovering the way of the method and studying it in the holy Quran to help people being nearest from Allah

Curriculum of the letter : The letter followed the history curriculum which is depending on time flew in exploring in scientists books ,

Its an high aim tracing movement in the way of methods and in the applying side and discovering curriculum in studying Quran verse , and **has overcomed the :**The picture of methods , its contest , its results ,

The results of the letter : All studying proved that some of the eldest signals eas in 2nd century in hijrah , in the time of (seboweh) 180 hijra but the biggining of it was shown properly in at the ending of the 5th centry 546 hijra , and than it will show the results of it in the ending of the 7nt centry with aby hayan alandalosi , and it was shown that THE ELDEST PERSON THAT THIS NAME WAS SAID ON HIM WAS (ALSEJELMASY) 704 IN HIJRA _ AND THE METHOD OF (IBN HANY ALGHERNATYY) 771 HIJRA _ AND THIS WAS ONE OF THE MOST SHOWN IN THE FIRST PLACE , BUT THE SECOND ONE SHOWED THAT THE METHOIST HAD EFFECTS ON IN THE FAITH OF ALLAH , THE PRITINIS OF IT IS IN THE MEENINGS THAT IT HAS …

مقدمـــــــــة

الحمد لله القائل في محكم التتريل : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء:١١٣م) ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

يحتاج الدارس للبلاغة – في شتى فنونها – إلى تأمُّل وطول نظر، يستطيع بهما الوصول إلى أسرار ودقائق الفن البلاغي المراد بحثه ، ومن ثَمَّ الوقوف على تلك الأسرار والدقائق بالتحليل الفعَّال للنماذج البيانية ، وبخاصة البيان القرآني ، فهي الطريق لكشف إعجازه ، ومعرفة حقائقه . وهذا ما أشار إليه العسكري في مقدمة (الصناعتين) قائلًا : " إن أحق العلوم بالتعلُّم وأولاها بالتحفُّظ بعد المعرفة بالله جل جلاله ، علم البلاغة ومعرفة الفصاحة ، والذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى الناطق بالحق الهادي إلى سبيل الرشد" (١) . فتَذوُّق النُّصوص يُمَكِّنُ من سبر أغوارها ، واستخراج مكوناها ، ومن ثَمَّ تنكشف للدارس دقائق اللغة وأسرارها ؛ لذا ينبغي على الدَّارس أن يجمع في دراسته بين النظر والتطبيق ، فهما جانبا الطريق إلى الحقيقة وتقريبها .

فأهميَّة الدرس البلاغي تكمن في جانبين مهمين ، أولهما : أن ينظر في آراء أهل العلم ، وأن يجمع ما قالوه في الفن المراد دراسته ، فلعل وجهًا من الحسن يبين ، ولعل غامضًا من فكر ينجلي ، أما الجانب الثاني فهو من الأهمية بمكان ، إذ يتضمَّن دراسة البلاغة فنًّا عماده التحليل الجيِّد للأساليب ، فالبلاغة من هذا الجانب تساعد الدَّارس على فهم وتعمق النصِّ البياني ، سواءٌ كان بيانَ وحي–قرآنًا وسنة– أم بيانَ بشرٍ– شعرًا ونثرًا– ، وإذا ما تم ذلك للدارس كان أقدر على أن يُبين عما أبان النص ، وأن يتحدث بهوى الشعراء وأصحاب البيان .

فالجمع بين الجانبين هو طريق الباحث الجاد إلى دراسة النماذج الرائعة من القول ، وهذا ما أسعى إليه –إن شاء الله– في بحثي ؛ لأنه باب من أبو اب تجدد العلم ، وهو المسلك الذي

---

(١) الصناعتين – الكتابة والشعر– تأليف : أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، (بيروت ، المكتبة العصرية ، الطبعة : بدون ، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م) ، ص٧ .

ينبغي أن يُسْلَكَ في الدراسات البلاغيَّة ، وتتجه إليه جهود وهمم طلاب العلم ؛ " لأننا لا نستطيع قراءة البلاغة إلَّا والنص بين أيدينا ؛ لأنَّ النصَّ هو الأول ، والنص هو الثاني ، والبلاغة ليس لوجودها مبررٌ إلَّا أن تكون أداة تقليب لهذا النص ، وأداة تفتيش ، وتحليل ، وحفر في اللغة ؛ لاستخراج الدفائن ، وليس الحفر لإثارة الأتربة" (١) ، فالمعوَّل عليه النظر والتمحيص والتدقيق والتحليل ، وهو منطلق دراستنا البلاغية .

وقد رغبتُ في القيام بدراسة علميَّة لأسلوب من أساليب البلاغة القرآنية أقف على مناهج العلماء في دراسته ، ثم أتدبر هذا الأسلوب بمنهج تحليلي تأويلي يُعنى ببيان أثر الأسلوب في تصوير المعنى القرآني ، وتأثيره في نفوس القارئين لكتاب الله تعالى . وقد اخترتُ بمساعدة مشرفي **(أسلوب الاحتباك في آثار أهل العلم ، ومواقعه في القرآن الكريم ، دراسة بلاغية)** ، والأسباب التي دعت إلى اختيار هذا الموضوع يمكن إيجازها في الآتي :

- غموض هذا الفن البلاغي على كثيرٍ من طلبة العلم ؛ لقلة تدريسه والعناية به .
- أن أسلوب الاحتباك ضرب من ضروب إيجاز الحذف الذي هو أحد السُّنَن البيانية الكبرى للبيان القرآني ، بل وللبيان البشري الرفيع ، وهو أسلوب يعتمد على لطف في الحذف ومواقعه في بنية الكلام .
- أن أسلوب الاحتباك يجمع بين خصائص البناء التركيبي كما تُدرسُ في علم المعاني ، وخصائص التحسين المعنوي كما تدرس في علم البديع .
- إذا ما كان الحذفُ أحدَ أبواب شجاعة العربية ، فأسلوب الاحتباك في صدر باب الحذف ؛ لتضافر مواقع الحذف في بناء الكلام .

الدراسات السابقة :

سجلتُ هذا البحث و لم أكن أعلم بأي باحث تناول الاحتباك ، ومن بعد التسجيل واعتماده والعمل في جمع المادة العلمية ، نما إليّ أنَّ هنالك دراسة عن الاحتباك في إحدى جامعات العراق ، وسعيت جاهدة إلى الوقوف عليها ، فيسَّر الله لي ذلك ، فعرضتُ الأمرَ

---

(١) قراءة في الأدب القديم ، تأليف : محمد محمد أبو موسى (القاهرة ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م) ، ص١٦ .

على المشرف ، فعرضه على الدراسات العليا ؛ للموازنة بين منهجِنا وخطتِنا ، ومنهج الرسالة وخطتها ، فقضى باستكمال العمل للمفارقة منهجًا وخطةً بين الرسالتين ، وعلى ذلك قُضيَ الأمر ، وهذه الرسالة بعنوان :(**الاحتباك في القرآن الكريم –دراسة بلاغية–**) ، للباحث : عدنان عبد السلام أسعد ، قُدِّمت سنة ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م إلى مجلس كليَّة الآداب ، جامعة الموصل ، وتمَّ مناقشتها بتاريخ: ١٤٢٥/٨/٢٩هـ / ٢٠٠٤/١٠/١٣م .
وقد قضى الأستاذُ المشرفُ ألا أقرأ سطرًا من الرسالة إلَّا من بعد الفراغ من عملي كلّه وإجازته منه ، ثم الإذن لي بالنظر والمراجعة ؛ لاستكمال نقص عندي ، أو تقويم عوج ، أو تصويب خطأ ، وقد التزمت بما قضى به الأستاذ المشرف وتابعه بنفسه تحقيقًا للأمانة العلمية ؛ ولذا أوجز القول فيما بين عملي وما جاء في تلك الرسالة .

أولًا : جوانب الالتقاء :

- جعل الباحث في تمهيد بحثه التعريف بفن الاحتباك لغةً واصطلاحًا ، ثم ذكر العلاقة الرابطة بين المعنيين ، وذكر ضوابط فن الاحتباك .
- جعلت جزءًا من التمهيد لبحثي يحمل مثل ذلك ، وهذا أمر لا بُدَّ من الالتقاء فيه موضوعًا لا نظرًا ، فلكلٍّ نَظَرُه ، فالقارئ لهما يلحظ اختلاف النهج والأسلوب في صياغة المعاني وعرض الأفكار وترتيبها ، ومثل هذا الالتقاء يُعد من أساسيات البحث العلمي ، خصوصًا بين بحثين يحملان فكرة البحث والكشف عن فن بلاغي واحد ، وهو هنا الاحتباك .
- التزم في جميع المواضع المدروسة عنده ذكر تقدير المحذوف ، وهو لم يستفض جمعًا أو دراسة ، ولم ألحظ غير هذا مما اشترك فيه البحثان –والله أعلم– .
- **منهجه** في دراسة الاحتباك "منهج تحليلي للشواهد الاحتباكية المختارة في ضوء مباحث موضوعية منبثقة من الآيات القرآنية" [(١)] .
- **خطته** اشتملت على :تقسيم البحث إلى مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة فصول ، وخاتمة ،

---

(١) الاحتباك في القرآن الكريم ، دراسة بلاغية ، لعدنان عبد السلام أسعد ، المشرف : أحمد فتحي رمضان (ماجستير)،(العراق ،جامعة الموصل ،كلية الآداب ،قسم التربية الإسلامية ، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٤م ، نسخة على قرص (CD) غير موثَّق توثيقًا علميًّا ، ولم أتمكن من العثور على النسخة الخطية أو صورة pdf منها) ، ص٢ .

وثبت للمصادر والمراجع ، **جاءت على النحو التالي** :
المقدمة وفيها : أشار إلى خطة البحث ، وذكر منهجه ، و عرض أهم مصادر بحثه ، والتنويه ببعض الصعوبات التي واجهته في أثناء البحث .
والتمهيد وفيه عدَّةُ نقاط :
أولًا : توطئة تناول الحديث فيها عن الحذف وأهميته بصفة عامة ، ثم عرض لتعريف الاحتباك في اللغة والاصطلاح ، وانتهى إلى أن : "... هذه التعريفات لا نراها شاملة؛ لأنَّ بعضها قيَّد الاحتباك بين الجمل المتقابلة ، وبعضها قيَّدها بالتناظر ، والآخر بالمثل أو المتشابه ، والاحتباك أصلًا يَشمل هذه الأنواع كلها ، فيقع بين الألفاظ الضدية ، كما يقع بين الألفاظ المتشابهة ، أو المتناظرة ، أو بين المنفية والمثبتة ، وقد يشترك نوعان منه ا في نصٍ واحد فيكون احتباكًا مشتركًا ، وربَّما عني العلماء بالتقابل والتناظر والتشابه ، والتناظر الوزني بين الجملتين لا العلاقات الضدية والمتناظرة ... ولكن مع هذا يحتاج تعريفه إلى التوضيح والتبيين ، ولهذا قمنا بوضع تعريف نراه شاملاً وموضِّحًا للاحتباك إلى حَدٍّ كبير ، ونحن عند وضع هذا التعريف لا يعني أننا نأتي بشيءٍ جديد ، ولكن هذا التعريف مستقى من كلام معظم العلماء الذين ذكروا الاحتباك ، مع التأليف بين النصوص لوضع صورة كاملة للاحتباك فنقول: هو أن يؤتى بكلامين في النص في كلٍ منهما متضادان ، أو متشابهان ، أو متناظران ، أو منفيان ، أو يشترك نوعان منهما في نصٍ واحد ، فيحذف من أحد الكلامين كلمة ، أو جملة إيجازًا يأتي ما يدل على المحذوف في الثاني ، ويحذف من الثاني كلمة أو جملة أيضًا قد أتى ما يدل عليها في الأول ، فيكون باقي كلٍّ منهما دليلاً على ما حذف من الآخر ، ويكمل كل جزءٍ الجزء الآخر ويتممه ويفيده من غير إخلال في النظم ولا تكلف"[١] .

ثانيًا : جَعَلَ في تمهيد البحث عنوان : (**الاحتباك عند العلماء قديمًا وحديثًا**) ، وفيه أوجز إيجازًا شديدًا أخّل بقيمة العنوان ؛ إذ إن القارئ له لا يدرك تتبعه لفن الاحتباك ؛ لأنه أشار على عجل إلى ذكر بعض العلماء الذين ورد في ثنايا أسفارهم إشارات لهذا الحذف .
ثالثًا : ذكر عنوان : (**الاحتباك في القرآن الكريم أنواعه ، شروطه ، بلاغته**) ، ففيه ذكر

---

(١) الاحتباك في القرآن الكريم دراسة بلاغية ، عدنان عبد السلام أسعد (ماجستير) ،ص٧ .

شروط الاحتباك وجعلها على نوعين: شروطًا عامة تتوفر في كل حذف ، وشروطًا خاصة بالاحتباك . ثم أشاد بذكر بعض الفوائد البلاغية التي يحققها الاحتباك في الكلام .

الفصل الأول : بعنوان : (**الاحتباك الضدي**) ، وفيه ذكر عددًا من مواضعه في القرآن الكريم ، فبلغت (ثمانيةً وستين) موضعًا . درس منها (أربعةً وعشرين) موضعًا .

الفصل الثاني : بعنوان : (**الاحتباك المتشابه**) ، وفيه ذكر عددًا من مواضعه في القرآن الكريم ، فبلغت (تسعة وأربعين) موضعًا . درس منها (أربعة عشر) موضعًا .

الفصل الثالث : وفيه مبحثان :

المبحث الأول : بعنوان : (**الاحتباك المتناظر**) ، وفيه ذكر عددًا من مواضعه في القرآن الكريم فبلغت (عشرة) مواضع . درس منها (ثمانية) مواضع.

المبحث الثاني : بعنوان : (**الاحتباك المنفي المثبت**) ، وفيه ذكر عددًا من مواضعه في القرآن الكريم فبلغت (عشرة) مواضع . درس منها (ثمانية) مواضع .

الفصل الرابع : بعنوان : (**الاحتباك المشترك**) وفيه ذكر عددًا من مواضعه في القرآن الكريم فبلغت (ثلاثين) موضعًا . درس منها (عشرة) مواضع .

▪

وهناك بحوث عديدة تناولت الحديث عن الاحتباك ، وهي كالآتي[1] .

- الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره، بحث ترقية، للدكتور: إبراهيم صلاح الهدهد
- الاحتباك في نظم الدرر للبقاعي ، بحث ترقية ، للدكتور : يوسف عبد الله الأنصاري .
- بلاغة الاحتباك في القرآن الكريم ، بحث ترقية ، للدكتور : عرفات محمد عثمان .
- من صور الحذف البليغ (الاحتباك) ، بحث ترقية ، للدكتور : عبد الحميد العيسوي .
- بحث ترقية للدكتور : محمود صيام ، لم أتمكن من العثور عليه .

▪

أولاً : بحث ترقية بعنوان : (الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه – أسراره). مُعِدُّه : د . إبراهيم صلاح الهدهد ، عدد صفحاته : (خمس وثلاثون وثلاث مئة) صفحة ، يتكون من

---

(١) رُتبت أسماء الكتب ترتيبًا أبجديًا مع إغفال (الــ) عند الترتيب .

مقدمة ، وتمهيد ، وثمانية فصول ، وخاتمة ، وفهارس .

التمهيد ، وفيه : * تعريف الاحتباك لغة واصطلاحًا . *مولد المصطلح . * مكان الاحتباك من الدرس البلاغي . * أسرار الحذف بعامة . * أسرار الحذف العامة في الاحتباك . *فنون تلتبس بالاحتباك .

الفصل الأول بعنوان : (مواقع الاحتباك في حديث القرآن عن امتنان الله على عباده وقدرته) . وفيه عدة نقاط : * الاحتباك في آيات السموات والأرض والبعث . * آيات الليل والنهار . * آيات الحيوان والنبات . * آيات نصر الله المؤمنين . * آيات قدرة الله وقهره .

الفصل الثاني بعنوان : (مواقع الاحتباك في حديث القرآن عن الطاعة والحث عليها) . وفيه عدة نقاط : * الترغيب في الإيمان والعمل الصالح . * آيات الحث على الصلاة والحج . *آيات الجهاد . * آيات الإنفاق . * آيات الحث على التقوى ، وصلة الرحم ، والتوبة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . * آيات الحث على الزهد في الدنيا * الاستجابة لأمر الله ورسوله . * الامتثال لما نهى الله عنه .

الفصل الثالث بعنوان : (مواقع الاحتباك في حديث القرآن عن الرسول ﷺ) ، وفيه عَرَضَ للآيات التي تَضَمَّنت هذا الغرض .

الفصل الرابع بعنوان : (مواقع الاحتباك في حديث القرآن عن السابقين) ، وفيه عدة نقاط : * قصة سيدنا آدم عليه السلام . *قصة سيدنا نوح عليه السلام . * قصة سيدنا صالح عليه السلام . *قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام . قصة سيدنا لوط عليه السلام . *قصة سيدنا يوسف عليه السلام . قصة سيدنا موسى عليه السلام . *قصة صاحب القريتين . * السابقون عمومًا .

الفصل الخامس بعنوان : (مواقع الاحتباك في حديث القرآن عن الهدى والضلال) . وفيه عرض للآيات التي تَضمَّنت هذا الغرض .

الفصل السادس بعنوان : (مواقع الاحتباك في حديث القرآن عن المنافقين) . وفيه عدة نقاط :*طبائع المنافقين في الإفساد في الأرض . *الجهاد يكشف فضائح المنافقين .*موقف المنافقين من القرآن والدين .

الفصل السابع بعنوان : (مواقع الاحتباك في حديث القرآن عن الكافرين) . وفيه عدة

نقاط : *إعراضهم . * حجج الكافرين . * محاجة الرسول إياهم . * تهديد الكافرين . * فساد طينتهم .

الفصل الثامن بعنوان : (مواقع الاحتباك في حديث القرآن عن الإنذار والتحذير والعقاب) . وفيه عدة نقاط : * آيات الإنذار والتحذير . * آيات الحساب والموقف . * آيات جهنم وأهلها .

▪

ثانيًا : بحث ترقية بعنوان : (الاحتباك في نظم الدرر للبقاعي) مُعِدُّه : د . يوسف بن عبد الله الأنصاري ، يقع في (تسع وسبعين) صفحة ، ويتكوَّن من مقدمة ، وتمهيد ، وفصلين ، وخاتمة ، وفهارس .

المقدمة وفيها :

– عرض للهدف الذي من أجله قام البحث ، وهو بيان الاحتباك من جانبيه النظري والتطبيقي من خلال تتبعه في نظم الدرر ؛ لما تحقق فيه من عنايته واهتمامه بهذا الفن .

– ذكر عدة أهداف يسعى البحث إلى تحقيقها ، ومنها : وضع دراسة مستقلَّة عن الاحتباك تتناوله من جميع جوانبه: نشأةً ، وتاريخًا ، وتطبيقًا .

– عرض خطة البحث التي يقوم عليها ، هي كالآتي :

التمهيد وفيه :ترجمة برهان الدين البقاعي من حيثُ ذكر اسمه ، ونسبه ، وولادته ، ونشأته وحياته العلمية ، ورحلاته ، وشيوخه ، ومحنته ، وثناء العلماء عليه ، ومؤلفاته ، ونماذج من شعره .

الفصل الأول بعنوان : (مصطلح الاحتباك في التراث البلاغي) ، وفيه :

– دلالة الاحتباك في اللغة والاصطلاح . – الاحتباك نشأةً وتاريخًا.

الفصل الثاني بعنوان : (الاحتباك لدى البقاعي) ، وفيه عدة مباحث :

أولًا : (الاحتباك أهميته ومفهومه ومنهجه) ، وفيه : * تعريف الاحتباك . * إعجابه بفن الاحتباك . * طريقة دراسته لفن الاحتباك .

ثانيًا : (الاحتباك بدون سره البلاغي) ، وفيه : ذكر أنَّ إجمالي ذلك (مائةٌ وأربعون) موضعًا من أصل(مائةٍ وسبعةٍ وثلاثين) موضعًا ؛ لأنَّ ثلاثة مواضع منها ذكر فيها البقاعي أنَّ

للاحتباك فيها وجهين . واكتفى بما قاله البقاعي فقط دون أدنى إشارة لبيان وجه الاحتباك .

ثالثًا : **(الاحتباك وسره البلاغي)** ، وفيه : أشار إلى أنَّ أول موضع يذكر فيه البقاعي السر قول الحق ﷻ : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(القصص:٧،ك) . وفيه نظر ؛ لأنَّ أوَّل موضع ذكر فيه السر قول الحق ﷻ : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ... ﴾ (البقرة: ٢١٧،م) . ثم عرض لعِدَّة مواضع ذكر فيها البقاعي السر من وراء الحذف .

رابعًا : **(اقتران الاحتباك باحتباك آخر)** ، وفيه : أشار إلى أنَّ البقاعي ذكر (ستة) مواضع اقترن فيها الاحتباك باحتباك آخر . وفيه نظر ؛ لأنَّ ذلك في (عشرة) مواضع .

خامسًا : **(اقتران الاحتباك بفن بلاغي آخر)** ، **وفيه** : ذكر الاحتباك مع التشبيه ، والاحتباك مع الكناية ، والاحتباك مع الطباق ، والاحتباك مع المقابلة ، والاحتباك مع مراعاة النظير ، والاحتباك مع الاستخدام .

سادسًا : **(الاحتباك والقراءات القرآنية)** ، وفيه : ذكر (ثلاثة) مواضع أشار إليها البقاعي .

▪

ثالثًا : **بحث ترقية بعنوان** : **(بلاغة الاحتباك في القرآن الكريم)** . مُعِدُّه : د . عرفات محمد أحمد عثمان ، عدد صفحاته : (ثمان وتسعون) صفحة ، ويتكون من : مقدمة ، وتمهيد ، ثم درس مواضع الاحتباك التي جاء بها ، وخاتمة ، وفهرس خاص بالمراجع –فقط– .

التمهيد وفيه : *تعريف الإيجاز لغة واصطلاحًا . *اهتمام البلاغيين به . *أقسام الإيجاز . * معنى الاحتباك في اللغة وفي الاصطلاح . * سر بلاغة الاحتباك . * **ثم وضع عنوان** : **(آيات الاحتباك في القرآن الكريم)** ، درس مواضع الاحتباك ، وهي(اثنان وأربعون) موضعًا ، أفرد لكلِّ آية عنوانًا درسها تحته ، والتزم في دراستها منهجًا واحدًا ، وهو : أنه يذكر الآية الواقع فيها الاحتباك ، ثم يضع عنوان : **(التفسير)** ، وفيه يذكر تفسير الآية مبسطًا ، ثم يضع عنوانًا آخرَ : **(وجه البلاغة)** ، وفيه يذكر تقدير الاحتباك ، ويشير إلى تعريفه ، وفي بعض الأحيان يدعم قوله بأقوال العلماء قبله .

▪

رابعًا : بحث ترقية بعنوان : (من صور الحذف البليغ-الاحتباك-) مُعِدُّه : د . عبد الحميد محمد العيسوي ، في أربعة أعداد من مجلة الأزهر الشريف . **الإصدار الأول** : يقع في (سبع) صفحات ، عرض فيه :

أولًا : إهمال البلاغيين لهذا اللون البلاغي ، وفيه أشار على عجل إلى أنَّ شُرَّاح التلخيص ومن نحا نحوهم لم يذكروا هذا اللون البلاغي ضمن ألوان البديع .

ثانيًا : السيرة التاريخية لهذا اللون البلاغي : وفيه عرض قول الحق ﷻ : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة:١٧١م) ، ثم أشار إلى أقوال العلماء : سيبويه ، والزَّجَّاج ، وابن قتيبة ، والزمخشري ، وأبي حيَّان ، وابن أبي الأصبع .

والإصدار الثاني : يقع في (سبع) صفحات ، عرض فيه : ما قاله ابن يوسف الأندلسي ، والزركشي ، والسيوطي ، ثم ذكر عدة نتائج توصَّل إليها البحث . **والإصدار الثالث** : يقع في (ست) صفحات ، عرض فيه : دراسة نماذج من الاحتباك في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية ، وهي : البقرة : (١٧١) ، (٢٢٢) ، آل عمران : (١٣) ، الأعراف : (٢٧) . **والإصدار الرابع** : يقع في (سبع) صفحات ، وفيه أكمل باقي النماذج ، وهي : التوبة : (١٠٢) ، هود : (٣٥) ، الأنبياء : (٥) ، الأحزاب : (٢٣) ، ثم ختم بذكر عدة نتائج توصل إليها من خلال تحليله لنماذج الاحتباك التي عرضها .

وليس يخفى أنَّ الدراسات التي تلاقت على العمل في أسلوب واحد جد عديدة ، فكم من دراسات علمية في التشبيه في القرآن الكريم ، أو الاستعارة ، وكم من دراسة تناولت جانبًا واحدًا من شاعر واحد كالمتنبي ، وليس المهم الاجتماع في درس أسلوب أو قضية أو مسألة ما ، بل الأهم هو منهاج المعالجة ، ووجهة النظر ، وأدوات الدرس ، وأنا أزعم أني لم أتخذ ما اتخذه غيري من المنهج ، ووجهة النظر ، وأدوات الدرس ، فقد حرصت على ألَّا أكون إمَّعَةً في واحدٍ من هذه الثلاثة : **منهج المعالجة ، وجهة النظر ، وأدوات الدرس** .

▪

خطة البحث

قسمتُ البحث إلى مقدمة ، وتمهيد ، وبابين ، وخاتمة ، تتبعها فهارس .

المقدمة : وتحتوي على العناصر التالية : أسباب اختيار الموضوع ، والدراسات السابقة ، ومنهجي في دراسة البحث .

التمهيد : يحتوي على تحرير مصطلح الاحتباك ، وبيان ضوابط الاحتباك وشبهه ،ثم بيان علاقته بالإيجاز ، وموقعه من البلاغة .

أمّا أبواب الرسالة فهي على بابين :

الباب الأوَّل : **(الاحتباك وشبهه في آثار أهل العلم) ، وفيه ثلاثة فصول :**

الفصل الأول : (مضمون الاحتباك وشبهه في آثار النحاة) .

الفصل الثاني : (مضمون الاحتباك وشبهه في آثار المفسرين) .

الفصل الثالث : (مضمون الاحتباك وشبهه في الدراسات البلاغية ، والنقدية) .

الباب الثاني : **(الاحتباك وشبهه في البيان القرآني من حيثُ السياق والصورة وأثره في المتلقي) ، وفيه : مدخل ، وثلاثة فصول :**

المدخل ذو مبحث واحد :

- حصر الآيات القرآنية التي قيل فيها بالاحتباك أو شبهه .

الفصل الأول : (أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات العقيدة من حيثُ: السياق والصورة وأثره في المتلقي) ، وفيه عدة مباحث :

المبحث الأول : **أدلَّة وحدانية الله وعجز الآلهةِ من دونه .**

المطلب الأول:إثبات حنيفية إبراهيم ونفي الشرك.

المطلب الثاني:نفي القدرة على النفع والضر لبني الإنسان وإثباتها لله وحده.

المبحث الثاني : **أدلة قدرة الله وإثبات عظمته .**

المطلب الأول : مظاهر قدرة الله .

المطلب الثاني : مظاهر إنعام الله وتفضله على الخلق .

المطلب الثالث : إثبات علم الله بما ظهر وبطن من أفعال وأعمال بني الإنسان .

المطلب الرابع : قدرة الله على إضلال بني الإنسان و هدايتهم .

المبحث الثالث : إثبات الوحي والرسالة .

المبحث الرابع : تحميد الله وتمجيده . وتحته المطالب الآتية :

المطلب الأول : إثبات صفتي الجلال والإكرام لله .

المطلب الثاني : إثبات مطلق الحمد والتسبيح له ، سبحانه وتعالى .

المطلب الثالث : تتريه الله عن الشرك .

الفصل الثاني : **(أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات الأحكام الشرعيَّة ، والتكاليف الإلهية من حيثُ السياق والصورة ، وأثره في المتلقي)** ، وفيه :

أ – ما يتعلق بالعلاقات الخارجية بالأمم الأخرى .

ب – ما يتعلق بالعلاقة الاجتماعية بالأمة .

ج – ما يتعلق بالعلاقة الأسرية .

د – ما يتعلق بالعلاقة بالله تعالى .

الفصل الثالث : (أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات الترغيب و الترهيب من حيثُ السياق والصورة ، وأثره في المتلقي) ، وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : أحوال أهل الإيمان و الكفر ترغيبًا في الجنة ، وترهيبًا من النار معًا .

المبحث الثاني : أحوال أهل الإيمان والكفر وبيان جزائهم ، ترغيبًا وترهيبًا .

المبحث الثالث : التحذير من اتباع الشيطان ، ترهيبًا من خطر الاتباع .

المبحث الرابع : الترغيب في الحياة الآخرة ، والترهيب من الحياة الدنيا .

المبحث الخامس: جزاء المحسنين وعقاب المسيئين ، ترغيبًا في الثواب وترهيبًا من العذاب.

المبحث السادس : الحث على الإنفاق في وجوه الطاعات ترغيبًا ، و التنفير منه في وجوه المعاصي ترهيبًا .

المبحث السابع : نفي التسوية بين الحق والباطل-في جميع ما يدلان عليهما- ترغيبًا وترهيبًا .

*

منهج البحث:

الدراسة في الباب الأول غلب عليها المنهج التاريخي ؛ لأنَّ فيه تأريخَ أُسلوبِ الاحتباك وشبهه في آثار أهل العلم ؛ لذا صنفت العلماء في كل فصل بحسب التسلسل الزمني ، فأثبت في المتن ما كان من العالم في مستوى الإبداع ، أما ما كان منه تحقيقًا ، أو تقريرًا ، أو تقريبًا فأثبته في هامش من علَّق على كلامه **كُلًّا في بابه** ، وقد اعتمدتُ هذا غالبًا .

أما الدراسة في الباب الثاني فشملت تتبع الآيات القرآنية التي قيل فيها بالاحتباك أو شبهه ، ثم دراستها بمنهج تحليلي تأويلي يُعنى ببيان موضع الحذف ، وتبين وجهه ، وذكر تقديره ، والإشارة إلى سر ذلك ، مع مراعاة السِّياق والصورة والأثر ، وقد اعتمدت هذا غالبًا . والمتضح في منهج هذا الباب ، أنَّ أغلب الآيات التي قال فيها أهل العلم –ومن أبرزهم البقاعي– بالاحتباك ، و لم يشيروا لتقدير المحذوف فيها ، جعلتها بعد التقدير من قبيل شبه الاحتباك ؛ لعدم تحقُّق شرط النسبة فيها .

أمّا مصادر البحث ومراجعه ، فقد تنوَّعت ؛ إذ اعتمد البحث كثيرًا على أسفار أهل العلم ، منها على سبيل المثال : (**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**) لبرهان الدين البقاعي ، فاعتمدت على هذا السفر اعتمادًا بيِّنًا في استخراج مواضع الاحتباك ، وتقدير المحذوفات ، و(**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**) لابن عطية الأندلسي ، و(**البحر المحيط**) لأبي حيان الأندلسي ، و(**التحرير والتنوير**) لابن عاشور وغيرها . كما اعتمد على أسفار أهل البلاغة والنقد ، وفي مقدمتها (**المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع**) للسجلماسي ، و(**طراز الحلة وشفاء الغلة**) لابن يوسف الأندلسي ، وغيرها .

- اعتمدتُ منهجًا في التوثيق ، وهو : ذكر بيانات الكتاب كاملةً عند وروده أوَّل مرة ، ثم وضعت (**الموضع السابق**) إذا توافق الجزء والصفحة في التوثيق المتتابع ، و(**المرجع السابق**) إذا اختلف الجزء والصفحة ، أو أحدهما في التوثيق المتتابع .
- خرَّجتُ الآيات القرآنية بما طابق رواية حفص لقراءة عاصم في المتن ، وأثبتُّ في الهامش القراءات التي بسببها وقع الاحتباك –في بعض المواضع– ، معتمدة في ذكرها على كتب القراءات غالبًا .
- بيَّنتُ نوعَ الآية من حيثُ كونُها مكيَّة أم مدنيَّة ، معتمدةً على بعض كتب علوم

القرآن ، وفي مقدمتها : (البرهان في علوم القرآن) للزركشي ، و(الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي . وعلى (مصحف بخط السيد مصطفى نظيف ، الشهير بقدروغلى) .

- خرَّجتُ الأحاديثَ النَّبويَّة الواردةَ في متن البحث ، معتمدةً على الصحيحين – البخاري ومسلم– في المقام الأول ، فإن وجد الحديث فيهما اكتفيت بهما في التخريج ، وإن لم يكن فيهما خرَّجتُه من سنن ابن ماجة ، وأبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، ومؤطأ مالك ، ومسند أحمد ، وسنن الدارمي . فما كان غير وارد في الصحيحين حكمتُ عليه من كتب (الألباني) .
- بيَّنتُ بعض معاني المفردات الصعبة من كتب اللغة ، وتفسير غريب القرآن غالبًا .
- قمت بعمل جدول لحصر الآيات القرآنية التي قيل فيها بالاحتباك أوشبهه ، معتمدةً في المقام الأول –في استخراجها– على كتب التفسير ، ثم كتب البلاغة .

▪

اصطلاحات البحث:

الرمز	المقصود منه
ك	آية مكية
م	آية مدنية
+	دليل على أن في الآية وجهان للحذف ، وهذا الرمز استخدمته في الهامش .
(▁▁▁)	المواضع التي قال بها العالم و لم يسبقه أحد ، و لم يتبعه أحد ، أي :المتفرد بها ،وهذا استخدمته في الهوامش
(＿＿＿)	المواضع التي قال بها العالم و لم يسبقه أحد ، ولكن تبعه من جاء بعده ، وهذا استخدمته في الهوامش
( )	المواضع التي سبقه غيره بالقول فيها ، وهذا استخدمته في الهامش .
(﹏﹏)	المواضع التي اتفق العلماء في القول بالاحتباك فيها ، ولكنهم اختلفوا في معالجة الأسلوب ، وهذا استخدمته في الهامش

[مع فلان]	اتفق معه في القول بالاحتباك فلان .
-[...]-	دليلٌ على أن ما بداخل هذين القوسين اعتراض داخل نص منقول .

*

وفي الختام لا يسعني إلَّا أن أُقدِّم الشُّكر والدعاء المقرونين بالاعتراف بالتقصير والاعتذار إلى روح أبي- رحمه الله- الذي عاش متسامحًا ، ومحبًا للناس ، وإلى أمي التي أفنت حياتها في تربيتي وتحسين أخلاقي ، وإلى إخوتي الأفاضل ، فمهما فعلتُ فلن أفي بحقكم ، فجزاكم الله خير الجزاء ، وأدامكم لي عزًا وذخرًا .

كما أسجِّل جزيل الشكر لشيخي مشرف الرسالة أ.د . محمود توفيق محمد سعد ، على ما أبداه من نصحٍ وإرشاد وتصويب وتوجيهات ، سائلةً المولى أن يبارك له في علمه ويزيده رفعةً وقدرًا .

وأتقدَّم بالشكر والتقدير إلى أستاذَيَّ مناقشي الرسالة على قبولهما مناقشة الرسالة ، وتصحيح أخطائها ، فلهما من الله خير الجزاء .

والشكر موصول إلى صرح العلم العالي -جامعة أم القرى- ، ممثلة في كلية اللغة العربية عمادةً وأقسامًا ، وعلى رأسها قسم الدراسات العليا التي هيأت لي الدرس والبحث في مراحل الدراسات العليا.

وأشكر كل من أعانني وهم كثيرون...

هذا ، ولم أبلغ في عملي ما يجب أن يبلغه ، وحسبي أنني حاولت ، ولم أبخل عليه بشيء أملكه من جهد ، ووقت ، وعناية ، وما أحسن ما قاله العماد الأصفهاني : "وإني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه ، إلَّا قال في غده : لو غُيِّر هذا لكان أحسن ، ولو زِيْدَ هَذا لكان يُستحسن ، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرك هذا لكان أجمل... وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل استعلاء النقص على جملة البشر" .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

التمهيد وفيه:

- تحرير المصطلح .
- بيان ضوابط الاحتباك .
- بيان ضوابط شبه الاحتباك .
- بيان علاقته بالإيجاز ، وموقعة من البلاغة .

التمهيد :

(**أسلوب الاحتباك في آثار أهل العلم ومواقعه في القرآن الكريم دراسة بلاغية**) ، موضوع تحتَّم إيضاح معالمه ، وكشف جوانبه في تراثنا الخالد ؛ لأنه لا بد قبل التنقيب والبحث عنه في أسفار العلماء ، ودراسته في البيان القرآني ، أن أبدأ بتحديد مفهومه ، وذكر كل ما يختص به ؛ ليكون طريق البحث واضحًا يسلك باطمئنان في كل خطوة .

– الاحتباك في أصله اللغوي :

(**حَبْك**) : مأخوذ من "الشد بكل إتقان وإحكام ، وهو شد الإزار" [(١)] ، ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها : "أنها كانت تحتبك تحت الدرع في الصلاة" [(٢)] . أمّا (حُبُك السماء) في قوله : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾(الذاريات:٧،ك) ، أي : الخَلْق الحسن ، والحُبُك : الطرق ، يعني بها السموات ؛ لأنَّ فيها طرق النجوم [(٣)] . ويقال: للريح في الماء والرمل حُبُك وحَبَائِكُ وحَبِيكٌ ، أي : طرائق ، والواحد فيها حَبِيكَةٌ وحِبَاكٌ[(٤)] . "والمحبوك : ما أجيد عمله ، فكلُّ شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد احتبكته" [(٥)] .

يتضح مما تقدَّم أنَّ كلمة (**احتباك**) في العُرف اللُّغوي تدلُّ على الشيء المتقن المتفنن في بنائه ، المحكم المترابط في حياكته ونظمه ، وهذا الإحكام والإتقان محسوس ظاهر ، ومدرك معنوي ، فالحسي أساسه جمال الصناعة في إحكام النسج ، وهذا متمثلٌ في حياكة الثوب ، بمعنى: إنَّ الحُسنَ يُرى بالعين ويملؤها ،فتجد النفوس له قبولاً ، أمَّا المعنوي فأساسه الدقَّة في إمعان النظر ، ويدرك في حبك السماء ، وحبك الخَلق ، إلَّا أنه يحتاج إلى حساس متفهم لعمق دقائق الجمال ، سواءٌ في طرائق النجوم في السماء ، أو في إحكام الخلق في

---

(١) لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، (بيروت ، دار صادر ، الطبعة السادسة١٤١٧هـ–١٩٩٧م) ، مادة : (ح ،ب، ك)٤٠٧/١٠ .

(٢) أخرجه البيهقي في سننه٢٣٥/٢ ، رقم(٣٠٨٣) . إسناده ضعيف ؛ لأن فيه راويًا مجهولاً ، وهو أم شبيب . قال الألباني: «وأم شبيب هذه لم أجد من ذكرها » ٦٧/٣ ، وبقية رجالة ثقاة . ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (الرياض ، مكتبة المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م).

(٣) ينظر : لسان العرب ، مادة : (ح،ب،ك)٤٠٨/١٠ .

(٤) ينظر : أساس البلاغة ، تأليف : جار الله الزمخشري ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة : بدون ، ١٤١٥هـ–١٩٩٤م) ، مادة : (ح، ب، ك)٧٢/١ .

(٥) لسان العرب ، مادة : (ح ،ب، ك)٤٠٨/١٠ .

المخلوقات .

– الاحتباك في الاصطلاح :

إنَّ الإشارةَ إلى هذا النوع من الحذف قديمة في تراثنا قِدمَ البحث في تراكيب اللغة شعرًا ونثرًا ، فهي ترجع إلى سيبويه (١٨٠هـ) ، في تقديره أصل المعنى ، في قول الحق : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ (البقرة:١٧١،م) ، حيثُ قال : "وإنما المعنى : مَثَلُكم وَمَثَلُ الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع"[١] ، فهذه أوَّل ومضة –تقريبًا– ترشد إلى طريقة الاحتباك ، سار عليها بعض علمائنا في استخراج المحذوف ، وكيفية التقدير ؛ لذا فالاحتباك : أن تَحذِفَ من الأول ما أثبت في الثاني ، ومن الثاني ما أثبت في الأول ؛ لغرض بلاغي .

وظاهر القول أنَّ هذا الفنَّ البلاغي أخذ مسمَّيات عدة ، فبعض العلماء أطلق عليه (**احتباك**) ، وبعضهم (**حذف التقابل**) ، ومن أبرز مَن أطلقوا اسم (**احتباك**) ، إسماعيل بن محمد الغرناطي[٢](٧٧١هـ) ، وابن يوسف الأندلسي[٣] (٧٧٩هـ) ، وبرهان الدين البقاعي[٤] (٨٨٥هـ) وجلال الدين السيوطي[٥] (٩١١هـ) ، وغيرهم[٦] .

---

(١) الكتاب ، تأليف : بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، (القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ– ١٩٧٧م) ٢١٢/١ .

(٢) شرح ألفية ابن مالك ، لسري الدين إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي بن هاني اللخمي الغرناطي الأندلسي المالكي ، تحقيق : أحمد بن محمد بن أحمد بن محجوب ذيبان القرشي ، إشراف : سليمان بن إبراهيم العايد ، (دكتوراه) ، (مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، قسم النحو والصرف ، ١٤١٤هـ–١٩٩٤م) ١٠/١وما بعدها .

(٣) ينظر : طراز الحلة وشفاء الغلة –شرح الحلة السيرا في مدح خير الورى– بديعية الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر الأندلسي ، حققته وقدمت له : رجاء السيد الجوهري ، (الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الطبعة : بدون ، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م) ، ص٥٠٧ .

(٤) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، تأليف : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، (القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦هـ–١٩٧٦م) ٢٦٣/٤ ، و١١١/١٥ .

(٥) ينظر : الإتقان في علوم القرآن ، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، قدَّم له وعلَّق عليه : محمد شريف سُكر ، راجعه : مصطفى قصاص ، (بيروت ، لبنان ، دار إحياء العلوم ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ–١٩٩٢م) ١٦٩/٢وما بعدها .

(٦) ينظر : التعريفات ، تأليف : علي بن محمد الشريف الجرجاني ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتاب العربي ، الطبعة

واعـــتبره ابن أبي الإصبع (٦٥٤هـــ) قسمًا من أقسام (**التوهيم**)[(١)] ، غير أنه لم يذكر تعريفًا خاصًا به . وممَن أطلق عليه مصطلح (**الحذف المقابل**) السجلماسي[(٢)] (٧٠٤هـــ) ، وابن الـــــبناء المـــــراكشي[(٣)] (٧٢١هـــ) ، وبدر الدين الزركشي[(٤)] (٧٩٤هـــ) .

▪

كما عُرِفَ هذا الفن البلاغي عند بعض العلماء الفلاسفة وأصحاب المنطق بـــ (**القياس المضمر**) ، وعرَّفوه بأنه : "القياس المركَّب من قضيَّتين شرطيتين ، تشمل كل واحدة منهما على جزأين : مقدم وتال ، فيحذف بعض أجزائها ، ويكتفى عنه بالبعض الآخر ، وذلك ما يعبرون عنه بحذف بعض المقدمات في المخاطبات الجدلية ، أو جريًا على قواعد البلاغة لمطابقة الكلام لمقتضى الحال" [(٥)] .

▪

وأفضل تعريف اصطلاحي لهذا الفن البلاغي عندي ما ذكره السجلماسي ، قائلًا : " هو : القول المركَّب من أجزاء فيه متناسبة ، نسبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ، أوْ ما كانت النسبة فيه كنحو ذلك ، فاجتزئ من كل متناسبين بأحدهما ؛ لقطع الدلالة مما ذكر على ما ترك . وقولنا: في الفاعل أو ما كانت النسبة فيه كنحو ذلك ، لنحوي به ما كان نسبة الأول فيه إلى الثاني كنسبة الثالث إلى الرابع ، كما في بعض صور هذا النوع أقل

الأولى ، ١٤٠٥هـــ- ١٩٨٤م) ، ص١٢ ، ومعجم المصطلحات البلاغية ، تأليف : أحمد مطلوب ، (مطبعة المجمع العلمي العراقي ، الطبعة : بدون ، ١٤٠٣هـــ-١٩٨٣م) ١/٥٥وما بعدها .

(١) التوهيم هو : «أن يأتي المتكلم بكلمة يوهم ما بعدها من الكلام أن المتكلم أراد تصحيفها ، وهو يريد غير ذلك» . بديع القرآن المجيد ، تأليف : ابن أبي الإصبع ، تحقيق : حفني محمد شرف ، (القاهرة ، دار نهضة مصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٧هـــ-١٩٥٧م) ، ص١٣١ .

(٢) ينظر : المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، تأليف : أبي القاسم السجلماسي ، تحقيق : علال الغازي ، (الرباط ، مكتبة المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـــ-١٩٨٠م) ، ص ١٩٥ .

(٣) ينظر : الروض المريع في صناعة البديع ، تأليف : ابن البناء المراكشي العددي ، تحقيق : رضوان بنشقرون ، (الرباط ، الطبعة : بدون ، ١٤٠٦هـــ- ١٩٨٥م) ، ص١٤٣ وما بعدها .

(٤) ينظر : البرهان في علوم القرآن ، تأليف : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (بيروت ، صيدا ، المكتبة العصرية ، الطبعة بدون ، سنة الطبع : بدون) ٣ /١٢٩ .

(٥) الروض المريع ، ص٣٧ .

ذلك ، والأول أكثره وأعمه " [١] ؛ وذلك لإحكام الصياغة ، ولشموله على أهمِّ ضوابط الحذف من حيثُ ذكر شرط تحقق العلاقة والنسبة بين الطرفين معًا .

ومما سبق يُلاحَظ أنَّ العلاقة بين المعنيين :اللغوي ، والإصلاحي ، قائمة في : " مأخذ هذه التسمية من الحبك ، الذي معناه الشد والإحكام ، وتحسين أثر الصنعة في الثوب ، فحبك الثوب سد ما بين خيوطه من الفُرَج ، وشده و إحكامه ؛ بحيث يمنع عنه الخلل ، مع الحُسنَ والرونق . وبيان أخذه منه أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفُرَج بين الخيوط ، فلمَّا أدركها البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه ، فوضع المحذوف مواضعه ، كان حائكًا له مانعًا من خلل يطرقه ،فسدَّ بتقديره ما يحصل به الخلل ، مع ما أكسبه من الحُسنَ والرونق" [٢] . فالعلاقة القوية بين المعنيين هي سبب التواصل والترابط ، والمعنى الاصطلاحي مستخرج من رحم المعنى اللغوي ملحوظًا فيه حسنًا ومعنى ، فالكلام الذي يقع فيه الإيجاز ، النفوس إليه أميل ، وهذا ظاهر ملحوظ ، أمَّا المعنوي ، فهو متمثل في دقة الكلام وترابطه وتلاحمه ، التي حفت بالهيبة والجلال ؛ فإدراك سرها يحتاج إلى تأمل لا يوهب إلا لمن رُزِقَ فهم تدبر الكلام العالي والعلي .

▪

وطريقة الاحتباك تكمن في الجمل المكوَّنة من أربع كلمات أو جمل ؛ اثنتان في الشق الأول ، واثنتان في الشق الآخر ، بشرط أن تقابل الأولى الثالثة ، والثانيةُ الرابعةَ في المعنى ، وهذا النَّوع منه أدقُّ في النظم ، وألطف في الحسن ، وأكمل في البلاغة . وقد تقابل الأولى الثانيةَ والثالثةُ الرابعةَ ؛ وهذا قليل الوقوع –كما قيل–[٣] ، ولكنَّ الأهمَّ فيه : إن ذُكِرَتْ لك الأولى حُذِفَ مقابلها — سواءٌ أكانت الثانية أم الثالثة– ، وإن ذُكِرتْ لك الرابعة حذف مقابلها –سواءٌ أكانت الثانية أم الثالثة– والعكس ، فيصبح نظير كل واحدٍ من المذكور محذوفًا في كلا الطرفين .

▪

(١) المترع البديع ، ص١٩٥ .

(٢) الإتقان٢/١٧١ .

(٣) ينظر : المترع البديع ، ص١٩٥ .

– بيان ضوابط فن الاحتباك :

عند دراسة هذا الفن تحسن الإشارة إلى ضوابطه ؛ حتى تتضح خصوصيته التي تُميزه عن غيره من أنواع الحذف الأخرى ، ومن هذه الضوابط ما يلي :

- تحقق شرط وجود الدليل .
- تحقق شرط التقابل أو التناظر بين المحذوفين والمذكورين .
- تحقق شرط النسبة بين الجمل المحذوفة والمذكورة ، بمعنى : أن يكون المذكور له علاقة بالمحذوف من قرب أو بعد .
- وجود فقرتين مذكورتين ، وأخريين محذوفتين ؛ يحذف مقابل أو نظير كل فقرة من الفقرات .
- أن يكون وراء الحذف غرض بلاغي .

– شبه الاحتباك : لم أتمكن من تعريفه تعريفًا منطقيًا محكمًا ، ولكن اتضح أنَّ له ضوابط خاصة به تميزه عن أنواع الحذف الأخرى ، **وهي :**

- في بعض الأحيان يكون المذكور في طرف واحد والمحذوف ثلاثة أركان من الطرفين ، شَطْرُهَا أن يدل المذكور عليهما دلالة بينة .
- يطلق شبه الاحتباك –في بعض الأحيان– على ما كان المذكور فيه ماضيًا أو مضارعًا ، والمحذوف ضده في المضارعة والمُضي ، وقد يكون الركنان المذكوران في زمن الُمضي ، والمحذوفان في زمن المضارعة ، والعكس .
- شبه الاحتباك يتمثل غالبًا فيما كانت النسبة فيه بنسبة الركن الأول إلى الرابع ، والثاني إلى الثالث .

– بيان علاقته بالإيجاز ، وموقعه من البلاغة .

أ – علاقة الاحتباك بالإيجاز .

الاحتباك باب جزل المقطع ، شبيه بالسحر ، جمّ في دلالاته ، دقيق في إدراك محاسنه ، ذو

نُسب ووصل بالإيجاز ؛ لكونه قائمًا على الحذف الفني المتخير في بنائه الذي تظهر معه القيمة الجمالية ، فالبراعة في تبصر جمال الصورة التركيبية الدلالية لأسلوب الاحتباك تكمن في لطائف المعاني وتذوق صور الإيجاز .

فالعلاقة بين الاحتباك والإيجاز تتمثل في سخاء دلالة الألفاظ لاكتناز التراكيب بالمعاني ؛ لأنَّ الإيجاز في مباني الألفاظ يُثمرُ لفظًا في الدلالة على المعاني ، ودقةً في نمط تراكيبها ، فالمعول عليه في إدراك المزايا والأسرار: الذوق الذي شطره الإحساس بقيمة المحذوف ، وتجنب ذكره، "... وتجتهد أن لا يدور في خلدك ، ولا يعرض لخاطرك ، وتراك كأنك تتوقاه توقي الشيء تكره مكانه ، والثقيل تخشى هجومه" (١) .

فالاحتباك هدفه تعميق المعاني وتكثيفها في أصل ألفاظها ؛ لتثبيت القيم في النفوس ، والأخذ بأيدي الناس إلى مقام الطاعة والقرب من رب العالمين ، وهذا من محاسن جمال الإيجاز ، الذي لزم صور الاحتباك ، فما من نمطٍ تركيبي وقع فيه الاحتباك أو شبهه إلا والإيجاز من أسمى علاماته ، وأحد دوافعه .

▪

ب – علاقته بالبلاغة .

يُعدُّ هذا النوع من الحذف مطلبًا مهمًا من مطالب البلاغة الآخذة بأيدي الناس إلى مقام المحبة الممزوجة بالمهابة والإجلال ؛ لما يحققه من جلائل المعاني الإحسانية اللطيفة في مدلولاتها ، العميقة في دلالاتها ، " فإنه من القول الجميل ذي الطلاوة والبهجة والعذوبة ، الجزلِ المقطع ، الغريبِ المترع ، اللذيذ المسموع ؛ لما بين أجزائه من الارتباط ، لما للنفس الناطقة من الالتذاذ بإدراك النِّسَبِ والوُصَلِ بين الأشياء" (٢) .

فهذا النَّوع من الحذف اختلف العلماء في تحديد بابه ، فمنهم من أدخله في باب علم المعاني ، تحت اسم (**حذف التقابل**) ، من أمثال : السجلماسي في (المترع البديع) ، والمراكشي في (الروض المريع) ، والزركشي في (البرهان) ، وكان المحور الأهم في مناط

---

(١) دلائل الإعجاز ، تأليف : أبي بكر عبد القاهر الجرجاني النحوي ، قرأه وعلّق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، (جده ، دار المدني ، القاهرة ، مطبعة المدني ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م) ، ص ١٤٦وما بعدها .

(٢) المترع البديع ، ص١٩٥ .

نظرهم التركيز على ما يحققه الحذف من تأثير جليّ في بناء الأساليب المتقابلة ، وهذا أقرب إلى علم المعاني ؛ إذ إنه يهتم بدراسة تراكيب الأساليب وكيفية بنائها .

وأدخله آخرون في باب علم البديع ، تحت اسم (**احتباك**) ، من أمثال أصحاب البديعيات[١] ، ومن أبرزهم : السيوطي في (نظم البديع في مدح خير شفيع) .

ولعلَّ من أطلق عليه اسم (**احتباك**) كان ناظرًا له باعتباره أحد ألوان البديع ، وكان مناط نظرهم الأهم التركيز على ما يحمله الحذف من قيم جمالية ذات أثر فعَّال في النفوس ، وهذا أقرب إلى علم البديع ؛ إذ إنه يهتم بدراسة الأثر الناتج عن تأمل الأساليب .

▪

(١) ينظر : نهاية الفصل الثالث: الاحتباك في الدراسات البلاغية والنقدية .

الباب الأول :
الاحتباكُ وشبهه في آثَار أَهل العِلم
وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مضمون الاحتباكُ وشبهه في آثار النُّحَاةِ .

الفصل الثاني : مضمون الاحتباكُ وشبهه في آثار المفسِّرين .

الفصل الثالث : مضمون الاحتباكُ وشبهه في الدِّراسات البَلاغية ، والنَّقديَّة .

إن للعلماء – كما يعلم– آثارًا ، البحث فيها ذو مسالك عدة ، ألطفها وأدقها : ما خَفِيَ من تلك المسالك ؛ لقلة من وقفوا عليها ؛ لذا ينبغي التأمل في دقائق تلك المسالك محاولين استقصاء حقائق منهج القول في بيان ما يتعلق بكل جزء يراد بحثه ، فالبحث عن مناهج أهل العلم في تراثهم هو البحث عن عقول هؤلاء الأجلاء في استنطاق أفكارهم ، وهذا يتطلب مزيد جهد ، وإدمان نظر ، وقوة تحمل ، وإمعان فكر ؛ لمعرفة المراد من كل قول ، وتبين المنهج الذي اتُّخِذَ في بناء تلك الأقوال.

فإذا كان القول بالاحتباك في بعض الآثار جليًا ، فإنه في أخرى خفي لا يدرك إلا بالتبصّر . والثابت الذي يسار عليه في بيان حقيقة هذا الباب هو الكشف عن مناهج أهل العلم في كيفية التعرض لهذا الفن البلاغي ، وبيان طرائقهم في توجيهه لمعرفة حقيقته، وكيف نما على أيدي العلماء من إشارات بسيطة إلى أن استوى في صورته الكاملة ، إلى جانب الإشارة السريعة إلى مواضعه عند بعض العلماء –من المتأخرين– الذين كثر عندهم القول به، سواءٌ تمثل ذلك القول في تسميته – احتباكًا– ، أو في طريقة التقدير .

▪

الفصل الأول : **مضمون الاحتباكُ وشبهه في آثار النُّحَاة**

الفصل الأول : مضمون الاحتباك وشبهه في آثار النُّحاة

– سيبويه : (١٨٠هـ)

لعلَّ أوَّل إشارة إلى هذا الحذف تمثَّلت في قول سيبويه في باب : (استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام وللإيجاز والاختصار) ؛ حيث يقول : " ومثله في الاتساع قوله ﷻ : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ (البقرة:١٧١،م) . فلم يشبَّهوا بما يَنْعِقُ ، وإنما شُبِّهوا بالمنعوق به . وإنما المعنى : **مَثَلُكم وَمَثَلُ الذين كفروا كمثل النَّاعق والمنعوق به الذي لا يسمع** ، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطَب بالمعنى" [١] .

قوله هذا فيه إشارة صحَّ حملها على الاحتباك عند أغلب العلماء [٢] الذين عنوا به تمام العناية ، ما بين موضح ، وشارحٍ له ، ومكملٍ عليه ؛ لهذا أصبح القول بالاحتباك فيها ظاهرًا جليًا .

ولكن : ما المعيار الذي سار عليه سيبويه في تحديد كيفية هذا الأسلوب؟

الباعث لسيبويه إلى هذا التقدير أنَّه رأى عدم اتِّساق عناصر صورة التشبيه المذكورة فوجب عنده التقدير ، فهو يُعَدُ صورةً من صور الإيجاز والاتساع ، وتحليلاً لجزيئات النصِّ القُرآني في طور من أطوار النُّمو لم يكتمل بعد ، ودليل هذا : " أنَّ تقدير سيبويه إنما هو تحليل لجزيئات الأسلوب في مراحلها الأولى قبل أن تتكون منها الصورة الكاملة للتمثيل ، وآية ذلك أنه قال : المعنى كذا..." [٣] .

---

(١) الكتاب ٢١٢/١ .

(٢) قول سيبويه حَظِي بعناية وافرة من العلماء : (نحاة ، ومفسرين ، و بلاغيين ، ونقاد) ، فهو بمثابة البذور الأولى التي وجدت مزيد عناية من المتأخرين .

(٣) مقال من صور الحذف البليغ (الاحتباك) ، لعبد الحميد محمد العيسوي ، (مجلة الأزهر الشريف ، رمضان : ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م ، الإصدار الأول) ، ص١٠٥٧ فصورة الاحتباك المتمثلة في التقدير والإضمار حظيت بعناية العلماء بعد سيبويه، ومن أبرزهم: إبراهيم بن محمد الزجاج . ينظر: إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، تحقيق ودراسة: إبراهيم الأبياري، (بيروت ، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢م) ٤٧/١ . وبهذا أخذ السيرافي في شرح كتاب سيبويه ، تأليف : أبي سعيد السيرافي ، حقَّقه وقدَّم له وعلَّق عليه : رمضان عبد التواب وآخرون ، (القاهرة ، دار الكتب المصرية ، الطبعة : بدون ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ١٨٥/٤ .

- الزَّجَّاج : (٣١١هـ) .

أشار الزجَّاج إلى هذا النوع من الحذف عند بيانه قول سيدنا **عمر بن الخطاب** ﷺ إذ يقول : "لِتُذَكِّ لكم الأَسَلُ والرماحُ والسِّهامُ ، **وإياي وأَنْ يحذِفَ أَحدُكُمُ الأَرنبَ** " [(١)] ؛ حيثُ قال : "**أصله إياي وحذف الأرنب ، وإياكم وحذف الأرنب ، فحذف من كل جملة ما أثبت في الأخرى**" [(٢)] .

▪

- أبوجعفر النحاس : (٣٣٨هـ) .

وردت عند النحاس إشارة صح حَمْلُهَا على الاحتباك عند بعض المتأخرين، تمثلت في التقدير الذي كَشَفَ طريقته ، وذلك في **(معاني القرآن)** ، عند تأويله قول الحق ﷻ: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ (الأعراف:٤،ك) .يقول :" المعنى:فجاءهم العذاب على غفلةٍ بالليلِ وهم نائمون ، أو نِصف النهار وهم قائلون" [(٣)] . فهذا احتباك .

*

---

(١) نسب هذا القول لسيدنا عمر بن الخطابَ ﷺ في مراجع عدة ، ومنها على سبيل المثال : الكتاب١/٢٧٤.

(٢) أغلب العلماء الذين ذكروا رأي الزجاج لم يشيروا إلى مصدره الحقيقي ، وإنما ذكروه نقلاً عن بعض العلماء ، ومنهم : السيرافي في شرح كتاب سيبويه ٤٢/٥ ، وابن يعيش علي بن أبي السرايا ، في (شرح المفصل) ، (بيروت ، عالم الكتب ، مكتبة المتنبي ، الطبعة : بدون ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) ٢٦/١ ، وأبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف ، في (ارتشاف الضرب من لسان العرب) ، تحقيق : رجب عثمان محمد ، مراجعة : رمضان عبد التواب ، (القاهرة ، مكتبة الخانجى ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م) ٢٨٧/٢ ، والمرادي المعروف بابن أم قاسم ، في (توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك) ، تحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، (القاهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) ٧٠/٤ .

(٣) معاني القرآن الكريم ، تأليف : أبي جعفر النحاس ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، (مكة المكرمة ، معهد البحوث العلمية ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)٩/١ . تبعه في التقدير البغوي الحسين بن محمود بن محمد في تفسيره المسمى (معالم التنزيل) ، تحقيق : محمد عبد الله النمر وآخرين ، (الرياض ، دار طيبة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م) ٢١٤/٨ ، والرازي محمد بن عبد الله بن عمر التميمي في تفسيره المسمى (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب) ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م) ٢١/١٥ ، وابن جزي الكلبي محمد بن أحمد الغرناطي في تفسيره المسمى (التسهيل لعلوم التنزيل) ، (لبنان ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ٢٩/٢ .

– إسماعيل بن محمد الغرناطي : (٧٧١هـ) .

أشار الغرناطي إلى الاحتباك ، وذلك عند تأويله قول الحق ﷻ:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾(البقرة:١٧١،م) ، حيثُ قال : "والاحتباك ظاهر ، منه قولهﷻ:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ ، والتقدير : ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداء . فحذف (داعي) ؛ لدلالة (ينعق) عليه ، و(مدعوه) ؛ لدلالة (الذين كفروا) عليه" [(١)] .

▪

– ويقول في بيانه قول ابن مالك[(٢)] :

"مُصَلِّياً عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَ آلِـــــهِ الْمُسْتَكْمِلِينَ الشَّرَفَا" [(٣)]

"والصلاة من الله رحمَةٌ ، ومن الملائكة استغفارٌ ، ومنَّا دُعَاءٌ ، وأما قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب:٥٦، م). فإنه من قال بتعميم اللفظ المشترك فلا إشكال ، وأما من منع من تعميم اللفظ المشترك فإنه يجعل من باب ما حذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول ، فيكون التقدير : إن الله يصلي و (إن) ملائكته يصلون ، فحذف (يصلي) من الأول لدلالة (يصلون) ، و(إن) من الثاني لدلالة (إن) الأولى عليه ، وهذا من أفصح ما جاء عن العرب وأجمعه وأوجزه ، ويسمى في ألقاب البديع : الاحتباك ، وبعضهم يسميه التشبيب [(٤)] ، والتشبيب في اللغة : هو التعلق فسمى هذا تشبيبًا ؛ لأنَّ كلَّ واحد من اللفظين متعلق

---

(١) شرح ألفية ابن مالك ، تحقيق : أحمد القرشي ، (دكتوراه)١٠/١ وما بعدها .

(٢) ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تأليف : ابن هشام الأنصاري ، معه –كتاب– عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ، تأليف : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (بيروت ، صيدا ، المكتبة العصرية ، الطبعة : بدون ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م)٧١/٤وما بعدها .

(٣) ينظر : متن الألفية ، تأليف : محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي ، (القاهرة ، مكتبة التراث الإسلامي ، الطبعة : بدون ، ١٤١٠هـ–١٩٨٩م) ، ص٣ .

(٤) هو : «أن يقدم قبل الشروع في الكلام ما يُمهد المراد ، وهو على وجوه» . التبيان في البيان ، تأليف : شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي ، تحقيق : توفيق الفيل ، وعبد اللطيف لطف الله ، (الكويت ، ذات السلاسل ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ–١٩٨٦م) ، ص ٣٠٦ .

بالآخر" [١] . فالاحتباك ظاهر في التقدير الذي أشار إليه ؛ لأنَّ الحذف تمثل في الطرفين ، فحذف من كل طرف مقابله .

▪

– أحمد السجاعي : (١١٩٧هـ) :

وردت عن السجاعي إشارة إلى شبه الاحتباك عند بيانه نظم ابن مالك في ألفيته ، يقول ابن مالك في باب المقصور والممدود :

"فَلِنَظِيرِهِ المُعَلِّ الآخِرِ ثُبُوتُ قَصْرٍ بِقِيَاسٍ ظَاهِرِ
كَفِعَلٍ وَفُعَلٍ فِي جَمْعِ مَا كَفِعْلَة وفُعْلَةٍ ،نَحْوُ الدُّمَى " [٢]

حيثُ قال : "وفي الكلام شبه احتباك" [٣] .

▪

– الصبَّان : (١٢٠٦هـ)

وَرَدَتْ عند الصبَّان إشارة إلى هذا النوع من الحذف عند بيانه قول الزَّجَّاج السابق ، يقول : "وقال الزجاج : التقدير : إياي وحذف الأرنب ، وإياكم أن يحذف أحدكم الأرنب ، فحذف من كل من الجملتين ما أثبت نظيره في الأخرى ، فيكون احتباكًا ، وكذا في السندوبي ، والاحتباك موجود على قول الجمهور" [٤] .

فقد يتوهم أنَّ تقديره للمحذوف في هذا من قبيل الاحتباك ، وفيه نظر–والله أعلم– . وهو : أنَّ قول الزَّجَّاج ، وإن قَرُبَ من فن الاحتباك في خاصيّة أنَّ الكلام على هذا التقدير

---

(١) شرح ألفية ابن مالك ١/ ١١ .

(٢) متن الألفية ، باب المقصور والممدود ، ص٤٧ .

(٣) حاشية فتح الجليل ، تأليف : أحمد السجاعي على شرح ابن عقيل على متن الألفية لابن مالك ، (القاهرة ، طبع بمصر ، الطبعة : بدون ، ١٢٩٠هـ–١٨٧٠م) ، ص ٣٥٩ . تبعه الخضري . ينظر : حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ضبط وتشكيل وتصحيح : يوسف محمد البقاعي ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة : بدون ، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م) ١/ ٨٠٦ .

(٤) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه الشواهد للعيني ، (القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ، ١٣٣٦هـ–١٩١٨م) ٣/ ١٩١ .

جملتان ، إلَّا أنه بمقارنته بما قاله الجمهور [(١)] يتبين عِلَّةَ ذلك النظر ؛ وذلك لأنَّ الجمهور قدروه على الاحتباك ، فقالوا : (**إياي باعدوا عن حذف الأرنب ، وباعدوا أنفسكم أن يحذف أحدكم الأرنب**) ، فحذف من الأول : (حذف الأرنب) -المحذور- ؛ لدلالة الثَّاني عليه (أن يحذف أحدكم الأرنب) -المحذر- ، وحذف من الثاني : (باعدوا أنفسكم) -المحذر- ؛ لدلالة الأول عليه (إياي باعدوا) -المحذور- ، ومن طرف آخر أنَّ بعض أهل العلم من النُّحاة اعترضوا على ذلك التقدير ؛ " زعم الزجاج أنّ معناه : «إيّايَ وإيَّاكم وأَنْ يَحْذِفَ أَحَدُكم الأرنب» ، والذي قاله لا يُحتاج إليه ؛ لأنَّ قوله :(وأَنْ يحذف أحدُكم) قد دَلّ على أنهم حُذِّرُوا من فعلهم أنْ يأتُوه إلى المتكلم" [(٢)] . وقال أبو حيَّان : "زعم الزَّجَّاج[(٣)] أنَّ ذلك جملتان ، والتقدير : إياي وحذف الأرنب ، وإياكم وحذف أحدكم الأرنب" [(٤)] .

فما قاله الجمهور احتباك ، وليس شبه احتباك ، كما قال به بعض المتأخرين -لتحقق شرط التقابل ، فحذف الأول لدلالة الثالث عليه ، والثاني لدلالة الرابع عليه- ، من أمثال : **ابن حمدون الحاج** في حاشيةٍ له على شرح عبد الرحمن المكُودِي التي نقل فيها ما قيل عند سابقيه في هذا الموضع فقال -بعد تقدير المحذوف على طريق الاحتباك- : "وفي الكلام شبه احتباك" [(٥)] .

أمَّا ما قال به الزَّجَّاج فليس منه ؛ لأنَّه حذف من الأول المحذور ، ومن الثاني المحذر— فقط- . ورأي الجمهور هو الأرجح ؛ لأنه الأقرب إلى طبيعة تقدير الاحتباك من حيثُ تحقق أهم شرائطه ، وهو : اتضاح التقابل بين طرفي القول بعد التقدير ، وهو ما اختاره **ابن هشام**[(٦)] ، وبعض سابقيه الذين لا يقفون عند الاحتباك مصطلحًا ، وإنَّما لجؤوا إلى

---

(١) تمثل في قول ابن مالك ، وابن الناظم ، أبي حيان ، ابن هشام . وأخرتهم ؛ ليتضح حقيقة القول بالاحتباك بما قال المتأخرون .

(٢) شرح كتاب سيبويه ٤٢/٥ .

(٣) دليل الاعتراض على قول الزجَّاج يكمن في أن : إياي وإياكم على حد قول الزجاج لا بُدَّ لهما من عامل .

(٤) ارتشاف الضرب ١٤٧٨/٣ .

(٥) حاشية الأسعد أبي العباس سيد أحمد بن محمد ابن حمدون الحاج على شرح – ألفية ابن مالك- تأليف : أبو زيد سيدي عبد الرحمن المكودي ، طبعة جديدة تشرَّف بخدمتها وتصحيحها وضبطها : محمد صدقي ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع : بدون) ١-٥٤٩/٢ .

(٦) ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٧١/٤وما بعدها .

إلى تقديره وفق مقتضى المعنى في سياقه النحوي ، من أمثال : **ابن مالك** [١] ، **وابن الناظم**[٢] ، **وأبي حيان** [٣] ، **والمرادي**[٤] ، وهو كما قيل : "قليل" . فالهدف الذي سعى إليه هؤلاءِ العلماءُ هو : خدمة المعنى وبيانه من خلال الإعراب ، وليس إظهار النُكتاتِ البلاغية التي أخذت في الظهور عند أصحاب الحواشي والشروح - ؛ لأنَّ قواعد النحو قد تأصلت ، ووصلت إلى مرحلة لم يَعد فيها مجال للتجديد ، ومن هنا أصبحت أقوالهم تحليلاً وكشفًا لما خَفي في تلك الأقوال من جميع جوانبها- ، من أمثال : **الأشموني**[٥] ، **والصبان**[٦] ، **والخضري**[٧] . وغيرهم ، فالخيط الدقيق الذي اُسْتُلَّ اُسْتُلَّ منه الاحتباك عند المتأخرين خَفِيّ في قول المتقدمين .

▪

الخضري : (١٢٨٧هـ) .

يقول في قول الفرزدق :

كَـــمْ عَمَّة لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَةٍ فَدْعَاءُ[٨] قَدْ حَلَبَتْ عَليَّ عِشَارِي

" قوله : (كَمْ عَمَّة..) أي على رواية رفع (عمة) مبتدأ خبره (قد حلبت) ، و(لك) صفته ففيه مسوغان ، و(خالة) مبتدأ حذف خبره لدلالة الأول عليه ، و(فدعاء) -بفاء فمهملتين- صفتها وهي التي اعوجت أصابعها من كثرة الحلب ... وقد حذف نظيره (من عمة) كما

---

(١) ينظر : الموضع السابق.

(٢) ينظر : شرح ألفية ابن مالك ، تأليف : ابن الناظم ، أبي عبد الله بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن مالك ، حققه وشرح شواهده ووضع فهارسه : عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد ، (بيروت ، دار الجيل ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع : بدون) ، ص٦٠٨ .

(٣) ينظر : ارتشاف الضرب ١٤٧٨/٣ .

(٤) ينظر : توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك٧١/٤ وما بعدها .

(٥) ينظر : حاشية الصبَّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك١٩١/٣وما بعدها .

(٦) الموضع السابق.

(٧) ينظر : حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك٦٨٠/١ .

(٨) «الفَدَعُ: عَوَجٌ ومَيْلٌ في المَفاصِلِ كلِّها خِلْقةً ، أو داءٌ كأَنَّ المفاصل قد زالت عن مواضعها لا يُستطاعُ بَسْطُها معه ، وأَكثر ما يكون في الرُّسْغِ من اليد والقَدَم» . لسان العرب ، مادة : (ف،د،ع)٢٤٦/٨ .

حذف (لك) من خالة ففيه احتباك "[1] . تقديره :(كم عمة لك فدعاء ، وكم خالة لك فدعاء) . فتحقق الاحتباك من خلال النظر في صورة التقدير ؛ إذ حذف من الأول (فدعاء) ، لما دلَّ عليها ثانيًا ، وحذف من الثاني (لك) ، لما دلَّ عليه أولًا .

▪

– الملاحظ في هذا الفصل قلَّة ورود هذا النوع من الحذف في آثار النُّحاة قياسًا بغيرهم من العلماء . فبما أنَّ للاحتباك ضوابطَ في تعيين المحذوف وتقديره وفق طريقة خاصة به ، فإنَّ أغلبَ النُّحاة لا يركزون على هذه الطريقة ؛ لأنَّ جُلّ اهتمامهم مُنصَبٌّ على النظر في الأسلوب من زاوية الإعرابية ، وإن اِحتيج إلى تقدير قُدِّر وفق ضوابط نحوية –أيضًا– يقتضيها السياق . فالقول بالاحتباك ، مصطلحًا وتقديرًا ، تحقق عند بعضهم ، وهذا مناط النظر الأهم ، وقد اختلف اختلافًا بينًا في بعض المواضع حول تسمية المصطلح أهو احتباك ، أم شبهه؟ . وفي كيفية التقدير أيحمل عليه ، أم لا؟ . أمَّا ما يتعلق بدقائق الاحتباك ولطائفه فإنَّه لم يتبين ما يمكن أن يُفسَّر على هذا ، وهذا ظاهرٌ في أنَّ لطبيعة العلم الذي يرد فيه قواعد يجب أن يسار عليها .

▪

(١) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ص١٨٩ .

الفصل الثاني :

مضمون الاحتباكُ وشبهه في آثار المفسرين

– الفصل الثاني : مضمون الاحتباك وشبهه في آثار المفسرين :

مما لا شك فيه أنَّ القول بالاحتباك وشبهه له شأنه ؛ لما خفي من جليلِ أسرارهِ ، ودقيقِ لطائفهِ ، فلقد كثُر في كتب التفسير وروده –قياسًا بغيرهم من العلماء– ، وهذا أمرٌ متوقَّع ؛ لأنَّ المائدة التي قام عليها علم التفسير ، مائدة الكتاب المنزَّل الذي لا يخلق على كثرة الرد ، مائدة لها دقيق أسرارها ، ولطيف دقائقها ، المتفتحة للناظر فيها ، والمتكشفة للمتأمل في خباياها ، والمعجزة للكيان البشري في الوقوف على جلِّ أسرارها ، قال ﷻ : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ (البقرة: ٢٥٥، م) .

فكثرة وروده في هذا الفصل ، لا يُعْنَى بها كثرة التحدث عنه بلاغةً ، والتنقيب عن أسراره ؛ لأنها لم تحظ إلا بقدرٍ قليلٍ من العناية والاهتمام ، وإنما كَثُرَ ذكر الاحتباك مفهومًا ، وتفاوت العلماء في البيان والكشف عنه ، فلعلَّ أول ما يصف صورة الاحتباك عند المفسرين ، هو: إشارات ترد في أسفارهم ، وبين ثنايا أقوالهم ، والتي يمكن تأويلها بما يتفقُ مع المعنى في سياقه القرآني على الاحتباك .

ومن أبرز العلماء الذين يمكن حملُ أقوالهم على الاحتباك أو شبهه .

– الطبري : (٣١٠هـ).

وَرَدَ عند الطبري نوع من الحذف الذي يكون فيه المحذوف المقدر مساويًا للمذكور ، وذلك في كتابه (**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**) ؛ حيثُ يقول في قول الحق ﷻ : ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(البقرة: ١٣٥،م):"قالت اليهود –لمحمد ﷺ وأصحابه من المؤمنين :–كونوا يهودًا تهتدوا . وقالت النصارى لهم : كونوا نصارى تهتدوا"(١) .

---

(١) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تأليف : أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة : بدون ، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م) ٥٨٩/٢ . تبعه ابن أبي الزمنين عبد الله محمد بن عبد الله في تفسيره المسمى باسمه ، تحقيق : أبي عبد الله حسين بن عكاشة –محمد بن مصطفى الكتر ، (القاهرة ، دار الفاروق الحديثة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م)١٨٠/١ ، والماوردي علي بن محمد بن حبيب في (النكت والعيون) ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ–١٩٩٢م)٩٧/١ ، كما ورد لهذا التقدير إشارات عند بعض العلماء من المتأخرين ، أمثال أبي السعود محمد بن محمد العمادي في (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) ، (بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع :

فالناظر في طرفي التقدير يلحظ أنَّ المحذوف الذي تم تقديره واقع في الطرفين ، ففي الطرف الأول المحذوف : (تهتدوا) حُذِفَ لدلالة مثله عليه في الطرف الثاني ﴿تَهْتَدُواْ﴾ ، وفي الطرف الثاني المحذوف :(كونوا) حُذِفَ لدلالة مثله عليه في الطرف الأول ﴿كُونُواْ﴾ ، فكل من المحذوف والمذكور في الطرفين مثيلٌ للآخر . وهذا وجه من وجوه فهم المعنى يُمكِنُ حمله على الاحتباك ؛ لتحقق أهم شرائطه ، وهو :حذف المقابل لدلالة مقابله عليه في الطرفين . ولكن لم يتبين لي أنَّ أحدًا من العلماء –خصوصًا المتأخرين– أَوْلى هذا المعنى مزيدَ عناية .

وللعلماء آراءُ في توجيه معنى (أو) في الآية ، فمنهم من جعلها للتفصيل على أن المعنى : "وقالت اليهود كونوا هودًا ، وقالت النصارى كونوا نصارى ، فالمجموع قالوا للمجموع لا أنَّ كل فرد أمر باتباع أي الملتين " [(١)] . وامتنع كونها للتخيير "فلا يجوز أن يكون المراد به التخيير ؛ إذ المعلوم من حال اليهود أنها لا تجوز اختيار النصرانية على اليهودية ، بل تزعم أنه كفر ، والمعلوم من حال النصارى أيضً ا ذلك ، بل المراد أنَّ اليهود تدعو إلى اليهودية والنصارى إلى النصرانية ، فكل فريق يدعو إلى دينه ويزعم أنه الهدى"[(٢)] . ومنهم من جعلها للتقسيم بعد الجمع [(٣)] ؛ لأنَّ السامع يرد كلًّا إلى من قاله [(٤)] . وعليه فالجمع في : قالت اليهود والنصارى ، والتقسيم بـــ(أو) في : (هودًا تهتدوا ، ونصارى تهتدوا) .

بدون)١٦٦/١وما بعدها ، والآلوسي شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي في (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) ، (بيروت ، دار الفكر ، طبعة جديدة مصححة ومنقحة : ١٤٠٣هـــ-١٩٨٣م) ٣٩٣/٢ ، وإسماعيل حقي في (روح البيان) ، (إستانبول ، مطبعة عثمانية ، الطبعة : بدون ، ١٣٤٥هـــ-١٩٢٦م)٣١٩/١ ، وسيد قطب في (ظلال القرآن) ، (دار الشروق ، طبعة جديدة مشروعة ، الطبعة الشرعية السابعة ، ١٣٩٨هـــ-١٩٧٨م) ٩٢/١ ، يمكن حملها على الاحتباك بتأول .

(١) البحر المحيط ، تأليف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي؛ تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين ، (لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـــ-٢٠٠١م) ٥٧٧/١ .

(٢) التفسير الكبير ، ٧٣/٤ ، و روح المعاني٣٩٣/١ .

(٣) هو : «جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه ، أو العكس تقسيم متعدد ثم جمعه تحت حكم » . المطول -شرح تلخيص مفتاح العلوم- ، تأليف : سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـــ-٢٠٠١م) ، ص ٦٥٨ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ، تأليف : محمد الطاهر بن عاشور ، (تونس ، الدار التونسية للنشر ، الطبعة : بدون ، ١٤٠٥هـــ-١٩٨٤م) ٧/١ .

والمتَّضحُ –والله أعلم– أنَّ المعنى : وقالت اليهود كونوا هودًا تهتدوا ، وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا من قبيل اللف والنشر المرتب [1] ، فاللف أتى في : (قالت اليهود والنصارى) ، والنشر أتى على طريقة اللف في : (كونوا هودًا تهتدوا ، وكونوا نصارى تهتدوا) .

▪

– الكرماني : (٥٠٥هـ) .

وردت عند الكرماني في (**غرائب التفسير وعجائب التأويل**) إشارة لطيفة إلى هذا النَّوع من الحذف .

يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ (البقرة: ١٧١، م) ، : "فيه أقوال : ...والثاني : مثل الذين كفروا معك يا محمد كمثل الناعق مع الغنم ، فحذف من كل طرف ما يدل عليه في الطرف الآخر ، وله في القرآن نظائر وهو أبلغ ما يكون من الكلام" [2] . وبالتتبع لسفره العظيم بناءً على قوله السابق الجليل لم يتبين لي ما يمكن حمله على هذا الحذف غير هذا الموضع –والله أعلم– .

•

– الزمخشري : (٥٣٨هـ) .

يُعَدُّ (**الكشاف**) تفسيرًا بلاغيًا للقرآن الكريم ، والبلاغة ظهرت فيه ظهورًا كاشفًا في جوانب

---

(١) هو : «ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال ، ثم ذكر ما لكل من آحاد هذا المتعدد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه» . المطول ، ص٦٥٤ .

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل تأليف: محمود بن حمزة الكرماني تحقيق: شمران سركال يونس العجلي (جدة، دار القبلة، بيروت، مؤسسة علوم القرآن الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) ١٩١/١ .

هذا الموضع وجد مزيد عناية واهتمام من المفسرين ، منهم : أبو الحسن الحرالي . ينظر: تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير ، تقديم وتحقيق : محمادي عبد السلام الخياطي ، (الدار البيضاء ، مطبعة النجاح ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م) ، ص٣١٣ وما بعدها . وأبو حيَّان الأندلسي . ينظر: البحر المحيط ٤٨٣/١ . والسمين الحلبي ، في (الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون) ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، (دمشق ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م) ٢٣١/٢ وما بعدها . وابن عادل الدمشقي في (اللباب في علوم الكتاب) ، تحقيق : عادل عبد الموجود ، وآخرين ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩، ١٩٩٨م) ٢٧٠/٢ ، وذكره البقاعي بمصطلح الاحتباك .ينظر: نظم الدرر ٣٣٤/٢ .

عدَّة[1] . أمَّا هذا اللَّون البلاغي فلم يَنَل من الزمخشري عناية تجعلنا نقول : إنه عني به ، أو بَانَ في ثنايا ذلك السفر العظيم ، وهذا أمرٌ راجعٌ إلى طبيعة هذا اللون البلاغي الذي لم ير النُّور مصطلحًا إلَّا في أواخر القرن السابع الهجري ، وأوائل الثامن الهجري ، ولكن بالنظر والتقصي يُعْثَرُ على إشاراتٍ ووقفاتٍ يمكن اعتبارها من قبيل الاحتباك .

ولعلَّ من بين تلك الإشارات التي يمكن حملها على الاحتباك من غير إخلال بجوهر المعنى ، قول الحق ﷻ : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (يونس: ١٠٧،ك) ، يقول : "... فإن قلت : لِمَ ذُكِرَ المسّ في أحدهما والإرادة في الثاني ؟ قلت : كأنَّه أراد أن يذكر الأمرين جميعًا: الإرادة ،والإصابة ،في كل واحد من الضرّ والخير ، وأنه لا رادَّ لما يريده منهما ، ولا مزيل لما يصيب به منهما ، فأوجز الكلام بأن ذكر المسّ وهو الإصابة في أحدهما ، والإرادة في الآخر ؛ ليدلّ بما ذكر على ما ترك "[2]. فهذا احتباك ، فتق أفانين القول في بيانه بأسلوب دقيق ، فيه ربط بين المذكور والمحذوف والمراد منهما .

▪

– ويقول في قوله ﷻ : ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(التوبة: ١٠٢،م) : "فإن قلت : قد جعل كل واحد منهما مخلوطًا فما المخلوط به؟ قلت : كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به ؛ لأنّ المعنى خلط كل واحد منهما الآخر ، كقولك : خلطت الماء واللبن ، تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه ، وفيه ما ليس في قولك : خلطت الماء باللبن ؛ لأنّك جعلت الماء مخلوطًا واللبن مخلوطًا به ، وإذا قلته

---

(١) ينظر : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، تأليف : محمد محمد حسنين أبو موسى ، (القاهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع : بدون) ، ص٥ وما بعدها .

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف : أبي القاسم جار الله الزمخشري الخوارزمي ، –ومعه كتاب الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ، تأليف : ناصر الدين أحمد بن محمد ابن المنير الإسكندري المالكي– (بيروت ، لبنان ، دار المعرفة ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع : بدون) ٢٥٦/٢ . الذي يؤكد صورة الاحتباك في هذا الموضع ما ذكره العلماء من بعده ، حول تقدير المحذوف ، وبيان وجهه ، من أمثال : أبي حيان . ينظر: البحر المحيط ، ١٩٦/٥، وذكره البقاعي بمصطلح الاحتباك .ينظر: نظم الدرر ٢٢٠/١٤ ، كما ينظر : إرشاد العقل السليم١٨٠/٤ .

بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطً ا بهما ، كأنك قلت : خلطت الماء باللبن واللبن بالماء..." [1] .

▪

– ابن عطية : (٥٤٦هـ).

عُني ابن عطية في تفسيره المسمى بـ (**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**) ، بالإشارة إلى هذا الحذف مفهومًا ، وتقديرًا ، وبلاغةً . فمن خلال النَّظر في المحرر تتحرر حقيقة هذا القول ، وننتهي فيه إلى أنَّ المحَرَّرَ يُعدُّ أولَ كتاب في التفسير بدأت فيه تباشير فن الاحتباك تأخذ طريقها في الظهور –مفهومًا ، وتقديرًا ، وبلاغةً– ؛ لهذا نجده عند تأويله للآية التي وقع فيها مثل هذا الحذف يشيد ببلاغته الباهرة ، ومدى دقَّته المتناهية ، بألفاظ في غاية الدقَّة مترابطة ، فيقول فيه تارة:"هذه نهاية الإيجاز" [2] ، وأخرى:"هذه غاية البلاغة والإيجاز" [3] . فتأمَّل تصل إلى أنَّ الإيجاز قوام لهذا الحذف البلاغي الموجز ، ففيه يصل الإيجاز نهايته وتبلغ به البلاغة غايتها .

فمن أوائل الآيات التي وقف عليها ، وأبان القولَ فيها ، قوله ﷻ : ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ

---

(١) الكشاف ٢١٢/٢ . تبعه الخازن علي بن محمد بن إبراهيم في تفسيره المسمى (لباب التأويل في معاني التتريل) ، (مصر ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٥هـ–١٩٥٥م) ١٤٢/٣ . وذكر ابن المنير .ينظر: حواشي الكشاف ٢١٢/٢ . كما ينظر: حاشية التفتازاني على الكشاف ، لسعد الدين التفتازاني ، لوحه(٣١) مخطوط مصور عن نسخة رقم : (٥٧٦) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، مكتبة الحرم المكي الشريف : (٢٨٤٢) ، والشهاب في حاشيته المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، (بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة :بدون ، سنة الطبع :بدون) ٣٦٠/٤ .وتقرر القول بالاحتباك عند البقاعي في نظم الدرر١٠/٩ ، وأبي السعود في (إرشاد العقل السليم) ٩٨/٤ وما بعدها ، والشهاب في(حاشيته على البيضاوي) ٣٦٠/٤ ، ومحمد رشيد رضا في تفسيره القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، (بيروت ، لبنان ، دار المعرفة ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع : بدون)٢٠/١١ وما بعدها .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تأليف : أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، (فاس ، المجلس العلمي ، الطبعة بدون ، ١٣٩٥هـ–١٩٧٥م) ٦٣/٢ .

(٣) المرجع السابق ٢٨١/٣ .

وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾(آل عمران: ١١٧،م) .

مناط النَّظر الأهم في بيان هذه الآية يكمن في طرفي التشبيه ؛ لأنَّه محل القول بالاحتباك ، وقليل من العلماء من وقف على بيانه . يقول ابن عطية : "معناه : المثال القائم في النفوس من إنفاقهم الذي يعدونه قربة وحسبة وتحنثاً ، ومن حبطه يوم القيامة وكونه هباء منثوراً ، وذهابه ؛ كالمثال القائم في النفوس من زرع قومٍ نَبَتَ واخضرَّ وقَويَ الأمر فيه فهبت عليه (ريح فيها صِرٌّ) محرق فأهلكته ، فوقع التشبيه بين شيئين وشيئين ، ذكر الله ﷻ أحد الشيئين المشبهين ، وترك ذكر الآخر ، ثم ذكر أحد الشيئين المشبه بهما وليس الذي يوازي المذكور الأول ، وترك ذكر الآخر ، ودلَّ المذكوران على المتروكين ، وهذه غاية البلاغة والإيجاز ... "[1] .

قوله في هذه الآية كشف عن الاحتباك مفهومًا ؛ حيثُ أوجز القول في بيانه بلغة واضحة المعالم ، فيها الإشارة إلى مثل هذا الحذف بارزة ، ثم عقب على ذلك بالكشف ، عن بلاغته وحسن موقعه في النفس .

▪

- ويقول في قوله ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴾(يونس: ٦٧،ك) : "... وفي هذه الألفاظ إيجاز وإحالة على ذهن السامع ؛ لأنَّ العبرة هي في أنَّ الليل مظلم يسكن فيه ، والنهار مبصر يتصرف فيه، فذكُر طرفٌ من هذا ، والطرف الآخر من الجهة الثانية ، ودلَّ المذكوران على المتروكين"[2].

---

(١) الموضع السابق . اتضح القول بالاحتباك عند البقاعي في نظم الدرر٥/٣٦ .

(٢) المحرر الوجيز ٧/١٨٠ . تبعه النسفي عبد الله أحمد بن محمود في تفسيره المسمى (مدارك التتريل وحقائق التأويل) ، قدم له : قاسم الشماعي الرفاعي ، راجعه وضبطه وأشرف عليه : إبراهيم محمد رمضان ، (بيروت ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٩م) ٢/١٧٩ ، وأبو حيان في (البحر المحيط) ٥/١٧٧ ، والثعالبي عبد الرحمن بن مخلوف في (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) ، تحقيق : محمد الفاضلي ، (بيروت صيدا ، المكتبة العصرية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م)٢/١٦٨ ، والسمين الحلبي في (الدر المصون) ٦/٢٣٧ ، وابن عادل في (اللباب في علوم الكتاب) ٩/١١ ، وذكره البقاعي بمصطلح الاحتباك في نظم الدرر ٩/١٥٨، أبو السعود في (إرشاد العقل السليم) ٤/١٦٢ ، و القنوي في حاشية له على تفسير البيضاوي ١١/١٦٥ ، والشهاب في (حاشيته على البيضاوي) ٥/٤٧ ، وشيخ زاده محيي الدين في حاشيته على تفسير البيضاوي ، (بيروت ، دار صادر ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) ٣/٢٣وما بعدها ، والآلوسي في (روح المعاني) ١١/١٥٤ ، وابن

فابن عطية ركَّز النظر في تقدير المحذوف تقديرًا كاشفًا لأركان الاحتباك الأربعة التي كشف عن صورها بكل دقة ووضوح ، تمثل هذا الكشف في إبراز التقابل القائم على التضاد بين المعاني ، والذي له أثره في استشفاف أسرار التعبير القرآني .

▪

– يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(الأحزاب: ٢٤م) : "... تعذيب المنافقين ثمرة إدامتهم الإقامة على النفاق إلى موتهم ، والتوبة موازية لتلك الإدامة ، وثمرة التوبة تركهم دون عذاب ؛ فهما درجتان : إقامة على نفاق ، أو توبة منه ، وعنهما ثمرتان : تعذيب أو رحمة ، فذكر تعالى على جهة الإيجاز واحدة من هاتين ، وواحدة من هاتين ، ودلَّ ما ذكر على ما ترك ذكره ، ويدلك على أنَّ معنى قوله : (لِيُعَذِّبَ) ليديم على النفاق قوله : (إن شاء) ومعادلته بالتوبة وبحرف (أو) " [(١)] . هذا لب الاحتباك وقاعدته التي عليها سار .

▪

– **أبو الحسن الحرالي : (٦٣٨هـ) .**

أولًا : منهج الحرالي في (**بيان أسنان الإنسان في الصعود في درج الإيمان والتردي في درك الكفران**) منهج قائم على تأمل البيان القرآني وتبصر لطيف خطاباته ؛ حيثُ جاء الخطاب فيه على مستويات بحسب الحظ من الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، فتارة جاء الخطاب بذكر (الإنْسَان) ، و(النَّاس) ، و(الذِينَ آمَنُوا) ، و(الذِينَ يُؤمِنُونَ) ، و(المؤمِنينَ) ، و(المؤمِنينَ حَقًا) ، و(المُحسِنينَ) ، وهذا مقصد الحرالي بقوله :" أسنان القلب أسابيع"[(٢)] ، وكذا الحال في مراتب التقوى ، فإنَّ أدناها (الذينَ اتَّقَوا) ، وأعلاها (المتَّقِينَ حَقًا) ، ومراتب الإحسان أدناها (الذِينَ أَحسَنُوا) ، وأعلاها (المحسِنِينَ حَقًا) . وفي مقابل درج الإيمان درك الكفران ،

عاشور في (التحرير والتنوير)٢٢٦/١١وما بعدها .

(١) المحرر الوجيز ٤٤/١٢ . تبعه أبو حيَّان في البحر المحيط ٢٢٣/٧ ، و السمين الحلبي في الدر المصون ١١٢/٩ وما بعدها ، وابن عادل في اللباب في علوم الكتاب ٦٩/١٣ ، والآلوسي في روح المعاني١٧٣/٢١ .

(٢) تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص٣٥ .

فإنَّ لها مراتب كما أنَّ لدرج الإيمان مراتب ، فالكفر ، والفساد ، والشرك ، والإجرام أدنى مراتبها (الذينَ كَفَروا)، و(الذينَ أفسَدوا) ، و(الذينَ أشرَكُوا) ، و(الذِينَ أَجرَمُوا) ، وأعلاها (الكَافرينَ) ، و(المفسِدينَ) ، و(المُشركينَ) ، و(المُجرمينَ) .

ومن الضروري في تلك المراتب التفريق بين مستويات الخطاب في البيان القرآني ؛ لأنَّ عدم التبصرة بهذه المراتب والأحوال يحرم القلوب من تدبر القرآن "فمن لم يتحقق أسنان القلب وتفاوت خطابها لم ينفتح له الباب إلى فهم القرآن "[1] . فالعمل بتلك المراتب والأحوال له ضوابط ، أهمها : أنها توجه لكل سن حسب سن قلبه ، فلا يصحُّ خطاب كل سن إلَّا له ، ويتقاصر عنه دونه ، ولا يحتاج إليه من فوقه . وبهذا يتبصَّر المرءُ درجات التنقل في الطاعة والقرب من ربه تبصرًا يرتقي به في مقامات القرب منه ، فيتنقل في مدارج الطاعات إلى بلوغ درجة أهل الإحسان .

▪

إنه بالوقوف على بعض النُّصوص التي ذكرها الحرالي لفهم القرآن الكريم ، والتي جُمِعَتْ في سفر عظيم عني بتراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، تبدو إشاراته إلى مثل هذا الحذف غامضة دقيقة أحسن فهمها البقاعي ، فاستفاد كثيرًا من تلك الإشارات في بيان الاحتباك . فمن الآيات التي وقف عليها البقاعي ، وأبان عن الاحتباك فيها مستندًا إلى ما يقوله الحرالي قول الحق ﷻ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾(البقرة:٨٦،م) . يقول الحرالي : "والدنيا : فُعلى من الدنو ، وهو الأنزل رتبة ، في مقابلة عليا ، ولأنه لزمتها العاجلة ، صارت في مقابلة الأخرى اللازمة للعلو ، ففي الدنيا نزول قدر وتعجل ، وفي الأخرى علو قدر وتآخر ، فتقابلتا على ما يفهم تقابلين من معنى كل منهما"[2] . فهذا هو الاحتباك ؛ لأنَّ "ذكر الدُّنيا يدلُّ على حذف العليا ، وذكر الآخرة يدلُّ على حذف العاجلة"[3] . فحقيقة القول بالاحتباك اتَّضحت لدى الحرالي ، وأمَّا البقاعي فليس له في هذا الموضع إلَّا تسمية ما أضمر الحرالي .

---

(١) المرجع السابق ، ص٣٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

(٣) نظم الدرر ٢/ ١٤ .

– ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(البقرة: ٢٦٥م) ، "ولما كان حرث الدنيا حبًّا وثمرًا جعل نفقات الأخرى كذلك حبًّا وثـــمرًا . فمن أنفق في السبيل جعل مثله كالحب ، ومن أنفق ابتغاء لمرضاة الله جعل مثله كالجنة التي لها أصل ثابت تدور عليها الثمرات وهي ثابتة وتستغني من الماء بما لا يستغني به الحرث ؛ لأنَّ الحرث مستجد في كل وقت ، كما أنَّ الجهاد واقع عند الحاجة إليه ، والمنفق ابتغاء مرضاة الله ينفق في كل وجه دائم الإنفاق ، فكان مثله مثل الجنة الدائمة ليتطابق المثلان بالممثولين ، فعمت هذه النفقة جهات الإنفاق كلها في جميع سبل الخير" [(١)] . ومن هنا قال البقاعي " والآية من الاحتباك ، ذكر المنفق أوَّلًا دالٌّ على حذف صاحب الجنة ثانيًا ، وذكر الجنَّة ثانيًا دالٌّ على حذف النَّفقة أوَّلًا" [(٢)] .

▪

– ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾(ص:٢٨،ك) . يقول الحرالي : ... لكل من تنزّلات القرآن العلية ، ظاهرًا وباطناً ، أمر خاص ، ولكل أمر خلق ، يرد بيان القرآن لكل خلق بحسب كنه ذاته . واختصاص رتبة قربه ومحل بعده ، فما يخص البالغ العاقل من الخطاب لا يدخل فيه الصبي ، وما يخص الصبي لا يدخل فيه البالغ ، وبناءً على منهاج الحرالي [(٣)] اعتمد البقاعي عليه في استخراج وجه الاحتباك حيثُ ذكر أدنى درجات الإيمان (الَّذينَ آمَنُوا) ، وحذف مقابله من دركات الفساد (الَّذينَ أفسَدُوا) ، ثم عاد فذكر أعلى أحوال الفساد (المفسدين) ، وحذف مقابلها من درجات الإيمان (المؤمنين)[(٤)] .

▪

---

(١) تراث أبي الحسن الحرالي ، ص ٤٦٣وما بعدها .

(٢) نظم الدرر ٨٤/٤ .

(٣) ينظر : ص(٢٦) وما بعدها من البحث .

(٤) ينظر: نظم الدرر ٣٧٣/١٦ .

- القرطبي : (٦٧١هـ)

أشار القرطبي إلى طريقة الاحتباك ، وذلك في (**الجامع لأحكام القرآن**) من خلال تقديره للمحذوف .

- يقول في قول الحق ﷻ:﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة: ٢٦١،م) :"مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل زارع زرع في الأرض حبة فأنبتت الحبة سبع سنابل ، يعني أخرجت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، فشبه المتصدق بالزارع وشبه الصدقة بالبذر" [(١)] . فهو احتباك ، أي : مثل المنفق وصدقته كمثل زارع حبة ، فالمنفق مذكور قابله محذوف ، وهو : الزارع ، وصدقته أو نفقته محذوفة قابلها مذكور وهو حبة .

▪

- ابن المنير : (٦٨٣هـ) .

وردت عند ابن المنير في (الانتصاف) إشارة إلى هذا النوع من الحذف ، يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا . وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾(الإسراء: ٧١-٧٢،ك) ، -يقول في حواشي الكشَّاف- : "ويحتمل أن تكون هذه الآية قسيمة الأولى ، أي : فمن أوتى كتابه بيمينه فهو الذي يبصره ويقرؤه ، ومن كان في الدنيا أعمى غير مبصر في نفسه ولا ناظر في معاده فهو في الآخرة كذلك غير مبصر في كتابه بل أعمى عنه ، أو أشد عمى مما كان في الدنيا على اختلاف التأويلين ، والله أعلم" [(٢)] . والظاهر في هذا التقدير عدم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، تأليف : أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تحقيق : مصطفى السقا ، (القاهرة ، دار القلم ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م) ٣٠٣/٣ . تبعه ابن القيم في التفسير القيم، تأليف : ابن القيم الجوزية ، جمعه : محمد أويس الندوي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) ، ص١٥٥ . وأبو حيان في (البحر المحيط) ٣٠٣/٢ وما بعدها ، وعبد الفتاح لاشين في (ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن) ، (بيروت ، لبنان ، دار الرائد العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، ص١٧٣وما بعدها . وذكره البقاعي بمصطلح الاحتباك في نظم الدرر٧٥/٤ .

(٢) الكشاف ٤٦٠/٢ .ذكره البقاعي في نظم الدرر٤٧٩/١١ .والآلوسي في روح المعاني١٥ /١٢٤ .

تمثيله لأركان الاحتباك تمثيلاً كاشفًا ؛ فاتضح فيه الحذف من جانب واحد ؛ إذ حذف من الطرف الأول (فهو الذي يبصره) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ ، أمّا الطرف الثاني فلم يبرزه ابن المنير في كلامه ؛ لذا صحَّ اعتراض الآلوسي عليه كما اتَّضح في الهامش .

وبالنَّظر فيما يقتضيه النظم يتضح أنَّ التقدير على نحو : فمن كان في هذه بصيرًا فهو في الآخرة بصيرٌ وأهدى سبيلاً ، ويؤتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يُظلمون فتيلاً ، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ، ويؤتى كتابه بشماله ، فأولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً .

▪

– البيضاوي : (٦٩١هـ) .

حَظِي تفسير البيضاوي (**أنوار التتريل وأسرار التأويل**) بعناية كبيرة من العلماء الذين وقفوا عليه ، وأفردوا فيه المصنَّفات ، فلقد احتوى من قواعد البلاغة وأصول الفصاحة أهمها ، ومن شعب البلاغة والبراعة وفنون البدائع أدقها وأسناها [(١)] ، فيه إشارات لهذا الحذف اللطيف الرفيع بانت حقائقها ، وأخرى خفيت بعض جوانبها فاستكملها العارفون بها من أمثال أصحاب الشروح التي أُقِيمت على ذلك السفر الجليل .

فمن بين تلك الإشارات التي ظهرت وبانت قوله في قول الحق ﷻ : ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾(نوح: ١٧،ك) : "وأصله : (أَنبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ) إنباتًا فنبتم نباتًا ، فاختصره اكتفاء بالدلالة الالتزامية" [(٢)] . إنه احتباك ، أبان عنه بتقدير المحذوف الواقع في أربع كلمات ، في الطرف الأول : (أنبتكم) و(إنباتا) ، وفي الطرف الثاني : (نبتم) و(نباتا) .

▪

– ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾(الجن: ٢١،ك) : "...ولا نفعًا أو

---

(١) ينظر : مقدمة حاشية القنوي ، وابن التمجيدي على البيضاوي١/٢وما بعدها بتصرف .

(٢) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التتريل وأسرار التأويل ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع : بدون) ٥/٣٩٤ . ذكره البقاعي بمصطلح الاحتباك في نظم الدرر ٢٠/٤٤٤ ، وأشار إليه أبو السعود في(إرشاد العقل السليم) ٩/٣٩ ، وابن التمجيدي في حاشيته على البيضاوي ٧/٢٧٥ ، والشهاب في (حاشيته على البيضاوي) ٨/٢٥٢ ، والآلوسي في (روح المعاني)٢٩/٩٤ .

غياً ، عبر عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه أو مسببه إشعارً ا بالمعنيين" [1] . قوله : (ولا نفعًا أو غيًا) ، محل احتباك . ازداد ظهورًا بقوله : " عبر عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه أو مسببه إشعارًا بالمعنيين". فتحقق أن في الآية حذفين تمثلا في حذف المقابل من كل طرف لدلالة مقابله عليه حيثُ حُذِفَ من الأول : (النفع) لدلالة عليه . ومن الثاني : (الغي أو الضلال) لدلالة عليه .

*

- أبوحيان الأندلسي : (٧٤٥هـ)

وقف أبو حيَّان الأندلسي أمام هذا النوع من الحذف فأظهر كثيرًا من جوانبه ، لهذا كان لدراسته ميزات خاصة تربو على سابقيه في الكشف والتفصيل . وهذا متمثِّل في تلك المادة الوفيرة الواضحة لكل نظر دقيق ، والتي حوت على بيان هذا الحذف مفهومًا ، وتقديرًا ، و لم يُبن عن المصطلح لهذا الحذف ، وإنما اكتفى فيه بإيرا د ألقاب تدلُّ على دقته ، وجليل وقعه في الكلام العلي ، ومن هذه الأوصاف قو لهِ : هو "نوع من البلاغة" [2] ، وهو " من بديع الكلام " [3] ، وهو "غاية البلاغة والإعجاز " [4] ، وهو " من بديع الحذف وجليل الفصاحة" [5] ، و"هذه طريقة بليغة" [6] . فالنَّاظر إلى تلك الأوصاف يُدركُ أثر هذا النوع من الحذف في الكلام الذي لا يصل إليه إلا العارف بجواهره ، المتفهم لحقائق ما يقع فيه من بيان .

والمتبادَر إلى الذهن أنَّ هذه الأوصاف التي وُصِفَ بها هذا النوع من الحذف تجعل الواصف بها يُجهدُ نفسه في البحث عن اسم تندرج تحته ، وبالنَّظر الدقيق فيما قاله أبو حيَّان

---

(١) تفسير البيضاوي ٤٠١/٥ . تبعه أبو حيان في نظم الدرر ٤٩٤/٢٠ ، وأشار إليه أبو السعود في (إرشاد العقل السليم)٤٦/٩ . و القنوي في حاشيته على البيضاوي ١٨٧/٧ ، والشهاب في (حاشيته على البيضاوي)٢٦٠/٨ ، وشيخ زادة في (حاشيته على البيضاوي) ٥٦٠/٤ ، و إسماعيل حقي في (روح البيان) ١٥/١٦ ، والآلوسي في (روح المعاني) ١١٦/٢٩ ، وابن عاشور في (التحرير والتنوير)٢٤٣/٢٩ .

(٢) البحر المحيط ١٤٢/٢ .

(٣) المرجع السابق ١٨٩/٢ .

(٤) المرجع السابق ٣٧/٣ .

(٥) المرجع السابق ٩٦/٦ .

(٦) المرجع السابق ٢١٤/٧ .

نتلمَّس ظلالَ تسمية هذا الحذف بـــ **(حذف التقابل)** تختبئ خلف سطور كلامه –رحمه الله– ، إلى جانب هذا فلقد ظهرت شخصية المتمرس لهذا الحذف العارف حقيقته في بيانه ، فكأنَّه درسه واعتنى به عناية خاصة(1) .

*

– يقول في قول الحق ﷻ : ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة: ٣٨-٣٩،م) : "وكان التقسيم يقتضي أنَّ من اتَّبع الهدى لا خوف ولا حزن يلحقه ، وهو صاحب الجنَّة ، ومن كذب يلحقه الخوف والحزن ، وهو صاحب النار . فكأنَّه حذف من الجملة الأولى شيئًا أثبت نظيره في الجملة الثانية ، ومن الثانية شيئًا أثبت نظيره في الجملة الأولى" (2) . فتحقق شرط حذف التقابل في كلامه ؛ لذا صحَّ حمُله على الاحتباك .

– ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٨،م) : " هذا من بديع الكلام ؛ إذ حذف شيئًا من الأول أثبت نظيره في الآخر ، وأثبت شيئًا في الأول حذف نظيره في الآخر ، وأصل التركيب : ولهنّ على أزواجهنّ مثل الذي لأزواجهنّ عليهنّ ،

---

(١) الخيط الذي نستل منه حقيقة القول بأنَّ أبا حيَّان درس هذا الأسلوب وتعرف عليه هو تلك الإشارة التي ظهرت في تأويله لقوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة:١٧١،م) . حيث قال : ... وذهب إلى تقرير هذا الوجه جماعة من أصحابنا ، منهم أبو بكر بن طاهر(٥٨٠هـ- ١١٨٤م) ، وتلميذه أبو الحسن بن خروف (٦١٠هـ-١٢١٣م) ، وأبو علي الشلوبين(٦٤٥هـ-١٢٤٧م) . ينظر : المرجع السابق ٤٨٣/١ ، غير أنه لم يتبين ما استدل به على بيان هذا الحذف عند هؤلاء العلماء ؛ وذلك لعدم العثور على أي مصدر يذكر مثل هذا القول .

(٢) المرجع السابق ١٧٠/١ . تبعه السمين الحلبي في (الدر المصون) ٣٠٧/١ ، وابن عادل في (اللباب في علوم الكتاب) ٢٦١/١ ، وذكره ابن عرفة بمصطلح حذف التقابل في تفسير ابن عرفة ، لأبي عبد الله محمد بن عرفة، لوحة(٥١) مخطوط مصور عن نسخة رقم:(٥٤٠) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، مكتبة الحرم المكي الشريف (٢٨١٢) ، والبقاعي بمصطلح الاحتباك في نظم الدرر ٣٠٢/١ –هامش رقم : (٣)- ، والآلوسي في روح المعاني٢٤١/١ .

فحذفت على أزواجهنّ لإثبات عليهنّ ، وحذف لأزواجهنّ لإثبات لهنّ " [١] ، فمن خلال النَّظر في التقدير تتضح خاصية حذف التقابل ؛ إذ حذف من الأول (على أزواجهن): أي : عليهم ؛ لدلالة ﴿عَلَيۡهِنَّ﴾ ، ومن الطرف الثاني (لأزواجهن): أي :لهم ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَهُنَّ﴾ .

*

– ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾(آل عمران: ١٣م) : " أي : فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله ، وفئة أخرى تقاتل في سبيل الشيطان ، فحذف من الأولى ما أثبت مقابله في الثانية ، ومن الثانية ما أثبت نظيره في الأولى ، فذكر في الأولى لازم الإيمان ، وهو القتال في سبيل الله . وذكر في الثانية ملزوم القتال في سبيل الشيطان ، وهو الكفر" [٢] .

لقد فصَّل القول في الكشف عن حقيقة الحذف ، وأبان عمَّا ذكر وما حذف فيها ، ويفهم من كلامه أنَّ الحذف أكسب الكلام مزيدًا من الدقَّة والإحكام ، ففي الطرف الأول ذكر اللازم (سبيل الله) ، وفي الثاني ذكر الملزوم (كافرة) ثم فُهِمَ منهما ما أضمر في الأول (الملزوم مؤمنة) ، وفي الثاني (اللازم سبيل الشيطان) ، وهذا احتباك . أليس هذا أسلوب العارف لهذا الحذف المتفهم حقيقته! .

*

– ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾(آل عمران : ١٦٢م) : "... وفي الآية من حيث المعنى حذف ، والتقدير : أفمن اتبع

---

(١) البحر المحيط ١٨٩/٢ . تبعه السمين الحلبي في (الدر المصون) ٤٤٣/٢ ، وابن عادل في (اللباب في علوم الكتاب) ١٠٣/٣، والألوسي في (روح المعاني)١٣٥/٢ .

(٢) البحر المحيط ٣٩٣/٢ . ذكره ابن عرفة بمصطلح حذف التقابل في تفسيره : لوحه(٢٢٧) مخطوط ، وذكره البقاعي بمصطلح الاحتباك في نظم الدرر ٢٦٣/٤ ، و القنوي وابن التمجيدي في حاشيتهم على البيضاوي١٨/٣ ، كما ينظر : محاضرات الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م ، رقم إيداع ٢١/٢٧٧٣ ، وتاريخ : ١٤٢١/٦/١٩هـ ، **(العنوان** : لمحات في إعجاز سورة آل عمران ، لحسن محمد باجودة) ، ص٣٧ وما بعدها .

ما يؤول به إلى رضا الله عنه ، فباء برضاه ، كمن لم يتبع ذلك فباء بسخطه " [١] . فالتَّقدير داخل في صميم قوله : باب ما حذف من أوله ما أثبت في مقابله ، وحذف من آخره ما أثبت في أوله .

*

- ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ . ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾(الأنفال:٦٥-٦٦،م): "...التقييد بالصبر في أول كلّ شرط لفظاً هو محذوف من الثانية لدلالة ذكره في الأولى ، وتقييد الشرط الثاني بقوله : (من الذين كفروا) لفظاً هو محذوف من الشرط الأول في قوله : (يغلبوا مائتين) ، فانظر إلى فصاحة هذا الكلام حيث أثبت قيدً ا من الجملة الأولى ، وحذف نظيره من الثانية ، وأثبت قيدًا في الثانية وحذف من الأولى... " [٢] ، أبان في كلامه عن خاصيَّة هذا اللون من الحذف ، وهي شرط تحقق التقابل بين المحذوفين والمذكورين من كل طرف ، ثم أشاد بعُلوِّ بلاغته في الآية الكريمة .

- وفي قوله ﷻ : ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا . وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ (الكهف: ٢-٤،ك) : صرَّح أبو حيَّان بأنَّ هذه الآية من قبيل هذا اللون من الحذف ؛ حيث حذف المنذر أولًا لدلالة الثاني عليه -المنذر به- ، وحذف المنذر به من الثاني لدلالة الأول عليه-المنذر[٣] ، ولكن تفرد بعبارة كشفت عن حِسٍّ دقيق في تلمُّس أسرار ولطائف هذا الحذف في

---

(١) البحر المحيط ١٠١/٣ .

(٢) المرجع السابق ٥١١/٤ . تبعه ابن عادل في (اللباب في علوم الكتاب) ١٩٤/٨ ، وذكره البقاعي بمصطلح الاحتباك في نظم الدرر٣٢٢/٨ و٣٢٦/٨ .والشهاب في(حاشيته على البيضاوي)٢٩٠/٤ ، والآلوسي في (روح المعاني) ٣٢/١٠ ، وشيخ زاده في حاشية على البيضاوي٣١٥/٢ ، ومحمد رشيد رضا٨٢/١٠ .

(٣) تبعه النسفي في (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ٣ / ٢ ، و القنوي في (حاشيته على البيضاوي) ٤/٤ ، والآلوسي في (روح المعاني) ٣٠٣/١٥ . أمّا البقاعي فاعترض على جعل الآية من الاحتباك في نظم الدرر٦/١٢وما بعدها .

الأساليب العلية التي بلغت منتهى الإعجاز ، فقال : " هذا من بديع الحذف ، وجليل الفصاحة" [١] . فلم يقف أبو حيَّان عند تأويله للمحذوف الذي اقتضاه السياق ، وإنما علَّق على قول الزمخشري قائلاً : "والزمخشري قدره خاصًا فقال : وأصله : لّيُنذِرَ الذين كفروا بَأْسًا شَدِيدًا...انتهى .وكأنه راعى في تعيين المحذوف مقابلة وهو «وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ» ، والبأس الشديد عذاب الآخرة ويحتمل أن يندرج فيه ما يلحقهم من عذاب الدنيا" [٢] .

*

– ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾(النمل:١٢،ك) : " وقيل : في الكلام حذف تقديره : وأدخل يدك في جيبك تدخل ، وأخرجها تخرج ، فحذف من الأول ما أثبت مقابله في الثاني ، ومن الثاني ما أثبت مقابله في الأوَّل " [٣] . هذا التقدير مَثَّلَ الاحتباك خير تمثيل ؛ إذ تحقق فيه خاصية التقابل بين أطراف النظم ، فحذف من الأول : (تدخل) ؛ لدلالة : ﴿ تَخْرُجْ ﴾ ، ومن الثاني : (أخرجها) ؛ لدلالة : ﴿ وَأَدْخِلْ ﴾ .

*

– ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(النمل:٨٦،ك) : " والذي يظهر أنَّ هذا من باب ما حُذِفَ من أوله ما أُثبِتَ في مقابله ، وحُذفَ من آخره ما أثبت في أوله ، فالتقدير : جعلنا الليل مظلمًا لتسكنوا فيه ، والنهار مبصرًا لتتصرفوا فيه ، ...فالسكون علة ؛ لجعل الليل مظلمًا ، والتصرف علة لجعل النهار مبصرًا ..."[٤] . فحرر العبارة في بيان هذا المفهوم الذي تعارف عليه العلماء من بعده في دراسة الاحتباك .

*

(١) البحر المحيط ٩٦/٦ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) المرجع السابق ٥٨/٧ .تبعه السمين الحلبي في (الدر المصون) ٥٧٨/٨ ، و ابن عادل في (اللباب في علوم الكتاب)٢٩٧/١٢ ، وذكره الألوسي في روح المعاني١٦٧/١٩ .

(٤) البحر المحيط ٩٩/٧ . تبعه السمين الحلبي في (الدر المصون)٦٤٤/٨ ، وذكره البقاعي في نظم الدرر٢٢٠/١٤ .

– ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٨،م) : " ويجوز أن يكون حذف من الأول ما أثيب به الصادقون ، وهم المؤمنون ، وذكرت العلة ؛ وحذف من الثاني العلة ، وذكر ما عوقبوا به . وكان التقدير : ليسأل الصادقين عن صدقهم ، فأثابهم ؛ ويسأل الكافرين عما أجابوا به رسلهم ... و (أعد لهم عذاباً أليمًا) فحذف من الأول ما أثبت مقابله في الثاني ، ومن الثاني ما أثبت مقابله في الأول ، وهذه طريقة بليغة..." [1] . إنه احتباك ، يرى أنَّ القول به أنسب للمعنى ، وهذا ظاهر من كلامه الذي قدَّر فيه المحذوف وجعله في الطرفين ، ثم حذف من كل طرف مقابله الذي دلَّ عليه . فمن خلال النظر فيما قال أبو حيَّان نُدركُ مدى اهتمامه بهذا الحذف ، ونتلمس إعجابه به .

*

– ابن قيم الجوزية : (٧٥١هـ).

أشار ابن قيِّم الجوزية لهذا النوع من الحذف قي تفسيره آيات مبثوثة في أسفاره ، وذلك في بعض المواضع التي ظَهُرَ فيها حسه البلاغي ، فكان له الفضل في بيان وجه هذا الحذف في آية لعله تفرد بتلك الإشارة فيها ؛ لأنه لم يتبين أنَّ أحدًا سبقه إلى القول فيها ، وهي قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٦،ك) ، يقول : " والمسلك السادس : أنَّ هذا من باب الاستغناء بأحد المذكورين عن الآخر ، لكونه تبعًا له ومعنى من معانيه . فإذا ذكر أغنى عن ذكره لأنه يفهم منه.... فعلى هذا يكون الأصل في الآية : (إنَّ الله قريبٌ من المحسنينَ) . (وإنَّ رحمةَ الله قريبةٌ من المحسنينَ) فاستغنى بخبر المحذوف عن خبر الموجود ، وسوّغ ذلك ظهور المعنى . وهذا المسلك مسلك حسن إذا كسي تعبيرًا أحسن من هذا . وهو مسلك لطيف المترع دقيق على الأفهام . وهو من أسرار القرآن . والذي ينبغي أن يعبر عنه به : أن الرحمة صفة من صفات الرب ، تبارك وتعالى ، والصفة قائمة بالموصوف لا تفارقه ؛ لأن الصفة لا تفارق موصوفها . فإذا كانت قريبة من المحسنين فالموصوف تبارك وتعالى أولى بالقرب منه ، بل قرب رحمته تبع لقربه هو تبارك وتعالى من المحسنين... ففي حذف التاء ههنا تنبيه على هذه

---

(١) البحر المحيط ٢١٤/٧ . تبعه ابن عادل في (اللباب في علوم الكتاب) ٥٦/١٣ ، وذكره البقاعي بمصطلح الاحتباك في نظم الدرر٢٩٥/١٥ .

الفائدة العظيمة الجليلة ، وأن الله تعالى قريب من المحسنين ، وذلك يستلزم القربين قربه وقرب رحمته . ولو قال إن رحمة الله قريبة من المحسنين لم يدل على قربه تعالى منهم ؛ لأنَّ قربه تعالى أخص من قرب رحمته والأعم لا يستلزم الأخص ، بخلاف قربه ؛ فإنَّه لَّما كان أخص استلزم الأعم ، وهو قرب رحمته فلا تستهن بهذا المسلك . فإن له شأنا . وهو متضمن لسر بديع من أسرار الكتاب . وما أظن صاحب هذا المسلك قصد هذا المعنى ولا ألَّم به . وإنَّما أراد أنَّ الإخبار عن قرب الله تعالى من المحسنين كاف عن الإخبار عن قرب رحمته منهم" [١] .

فهذه إشارةٌ ظاهرةٌ إلى الاحتباك " تدلُّ على ما في القرآن الكريم من بلاغة الإيجاز التي هي سمة من سماته ، فالرحمة صفة من صفات الرب ، والصفة قائمة بالموصوف ، وملازمة له لا تفارقه ، فإذا كانت هذه الصفة قريبة من المحسنين ، فالموصوف –وهو الله– أولى بالقرب . فالتعبير البديل (إن الله قريب من المحسنين ، وإن رحمة الله قريبة من المحسنين) ، ففيه جملتان مكونتان من مسند إليه ومسند(إن الله قريب) ، (إنَّ رحمةَ الله قريبة) ، بينما الآية القرآنية جملة واحدة (إنَّ رحمةَ الله قريب) . فاستغنى بخبر المحذوف (قريب) ، وهو خبر عن لفظ الجلالة (الله) المحذوف ، عن خبر الموجود (قريبة) وهى خبر عن (رحمة الله) المذكورة . وهذا ضرب من الإيجاز الذي امتاز به النظم في القرآن ، يسمى الاحتباك" [٢] . فتحقق في قول ابن القيم بروز القول بالاحتباك؛ إذ ذكر أهمَّ خاصية من خواصِّ الاحتباك وهي : الاستغناء عن أحد الأركان لدلالة الآخر عليه من كل طرف ، وهذا ما كشف عنه بالتقدير للآية الكريمة، إلى جانب هذا فقد أشاد ابن القيم بِعِظَمِ ما يُحققه هذا اللون البلاغي من حسن وحبكة وإيجاز في النظم

*

– السمين الحلبي : (٧٥٦هـ).

أشار السَّمينُ الحلبيُّ إلى هذا الحذف في (الدرِّ المصون في علوم الكتاب المكنون) في عدَّة مواضع التقى في أغلبها مع سابقيه ، ولكن وجدت عنده إشارة إلى موضعين لم يتبين أنَّ

---

(١) التفسير القيم ، ص٢٧٢ وما بعدها ، وبدائع الفوائد ، تأليف : أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ، تقريظ وتقديم الدكتور : وهبة الزحيلي ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : معروف مصطفى زريق ، وآخرون ، (دمشق ، دار الخير ، الطبعة : بدون ، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م) ٢٧/٣وما بعدها .

(٢) ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن ، ص٩٢ .

أحدًا سبقه إلى القول فيها ، وهما :

– يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة:٩١،م) : "﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ في (إنْ) قولان ، أحدهما : أنها شرطية وجوابُها محذوفٌ تقديرُه : إنْ كنتُمْ مؤمنينَ فلِمَ فَعَلْتُم ذلك ، ويكونُ الشرط وجوابُه قد كُرِّر مرتين ، فَحُذِفَ الشرطُ من الجملةِ الأولى وبقي جوابُه ، وهو : فَلِمَ تقتلون ، وحُذِفَ الجوابُ من الثانيةِ وبقي شرطُه ، فقد حُذِفَ مِنْ كلٍّ واحدةٍ ما أُثْبت في الأخرى" [(١)] . فهذا احتباك تحقَّق من خلال الإشارة إلى حذف الشرط (إنْ كُنتُم مُؤمِنين) ؛ لدلالة الجواب عليه في الطرف الأول ، وحذف الجواب : (فلم فعلتم ذلك) ؛ لدلالة الجواب في الطرف الثاني .

*

– ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى . ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ (طـه:٤٢-٤٣،ك) : يقول : "وذكر المذهوب إليه في قوله : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ وحذفه في الأول في قوله : ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ ﴾ اختصارًا في الكلام . وقيل : أُمِرا أولاً بالذهابِ لعمومِ الناسِ ، ثم ثانيًا لفرعون بخصوصه ، وفيه بعد ؛ بل الذهابان متوجهان لشيءٍ واحدٍ ، وهو : فرعون ، وقد حذف من كلٍ من الذهابين ما أثبته في الآخر : وذلك أنه حذف المذهوبَ إليه من الأول وأثبته في الثاني ، وحذف المذهوبَ به ، وهو (بِآيَاتِي) من الثاني وأثبته في الأول" [(٢)] . فهذا احتباك .

*

– الزركشي : (٧٩٤هـ) .

تحدَّث الزركشي عن هذا الحذف في **(البرهان في علوم القرآن)** ضمن أقسام الحذف ، فأوضح أنَّ القسم السابع هو ما يختص بهذا الحذف ، فأورد له عدَّة شواهد [(٣)] أشار إليها

---

(١) الدر المصون ٥١٧/١ .تبعه ابن عادل في (اللباب في علوم الكتاب) ٤٦٣/١ ،و الشهاب في(حاشيته على البيضاوي) ٢٠٥/٢ .

(٢) الدر المصون ٤٢/٨ ، تبعه ابن عادل١٦٧/١١ .

(٣) وهي : البقرة : (١٧١) ، (٢٢٢) ، التوبة : (١٠٢) ، هود : (٣٥) ، طـــه : (١٢٣) ، الأنبياء : (٥) ،

سابقوه من المفسرين ، أمّا ما انفرد به فلم تعثر الدراسة إلّا على موضع واحد انفرد بذكره ، وتبعه فيه سابقيه ، والآخر تكلف في بيان وجه الحذف فيه وهو قول الحق ﷻ : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾(طـه: ١٢٣،ك) : يقول : " فإن مقتضى التقسيم اللفظي : فمن اتَّبع الهدى فلا خوف ولا حزن يلحقه ، وهو صاحب الجنة ، ومن كذب يلحقه الخوف والحزن ، وهو صاحب النار ؛ فحذف من كلٍّ ما أثبت نظيره في الأخرى" [١] بهذا قال بعض أهل العلم[٢] .

وفيه نظر ؛ حيثُ لا وجه لتطابق ما ذكره من حذف على الآية الكريمة ، لتضمنها ركنًا واحدًا فقط ، وهو : ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ ﴾ ، فالأنسب لهذا التقدير قول الحق : ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(البقرة:٣٨-٣٩،م) ، وقد سبقت الإشارة إليه عند أبي حيَّان الأندلسي[٣] ، والأنسب لطبيعة الأسلوب : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾(طـه: ١٢٣-١٢٤،ك) أن يكون التقدير : " فمن اتَّبع هُدايَ فلا يضلُّ ولا يشقى وأنَّ له معيشة راضية ، ومن أعرضَ عن ذكري فهو ضَال شَقِيٌّ وأن له مَعيشةً ضَنكًا" [٤] .

*

النمل : (١٢) ، الأحزاب : (٢٤) ، الملك : (٢٢) ، الشاهد المشهور في باب حذف التقابل : (وإني لتعروني...) . ينظر : البرهان٣/١٢٩وما بعدها .

(١) المرجع السابق ٣/١٣١ .

(٢) قال به عرفات محمد عثمان في (بلاغة الاحتباك في القرآن الكريم) (القاهرة ، جامعة الأزهر الشريف ، رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٣/١٠٣٣٩) ، ص٤٩ وما بعدها ، واعترض عليه الهدهد ، إذ أشار لعدم تحمل طبيعة الأسلوب لما قدره الزركشي ، وهو كذلك ، ص١٢٩ وما بعدها .

(٣) ينظر : ص(٣٢) من البحث .

(٤) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره ، لإبراهيم صلاح الهدهد ، (القاهرة ، جامعة الأزهر الشريف ، كلية اللغة العربية ، قسم البلاغة والنقد ، رقم الإيداع : ٩٩/١٥٩٦٦) ، ص ١٢٩وما بعدها .

– أما الموضع المتفرد بالقول فيه في قول الحق ﷻ : ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(الملك: ٢٢،ك) ؛ إذ فصَّل القول فيه ذاكرًا أصله والدافع إلى جعله من هذا النوع بكلام موجز دقيق كشف فيه أولاً عن حقيقته ، فقال : "فإن فيه جملتين ؛ حذف نصف كل واحدة منهما اكتفاء بنصف الأخرى"[1] ، ثم قدر المحذوف فيه ، وقال : "وأصل الكلام : أفمن يمشي مُكباًّ على وجهه أهدى مّمن يمشي سويًّا على صراط مستقيم ، أمن يمشي سويًّا على صراط مستقيم أهدى ممن يمشي هو مكباً"[2] ، ثم أبان عن الدافع وراء جعله من قبيل هذا الحذف فقال : "وإنما قلنا : إنَّ أصله هكذا ؛ لأنَّ أفعل التفضيل لا بدَّ في معناه من المفضل عليه . وهاهنا وقع السؤال عمن في نفس الأمر : هل هذا أهدى من ذلك أم ذاك أهدى من هذا ؟ فلا بُدَّ من ملاحظة أربعة أمور ، وليس في الآية إلَّا نصف إحدى الجملتين ونصف الأخرى ، والذي حذف من هذه مذكور في تلك ، والذي حذف من تلك مذكور في هذه ، فحصل المقصود مع الإيجاز والفصاحة . ثم ترك أمرًا آخر لم يتعرض له ؛ وهو الجواب الصحيح لهذين الاستفهامين ، وأيهما هو الأهدى ؟ و لم يذكره في الآية أصلاً ، اعتمادًا على أنَّ العقل يقول : الذي يمشي على صراط مستقيم أهدى ممن يمشي مكبًّا على وجهه"[3] . ففي هذا الموضع ظهرت شخصية الزركشي واضحة في الكشف عن حذف التقابل ، فأبان عن وجه الحذف في الآية الكريمة ، ثم ذكر تقدير الأسلوب بطريقة حذف التقابل ، ثم أوجز القول في المقتضى الذي دعا إلى حمل الأسلوب على الحذف ؛ لما يحققه في النظم من دقة وإيجاز .

*

– ابن عرفة : (٨٠٣هـ) .

وقف ابن عرفة أمام هذا النوع من الحذف فأبان عنه مصطلحًا ، ومفهومًا ، وتقديرًا ، وذلك في تفسيره الذي طبع منه إلى نهاية سورة البقرة ، وأما باقي ذلك السفر فهو ما يزال مخطوطًا ، أو في طور التحقيق–والله أعلم– . والمهم في هذا أنَّ ابن عرفة عَرَفَ هذا

---

(١) البرهان ١٣٢/٣ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) الموضع السابق .

الحذف ، وأطلق عليه مصطلح : (**حذف التقابل**) وهو ما يسمى بالاحتباك .

فمن خلال الوقوف على ما قاله في تأويل بعض الآيات اتضح المفهوم لذلك المصطلح ، أما التقدير له فهو جلي ظاهر فيما وقف عليه .

– يقول في قوله ﷻ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٢٨م) : "فيه عندي حذف التقابل ؛ لأنَّ التوبة لا تقابل العذاب وإنما تقابل المعصية فالتقدير: أو يتوب عليهم فيرحمهم ، أو يدوموا على كفرهم فيعذبهم ، فحذف من الأول نقيض ما ذكر في الثاني ، ومن الثاني نقيض ما ذكر في الأول" [١] . فهنا اتضح المصطلح لهذا الحذف مفهومًا ، وتقديرًا .

– ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (النساء: ١٣-١٤م) : "...وعندي فيه حذف التقابل سيدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ونعيم مقيم وذلك الفوز العظيم ، وفيه قسيمه ندخله نارًا خالدًا فيها وله عذاب مهين وذلك هو الخسران المبين " [٢] . فهذا احتباك تحقق فيه وجه التقابل ؛ إذ حذف من الأول (نعيم مقيم) ؛ لما دلَّ عليه من ذكر العذاب المهين ، ومن الثاني (الخسران المبين) ؛ لما دل عليه من ذكر : الفوز العظيم .

*

– ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ .وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (المائدة: ٩-١٠م) : "...وفي الآية حذف التقابل ؛ لأنه ذكر في قسم المؤمنين الحكم بثواب عملهم ، ولم يذكر ما به يقع الثواب ، وذكر في قسم الكافرين ما به يقع العذاب ، ولم يذكر الحكم بتعذيبهم ، فالتقدير لهم مغفرة وأجر عظيم وهم أصحاب الجنة ، والتقدير في الثاني : لهم عذاب أليم وهم أصحاب الجحيم" [٣] . فالأنسب للأسلوب جعل التقدير على نحو : وعد الله الذين آمنوا

---

(١) تفسير ابن عرفة ، لوحه (٢٨١) مخطوط .

(٢) المرجع السابق ، لوحه (٣١٧) مخطوط .

(٣) المرجع السابق ، لوحة (٣٨١) مخطوط .

وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم أولئك هم أصحاب النعيم ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فلا يغفر لهم ولهم عذاب أليم وأولئك أصحاب الجحيم . فيصبح المحذوف من الأول : (أولئك هم أصحاب النعيم) ، لما دلَّ عليه في الثاني من ذكر : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ ، ومن الثاني حذف (فلا يغفر لهم ولهم عذاب أليم) لما دلَّ عليه من ذكر : ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ .

*

– ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (المائدة: ٩٨،م) : " ... فيلوح في الآية حذف التقابل ، أي : اعلموا أنَّ الله شديد عقابه وغضبه وأنه غفور رحيم جزيل ثوابه ؛ لأنَّ العذاب الواقع هو جزاء عن المعصية مقابل جزاء الحسنة ، وإن أريد أنه شديد عقابه في ذاته فهو في ذاته شديد العقاب غفور رحيم ، فلا يكون في الآية حذف بوجه . والترتيب في الآية مناسب ؛ لأنَّ الإنسان في حال الصحة يغلب جانب الخوف ، وعند الاحتضار والإشراف على الموت يغلب جانب الطمع والرجاء "[1] . فالتقدير المشار إليه لا يكشف عن حقيقة حذف التقابل في الآية ؛ لعدم تحقق الأركان فيه ، فالمقابل لـــ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ مذكور في : ﴿رَّحِيمٞ﴾ ؛ لأنَّ الرحمة هي الثواب الزائد على ترك العقوبة التي هي المغفرة ، ومقابل المعفرة في : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لم يكشف عنه التقدير المشار إليه وهو العدل المتمثل في ذكر الذنب والمحاسبة عليه .

*

– ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٢٧،ك) : "...ويحتمل أن يكون من حذف التقابل ، أي : لا تتبعوا فيفتنكم كما فتن أبويكم فاتبعاه فأخرجهما من الجنة ونظيره : ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ﴾(البقرة :١٧١،م)"[2] . هذا التقدير لا يمثل حذف التقابل ؛ لعدم تحقق

(١) المرجع السابق ، لوحة(٣٩٩) مخطوط .

(٢) المرجع السابق ، لوحة (٤٦٠) مخطوط .

خاصية التقابل بين المذكورين والمحذوفين من كل طرف ، فالطرف الأول محذوف : (لا تتبعوا) ، ومقابله في الطرف الثاني محذوف –أيضًا– (فاتبعاه) . والأنسب لطبيعة حذف التقابل أن يكون التقدير على نحو : لا يفتننكم الشيطان فيدخلكم النار كما فتن وأخرج أبويكم من الجنة[1] .

*

– ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(الأعراف:٨٥،ك) : " قوله تعالى : ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ إن قلت : لم عبر في الأول بالمصدر ، وفي الثاني بالاسم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه . الأول : أنه من حذف التقابل ، أي : أوفوا الكيل والمكيل والوزن والميزان... " [2] . فابن عرفة يذكر عدة أوجه يحتملها المعنى القرآني في سياقه ، ولم يرجح أحد الأقوال ، والقول المشار إليه مثّل حذف التقابل .

*

– ويقول في قول أبي عطاء السِّنْدِيُّ :

فإِنْ كَانَ سِحْراً فاعْذِرِيني على الْهَوَى وإنْ كَانَ دَاءً غَيْرَهُ فَلَكِ الْعُذْرُ

" أي فاعذريني فلك العذر وإن كان داء غيره فاعذريني أيضا" [3] .

*

– البقاعي : (٨٨٥هـ) .

اهتم البقاعي كثيرًا بدراسة الاحتباك وشبهه ، وذلك في (**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**) ؛ حيثُ أورد له(مائتين وأربعة وتسعين) موضعًا .

---

(١) ذكره البقاعي بمصطلح الاحتباك في نظم الدرر٧/٣٨١ .

(٢) تفسير ابن عرفة ، لوحه(٤٧١) مخطوط . ذكره البقاعي بمصطلح الاحتباك في نظم الدرر٧/٤٥٩وما بعدها .

(٣) تفسير ابن عرفة ، لوحه(٢٧٨) ، مخطوط .

– منهجه في تأويل الاحتباك :

تميَّز البقاعي عن سابقِيْه ولاحِقِيْه في بيان هذا الأسلوب ، فكان لدراسته منهج تضمن الآتي :

أولًا : ما لا يحدد فيه الأركان ولا يذكر التقدير والسر :

اكتفى بالإشارة إلى أنَّ الآية من الاحتباك دون أن يُصرِّح بالأركان أو يذكر التقدير والسر ، وذلك في (واحد وعشرين) موضعًا[1] ، منها على سبيل المثال :

– يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(البقرة: ٢٦٤م) : " فالآية من الاحتباك" [2] .

*

ثانيًا : ما يحدد فيه الأركان فقط .

حدَّد البقاعي أركان الاحتباك فقط في (مائةٍ وأربعةٍ وثمانينَ) موضعًا[3] منها على سبيل

---

(١) وهي : البقرة : (٢٦٤) : ٨١/٤ . (٢٨٢) : ١٥٥/٤ . آل عمران : (١٣) : ٢٦٣/٤ . [مع أبي حيان] . (٩٢) : ٢٦٦/٤ . (١٢٦) : ٥٨/٥. الأنعام : (٦) : ٢٢/٧ . (١٧) : ٣٩/٧ . (٨٠) : ١٦٤/٧ . الأعراف : (٥٨) : ٤٢٤/٧ . (٨٥) : ٤٥٩/٧وما بعدها [مع ابن عرفة] . الأنفال : (١٠) : ٢٣٢/٨ . التوبة : (١٠٢) : ١٠/٩[مع الزمخشري] . يونس : (١٠٣) : ٢١٤/٩ . الرعد : (٤٠) : ٣٦٣/١٠ وما بعدها . إبراهيم : (٧) : ٣٨٥/١٠ . طه : (٢٢) : ٢٨٢/١٢ . القصص : (٣٢) : ٢٢٢/١٢ . العنكبوت : (١١) ٤٠٠/١٤ . الواقعة : (٦٤) : ٢٢٣/١٨ . (٦٩) : ٢٢٧/١٩[اتفق ابن عاشور مع البقاعي في عد الآية من الاحتباك ، واختلف معه في معالجة الأسلوب ؛ لذا ذكرهما عند ابن عاشور] . (٧٢) : ٣٣٣/١٩ .

(٢) نظم الدرر٤/٨١ .

(٣) هي : البقرة : (٢٦) : ٢٠٦/١ . (٢٩) : ٢٢٥/١ . (٣٨-٣٩) : ٣٠٢/١ [+] ، [اتفق مع أبي حيان] . (٨٦) : ١٤/٢ [مع الحرالي] . (١٦٤) : ٢٨٨/٢ . (١٧١) : ٣٣٤/٢[مع الكرماني] . (١٨٥) : ٦٤/٣. (٢٠٥) : ١٧٤[+] . (٢١٦) : ٣ /٢٢٢ [اتفق ابن عاشور مع البقاعي في عَدِّ الآية من الاحتباك ، واختلف معه في معالجة الأسلوب ؛ لذا ذكرهما عند ابن عاشور] . (٢٣٢):٣٢٤/٣وما بعدها . (٢٦٥):٨٤/٤[مع الحرالي]. آل عمران:(٣٠):٣٣٠/٤ وما بعدها . [+].(٩٧):١٠/٥. (١٠٤-١٠٥) : ٢١/٥.(١٠٦-١٠٧):٢٢/٥. (١١٧) : ٣٦/٥ [مع ابن عطية] . (١٤٠) : ٧٩/٥-٨٠ : (١٤٤) : ٨٣/٥ . النساء : (٧٤) : ٣٢٦/٥ وما بعدها . (٩٥-٩٧) : ٣٧٣/٥ . المائدة : (٤١) : ١٤٠/٦ . (٥٤) : ١٩١/٦ وما بعدها .

(٧٦) : ٢٥٧/٦. الأنعام : (٣٢) : ٩٣/٧ . (٣٦) : ١٠٢/٧ . (٧١-٧٢) : ١٥٣/٧ . (٩٦) : ٢٠٠/٧ .
(٩٩) : ٧ / ٢١٢ . (١٠٥) : ٣٢٤/٧ . (١٠٨) : ٢٢٨/٧ . (١٢٢) : ٢٥٣/٧-٢٥٤ . (١٢٥) :
٢٦٣/٧ . (١٣٥) : ٢٧٨/٧ . (١٢٨) : ٢٦٧/٧ . (١٤٨) : ٣١٢/٧ . (١٥٨) : ٣٣٣/٧ . الأعراف :
(٢٧) : ٣٨١/٧ [مع ابن عرفة] . (٢٩-٣٠) : ٣٨٥/٧ [+] . (٤١) : ٤٠٠/٧ . (٤٤) : ٤٠٥/٧ .
(١٤٦-١٤٧) : ٨٤/٨ . الأنفال : (١٣) : ٢٣٩/٨ . (٦٥) : ٣٢٢/٨ [مع أبي حيان] . (٦٦) : ٣٢٦/٨ .
التوبة : (١٩) : ٤١٦/٨ . (٥٢) : ٤٩٨/٨ . (١٢٤-١٢٥) : ٥٢/٩ . يونس : (٣٥) : ١١٧/٩ (٤٦) :
١٣٢/٩ . (٦٧) : ١٥٨/٩ . (٧٧) : ١٧١/٩ . (١٠٧) : ٢١٨/٩ [مع الزمخشري] . هود : (١٢) :
٢٤٧/٩ . (٢٠) : ٢٥٨/٩ . (٤٨) : ٢٩٦/٩ وما بعدها . [اتفق الخفاجي والألوسي مع البقاعي في عد
الآية من الاحتباك ، واختلفوا معه في معالجة الأسلوب ؛ لذا ذكرتها عند الخفاجي] يوسف : (٢١) :
٤٩/١٠ . (٣٨) : ٨٦/١٠ وما بعدها . (٤١) : ٩١/١٠ . الرعد : (٧) : ٢٨٧/١٠ . (١٠) : ٢٩١ .
(٢٧) : ١٠/ ٣٣٦ . إبراهيم : (٢٢) : ٤٠٦/١٠ وما بعدها . (٢٤) : ٤١١/١٠ . (٢٧) : ٤١٥/١٠ .
الحجر : (٧٦-٧٩) : ٨٠/١١ . النحل : (٧) : ١١ / ١٠٩ . (٩) : ١١ / ١١١ وما بعدها . (٣٦) :
١٥٨/١١ . (٥٠) : ١٧٥/١١ . (٦٧) : ١٩٦/١١ . (١٢٥) : ٢٨١/١١ . (١٢٨) :٢٨٥/١١ .
الإسراء : (١-٢) : ٣٠١/١١ . (٧١-٧٢) : ٤٧٩/١١ . [مع ابن المنير] . (٩٧) : ٥١٦/١١ . الكهف :
(١٧) : ٢٩/١٢ . (٥٥) : ٩٠/١٢ . مريم : (٧٥-٧٦) : ٢٤٠/١٢ [اتفق ابن عاشور مع البقاعي في عد
الآية من الاحتباك ، واختلف معه في معالجة الأسلوب ؛ لذا ذكرتها عند ابن عاشور] . (٨٥-٨٦) : ٢٤٧/١٢
وما بعدها . الحج : (١٨) : ٢٧/١٣ . (٣١) : ٤٤/١٣ . (٣٢) : ٤٥/١٣ . الفرقان : (٤٧) :
٤٠٠/١٣ . الشعراء : (٦) : ١٠/١٤ . النمل : (٥٠) : ١٧٩/١٤ . (٨٦) : ٢٢٠/١٤[مع أبي حيان] .
(٨٩-٩٠) : ٢٢٦/١٤ . القصص : (٤) : ٢٣٩/١٤ . (٥٠) : ٣١٢/١٤ . (٦٣) : ٣٣٤/١٤ . (٧١-
٧٢) : ٣٤٤/١٤ . (٧٣) : ٣٤٥/٤ . العنكبوت : (٣) : ٣٩١/١٤ . (٦٩) : ٤٨٣/١٤ . الروم : (١٧-
١٨) : ٦١/١٥ . (٢٣) : ٧٢/١٥ . (٤٤) : ١١٠/١٥وما بعدها . [+] (٤٧) : ١١٨/١٥ . لقمان :
(١٢) : ١٦٠/١٥ . (٢٢-٢٣) : ١٩٠/١٥ . (٢٧) : ١٩٨/١٥ . (٣٢) : ٢٠٩/١٥ . الأحزاب : (٦) :
٢٩٣/١٥ . (٨) : ٢٩٥/١٥[مع أبي حيان] . (١٢) : ٣٠٤/١٥ . (١٧) : ٣١٢/١٥ . (٥٠) :
٥٣٥/١٥ . (٥٦) : ٤٠٩/١٥ . (٧٣) : ٤٢٧/١٥ . سبأ : (١) : ٤٣١/١٥(٨) : ٤٥٢/١٥ . (٥٠) :
٥٣٥/١٥ . فاطر : (١٠) : ٢٠/١٦ . (١٣) : ٢٩/١٦ . (٤٠) : ٢٠٦/١٦ . يس : (١٢) : ١٠٢/١٦ .
(٢٢) : ١١١/١٦ . (٧٠) : ١٦٩/١٦ . (٧٩) : ١٨٠/١٦ . ص : (٢٨) : ٣٧٣/٦ [الوجه الأول] [مع
الحرالي] . (٦٣) : ٤١٢/١٦ . الزمر : (١٧) : ٥٦٦/١٦ . (٢٢) : ٤٨٦/١٦ . (٢٣) : ٤٩١/١٦ .
(٢٤) : ٤٩٣/١٦ . (٤٢) : ٥١٩/١٦ . (٧١) : ٥٦٦/١٦ . غافر : (٢٨) : ٥٥/١٧ . (٣٩) : ١٧ :
٧٣ . (٤٢) : ٧٧/١٧ . (٦٠) : ١٠٠/١٧ . [اتفق ابن عاشور مع البقاعي في عد الآية من الاحتباك ،
واختلف معه في معالجة الأسلوب ؛ لذا ذكرتها عند ابن عاشور] . (٦٤) : ١٠٥/١٧ . (٧٣-٧٤) :
١١٧/١٧ . (٧٧) : ١٢٠/١٧ . (٨٣) : ١٣٠/١٧ . فصلت : (١٢) : ١٥٧/١٧ . الشورى : (١٨) :
٣٨٣/١٧ . (٢٢) : ٢٩٤/١٧ . (٤٨) : ٣٥١/١٧ . الزخرف : (٣٨-٣٩) : ٤٣٢/١٧ . الجاثية : (٤) :
٦٥/١٨ . الأحقاف : (٤) : ١٢٤/١٨ . (١٢) : ١٤٣/١٨[اتفق ابن عاشور مع البقاعي في عد الآية من

المثال : يـــقـــــول في قـــــــول الحق ﷻ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٦،م) : "ذكـــــــــر الـــــعـــــــلم دلــــــيلًا على حذف ضده ثانيًا وثانيًا الاعتراض دليلاً على حذف ضده أولًا" (١) .

النوع	أركان الطرف الثاني	النوع	أركان الطرف الأول
✘	(جهلوا به)	✓	(يعلمون أنه)
✓	(فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً)	✘	(فيقولون آمنا به)

*

ثالثًا : ما يحدد فيه الأركان ويذكر التقدير والسر :

حدَّد الأركان وذكر السر والتقدير في (ثلاثة) مواضع(٢) ، منها على سبيل المثال :

– يقول في قول الحق ﷻ : ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(آل عمران : ٥٧،م) : " فتوفية الأجر أولاً ينفيها ثانيًا ، وإثبات الكراهة ثانيًا يثبت ضدها

الاحتباك ، واختلف معه في معالجة الأسلوب ؛ لذا ذكرتها عند ابن عاشور] . محمد : (١-٢) : ١٩٩/١٨ . (١٢) : ٢١٥/١٨ وما بعدها . [+] . الحجرات : (٧) : ٣٦٩/١٨ . (١٤) : ٣٨٦/١٨ . [الوجه الأول] (١٨) : ٣٦٢/١٨ . النجم : (١٩-٢٠) : ٥٩/١٩ . القمر : (٤٣) : ١٣٠/١٩ . الرحمن : (٧٨) : ١٩٤/١٩ . الحشر : (١١) : ٤٤٧/١٩ . الملك : (٢٨) : ٢٦٨/٢٠ . القلم : (٤٢-٤٣) : ٣٢٥/٢٠ . الجن : (١٠) : ٤٧٩/٢٠ . (١٤) : ٤٨٤/٢٠ . المزمل : (٨) : ١٥/٢١ . المدثر : (٣٨-٤٠) : ٧٢/٢١ . القيامة : (٢١-٢٢) : ١٠٤/٢١ . (٢٣-٢٥) : ١٠٧/٢١ . النبأ : (١٠-١١) : ١٩٧/٢١ . النازعات : (٣٧-٤٠) : ٢٤٤/٢١ . التكوير : (١٢-١٣) : ٢٨٣/٢١ . (١٥-١٧) : ٢٨٦/٢١ . المطففين : (٧-٢١) : ٣٢٧/٢١ . الانشقاق : (٨-١٣) : ٣٤٤/٢١ وما بعدها . [+] . الأعلى : (١٢-١٤) : ٤٠٤/٢١ . [+] . الغاشية : (٧) : ٨/٢٢ . الشمس : (٨) : ٧٧/٢٢ . الليل : (٣) : ٨٨/٢٢ . (١٦-١٨) : ٩٥/٢٢ . العلق : (١١-١٤) : ١٦٨/٢٢ . القارعة : (٧-٩) : ٢٢٣/٢٢ وما بعدها . التكاثر : (١-٤) : ٢٣٠/٢٢ . الماعون : (٢-٣) : ٢٨٠/٢٢ . النصر : (٣) : ٢٢ / ٣٢١ .

(١) نظم الدرر ٢٠٦/١ ، هامش رقم(٨) .

(٢) وهي : آل عمران : (٥٧) : ٤٢٣/٤ . طـــه : (٨٦) : ٣٢٧/١٢ وما بعدها . النبأ : (٢٩) : ٢٠٨/٢١ .

أولًا" [١] .

أولًا : الأركان :

أركان الطرف الأول	النوع	أركان الطرف الثاني	النوع
(نوفيهم أجورهم)	✓	(نحبط أعمالهم)	✗
(الله يحب المؤمنين)	✗	(الله لا يحب الظالمين)	✓

ثانيًا : التقدير : " فنوفيهم لأنا نحبهم والله يحب المؤمنين ، والذين ظلموا نحبط أعمالهم لأنا لا نحبهم والله لا يحب الظالمين" [٢] .

ثالثًا : السر :«وحقيقة الحال أنه أثبت للمؤمنين لازم المحبة المراد منها في حق الله سبحانه وتعالى لأنه أسرّ ، ولازم المراد من عدمها في الظالمين ؛ لأنه أنكأ" [٣] .

*

رابعًا : ما يحدد فيه الأركان ويذكر التقدير :

حدَّد الأركان وذكر التقدير في (ثلاثة عشر)موضعًا[٤] ، منها على سبيل المثال :

– يقول في قول الحق ﷻ : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة: ٢٦١،م) .

– أولًا : الأركان :

أركان الطرف الأول	النوع	أركان الطرف الثاني	ا لنوع

(١) نظم الدرر ٤٢٣/٤ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) المرجع السابق ٤٢٢/٤ وما بعدها .

(٤) وهي : البقرة : (٢٦١) : ٧٥/٤ ، [مع القرطبي] . آل عمران : (٣٢) : ٣٣٩/٤ وما بعدها . (١٢٢) : ٤٩/٥ . الأعراف : (٢) : ٣٤٩/٧ . (٤) : ٣٥٧/٧ [مع النحاس] . (٥٥) :٤١٩/٧ . (١٩٣) : ١٩٤/٨ . الرعد : (١٢) : ٢٩٤/١٠ . الحج : (٦٠) : ٧٩/١٣ . الزخرف : (٥١-٥٢) : ٤٤٧/١٧-٤٤٨ . نوح : (١٧) : ٤٤٤/٢٠[مع البيضاوي] . الجن : (٢١) : ٤٩٤/٢٠ ، [مع البيضاوي] . التين : (٤-٦) : ١٤٦/٢٢ .

(المنفق)	✓	(الزارع)	✗
(النفقة)	✗	(الحبة)	✓

ثانيًا : **التقدير** : " مثل الذين ينفقون ونفقتهم كمثل حبة وزارعها" [١] .

*

خامسًا : ما يحدد فيه الأركان ويذكر السر :

حدَّد الأركان وذكر السر في (سبعة وستين) موضعًا[٢] ، منها على سبيل المثال :

– يقول في قول الحق عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ ﴾(المائدة: ٤٤م) .

أولًا : الأركان :

---

(١) نظم الدرر ٤/٧٥.

(٢) وهي : المائدة : (٤٤) : ٦/١٤٥ . الأنعام : (٣٣) : ٧/٩٦ . [اتفق ابن عاشور مع البقاعي في عد الآية من الاحتباك ، واختلف معه في معالجة الأسلوب ؛ لذا ذكرتها عند ابن عاشور] . (٩٢) : ٧/١٨٨ . التوبة : (١٠٩) : ٩/٢١ . هود : (٤) : ٩/٢٣٤ . القصص : (٥-٦) : ١٤/٢٤٢ . (٧) : ١٤/٢٤٤ . (١٢) : ١٤/٢٥٠ . الأحزاب : (٤) : ١٥/٢٨٧. يس : (٤٠) : ١٦/١٣٣ . (٦٥) : ١٦/١٥٧.ص : (٢٨) : ١٦/٣٧٣.[الوجه الثاني] .(٤٦-٤٧) : ١٦/٣٩٨.(٧٤) : ١٦/٤٢١.(٧٥) : ١٦/٤٢٣ . الزمر : (٣) : ١٦/٤٤٥ . (٩) : ١٦/٤٦٦ . (٢٦) : ١٦/٤٩٤ . (٣٢-٣٣) : ١٦/٥٠٥-٥٠٦[+] . (٧٠) : ١٦/٥٦٤. غافر : (٨-٩) : ١٧/١٦-١٧.(٤٠) : ١٧/٧٥.(٤١) : ١٧/٧٦.(٥٨) : **١٧/٢٢٢**.(٦١) : ١٧/١٠١ . فصلت : (١٧) : ١٧/١٦٧ . (٣٨) : ١٧/١٩٦ . (٤٠) : ١٧/١٩٩. (٤٤) : ١٧/٢٠٧.(٥١) : ١٧/٢٢٢ . (٥٢) : ١٧/٢٢٤ . الشورى : (٧) : ١٧/٢٥٠ . (٨) : ١٧/٢٥٣ . (٢٦) : ١٧/٣٠٧ . (٥١) : ١٧/٣٥٩ . الجاثية : (١١) : ١٨/٧٤ . (٣٠-٣١) : ١٨/١٠٩ . الأحقاف : (١٠) : ١٨/١٣٩ . محمد : (١٤) : ١٨/٢١٧ وما بعدها . (٢٤) : ١٨/٢٤٥.(٣٣) : ١٨/٢٦٠.(٣٦) : ١٨/٢٦٦. الفتح : (١٠) : ١٨/٢٩٨ . (٢٦) : ١٨/٣٣٢ . الحجرات : (١٤) : ١٨/٣٨٨ [الوجه الثاني] . الطور : (٣٢) : ١٩/٢٤ . القمر : (٣٥) : ١٩/١٢٥ . الواقعة : (٥٩) : ١٩/٢٢٠ . الحديد : (١-٢) : ١٩/٢٥٤ . (١٩) : ١٩/٢٨٦ . الممتحنة : (٦): ١٩/٥٠٥ . التحريم : (١٠-١١) : ٢٠/٢١٢. الملك : (٢٢) : ٢٠/٢٥٨ . نوح : (٢٨) : ٢٠/٤٤٦٠. الجن : (٥) : ٢٠/٤٧١.(١٤-١٥) : ٢٠/٤٨٦ . الإنسان : (١٣) : ٢١/ ١٤٣ . (٢٧) : ٢١/١٥٨ . (٣١) : ٢١/١٦٣ . النازعات : (٢٩) : ٢١/٢٤٠ . عبس : (٥-٩) : ٢١/٢٥٦ . (٣٨-٤١) : ٢١/٢٧٣ . الانشقاق : (٧-١٠) : ٢١/٣٤٣ . الأعلى : (١٠-١٢) : ٢١/٤٠٠ . (١٦-١٧) : ٢١/٣٤٣ . البلد : (١٥-١٦) : ٢٢/٦٣ .

أركان الطرف الأول	النوع	أركان الطرف الثاني	النوع
(الذين أسلموا)	✓	(الذين أسلموا)	✗
(بما استحفظوا من كتاب)	✗	(بما استحفظوا من كتاب)	✓

ثانيًا :السر :"وإنَّما خصَّ الأول بذكر الإسلام ؛ لأنَّ الأنبياء أحق به ، وهو داع إلى الحفظ قطعاً ، وخص الثاني بالاستحفاظ ؛ لأنَّ الأتباع أولى به ، وهو دال على الإسلام" [(١)] .

*

سادسًا : ما يذكر فيه التقدير فقط .

حدَّد التقدير في (موضعين)[(٢)] ، منها على سبيل المثال :

- يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ **قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا** ﴾ (الكهف: ٧٨، ك) : "وإذا نزل على الاحتباك ازداد ظهورً ا ، تقديره : فراق بيني وبينك كما أخبرت ، وفراق بينك من بيني كما شرطت" [(٣)] .

*

سابعًا : ما يذكر فيه التقدير والسر :

ذكر التقدير والسر في (ثلاثة) مواضع[(٤)] ، منها على سبيل المثال :

يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ **أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا** ﴾(الإسراء: ٤٠،ك) : " ويمكن أن تنزل الآية على الاحتباك – **[أولًا : التقدير :]** – بالبنين ورضي لنفسه بالبنات ، وخصكم في نوعكم الذي هو أضعف ما يكون بالذكور ، واتخذ

---

(١) نظم الدرر ١٤٥/٦.

(٢) هما : الكهف : (٧٨) : ١١٧/١٢ . محمد : (١٥) : ٢٢٥/١٨[اتفق ابن عاشور مع البقاعي في عد الآية من الاحتباك ، واختلف معه في معالجة الأسلوب ؛ لذا ذكرتها عند ابن عاشور] .

(٣) نظم الدرر ١١٧/١٢ .

(٤) وهي : الإسراء : (٤٠) : ٤٢٠/١١ . الروم : (٤٥) : ١١١/١٥ وما بعدها . الأحزاب : (٢٤) : ٣٨٠/١٥[مع ابن عطية] .

من الملائكة الذين منهم من يقدر على حمل الأرض وقلب أسفلها على أعلاها إناثًا في غاية الرخاوة" [١] .

– **ثانيًا** : **السر** : " أنه عبر أولًا بالبنين دون الذكور ؛ لأنَّ اسم الابن ألذ في السمع ، مُرضٍ لمن بشر به من غير نظر في العاقبة ، وقد يكون أنثى الأفعال ؛ ولأنَّ اسم الذكر مشترك المعنى ، وعبر في الثاني بالإناث لإفهام الرخاوة بمدلول اللفظ ، ولأنهن بنات بالمعادلة" [٢] .

*

ثامنًا : ما يذكر فيه السر فقط :

حدَّد السر في (موضع واحد) [٣] :

– يقول في قول الحقﷻ : ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾(البقرة: ٢١٧،م) " فهو من وادي الاحتباك ... **وسرّ ما صنع في هذا الموضع من الاحتباك**أنّه لمَّا كان القتال في الشهر الحرام قد وقع من المسلمين حين هذا السؤال في سرية عبدالله بن جحش أبرز السؤال عنه والجواب، ولما كان القتال في المسجد الحرام لم يقع بعد وسيقع من المسلمين أيطرًعام الفتح، طواه وأضمره، ولما كان الصدّ عن سبيل الله الذي هو البيت، والكفر الواقع بسببه لم يقع، وسيقع من الكفار عام الحديبية، أخفى خبره وقدّره، ولما كان الإخراج قد وقع منهم ذكر خبره وأظهره؛ فأظهر سبحانه وتعالى ، ما أبرزه على يد الحدثان ، وأضمر ما أضمره في صدر الزمان ، وصرح بما صرح به لسان الواقع، ولوح إلى ما لوح إليه صارم الفتح القاطع[٤] .

*

تعريفه الاحتباك :

أورد البقاعي تعريفات لهذا الفن لا تختلف في جوهرها عما ذكره السابقون عليه ، وأول موضع أورد فيه تعريف الاحتباك الموضع الخامس عشر- تقريبًا- من بيان ذلك الفن ، في

---

(١) نظم الدرر ١١/٤٢٠ . .

(٢) المرجع السابق ١١/٤١٩،٤٢٠ .

(٣) البقرة : (٢١٧) : ٣/٢٢٩ .

(٤) نظم الدرر٣/٢٢٩ .

قول الحق ﷻ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾(آل عمران: ١٣،م) ، يقول : " ... وهو أن يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما شيء إيجازًا ، يدل ما ذكر من كل على ما حذف من الآخر ، وبعبارة أخرى : هو أن يحذف من كل جملة شيء إيجازًا ، ويذكر في الجملة الأخرى ما يدل عليه" [(١)] .

والثاني : في قول الحق ﷻ : ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(الروم:٤٥،ك) ، يقول : "... وهو أن يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما شيء ، ويكون نظمهما بحيث يدل ما أثبت في كل على ما حذف من الآخر " [(٢)] . فالناظر إليها يلحظ أنها متفقة معنى وإن اختلفت لفظًا .

*

طريقته في بيان السر .

– الإشارة إليه بصريح العبارة ، وذلك نحو أن يقول : «وسر ما صنع كذا ، وكذا» ، أو«وسر ذلك كذا» ، أو«والسر في ذكر ما ذُكر وترك ما تُرك كذا ، وكذا» ، أو«وسره كذا» ، أو«وسر ما أُشير إليه كذا » . فأول موضع أشار فيه إلى بيان السر هو قول الحق ﷻ : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ... ﴾(البقرة: ٢١٧،م) .

*

– الإشارة إليه تفهم على أنه سر لذلك المذكور والمحذوف ، ولكن البقاعي خالف نمط طريقته السابقة في بيان ذلك السر منها على سبيل المثال :

– يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (آل عمران:٥٧،م) [(٣)] .

*

– تفهم بعض الأسرار عرضًا من كلامه –رحمه الله– ، وقد تنطبق بعض الأسرار التي ذكرها

---

(١) المرجع السابق ٢٦٣/٤ .

(٢) المرجع السابق ١١١/١٥ .

(٣) المرجع السابق ٤٢٣/٤ وما بعدها .

في آيات على آيات أخرى لم يذكر لها سرًا ؛ نظرًا لتشابه مضمون الآيتين ، أو لأن السر الذي يذكره ذو معانٍ متشعبة لفظها موجز دقيق ، ومنها على سبيل المثال :

– يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(آل عمران:١٠٦-١٠٧،م) ، وسره يفهم عرضًا من كلامه ، وهو أنه ذكر الأنكأ المشين الملزم للتوبيخ ؛ لأنَّ النفوس لخوض أسبابه أسرع .

*

– اتفاق بعض الآيات في السر من وراء الحذف معنى لا لفظًا ، هذا السر أفصح عنه في بيان وجه الاحتباك في قول الحق ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(الأحقاف:١٠،م) ، يقول : "...**وسره** أنه ذكر سببي السعادة ترغيبًا وترهيبًا "[1] . ثم عاد فذكر في قول الحق ﷻ : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾(الممتحنة:٦،م) : "... وسره أنه ذكر سبب السعادة ترغيبًا وسبب الشقاوة ترهيبًا "[2] . فهذا وذاك متفقان في المعنى .

*

– اجتماع احتباكين في موضع واحد .

ظهرت قدرته في بيان بعض الآيات التي ذكر فيها أكثر من موضع للاحتباك ، أي : أنه يجعل في الآية الواحدة موضعين للاحتباك ، والذي يدعم هذا قوله في بعض المواضع «احتباكان» ، «احتباك مشير إلى احتباك آخر » ، «احتباك في احتباك » ، وهكذا . فذكر مثل هذا في «عشرة» مواضع تقريبًا[3] بها تفرد ؛ لأني لم أجد عند أي عالم من العلماء الذين

---

(١) المرجع السابق ١٣٩/١٨.

(٢) المرجع السابق ٥٠٥/١٩ .

(٣) البقرة : (٣٨،٣٩) ٣٠٢/١ ، ذُكِرَ في الهامش أن فيها وجهين ، (٢٠٥) ١٧٤/٣«فهو احتباك ثان» . آل عمران : (٣٠) ٣٣٠/٤ وما بعدها«احتباكان» . الأعراف : (٢٩-٣٠) ، ٣٨٥/٧وما بعدها «احتباكان» . الروم : (٤٤) ١١٠/١٥وما بعدها «فيها وجهان » . ص : (٢٨) ٣٧٣/١٦ «احتباك مشير إلى احتباك آخر» . الزمر : (٣٢-٣٣) ٥٠٦/١٦ «احتباك آخر» . محمد : (١٢) ٢١٥/١٨وما بعدها «احتباك في

أحصتهم الدراسة مثل هذا القول ، ومنها على سبيل المثال :

– يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾(البقرة:٢٠٥م) : "والآية من الاحتباك : ذكر أولًا الإفساد ليدل على حذفه ثانياً ، وثانياً الإهلاك ليدل على حذفه أولًا ؛ وذكر الحرث الذي هو السبب دلالة على الناسل والنسل الذي هو المسبب دلالة على الزرع **فهو احتباك ثان**" [(١)] .

*

– امتداد الاحتباك في أكثر من موضع .

القول بالاحتباك في بعض المواضع امتد في أكثر من آية ، أي : أنه يستخلص لب الاحتباك من آيتين أو أكثر ، ومثل هذا بلغ في ثنايا سفره (ثلاثة وخمسين) موضعًا تقريبًا[(٢)] ، فالمتضح من تلك المواضع أن القول بالاحتباك امتدَّ ونَمَا مع السياق حتى اكتمل ، وفي هذا تظهر

احتباك» . الحجرات : (١٤) : ٣٨٧/١٨ وما بعدها «وفي الآية احتباك من وجه آخر» . الانشقاق : (٨-١٣) ٣٤٤/٢١وما بعدها «احتباك في احتباك» .

(١) نظم الدرر ١٧٤/٣ .

(٢) البقرة : (٣٨،٣٩) : ٣٠٢/١،(٢٦٥،٢٦٦) : ٨٤/٤.آل عمران : (١٠٤،١٠٥) : ٢١/٥،(١٠٦ ، ١٠٧) ٢٢/٥ . النساء : (٩٥،٩٦،٩٧) ٣٧٣/٥ . الأنعام : (٧١،٧٢) : ١٥٣/٧ . الأعراف : (٢٩،٣٠) ٧/ ٣٨٥ وما بعدها (١٤٦،١٤٧) ٨٤/٨ . التوبة : (١٢٤،١٢٥) ٥٢/٩ . الحجر : (٧٦-٧٩) : ٨٠/١١ . الإسراء : (١،٢) ٣٠١/١١ ، (٧١،٧٢) ٤٧٩/١١ . مريم : (٧٥،٧٦) ٢٤٠/١٢ ، (٨٥،٨٦) ٢٤٧/١٢ . النمل : (٨٩،٩٠) ٢٢٦/١٤ القصص : (٥،٦) ٢٤٢/١٤ ، (٧١،٧٢) : ٣٤٤/١٤ . الروم : (١٧،١٨) ٦١/١٥ . لقمان : (٢٣ ، ٢٢) ١٩٠/١٥ . ص : (٤٦،٤٧) ٣٩٨/١٦ . الزمر : (٣٢،٣٣) ٥٠٥/١٦ وما بعدها . غافر : (٨،٩) ١٦/١٧ ، (٧٤،٧٣) ١١٧/١٧ . الزخرف : (٣٨-٣٩) : ٤٣٢/١٧ ، (٥١،٥٢) ٤٤٨/١٧ . الجاثية : (٣١،٣٠) ١٠٩/١٨ . النجم : (١٩إلى٢٢) ١٩/ ٥٩ . الواقعة (٦٨،٦٩) ٢٢٧/١٩ . الحديد : (١،٢) ٢٥٤/١٩ . القلم : (٤٢،٤٣)٢٠/ ٣٢٥ . الجن : (١٥،١٤) : ٤٨٦/٢٠ . المدثر : (٣٨إلى٤٠) : ٧٢/٢١ . القيامة : (٢١،٢٠) ٢١/ ١٠٤ ، (٢٣إلى ٢٥) ١٠٧/٢١ . النبأ : (١٠،١١) : ١٩٧/٢١ . النازعات : (٣٧إلى٤٠) : ٢٤٤/٢١ . عبس : (٥إلى٩) ٢٥٦/٢١ ، (٣٨إلى ٤١) : ٢٧٣/٢١ . التكوير : (١٢،١٣) ٢٨٣/٢١ ، (١٥إلى ١٧) ٢٨٦/٢١ . المطففين : (٧إلى ٢١) : ٣٢٧/٢١ . الانشقاق : (٧إلى١٠) ٣٤٣/٢١،(٨إلى ١٣):٣٤٥/٢١. الأعلى : (١٠-١٢) : ٤٠٠/٢١ ، (١٤،١٥) : ٢١ / ٤٠٤ ، (١٦،١٧) : ٤٠٦/٢١ البلد : (١٥،١٦) : ٦٣/٢٢ . الليل : (١٦إلى ١٨) ٩٥/٢٢. التين : (٤إلى ٦) : ١٤٦/٢٢. العلق : (١١إلى ١٤) : ١٦٨/٢٢. القارعة : (٧-٩) : ٢٢٤/٢٢. التكاثر : (١إلى ٥) ٢٣٠/٢٢.الماعون : (٢،٣) : ٢٨٠/٢٢ .

عقلية البقاعي في الربط بين الآيات لاستخراج مواطن الاحتباك .

– الاحتباك وتغاير القراءات القرآنية :

أشار في بعض المواضع إلى أنَّ الاحتباك ناشئ من اختلاف أوجه القراءات حول الآية ، وهذا في (أربعة) مواضع[1] ، منها على سبيل المثال :

– يقول في قول الحق ﷻ : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (التوبة:١٩،م) : " فالآية على قراءة الجماعة [2] من الاحتباك : حذف أولًا المشبه به لدلالة المشبه عليه ، وثانياً المشبه لدلالة المشبه به عليه" [3] .

*

– ضرورة حمل الآية على الاحتباك والعكس

أشار في موضع واحد –تقريبًا– إلى أنه لا يمكن حمل الآية على الاحتباك لنقص المعنى ، وهذا في قول الحق ﷻ : ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا . وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ (الكهف:٢-٤،ك) ، يقول : "و لم أجعل الآية من الاحتباك لنقص المعنى" [4] .

*

في مقابل هذا ، فإنه في موضع آخر يشير إلى أنه لا بد من حمل الآية على الاحتباك ليستقيم المعنى ، وهذا في قول الحق ﷻ : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ (هود:٢٠،ك) ، يقول : " ونفي الاستطاعة أعرق في العيب وأدل على النقص وأنكأ من نفي السمع ؛ لأنهم قد يحملونه على الإجابة ، وأما نفي البصر فغير منفك عن النقص سواء كان

---

(١) وهي : التوبة : (١٩) : ٤١٦/٨ . يونس : (١٠٣) : ٢١٤/٩ . الجاثية : (٤) : ٦٥/١٨ . الجن : (٥) : ٤٧١/٢٠ .

(٢) ﴿سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ﴾

(٣) ينظر : نظم الدرر٤١٦/٨ . تبعه ابن عاشور في التحرير والتنوير١٤٥/١٠وما بعدها .

(٤) نظم الدرر ٨/١٢ .

للعين أو للقلب ، **هذا إن لم تخر ج الآية على الاحتباك** ، **وإن خرجت عليه استوى الأمران** ، وصار نفي الاستطاعة أولاً دالًّا على نفيها ثانيًا ، ونفي الإبصار ثانيًا يدل على نفي السمع أولًا"[1] .

*

– السياق يقتضي حمل المعنى على الاحتباك .

تفرَّد في (أحد عشر) موضعا تقريبًا [2] بالقول بأنَّ الأولى والأحسن حمل المعنى على الاحتباك ؛ فهو يزيد المعنى وضوحًا .

*

– إعجابه بفن الاحتباك .

يذكر في بعض مواضع هذا الفن البلاغي الموجز الرفيع عبارات ذات مدلولات جمة ، فيقول فيه تارة "من عجيب فن الاحتباك "[3] ، وثانية "ألطف شاهد لنوع الاحتباك "[4] ، وثالثة "من عظيم هذا الفن "[5] ، ورابعة "من محاسن رياض الاحتباك "[6] ، وخامسة "احتباك عجيب "[7] ، وسادسة "من بديع الاحتباك "[8] ، فمنطوقه هذا يُبين عن عِظَمِ وقعِ وقعِ هذا الفن في نفسه ؛ فهو النور الذي يملأ القلب هداية ودهشة وإعجابًا بما يفيض منه .

---

(١) المرجع السابق ٢٥٨/٩ .

(٢) آل عمران : (١٢٢) : ٤٩/٥ «والأحسن تنزيل الآية على الاحتباك». الأعراف: (٢) : ٣٤٩/٧ «والآية على كل تقدير من الاحتباك» ،(١٩٣) : ١٩٤/٨«ويجوز أن يكون من الاحتباك».الرعد: (١٢) : ٢٩٤/١٠ «يجوز أن يكون المعنى على الاحتباك».الكهف : (٧٨) : ١١٧/١٢«وإذا نزل على الاحتباك ازداد ظهورًا».الروم : (٤٤) : ١١٠/١٥«وأحسن من هذا أن يقال...» لقمان : (١٢) : ١٦٠/١٥«والآية على الأول من الاحتباك» الأحزاب : (١٧) : ٣١٢/١٥ «ويمكن أن تكون الآية من الاحتباك» ، (٥٦) : ٤٠٨/١٥وما بعدها «ولك أن تجعله من الاحتباك». الشورى : (٥١) : ١٧ /٣٥٩ «والآية يمكن تنزيلها على الاحتباك». الجن: (٢١) : ٤٩٤/٢٠ «و لم تخرج الآية بهذا عن الاحتباك»

(٣) نظم الدرر ١٨٨/٧ .

(٤) المرجع السابق ١٠/٩ .

(٥) المرجع السابق ١٩٨/١٥ .

(٦) المرجع السابق ٢٩٥/١٥ .

(٧) المرجع السابق ٣٨٠/١٥ .

(٨) المرجع السابق ١٨٠/١٦ .

*

– بيان نوع العلاقة بين المذكور والمحذوف .

بين المذكور والمحذوف علائقُ نسبٍ ، يحددها السياق ، ويقتضيها المقام ، وهي هنا –في باب الاحتباك– أشد علقة ؛ حيث إن المحذوف جزء من المذكور ، والمذكور جزء من المحذوف ، وهذه تقريبًا أهم خاصية من خواص فن الاحتباك . ومثل هذا يبرز عند البقاعي في بعض المواضع ، بمعنى : أن بيان نوع العلاقة عنده ، ليس بالأمر المتبع في كل آية وقف عليها ، وفصل القول فيها ، وإنما يشير إليها في بعض الآيات على عجل ، وفي أخرى تتكشف للناظر فيها ، وتبين للمتأمل في حقيقة طرفيها . فالبقاعي أشار إلى نوعين من أنواع العلائق الرابطة بين المذكور والمحذوف ، نستشفها من قوله : «حذف لدلالة ضده عليه » ، أي : علاقة التقابل –بالتضاد وغيره– بين طرفي القول . «وحذفه ثانيًا دليلاً على ذكره أولًا» ، أي : علاقة التناظر بين طرفي القول . وأكثر أنواع العلائق ورودًا –هنا– علاقة التقابل بالتضاد وغيره[1] .

– نوع العلاقة الرابطة بين طرفي المحذوف والمذكور يمكن تقسيمه على النحو التالي :

أولًا : علاقة التقابل بين المذكور والمحذوف ، وبيان موقع كل واحد منهما بالنسبة للآخر (إفرادًا ، وتركيبًا . حقيقةً ، ومجازًا) .

أشاد البقاعي بنوع العلاقة بين المذكورين والمحذوفين من خلال بيانه وجه الاحتباك في بعض الآيات : يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾(البقرة: ٢٦م) : " ذكر العلم دليلًا على حذف **ضده** ثانيًا وثانيًا الاعتراض دليلاً على حذف **ضده** أولًا" [2] ، فالتقابل واضح بين الطرفين ؛ حيثُ قابل الأول الثالث والثاني الرابع ، وكلا الطرفين –المذكور والمحذوف– مركبان حقيقيان .

---

(١) ينظر : من الإعجاز البلاغي للقرآن ، تأليف : صباح عبيد دراز ، (الأزهر ، دار التوفيقية ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع : بدون) ، ص ٢٢٨ .

(٢) نظم الدرر ١/٢٠٦ ، هامش رقم : (٨) .

*

ثانيًا : علاقة التناظر بين المذكور والمحذوف ، وبيان موقع كل واحد منهما بالنسبة للآخر (إفرادًا ، وتركيبًا . حقيقة ، ومجازًا) .

يقول في قول الحق ﷻ : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(البقرة: ١٦٤م) ، احتباك"ذكر الخلق أولاً دليلاً على **حذفه** ثانيًا ،والاختلاف ثانيًا على **حذفه** أولًا"[١] . فالتناظر واضح بين الطرفين ؛ حيثُ ماثل الأول الرابع والثاني الثالث ، وكلا الطرفين- المذكور والمحذوف- مفردان حقيقيان .

*

- الإشارة إلى شبه الاحتباك .

أشار البقاعي إلى شبه الاحتباك في (خمسة)مواضع [٢] تفرد بالقول فيها ؛ لأني لم أجد أحدًا سبقه بالقول -والله أعلم- ، وسيأتي ذكرها في الباب الثاني ، ومنها على سبيل المثال :

يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾(الأنعام:٦،ك) ، : "فالآية من الاحتباك أو شبهه " [٣] . فالتقدير على النحو التالي : مكناهم في الأرض ما لم نمكنكم ، ومكنا لهم في الأرض ما لم نمكن لكم . أمّا أركان شبه الاحتباك فعلى النحو التالي :

أركان الطرف الأول	النوع	أركان الطرف الثاني	النوع

(١) المرجع السابق ٢٨٨/٢ .

(٢) وهي : الأنعام : (٩) : ٢٢/٧ «فالآية من الاحتباك أو شبهه» . يوسف : (٢١) : ٤٩/١٠ «فهو احتباك أو قريب منه» . النمل : (٥٠) : ١٧٩/١٤«وقد ظهر أن الآية إما احتباك أو شبيهة به » . الحجرات : (٧) : ٣٦٩/١٨ «فالآية من الاحتباك وهي شبيهة به» . الرحمن : (٧٨) : ١٩٤/١٩ «والوصفان الأخيران من شبه الاحتباك» .

(٣) نظم الدرر ٢٢/٧ .

(مكناهم)	✓	(مكنا لهم)	✗
(ما لم نمكنكم)	✗	(ما لم نمكن لكم)	✓

*

– استفادته من أقوال العلماء في بيان وجه الاحتباك .

يلحظ أن قولَه بالاحتباك في بعض المواضع مستفاد ممن سبقه من العلماء ، منهم على سبيل المثال :

– القشيري : (٤٣٤هـ) .

يقول في قول الحق ﷻ :﴿ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴾(القمر: ٣٥،ك) :"قال القشيري : والشكر على نعم الدفع أتم من الشكر على نعم النفع ، ولا يعرف ذلك إلا كل موفق كيس؛ فالآية من الاحتباك : ذكر الإنعام أولًا -لأنه السبب الحقيقي- دليلًا على حذفه ثانياً ، والشكر ثانياً -لأنه السبب الظاهر- دليلاً على حذفه أولًا" [1] .

*

– أبوحيَّان الأندلسي : (٧٤٥هـ)

يقول في قول الحق ﷻ :﴿ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴾(الجن: ٢١،ك) :"ولما كان المقام لدفع شرهم عنه ، قال : ﴿ضَرّٗا﴾ فأفهم ذلك (ولا نفعًا ولا غيًّا) ﴿وَلَا رَشَدٗا ﴾ أي : صواباً وسدادًا . فالآية من الاحتباك وهو ظاهر على هذا التقدير ، قال أبو حيَّان : فحذف من كل ما يدل مقابله عليه -انتهى . ويجوز أن يكون تقديره : لا أملك ضرًا لأني لا أملك لكم إضلالًا ، ولا أملك لكم رشدًا فلا أملك لكم نفعًا ، فإنه لا نفع في غير الرشاد ، ولا ضر في غير الضلال... و لم تخرج الآية بهذا عن الاحتباك ، فإن ذكر الضر أولاً دلَّ على حذف النفع

---

(١) نظم الدرر ١٢٥/١٩ . كما ينظر : لطائف الإشارات -تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم- تأليف : القشيري ، قدم له وحققه وعلق عليه : إبراهيم بسيوني ، صدر له : حسن عباس زكي ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، الطبعة : بدون ، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م) ٥٥/٦ .

ثانيًا ، وذكر الرشد ثانيًا دل على حذف الضلال أولًا" [(١)] .

*

– ولي الدين الملوي : (٧٧٤هـ) .

يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ .وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى .ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ (الأعلى: ١٠-١٢،ك) : " والآية من الاحتباك : ذكر الثمرة في الأول وهي الخشية دليلاً على حذف ضدها من الثاني ، وهي القسوة الناشئة على الحكم بالشقاوة ، وذكر الأصل والسبب في الثاني وهو الشقاوة دليلاً على حذف ضده في الأول وهو السعادة ، فالإسعاد سبب والخشية ثمرة ، والإشقاء سبب والقساوة ثمرة ومسبب ، وكذا ما نبعه من النار وما نشأ عنه ، وسر ذلك أنه ذكر مبدأ السعادة أولاً حثًّا عليه ، ومآل الشقاوة ثانيًا تحذيرًا منه ، **قال الملوي:** ولا شكَّ أن القرآن العظيم على أحسن ما يكون من البراعة في التركيب وبداعة الترتيب وكثرة العلوم مع الاختصار وعدم التكرار ، فيكتفي في موضع بالثمرة بلا سبب ، وفي آخر بالسبب بلا ثمرة ؛ لدلالة الأول على الثاني والثاني على الأول ، فيضم السبب إلى الثمرة والثمرة إلى السبب ،كما يُطلق القضاء ويُكتفى به عن القدر ، ويُطلق القدر ويُكتفى به عن القضاء..."[(٢)] .

هذا ، ونخلص إلى أنَّ البقاعي هو العالم الوحيد الذي أبان كثيرًا القول في الاحتباك وفي الكشف عن أدق لطائفه وأغمضها وقوعًا في الكلام العلي ، فهو- كما ترى- في سفره هذا صاحب التميز في فتق أفانين القول بدقة فكر ، وإصابة نظر ، ولطف قول ، ورفعة حس .

*

أبوالسعود : (٩٥١هـ) .

أشار أبو السعود إلى هذا النوع من الحذف ، في : (**إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**) بإشارات التقى في بعضها مع سابقيه ، والأخرى انفرد بها .

---

(١) نظم الدرر ٢٠/٤٩٤ .

(٢) المرجع السابق ٢١/٤٠٠ .

يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾(البقرة:١٠٨،م) : " ومقتضى الظاهرِ أن يقال : كما سألوا موسى ؛ لأن المشبَّه هو المصدرُ من المبني للفاعل أعني سؤالية المخاطبين لا من المبني للمفعول، أعني مسؤوليةَ الرسول ﷺ وحتى يُشبَّه بمسؤولية موسى عليه السلام فلعله أريد التشبيهُ فيهما معاً ، ولكنه أوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائليةَ ، وفي جانب المشبَّه به المسؤولية ، واكتُفي بما ذكر في كل موضع عما تُرك في الموضع الآخر ..." [1] . ذكر في الطرف الأول السائلية، وحذفها من الطرف الثاني ، ثم ذكر في الطرف الثاني المسئولية ، وحذفها من الطرف الأول ، وهذا احتباك .

*

ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾(الأنبياء: ٥،م) : " ويجوز أن يحمل النظمُ الكريمُ على أنه أريد كلٌّ واحد من الإتيان والإرسال في كل واحد من طرفي التشبيه ، لكنه تُرك في جانب المشبّه ذكرُ الإرسال، وفي جانب المشبّهِ به ذكرُ الإتيانِ اكتفاءً بما ذكر في كل موطنٍ عما تُرك في الموطن الآخر حسبما مر في آخر سورة يونسَ عليه السلام " [2] . وهذا احتباك .

*

–إضافات بعض المحدثين :

ـ الشهاب الخفاجي : (١٠٦٩هـ) .

أشار الشهاب إلى الاحتباك ، وذلك في حاشيته المسماة **(عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)** ، وذلك في (تسعة وعشرين) موضعًا[3] تقريبًا ، إلّا أنَّ هذه المواضع

---

(١) إرشاد العقل السليم ١/١٤٤وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ٦/٥٥ .

(٣) البقرة : (٣٩) : ٢/٢٠٥[مع أبي حيان] (٩١) : ٢/٢٠٥[مع السمين الحلبي] ، (١٧١) : ٢/٢٦٧[مع الكرماني]. النساء : (**١٤٦ ، ١٤٧**)٣/١٩٣ . الأنفال : (٦٥) : ٤/٢٩٠[مع أبي حيان]. التوبة : (١٠٢) : ٤/٣٦٠ [مع الزمخشري]. يونس : (٦٧) ٥/٤٧ [ابن عطية]. هود : (٤٨) : ٥/١٠٤. الكهف : (١٧) : ٦/٨٢[مع البقاعي].طه : (٢٢) : ٦/١٩٧[مع البقاعي] . النمل : (٨٦) : ٧ /٥٩[مع أبي حيان]. الأحزاب : (٨) : ٧/١٦١[مع أبي حيان].(٥٣) : ٧/١٨٣،(٥٦) : ٧/١٨٤[مع البقاعي]. سبأ : (٢،١) : ٧/١٨٨[مع

لم يتفرد بالقول فيها ، وإنما الإشارة إليها ظاهرة عند بعض العلماء . فالشهاب من علماء القرن الحادي عشر لم يتحرر عنده أحيانًا مفهوم الاحتباك فيدخل فيه ما ليس فيه ، أو يطلق عليه غير اسمه ؛ لذا يلحظ عنده عدم تطابق تسمية المصطلح ؛ فمرة يذكر أنه احتباك ، وأخرى اكتفاء ، وفي كلا الموضعين يقدر تقدير الاحتباك .

أمّا المواضع التي تفرَّد بالقول فيها بالاحتباك (فستة) مواضع لم يتبين أنَّ أحدًا سبقه إلى القول فيها . منها : يقول في تفسيره لقوله ﷻ : ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هود: ٤٨،ك) : "وهذه الآية من الاحتباك ؛ لأنه حذف من الثاني ما ذكر في الأول ، وذكر فيه ما حذف من الأول ، والتقدير : بسلام منا عليك وبركات منا عليك" [١] .

*

اهتم الخفاجي بالقول بأنَّ السياق لا يقتضي حمل المعنى القرآني على الاحتباك ، علمًا بأنَّ المواضع التي يرى فيها عدم الحاجة إلى مثل هذا النوع من الحذف ناقشها بعض العلماء وارتضوا القول بالاحتباك فيها ، وقد (بلغت تسعة) مواضع[٢] .

*

– الآلوسي : (١٢٧٠هـ) .

أشار الآلوسي إلى الاحتباك في سفره **(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)** ، وذلك في (اثنين وثلاثين) موضعًا تقريبًا[٣] ، التقى في معظمها مع سابقيه ، وتكمن

البقاعي]. يس : (٢٢) : ٢٣٧/٧ [مع البقاعي] . ص : (٥٥) : ٣١٦/٧. الزمر : (٥٣) : ٣٤٤/٧.غافر : (٦١) : ٣٨٠/٧ ، [مع البقاعي] . فصلت : (٤٠) : ٤٠٢/٧[مع البقاعي].الشورى : (٧) : ٤١١/٧[مع البقاعي]. (١٨) : ٧ / ٤١٦[مع البقاعي]. الزخرف : (٥١،٥٢) : ٤٤٦/٧[مع البقاعي]. محمد : (١٢) : ٤٤/٨[مع البقاعي]. الحجرات : (١٤) : ٨٢/٨[مع البقاعي]. الصف : (١٤) : ١٩٤/٨.نوح : (١٧) : ٢٥٢/٨[مع البيضاوي].الجن : (٢١) : ١٦٠/٨[مع البيضاوي]. عبس : (٥،٦) : ٣٢١/٨ [مع البقاعي] .

(١) حاشية الشهاب على البيضاوي ١٠٤/٥ .

(٢) يونس(٦٧) : ٤٧/٥.الأحزاب(٥٣) : ١٨٣/٧.يس(٢٢) : ٢٣٧/٧.فصلت(٤٠) : ٤٠٢/٧. الشورى : (١٨) ٤١٦/٧. الزخرف(٥١،٥٢) : ٤٤٦/٧. محمد(١٢) : ٤٤/٨. الحجرات : (١٤) : ٨٢/٨. عبس(٥،٦) : ٣٢١/٨ .

(٣) البقرة : (٣٩) ٢٤١/١[مع أبي حيان] . (٩١) : ٣٢٥/١[مع السمين الحلبي] . (٢٢٨) : ١٣٤/٢[مع أبي

جوانب الالتقاء في أنَّ الآلوسي -كما هو متبين- ينقل أقوال بعض العلماء ، ويضيف إليها بعض الآراء المتعلقة بمدى تحمل السياق لمثل هذا التقدير ، مستندًا على وجهة نظره في بيان ذلك ، لهذا يرى في عدة مواضع بعدم القول بالاحتباك وتكلفه .

أمّا المواضع التي تفرَّد بذكرها ، و لم يتبين أنَّ أحدًا من العلماء السابقين أشار إليها فجاءت في موضعين ، منها :

يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ . وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (الحج: ٥٦-٥٧، م) ، "...أو في الكلام صنعة الاحتباك ، والأصل فالذين آمنوا وصدقوا بآياتنا وعملوا الصالحات في جنات النعيم ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا وعملوا السيئات فأولئك لهم عذاب مهين ، خلاف الظاهر كما لا يخفى" [(١)] .

*

- محمد رشيد رضا : (١٣٥٤هـ).

أشار محمد رشيد في **(تفسيره المنار)** للاحتباك ، وذلك في (خمسة) مواضع [(٢)] . تفرَّد في

حيان]. الأنفال : (٦٦) : ٣٢/١٠[مع أبي حيان]. التوبة (١٠٢) : ١٣/١١[مع الزمخشري]. يونس :(٦٧) ١٥٤/١١[مع ابن عطية]. هود:(٤٨) ٧٣/١٢[مع الخفاجي] . الإسراء : (٧١-٧٢) **١١**/١٢٣ وما بعدها [مع ابن المنير] . الكهف : (١-٤) ٢٠٣/١٥[مع أبي حيان] . (١٧) ٢٢٤/١٥[مع البقاعي] . الحج : (٥٧) ١٨٧/١٧ . النمل : (١٢) ١٩ /١٦٧[مع أبي حيان] . (٨٦) ٢٩/٢٠[مع أبي حيان] . الأحزاب : (٨) ١٥٥/٢١[مع أبي حيان] . (٥٣) ٧١/٢٢ [مع الخفاجي] . (٦٥) ٨٠/٢٢ [مع البقاعي] . سبأ : (١) ١٠٣/٢٢[مع البقاعي]. يس: (٢٢) ٢٢٧/٢٢ [مع البقاعي] . ص:(٥٥) ٢١٤/٢٣[مع الخفاجي]. الزمر:(٥٣) ١٣/٢٤[مع الخفاجي]. غافر :(٦١) ٨٢/٢٤[مع البقاعي]. الشورى: (٧)١٣/٢٥[مع البقاعي]. (١٨):٢٦/٢٥[مع البقاعي]. الزخرف: (٥٢) ٩٠/٢٥[مع البقاعي]. محمد: (١٢)٤٦/٢٦[مع البقاعي] . الحجرات:(١٤) ١٦٨/٢٦[مع البقاعي]. الصف :(١٤) ٩١/٢٨[مع الجفاجي]. نوح: (١٧) ٩٤/٢٩[مع البيضاوي]. الجن:(٢١) ١١٦/٢٩[مع البيضاوي]. النبأ :(٢٩) ٢١/٣٠[مع البقاعي]. عبس :(٩) ٥٢/٣٠[مع البقاعي]. المطففين:(٣) ٨٩/٣٠ .

(١) روح المعاني ١٨٧/١٧ .

(٢) الأنعام : (٦) ٣٠٧/٧[مع البقاعي] . (١٠٧) ٦٦٢/٧.الأنفال : (٦٥-٦٦) ٨٢/١٠[مع أبي حيان] . التوبة : (١٠٦) ٢١/١١ [مع الزمخشري] . يونس : (٦٧) ٤٥٥/١١[مع ابن عطية] . توقف صاحب المنار في تفسيره إلى سورة يونس و لم يكمله .

موضع واحد منها ، لم يتبين أنَّ أحدًا سبقه بالقول فيه .

يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ (الأنعام: ١٠٧،ك) : " ولعل في الجملتين احتباكًا والتقدير : وما جعلناك عليهم حفيظًا تحفظ عليهم أعمالهم لتحاسبهم عليها ، ولا وكيلاً تتولى أمورهم وتتصرف فيها ، وما أنت عليهم بوكيل ولا حفيظ بملك ولا سيادة ، أي ليس لك ما ذكر من الوصفين بأمرنا وحكمنا ، ولا لك ذلك الفعل كما يكون نحوه لبعض الملوك بالقهر أو التراضي" [١] .

*

- ابن عاشور : (١٣٩٣هـ).

اهتمَّ ابن عاشور ببيان الاحتباك ، وشبه الاحتباك ، وذلك في سفره «**التحرير والتنوير**» ، حيث أورد لهما (سبعة وأربعين) موضعًا تقريبًا [٢] . تفرَّد بالقول في «أربعة وثلاثين» منها جاءت على النحو التالي :

---

(١) تفسير المنار ٦٦٢/٧ .

(٢) الفاتحة : (٧) : ١٩٩/١ . البقرة : (١٣٤) : ٧٣٥/١ ، (٢١٦) : ٣٢١/٢ ، (٢٢٨) : ٣٩٦/٢ [مع أبي حيان] . (٢٥١) : ٥٠٣/٢ ، (٢٧٦) : ٩١/٣ . الأنعام : (٨-٩) : ١٤٦/٧ ، (١٧) : ١٦٢/٧ وما بعدها [مع البقاعي] . (٢٨) : ١٨٥/٧ ، (٣٣) : ٢٠٠/٧ ، (٧٢) : ٣٠٥/٧ [مع البقاعي] . (٩٥) : ٣٨٩/٧ . الأعراف : (٥٨) : ١٨٥/٨ وما بعدها . [مع البقاعي] . التوبة : (١)١٠٥/١٠(١٩) : ١٤٥/١٠ وما بعدها . [مع البقاعي] . (٤٥) : ٢١٢/١٠ وما بعدها . يونس : (٦٧):٢٢٦/١١-٢٢٧[ابن عطية].يوسف:(١١٠):٧٠/١٣.الرعد:(٧):١٣ / ٩٥[مع البقاعي] . إبراهيم : (٢٨) : ٢٨٨/١٣ . النحل : (٦٣) : ١٩٥/١٤ . الإسراء : (٢٥) : ٧٥/١٥ . مريم : (٧٥-٧٦) : ١٥٧/١٦ . طه : (٩٢-٩٣) : ٢٩٢/١٦ . الأنبياء : (٩) : ١٧ / ٢١ . الحج : (٢٣):٢٣٣/١٧.النمل:(٨٦):٤٥/٢٠[مع أبي حيان].العنكبوت: (٤٤):٢٥٧/٢٠. الأحزاب:(٦٣)١١٣/٢٢.يس:(٦٥): ٥٠/٢٣[مع البقاعي] . (٧٠)٦٦/٢٣[مع البقاعي] . غافر: (٦٠):١٨٢/٢٤، (٦١)١٨٥/٢٤[مع البقاعي] . فصلت:(٤٠)٣٠٤/٢٤[مع البقاعي] . الشورى:(١٠):٤٣/٢٥،(١٨):٧٠/٢٥ [مع البقاعي] . الجاثية:(١٢) :٣٣٦/٢٥. الأحقاف:(١٢):٢٦/٢٦.محمد:(١٥):٩٥/٢٦ . القمر : (٢-٣) : ١٧٢/٢٧ . الواقعة : (٦٨-٦٩) : ٣٢٤/٢٧ . الصف : (٨-٩) : ١٩٣/٢٨ . المنافقون : (١٠) : ٢٥٤/٢٨ . القلم : (٥١-٥٢) : ١٠٩/٢٩ . الحاقة : (٤-١٠) : ١٢٠/٢٩ . الجن : (١٢) : ٢٤٣/٢٩ وما بعدها . [مع البيضاوي] . الفجر : (١٧-١٨) : ٣٣٣/٣٠ .

– بيان ما يختص بالاحتباك .

– المواضع التي تفرد في القول بأنها من الاحتباك .

أشار إلى الاحتباك في(عشرة) [١] مواضع ، منها على سبيل المثال:

يقول في قول الحق ﷻ:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ (إبراهيم: ٢٨،ك) : " وفي قوله : ﴿بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾ محسن الاحتباك . وتقدير الكلام : بدّلوا **نعمة الله وشُكرَها كفرًا** بها **ونقمةً منه** ، كما دلَّ عليه قوله : ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾" [٢] .

*

– المواضع التي تكلف فيها .

القول بالاحتباك في بعض المواضع التي تفرَّد بالقول فيها فيه نوع من التكلُّف ظهر في (أحد عشر) موضعًا[٣] ، الأظهر فيها حمل الكلام على حقيقته بدون تقدير . وهذا استنادًا إلى أنَّ التقدير الذي ذهب إليه لا يتناسب مع طبيعة أسلوب الاحتباك ، فالتقدير له ينبغي أن يكون وفق مراعاة أمور عدة[٤] لم تلحظ لدى ابن عاشور . منها على سبيل المثال :

يقول في قول الحقﷻ:﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٤،م) : احتباك "... والمراد : بما كسبت وبما كسبتم ثواب الأعمال بدليل

---

(١) هي : إبراهيم : (٢٨) : ٢٢٨/١٣.الإسراء : (٢٥) : ٧٥/١٥. مريم : (٧٥-٧٦) :١٥٧/١٦. الأنبياء : (٩) : ٢١/١٧. الحج : (٢٣) : ٢٣٣/١٧.الشورى : (١٠) : ٤٣/٢٥.محمد : (١٥) : ٩٥/٢٦ .الواقعة : (٦٨-٦٩) : ٣٢٤/٢٧.القلم : (٥١-٥٢) : ١٠٩/٢٩. الحاقة : (٤-١٠) : ١٢٠/٢٩ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٢٨/١٣ .

(٣) البقرة : (١٣٤) : ٧٣٥/١ ، (٢١٦) : ٣٢١/٢ . (٢٧٦) : ٩١/٣.الأنعام : (٨-٩) : ١٤٦/٧. (٢٨) : ١٨٥/٧، (٣٣) : ٧ / ٢٠٠. الأحزاب : (٦٣) : ٢٢ /١١٣. يس : (٧٠) : ٦٦/٢٣. الصف : (٨-٩) : ١٩٣/٢٨. المنافقون : (١٠) : ٢٥٤/٢٨.الفجر : (١٧-١٨) : ٣٣٣/٣٠ .

(٤) أولًا : لابد من وجود التقابل بين طرفي القول ، بمعنى:أن الجمل الواقع فيها احتباك مشروطة بأن تتألف من أربع جمل ، إن ذُكِرَتْ الأولى حُذِفَ مقابلها – سواءٌ أكانت الثانية أم الثالثة – وإن ذُكِرتْ الرابعة حذف مقابلها – سواءٌ أكانت الثانية أم الثالثة – والعكس ، فيصبح نظير كل واحد من المذكور محذوف بينهما تناسب أو تقابل .
ثانيًا : يراعى فيه النسبة وهي : إمّا أن تكون نسبة الأول للثالث كالثاني للرابع ، أو الأول للثاني كالثالث للرابع .

التعبير فيه بـ(لها ولكم)، ولك أن تجعل الكلام من نوع الاحتباك والتقدير[١] لها ما كسبت وعليكم ما كسبتم ، أي: إثمه" [٢] .

*

– الاحتباك وتغاير القراءات القرآني :

أشار كسابقيه إلى أنَّ الاحتباك في بعض آي الذكر الحكيم سببه تغاير أوجه القراءات ، وذلك في موضعين[٣] تفرَّد بالإشارة إليهما . منها على سبيل المثال :

يقول في قول الحق ﷻ:﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(البقرة: ٢٥١م) : "ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض وبقية الموجودات بعضها ببعض لفسدت الأرض – أي : من على الأرض– ولفسد الناس»[٤] . أمّا أركان الاحتباك فعلى النحو التالي :

أركان الطرف الأول	النوع	أركان الطرف الثاني	النوع
(دفع الله الناس) ↕	✓	↕ (لفسد الناس)	✗
(دفع المخلوقات)	✗	(لفسدت الأرض)	✓

*

– بيان ما يختص بشبه الاحتباك .

أشار إلى شبه الاحتباك في (تسعة) مواضع [٥] ، اهتمَّ في بعضها بالكشف عن التقدير ، وفي البعض الآخر أجمل القول واكتفى بإطلاق المصطلح منها على سبيل المثال:

يقول في قول الحق ﷻ:﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾(الفاتحة:

---

(١) يقول ابن عاشور : «والتقرير» والأنسب للسياق الكلام والتقدير .

(٢) التحرير والتنوير١/٧٣٥ .

(٣) البقرة : (٢٥١) : ٥٠٣/٢. والمنافقون : (١٠) : ٢٥٤/٢٨.

(٤) التحرير والتنوير ٥٠٣/٢ .

(٥) وهي : الفاتحة : (٧) : ١٩٩/١.الأنعام : (٩٥) : ٣٨٩/٧.التوبة : (٤٥) : ٢١٢/١٠ وما بعدها . النحل : (٦٣) : ١٩٥/١٤ . طه : (٩٢-٩٣) : ٢٩١/١٦ وما بعدها . العنكبوت : (٤٤-٤٥) : ٢٥٧/٢٠.غافر : (٦٠) : ١٨١/٢٤وما بعدها . الجاثية : (١٢) : ٣٣٦/٢٥.القمر : (٢-٣) : ١٧٢/٢٧ .

٧،ك) : «فحصل شِبْه الاحتباك وهو أن كلا الفريقين نال حظًا من الوصفين ؛ إلَّا أنَّ تعليق كل وصف على الفريق الذي علق عليه يرشد إلى أن الموصوفين بالضالين هم دون المغضوب عليهم في الضلال ، فالمراد المغضوب عليهم غضبًا شديدًا لأنَّ ضلالهم شنيع . فاليهود مَثَلٌ للفريق الأول ، والنصارى من جملة الفريق الثاني»[1] .

*

(١) التحرير والتنوير ١٩٩/١ .

الفصلُ الثَّالثُ :

مضمون الاحتِبَاكُ وشبهه في الدِّرَاسَات البَلاغيَّة، وَالنَّقدِيَّة

الفصل الثالث : مضمون الاحتباك وشبهه في الدراسات البلاغية، والنقدية[(١)] .

لأصحاب الدراسات البلاغية والنَّقديَّة وقفاتٌ وإشاراتٌ إلى هذا النوع من الحذف ، جاء أغلبها تعليقًا على كلام السابقين ، وبعضها انفردوا بذكرها في مجالهم والبلاغي والنقدي ، ولعل من أبرزهم :

–المرزوقي : (٤٢١هـ).

وردت عند المرزوقي في شرحه لديوان الحماسة إشارة إلى حذف التقابل ، وذلك عند بيانه لقول أبي عطاء السندي :

فإِنْ كَانَ سِحْرًا فاعْذِرِينِي على الْهَوَى وإِنْ كَانَ دَاءً غَيْرَهُ فَلَكِ الْعُذْرُ

يقول : "**إن كان ما بي سحرًا فلي عذرٌ في هواك** ، لأنَّ من يسحر يحبب ، **وإن كان داءً غيرَ السحر فالعذر لك** ، لأني وقعت فيه بتعرضي لك ، وفكري في محاسنك ، والدلالة على أن (فاعذريني) في موضع (فلي عذر) ، ما قابله به من قوله : (فلك العذر)" [(٢)] .

فصورة الاحتباك هنا تمثَّلت في كون المحذوف من الطرف الأول : (فلي عذر) لما دلَّ عليه من (فلك العذر) ، ومن الطرف الثاني : (إن كان غير السِحْر) ، لما دلَّ عليه من (إن كان سِحْرًا) .

*

– السكاكي : (٦٢٦هـ) .

أورد السكاكي في (**مفتاح العلوم**) شاهدًا ، يقول فيه : "ومن الإيجاز قوله ﷻ :﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة :١٠٢م) : أصل الكلام : خلطوا عملاً صالحًا بسيئ ، وآخر سيئًا بصالحٍ ؛ لأنَّ الخلط يستدعي مخلوطًا ومخلوطًا به ، أي : تارة أطاعوا وأحبطوا الطاعة بكبيرة ، وأخرى عصوا وتداركوا المعصية بالتوبة" [(٣)] . فتحقق من خلال التقدير بروز خاصية التقابل بين المعاني ؛ إذ حُذِفَ من

(١) جمعت بين أسفار البلاغة والنقد لصعوبة الفصل بينهما فآثرت إيرادها وفق صدورها .

(٢) شرح ديوان الحماسة ، تأليف : أبي علي أحمد بن محمد المرزوقي ، نشره : أحمد أمين ، وعبد السلام هارون ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م) ٥٨/١ .

(٣) مفتاح العلوم ، تأليف : أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ، حققه وقدم له وفهرسه : عبد الحميد

الأول : (بسيئ) لما دلَّ عليه في النظم ثانيًا ، ومن الثاني : (بصالح) لما دلَّ عليه أولًا ، وتأويل السكاكي يدخل في الاحتباك ؛ لتحقق نسبة الأول إلى الثاني ، والثالث إلى الرابع ، والمهم في هذا الباب أن هذا النوع من الحذف برز عند السكاكي في هذا الموضع ، ولم يصرح بالمصطلح له ، وإنما اكتفى بتقديره ، ووصفه بأنه من الإيجاز .

*

– ابن أبي الإصبع المصري : (٦٥٤هـ) .

أورد ابن أبي الإصبع إشارةً تمثَّلت في الكشف عن وجه التقدير ، وذلك عند بيانه قوله ﷻ : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ (التوبة:٥٢م) ، يقول في باب التعطّف[1] : " وقد وقع التعطّف منها مقابلة معنويةٌ خرج الكلام فيها مخرج إيجاز الحذف ، فإنَّ مقتضى البلاغة أن يكون تقدير ترتيب النظم : قل هل تربَّصون بنا إلَّا إحدى الحسنيين **أن يصيبنا الله بعذاب من عنده أو بأيديكم** ، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذابٍ من عنده أو بأيدينا . فحذف –لتوخّي الإيجاز– تفسير الحسنيين من الجملة الأولى ، وأثبت الثانية فرارًا من تكرار اللفظ وتكثيره ، **كما حذف الحسنيين من الجملة الثانية استغناء بذكرها أولًا** طلبًا للاختصار..." [2] .

فصورة التَّقدير المشار إليها لم تكشف عما قاله : «حذف الحسنيين من الجملة الثانية استغناء بذكرها أولًا» ، وبناء على هذا يكون التقدير على الأرجح : قل هل تربصون بنا إلَّا إحدى الحسنيين أن يصيبنا الله بعذاب من عنده أو بأيديكم ، ونحن نتربص بكم إحدى الحسنيين أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ؛ لكونه أكثر دقة من حيثُ الصياغة ، فما قال به ابن أبي الأصبع لم يفصح تمامًا عما أشار إليه في كلامه ، ثم إن هذا التقدير هو

هنداوي ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م) ، ص٣٩٢ .

تبعه الزركشي في (البرهان) ١٣٠/٣وما بعدها ، والسيوطي في (الإتقان)١٧١/٢ .

(١) «والتعطّف كالترديد في إعادة اللفظة بعينها في الجملة من الكلام ، أو البيت من الشعر ، والفرق بينهما قرب الكلمتين من الترديد ، وكونهما في طرفي الجملة وفي كليهما ، وهما في التعطّف مفترقتان ، كلّ لفظة منهما في طرف من الكلام» . بديع القرآن المجيد ، ص٩٧ .

(٢) الموضع السابق .

الأقرب إلى طبيعة حذف التقابل .

*

– السجلماسي : (٧٠٤هـ) .

كانت له جهودٌ متميزةٌ في الكشف عن هذا النوع من الحذف ، وذلك في (**المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع**) . فحدد له قانونًا معينًا نظر فيه إلى أهم خصائص الحذف ، وأدقِّ ضوابطه[(١)] ، فسماه : (**الحذف المقابلي**) ، أو(**الاكتفاء بالمقابل**)[(٢)] ، يقول فيه : هو : " القول المركب من أجزاء فيه متناسبة ، نسبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ، أوْ ما كانت النسبة فيه كنحو ذلك ، فاجتزئ من كل متناسبين بأحدهما لقطع الدلالة مما ذكر على ما ترك " [(٣)] . ثم أشاد بما لهذا الحذف من قيم بلاغية معنوية تدل على دقة مسلكه ، ولطف موقعه ، وروعة إيجازه ، وعِظم أثره في نفس سامعه ، لهذا شرع في وصفه بألفاظ تقطر حلاوة هي خلاصة ما أحسه من جمال وقع هذا الأسلوب في نفسه ، يقول : " هو من القول الجميل ذي الطلاوة والبهجة والماء والعذوبة ، الجزل المقطع ، الغريب المنزع ، اللذيذ المسموع ؛ لما بين أجزائه من الارتباط ؛ لما للنفس الناطقة من الالتذاذ بإدراك النِّسَبِ الوُصَلِ بين الأشياء ، ثم بإبراز ما في القوة من ذلك إلى الفعل ، والشعور به . فذلك تَوفَّرَ عليه من المزية ما تراه يباين به سائر النظوم " [(٤)] ، فالقاعدة المستخلصة تكمن في الاستحسان الذي هو ثمرة الطبع والدُّربَة ؛ لأن الأريحية التي تجدها النفس مرجعها إلى ما وقع في الكلام من حذف .

والملاحَظ أنَّ السجلماسي أورد عدَّة شواهد [(٥)] للحذف المقابلي اتبع في تحليلها منهجًا

---

(١) مثل هذا يلحظ عند ابن البناء المراكشي الذي أوجز التعريف له بقانون رياضي دقيق : «يُكتفى في الأشياء المتناسبة بذكر الطرفين ويحذف الوسطان ، فيكتفى بالمقدم من إحدى النسبتين ، وبالتالي من الأخرى ؛ لأن الطرفين حاصران للوسطين ويدلان عليهما لأجل ارتباط التناسب . والتي يُكتفى بمقدمتها ويُحذف تاليها وهي (الأولى أبدا) في مشاكلة التناسب وإن كانت مُتأخرة في الخطاب» . الروض المريع ، ص١٤٣ .

(٢) كذا أطلق الزركشي على هذا النوع من الحذف مصطلح حذف التقابل .

(٣) المنزع البديع ، ص١٩٥ .

(٤) الموضع السابق .

(٥) في خمسة مواضع من القرآن الكريم : وهي : البقرة(٢٢٢) ، هود(٣٥) ، الأنبياء(٥) ، النمل(١٢) ،

واحدًا غلب عليها الفكر الفلسفي الرياضي[1] .

يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾(هود: ٣٥،ك) : " فهذا قول مركب من أجزاءٍ أربعة : نسبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ، غير أن بعضها متروك لقطع دلالة ما بقي عليه ، وتقديره برّد المحذوفات منه إلى التصريح : إن افتريته فعليّ إجرامي وأنتم براءٌ منه ، وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون ، فنسبة قوله : (فعليّ إجرامي) –وهو الأول– إلى قوله : (وعليكم إجرامكم) –وهو الثالث– كنسبة قوله : (وأنتم براء منه) –وهو الثاني– إلى قوله : (وأنا بريء مما تجرمون) –وهو الرابع– . واجتزئ من كل متناسبين بأحدهما" [2] . فكلامه هنا فيه إشارة واضحة لحذف التقابل ؛ إذ فصَّل القول في بيان النسبة والتقدير معًا .

*

ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾(الأنبياء:٥،ك) :"وتقدير محذوفاته : (إن أرسل فليأتنا بآيةٍ كما أرسلَ الأولون فأتوا بآية) ، فنسبة قوله : (إن أرسل) –وهو المحذوف الأول– إلى قوله : (كما أرسل الأولون) –وهو المثبت الثالث– كنسبة قوله : (فليأتنا بآية)– وهو الثاني المثبت –إلى قوله : (فأتوا بآية) –وهو الرابع المحذوف– ، فاجتزئ من كل متناسبين بأحدهما لقطع الدلالة عليه ، وذلك أنه اجتزئ من الأول المحذوف وهو قوله : (إن أرسل) بالثالث المثبت وهو قوله : (كما أرسل الأولون) ، كما اجتزئ من الرابع المحذوف وهو قوله : (فأتوا بآية) بالثاني المثبت ، وهو قوله : (فليأتنا بآية) ، فحذف من الأول ما أثبت في الثاني ، ومن الثاني

الأحزاب(٢٤) . ومن الشعر بيتًا واحدًا كثر الاستشهاد به على هذا النوع من الحذف ، وهو : (وَإِني لتَعْرُوني لذكراكِ فَتْرَةٌ) . ومن النصوص : نقل نصين لسيبويه ، الأول : من(باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام والإيجاز والاختصار) ، والثاني : من(باب مجاري أواخر الكلام من العربية) . ومن الفلسفة والمنطق نقل لأرسطو من كتاب المقولات : (باب الثمانية المتفقة أسماؤها) . ينظر : المرجع السابق ، ص١٩٦وما بعدها .

(١) تبعه ابن البناء ، و الزركشي في تحليل شواهد حذف المقابل .

(٢) المترع البديع ، ص١٩٩ . تبعه الزركشي في (البرهان)١٢٩/٣ ، والسيوطي في(الإتقان)١٧١/٢ .

ما أثبت في الأول " [1] . ففي هذا الموضع أشار السجلماسي إلى ذكر التقدير ، والنسبة ، والضابط من وراء جعل الآية من حذف التقابل .

*

ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(الأحزاب:٢٤،م) : " تقدير محذوفاته –كما قال المفسرون– : (ويعذب المنافقين إن شاء فلا يتوبُ عليهم أو يتوب عليهم فلا يعذبُهم) وعند ذلك يكون مطلقُ قوله : (فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم) مقيدًا بمدة الحياة الدنيا " [2] . فقد أوجز السجلماسي في بيان وجه الحذف في هذا الموضع ، مكتفيًا بذكر ما أورده المفسرون من تقدير للمحذوف .

*

ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾(البقرة: ٢٢٢،م) : " تقديره : ولا تقربوهن حتى يطهرن ويتطهرن ، فإذا طهُرن وتطَهَّرن فأتوهن ، فهو قول مركب من أجزاء أربعة : نسبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ، وذلك أن قوله : حتى يطهرن –وهو الأول– مناسب للثالث وهو قوله : فإذا طهرن ، وقوله : (ويتطهرن) –وهو الثاني– مناسب لقوله : (وتطهرن) –وهو الرابع– فحذف الثاني لدلالة الرابع عليه لأنه مثبت ، وحذف الثالث لدلالة الأول المثبت عليه ، فحذف من الأول ما أُثبت في الثاني ، وحذف من الثالث ما أُثبت في الأول ، ودلالة السياق قاطعةٌ بهذه المحذوفات ، ويُبرِزُها التقدير من القوة إلى الفعل بحسب دلالةٍ معينةِ التقدير بحسب الموادّ الجزئية ، وبهذا يعتضِدُ القول بالمنع من وطْءِ الحائض إلّا بعد الطهر والتطهر معًا" [3] . وفي هذا الموضع ظهرت شخصية السجلماسي في بيان وجه الحذف بذكر التقدير

---

(١) المنزع البديع ، ص١٩٦وما بعدها . تبعه ابن البناء في (الروض المريع) ، ص١٤٤وما بعدها ، والزركشي في (البرهان)١٢٩/٣ .

(٢) المنزع البديع ، ص١٩٦وما بعدها . تبعه في الزركشي في (البرهان)١٢٩/٣ ، والسيوطي في (الإتقان)١٧١/٢.

(٣) المنزع البديع ، ص١٩٧ . تبعه الزركشي في (البرهان)١٢٩/٣ ، والسيوطي في (الإتقان)١٧٠/٢ .

له ، والنسبة فيه ، والضابط في عده من حذف التقابل ، والمقتضى من وراء الحذف .

*

ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾(النمل: ١٢،ك) : " وهو أيضًا داخلٌ في هذا النوع ، وتقديُر محذوفاته مصرحٌ بها : (**وأدخل** يدك في جيبك تدخل وأخرجها **تخرج**) . إلَّا أنه قد عَرَضَ في هذه المادة تَنَاسُبٌ بالطباق ، فلذلك بقي القانونُ فيه الذي هو نسبة الأول إلى الثالث ونسبة الثاني إلى الرابع على حالة الأكثرية ، فلم يتغير عن وضعه ، و لم نَحفِلْ بالنسبة التي بين الأول والثاني ، وبين الثالث والرابع ، وهي **نسبة النظير**" [١] . تحقق من خلال ما ذكر في هذا الموضع اجتماع حذف التقابل مع ألوان بلاغية أخرى تضيف إلى النظم مزيدًا من الحسن والبلاغة والإيجاز ، فاجتمع حذف التقابل مع الطباق ؛ لذا أشار إلى أنَّ المحذوف من الأول (تدخل) ؛ لدلالة (تخرج) ، وليس المحذوف (تدخل) ؛ لدلالة (أدخل) .

*

ويقول في قول أبي صخر الهذلي.

وإنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ فَتْرَةٌ كما انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَّلَهُ الْقَطْرُ

"تقدير محذوفاته : (وإني لتعروني لذكراك **فترة** بعد انتفاضة **كما انتفض** العصفور بلله القطر ثم فَتَرَ) . فنسبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ، وهي نسبة طباق . وذلك أنه عَرَضَ لهذا النوع في هذه المادة ما عَرَضَ له في الآية المتقدمة الذكر –النمل– من مناسبة الطباق دون مناسبة النظير ، فلذلك لم نَحفِل بها وأجرينا القانون على أكثرية وضعه . وإن حَمَلْنَا على نسبة النظير –وهي النسبة الأخرى– كانت نسبةُ الأول إلى الثاني كنسبة الثالث إلى الرابع ، وهو المراد في توفية الفاعل –[أي : المصطلح]– بقولنا : أو ما كانت النسبة فيه كنحو ذلك" [٢] . وعلى حد قول السجلماسي ينعدم القول بحذف التقابل بناءً على قوله : (**فنسبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ، وهي نسبة طباق**) ؛ لعدم تحقق

---

(١) المنزع البديع ، ص١٩٧وما بعدها . تبعه ابن جابر الأندلسي في (طراز الحلة وشفاء الغلة) ، ص٥٠٩ ، والزركشي في (البرهان)٣/١٢٩وما بعدها ، والسيوطي في(الإتقان)٢/١٧٠ .

(٢) المنزع البديع ، ص١٩٨ .

شرط المقابلة بين المذكور والمحذوف من كل طرف ، وعليه يصبح المحذوف مقابلاً لمحذوف آخر (نسبة الثاني إلى الرابع) ، والمذكور مقابل لمذكور آخر(نسبة الأول إلى الثالث) .

*

ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ (البقرة: ١٧١م) : "زعم قوم أن سيبويه يَزعُم أن قوله ﷻ :﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ من نوع حذف المقابلي ، وذلك أنه قال في بابٍ ترجمتُه : (بابُ استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام والإيجاز والاختصار) ومثله في الاتساع : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ فلم يُشبَّهوا بالناعق وإنما شبِّهوا بالمنعوق به . وإنما المعنى : ومثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع ولكنه جاء على سَعَةِ الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى ، **فهذا قوله ، وليس فيه ما يقطع على أن الآية في هذا النوع** ، إلَّا في أحد أجزاء القول ، فإنه اكتفى من الأول بالثالث فقط للنسبة بينهما ، وذلك أنه اكتفى بــ (الذي ينعق) وهو الثالثُ المشبَّهُ به من المشبه ، وهو الكناية المضافُ إليها في قوله : (ومثلكم) وهو الأول . واقترَن إلى هذا الجزئي في هذه المادة التشبيهُ المركبُ والمقابَلةُ... وهذا هو الذي غَلَّطَ من وضعه في هذا النوع ، وإنما هو في نوع الاكتفاء للارتباط العطفي... " [(١)] . فالسجلماسي أخرج قول سيبويه السابق من باب حذف التقابل ؛ لعدم تحقق الحذف في الطرفين ، وإنما تحقق في طرف واحد فقط ، وهو أنه حذف من الأول (مثلكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ .

*

ويقول في قول أرسطو في صدر كتاب (المقولات) من كتاب (الثمانية المتفقة أسماؤها) : "يقال: إنها التي الاسمُ فقط عامٌّ لها ، فأمّا قولُ الجوهر الذي بحسب الاسم فمخالف . تقديره -كما قيل- : (الأمورُ المتفقة أسماؤها يقال إنها التي الاسم فقط **عامٌّ** لها وواحدٌ بعينه ، فأمّا قولُ الجوهر الذي بحسب الاسم فخاصٌّ و **مخالف**) . فحذف من الثاني قوله :

(١) المنزع البديع ، ص١٩٨وما بعدها . تبعه الزركشي في (البرهان)١٣١/٣وما بعدها .

(خاصٌّ) وأَثَبتَ مناسبَه في الأول وهو قوله : (عامٌّ) ، وحذف من الأول قوله : (وواحدٌ بعينه) وأثبت مناسبه في الثاني وهو قولُه: (ومخالف)" [1] . فتحقق حذف التقابل بين طرفي القول بنسبة الأول المذكور : (عام) إلى الثالث المحذوف : (خاص) ، والثاني المحذوف : (وواحد بعينه) إلى الرابع المذكور : (مخالف) .

*

ويقول في قول سيبويه في بابٍ ترجمته : (هذا باب مجاري أواخر الكَلِمِ من العربية) : "وإنما ذَكرتُ ثمانيةَ مَجَارٍ لأفرق بين ما يدخلُه ضربٌ من هذه الأربعة لِمَا **يحدث** فيها العاملُ وليس شيءٌّ منها إلا وهو يزول عنه ، وبين **ما يُبْنَى** عليه الحرفُ بناءً لا يزول عنه ، والمعنى : أراد التفريق بين **حرف الإعراب** وحركته ، وبين حرف البناء **وحركته** ، فحذَفَ من الأول ما أَثبتَ في الثاني ، ومن الثاني ما أَثبتَ في الأول ، وكأنه قال : (لأُفرِّقَ بين **الحرف** الذي يدخله ضربٌ من هذه الأربعة وحركتِه ، وبين الحركة التي يُبنى عليها الحرفُ و **حرفِها)** على نهج الحذف في هذا المترع " [2] . فحذف التقابل تمثل في كون المحذوف من الأول : (الحركة ، أي : حركة الإعراب) ؛ لدلالة ذكر حركة البناء في : (ما يُبْنَى عليه الحرفُ) في الطرف الثاني ، ومن الثاني حذف : (حرف البناء ، أي : تعريفة) ؛ لدلالة ذكر تعريف الإعرب في : (لِمَا **يحدث** فيها العاملُ ...) في الطرف الأول ، وهذا من قبيل حذف التقابل .

*

– ابن البناء المراكشي : (٧٢١هـ) .

ذكر ابن البناء هذا النوع من الحذف في (**الروض المريع في صناعة البديع**) ضمن أقسام اللفظ من جهة دلالته على المعنى ، في فصل : (الإيجاز والاختصار) ؛ حيثُ قال : "وأما الإيجاز والاختصار فمنه ما يقال له الاكتفاء"[3] ، وفيه عرض لمفهوم الاكتفاء ثُم أورد بعضًا

---

(١) المترع البديع ، ص١٩٩ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٠٠ .

(٣) الروض المريع ، ص١٤٣ . .

من شواهده[١] .

يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾(البقرة: ١٧١،م) : "نسبة داعي الذين كفروا كنسبة الذي ينعق بما لا يسمع إلى ما لا يسمع ، فحذف مقدم الأولى وتالي الثانية ، وليس ذلك من حذف الوَسطين ، وأخذ الطرفين إن اعْتبرنا النسبتين على ما لُفِظَ بهما هنا ، **فوجب ردهما إلى مشاكلة التناسب فتكون : نسبة الذين كفروا إلى داعيهم ، كنسبة ما لا يسمع إلى الذين ينعق به ، فاكتفى بالطرفين : أحدهما ، وهو الأول : الذين كفروا . والثاني ، وهو الآخر : الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً** ، وجاءت التلاوة مُتقدم تناسُبًا ، وتالي كل نسبة منهما مركبٌ فيه المقدم لأجل الألفاظ الإضافية ، فهي نسبة مركبة . وإذا أبدلت المضمر في التالي بظاهره يتضح لك التركيب ، وصورتها بسيطة هكذا : نسبة الذين كفروا إلى الداعي كنسبة ما لا يسمع إلا دعاء ونداء إلى الناعق " [٢] . فقوله : نسبة الذين كفروا إلى الداعي كنسبة ما لا يسمع إلا دعاء ونداء إلى الناعق) يكشف عن صورة حذف التقابل ؛ إذ تحقق فيه شرط التقابل بين المحذوفين والمذكورين من كل طرف .

*

ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾(الشعراء: ٦٣،ك) : "تقديره : **اضرب** بعصاك البحر ينفلق فضربه **فانفلق** ، نسبة الأمر وجوابه كنسبة الفعلين الواقعين من موسى والبحر ، أخذ الطرفين واكتفى بهما "[٣] .
فتحقق في كلامه خاصية حذف التقابل واضحة في كون المحذوف من الطرف الأول : (ينفلق) ؛ لدلالة ذكر(فانفلق) ، ومن الثاني حذف(ضرب) ، لدلالة الأمر في(اضرب) .

*

(١) في أربعة مواضع من القرآن الكريم ، وهي : البقرة : (١٧١) ، الأنبياء : (٥) ، الشعراء : (٦٣) ، القصص : (٣٢) إلى جانب الشاهد الشعري المشهور في حذف التقابل : (وإني لتعروني...) . ينظر : الموضع السابق ، ص١٤٣ وما بعدها .

(٢) الروض المريع ، ص١٤٤وما بعدها . تبعه السيوطي في (الإتقان)١٧٠/٢ .

(٣) الروض المريع ، ص١٤٥ .

ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ (القصص: ٣٢،ك) : "تقديره : اسلك يدك في جيبك تنسلك ، وأخرجها تخرج بيضاء من غير سوء ، نسبة الأمر الأول إلى جوابه كنسبة الأمر الثاني إلى جوابه ، حذف الوسطين واكتفى بالطرفين " [١] . فتحقق الحذف بنسبة الأول -المذكور- : (اسلك) إلى الثاني -المحذوف- : (تنسلك) ، والثالث المحذوف : (أخرجها) إلى الرابع -المذكور- : (تخرج) .

*

ويقول في قول أبي صخر الهذلي :

وإنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ فَتْرَةٌ   كما انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَّلَهُ الْقَطْرُ

"نسبة فترته إلى انتفاضته لأجل ذكر المخاطب ، كنسبة فترة العصفور إلى انتفاضته لأجل بلل القطر ، فاكتفى بالطرفين" [٢] . فصورة الحذف هنا أكثر دقة مما عند السجلماسي ؛ لتحقق الحذف في الطرفين بصورة واضحة ؛ إذ التقدير : وإني لتعروني لذكراك فترة وانتفاصة كفترة العصفور وانتفاضته ، فحذف من الأول : الانتفاض ، لما دلَّ عليه ثانيًا ، ومن الثاني حذف الفترة لما دلَّ عليها أولًا ، فكأن الشاعر يتجلد أولًا عندما يتذكر حبيبته ، ثم لا يتمالك فينتفض ،كما أن العصفور يظل فترة ساكنًا يتساقط عليه المطر ثم ينتفض فجأة ؛ ليتخلص من القطرات التي علقت بريشه[٣] .

*

- ابن يوسف الأندلسي : (٧٧٩هـ)

ذكر ابن يوسف الأندلسي هذا النوع من الحذف بمصطلح (الاحتباك) في أثناء شرحه لبيت

---

(١) الموضع السابق .

(٢) المرجع السابق ، ص١٤٥وما بعدها . تبعه من البلاغيين ابن جابر الأندلسي في (طراز الحلة وشفاء الغلة) ، ٥١٠ ، ومن المفسرين : أبي حيان في (البحر المحيط) ١/ ١٧٠ ، والسمين الحلبي في (الدر المصون)٢/٢٣١وما بعدها ، والزركشي في (البرهان) ٣/ ١٣٠ ، وابن عرفة في (تفسيره) ، لوحة (٢٧٨) مخطوط .

(٣) وفي بيان الاحتباك يقول أبو حيان : "لم يرد أن يشبه فترته بانتفاض العصفور حين يبله القطر ؛ لكونهما حركة وسكونًا ، فهما ضدان ، ولكن تقديره : إني إذا ذكرتك عراني انتفاض ثم أفتر ، كما أن العصفور إذا بلله القطر عراه فترة ثم ينتفض ، غير أن وجيب قلبه واضطرابه قبل الفترة ، وفترة العصفور قبل انتفاضه " . البحر المحيط١/٤٨٣ .

من أبيات صاحبه شمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر الأندلسي الذي نظمه في مدح خير الورى محمد ﷺ ، مستشهدًا بهذا البيت على فن من فنون البديع ، وهو : (الجمع)[1] يقول الناظم –ابن جابر– :

قد أحْرَزَ الْبأْسَ والإحسانَ في نَسَقٍ والعِلْمَ والحِلْمَ قَبْلَ الدَّرْكِ لِلْحُلُمِ

حوى هذا البيت نوعًا من أنواع الحذف الذي أطلق عليه احتباك ، وأشار ابن يوسف –الشارح– إلى بيان كيفية وقوعه في الكلام ، فقال : " في البيت جملتان : الأولى : (قد أحرز البأس والإحسان في نسق) ، وحذف منها ، (قبل الدرك للحلم) ، والثانية : (وأحرز العلم والحلم قبل الدرك للحلم) ، وحذف منه ، (في نسق) فهو من باب ما حذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ، وحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول ، (ففي نسق) الظاهر يتعلق (بأحرز) الظاهر وقبل (الدرك للحلم) يتعلق(بأحرز) المحذوف ، ولكل منهما متعلق محذوف . (فأحرز) الظاهر متعلقه المحذوف (قبل الدرك للحلم) و (أحرز) المضمر متعلقه المحذوف (في نسق)" [2] .

فبعد أن أوضح الشاهد الذي من أجله سيق الكلام –الجمع– ذكر ما تضمنه البيت من فنون الجمال ولمسات البديع ، فقال : " ...قلت وفيه أيضًا لقب غريب من ألقاب البديع ، يقال له الاحتباك ، وهو عزيز عندهم ، وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ، ويحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول" [3] .

– أشار إلى أنه تتبعه في الكتاب العزيز فوجده يكمن في مواضع قليلة [4] ، ومن أهم المواضع التي انفرد بالإشارة إليها من بين البلاغيين قوله ﷻ :﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا . وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾(الكهف: ٢-٤،ك) : "فإن (أَنْذَرَ) يتعدى لمفعولين ، فذكر في الأول المفعول الثاني ، وهو : (بأسًا شديدًا) فحذف منه المفعول الأول ، وهو : (الذين قالوا : اتخذ الله

---

(١) الجمع هو : «أن يجمع متعددًا في حكم واحد» . ينظر : التبيان في البيان ، ص ٣٣١ .

(٢) طراز الحلة ، ص٥٠٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٠٨ .

(٤) هي : البقرة : (١٧١) ، الكهف : (٢-٤) ، النمل : (١٢) ، طــه : (٢٢) ، الشاهد المشهور في باب الاحتباك : (وإني لتعروني...) . ينظر : المرجع السابق ، ص٥٠٩وما بعدها .

ولدًا) ؛ لذكره في الثاني ، وحذف من الثاني المفعول الثاني ، وهو : (بأسًا شديدًا) ؛ لذكره في الأول" [١] ، فتحققت خاصية التماثل واضحة بين أركان الاحتباك .

*

– السيوطي : (٩١١هـ) .

إنَّ الإشارة إلى الاحتباك عند السيوطي لا تختلف كثيرًا عما ورد عند سابقيه في بعض المواضع[٢] ، فهو كثيرًا ما يفرد هذا الفن بالتصنيف في كتب [٣] له عديدة ، أهمها : الإتقان في علوم القرآن . ويلحظ :

– تفرد في دقة الربط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي ، فما فعله السيوطي يوحي بجمال وروعة الربط ؛ وذلك بما أودعه فيه من معنى معنوي مغزاه يدركه البصير العارف بجواهر الكلام .

فكيف شبهت مواضع الحذف في الكلام بالفرج بين الخيوط المنسوجة في الثوب؟! وما مغزى المقابلة اللطيفة بين (حبك الثوب) ، و(حبك الكلام) المؤدية إلى الحسن الذي يمنع عن كليهما الخلل مع الحسن والرونق؟! . فالأولى متمثلة في سد ما بين الخيوط من الفرج ، والثانية في التقدير الموجز الدقيق .

– يقول : " هذا النوع من زيادتي [٤] وهو نوع لطيف ، و لم نر أحدًا ذكره من أهل المعاني

---

(١) الموضع السابق .

(٢) هي : البقرة : (١٧١) ، (٢٢٢) ، (٢٥٧) ، آل عمران : (١٣) ، التوبة : (١٠٢) ، هود : (٣٥) ، النمل : (١٢) ، الأحزاب : (٢٤) ، الإنسان : (١٣) . ينظر : الإتقان ١٧٠/٢وما بعدها ، والتحبير في علوم التفسير ، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، حققه وقدم له ووضع فهارسه : فتحي عبد القادر فريد ، (الرياض ، دار العلوم ، الطبعة : بدون ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) ، ص٢٨٢ .

(٣) ينظر : شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، (مصر ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع : بدون) ، ص١٣٣وما بعدها ، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن ، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : علي محمد النجاوي ، (القاهرة ، دار الفكر العربي ، مكتبة الدراسات القرآنية ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع : بدون) ١/ ٣٢٣ ، والتحبير في علوم التفسير ، ص ٢٨٢وما بعدها .

(٤) لا يريد السيوطي أنه مخترع القول فيه ، بل يشير إلى أنه الذي عده من فنون البديع وصرح به في منظومة ، وابن جابر الأندلسي لم يسمه و لم يصرح به في منظومته البديعية ، وهذا شأنه فيما يقول : «وهو من زيادتي» ، فهو

والبديع..." [١] . وفي موضع آخر يقول :

" قلت ومنه الاحتباك يختصر من شقي الجملة ضد ما ذكر

وهو لطيف راق للمـــــقـــتـــبس بـــــينه ابن يوسف الأندلسي

هـــذه الأبيات وما بعدها إلى القسم الثاني كلها من زيادتي –[أي : السيوطيي]– . فمن أنواع البديع الاحتباك... " [٢] . فلو حمل هذا على أنه أول من قال في هذا الفن لناقض الرجل نفسه بنفسه ، كيف يصح وهو الذي أشار في عدة مواضع –إلى الاحـــتباك– فقال : "قل من نبه عليه من أهل البلاغة"[٣] ، وتارة يقول : "لم أره إلَّا في شـــــرح بديعية الأعمى لرفيقة الأندلسي"[٤] ، وتارة يقول : "ذكره الزركشي في البرهان"[٥] ، وأخيرًا يقول : "أفرده بالتصنيف من أهل العصر برهان الدين البقاعي " [٦] ، فالوجه أنه من زيادته في النَّص على إدخاله في فنون البديع ، وليس من زيادته بأنه أول من قال به ، فهو أجلُّ عندي من أن يزعم ذلك .

أمّا ما انفرد بذكره من شواهد الاحتباك فقول الحق ﷻ : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(البقرة: ٢٥٧م) :"والتقدير هنا : الله ولي الذين آمنوا وهم أصحاب الجنة ، والذين كفروا ليس الله لهم بمولى وأولئك أصحاب النار ، فحذف من الأولى ما أثبت نظيره في الأخرى" [٧] .فلم يتبين لي أن أحدًا سبقه إلى القول فيه .

*

– عبدالرحيم العباسي : (٩٦٣هـــ) .

لا يدعي اختراع القول فيه .

(١) التحبير في علوم التفسير ، ص٢٨٢وما بعدها .

(٢) شرح عقود الجمان ، ص١٣٣.

(٣) الإتقان ٢/٦١ .

(٤) الموضع السابق .

(٥) الموضع السابق .

(٦) الموضع السابق .

(٧) التحبير في علوم التفسير ، ص٢٨٢ –هامش رقم : (١) .

أورد العباسي إشارة يصح حملها على الاحتباك ، وذلك في **(معاهد التنصيص على شواهد التلخيص)** ، يقول في بيان قول الشاعر الحارث بن حلزة:

عِيشِي[1] بجدٍّ لا يَضِرْ ... كِ النَّوْكُ[2]ما لاقَيتِ جدًّا

والعَيْشُ خَيْرٌ في ظِلا ... ل النَّوْكِ ممَّن عاش كَدًّا

"والشاهد فيه : الإخلال –إخلال اللفظ بالمعنى المراد- ؛ لكونه غير واف بالمراد ؛ إذ أصل مراده : أن العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل ، ولفظه غير وافٍ بذلك" [3] فقوله : (في ظلال النوك) دلَّ على (ظلال العقل) ، و(العيش الكد) دلَّ على (العيش الناعم) .

*

– إضافات بعض المحدثين :

– الجزائري التونسي : (١٣١٠هـ).

تحدَّث محمد الجزائري عن الاحتباك ، في آية واحدة –فقط- أفرد فيها تأليفًا سمَّاه : **(الماس في احتباك يعجز الجِنَّة والناس في تفسير : ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ﴾**(النور:٣٣، م)) . يقول في ذلك : «في الآية – ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ - أنها في الأصل مركَّبة من أربع جمل ، هكذا : ومن يكرههن فإن الله معذبهم عذابًا شديدًا غاضبًا عليهم ، ومن يكره منهنّ فإن الله لهنّ غفور رحيم بهن . أما تقدير العذاب أو ما بمعناه ففي مقابلة المغفرة ؛ لتقابلهما ، وأما تقدير الشدة فيدل عليه حذف الجزاء الدال على التهويل... وأما تقدير الغضب ففي مقابلة الرحمة ؛ لتقابلهما

---

(١) وورد في الديوان :

فانْعَمْ بجَدٍ لا يَضِرْ ... كَ النُّوْكُ ما أُعْطِيتَ جَدّا

فالنُّوكُ خيرٌ في ظِلا ... لِ العَيْشِ مِمَّنْ عَاشَ كَدًّا

ينظر: ديوان الحارث بن حلزة بن مكروه ، تحقيق : طلال حرب ، (بيروت ، دار صادر ، الطبعة : بدون ، ١٤١٧هـ–١٩٩٦م) ١٦/١ .

(٢) أي : الحمق . ينظر : لسان العرب ، مادة : (ن،و،ك)٥٠١/١٠ .

(٣) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، تأليف : عبد الرحيم أحمد العباسي ، حققه وعلق حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت ، دار الكتب ، الطبعة : بدون ، ١٣٦٧هـ–١٩٤٧م)٣٠٨/١ .

أيضًا ، ففي الحديث القدسي : "إنَّ رَحمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي " [(١)] ، وإنَّما قدرنا (لهن) مقدمًا وحقه التأخير اتباعًا لمصحف ابن مسعود ، وقراءة ابن عباس ﷺ ، وقراءة جابر ﷺ كما في مسلم[(٢)] ، وأمَّا لفظ (بهن) فأخرناه على أصل المعمول ؛ حيث لا معارض ، فهذان كلامان أولهما (وعيد) ، والثاني (وعد) ، وكلاهما مركب من شرط وجزاء ، حذف من الأول عجز جزائه ، وبقي صدره ، كما بقيت الشرطية ، والثاني بالعكس ، فالمحذوف في كلا الكلامين نظير الثابت في الآخر أو ضده ، ويجوز أن يكون المحذوف من الأول جميع جزائه ، والمذكور في الثاني كله»[(٣)] .

*

– أحمد بن إبراهيم موسى : (....).

أشار أحمد بن إبراهيم في (الصيغ البديعي) إلى الاحتباك ، وهو العالم الوحيد -بحسب اطلاعي على أسفار أهل العلم- الذي أشار إلى أنَّ السيوطي أول من نظم فيه حيثُ قال :

وخاتم الرسل وهو المبتدأ وغدا خير النبيين طراً [(٤)] في احتباكهم

ثم ذكر قول السيوطي المتضمن الإشارة إلى أنَّ هذا نوع لطيف لم ينتسب له أحد من أهل هذا الفن ، ولا ذكره أهل البديعيات[(٥)] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴾ ٦/٢٧٤٥ ، رقم : (٧١١٤) ، وبرقم : (٧٠١٥) ، وبرقم : (٧١١٥) كلها من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٢) «حَدَّثَنَا أبو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ وَأبوكُرَيْبٍ جَمِيعًا عَنْ أَبِى مُعَاوِيَةَ - وَاللَّفْظُ لأَبِى كُرَيْبٍ - حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ أَبِى سُفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ كَانَ عبد اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ بْنُ سَلُولَ يَقُولُ لِجَارِيَةٍ لَهُ :اذْهَبِى فَابْغِينَا شَيْئًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ ﴾ لَهُنَّ ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ » . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ ٢٣٢/٤ ، رقم : (٣٠٢٩) .

(٣) الماس في احتباك يعجز الجنة والناس في تفسير قوله : ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ... الآية ﴾ ، تأليف : محمد بن عيسى الجزائري التونسي ، (تونس ، طبعت بالمطبعة الرسمية التونسية ، الطبعة : بدون ، ١٣٠٦هـ-١٨٨٨م) ، ص ٨ وما بعدها .

(٤) طَرَأَ على القوم يَطْرَأُ ، طَرْءًا ، أي: وَرَدَ وأقبل ، وقيل : أتاهم من مكان ، أو طلع عليهم من بلد . ينظر : لسان العرب ، مادة : (ط،ر،أ)١١٤/١ .

(٥) ينظر : الصيغ البديعي في اللغة العربية ، تأليف : أحمد إبراهيم موسى ، (القاهرة ، دار الكتاب العربي ، الطبعة :

والمتضح : أنَّ أصحاب البديعيات أشاروا إلى فن الاحتباك في نظمهم [(١)] ، ولكن لم أعثر على تلك الإشارات ، فهم لم يصرِّحوا بالمصطلح ، والسيوطي هو المصرح ؛ ولهذا قال : «وهو من زيادتي» ، أي : زيادة التصريح به في البديعية .

*

وقد تناول هذا الأسلوب باحثون معاصرون قد عرضت أعمالهم في المقدمة ، ولما لم أجد عند كثير منهم غير العرض والتقريب والتحليل ، آثرت طيَّ الكلام هنا اكتفاءً بما ذكرت هناك .

*

بدون ، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م) ، ص٤٤٢ .

(١) أورده السيوطي (٩١١هـ) ، في (نظم البديع في مدح خير شفيع) ، ودقمان (علي بن محمد بن دقمان الحسيني-٩٤٠هـ) ، (لم يذكر بديعيته) ، والحميدي (عبد الرحمن بن أحمد بن علي الحميدي ١٠٠٥هـ) ، في (تلميع البديع بمديح الشفيع) ، والبربير (أحمد بن عبد اللطيف بن أحمد البربير ١٢٢٦هـ) ، (.... شرحها : نخبة البديع في مدح الشفيع) ، والصلاحي (مصطفى بن عبد الوهاب بن سعيد الصلاحي ١٢٦٥هـ) في (...شرحها : نخبة البديع في مدح الشفيع) ، والأدهمي (عبد القادر بن عبد القادر الحسيني الأدهمي ١٣٢٥هـ) في (ترجمان الضمير في مدح الهادي البشير) ، و(عبد الحميد بن محمد علي قدس ١٣٣٥هـ)في (نور الربيع على نظم البديع) . ينظر : البديعيات في الأدب العربي نشأتها -تطورها وأثرها- ، تأليف : علي أبو زيد ، (بيروت، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ، ص ٢٨٣ .

الباب الثاني :
الاحتباك وشبهه في البيان القرآني من حيثُ السياق ، والصورة ، وأثره في المتلقي ، وفيه :

مدخل ، وتحته :

- **حصر الآيات القرآنية التي قيل فيها بالاحتباك أو شبهه .**

وثلاثة فصول :

- **الفصل الأول :** أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات العقيدة من حيثُ السياق ، والصورة ، وأثره في المتلقي .
- **الفصل الثاني :** أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات الأحكام من حيثُ السياق ، والصورة ، وأثره في المتلقي .
- **الفصل الثالث :** أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات الترغيب والترهيب من حيثُ السياق ، والصورة ، وأثره في المتلقي .

مدخل :

الحذف سنَّة من سنن شجاعة العربية [1] ،وهم "إلى الإيجاز أميل ، وعن الإكثار أبعد " [2] فكيف إذا كان مدلولًا عليه بدليل يدعمه ، ووقوعه في الكلام العالي والعلي لسر يرجحه ، والبحث عن مزاياه وأسراره أدق وأعمق ، فإليه يرجع حسن العبارة في كثير من التراكيب ، وبه تصفو ، ويشتدُّ به أسرها ، ويقوى حَبْكُهَا ، ويتكاثر إيحاؤها ، ويمتلئ مبناها ، وتصير أشبه بالكلام الجواد ، وأقرب إلى كلام أهل الطبع ، وهو من جهة أخرى دليل على قوة النفس ، وقدرة البيان ، وصحة الذكاء ، وصدق الفطرة .

وفي طبع اللغة أن تسقط من الألفاظ ما يدل عليه غيره ، أو ما يرشد إليه سياق الكلام ودلالة الحال ، وأصل بلاغتها في هذه الوجازة التي تعتمد على ذكاء القارئ والسامع ، وتعول على إثارة حسه ، وبعث خياله وتنشيط نفسه ، حتى يفهم بالقرينة ويدرك باللمحة ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير[3] فهو كما قال شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني : " باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر ، أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تبن" [4] .

وبلاغة الحذف تظهر في قول عبد القاهر الجرجاني الذي عوَّل كثيرًا على أهميَّة ملكة الحس والتذوق في تلمس الأسرار والدقائق من وراء كل حذف ، ولم يحدد –لنا تحديدًا

---

(١) سمى ابن جنّي الحذف شجاعة العربية لأنه يشجع على الكلام ، ولأن الشجاعة هي الإقدام ، وذاك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره ، ويتورد ما لا يتورده سواه . ينظر : والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تأليف : أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (بيروت ، المكتبة العصرية ، الطبعة : بدون ، ١٤١٦هـ–١٩٩٥م) ٢٨٤/٢ ، ٣/٢ .

(٢) الخصائص ، تأليف: أبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق:عبد الحميد هنداوي ، (بيروت، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م) ١٢٦/١ .

(٣) ينظر: خصائص التراكيب – دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني – ، لمحمد أبو موسى ، (القاهرة ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م) ، ص١١١ بتصرف يسير .

(٤) دلائل الإعجاز ، ص١٤٦ .

دقيقًا– السر البلاغي للحذف في عدة سياقات –ذكرها– ولكنه بحسه المرهف كان يتذوَّق حلاوة الحذف فيها ويستطعمه ، ولا يعدو حديثه وصف هذا الذي يجده في نفسه وراء هذه الخصوصية ، بل إنه ليشعر أنه لا يستطيع أيضًا وصف ما في نفسه بدقة ، ويطلب منك محاولة أن تحس الذي أحسه ؛ لأنك لا تدرك قيمة ما تجده بالوصف ، وإنما تدركه إذا ذقته ، وهذا صواب ، ثم يرشدك إلى طريقة تعينك على إدراك هذا الأثر ، وذلك بأن تذهب بهذه الخصوصية ، وتذكر المحذوف ، ثم تحاول أن تتعرف على ما تجده في نفسك والأسلوب على الحالة الثانية -صورة التقدير– وفي ضوء هذه الموازنة تستطيع أن تتعرف آثار الحذف[١] فتأمل الآية الواقع فيها الحذف ، وانظر إلى موقعها في نفسك ، وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف فيها ، ثم فليت النفس عما تجد ، وألطفت النظر فيما تحس به . ثم تكلف أن ترد المحذوف وأن تخرجه إلى لفظك وتوقعه في سمعك ، فإنّك تعلم أن الذي قلت كما قلت ، وأن رب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد ... ثم إنك ترى نصْبَةَ الكلامِ وهَيْئَته تروم منك أن تنسى المحذوف وتباعده عن وَهْمِك ، وتجتهد أن لا يدور في خَلَدِك ، ولا يَعْرِض لخاطرك ، وتَرَاك كأنك تتوقاه تَوَقِّي الشيء تكرهُ مكانهُ ، والثقيل تخشى هجومه[٢].ويعقب الدكتور أبو موسى بما نصه :"فلما كان السياق هنا سياق الإدراك البلاغي ، والإشارة اللماحة رأيت عبد القاهر يقرر أنه لا مفر لك إذا أردت التعبير من أن تتحاشى هذا المحذوف ليس في الذكر الخارجي فحسب ، بل في الخطور النفسي ؛ لأن هيئة العبارة وجمال الأسلوب يروم منك ذلك ، ولا يعترض بما يقتضيه الإعراب ؛ لأن هذا سياق وذلك سياق آخر.البلاغة تحتم أن تحذف من نفسك ،والنحو يقرر أن تقدره في لفظك"[٣] .

*

– حصر الآيات القرآنية التي قيل فيها بالاحتباك وشبهه .

م	الآيات الواقع فيها الاحتباك وشبهه
١.	﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الفاتحة:٧،ك) .

---

(١) ينظر : خصائص التراكيب ، ص١٢٨ .

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز ، ص١٥١ بتصرف يسير .

(٣) خصائص التراكيب ، ص١٢٩وما بعدها .

٢.	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (البقرة:٢٦،م).
٣.	﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٩،م) .
٤.	﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(البقرة:٣٨-٣٩،م) .
٥.	﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(٧٣ ، م).
٦.	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة:٨٦،م).
٧.	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(البقرة:٩١،م).
٨.	﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (البقرة:١٠٨،م).
٩.	﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾(البقرة:١٢٠،م).
١٠.	﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة:١٣٤،م).
١١.	﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (البقرة:١٣٥،م)
١٢.	﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(البقرة:١٦٤،م).
١٣.	﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة:١٧١،م) .
١٤.	﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(البقرة:١٨٥،م).
١٥.	﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ (البقرة:٢٠٥،م) .

١٦.	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(البقرة:٢١٦م) .
١٧.	﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(البقرة:٢١٧م) .
١٨.	﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾(البقرة:٢٢٢م) .
١٩.	﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٢٨م).
٢٠.	﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة :٢٣٢م).
٢١.	﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(البقرة:٢٥١م).
٢٢.	﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة:٢٥٧م).
٢٣.	﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(البقرة:٢٦١م) .
٢٤.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة:٢٦٤م).
٢٥.	﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(البقرة: ٢٦٥م).
٢٦.	﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾(البقرة:٢٧٦م).
٢٧.	﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ

الرقم	النص
	﴾(البقرة:٢٨٢م).
.٢٨	﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾(آل عمران :١٣م).
.٢٩	﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾(آل عمران:٣٠م) .
.٣٠	﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾(آل عمران:٣٢م).
.٣١	﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(آل عمران :٣٧م) .
.٣٢	﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾(آل عمران :٥٧م) .
.٣٣	﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾(آل عمران:٩٢م) .
.٣٤	﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾(آل عمران:٩٧م).
.٣٥	﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران:١٠٤-١٠٥م).
.٣٦	﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(آل عمران:١٠٦-١٠٧م).
.٣٧	﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:١١٧م).
.٣٨	﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (آل عمران:١٢٢م).
.٣٩	﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾(آل عمران :١٢٦م).
.٤٠	﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾(آل عمران :١٢٨م).
.٤١	﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾(آل عمران:١٤٠م).
.٤٢	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾(آل عمران:١٤٤م).

٤٣.	﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾(آل عمران:١٦٢،م).
٤٤.	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(آل عمران:١٩٠،م)
٤٥.	﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ . وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾(النساء:١٣-١٤، م).
٤٦.	﴿۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمٗا﴾(النساء:٧٤، م).
٤٧.	﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمٗا . دَرَجَٰتٖ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةٗ وَرَحْمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا . إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء:٩٥-٩٧، م).
٤٨.	﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا .۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (النساء:١٤٧-١٤٨، م).
٤٩.	﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَأَجْرٌ عَظِيمٞ . وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ (المائدة:٩-١٠، م).
٥٠.	﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٞۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾(المائدة:٤١، م).
٥١.	﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(المائدة:٤٤، م) .
٥٢.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٖ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة:٥٤، م).
٥٣.	﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّٗا وَلَا نَفْعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (المائدة : ٧٦، م)

.٥٤	﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(المائدة: ٩٨،م) .
.٥٥	﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾(الأنعام:٥،ك) .
.٥٦	﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾(الأنعام:٦،ك) .
.٥٧	﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾(الأنعام:٩،ك) .
.٥٨	﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(الأنعام:١٧،ك)
.٥٩	﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾(الأنعام:٢٨،ك) .
.٦٠	﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(الأنعام:٣٢،ك) .
.٦١	﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾(الأنعام:٣٣،ك)
.٦٢	﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾(الأنعام:٣٦،ك).
.٦٣	﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾(الأنعام: ٧١-٧٢،ك).
.٦٤	﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾(الأنعام : ٨٠،ك).
.٦٥	﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (الأنعام:٩٢،ك).
.٦٦	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾(الأنعام :٩٥،ك)
.٦٧	﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾(الأنعام: ٩٦،ك).
.٦٨	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام:٩٩،ك).
.٦٩	﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(الأنعام:١٠٥، ك) .
.٧٠	﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾(الأنعام:١٠٧، ك) .
.٧١	﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ

	فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(الأنعام :١٠٨،ك).
٧٢.	﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(الأنعام :١٢٢،ك).
٧٣.	﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(الأنعام:١٢٥،ك).
٧٤.	﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾(الأنعام:١٢٨،ك).
٧٥.	﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الأنعام:١٣٥،ك).
٧٦.	﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾(الأنعام:١٤٨،ك).
٧٧.	﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام:١٥٢،ك).
٧٨.	﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾(الأنعام:١٥٨،ك).
٧٩.	﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾(الأنعام:١٦٤،ك).
٨٠.	﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(الأعراف:٢،ك).
٨١.	﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾(الأعراف:٤،ك).
٨٢.	﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(الأعراف:٢٧،ك).
٨٣.	﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ . فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(الأعراف:٢٩-٣٠،ك).
٨٤.	﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(الأعراف:٤١،ك).
٨٥.	﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ

	عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(الأعراف:٤٤،ك).
٨٦.	﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ (الأعراف:٥٥،ك).
٨٧.	﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾(الأعراف:٥٦،ك).
٨٨.	﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ﴾ (الأعراف:٥٨،ك).
٨٩.	﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (الأعراف:٨٥،ك).
٩٠.	﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ . وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (الأعراف :١٤٦-١٤٧،ك).
٩١.	﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف:١٧٦،ك).
٩٢.	﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴾(الأعراف:١٩٣،ك).
٩٣.	﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(الأنفال:١٠،م)
٩٤.	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾(الأنفال:١٣ ،م)
٩٥.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾(الأنفال:٦٥،م).
٩٦.	﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(الأنفال:٦٦،م).
٩٧.	﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(التوبة:١،م).
٩٨.	﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (التوبة :١٩ ،م) .
٩٩.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (التوبة :٣٨ ،م) .

الرقم	النص
١٠٠.	﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (التوبة: ٤٥،م).
١٠١.	﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾(التوبة:٥٢،م).
١٠٢.	﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة:١٠٢،م).
١٠٣.	﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(التوبة:١٠٦،م).
١٠٤.	﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (التوبة:١٠٩،م).
١٠٥.	﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (التوبة:١٢٤-١٢٥م).
١٠٦.	﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾(يونس:٣٥،ك).
١٠٧.	﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾(يونس:٤٦،ك).
١٠٨.	﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (يونس:٦٧،ك)
١٠٩.	﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾(يونس:٧٧،ك).
١١٠.	﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(يونس:١٠٣،ك) .
١١١.	﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (يونس:١٠٧،ك).
١١٢.	﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(هود:٤،ك).
١١٣.	﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾(هود: ١٢،م).
١١٤.	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴾(هود: ٢٠،ك).
١١٥.	﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ (هود:٣٥،ك).
١١٦.	﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(هود:٤٨،ك).
١١٧.	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ

	وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (يوسف:٢١،ك)
١١٨.	﴿ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ (يوسف:٣٨،ك).
١١٩.	﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴾ (يوسف:٤١،ك).
١٢٠.	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ (يوسف:١١٠،ك).
١٢١.	﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ (الرعد:٧،م)
١٢٢.	﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾(الرعد:١٠،م).
١٢٣.	﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾(الرعد:١٢،م).
١٢٤.	﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴾ (الرعد:٢٧،م).
١٢٥.	﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴾(الرعد:٤٠،م) .
١٢٦.	﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾(إبراهيم: ٧،ك).
١٢٧.	﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (إبراهيم:٢٢،ك).
١٢٨.	﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ (إبراهيم:٢٤،ك)
١٢٩.	﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ (إبراهيم:٢٧،ك).
١٣٠.	﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴾ (إبراهيم:٢٨،ك).
١٣١.	﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ . وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ . فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾ (الحجر:٧٦-٧٩،ك).
١٣٢.	﴿ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾(النحل :٧،ك) .
١٣٣.	﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾(النحل:٩،ك).
١٣٤.	﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ

	فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ (النحل: ٣٦،ك).
١٣٥.	﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ (النحل: ٥٠،ك) .
١٣٦.	﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (النحل:٦٣،ك).
١٣٧.	﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ (النحل:٦٧،ك).
١٣٨.	﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾(النحل:١٢٥،ك).
١٣٩.	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾(النحل:١٢٨،م).
١٤٠.	﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ . وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ﴾ (الإسراء:١-٢،ك).
١٤١.	﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴾(الإسراء:٢٥،ك) .
١٤٢.	﴿ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴾(الإسراء:٤٠،ك).
١٤٣.	﴿ يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا . وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾(الإسراء:٧١-٧٢،ك).
١٤٤.	﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴾(الإسراء:٩٧،ك).
١٤٥.	﴿ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا . مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا . وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴾ (الكهف :٢-٤،ك).
١٤٦.	﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴾ (الكهف:١٧،ك).
١٤٧.	﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴾ (الكهف:٥٥،ك).
١٤٨.	﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴾ (الكهف:٧٨،ك).
١٤٩.	﴿ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا . وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴾(مريم:٧٥-٧٦،ك).
١٥٠.	﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴾ (مريم:٨٥-٨٦،ك).

الرقم	الآية
١٥١.	﴿ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴾ (طـه:٢٢،ك).
١٥٢.	﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي . ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ (طـه:٤٢-٤٣،ك).
١٥٣.	﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴾ (طـه:٨٦،ك).
١٥٤.	﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ . أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴾ (طـه:٩٢-٩٣،ك).
١٥٥.	﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾(الأنبياء :٥ ،ك)
١٥٦.	﴿ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ (الأنبياء:٩،ك).
١٥٧.	﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴾(الحج:١٨،م)
١٥٨.	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾ (الحج:٢٣،م)
١٥٩.	﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾ (الحج:٣١،م)
١٦٠.	﴿ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴾ (الحج:٣٢،م)
١٦١.	﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ . وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ (الحج :٥٦-٥٧،م)
١٦٢.	﴿ ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴾ (الحج:٦٠،م)
١٦٣.	﴿ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (النور:٣٣،م)
١٦٤.	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴾(الفرقان:٤٧،ك)
١٦٥.	﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾(الشعراء:٦، ك)
١٦٦.	﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾(الشعراء:٦٣،ك) .
١٦٧.	﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ (النمل:١٢،ك)
١٦٨.	﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾(النمل:٥٠،ك)

١٦٩.	﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾(النمل :٨٦،ك)
١٧٠.	﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ .وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾(النمل:٨٩-٩٠،ك)
١٧١.	﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾(القصص:٤،ك)
١٧٢.	﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ﴾ (القصص :٥-٦،ك)
١٧٣.	﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ (القصص:٧،ك)
١٧٤.	﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ (القصص:١٢،ك)
١٧٥.	﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ (القصص:٣٢،ك)
١٧٦.	﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(القصص:٥٠،ك)
١٧٧.	﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾ (القصص:٦٣،ك)
١٧٨.	﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ .قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ (القصص:٧١-٧٢،ك)
١٧٩.	﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾(القصص :٧٣،ك)
١٨٠.	﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ (العنكبوت:٣،م)
١٨١.	﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ (العنكبوت:١١،م)
١٨٢.	﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ .خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(العنكبوت:٤٣-٤٤،ك) .
١٨٣.	﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (العنكبوت:٦٩،ك)
١٨٤.	﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ . وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ (الروم:١٧-١٨م،ك)

١٨٥.	﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (الروم:٢٣،ك)
١٨٦.	﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الروم:٢٤،ك)
١٨٧.	﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ (الروم: ٤٤،ك)
١٨٨.	﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (الروم:٤٥،ك)
١٨٩.	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(الروم:٤٧،ك)
١٩٠.	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾(لقمان:١٢،ك) .
١٩١.	﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ . وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (لقمان:٢٢-٢٣،ك)
١٩٢.	﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان:٢٧،م)
١٩٣.	﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾(لقمان:٣٢،ك)
١٩٤.	﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾(الأحزاب:٤،م)
١٩٥.	﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾(الأحزاب:٦ م)
١٩٦.	﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الأحزاب:٨،م)
١٩٧.	﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الأحزاب:١٢ ،م)
١٩٨.	﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (الأحزاب:١٧ ،م)
١٩٩.	﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب:٢٤،م)
٢٠٠.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٠ ،م)

٢٠١.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب:٥٣، م)
٢٠٢.	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (الأحزاب:٥٦، م)
٢٠٣.	﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾(الأحزاب:٦٣، م)
٢٠٤.	﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴾(الأحزاب:٧٣ ،م)
٢٠٥.	﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾(سبأ:١،ك)
٢٠٦.	﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴾(سبأ:٨،ك)
٢٠٧.	﴿ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴾(سبأ:٥٠،ك)
٢٠٨.	﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾(فاطر:١٠،ك)
٢٠٩.	﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾(فاطر: ١٣،ك)
٢١٠.	﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ . وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ .وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ﴾(فاطر:١٩-٢١،ك)
٢١١.	﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾(فاطر:٣٣،ك)
٢١٢.	﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾(فاطر:٤٠،ك)
٢١٣.	﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾(يس: ١٢،ك)
٢١٤.	﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾(يس:٢٢،ك)
٢١٥.	﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾(يس:٤٠،ك)
٢١٦.	﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾(يس:٦٥ ،ك)
٢١٧.	﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (يس:٧٠ ،ك)
٢١٨.	﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾(يس:٧٩ ،ك)

٢١٩.	﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾(ص:٢٨ ، ك)
٢٢٠.	﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ . وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾(ص:٤٦-٤٧ ،ك)
٢٢١.	﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ . جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ . مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ . ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ . هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ . إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ . هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ (ص:٤٩-٥٥،ك)
٢٢٢.	﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾(ص:٦٣ ،ك)
٢٢٣.	﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(ص:٧٤،ك)
٢٢٤.	﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ (ص:٧٥،ك)
٢٢٥.	﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾(الزمر:٣ ،ك)
٢٢٦.	﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(الزمر:٩،ك)
٢٢٧.	﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(الزمر:٢٢،ك)
٢٢٨.	﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر: ٢٣،ك)
٢٢٩.	﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (الزمر:٢٤، ك).
٢٣٠.	﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر:٢٦،ك).
٢٣١.	﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ . وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر:٣٢-٣٣ ،ك)
٢٣٢.	﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر:٤٢،ك)
٢٣٣.	﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣،م)
٢٣٤.	﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾(الزمر: ٧٠ ،ك)
٢٣٥.	﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ

	عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(الزمر:٧١،ك)
٢٣٦.	﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ . وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(غافر:٨-٩ ،ك)
٢٣٧.	﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾(غافر:٢٨ ،ك)
٢٣٨.	﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾(غافر:٣٩ ،ك)
٢٣٩.	﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(غافر:٤٠ ،ك)
٢٤٠.	﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾(غافر:٤١ ،ك)
٢٤١.	﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴾(غافر :٤٢،ك)
٢٤٢.	﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (غافر:٥٨،ك)
٢٤٣.	﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾(غافر:٦٠،ك)
٢٤٤.	﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (غافر:٦١ ،ك)
٢٤٥.	﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (غافر:٦٤،ك)
٢٤٦.	﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ . مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (غافر:٧٣-٧٤ ،ك)
٢٤٧.	﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ (غافر:٧٧ ،ك)
٢٤٨.	﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (غافر:٨٣،ك)
٢٤٩.	﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (فصلت:١٢،ك)
٢٥٠.	﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (فصلت:١٧،ك)
٢٥١.	﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت:٣٤ ،ك)

الرقم	الآية
٢٥٢.	﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴾(فصلت :٣٨،ك)
٢٥٣.	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (فصلت:٤٠،ك)
٢٥٤.	﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (فصلت :٤٤ ،ك)
٢٥٥.	﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾ (فصلت:٥١ ،ك)
٢٥٦.	﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾(فصلت :٥٢ ،ك)
٢٥٧.	﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ (الشورى:٧،ك)
٢٥٨.	﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (الشورى:٨ ،ك)
٢٥٩.	﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (الشورى:١٨،ك)
٢٦٠.	﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ (الشورى:٢٢ ،ك)
٢٦١.	﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾(الشورى:٢٦،ك)
٢٦٢.	﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴾(الشورى:٤٨ ،ك)
٢٦٣.	﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الشورى:٥١،ك)
٢٦٤.	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ . وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (الزخرف:٣٨-٣٩،ك)
٢٦٥.	﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾(الزخرف:٥١-٥٢،ك)
٢٦٦.	﴿ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ . وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (الجاثية:٣-٤ ،ك)
٢٦٧.	﴿ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ (الجاثية:١١،ك)

٢٦٨.	﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ١٢-١٣،ك)
٢٦٩.	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ . وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (الجاثية: ٣٠-٣١،ك)
٢٧٠.	﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الأحقاف: ٤،ك)
٢٧١.	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأحقاف: ١٠،م)
٢٧٢.	﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (الأحقاف: ١٢،ك)
٢٧٣.	﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (محمد: ١-٢،م)
٢٧٤.	﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ (محمد: ١٢،م)
٢٧٥.	﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾ (محمد: ١٤، م)
٢٧٦.	﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (محمد: ١٥،م)
٢٧٧.	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤،م)
٢٧٨.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٣،م)
٢٧٩.	﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٦،م)
٢٨٠.	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ١٠،م)
٢٨١.	﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الفتح: ٢٦،م)
٢٨٢.	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ

	رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات:٤-٥،م)
٢٨٣.	﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ (الحجرات:٧،م)
٢٨٤.	﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(الحجرات :١٤،م)
٢٨٥.	﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (الطور:٣٢،ك)
٢٨٦.	﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ . وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ . أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾(النجم :١٩-٢٢،ك)
٢٨٧.	﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾(النجم :٣١،ك)
٢٨٨.	﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ . وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾(القمر:٢-٣،ك)
٢٨٩.	﴿ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴾(القمر:٣٥،ك)
٢٩٠.	﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴾ (القمر:٤٣،ك)
٢٩١.	﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾(الرحمن:٧٨ ،م)
٢٩٢.	﴿ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾(الواقعة:٥٩،ك)
٢٩٣.	﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ (الواقعة:٦٤،ك)
٢٩٤.	﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ (الواقعة:٦٩،ك)
٢٩٥.	﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ . لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾(الواقعة:٦٩-٧٠، ك)
٢٩٦.	﴿ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾ (الواقعة:٧٢،ك)
٢٩٧.	﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ . لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الحديد:١-٢، م)
٢٩٨.	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾(الحديد:١٩،م)
٢٩٩.	﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾(الحشر:١١،م)
٣٠٠.	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (الممتحنة:٦،م)
٣٠١.	﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ . هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾(الصف:٨-٩، م) .

٣٠٢.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾(الصف:١٤، م)
٣٠٣.	﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(المنافقون: ١٠،م)
٣٠٤.	﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ . وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(التحريم : ١٠-١١،م)
٣٠٥.	﴿ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (الملك:٢٢،ك)
٣٠٦.	﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ (الملك :٢٨ ،ك)
٣٠٧.	﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ .خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴾ (القلم:٤٢-٤٣،ك)
٣٠٨.	﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ . لَمَجۡنُونٞ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (القلم:٥١-٥٢، ك)
٣٠٩.	﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ . فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ . وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ . سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ . وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ . فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ﴾(الحاقة:٤-١٠، ك)
٣١٠.	﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾(نوح:١٧، ك)
٣١١.	﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴾(نوح:٢٨،ك)
٣١٢.	﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾(الجن:٥ ،ك)
٣١٣.	﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴾ (الجن:١٠،ك)
٣١٤.	﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴾ (الجن:١٤،ك)
٣١٥.	﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا .وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴾(الجن:١٤-١٥،ك)
٣١٦.	﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴾ (الجن:٢١،ك)
٣١٧.	﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾ (المزمل:٨،ك)
٣١٨.	﴿كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ . إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ . فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ (المدثر:٣٨-٤٠، ك)
٣١٩.	﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ . وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ (القيامة:٢٠-٢١، ك)

٣٢٠.	﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ . وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ . تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (القيامة:٢٣-٢٥،ك)
٣٢١.	﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ (الإنسان:١٣، م)
٣٢٢.	﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾(الإنسان:٢٧،م)
٣٢٣.	﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الإنسان:٣١،م)
٣٢٤.	﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا .وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾(النبأ:١٠-١١، ك)
٣٢٥.	﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا﴾ (النبأ:٢٩،ك)
٣٢٦.	﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾(النازعات:٢٩،ك)
٣٢٧.	﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ . وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا . فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ (النازعات:٣٧-٤٠،ك)
٣٢٨.	﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ . فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ . وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ . وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ . وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ (عبس:٥-٩ ،ك)
٣٢٩.	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ .وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ .تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾(عبس:٣٨-٤١،ك)
٣٣٠.	﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ .وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ (التكوير:١٢-١٣،ك)
٣٣١.	﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ .ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ .وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ (التكوير:١٥-١٧،ك)
٣٣٢.	﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ .وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾(المطففين:٢-٣،ك)
٣٣٣.	﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ .وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ .كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ .وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ .ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ .وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ .إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ .كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ .كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ .ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ .ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ .كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ .وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ .كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ .يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾(المطففين٧-٢١،ك)
٣٣٤.	﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ .فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا .وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا .وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾(الانشقاق:٧-١٠،ك)
٣٣٥.	﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا .وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا .وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ .فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا .وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا .إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ (الانشقاق:٨-١٣،ك)
٣٣٦.	﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ .وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى .ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ (الأعلى:١٠-١٢،ك)
٣٣٧.	﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ . ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ . قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾(الأعلى:١٢-١٥،ك)
٣٣٨.	﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا . وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ (الأعلى:١٧-١٨،ك)
٣٣٩.	﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾(الغاشية:٧،ك)

٣٤٠.	﴿كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ . وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ (الفجر:١٧-١٨،ك)
٣٤١.	﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ . أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾ (البلد:١٥-١٦،ك)
٣٤٢.	﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ (الشمس:٨،ك)
٣٤٣.	﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ (الليل:٣،ك)
٣٤٤.	﴿ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ . وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى . ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ (الليل:١٦-١٨،ك)
٣٤٥.	﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ . ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ . إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ (التين:٤ -٦،ك)
٣٤٦.	﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ . أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ . أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ . أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ (العلق:١١-١٤،ك)
٣٤٧.	﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ . وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ . فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾(القارعة:٧-٩،ك) .
٣٤٨.	﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ . حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ . كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ .﴾ (التكاثر :١-٤ ،ك) .
٣٤٩.	﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ . وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾(الماعون:٢-٣،ك) .
٣٥٠.	﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾(النصر:٣، م) .

*

الفصل الأول : أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات العقيدة من حيثُ : السياق ، والصورة، وأثره في المتلقي

الفصل الأول : أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات العقيدة من حيثُ : السياق ، والصورة ، وأثره في المتلقي .

احتلَّ وقوع الاحتباك وشبهه في آيات العقيدة مكانة وسطًا بين وقوعه في آيات الأحكام وآيات الترغيب والترهيب ، فقد بلغ عدد مواضعه : (مائة وتسعة وثلاثين) موضعًا ، فالمعاني التي ركَّز عليها الاحتباك -هنا- تمثَّلت في إيضاح مقاصد ؛ أولها : إبراز أدلة وحدانية الله وعجز الآلهة من دونه ، وثانيها : إبراز أدلَّة قدرة الله وإثبات عظمته ، وثالثها : إثبات الوحي والرسالة ، و رابعها : تحميد الله وتمجيده وتنزيهه .

المبحث الأول : أدلة وحدانية الله وعجز الآلهة من دونه .

المطلب الأول:إثبات حنيفية إبراهيم ونفي الشرك.

- القول بالاحتباك.

في قول الحق ﷻ : ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾(البقرة: ١٣٥م) .احتباك ،فالمحذوف من الطرف الأول(تهتدوا) ؛لدلالة ذكر﴿تَهۡتَدُواْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (كونوا) ؛ لدلالة ذكر﴿كُونُواْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وقالوا كونوا هودًا تهتدوا ، أو كونوا نصارى تهتدوا .

وسرّه : أن ذلك دالٌّ على اختلاف مذاهبهم ، وتعدد سبل الباطل وتشعبها ، ولعله أيضًا سر اقتضاه الحذف ؛ لأنَّ من لم يكن يهوديًّا لا يراه اليهود مهتديًا ، ومن لم يكن نصرانيًّا لا يراه النصارى مهتديًا .

ومثله في تبصر قول الحق ﷻ : ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾(البقرة: ١٢٠م) . على تقدير : "ولن ترضى عنك اليهود حتى تتبع ملتهم ، ولا النصارى ترضى عنك حتى تتبع ملتهم" [١] ؛ إذ حذف من الأول : (تتبع ملتهم) لدلالة مثله عليه ثانيًا ، ومن الثاني : (ولن ترضى عنك) لدلالة مثله عليه أولًا ، فعمل الاحتباك -في الموضعين- على تقوية المراد ، وهو تقرير الملة الحنيفية ونفي الشرك[٢] ؛ كما أنَّ فيه مزيد تأكيد إلى أنَّ الملة الصحيحة ملة واحدة وهي :

(١) الاحتباك في القرآن الكريم -دراسة بلاغية- عدنان عبد السلام أسعد ، (ماجستير) ص٩١ .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

﴿ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا[١] وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ .

فمنشأ الاحتباك في الموضعين قائم على مراعاة أوجه التناظر بين طرفي النظم ، وهذا التناظر لم يبرز حسنه إلَّا بالوقوف عند تمام الآية التي تدعو إلى تنمية أساس الفطرة ، واتباع أصل العقيدة ، وهي ملة إبراهيم عليه السلام حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ، وبتدبر سياق السورة تتضح دلائل الدعوة إلى الإيمان ؛ إذ إن مقصدها الأعظم تمثل في "إقامة الدليل على أنَّ الكتاب هدى ؛ ليُتبع في كل ما قال ، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب"[٢] ، وهذا يُعضد القول بالاحتباك ويسعى لإبراز حسنه ؛ لتحقق براهين الدعوة إلى اتباع الملة الحنيفية ؛ كي يَعلم البشر حسن الاتباع لها والارتقاء فيها ، وهذا دافعٌ عليٌّ يُوجب التخلي عن لزوم سائر الملل سواها . أمّا السياق القريب فأسهم في بروز الاحتباك من خلال تثبيت دعائم الدعوة إلى صرف العبادة لله رب العالمين : ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾(البقرة: ١٣٣،م) . فمن اتبع فأجره على الله ، ومن كفر فعلى نفسه : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡ ﴾(البقرة: ١٣٤،م) .

أمّا ما حققه الاحتباك في النظم فهو عون للمرء يدفعه إلى التبصر في عقيدته والعمل على معاهدة تنمية فطرته السوية ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ﴾(الروم: ٣٠،ك) ، واتباع الملة الحنيفية التي أصلها الاجتماع على دين الحق ، لا ما يدعو إليه أهل الأديان الأخرى من يهودية ونصرانية . كما أنَّ في المحافظة على منهاجه وشرائعه سعادة يعلو بها صرح رضا ربه ويفوز برضوانه ، أمّا سائر الملل والأديان -من يهودية ونصرانية وغيرها- فإنها طريق الاختلاف لا الاجتماع ، والتفرق لا الوحدة ، فأين الهداية منها إذن؟![٣] ، لذا فحمل النظم على الاحتباك حسن ؛ لما حققه من الكشف عن طعن اليهود والنصارى بعضهم في دين بعض ، حيثُ زعموا أنه لن

---

(١) مختصر مدلول الحنيفية : أنَّ الملة ما أظهره نور العقل من الهدى في ظلم ما التزم ه الناس من عوائد الدنيا ، فكان أتم ما أبداه نور العقل ملة إبراهيم لينًا قابلاً للاستقامة ، منقادًا للحق ، مسلمًا أمره إليه ، لا يتوجه إليه شيء من الغشاوة والكثافة والجمود التي تلزم العصيان ؛ لكون مادة : (ح،ن،ف) تدور على الخفة واللطافة ، ويلزم هذا المعنى الانتشار وسهولة الانقياد ، فالحنف : المائل عن متغير ما عليه الناس عادة إلى ما تقتضيه الفطرة حنان قلب إلى صدق حسه الباطن . ينظر : تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير ، ص٢٦٥ .

(٢) نظم الدرر ١/٥٥ .

(٣) ينظر : جامع البيان ١/٥٦٤ بتصرف .

يدخل الجنة غيرهم [١] . وفيه إشارة إلى أنَّ للبيان القرآني جمالاً ذا وجوه عدة يفهم من سياقه .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(التوبة:١،م) ، احتباك[٢] ، المحذوف من الطرف الأول (منكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني (عاهد الله ورسوله) ؛ لدلالة ذكر ﴿عَٰهَدتُّم﴾ في الطرف الثاني . وتقديره :"براءة من الله ورسوله ومنكم ، إلى الذين عاهد الله ورسوله وعاهدتم من المشركين"[٣] . وسرّه أنَّ ذلك أدل على تحقق البراءة منهم بهجرانهم مطلقًا .

فالأولى بمقام الخطاب ودلالة السياق حمل النظم على الاحتباك ؛ لما احتواه من ترسيخ مبدأ جليل من مبادئ العقيدة تمثل في مراعاة حق الدين في الولاء والبراء ، وهذا المقصد الجليل هو الأصل الذي انبنت عليه السورة بكليتها ؛ إذ إن مقصودها متحقق في "معاداة من أعرض عن الدعوة إلى الله في توحيده ، واتباع ما يرضيه ، وموالاة من أقبل عليه " [٤] ، فهذا من أعظم المقاصد التربوية التي يحققها الحذف في النظم ؛ لأنَّ البراءة من الشرك تتمثل في أنها تجمع كل شرك ونفاق دقيق أو جليل فتعمل على إزالته [٥] ، وفي إعلام البشر بذلك نعمة عليّة تعلمهم أنَّ الانضمام إلى حيِّز أهل الشرك نقصان يُضْعِفُ الإيمان ويزلزله " فمن دُعِي إلى الله فأجاب ، ودُعِي إلى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى ، أمّا النبذ فإنما هو البراءة واللعنة"[٦] . فالقاعدة الأهم من فهم دلالة الاحتباك تتحقق في إعلام المشركين خاصة أن العهود التي تقام بينهم إنما هي لأجل المؤمنين ، " أما الله ورسوله فغنيان عن ذلك ، أما الله فبالغنى المطلق ، وأما الرسول ﷺ فبالذي اختاره للرسالة ؛ لأنه ما فعل ذلك به إلَّا وهو قادر

---

(١) ينظر : البحر المحيط١/٤٠٧ بتصرف .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير١٠/١٠٥ .

(٣) الموضع السابق .

(٤) نظم الدرر ٨/٣٥٠ .

(٥) ينظر : المرجع السابق٨/٣٥٣ .

(٦) المرجع السابق ٨/٣٥٩ .

على نصره بسبب وبغير سبب " [١] ، كما تحقق تأكيد أنَّ المسلمين لا يعملون عملاً إلَّا عن أمر من الله ورسوله [٢] . وفي تدبر فاتحة السورة بـــ ﴿ بَرَآءَةٌ ﴾ إشارة عظمى تضمَّنت معاني الوعيد ونقض العهود ، وهذا يُثبت للبشر أهمية الحرص على موالاة الأولياء ومعاداة الأعداء ، فالكفار في محل البعد عن كل خير [٣] ، فانتفت صفة الأمان منهم ؛ لذا لم يتحقق في مفتتحها ذكر بسم الله ؛ "لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان" [٤] ، فَوَجَبَ على أهل الأرض قاطبة التبرؤ من الشرك وأهله ؛ لأنه بالبراءة تتعمق ويتمكن في النفوس أجل معاني الإيمان ، وهذا من أرفع مقامات التصعيد الإيماني .

*

وفي آية أخرى يقول تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾(فاطر : ٤٠،ك) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ احتباك ، حذف أولًا الاستفهام عن الشركة في الأرض ؛ لدلالة مثله في السماء عليه ، وحذف ثانيًا الأمر بالإرادة ؛ لدلالة مثله في الأرض عليه [٥] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (ألهم شرك في الأرض) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (أروني ماذا خلقوا في السموات) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ألهم شرك في الأرض ، أروني ماذا خلقوا منها ، أم لهم شرك في السموات ، أروني ماذا خلقوا فيها . وسرّه : أنه نفى أهم الصفات الموجبة للألوهية عن شركائهم ؛ لانتفاء استحقاقهم العبادة ، " فذكر ما هو أفحم للخصم أولًا ، وما هو أقرع له ثانيًا ، وحذف ما لا يستطيعون إثباته أولًا ، وما لا يقدرون على الإقرار به ثانيًا "[٦] . ويدخل

---

(١) المرجع السابق ٣٦٢/٨ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير١٠٥/١٠ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٣٥٨/٨ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٦٢/٨ .

(٥) ينظر : نظم الدرر٦٩/١٦ .

(٦) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه-أسراره ، ص٢٣٥ .

ضمن هذا النمط التركيبي من حيثُ الناتج الدلالي من وراء الحذف صورة أخرى[١] .

فمن خلال التركيب العام للاحتباك برز المقصد الأعظم ، وهو : إثبات وحدانية الله ﷻ ، وكمال قدرته ، ومطلق علمه ؛ لتعريف العباد بالاختراع والخلق من جانب ، ولإشهادهم عجز شركائهم ونقص مَن عبدوه من دون الله من جانب آخر [٢] ، فنتج عن ذلك ركن مهم من أركان العقيدة ؛ لإبعاد البشرية عن الشرك ، وفي هذا رد على كل من عبد غير الله ؛ لأنهم لا يجدون في كتاب من الكتب أن الله أمر أن يعبد غيره[٣] ؛ حثًّا للقلوب الغافلة على تَبَصُّرِ حقيقة جهلهم بربهم ، والذي يهدي إليه السياقان البعيد والقريب يُعضدان القول بالاحتباك ؛ البعيد سعى " لإثبات القدرة الكاملة لله اللازم منها تمام القدرة على البعث" [٤] ، والقريب أسهم في إثبات صفات النقصان لكل من عبد من دون الله ؛ ليؤكد للمشركين وشركائهم ما يلحقهم من المهانة والاحتقار ، وهذا -بلا شك- أبلغ في الدلالة على تحقق التوحيد ،ووجود الخالق ، وبطلان الشرك ، والشركاء ، بحيث يراهم كل من يقصد رؤيتهم ويعلم أنه لا خلق لهم ، والله تعالى ، بخلاف ذلك في كل من الأمرين ، مرتدٍ برداء الكبر ، محتجب بحجاب الجلال والعز ، وكل أحد يعلم أنه خالق لكل مخلوق[٥] . فالمعاني الجوهرية كشفت عن أصل النظم ، لتُحقق وسائل إقناع المشركين أبلغ إقناع وأحكمه ، وإقامة الحجة عليهم ؛ ليتعرفوا على ربهم إقرارًا له بالوحدانية ، وإخلاصًا له في العبادة . ولكنّ وراء الحذف مقاصدَ عِظَامًا تدعو إلى معرفة الله كما وصف نفسه وعَرَفَهُ

---

(١) في قول الحق ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (الأحقاف:٤، م) . احتباك «ذكر الخلق أولاً دليلاً على حذفه ثانياً ، والشركة ثانياً دليلاً على حذفها أولاً » . نظم الدرر١٢٤/١٨ . وتقديره : أم لهم شرك في الأرض ، أروني ماذا خلقوا منها ، ليصح ادعاؤهم أنهم شركاء فيها ، أم لهم شرك في السموات ، أروني ماذا خلقوا فيها ليصح ادعاؤكم فيهم . ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه-أسراره ، ص٢٣٣ .

فالسياق العام يدعو إلى إنذار الكافرين من هول يوم القيامة وشدته ؛ للدلالة على تحقق صدق الوعد الدالِّ على أنَّ الله وحده لا شريك له ، المستحق للعبادة ، والخاص تحقق فيه من إبطال إلهية ما ادعوه من آلهة ؛ ليثبت أن ذلك لا يكون إلا لله رب العالمين . ينظر : نظم الدرر١١٨/١٨-١٢٣بتصرف .

(٢) ينظر : المرجع السابق٦٨/١٦ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٣٥٦/١٤ .

(٤) نظم الدرر ١/١٦ .

(٥) ينظر : المرجع السابق٦٩/١٦ .

الأصفياء ؛ كي تُصرف الوحدانية إليه برهانًا قاطعًا ودليلاً ظاهرًا . وثمة لطيفة أخرى تلحظ من أثر الحذف في النظم تشير إلى إعلام الكافرين بعجز شركائهم ، ونقص عقولهم في مساواتهم غير الله بالله ، وفي هذا مزيد تنبيه لحقارة صنيعهم ، فكيف يكون من لا يخلق كمن يخلق؟! ، وهذا أنبل عطاءً في فهم المراد ؛ لكون الركنين المحذوفين أسهما أولًا في نفي أن يكون لهم شريك في الأرض التي يمشون عليها ؛ لقربهم منها بطريق الاستفهام ، وهذا مقابل للاستفهام في ﴿أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ ، والثاني في نفي صلاحية أن يكونوا آلهة (أروني ماذا خلقوا من السموات) بطريق الاستفهام –أيضًا– ، وهذا مقابل لـــ ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ ، والغاية من ذلك الحث على تأمل موضع الحذف بقلوب يقظة ؛ ليزداد الإيمان في القلب فيقوى ، ويزداد العلم في العقل فينمو .

ومن أبرز دقائق النظم بجانب الاحتباك بلاغة الأمر في ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ "فإنه أمر للتعجيز ؛ إذ لا يستطيعون أن يُرُوه شيئًا خلقته الأصنام ، فيكون الأمر التعجيزي في قوة نفي أن خلقوا شيئًا ما"[1] ، ثم بلاغة الاستفهام في ﴿أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾"(أم) منقطعة للإضراب الانتقالي ،وهي تؤذن باستفهام بعدها ، والمعنى :بل ألهم شرك في السموات "[2] . ثم إيثار التعبير بـــ﴿خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ، "وذلك لأن مَقَرَّ الأصنام في الأرض ، وكان من الراجح أن تتخيَّل لهم الأوهام تصرفًا كاملاً في الأرض ، فكأنهم آلهة أرضية ... فكانوا أشباهًا لهم ، فلذلك قيل لأشباههم في الإشراك: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ، أي : فكان تصرفهم في ذلك تصرف الخالقية . فأما السماوات فقلما يخطر ببال المشركين أنَّ للأصنام تصرفاً في شؤونها ، ولعلهم لم يدّعوا ذلك ، ولكن جاء قوله :﴿أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ مَجيء تكملة الدليل على الفرض والاحتمال ، وقد كانوا ينسبون للأصنام بنوة لله تعالى "[3] . ثم دلالة الطباق بين ذكر الأرض والسماء في أنهم لم يخلقوا من الأرض شيئًا ، فكيف يمكنهم مثل ذلك في السماء؟! ، ثم إنهم لم يكن لهم شريك في السماء يجلب لهم ما يتمنون ، فكيف يكون لهم مثله في الأرض حتى يستحقوا الإلهية والشركة؟![4] .

---

(١) التحرير والتنوير ٣٢٥/٢٢ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) الموضع السابق .

(٤) ينظر : في ظلال القرآن٢٩٤٨/٢٢بتصرف .

*

وفي قول الحق ﷻ :﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ (يس:٢٢،ك) ، احتباك ، "حذف (وإليه راجع) أولًا لما دلَّ عليه ثانيًا ، وإنكاره عليهم ثانيًا بما دلَّ عليه أولًا من إنكاره على نفسه "[١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (وإليه راجع) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (وما لكم لا تعبدون الذي فطركم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ في الطرف الأول . وقيل: الأصل فيه : "وما لي لا أعبد الذي فطرني وفطركم وإليه ترجعون وأرجع "[٢] . والأعلى منه : "وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه راجع ، وما لكم لا تعبدون الذي فطركم وإليه ترجعون"[٣] ؛ لأن نسبة الأول للثالث أقوى في الدلالة على المقصود من نسبة الأول للثاني ، وكذا فنسبة الثاني للرابع أقوى من نسبة الثالث للرابع ؛ لذا فالأعلى بمقام الخطاب والأليق بالسياق وقرائن الأحوال التقدير الثاني .

وسرّه أنه ذكر ما يقوي الإيمان في نفسه ويبطل الكفر في نفس المعرضين عن الحق استجلابًا لهم بإظهار الإنصاف ، والبعد عن التصريح بالخلاف ، وفيه تنبيه لهم على موجب الشكر ، وتهديد على ارتكاب الكفر[٤] .

فالقول بالاحتباك يشكّل أثرًا قويًّا في ترسيخ حقيقة المبدأ والمعاد لله رب العالمين ، وهذا ما اقتضاه السياق ؛ لأنَّ في تدبر دلالة السورة بيانًا عليًّا يقرر في النفوس عِظم الدعوة إلى التوحيد ، فمقصدها الأعظم "إثبات الرسالة التي هي روح الوجود ، وقلب جميع الحقائق ... وجل فائدة الرسالة إثبات الوحدانية -التي هي قلب الاعتقاد ، وخالصه وعموده- للعزيز الرحيم"[٥] ، فثبت بالحذف مزيد تأكيد الدعوة إلى اتباع الرسل في عبادة الله ؛ لإبعاد البشر عن الشرك ، وهذا ما أبرزته دلالة السياق العام ؛ لما احتوته من تقرير أمر الرسالة التي

---

(١) نظم الدرر ١١١/١٦ .

(٢) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : بدون ، ١٣٩٧هـ-١٩٧٦م)٣/ ٣٢١ .

(٣) روح المعاني ٢٢٧/٢٢ .

(٤) ينظر : نظم الدرر١١١/١٦ .

(٥) المرجع السابق ٨١/١٦ .

من أجلِّ مقاصدها الإيمان بالبعث ، فبه يكون صلاح القلوب وفسادها ؛ إذ إنَّ في الاتباع سعادة أبدية ، وفي الإعراض شقاوة سرمدية [١] ، فتحقق بالحد الجازم إعلام البشر أن مبدأهم ومعادهم إلى خالقهم . أمّا السياق الخاص فناسب حمل النظم على الاحتباك ؛ لتضمنه إرشاد العباد ليشكروا الله على ما أنعم به عليهم في الابتداء ، والتنبيه إلى الخوف من عاقبته في الانتهاء[٢] ، لإبعادهم عن النار ؛ حثًا على الإخلاص في العبادة ، والاقتداء بما فيه خير ، "تلطف في الإِرشاد بإيراده في معرض المناصحة لنفسه ، وإمحاض النصح ؛ حيث أراد لهم ما أراد لها ، والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم إلى عبادة غيره"[٣] ، فالمعاني الإحسانية تأخذ بأيدي العباد إلى مقام القرب من الله ؛ لتؤكد حسن التذكير بعبادته الله ، والإخلاص فيها ، ولا يكون ذلك إلا بملازمة أهل التقوى والفلاح ، فإن العمل على حسن التذكير سمة أهل الإحسان الذين أحسنوا الإيمان به ، وكانوا سببًا في ذلك ، وهذا يقوي بروز خاصيتي الترغيب في اتباعه فيما اختاره لنفسه ؛ لأنه أصل الهدى والصلاح ، والترهيب من عبادة غير الله ؛ لأنها أساس الضلال والفساد [٤] ، وهذا أجود عطاءً في فهم المراد ؛ لكون الركنين المحذوفين أضافا إلى النظم علائق ربط جوهرية تبرز الإيمان بالله ربًّا واحدًا ، وهذا عون للمرء يدفعه إلى حسن العبادة ، والتخلص من شوائب الشرك .

وأهل العلم على خلاف في قبول القول بالاحتباك في هذه الآية ، فمنهم من يرى أن القول به حسن جليل ، "والأحسن أن في الآية احتباكًا "[٥] ، وهو كذلك ؛ لأنه يعظم في النفوس حب الإقبال على ملازمة الإيمان ، والحرص على الدعوة إليه ، وهذا من أسمى مراتب التصعيد الإيماني . ومنهم من يرى أنه متكلف لا يصار إليه إلا للضرورة ، «ومثله لا يرتكب من غير ضرورة ، فالأولى تركه »[٦] ، وقيل : "وهو ممقوت "[٧] . أمّا جمهرة

---

(١) ينظر : المرجع السابق١٦/٨٢وما بعدها .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٦/١١١بتصرف .

(٣) تفسير البيضاوي ٤/٤٣٠ .

(٤) ينظر : نظم الدرر١٦/١١١بتصرف .

(٥) حاشية الصاوي على الجلالين ٣/٣٢١ .

(٦) حاشية الشهاب على البيضاوي ٧/٢٣٧ .

(٧) روح المعاني ٢٢/٢٢٧ .

المفسرين على القول بأن الآية من قبيل الالتفات[1] .

ومن أبرز لطائف النظم بجانب الاحتباك دقة التعبير بـــ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾"مبالغة في تهديدهم بتخويفهم بالرجوع إلى شديد العقاب مواجهة و تصريحًا ، ولو قال : (وإليه أرجع) كان فيه تهديد بطريق التعريض ، وعد التعبير بـ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ بعد التعبير بـــ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ﴾ من باب الالتفات لمكان التعريض بالمخاطبين في﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾"[2] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ . وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ . أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾(النجم: ١٩-٢١،ك) ، احتباك "دل ذكر اسمها في أسلوب الإنكار على حذف إنكار كونها آلهة ، وإنكار تخصيصه بالإناث على حذف ما يدل على أنهم جعلوها بناته " [3] . وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (كيف ادعيتم أنها آلهة ، أهي كذلك؟) ؛ لدلالة ذكر﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ ، ومن الطرف الثاني (ادعيتم أنها بناته) ؛ لدلالة ذكر﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ .

وتقديره : " فكيف ادعيتم أنها آلهة أهي كذلك ؟ مع أن عادتكم احتقار الإناث من أن تكون لكم أولادًا ، فكيف رضيتم أن تكون لكم آلهة ، وتكونوا لها عبادًا ، مع أنها لم تنزل لكم وحياً ، ولا أرسلت لكم رسولًا ، ولا فعلت مع أحد منكم شيئًا مما كرمنا به عبدنا محمدًا ﷺ ولا أرتكم قط آية ، ولا هي متأهلة لشيء من ذلك ، بل لا تملك ضرًا ولا نفعًا . وادعيتم أنها بناته ، واستوطنها جنيات هي بناته ، وادعيتم مع ادعاء مطلق الولدية لمن لا يلم به حاجة ، ولا شبه له أن له أردأ الصنفين"[4] .

وسرّه أنَّ ذلك أدل على بطلان قولهم ؛ ليعلم كل آدمي أنَّ ذلك غاية في الهذيان ، فلا يصح في العقل مطلقًا اعتقاد أنها تملك أدنى قدرٍ من القدرة على شيء .

فالنمط التركيبي لصورة الاحتباك أسهم في المقام الأول في إنكار ما اعتقده القوم من أنَّ

---

(١) هو :«التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة : التكلم ، والخطاب ، والغيبة ، بعد التعبير عن ذلك المعنى بطريق آخر من الطرق الثلاثة بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف مقتضى الظاهر » . المطول ، ص٢٨٦ وما بعدها .

(٢) روح المعاني ٢٢٦/٢٢ .

(٣) نظم الدرر ٥٩/١٩ .

(٤) الموضع السابق .

آلهتهم لها نصيبٌ من الشفاعة عند الله ، فتحقق إبطال حديث الغرانيق[١] مما قيل ؛ إذ ردد البعض أنَّ الشيطان ألقى على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، حين بلغ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ (تلك الغرانيق...) ، فسر لذلك كل مشرك[٢] ، " وكان ذلك الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسوله قد وقعا في فم كل مشرك ، فازدادوا شرّا إلى ما كانوا عليه" [٣] .

فالأنفع للسياق والأجدى بما يقتضيه المقام حمل النظم على الاحتباك ؛ لما احتواه من معانٍ ثرية لطيفة أبرزت حقيقية بطلان ما ألقى الشيطان على لسان رسوله ؛ إذ " نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته " [٤] ، كما أنَّ في تدبر سياق السورة أثرًا فاعلاً في ترسيخ مبدأ الوحدانية الجليل ؛ ليتمكن في النفوس أفضل تمكن ، فمقصودها "ذم الهوى ؛ لإنتاجه الضلال والعمى بالإخلاد إلى الدنيا ...ومدح العلم ؛ لإثماره الهدى في الإقبال على الآخرة ... والحث على اتباع النبي في نذارته وبشارته ؛ لأنَّ علمه هو العلم الذي لا ينطق عن الهوى لا في صريح الكناية ولا في بيانه له ؛ لأنَّ الكل عن الله الذي له صفات الكمال" [٥] ، فتحقق أنَّ في ذم الهوى ، ومدح العلم ، والحث على اتباع النبي إشارات عليّة تُوجب على البشر الإقبال والالتزام بما يقوي التوحيد ويبطل الشرك ، وهذا ينبئ بأنَّ القول بالاحتباك يسعى جاهدًا لإنقاذ البشر من الوقوع في الشرك ، والارتقاء في مقامات التصعيد الإيماني .

أمّا السياق الخاص فمبني على تعمق معنى الإنكار للمشركين في عبادة معبوداتهم ؛ ليرشدهم إلى أنها غير صالحة لذلك ، فأثبت الحذف أنَّ تلك المعبودات على مختلف أجناسها لا تملك ضرًا ولا نفعًا بأي وجه من الوجوه ، وبالوقوف عند براعة الاستفهام بــ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ﴾ يتحقق عمق دلالة الإنكار لبطلان عبادتهم ، كما أنَّ في تعدُّد ذكر الآلهة ﴿ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ

---

(١) يقول الرازي في هذا الباب : «هذا رواية عامة المفسرين الظاهريين ، أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة ، واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول » ، وأثبت ذلك بما يؤيد بطلانها . ينظر : التفسير الكبير٢٣/٤٤ .

(٢) ينظر : جامع البيان١٧/١٨٨ .

(٣) الموضع السابق .

(٤) الموضع السابق .

(٥) نظم الدرر ١٩/٤٠ .

﴿ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾ إشارة عظمى تُعلم البشر بمكانة الإله عندهم ، فـ"ــقد يكون سافلًا ، ويكون ملازمًا للإنزال و للسفول بكونه أنثى " [١] . كما أبرز الحذف دلالتي التقريع والتوبيخ في : ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴾ لرد قولهم : الملائكة بنات الله[٢] ، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا .

*

– القول شبه الاحتباك :

قيل في قول الحق ﷻ :﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ[٣] ﴾ (الفاتحة ، ٧،ك) ، "فحصل شِبْه الاحتباك ، وهو أن كلا الفريقين نال حظًا من الوصفين إلَّا أنَّ تعليق كل وصف على الفريق الذي علق عليه يرشد إلى أن الموصوفين بالضالين هم دون المغضوب عليهم في الضلال ، فالمراد المغضوب عليهم غضباً شديدًا ؛ لأنَّ ضلالهم شنيع . فاليهود مَثَلٌ للفريق الأول ، والنصارى من جملة الفريق الثاني " [٤] ، وعليه فالتقدير : غير المغضوب عليهم من اليهود ، ولا الضالين من النصارى .

وسرّه أنَّ ذلك أدل على تحقق أنهم قسمان :"قسم أريد للشقاوة ، فعاند في إخلاله بالعمل ، فاستوجب الغضب ، وقسم لم يُرَد للسعادة ، فضلّ من جهة إخلاله بالعلم ، فصار إلى العطب" [٥] ، ففي الحذف إشارة توجب السعي إلى الإيمان رجاءً في فيض الرحمانية ، وخوفًا وخوفًا من شدة الغضب .

فالقول بشبه الاحتباك ذو اعتلاق بالغ بدلالة السياق ؛ لما تحقق فيه من بروز مظاهر الإنعام المطلق في الهداية إلى الصراط ؛ لأنه لا يضل بمهتديه ؛ لإحاطته وشمول سريانه [٦] ؛ لهذا فالقول بالحذف على نسق شبه الاحتباك ذو أثر بالعناية بالتصعيد الإيماني المقتضي إثبات

---

(١) المرجع السابق ١٩/٥٨ .

(٢) ينظر : تفسير البيضاوي٥/٢٥٦ .

(٣) «المغضوب عليهم الذين ظهر منهم المراغمة ، وتعمد المخالفة ، فيوجب ذلك الغضب من الأعلى ، والبغض من الأدنى ، والضالين الذين وجهوا وجهة الهدى فزاغوا عنها من غير تعمد ذلك » تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص١٥١ .

(٤) التحرير والتنوير ١/١٩٩ .

(٥) نظم الدرر ١/٤٠ .

(٦) ينظر : تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص١٥٠ .

استحقاق الله لجميع صفات الكمال والجلال المستلزم صرف العبادة له ، وهذا أصل عليّ من أعظم أصول العقيدة الصحيحة الساعية لإقامة التوحيد[(١)] . فثبت بالحذف إعلام البشر بحسن التزام طريق الفائزين ، " إيماء إلى أن الإسلام واضح الحجة قويم المحجة لا يَهْوِي أهلُه إلى هُوة الضلالة" [(٢)] ، وتقبيح لزوم طريق الهالكين من المغضوب عليهم والضالين ، فاليهود تمردوا على أنبيائهم وأحبارهم ، وبدلوا الشريعة عمدًا فلزمهم وصفُ المغضوب عليهم ، والنصارى ضلوا بعدَ الحواريين وأساءوا فهم معنى التقديس في عيسى ، فزعموه ابن الله على الحقيقة[(٣)] . ففي تبصر دلالة الخطاب إشارات عظمى تُعْلِي من شأن التمسك بسلوك طريق الهدى ، " والصراط الأكمل ، وهو المحيط المترتب على الضلال الذي يعبر به عن حال من لا وجهة له ، وهو ضلال ممدوح ؛ لأنه يكون عن سلامة الفطرة ؛ لأن من لا علم له بوجهة، فحقه الوقوف عن كل وجهة ، وهو ضلال يستلزم هدى محيطًا منه ، وأما من هُدي وجهة ما فضل عن مرجعها ، فهو ضلال مذموم ؛ لأنه ضلال بعد هدى ، وهو يكون عن اعوجاج في الجِبلة" [(٤)] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾(يونس ٣٥،ك) ، شبه احتباك «ذكر (إلى الحق) أولًا دليلًا على حذفه ثانيًا ، وذكر (للحق) ثانيًا دليلاً على حذفه أولًا »[(٥)] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (يهدي للحق) ؛ لدلالة ذكر﴿ يَهْدِي لِلْحَقِّ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (يهدي إلى الحق) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ ﴾ في الطرف الأول وتقديره : قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق فضلًا عن أن يهدي للحق على أقرب ما يكون من الوجود إعلامًا ، قل الله يهدي للحق إن أراد ، ويهدي إلى الحق من يشاء[(٦)] .

---

(١) ينظر : نظم الدرر ٢١/١ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٠٠/١ .

(٣) ينظر : الموضع السابق .

(٤) تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص ١٥١ .

(٥) نظم الدرر ١١٧/٩ .

(٦) ينظر : نظم الدرر١١٧/٩ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه – وأسراره ، ص٢٣١ .

وسرّه أنه ذكر الأدل على تمكُّن النقصان ؛ لاستواء الحالتين-الهداية إلى الحق وللحق- في عدم الاستجابة في حق المربوب ، تنبيهًا إلى كمالها في حق الرب المعبود .

فما حققه الحذف من أوجه التناظر بين المعاني يبرز في بيان قدرة الله في أمر الهداية التي هي سبب السعادة ؛ لمحاولة إبعاد الشرك عن النفوس البشرية من خلال ترسيخ مبدأ الكمال لله ؛ ليُعلم أنه وحده القادر على الهداية للحق وإلى الحق أمَّا غيره فلا . وفي تبصر سياق السورة يتبين أنَّ الأسمى لما يقتضيه النظم القول بشبه الاحتباك ؛ لما يحققه السياق البعيد من إبراز معالم وحدانية الله ، فمقصودها " وصف الكتاب بأنه من عند الله ؛ لما اشتمل عليه من الحكمة ، وأنه ليس إلا من عند الله سبحانه ؛ لأن غيره لا يقدر على شيء منه ، وذلك دال –بلا ريب- على أنه واحد في ملكه لا شريك له في شيء من أمره" [(١)] ، وهذا مما يعلي القول بالحذف ، ويبرز دقيق لطائفه وجليل أسراره المتمثلة في الدعوة إلى التعرف على وحدانية الله ، وعلى الرغم من معرفة المشركين بتوحده في ربوبيته ، إلا أنهم أشركوا غيره في ألوهيته ، أمّا السياق القريب فخاطب العقول بما يزيد نماءها ويحقق رُشْدَهَا إلى معرفة الله ، بإثبات معالم القدرة والعظمة له ، فشركاؤهم الذين زعموا أنهم شركاء ، لم تكن شركتهم إلا لهم ؛ لأنهم جعلوا لهم حظًا من أموالهم وأولادهم[(٢)] ، فتحقق بالحذف مزيد تأكيد على تمكن النقص من آلهتهم فهي لا ترشد ضالاً من ضلالته ، ولا تهدي جائرًا مطلقًا [(٣)] ، فالله يهدي الضال عن الهدى إلى الحق ، ويرشد الجائر عن الرشد إلى الرشد لا محالة [(٤)] فمن كان قادرًا كان أحق بالاتباع . كما أن في إعلام المشركين بأن شركاءهم لا يقدرون على شيء ، فليس لهم نصيب من القدرة على الهداية نعمة جليلة بها يُدفع الشرك ، ويستدل على وجود الصانع القادر على الخلق والهداية [(٥)] ، " ولما كانت العقول يلحقها الاضطراب والغلط ، بيّن تعالى أنه لا يهديها إلا هو ، بخلاف أصنامهم ومعبوداتهم ، فإنه ما كان منها لا روح فيه جماد لا

---

(١) نظم الدرر ٦١/٩ .

(٢) ينظر : المرجع السابق١١٧/٩ .

(٣) ينظر : الموضع السابق .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

(٥) ينظر : البحر المحيط١٥٧/٥ .

تأثير له ، وما فيه روح فليس قادرًا على الهداية ، بل الله تعالى هو الذي يهديه " [١] .

ويذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يرى لتقدير الاحتباك هنا معنى [٢] ، وفيه نظر ؛ لما احتواه من تحقق جملة ثرية من المعاني الإحسانية المتعلقة ببيان مظاهر القدرة المتصلة بأحوال الروح في الهداية ، فأسهم بشكل فاعل في تأكيد ذلك ؛ ليعلم البشر بأهم معالم وحدانية الله .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ (يوسف: ٣٨، ك) ، شبه احتباك "ذكر نفي الشرك أولًا يدل على وجوده ثانيًا ، وذكر نفي الشكر ثانيًا يدل على حذف إثباته أولًا"[٣] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (شكرنا الله) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَا يَشۡكُرُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (يشركون) ؛ لدلالة ذكر﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ﴾في الطرف الأول . وتقديره : ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ؛ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس وشكرنا ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون ويشركون[٤] .

وسرّه أنه ذكر الأهم ، وهو : التخلي عن الشرك ؛ لأنه أدل على تمكن الإخلاص في العبادة ، وعدم الشكر على النعم ؛ لأنه أدل على الكفر .

فالقول بالحذف سببٌ في تأكيد معنى الوحدانية الجليل ، وذلك من خلال إبراز التقابل في النظم بين ما دل على صدق العقيدة وصحتها في :﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ﴾ ، وبين فساد الاعتقاد وسقم العقيدة في : ﴿لَا يَشۡكُرُونَ﴾[٥]،فتحقق بالحذف الدعوة إلى التوحيد ونفي الشرك في سياق إثبات دلائل القدرة ، فالسياق العام يعضد القول بالحذف ؛ لأنه سعى في المقام الأول إلى "وصف الكتاب بالإبانة لكل ما يُوجب الهدى " [٦] ، فمن الواجب تبصر

---

(١) الموضع السابق .

(٢) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه- وأسراره ، ص٢٣١ .

(٣) نظم الدرر ٨٦/١٠وما بعدها .

(٤) ينظر : نظم الدرر٨٥/١٠وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه-أسراره ، ص ١٤٨ .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن١٩٨٩/١٢بتصرف .

(٦) نظم الدرر ١/١٠ .

مواطن الإبانة لكل ما يُوجب الهدى ؛ لأن ذلك يُعظم الإيمان في النفوس ، ويدفع إلى شدة التمسك بالطاعات والمحافظة على العمل بها ، ومن أبرز مواطن الإبانة موضع الحذف في الآية ؛ لكون الغاية العظمى التي يسعى لتأكيدها وترسيخها في العقول والأذهان دفع الشرك والكفران ، والتمسك بالتوحيد والشكر عليه ، والخاص تضمن الدعوة إلى إثبات التوحيد لله وما يترتب عليه ، وترك ملة أهل المدينة وما يترتب عليها [1] . فهذان المقصدان ازدادا حسنًا بما تحقق في النظم من حذف ؛ حثًّا على اتباع الوحي المقتضي نفي الشرك على الإطلاق ، وتفويض الأمر إلى الله [2] ، وهذا ما تحقق في الركنين الجوهريين ، الأول : نفي الشرك عن نفسه مطلقًا باتباعه الملة الحنيفية ، والثاني : نفي الشكر منهم ، مع أن الراسخ في أذهانهم أن الله وحده هو المنعم ، فمن الواجب عليهم شكره [3] . وبهذين الركنين يتضح المراد ، وهو اتباع الملة الحنيفية في مقابل التخلي عن الشرك ، ولزوم الشكر على النعم في مقابل لزوم التبصر في تلك النعم التي من أجلِّها نعمتا التوحيد والشكر [4] ، ولكنْ وراء الحذف مقاصد تحققت بالمعاني الإحسانية التي تسمو بالبشرية من حياة الجهل في معرفة الخالق إلى التبصُّر في دلائل القدرة والتفرُّد ، "فمن يكفر بالله لا يشكر ؛ لأنه لا يعلم من أنعم عليه ولا يعرف المتفضِّل بتلك النعم"[5] ؛ كما أنَّ في الحذف تعريفًا للعباد بأنَّ الهداية إلى التوحيد فضل من الله في متناول الناس جميعًا لو اتجهوا إليه ؛ لأنَّ في فطرتهم أصوله وهواتفه ، وفي الوجود موحياته ودلائله ، وفي النبوة بيانه وتقريره . ولكن الناس هم الذين لا يتبصرون في هذا الفضل[6] . ثم إن في الحذف دعوة إلى حسن الاقتداء بأنبياء الله في الاتباع ،فيوسف عليه السلام أفصح عن عقيدته ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾(يوسف: ٣٧، ك) ، ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ﴾(يوسف: ٣٨، ك) ، فكما وجب على أنبياء الله اتباع الملة الحنيفية وجب ذلك على كل أحد ؛ إذ جعل الفِطَر الأولى منقادة لها مقبلة

---

(١) ينظر : جامع البيان١٢/٢١٨ ، والتحرير والتنوير١٢/٢٧٢ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن٩/١٩١ .

(٣) ينظر : نظم الدرر١٠/٧٦وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : إرشاد العقل السليم٤/٢٧٨ بتصرف .

(٥) جامع البيان ١٢/٢١٨ .

(٦) ينظر : في ظلال القرآن١٢/١٩٨٩ .

عليها ، فحق على أهل الأرض إخلاص التوحيد لله شكرًا على فضله ، فمن لم يعمل بما قام عليه الدليل خرج من اتباع الدين الحنيفي[١] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾ (فاطر:١٣،ك) ، شبه احتباك "ذكر الملك أولًا دليلًا على حذفه ثانيًا ، والملك ثانيًا دليلًا على حذفه أولًا "[٢] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (مالك كل شيء) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (ليس لهم شيء من الملك) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ذلكم الله ربكم له الملك ، وهو مالك كل شيء ، والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، وليس لهم شيء من الملك[٣] . وسرّه أنه ذكر أبرز صفات الربوبية وأظهرها ؛ لأنها أدل على التحلي بالتوحيد ، وأحقر صفات المعبودين من دون الله وأقبحها ؛ لأنها أدل على التخلي عن الشرك . فالآية تشير إلى إبراز المقصد الأعظم ، وهو : تمام القدرة الدالَّة على التفرُّد الإلهي له سبحانه وتعالى[٤] ؛ مما يدلُّ على أنه لا يعجزه شيء ، فهو الرب دون غيره ، والسياق -هنا- تضمن معاني العظمة الإلهية ؛ لذا ختم الآية بالملك الناظر إلى القسر والقهر[٥] .

فالغرض الأسمى من حمل النظم على الحذف تمثل فيما تنتجه أوجه التقابل -بين ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ ﴾ ، و﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾ -من لطائف المعاني ؛ حيثُ أحدث الحذف علائق ربط جديدة أضافت إلى أصل النظم معاني ذات حسن من أجلِّها : إبراز مظهر العظمة في إثبات أوصاف التفرُّد لله ، وتلك العظمة تبعث في النفوس الغافلة عمق جهلها في الانصراف عن عبادة ربها إلى عبادة حجارة جامدة ، وهذا متحقق بالركنين المذكورين ، الأول : في إثبات الملك لله وحده بدلائل عظمته وقدرته ، والثاني : في نفي أقل مقدار من

---

(١) ينظر : نظم الدرر ١٠/٨٦ .

(٢) المرجع السابق ١٦/٢٩ .

(٣) ينظر : نظم الدرر١٦/٢٨وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه-أسراره ، ص٣٥ .

(٤) ينظر : تفسير البيضاوي٤/٤١٥ ، و إرشاد العقل السليم٧/١٤٨ .

(٥) ينظر : نظم الدرر١٦/٢٧وما بعدها .

القدرة والإرادة لما عبد من دون الله بأقل مقدار من النظر المجرد عن التأمل ، "فكونهم لا يملكون أعظَم من القطمير معلوم وحاصل بالمشاهدة "[١] . فهما كفيلان لتعريف العباد بخالقهم من خلال مظاهر القدرة المطلقة . ولكن وراء الحذف مقاصد ، من أهمها : تثقيف النفوس البشرية للسمو في عبادتها سموًا ترتقي به من عبادة الأصنام إلى عبادة الله ، وهذا يأخذ بأيدي العباد إلى مقام العبادة الأمثل ؛ لكون الركنين المحذوفين أسهما أولًا في تأكيد إثبات مطلق القدرة لله (مالك كل شيء) ، وثانيًا في تأكيد نفي أقل مقدار من الملك لما عبدمن دون الله (ليس لهم شيء من الملك) .

ويذهب بعض أهل العلم إلى تكلف القول بالحذف [٢] . وفيه نظر ؛ إذ القول بالحذف أبرز لطيف معان أرشدت العباد إلى حسن الطاعة والقرب من الله .

*

وفي قول الحق عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ . مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(غافر:٧٣-٧٤،ك) ، **شبه احتباك** "ذكر الإشراك أولاً دليلاً على نفيهم له ثانيًا ، والدعاء ثانيًا دليلاً على تقديره أولًا" [٣] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (بدعائكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿نَّدْعُوا۟﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (أشركنا) ؛ لدلالة ذكر ﴿تُشْرِكُونَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ثم قيل لهم : أين ما كنتم تشركون بدعائكم؟ قالوا : ضلوا عنا ، بل لم نكن ندعو من قبل شيئًا ؛ لنكون قد أشركنا به[٤] .

وسرّه : أنه ذكر ما اقتضاه السياق –الإشراك بالله ، ودعاء غيره– ، لكونه يشير إلى سوء مآل الكافرين ؛ لما هم عليه من الكفر بالله واتخاذ الشريك ، فهذا يبث روح الذعر في نفوس المشركين ؛ أملاً في الرجوع إلى معرفة الحق بعد الخروج عنه ، و" تحذيرًا للمكذبين من سطواته ، وتذكيرًا لهم بأن العمل مع الرسول عمل مع مَن أرسله" [٥] .

فالصورة التركيبية للحذف تدعو في مجملها إلى إثبات التوحيد ونفي الشرك ، من خلال

---

(١) التحرير والتنوير ٢٨٣/٢٢ .

(٢) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره ، ص٣٥ .

(٣) نظم الدرر ١١٧/١٧ .

(٤) ينظر : نظم الدرر١١٦/١٧وما بعدها بتصرف ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه – أسراره ، ص٣٠٤ .

(٥) نظم الدرر ١١٧/١٧ .

ما أظهرته أوجه التناظر من فساد الإشراك ؛ ليعلم الجميع علمًا يقينًا أنهم في الشرك لا يجدون ناصرًا يخلصهم ، ولا شافعًا يخصصهم ، بخلاف التوحيد فبه يطلبون من ربهم تخليصهم ، ومن نبيهم تخصيصهم [(١)] ، وهذا المعنى تَكَوّن بمعونة السياق العام للسورة ، فمقصودها الإشارة إلى " تصنيف الناس في الآخرة إلى صنفين ، وتوفية كلٍّ ما يستحقه على سبيل العدل ؛ بأن فاعل ذلك له العزة الكاملة ، والعلم الشامل ، وقد بين ما يغضبه وما يرضيه غاية البيان" [(٢)] ، وفي تبصر دلالة هذا السياق تتحقق خاصيتان من أجلّ وأعظم الخصائص ، الأولى : تُعَلِّمُ البشر أن الشرك مما يبغضه الرب ، فدفع غضبه لا يكون إلا بملازمة الطاعة ، وبهذا تقرر الجانب الأهم من جوانب العقيدة ، وهو : الدعوة إلى التوحيد والإخلاص في العبادة في الدنيا ؛ لأنهما يكشفان عن خاصية الإيمان الحقيقي في الآخرة التي هي جُلُّ المقصود والمدار الأعظم لمعرفة المعبود [(٣)] ، والثانية : ترشد إلى التحلي بلزوم الصدق لزومًا يُعَظِّم في القلوب حب الإيمان والارتقاء به ، ويخلصها من شوائب الكفر والابتعاد عنه ؛ لأنه مفتاح النفع الذي به تَخْلُصُ الأفئدة إلى ربها فتصعد في مقام القرب منه ، أمّا السياق الخاص فاقتضى أن يأتي النظم على نحو : ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون بدعائكم؟ قالوا : ضلوا عنا ، بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً ؛ لنكون قد أشركنا به ، ليحقق مقاصد ، من أبرزها : المساهمة في تعريف المشركين حقيقة جرمهم الذي يوصلهم إلى شدة العذاب حينما يسألون " فيجيبون إجابة المخدوع الذي انكشفت له خدعته وهو بائس حسير" [(٤)] . كما أسهم في إعلامهم أن الاعتراف بالخطأ ، والندم على قبيح الفعل لا ينفع عند حلول العذاب [(٥)] ؛ وذلك بقصد إبعادهم عن الشرك ؛ حتى لا يتعرضوا لشدة العذاب وهول المساءلة ، فالتعبير بصيغة ﴿قِيلَ﴾ ؛ دلالة على تحقق الوقوع ، والسؤال للتوبيخ .

*

---

(١) ينظر : المرجع السابق١١٦/١٧ .

(٢) المرجع السابق ١/١٧ .

(٣) ينظر: روح المعاني ٨٦/٢٤ بتصرف .

(٤) في ظلال القرآن ٣٩٧/٢٤ .

(٥) ينظر: روح المعاني ٨٦/٢٤ بتصرف .

المطلب الثاني: نفي القدرة على النفع والضر لبني الإنسان وإثباتها لله وحده .

– القول بالاحتباك :

في قول الحق ﷻ : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (المائدة:٧٦م) ، احتباك "دلَّ بما أثبته لنفسه (على سبيل القصر) على نفيه في الجملة الأولى عن غيره ، وبما نفاه في الجملة الأولى عن غيره على إثباته له "[١] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (لا هو سميع يسمع ولا عليم يعلم) ؛ لدلالة ذكر ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني (والله وحده الضار النافع) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرًا ولا نفعًا ، ولا هو سميع يسمع ولا عليم يعلم ، والله وحده الضار النافع ، وهو السميع العليم .

وسره : أنه نفى عنهم أعظم الصفات الصالحة لرتبة العبودية ؛ إظهارًا لعجزهم ونقصهم . وأثبتها لنفسه ؛ تأكيدًا لتفرُّده وكماله . فقد أثبت له صفتي السميع العليم ، "وإنما قرن بالسميع العليم دون البصير ؛ لإرادة التهديد لمن عبد غيره ؛ لأنَّ العبادة قول أو فعل ، ومن الفعل ما محله القلب وهو الاعتقاد ، ولا يدرك بالبصر ، بل بالعلم" [٢] .

إن الغرض الأسمى من القول بالاحتباك تمثَّل في إبراز المقصد الأعظم ، وهو إثبات الوحدانية والعظمة لله ، ونفي القدرة نفيًا مطلقًا عن غيره ، ليتحقق في العقول والقلوب عِظم دلائل التوحيد الدالَّة على وجود الله . فجمال الحذف وهيبته يظهران بعد مراعاة السياق العام بما تقرر فيه من الدعوة إلى الوفاء بالعقود توحيدًا للخالق ، ورحمة للخلائق ، ففي إعمال الشكر جلبٌ للنعم ، واستدفاعٌ للنقم [٣] ، والخاص بما تقرر فيه من إبطال دعوى اليهود والنصارى في عبادة غير الله –المسيح عيسى بن مريم– بنفي أهم الصفات الموجبة للعبادة عنه ؛ ليتقرَّر في أنفسهم أنه ليس أهلًا لأن يعبد من دون

---

(١) نظم الدرر ٢٥٧/٦ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١/٦ .

الله[1] . فأصل المعنى متحقق في المعاني الجوهرية ، الأول : في إبطال عبادة من لا يملك ضرًّا يدفعه ، ولا نفعًا يجلبه [2] ، والثاني : في إثبات صفتي ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ لله ؛ دلالةً على أنه ﷻ المختص بالإحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات التي من جملتها الأقوال الباطلة والعقائد الزائغة [3] ، فثبت بالركنين المذكورين تحقق وحدانية الله ، ولكنْ وراء الحذف دقائق عظام ، من أجلِّها : الدعوة إلى عبادة من يملك مطلق القدرة على دفع الضر وجلب النفع ، وهذه صفة ثابتة لله أدركه ا من أخلص في الإيمان ، وعرف جوهرها من تأمل في عظمة تلك القدرة ، فطابت نفسه وأنس بالله ؛ لأنَّ من عرف الله حق المعرفة أحبه ؛ لأنه مصدر جلب النفع له ودفع الضر عنه ، وهذا ما كشفه الركن الأول من أركان الاحتباك (والله وحده الضار النافع) . أمّا الركن الثاني فنفى عن الشريك أعظم صفتي القدرة على العبادة –بما ناسب المقام والحال– (ولا هو سميع يسمع ولا عليم يعلم) ، فمن كانت هذه صفاته كان في عدم القدرة والعجز عن نفع نفسه أمكن . وهذا أجود عطاءً في ترك الشرك والإقرار بالتوحيد ، كما أنَّ في الحذف إرشادًا نبيلاً به يتبصر المرء حقيقة عجز البشر ، ويتعجب من الغفلة عن إدراك هذه العظائم ، فلو لم يكن لهم إلَّا إمعان النظر في أنفسهم ، لتلمَّسوا عظمة الله في ذلك .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(الأنعام: ١٧،ك) ، احتباك ؛ إذ المحذوف من الطرف الأول (فهو على كل شيء قدير) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فلا مانع له إلا هو) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ في الطرف الأول[4] . فقيل في تقديره : "إن يمسسك الله بضر وشر ، وإن يمسسك بنفع وخير"[5] ، ولكن الأعلى بمقام

---

(١) ينظر : المرجع السابق٦/٢٥٦ .

(٢) ينظر : جامع البيان٦/٣١٦ .

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم٣/٦٨ .

(٤) ينظر : نظم الدرر٧/٣٩ .

(٥) التحرير والتنوير ٧/١٦٣ .

الخطاب جعل التقدير على نحو : وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، فهو على كل شيء قدير ، وإن يمسسك بخير فلا مانع له إلا هو ، فهو على كل شيء قدير ؛ لتضمنه تمثيل أركان الاحتباك .

وسرّه أنه ذكر الأعظم لشمول قدرته ؛ تنبيهًا لرسوخ عرا الإيمان في قلب نبيه محمد ﷺ ، وأمانًا له -ﷺ- بأنَّ المشركين مهما حاولوا إضراره لا يضرونه بشيء .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في ترسيخ مبدأ جليل من مبادئ العقيدة تمثل في إثبات مطلق القدرة والإرادة لله في جلب النفع ودفع الضر مطلقًا ، وهذا من أبرز معالم وحدانية الله ، وفي تبصر دلالة السياق العام ما يُعلي من حمل النظم على الحذف ؛ لكون السورة بكليتها تهدف إلى إقامة التوحيد بإيضاح أبرز معالم القدرة الموجبة الكمال من الإيجاد والإعدام والبعث[1] ، فتقرر أنَّ الغاية العظمى تحققت في تعريف البشر بعظيم دلائل القدرة الموجبة صرف الشريك عن الله ، فلا يجوز في العقل أن يتخذ غيره وليًّا ؛ لأنه لا كفؤ له[2] ، وهذا المرتكز الذي يقوم عليه الاحتباك ويسمو إلى إنمائه في النفوس .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ

تنبيه : ما ذكره ابن عاشور من احتباك في الآية الكريمة داخل في إطار صورة الاحتباك السابقة ؛ لكونها أوسع وأشمل لإيضاح المراد من المعنى من خلال السياق ، فصورة التقابل التي أشار إليها -ابن عاشور- كشفت عن جزء من المعنى المراد ، من حيثُ القدرة على إيقاع الضر والشر ، والنفع ، والخير . ثم إن التنكير في : ﴿بِضُرٍّ. . بِخَيْرٍ﴾ عام يشمل كل ضر، فيدخل الشر ضمن الضر ، وكل خير ، فيدخل النفع ضمن الخير ، «وقابل قوله : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بقوله : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ مقابلة بالأعمّ ؛ لأنّ الخير يشمل النفع ، وهو الملائم ، ويشمل السلامة من المنافر ، للإشارة إلى أنَّ المراد من الضرّ ما هو أعمّ» . نظم الدرر٧/١ . وبهذا يتضح أنَّ صورة الاحتباك الثانية تُعد بمثابة بيان لمعنى الآية ، وليس تقديراً لمحذوف اقتضاه السياق «والضَر_بفتح الضاد_ ضد النفع، و ناب الضرّ في هذه الآية مناب الشرّ ، وإن كان الشر أعمّ منه، فقابل الخير ، وهو من الفصاحة عدول عن قانون التكلّف والصنعة» . المحرر الوجيز٦/١٨ . «والذي يقابل الخير هو الشر ، وناب عنه هنا الضر ، وعدل عن الشر ؛ لأنَّ الشر أعم من الضر ، فأتي بلفظ الضر الذي هو أخص ، وبلفظ الخير الذي هو عام مقابل لعام تغليباًلجهة الرحمة» . البحر المحيط٤/٩٢ .

(١) ينظر : نظم الدرر٧/١ .

(٢) ينظر : المرجع السابق٧/٣٩ .

﴿لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(يونس: ١٠٧،ك) ، احتباك "ذكر المس أولًا دليلًا على إرادته ثانيًا ، والإرادة ثانيًا دليلاً على حذفها أولًا "[١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (أراده) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَلَا رَآدَّ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (المس) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَمۡسَسۡكَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ؛ لأنه أراده ، وإن يردك المس بخير ، فلا رادَّ لفضله[٢] .

وسرّه أنّه ذكر أعظم الصفات الدالَّة على تمام القدرة "ولم يستثنِ في الإرادة كما استثنى في الكشف ؛ لأنَّ دفع المراد محال ، وعبر بالإرادة في الخير وبالمس في الضر تنبيهًا على أنه ﷺ مراد بالخير بالذات وبالضر بالعرض ؛ تطييبًا لقلبه"[٣] .

فالاحتباك أسهم في إثبات حقيقة جلب النفع ودفع الضر لله وحده ؛ لكونه المتفرد بذلك ، وليتحقق إعلام المرء بعظم إرادة الله ، لأنَّ ما أراده لا يكون غيره مطلقًا ، فلا يرجى سواه في أن يبدله خيرًا[٤] ، وهذا المقصد يزداد حسنًا بمراعاة السياق العام بما تقرر فيه من " وصف الكتاب بأنه من عند الله ؛ لما اشتمل عليه من الحكمة ، وأنه ليس إلا من عنده ؛ لأنَّ غيره لا يقدر على شيء منه ، وذلك دالّ -بلا ريب- على أنه واحد في ملكه لا شريك له في شيء من أمره " [٥] . والخاص بما تقرر فيه من تأكيد النهي عن الشرك [٦] .

فالقيمة الحقيقية للمعنى المراد -إن يمسسك الذي لا راد لأمره بضر فلا كاشف له أصلاً بوجه من الوجوه إلا هو ، وإن يردك بخير فإنه لا راد لفضله [٧] -تحققت بالمعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ، الأول :في ذكر﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ﴾ ، والثاني :في ذكر﴿...فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ﴾ ، ولكنَّ وراء الحذف أسرارًا ؛ منها : ترسيخ مبدأ الإيمان والرضا بقضاء الله

---

(١) المرجع السابق ٢١٨/٩ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٢١٧/٩وما بعدها بتصرف ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه -أسراره ، ص١١٩وما بعدها .

(٣) نظم الدرر ٢١٨/٩وما بعدها .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

(٥) المرجع السابق ٦١/٩ .

(٦) ينظر : المرجع السابق٢١٨/٩ .

(٧) ينظر : الموضع السابق .

لبني البشر ، وهذا من أعظم أركان الإيمان ، كما أنَّ فيه إرشادًا جليلاً يُعلم النفس مبدأ حسن الانضباط ؛ لتحسن الظن بربها ، ولتعتقد أنَّ ما قُدِّرَ لها خير ، وفي القدرة على المس بالضر والخير وعدم الانفكاك عنهما منافع خفية لا يعلمها إلا الله ؛ لذا فمن الواجب تعلم مبدأ الانضباط وحسن الظن بالله ، وهذا أجود عطاءً في فهم المراد ؛ لكون الركنين المحذوفين-الأول : في إثبات مطلق القدرة على الإرادة ، والثاني : في إثبات مطلق القدرة على المس بالخير -أسهما في الحث على صحة الإيمان في الإقرار بالفعل والعمل في طاعة الله ، وكمال التقوى في إثبات التسليم له في كل أمر ، وتعلم الصبر في مواجهة أقدار الله له ، ففيهما من عظيم الحكم والمنافع ما يعجز البشر عن إدراكه .

ومن لطائف النظم المجاز المرسل في ﴿يَمۡسَسۡكَ﴾أي : يصبْك ؛ لكون المس في حقيقته وضع اليد على جسم لاختبار ملمسه [١] . ثم التنكير في : (ضر ، خير) " للنوعية الصالحة للقلة والكثرة"[٢] .

*

(١) ينظر : التحرير والتنوير١١/٤٠٦ .

(٢) الموضع السابق .

المبحث الثاني : أدلة قدرة الله وإثبات عظمته :

المطلب الأول : مظاهر قدرة الله .

–القول بالاحتباك.

يقول تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(البقرة: ٢٩،م) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ احتباك "حذف أولًا كون الأراضي سبعًا لدلالة الثاني عليه ، وثانيًا كون ما في السماء لنا لدلالة الأول عليه " [١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (بعد أن سواهن سبعًا) ؛ لدلالة ذكر : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني (خلق لكم ما في السماء) ؛ لدلالة ذكر : ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا بعد أن سواهن سبعًا ، وخلق جميع ما في السماء لكم فسواهن سبع سموات . وسرّه أنّ الحكمة من وراء هذا الحذف معنوية عظيمة ، أداة استخرجها التأمل والتبصر في الإدراك ، فما ذكر وحذف من الطرف الأول–كون ما في الأرض لنا– ،–وكون ما في السماء لنا– يدرك بالبصر . وما حذف وذكر من الطرف الثاني –كون السموات سبعًا– ، –وكون الأراضي سبعًا– يدرك بالبصيرة ، فليتبصر أولو الأبصار ،وهم قلة ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ (ص:٢٤،ك) .

فالغرض الأسمى من حمل النظم على الاحتباك تمثل في إظهار مبدأ العظمة المقتضي إثبات صفة الألوهية ؛ إذ "ساق سبحانه ابتد اء الخلق الذي هو من أعظم الأدلة على وحدانيته مساق الإنعام على عباده بما فيه من منافعهم ؛ ليكون داعيًا إلى توحيده من وجهين : كونه دالاً على عظمة مؤثر ه وكمال قدرته ، وكونه إحسانًا إلى عباده ولطفاً بهم" [٢] ؛ أملاً في تَبَصُّرِ عظيم النعمة ، وحثًّا على الرجوع إلى التوحيد ، فالسياق الأعظم للسورة جاء مقررًا لأصول العقيدة الصحيحة التي تقوم في أصلها على التوحيد الخالص ، وهذا ما أرشد إليه السياق العام ، أمّا الخاص فبدأ بإظهار دلائل قدرة الله ؛ حتى يثبت للمتمادي على الحق في

---

(١) نظم الدرر ٢٢٥/١ .

(٢) الموضع السابق .

الكفر به عجزه[١] ، فأصل المراد –وهو : تحقق معنى التفرد الإلهي من خلال إبراز مظاهر القدرة على الخلق– متحقق في الركنين المذكورين ، الأول : في إنعام الله علينا بوافر الفضل ، بأن خلق لنا كل ما في الأرض ، والثاني : في كمال القدرة بخلق السموات سبعًا . ولكنْ وراء الحذف مقاصد ، من أجلِّها : الكشف عن عظيم القدرة في الخلق والإبداع ؛ لكون الركنين المحذوفين أسهما أولًا : في إثبات إنعام آخر –مقابل لما ذكره– وهو : خلق كل ما في السماء لنا ، والثاني : في إثبات مظهر آخر من مظاهر العظمة والسلطان –مقابل لما ذكر– ، وهو : خلق الأراضي سبعًا ، وفيهما من مطلق الإحسان والرحمة ما يجعل المرء يرتقي في مقامات القرب من ربه إخلاصًا في العبادة له ، ولا يخفى على ذي بصيرة أثر نعمتي التأمل والشكر في فتح آفاق المعرفة للعقل البشري ، فبهما يتوصل إلى معرفة ربه الخالق المنعم ، ولا يكون إلا إذا أصبح الإيمان صفةً مِنْ أَمكَنِ صفات ذلك المرء .

*

وفي موضع آخر يقوله تعالى : ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ (الأنعام: ٩٦،ك) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا ﴾ احتباك "حذف من الأول الحركة ودل عليها بالسكن ، وحذف من الثاني السدل ودل عليه بالفلق"[٢] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول(الحركة) ؛ لدلالة ذكر السكون ﴿سَكَنٗا ﴾في الطرف الثاني .ومن الطرف الثاني حذف(السدل)؛لدلالة ذكر الفلق ﴿ فَالِقُ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فالق الإصباح وجاعله حركة ، وسادل الليل وجاعله سكنًا . وسرّه : أنه ذكر الأظهر الأدل على مطلق القدرة وتمام الحكمة المتمثلة في إبراز القدرة على البعث ، "فالفلق من أعظم الدلائل على قدرته ﷻ ، وفيه دلالتان ؛ لأن الإصباح يشمل الفجر الكاذب والصادق ، والأول أقوى دلالة ؛ لأنَّ مركز الشمس إذا وصل إلى دائرة نصف الليل –فالموضع الذي تكون تلك الدائرة أفقًا له– تطلع الشمس من مشرقه ، فيضيء في ذلك الموضع نصف كرة الأرض ، فيحصل الضوء في الربع الشرقي ، ويكون ذلك الضوء منتشرًا مستطيرًا في جميع الجو ، ويجب أن يقوى لحظة فلحظة ، فلو كان الأول من قرص

---

(١) ينظر : الموضع السابق .

(٢) المرجع السابق ٧/ ٢٠٠ .

الشمس لامتنع أن يكون خطًا مستطيلًا ، بل كان يجب أن يكون مستطيرًا في الأفق ، منتشرًا متزايدًا لحظة فلحظة ، لكن ليس هو كذلك ، فإنه يبدو كالخيط الأبيض الصاعد ... ، ثم يحصل عقبه ظلمة خالصة ، ثم يكون الثاني الصادق المستطير ، فكان الأول أدلّ على القدرة ؛ لأنه بتخليق الله ابتداء ؛ تنبيهً ا على أن الأنوار ليس لها وجود إلا بإبداعه ، والظلمات ليس لها ثبات إلا بتقديره"[1] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في تحقق القدرة على الإحياء ؛ ليتقرر في العقول والأذهان عِظَمِ ما اهتدى إليه إبراهيم الخليل من إبطال إلهية كل ما سوى الله [2] ؛ كما ركز الاحتباك على إبراز معنى جليل من معاني اللطف والكرم الإلهي ، وهو "الاستدلال على باهر حكمته وقدرته بدلالة أحوال الفلك ؛ لأنَّ قوله : فلق الصبح أعظم من فلق الحب والنوى ؛ لأنَّ الأحوال الفلكية أعظم وقعًا في النفوس من الأحوال الأرضية " [3] ، فالسياق العام والخاص وقرائن الأحوال تدعو إلى التبصر في عِظَمِ التفضل والامتنان بنعمة الإيجاد الدالة على البعث ؛ ليتحقق معنى الإلهية له ، وهذا متحقق في الركنين المذكورين ؛ الأول : في فلق الصبح ، والثاني : في جعل الليل سكونًا ، فهما أصلان في إيضاح دلائل قدرته وحكمته ، ولكنّ في القول بالحذف على نسق الاحتباك معانيَ عظامًا ، من أجلِّها : معرفة الله بذاته في أفعاله [4] ، ثم الإقبال عليه إقبال المقتنع في عقله وقلبه بوحدانيته ؛ كي تصرف وجوه العبادة كلها له دون اعتراض . فتحقق في النظم مزيدٌ من الدقة والإيجاز ، لكون ما حذف من أطرافه دل دليلاً واضحًا عليه : فالق الإصباح وجاعله حركة ، وسادل الليل وجاعله سكنًا . فكل من الفلق والسدل متقابلان في المعاني ، وكذلك الحركة والسكون . وفي الحذف بتلك الطريقة حكم وأسرار تدق عن الأفكار وتدل على كمال الواحد المختار ، فلله در التنزيل ما أروع طريقته في بناء المعاني ، وما أجمل العقول المتفكرة في كيفية البناء . فحمل المعنى على الاحتباك أنبل عطاءً في فهم المراد ؛ لكون الركنين المحذوفين أسهما في إبراز دلائل التفرد الإلهي .

---

(١) المرجع السابق ٧/١٩٩ .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) البحر المحيط ٤/١٩٠ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير١٣/٧٣ .

*

وقيل في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾(الأنعام:١٢٨،ك) ، احتباك "عبر بما يدل على الستر أولًا دلالة على ضده -وهو الظهور- ثانيًا ، وبما معناه الاستئناس والسكون ثانيً ا دلالة على ضده وهو - الإيحاش والنفرة- أولًا"[(١)] .وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (الإيحاش والنفرة)-أي : من الجن- ؛ لدلالة معنى الاستئناس والسكون في ذكر : ﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الظهور) -أي : يا معشر الإنس- ؛ لدلالة معنى الستر في ذكر ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يوم يحشرهم جميعًا يا معشر الجن الموحشين المنفرين ، ويا معشر الإنس قد استكثرتم من الإنس[(٢)] .

وسرّه : أنه ذكر إدراكه للعالم الخفي أولًا ، والظاهري ثانيًا ؛ إبرازًا لشمول علمه ومطلق إحاطته ؛ فثبت تحقق القدرة على حشر الكفرة من ظالمي الجن والإنس .

والظاهر أنَّ القول بالاحتباك فيه بُعد ؛ لركاكة التقدير ؛ لذا قيل في بيان وجهه : ولا وجهَ للاحتباك هنا ؛ لأنَّ التكلف ظاهر فيه[(٣)] .

*

وفي موضع آخر يكشف الاحتباك حقيقة التقابل بين الصفات لتأكيد القدرة المطلقة المقتضية إثبات الوحدانية ؛ حيثُ قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (يونس: ٦٧،ك) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ ﴾ احتباك "حذف وصف الليل وذكرت علته عكس ما فعل بالنهار "[(٤)] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (مظلمًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿مُبْصِرًا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لتنتشروا) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِتَسْكُنُوا۟ ﴾ في الطرف الأول .

---

(١) نظم الدرر ٢٦٧/٧ .

(٢) ينظر : المرجع السابق٢٦٦/٧وما بعدها .

(٣) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص٢٩٥ .

(٤) نظم الدرر ١٥٨/٩ .

وتقديره : الليل مظلمًا لتسكنوا فيه ، والنهار مبصرًا لتنتشروا فيه أو لتتصرفوا فيه [(1)] . وسرّه : أنّه ذكر الأظهر الأدل على مطلق القدرة ، وقد يكون السر في حذف (مظلمًا) "تحاشيًا من المشافهة بما يوحش النفس ، ولا يليق بمقام الامتنان ذكر ما يوحش النفس... وفي ذكر (مبصرًا) إظهار لامتنان الله على عباده بالنهار كما أن في الإبصار والضياء ما يؤنس النفس المجبولة على الاستيحاش من الظلام وعدم الائتناس بالليل ... " [(2)] . ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيثُ الناتج الدلالي عدة صور أخرى [(3)] أسهمت في إبراز عظمة الله في خلق الليل والنهار .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في عقد نوعٍ من التأمل والتفكر في قدرة الخالق ؛ ليُثبت –سبحانه– اختصاصه بالعلم والقدرة ؛ تأكيدًا لاختصاصه بالعزة وتفرُّده

---

(١) ينظر : البحر المحيط٧/٩٩ ، والتحرير والتنوير١١/٢٢٧ .

(٢) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه –وأسراره ، ص٢٨-٢٩ .

(٣) وكذا الحال في قوله : ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(النمل: ٨٦،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ احتباك «ذكر السكون أولًا دليل على الانتشار ثانيًا ، وذكر الإبصار ثانيًا دليل على الإظلام أولًا » ، وتقديره : جعلنا الليل مظلمًا ليسكنوا فيه ، والنهار مبصرًا لينتشروا فيه . وسرّه : «أنه ذكر الأظهر الأدل على مطلق القدرة ، فذكرهم بدلائل الوحدانية ؛ لذا ذكرهم بأظهر الآيات وأكثرها تكرارً ا على حواسهم وأجدرها بأن تكون مقنعة في ردعهم عن شركهم . وهي آية ملازمة لهم طول حياتهم تخطر ببالهم كل يوم . وتلك هي آية اختلاف الليل والنهار الدالة على انفراده بالتصرف في الكون كله ؛ فأصنامهم تخضع لمفعولها ، فتظلم ذواتهم في الليل وتنير في النهار ، وفيها تذكير بتمثيل الموت والحياة بعده بسكون الليل وانبثاق النهار عقبه » ، فالآية تشير في سياقها القريب إلى إثبات قدرة الله على البعث ؛ حيثُ استدل ﷻ بهذه الآية كشاهد حسي لأولئك المنكرين حقيقة الحشر . ينظر : نظم الدرر١٤/٢٢٠ ، التحرير والتنوير ، ٢٠/٤٣وما بعدها .

وكذا الحال في قوله : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾(غافر:٦١،ك) ، احتباك «حذف الظلام أولاً لكونه ليس من النعم المقصودة في أنفسها ؛ لما دل عليه من الإبصار الذي هو المقصود في نفسه من نعمة الضياء المقصود في نفسه ، وحذف الانتشار؛ لأنه بعض ما ينشأ عن نعمة الإبصار؛ لما دل عليه من السكون الذي هو المقصود الأعظم من الليل للراحة لمن أرادها ، والعبادة لمن اعتمدها واستزادها » ، وتقديره : الله الذي جعل لكم الليل مظلمًا لتسكنوا فيه ، والنهار مبصرًا لتنتشروا فيه . ينظر : نظم الدرر١٧/١١١ .

ولعل المقصد الأهم من القول بالاحتباك–في هذه المواضع– ترويض النفوس الجاحدة بنعم الله وعظيم فضله كي تعرف مدى جهل عقولهم في اتباع الهوى الذي تـُمْليه عليهم أهواؤهم .

بالوحدانيَّة ، فكل من أشرك به خارص لا علم له بوجه ؛ لكثرة الدلائل على وحدانيته[1] ، والتي من أبرزها ما تضمن الاحتباك إبرازه- "كيف كان النهار وقتًا ينتشر فيه النور فيناسب المشاهدة ؛ لاحتياج الناس في حركات أعمالهم إلى إحساس البصر الذي به تتبين ذوات الأشياء وأحوالها . وكيف كان الليل وقتًا تغشاه الظلمة ، فكان مناسبًللسكون ؛ لاحتياج الناس فيه إلى الراحة من تعب الأعمال التي كدحوا لها في النهار "[2]– في سياق الاعتراف بوحدانية الله والبعد عن الشرك ، فالسياق العام المتضمن إفراد الله بالخلق ، والاختراع ، والتدبير[3] ، والخاص المتضمن قدرة الله على الإيجاد ، والإعدام ، ونفي الشريك[4] ، يدعوان إلى إمعان التأمل في مظاهر القدرة ؛ أملاً في معرفة الله بأفعاله العَليَّة ، وحثًا على أهمية التبصر فيما عبدمن دون الله ؛ تحقيقًا لانتفاء السمع والبصر عنهم ، فكيف بالاعتبار والافتكار؟ فالذين عبدوهم أكمل حالاً منهم[5] ، ففي تبصر دلالة الخطاب بـــ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ إيضاح لأصل حمل النظم على الاحتباك ؛ حيثُ تحقق بها الإشارة إلى أنّ هذه الآيات فيها من الظهور والوضوح بحيثُ لا يحتاج المرء في إدراكها إلى أكثر من سماعهما سماعًا صحيحًا[6] ، ففي الحذف لطائف منها : أن اللطف بالعباد التذكير بجلائل النعم ودلائل القدرة ؛ حثًّا على الترقي في درج الإيمان بحسن التبصر الذي هو سر في الهداية ، فهما–أي : التبصر أولًا وما يترتب عليه ثانيًا– طريقان لمعرفة الخالق كما ينبغي ، وهذا أكرم عطاءً في فهم المراد ؛ لكون الركنين المحذوفين أسهما في تأكيد مطلق القدرة لله في إثبات جعل الليل مظلمًا بقدرته ، وفي إثبات جعل النهار مكانًا للعمل والتصرف .

وللاحتباك أثر بارز في نشوء علائق ربط جديدة أضافت للنظم مزيد دقةٍ وإيجازٍ ؛ ففي مقابل المذكور من كل طرف –(لتسكنوا) ، (مبصرًا)– تشكل محذوف آخر في الذهن –(مظلمًا) ، (لتنتشروا)– يؤكد مطلق القدرة لله على الخلق .

---

(١) ينظر : المرجع السابق٩/١٥٨ .

(٢) التحرير والتنوير ١١/٢٢٦ .

(٣) ينظر : نظم الدرر٩/٦١ .

(٤) ينظر : المرجع السابق٩/١٥٨ .

(٥) ينظر : المرجع السابق٩/١٥٩ .

(٦) ينظر : المرجع السابق٩/١٥٨ .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾(هود:٤،ك) ، احتباك دل عليه السياق فـــ «ذكر المرجع أولاً دليلاً على المبدأ ثانيًا ، وتمام القدرة ثانيًا دليلاً على تمام العلم أولًا»[1] ، فالمحذوف من الطرف الأول (وهو بكل شيء عليم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (منه بدؤكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ ﴾ . وتقديره : إلى الله مرجعكم وهو بكل شيء عليم ، ومنه بدؤكم وهو على كل شيء قدير . وسرّه : أنه ذكر الأولى بمقام العظمة ؛ لأنه قادر على الإعادة كما قَدَرَ على البداءة ،" لما كان موصوفًا بتمام القدرة على كل شيء هو أيضًا موصوف بإحاطة علمه بكل شيء للتلازم بين تمام القدرة وتمام العلم" [2] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز جانب مهم من جوانب العقيدة تمثل في ترسيخ حقيقة المبدأ والمعاد لله ؛ ليتقرر في العقول والأذهان كمال القدرة الإلهية في الإعادة كما كانوا من قبل -بعد الموت- من أجل الحساب [3] ، ثم إن في تقدير : " وهو بكل شيء عليم" لطائف ، من أجلِّها : إظهار مبدأ العظمة لله بإثبات منتهى علمه وعظمة قدرته ، وهذا يدل على تقوية يقين المرء بوحدانية الله ربًّا واحدًا ، وازداد عمقًا إيثار التعبير بـــ : ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ ﴾ ، " فاللفظ يفيد الحصر ، يعني : أن مرجعنا إلى الله لا إلى غيره ، فيدل هذا على أن لا مدبر ولا متصرف هناك إلا هو ، والأمر كذلك أيضاً في هذه الحياة الدنيوية ، إلَّا أنَّ أقوامً ا اشتغلوا بالنظر إلى الوسائط فعجزوا عن الوصول إلى مسبب الأسباب ، فظنوا أنهم في دار الدنيا قادرون على شيء ، وأما في دار الآخرة ، فهذا الحال

---

(١) المرجع السابق ٢٣٤/٩ .

(٢) الموضع السابق .

ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيث الناتج الدلالي صورة أخرى تبرز عظيم القدرة على البعث ، في قول الحق عز وجل : ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴾(سورة الأعراف : ٢٩-٣٠،ك) احتباك أثبت في الطرف الأول (بدأ) دليلاً على حذف (يعيد) وذكر (تعودون) في الطرف الثاني دليلاً على حذف (تبتدئون) وتقديره : كما بدأكم فأنتم تبتدئون ، ونعيدكم فأنتم تعودون . ينظر : المرجع السابق٣٨٦/٧ .

(٣) ينظر : المرجع السابق٢٣٤/٩ .

الفاسد زائل أيضاً" [١] . فمن خلال تبصر دلالة السياق العام تتحقق القدرة الإلهية على كل شيء ، فثبت أن له – سبحانه – تمام العلم وكمال الحكمة وجميع القدرة[٢] ، والخاص تحقق فيه تخويف المنذرين باليوم الكبير [٣] ، فاتضح أنَّ القول بالاحتباك في هذا المقام عليّ يولد جملة ثرية من لطائف المعاني الإحسانية ، التي من أبرزها وأعلاها أهمية تحقق الإيمان بالبعث ، فهو رأس الدعوة إلى الله ، وقاعدة تحقق التوحيد . فلم يأت النظم على نحو : (إلى الله مرجعكم وهو بكل شيء عليم ، ومنه بدؤكم وهو على كل شيء قدير) ؛ لأنَّ المقام مقام ترهيب يستدعي التذكير بجليل القدرة وباهر العظمة ؛ ليزيل عن القلوب غشاء الغفلة بأعظم بيان تتجلى فيه عظمة الله وقدرته ، فسعى الاحتباك إلى إعلام البشر بأن رجوعهم إلى الله ليس محصورًا على مجرد الموت والصيرورة ترابًا ، وإنما الأهم الإعادة كما كانوا في الحياة الدنيا ، وهذا أدعى إلى ترك الكفر وامتثال الإيمان[٤] . كما تحقق بتأمل موضع الحذف بعث الخوف من الله في النفوس ، فإن خوف المرء من ربه أعون على استبصار حقائق قدرته الموجبة الترقي في عبادته .

ويذهب بعض أهل العلم إلى جعل التقدير : " من الله مبدؤكم وهو بكل شيء عليم ، وإليه مرجعكم وهو على كل شيء قدير . لكن مصطلح الاحتباك ليس صادقًا على هذا الموضع ؛ لأنَّ المقابل مذكور برمته في مقابلة محذوف..." [٥] .

والظاهر –والله أعلم– أنَّ في حمل النظم على الاحتباك ، وفق التقدير الأول ، أليق بالسياق وقرائن الأحوال ؛ لتَرسخ في النفوس قواعد تأسيس العقيدة الحقة ، وهذا أسمى مبادئ تعلم وتعليم التوحيد .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴾(يوسف:٤١،ك) ، احتباك "ذكر ملزوم

---

(١) التفسير الكبير ١٤٧/١٧ .

(٢) ينظر : نظم الدرر٢٢٤/٩ .

(٣) ينظر : المرجع السابق٢٣٤/٩ .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

(٥) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره ، ص٢٦٦ .

السلامة والقرب أولًا دليلًا على العطب ثانيًا ، وملزوم العطب ثانيًا دليلًا على السلامة أولًا"[١] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فيُخْلص) ، لدلالة ﴿فَيُصْلَبُ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يعطب) ؛لدلالة ذكر ﴿فَيَسْقِى﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أما أحدكما –وهو الساقي– فيخلص ويقرب فيسقي ربه خمرًا ، وأما الآخر –وهو الخباز– فيصلب ويعطب فتأكل الطير من رأسه . وسرّه أن ذكر الأليق بما اقتضاه الحال [٢] ؛ لكونه أدل على تحقق المراد ، وهو : تمكن يوسف عليه السلام من تعبير الرؤيا[٣] .

إن الصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز تحقق الحكم الذي أظهره يوسف عليه السلام للساقي والخباز معًا ؛ تأكيدًا لرسوخ صدق تأويل الرؤيا ؛ فَحُكِمَ عليهما بما أخُبرِ لكونه واقعًا لا محالة ، سواء كان ذلك حلمًا ، أو تحالمًا[٥] ، فـ«الرؤيا على رجل طائر ما لم تُعَبر ، فإذا عُبِّرت وقعت »[٦] . فأصل المراد وهو : تحقق نجاة الأول ، وهلاك الثاني متحققة في الركنين المذكورين : ﴿أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ....وَأَمَّا ٱلْأَخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ ، ولكنْ في المحذوفين مزيد تأكيد لما ذكر في المعاني الجوهرية ، فحصل بالحذف إبراز أوجه التناسب بين المعاني ، فإن في ذكر ﴿فَيَسْقِى﴾ –ملزوم السلامة والقرب – دليلًا على حذف الهلاك من الثاني : (يعطب) ، فالعطب هو الهلاك[٧] ، وفي ذكر ملزوم الهلاك في : ﴿فَيُصْلَبُ﴾ دليل على حصول النَّجاة للأول . ففي الحذف توجيه إلهي كريم يثبت أن

---

(١) نظم الدرر ٩١/١٠ .

(٢) حال المكوث في السجن الذي يحصل فيه الانكسار للنفس ، والرقة في القلب فتتخلص فيه المودة . ينظر : المرجع السابق٩٠/١٠ .

(٣) ينظر : المرجع السابق٩١/١٠ .

(٤) ينظر : جامع البيان٢٢٠/١٢ .

(٥) ينظر : البحر المحيط٣٠٩/٥بتصرف .

(٦) أخرجه بنصه ابن ماجة في سننه ، كتاب : تعبير الرؤيا ، باب : الرؤيا إذا عبرت وقعت فلا يقصها إلا على واد١٢٨٨/٢ ، رقم : (٣٩١٤) من حديث وكيع بن عُدُس العُقيلي رضي الله عنه . قال الألباني : «صحيح» . صحيح سنن ابن ماجة ، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، (الرياض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، توزيع المكتب الإسلامي – بيروت– ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ–١٩٨٦م) ، رقم(٣١٦٢) ٣٤٢/٢ .

(٧) ينظر : لسان العرب ، مادة : (ع،ط،ب)٦١٠/١ .

تأويل الرؤيا حق في حق الأنبياء ؛ لأنَّ حكمهم حق كيفما وقع ، أمّا في حق البشر فليس بقطع ، وإنما هو ظن[١] .

*

ويأتي التقابل بين الصفات على نسج الاحتباك في قوله تعالى : ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾(النحل:٧،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِ ﴾احتباك دل عليه السياق ؛ حيثُ "ذكر حمل الأثقال أولاً دليلًا على حمل الأنفس ثانيًا ، وذكر مشقة البلوغ ثانيًا دليلًا على مشقة الحمل أولًا "[٢] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (مع المشقة) ؛ لدلالة ذكر﴿لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (حمل النفس-حمل الإبل لكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وتحمل أثقالكم مع المشقة إلى بلد لم تكونوا قادرين على حملها -الأثقال- إليه -البلد- ، وتبلغكم بحملها لكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس [٣] . وسرّه : أنه ذكر الأظهر ؛ لأنه أدل على مطلق الامتنان أملًا في إدراك أنبل معاني التوحيد[٤] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك تكشف في المقام الأول عن عظيم القدرة وتدعو إلى التأمل فيها ؛ بغية الوصول إلى إدراك وجه الإحسان ، ومطلق الإنعام ؛ فثبت إعلام البشر بالغرض الأسمى من إدراكها ، وهو : التوجه إلى الخالق -سبحانه - بالتبرؤ من الشرك ، وهذا المعنى ازداد حسنًا بما في السياق العام من " الدلالة على أنه -تعالى - تام القدرة والعلم، فاعل بالاختيار ، متره عن شوائب النقص "[٥] ، والخاص بما تقرر فيه من إبراز أعظم دلائل القدرة المتمثلة في إنعام الله على بني الإنسان بخلق الحيوان ، تنبيهًا إلى مراعاة نعمتي التوحيد والشكر[٦] . ففي تدبر وجه الاحتباك إشارة عليّة تبرز عظيم فضل الله ،

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن٣/٥٤ بتصرف .

(٢) نظم الدرر ١١/١٠٩ .

(٣) ينظر : نظم الدرر١١/١٠٩ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراه ، ص٣٩وما بعدها .

(٤) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه ، أسراره ، ص٤٠ .

(٥) نظم الدرر ٢١/٢٤٠

(٦) ينظر : المرجع السابق١١/١٠٧ بتصرف يسير .

ومنتهى إحسانه ، وفيض رحمانيته لجميع خلقه جليلهم وحقيرهم ، كبيرهم وصغيرهم ؛ إذ اتضح به إثبات حقيقة عجز البشر مطلقًا عن أسهل الأمور ، وهو : التنقل وحمل الأثقال ، فلولا العناية الإلهية لما استطاع البشر ذلك ، فتحقق بالحذف إيقاظ القلوب لتتبصر عظيم جهلها بمظاهر الإنعام ، فالقيمة الحقيقة لفهم المراد –وهو : إظهار عجز البشر– تمثل في المعاني الجوهرية ، الأول : أن القدرة –على حمل الأثقال– تكونت بفضل القدرة الإلهية في تسخير الأنعام ، والثاني : في إبراز شدة ضعفهم وعجزهم ومشقة ذلك الحمل على أنفسهم ، فتحقق بالحذف إيقاظ الأذهان ثم تنبيهها لتعرف جليل إنعام الله ؛ حثًا على الوصول لإثبات التوحيد ونفي الشرك ، وهذه القيمة الحقيقية لا تتحقق إلا بعد إمعان النظر في التأمل والتفكر ، فهما عون للمرء يدفعانه لاستشعار فضائل الله ، وهذا دافع إلى الترقي في مدارج الإيمان ، كما أنَّ الجهل بنعمة خلق الحيوان وتسخيره من أجل القيام بخدمة بني الإنسان يُعدُّ جهلاً بنعمة عليّة من الواجب حسن استغلالها وشكر الله عليها ، وهذا أجود عطاءً في فهم المراد ؛ لكون الركنين المحذوفين – الأول : تأكيد عِظَمِ المشقة في حمل الأثقال ، والثاني : إبراز شدة عجزهم في حمل أنفسهم بالإبل ، فكيف بدونها؟ –أسهما في تنوير بصيرة بني الإنسان بما خلق الله من أجلهم .

*

ويُبرز التقابل منّة الله وعظمته على نبيه موسى عليه السلام ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾(طه:٢٢،ك) ،ففي قول الحق ﷻ :﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ﴾ احتباك[1] ، ذكر فعل الأمر أولًا دليلًا على حذف مضارعه ثانيًا ، وذكر المضارع ثانيًا دليلًا على حذف الأمر منه أولًا ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تنضم) ؛ لدلالة ذكر﴿وَٱضْمُمْ﴾في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أخرجها) ؛ لدلالة ذكر ﴿تَخْرُجْ﴾ في الطرف الأول .وتقديره :"اضمم يدك تنضم ، وأخرجها تخرج"[2] .

وسرّه أنه أظهر المقصود بأيسر الطرق إيجازًا واختصارًا ، وهذا مظهرٌ من مظاهر العظمة

---

(١) ينظر : المرجع السابق ، ٢٨٢/١٢

(٢) الدر المصون ٢٧/٨ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي١٩٧/٦ .

وتمام القدرة الدالة على الإعجاز .

فالقيمة الحقيقية لطبيعة الاحتباك تبرز في علو دلالة الأمر لنبي الله موسى عليه السلام في سياق إثبات البراهين التي جاء بها الأمر الإلهي الجليل ؛ لكونه دالًا على أعظم مظهر من مظاهر القدرة الإلهية الموجبة غرس الإيمان بالله ربًا واحدًا . فيظهر حسن الحذف وبلاغته بمراعاة السياق العام بما يقرره من " الإعلام بإمهال المدعوين والحلم عنهم والترفق بهم"[١] ، والخاص بما تحقق فيه من إثبات رؤية نبي الله موسى في نفسه الدلائل الدالة على صدق نبوته " ولما أراه آية في بعض الآفاق ، أراد أن يريه آية في نفسه " [٢] . فأصل المراد من الحذف يُحقق معنى التوحيد الخالص الذي أَمَرَ به سبحانه وتعالى من جانب ، ومن آخر يتحقق إثبات البرهان الدال على حقيقة ما بعث به موسى من الرسالة لبني إسرائيل[٣] ، وهذا متحقق بالمعاني الجوهرية ، الأول : في صدور الأمر بـــ «اضمم» ، والثاني في النتيجة المترتبة على الأمر في «تخرج» ؛ ليقوى جأشه[٤] . ولَكِنَّ في الحذف أسرارًا ، منها : تعليم سيدنا موسى عليه السلام حقيقية ما بعث به من الرسالة ؛ ليرسخ اليقين في قلبه ، ويزول الخوف الذي هو طبع النفس البشرية[٥] ، كما أن في القول بالاحتباك مراعاة للمقام الذي ازداد فيه الخوف من فرعون ؛ لشدة شوكته وكثرة جنوده ؛ لذا أظهر الله من صدق الدلائل ما يبدد الخوف ويذهبه ، ويزرع في النفوس الطاغية الخوف منه سبحانه ، فإذا علم المرء أنه لا أحد يقدر على مضرته إلَّا بإذن الله ، علم أنه لا يضره شيءٌ إلا به[٦] . وهذا الوجه متضح عند بعض المفسرين[٧] . ولم يأت النظم على نحو : اضمم يدك تنضم ، وأخرجها تخرج ؛ ليتحقق المراد بأيسر الطرق بلاغة وإيجازًا ، ثم إن الحذف أحدث ترابطًا قويًا بين سياق الآية ، وأثرًا نفسيًا لسيدنا موسى عليه السلام ، وهو الشعور بالراحة والاطمئنان ؛ لكونه أُمِرَ أولًا بضم يده إلى جناحه ، ثم أخرجها بالقدرة الإلهية بيضاء نقية ، وإنما احْتِيْجَ إلى هذا ؛ لأنه لا يترتب -وجه الاحتباك- على مجردِ

---

(١) نظم الدرر ١٢/٢٥٥ .

(٢) المرجع السابق ١٢/٣٨٢ .

(٣) ينظر : جامع البيان١٦/١٥٨بتصرف يسير .

(٤) ينظر : البحر المحيط٦/٢٢٢ .

(٥) ينظر : جامع البيان١٦/١٥٨ .

(٦) ينظر : الموضع السابق .

(٧) ينظر : البحر المحيط٦/٢٢٢ ، والدر المصون٨/٢٧ .

الضمِّ والخُرُوج[1] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (الشعراء: ٦٣،ك) ،احتباك ، المحذوف من الطرف الأول (ينفلق) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فضربه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱضۡرِب﴾ في الطرف الأول ، وتقديره : " اضرب بعصاك البحر ينفلق فضربه فانفلق" [2] .

وفي تبصر دلالة السياق إشارة إلى أن ذلك التقدير ناتج من فهم المعنى ، يمكن أن يصار إليه دون حمل النظم على الاحتباك ؛ لذا قيل : "والمعنى : فضرب فانفلق"[3] ، ومثل هذا في قول الحق : ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ (البقرة:٧٣،م) ، " ومعنى الكلام : فقلنا : اضربوه ببعضها ليحيا ، فضربوه فحيي" [4] ، والظاهر ما أجمع عليه أهل العلم من جعل الكلام من باب حذف المعطوف عليه .

*

و في موضع آخر يقول الحق ﷻ : ﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾(النمل:١٢،ك) ، ففي قول الحق ﷻ :﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ ﴾ احتباك ، ذكر الأمر أولًا دليلًا على حذف مضارعه ثانيًا ، وذكر المضارع ثانيًا دليلًا على حذف الأمر منه أولًا ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تدخل) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَأَدۡخِلۡ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أخرجها) ؛ لدلالة ذكر ﴿ تَخۡرُجۡ ﴾ في الطرف الأول.وتقديره :"وأدخل يدك في جيبك تدخل ،وأخرجها تخرج" [5]
[5]

---

(١) ينظر: الموضع السابق .

(٢) الروض المريع ، ص١٤٥ .

(٣) جامع البيان ٣٦١/١ .

(٤) الموضع السابق .

(٥) البحر المحيط ٥٨/٧ ، والبرهان١٣٠/٣ ، والدر المصون٥٧٨/٨ ، وروح المعاني١٦٧/١٩ .

وقيل : «هو تكلف لا حاجة إليه »[1] ، غير أنه لم يُشَرْ إلى وجه التكلف فيه ، ولعله كذلك ؛ لاختلاف مدلول السياق –هنا– عن سابقه ؛ لكون المجال مجال تفصيل في ذكر المعجزات الخارقة التي سيذهب بها إلى فرعون ، فهو يتطلب استعدادًا وتهيؤًا لسماع ما يلقى عليه من ربه ، ثم إن خاصية الأمن اتضحت في أسلوب النداء المليء بالرحمة واللطف والرأفة وتجنب الخوف : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾(النمل:٩،ك) ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾(النمل:١٠،ك) فافعل جميع ما أمرك به فإنه لا بد منه ، ولا تخف من شيء ، فإنه لا يوصل إليك بسوء ؛ لأنه محكم بقانون الحكمة ، محروس بسور العزة[2] .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ (القصص : ٣٢،ك) ، احتباك ، ذكر الأمر أولًا دالٌّ على **حذفه** ثانيًا ، والمضارع ثانيًا دالٌّ على **حذفه** أولًا [3] ،وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تنسلك)؛لدلالة ذكر ﴿تَخۡرُجۡ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أخرجها) ؛ لدلالة ذكر﴿ ٱسۡلُكۡ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : اسلك يدك في جيبك تنسلك وأخرجها تخرج .

وسرّه أنّه ذكر ما اقتضاه السياق أمانًا له ﷺ ، وزيادة في تحقيق الاطمئنان ، فهذه المعجزة الخارقة أغرب لبني إسرائيل ، حيثُ عجزوا عن مداواته عليه السلام ؛ لذا ذكر الأغرب الأدل على مطلق القدرة الموجبة التسليم له سبحانه وتعالى .

فالقاعدة العظمى تتجلى في هيبة الأمر الإلهي : ﴿ ٱسۡلُكۡ ﴾ ؛ ليتحقق الغرض من وراء الأمر على أتم وجه لنبيه موسى عليه السلام -أولًا- ، وهو اليقين التام بأنه لقي ربه ؛ لأنَّ في هذا عونًا له يدفعه لتحمل شدّة جبروت فرعون وطغيانه ، ولبني إسرائيل-ثانيًا- أملًا في رجوعهم إلى الإيمان بموسى عليه السلام ، بمشاهدة دلائل العظمة والسلطان الموجبة وحدانية الله [4] . ويبرز

---

(١) الدر المصون ٥٨٧/٨ ، وروح المعاني١٩/١٦٧ .

(٢) ينظر : نظم الدرر١٤/١٣٤ .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٤/٢٨١ .

(٤) ينظر : جامع البيان٢٠/٧٢بتصرف .

جمال الحذف بعد مراعاة السياق العام بما يقرره من التواضع لله المستلزم رد الأمر كله إليه[1] ، والخاص بما تحقق فيه من زيادة صفتي الأمن والاطمئنان لموسى عليه السلام . فأصل المراد – وهو إظهار عجز فرعون وقومه أمام دلائل العظمة الظاهرة التي عجزوا عنها – متحقق في الركنين المذكورين : اسلك يدك في جيبك تنسلك على لونها وما هي عليه ، وأخرجها تخرج بيضاء بياضًا عظيمًا [2] . ففي الحذف جليل أثر في النفس يخفي الخوف والرعب ؛ لتأنس بالله في الدعوة إليه ، وإرشاد إلى تعلم الجلد والصبر والانضباط في مواجهة الخصم . كما تحقق بالحذف مزيد من الدقة والإيجاز يلحظان في تلاحم دلالات المعاني في أصل النظم قبل التقدير : ﴿ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ ﴾ .

*

ويبرز السياق مظاهر العظمة حثًا على التبصر فيها ، وذلك في قوله تعالى:﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ .قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ (القصص:٧١-٧٢،ك) ، ففي قول الحق عز وجل:﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ......مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ احتباك "ذكر الضياء أولًا دليلًا على حذف الظلام ثانيًا ، والليل والسكون ثانيًا دليلاً على حذف النهار والانتشار أولًا" [3] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (بنهارٍ تنتشرون فيه) ؛ لدلالة ذكر ﴿بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ ﴾في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (يأتيكم بظلام) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدًا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء يولد نهارًا تنتشرون فيه ، أفلا تسمعون؟ . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدًا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بظلام يولد ليلاً تسكنون فيه ، أفلا تبصرون؟ [4] . وسرّه : أنه ذكر عموم الأحوال

---

(١) ينظر : نظم الدرر١٤/٢٣٢ .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٤/٢٨١ .

(٣) المرجع السابق ١٤/٣٤٤ .

(٤) ينظر : نظم الدرر١٤/٣٤٢وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه ، أسراره ، ص٣٠ .

والأوقات ؛ لكونه أدل على مطلق القدرة وتمام التوحيد. "والخلاصة أن الذكر والحذف جاءا استجابة لمطلب المقام والسياق ، فذكر ما هو أظهر في الامتنان" (١) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك تكشف عن عظمة الله وسلطانه ، من خلال إبراز أتمّ معالم الكمال ؛ حيثُ أيقظ مشاعر الخلق لظاهرتين كونيتين عظيمتين : ظاهرتي الليل والنهار ، وما وراءهما من أسرار ؛ حثًّا على التبصر ، وأملاً في الرجوع إلى الحق ، وليدرك بنو البشر إدراكًا حقيقيًّا مظاهر تلك العظمة ، فيوقِنوا أن غير الله -تعالى- لا قدرة له على شيء من ذلك مطلقًا (٢) ، فمن خلال تبصر دلالة السياق العام يتضح احتواؤه على بيان الدعوة إلى الإيمان بمحمد ﷺ ليتحقق الإيمان بالآخرة المستلزم رد الأمر كله إلى الله (٣) ، أمَّا الخاص فتضمن إقامة الدلائل للاستدلال على القدرة الشاملة والعلم التام (٤) ، وهذه الغاية العظمى التي يسعى الاحتباك إلى تحقيقها في النفوس البشرية تهديدًا لأهل الظلم ، وتثبيتًا لأهل العلم . فالقيمة الحقيقية تمثلت في : من معبود غير المعبود الذي له عبادة كل شيء يأتيكم بضياء النهار فتستضيئون به ، ويَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ فتستقرون وتهدؤون فيه(٥) ، وهذا المعنى الجليل تحقق في الركنين المذكورين ؛ الأول : (يأتيكم بضياء) ، والثاني : (ليل تسكنون فيه) . وازداد المراد حسنًا بإبراز مقابله من كل طرف ، الأول : (يأتيكم بظلام) ، والثاني : (نهار تنتشرون فيه) ، فبأركان الاحتباك مجتمعة يتحقق المقصود ؛ لأنَّ الناس يشتاقون إلى الصبح حين يطول بهم الليل قليلًا ، ويحنون إلى ضياء الشمس حين تتوارى عنهم فترة وراء السحاب! وكذا يستروحون الظلال حين يطول عليهم الهجير ساعات من النهار ، ويحنون إلى الليل حين يطول النهار بعض ساعات ، ويجدون في ظلام الليل وسكونه الملجأ والقرار ، والحياة كلها تحتاج إلى فترة الليل ؛ لتجدد ما تنفقه من الطاقة في نشاط النهار (٦) ، وهذا عطاء الجواد للعبادة ، فكيف يُقْبِلُ العبد على ذلك الإحسان؟!! . إنه يستلزم الترقي في مدارج الطاعات تطلعًا إلى مرتبة الإحسان في العبادة إخلاصًا له .

---

(١) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه ، أسراره ، ص٣٠ وما بعدها .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن٢٠/٢٧٠٨ ، وروح المعاني٢٠/١٠٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر١٤/٢٣٢بتصرف .

(٤) ينظر : المرجع السابق١٤/٣٤٢ .

(٥) ينظر : جامع البيان٢٠/١٠٣ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير٢٠/١٦٨ وما بعدها .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (القصص: ٧٣،ك) ، احتباك "ذكر أولًا السكون دليلًا على حذف السعي في المعاش ثانيًا ، والابتغاء ثانيًا دليلًا على حذف عدم السعي في المعاش أولًا " [١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (لا تسعوا في معاشكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (تسعوا في معاشكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ، فلا تسعوا في معاشكم ، ولتبتغوا من فضله بأن تسعوا في معاشكم [٢] . وسرّه : أنه ذكر عموم أحوالهم في الليل والنهار ؛ لكونه أدل على تمام القدرة المستلزمة التوحيد .

فالقول بالاحتباك في هذا الموضع ذو اعتلاق بالغ جدًا بصورة الاحتباك السابقة ؛ لأنه سعى لإبراز عظمة القدرة في جعل الليل والنهار آيتين عظيمتين دبَّر فيهما وبهما جميع مصالح بني البشر ، فمن شمول رحمته أن محا آية الليل ؛ لتتحقق الغاية منه في السكن والانقطاع عن طلب المعاش فيه ، وجعل آية النهار مبصرة ؛ لتتحقق الغاية منه في السعي من أجل كسب المعاش ، ففي تبصر دلالة الخطاب بـــ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ حثٌّ نبيلٌ من الله لعباده يلزمهم دوام الشكر على النعم[٣] .

والمتفق عليه –وهو الأنسب للسياق– عند جمهرة المفسرين [٤] حمل النظم على اللف والنشر المعكوس[٥] في : ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ ، فيعود : «لتسكنوا فيه» إلى الليل ، ويعود : «ولتبتغوا من فضله» إلى النهار ، والمعنى : لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله بالنهار ، وقيل : والتقدير : ولتبتغوا من فضله فيه ، فحذف الضمير

---

(١) نظم الدرر ١٤/٣٤٥ .

(٢) ينظر : نظم الدرر١٤/٣٤٤وما بعدها . ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه–أسراره ، ص٣١ .

(٣) ينظر : نظم الدرر١٤/٣٤٤وما بعدها .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن١٣/٣٠٨ ، والتفسير الكبير٢٥/١١ .

(٥) وهو : «أن يكون الأول من النشر للآخر من اللف ، والثاني لما قبله ويسمى معكوس الترتيب » . المطول ، ص٦٥٤ .

إيجازًا ؛ واعتمادًا على المقابلة[1] .

فصورة الاحتباك –هنا– شبيهة بما سبق [2] في المعنى ؛ لأن السياق سياق تذكير بعظيم الامتنان ؛ لتتذكروا آياته وتتبصروا في مصنوعاته التي وسعت كل شيء ، " فالشأن أن يتذكروا بذلك مظاهر الرحمة الربانية وجلائل النعم ، فيشكروه بإفراده بالعبادة ، وهذا تعريض بأنهم كفروا فلم يشكروا" [3] .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾(الروم:٢٣،ك) ، ففي قول الحق ﷻ :﴿ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ احتباك «دلَّ ذكر النوم على القيام منه ، ودلَّ الابتغاء على الانقطاع عنه»[4] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (وانقطاعكم بالنوم عن معاشكم) ؛ لدلالة ذكر﴿ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وقيامكم بعد منامكم) ؛ لدلالة ذكر﴿ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : منامكم بالليل والنهار وانقطاعكم بالنوم عن معاشكم . وقيامكم بعد منامكم وابتغاؤكم من فضله[5] .

فالقول بالاحتباك يشكل أثرًا قويًّا لإبراز دلائل قدرة الله وعظيم فضله على عباده، وهذا تمثل في الركنين المذكورين ، الأول : (منامكم بالليل والنهار) ، والثاني : (ابتغاؤكم من فضله) ؛ ولكنْ في الحذف لطائف منها : أن هذه الدلائل واضحة لكل من له نظر آلي يدرك إدراكًا ظاهريًّا آية الليل والنهار، وكيف نتج عنهما منّة الله وفضله على عباده، فمن فضله ومَنِّه على عباده : نومهم مكانه وزمانه الذي يغلبهم فيه، بحيثُ لا يستطيعون له دفعًا، وانقطاعهم بالنوم عن معاشهم وكل ما يهمهم ، وقيامهم بعد منامهم أمر قهري لا يقدرون على الانفكاك عن واحد منهما أصلًا ، وابتغاؤهم بالجد والاجتهاد من فضله بالمعاش في الليل والنهار آية عظيمة على كمال القدرة والحكمة، ولا سيما البعث ، وبهذا الأمر العظيم العالي الرتبة من إيجاد النوم

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير ١٧٢/٢٠ .

(٢) ينظر : موضع دراسة سورة النباء:(١٠-١١) من البحث.

(٣) التحرير والتنوير ١٧٢/٢٠ .

(٤) نظم الدرر ٧٢/١٥ .

(٥) ينظر: نظم الدرر٧١/١٥وما بعدها، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه–أسراره ص٣٣وما بعدها.

بعد النشاط ، والنشاط بعد النوم، آيات عديدة على القدرة والحكمة[1] ، ففي تبصر ختام الآية بـ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ إشارة عظمى ترشد إلى الوقوف عند دلالة الاحتباك ؛ ليعلم البشر أن هذه الدلالة دقيقة تحتاج إلى توقف دقيق به تستبصر معالم العظمة ومنتهى القدرة على البعث، فثبت لهم نوع خاص من السماع، وهو " سماع من انتبه من نومه فجسمه مستريح نشيط ، وقلبه فارغ عن مكدر للنصح مانع من قبوله ، أو المعنى : لقوم هم أهل للسمع ، بأن يكونوا قد تنبهوا من رقادهم ، فرجعوا عن عنادهم ، إشارة إلى أن من لم يتأمل في هذه الآيات فهو نائم لا مستيقظ غير مؤهل لأن يسمع" [2] . فمن خلال التقابل بين المعاني برزت عدة لطائف تأخذ بأيدي العباد إلى مقام القرب من الله بدوام التأمل والتفكر في عظمة هذه الآيات.

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾(يس:١٢،ك) ، احتباك دلَّ عليه السياق فقد "دل فعل الإحصاء على مصدره ، وذكر فعل الإمام على فعل الكتابة" [3] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (إحصاء) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَحْصَيْنَاهُ ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني (كتبناه) ؛ لدلالة ذكر ﴿إِمَامٍ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : وكل شيء أحصيناه إحصاء وكتبناه في إمام مبين – أو في كتاب مبين– . وسرّه أنه ذكر الأظهر الأدل على تمام القدرة ومطلق العلم الموجبين للتوحيد . ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيثُ الناتج الدلالي صورة أخرى [4] من صور الحذف تعمق معنى التفرد الإلهي في قدرته على ما لا يمكن القدرة عليه لأحد غيره ،

(١) ينظر : نظم الدرر١٥/٧١وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ١٥/٧٢ .

(٣) المرجع السابق ١٦/١٠٢ .

(٤) وكذا الحال في قول الحق ﷻ : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾(النبأ:٢٩،ك) ، احتباك : «دل فعل الإحصاء على حذف مصدره ، وإثبات مصدر (كتب) عليه ، أي : **أحصيناه إحصاءً وكتبناه كتابًا** ، وذلك الإحصاء والكتب لعدم الظلم» . المرجع السابق٢١/٢٠٨ ، وقيل : إن التقدير : «أحصيناه بكتبناه ، أو كتاباًبإحصاء» . فالتقدير الأول أنسب ؛ لسمو البيان القرآني ؛ لما فيه من حسن انتظام أركانه . ينظر : حاشية الشهاب على البيضاوي ٨/٣٠٨ ، و روح المعاني٣٠/٢١ .

وهذا ركن أصيل من أركان الدعوة إلى الإيمان .

فالغرض الأمثل من حمل النظم على الاحتباك تمثل فيما أنتجته أوجه التناظر بين طرفي النظم من لطائف المعاني ؛ إذ ركز في المقام الأول على إبراز مطلق شمول القدرة على إحصاء كل شيء[1] ؛ لذا فالقول به أتى منسجمًا مع المعنى في سياقه العام الساعي إلى إثبات أمر الرسالة ؛ ليتحقق الإعلام بإنذار يوم الجمع [2] ، والخاص تضمن إبراز دلائل القدرة على البعث الذي هو سبب عظيم في الترقية إلى اعتقاد الوحدانية التي هي الأصل الأول [3] ، فتحقق إثبات مطلق القدرة بحفظ الله وضبطه لكل شيء ، ففي تبصر دلالة الخطاب بـــ ﴿وَكُلَّ شَىۡءٍ ﴾ إشارة عظمى تفيد مطلق الإحاطة وشمول العموم لكل ما يمكن أن يكون من صغيرة وكبيرة[4] ، فتقرر بالاحتباك تأكيد حقيقة ضبط الأشياء في علمه تعالى ؛ ليعلم البشر بنوع لطيف من مظاهر القدرة الدالة على تفرده ، ولإبراز باهر العظمة الباعثة في النفوس تقواه ؛ لتعلم أن الانضباط في علمه وقدرته أجلّ وأعلى من أن يدرك ، فلله القدرة الباهرة ، والعظمة الظاهرة ، والعزة القاهرة[5] . وللاحتباك أثر بارز في نشوء علاقات جديدة تقع بين الألفاظ المذكورة والمحذوفة ، فأبرز المذكوران عظمة الله في ملكه ، فكل شيء كان أو هو كائن أحصيناه فأثبتناه في أم الكتاب[6] ، والمحذوفان يُؤكدان تلك القدرة ، حثًّا على التقيد التقيد بالصدق وغرسه في النفوس ؛ لما فيه من جليل النفع ونبل الخلق ، وتجنب الظلم ؛ لما فيه من عظيم الضرر وفساد الخلق .

*

ويقول تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ (يس ٦٥،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم﴾ **احتباك** اقتضاه السياق حيثُ "أثبت الكلام للأيدي أولًا دليلاً على حذفه من حيز الأرجل ثانيًا ، وأثبت الشهادة للأرجل ثانيًا

---

(١) ينظر : جامع البيان٢٢/١٥٤وما بعدها .

(٢) ينظر : نظم الدرر١٦/٨١ .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٦/١٠٠ وما بعدها .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير٢٢/٣٥٧ .

(٥) ينظر : نظم الدرر١٦/١٠٢ ، وروح المعاني ، ٢٢/٢١٨ .

(٦) ينظر : جامع البيان٢٢/١٥٤ .

دليلًا على حذفها من حيز الأيدي أولًا[1] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (فتشهد) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَتَشْهَدُ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (تكلمنا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَتُكَلِّمُنَآ ﴾ في الطرف الأول. وتقديره: " وتكلمنا أيديهم فتشهد وتكلمنا أرجلهم فتشهد"[2] .

وسرّه أنه " أثبت الكلام للأيدي ؛ لأنها كانت مباشرة ، وأثبت الشهادة للأرجل ؛ لأنها كانت حاضرة بقرينة أن قول المباشر إقرار ، وقول الحاضر شهادة"[3] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك تدعو في مجملها إلى إبراز المقصد الأعظم الباعث في النفوس عظمة الله؛ لإثبات مطلق القدرة على تحقق يوم القيامة وإبراز ما فيه من هول الموقف عند شهادة الأعضاء، وبمراعاة النظر في السياق العام للسورة يتضح أن مقصدها الأعظم متمثل في الدعوة إلى إثبات الرسالة التي من أجلّ مقصدها إنذار يوم الجمع، فأبرز السياق العام أعظم دلائل البعث الدالة على كمال وحدانية الله حثًّا على الإيمان، والخاص قرر حقيقة يوم القيامة بما فيه من باهر الدلائل ترويعًا وتهديدًا من عظيم القدرة . فالقيمة الحقيقية لإيضاح مطلق القدرة الإلهية تمثلت في الركنين المذكورين ، الأول: تكلمنا أيديهم بما عملوا في الدنيا من معاصي الله[4] ، والثاني: تشهد عليهم بذلك أرجلهم، فهما أصلان في بيان المعنى، ولكنْ وراء الحذف لطائف ، من أجلِّها : توجيه المرء إلى مراعاة عظيم النعمة في إعلامه بشهادة الأعضاء عليه يوم القيامة ، وهي نعمة عليّة يحسن التبصر فيها والعمل من أجل مراعاتها فلا يحسن معرفتها إلا من أمعن التأمل واستشعر، فإن العلم حياة للقلوب، به تترقى النفس في درج الإيمان، والجهل موت للضمير ، به تتنقل النفس في درك الكفر . وللاحتباك أثر بارز في نشوء علاقات ربط جديدة أسهمت في إعلام البشر بمراقبة الله –لهم– في مطلق الأحوال، فيجب أن يراقبوه في كل حين؛

---

(١) نظم الدرر ١٥٧/١٦ .

(٢) التحرير والتنوير ٥٠/٢٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، ٤٩/١٥ ، ونظم الدرر١٥٧/١٦ .

وبصورة أكثر وضوحًا : فإن «نسبة التكليم إلى الأيدي دون الشهادة لمزيد اختصاصها بمباشرة الأعمال ، حتى إنها كثر نسبة العمل إليها بطريق الفاعلية ، كما في قوله : ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ إلى غير ذلك ، ولا كذلك الأرجل ، فكانت الشهادة أنسب بها لما أنها لم تضف إليها الأعمال ، فكانت كالأجنبية ، وكان التكليم أنسب بالأيدي ؛ لكثرة مباشرتها الأعمال وإضافتها إليها ، فكأنها هي العاملة ، هذا مع ما في جمع التكليم مع الختم على الأفواه المراد منه المنع من التكلم من الحسن» . روح المعاني٤٢/٢٣ .

(٤) ينظر : جامع البيان٢٤/٢٣ .

ليصلوا إلى أعلى درجات الإيمان الخاص– الإحسان– ، وفي هذا ما يُعَوِّدُ المرءَ على فعل الحسن الجميل دائمًا، وتَعَوُّد قول الصدق وتجنب الكذب.

*

ويبرز التقابل عظيم القدرة الإلهية في بدء وإعادة الخلق ، وذلك في قوله تعالى : ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾(يس:٧٩،ك) ، ففي قول الحق ﷻ :﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ﴾ احتباك "ذكر الإحياء أولًا دال على مثله ثانيًا ، والإنشاء ثانيًا دالٌّ على مثله أولًا ، و(أول مرة) في الثاني دال على(ثاني مرة) في الأول" [(١)] .

وفيه نظر ؛ لاتساع وجه الاحتباك بما لا يتناسب مع طبيعته . **ولو قيل** : ذكر الإحياء أولًا دال على مثله ثانيًا ، و(أول مرة) في الثاني دال على ضده في الأول ؛ لكان أنسب لطبيعة الاحتباك ، وعليه يكون المحذوف من الطرف الأول (ثاني مرة) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (أحياها) ؛ لدلالة ذكر﴿ يُحْيِيهَا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : قل يحييها وينشئها ثاني مرة الذي أنشأها من العدم ، ثم أحياها أول مرة[(٢)] . وسرّه : أن ذلك أدل على تمام القدرة الموجبة توحيده إفرادًا .

فالقول بالاحتباك أسهم في تَعَمق القدرة الإلهية في إثبات حقيقة إحياء الله للأرواح بعد فنائها ؛ ليقرر في النفوس إثبات أن من قَدَرَ على إيجاد شيء أول مرة فهو قادر على إعادته ثاني مرة تأكيدًا لأهمية الإيمان بالغيب [(٣)] ، وهذا المقصد ازداد حسنًا بمراعاة السياق العام بما تقرر فيه من إثبات الرسالة التي مِن أجلِّ مقاصدها الدعوة إلى الإيمان الصادق بحقيقة القدرة على البعث ؛ إثباتًا للتوحيد ، والسياق الخاص بما تحقق فيه من إثبات قدرة الله على ذلك تهديدًا لمنكريه[(٤)] . فالمعاني الجوهرية تمثّلت في بيان أصل النظم : ﴿يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ﴾ ؛ لأنه سعي لإثبات باهر الدلائل التي تهز الأبدان وتدفعها إلى الإقرار بالتوحيد ،

---

(١) نظم الدرر ١٨٠/١٦ .

(٢) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه –أسراره ، ص٥١ .

(٣) ينظر : نظم الدرر١٨٠/١٦ .

(٤) ينظر : المرجع السابق٨٨/١٦وما بعدها ، و١٧٦وما بعدها .

فالذي أبدع خلقها أول مرة قبل أن يكون لها إيجاد ، قادر لا محالة على إعادة خلقها [١] . ولكن في الحذف لطيف معانٍ تُؤكد قدرة الخالق على الخلق ؛ لذا أوثر القول بأنَّ الآية الكريمة من بديع الاحتباك ؛ لما تحقق في خاتمتها من إثبات أنه –سبحانه- بالغ العلم ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ فلا يخفى عليه أجزاء ميت أصلًا ، وإن تفرقت في البر والبحر ، ولا شيء غير ذلك[٢] ، كما تحقق بالمعاني الإحسانية مراعاة تلك القدرة ؛ لاستشعار عظمة الله أولًا ، وشدة عذاب إنكار البعث ثانيًا ، وفي تأمل جوهر هذا الدليل لطفٌ جليلٌ من الله لبني الإنسان ، به ينتزع المرء نفسه من فعل المعاصي إلى فعل الطاعات ، ومَنْ جَهِلَ عِظَم هذا الدليل جهل حقيقة المعرفة بالله ، وهذا من أقبح أنواع الشرك . وللاحتباك أثر فاعل في إبراز دلالة الأمر بـــ ﴿قُلْ﴾ ؛ لتتحقق أهمية ذلك القول ؛ تأكيدًا على وجوب الإيمان بمقتضاه .

كما نتج من وراء الحذف نوعٌ من الدقة والإيجاز يلحظان بالمقارنة بين أصل النظم قبل التقدير : ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ، وبعده : قل **يحييها ثاني مرة** الذي أنشأها من العدم ثم **أحياها أول مرة** ، فصار لكل طرف مذكور مقابل آخر محذوف مختزن في الذهن يكشف عن تعمق معنى القدرة الإلهية على الخلق ، كما أن تلمس الفرق بينهما يكشف عن خاصية عمق المعنى قبل إجراء صورة الاحتباك عليه .

*

ويقول تعالى : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الزمر:٤٢، ك) ، ففي قول الحق ﷻ:﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ احتباك دل عليه السياق فـــ"ذكر الحين أولًا دليلًا على تقدير مثله في النوم ثانيًا ، والمنام ثانيًا دليلًا على حذف الممات أولًا " [٣] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (في مماتها) ؛ لدلالة ذكر﴿فِي مَنَامِهَا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (حين نومها) ؛ لدلالة ذكر﴿حِينَ مَوْتِهَا﴾في الطرف الأول . وتقديره : الله يتوفى الأنفس حين موتها في مماتها ، والتي لم تمت

---

(١) ينظر : جامع البيان٣١/٢٣ .

(٢) ينظر : نظم الدرر١٨٠/١٦ .

(٣) المرجع السابق ٥١٩/١٦ .

حين نومها في منامها [١] . وسرّه أنه ذكر عموم أحوالهم ؛ لكونه أدلّ على تمام القدرة المستلزمة التوحيد .

فالنمط التركيبي لصورة الاحتباك أسهم في إبراز باهر الدلائل وعجيب القدرة والعظمة له ﷻ في الاستدلال بحالة عجيبة من أحوال أنفس المخلوقات ، -وهي حالة النوم- ؛ لترسيخ القاعدة العظمى التي ينطلق منها الإيمان الحقيقي ، وهي : تحقق الإيمان بالغيب ؛ ليتحقق الاعتراف بوحدانية الله ، وتبرز مظاهر هذه القدرة بعد النظر فيما اقتضاه السياق العام من " الدلالة على أنه –سبحانه- صادق الوعد ، غالب لكل شيء"[٢] ، والخاص تمثل فيه إثبات أعظم دليل من دلائل التفرد الإلهي - يميت ويحيي- لا يشركه في ذلك أحد من خلقه[٣] . فالناتج من السياقين يكشف عن حقيقة التفرد الإلهي ، وهذا ما سعى الحذف لإبرازه من خلال أوجه التقابل بين المعاني ، وفي تبصر دلالة الخطاب بتقديم لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهُ ﴾ على الخبر الفعلي إفادة عظمى تَحقَّقَ من ورائها تخصيصه بمضمون الخبر ، أي : الله يتوفّى لا غيره ، فهو قصر حقيقي ؛ لإِظهار فساد أَنْ أشركوا به آلهة لا تملك تصرفاً في أحوال الناس[٤] .

فالقاعدة الأم لتأمل مظاهر العظمة والقدرة تمثلت في المعاني الجوهرية ، الأول : يتوفى الله الأنفس حين موتها ، فيقبضها عند فناء أجلها وانقضاء مدة حياتها ، والثاني : ويتوفى –أيضاً- التي لم تمت ، كما التي ماتت عند مماتها [٥] ، فهما أصل في الكشف عن المقصد الأعظم المتمثل في أن الخالق هو القادر على الإحياء والإماتة دون غيره من المخلوقات . وفي حمل النظم على الاحتباك جليلُ معانٍ ، من أبرزها : إيقاظ القلوب وهز الأبدان بتأمل جليل تلك العظمة ، وهذا حق لله على المرء -تأمل دلائل وحدانيته- ؛ ليصل إلى صدق الإيمان " ثم إنه في قبض نفس النائم والميت لعبرة وعظة لمن تفكر وتدبر ، وبيانًا له أن الله يُحيي من يشاء

---

(١) ينظر : نظم الدرر١٦/٥١٩ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه-أسراره ، ص٥٠ .

(٢) نظم الدرر ١٦/٤٣٦ .

(٣) ينظر : جامع البيان٢٤/٨ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير٢٤/٢٣وما بعدها .

(٥) ينظر : الموضع السابق .

من خلقه إذا شاء، ويميت من شاء إذا شاء" [١] ، وهذا من أنبل مبادئ تعلم المرء عقيدته كما أنَّ في الحذف دليلاً حسيًّا يدركه المرء بأدنى درجات التأمل ؛ لكونه دليلًا للناس من أنفسهم ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات:٢١،ك) ، " فبين الميت والنائم قدر مشترك ، وهو كونهما لا يميزان ولا يتصرفان" [٢] ؛ إذ " تلتقي أرواح الأحياء والأموات فيتساءلون بينهم، فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها " [٣] ، فالأنفس التي تموت في مماتها هي الأنفس التي يكون معها الحياة والحركة، والأنفس التي لم تمت في منامها حين نومها هي أنفس التمييز لا نفس الحياة ؛ لأن نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس ، والنائم يتنفس ، وكون النفس تقبض ، والروح في الجسد حالة النوم ، بدليل أنه يتقلب ويتنفس[٤] ، فهي في قبضته دائماً في صحوها ونومها.

ويذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا فضيلة وراء الاحتباك إلَّا الإيجاز [٥] ، وفيه نظر ؛ لكون المعنى الناتج من وراء الحذف يبرز حقائق القدرة بصورة أكثر عمقًا ؛ ليقرر في النفوس عظمة الرب .

*

ويقول تعالى في موضع آخر : ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (فصلت: ١٢،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ﴾ احتباك "حذف فعل الحفظ بدلالة المصدر ، ومصدر الزينة بما دلّ عليه من فعلها "[٦] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (زينة) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَزَيَّنَّا﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني (حفظناها) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَحِفْظًاۚ ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : وزينا السماء الدنيا زينة ، وحفظناها حفظًا[٧] . وسرّه أنه ذكر

---

(١) المرجع السابق ٩/٢٤ .
(٢) البحر المحيط ٤١٤/٧ .
(٣) نظم الدرر ٥١٩/١٦ .
(٤) ينظر : البحر المحيط٤١٤/٧ .
(٥) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه– أسراره ، ص٥٠ .
(٦) نظم الدرر ١٥٧/١٧ .
(٧) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه ، أسراره ، ص٢٤ .

الأدل على تمكن القدرة بالحفظ والزينة .

فالقول بالحذف سعى لإبراز جانب مهم من جوانب العقيدة ، وهو : تحقق القدرة على البعث ؛ لكونه الأصل الأهم في الإيمان الدال على إثبات دلائل التوحيد في النفوس، ففي تبصر دلالتي السياقين العام والخاص ما يُعْلِي من شأن الحذف،إذ تضمن العام الإعلام بأن العلم إنما هو ما اختاره الله؛ لتتحقق لهم إحاطته بمطلق أوصاف الكمال[1] ، والخاص تضمن إعلام البشر بما هو غيب من عظيم القدرة ؛ ليُحقق لهم بهذا العلم القدرة على الانقياد لكل خير يوجب التوحيد، والإقبال على الحق في كل أمر[2] . فما أنتجته أوجه التناظر بين المعاني من مظاهر القدرة والعظمة في منّة الله على عباده بتزين السماء بالكواكب وحفظها من الشياطين[3]، أدعى إلى حسن الإيمان وإبعاد الشريك، فثبت بالحذف الدعوة إلى التبصر في عظيم الدلائل لمعرفة الله لأنَّ في هذا الصنع نفعًا للناس دينًا ودنيًا يرشدهم إلى الترقي في العبادة من خلال نعمتي التأمل في دقائق الصنع والشكر على نعم النفع[4] .

*

وفي موضع آخر أسهم حذف التقابل في تحقيق التوحيد الصادق في النفوس من خلال تبصر موضع الحذف في قول الحق ﷻ : ﴿ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾(الواقعة:٥٩،ك) ؛ إذ "ذكر أولًا (تخلقون) دليلًا على حذف مثله له –سبحانه- ثانيًا ، وذكر الاسم ثانيًا دليلًا على حذف مثله لهم أولًا " [5] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الخالقون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (نخلقه) ؛ لدلالة ذكر ﴿تَخۡلُقُونَهُۥٓ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أأنتم تخلقونه أو أنتم الخالقون له ، أم نحن نخلقه بل نحن الخالقون له[6] . وسرّه : "أنه ذكر ما هو أوفق لأعمالهم ؛ مما يدل على وقت التجدد ولو وقتاً ما ،

(١) ينظر : نظم الدرر١٧/١٣٤ .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٧/١٥٨ .

(٣) ينظر : جامع البيان٢٤/٩٩ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير٢٤/٢٥١ .

(٥) نظم الدرر١٩/٢٢٠ .

(٦) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه – أسراره ، ص٤٩ .

وما هو الأولى بصفاته سبحانه ؛ مما يدل على الثبات والدوام "[١] ، فهذا النمط التركيبي شبيه في سياقه ودلالته بما تقدم[٢] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز عظمة الله الباهرة ، وقدرته العجيبة ، وعظيم فضله على عباده ؛ إظهارًا لعجزهم ، فحسن المعنى ودقته يبرزان بصورة أكثر عمقًا بعد مراعاة النظر في السياق العام بما تقرر فيه من إثبات تمام القدرة بالفعل لأجل إظهار أعظم أوصاف الكمال عن طريق نزاهة الله عن كل شيء به نقص [٣] ، والخاص بما تقرر فيه من إثبات الدلائل -لإبطال دعوى منكري البعث- الشاهدة على عجز بني البشر في فعل القدرة على الخلق أولًا ، والإنبات ثانيًا ، وإنزال الماء ثالثًا ، وخلق الشجر رابعًا ، مبتدئًا بالأعظم رتبة ثم بما يليه ؛ لإثبات حقيقة أنه لا قدرة لمخلوق في ذلك مطلقًا ، ففي التنقل في سياق مظاهر العظمة والجلال ما يدل على علو بلاغة القرآن في دقة الربط بين معانيه .

وللاحتباك أثر عظيم يبعث في النفوس تعلم مبدأين من أجلِّ مبادئ العقيدة ؛ **الأول** : في خلق قوة تدفع المرء إلى حسن التأمل والتفكر في باهر الدلائل وعجيب الصنع بحسن صمت ؛ لكون التأمل في جوهر تلك الدلائل-في سياقاته ا- أصدق دليل على عِظَمِ مظاهر التوحيد ، **والثاني** : في ثمرة هذا التأمل والتفكر الذي يُعد من أنبل روابط الصلة بين المرء وربه ؛ إذ ترتقي بالمرء إلى أقصى درجات العبادة لله إقرارًا بجليل قدرته ؛ واستشعارًا بأجود أنواع الإنعام والفضل . ففي هذا إرشادٌ إلى الاجتهاد في التأمل بغية الوصول إلى معرفة الخالق .

*

وفي قول الحق ﷻ: ﴿ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ . لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ﴾ (الواقعة: ٦٩-٧٠،ك) ، احتباك امتد في السياق القرآني فـــ "كأنه قيل : أأنتم خلقتموه عَذْباً صالحًا للشرب وأنزلتموه من المزن ، لو نشاء جعلناه أجاجًا ولأمسكناه في سحاباته ، أو أنزلناه

---

(١) نظم الدرر١٩/٢٢٠ .

(٢) ينظر : في نفس المبحث عنوان:(إنزال المطر ، وإنبات الزرع ، وخلق الشجر) .

(٣) ينظر : نظم الدرر١٩/١٩٥ .

على البحار أو الخلاء فلم تنتفعوا به"[١] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (عذبًا) ؛ لدلالة ذكر﴿أُجَاجًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (لأمسكناه في سحاباته) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ في الطرف الأول . وسرّه : أنه ذكر الأدل على تحقق مطلق القدرة والعظمة لله ، ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي عدَّة صور أخرى [٢] اتفقت في الناتج الدلالي من وراء الحذف ؛ إذ تكشف في جوهرها عن معنى التفرد الإلهي المتمثل في القدرة على الإنبات أولًا ، وإنزال الغيث ثانيًا ، وخلق الشجر ثالثًا .

فـــالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك في المواضع السابقة من هذا الباب –أسهمت بشكل فاعل في إبراز براهين العظمة والكمال ؛ ليعلم البشر بعظيم تلك القدرة المستلزمة وجوب التوحيد ونفي الشرك ، وليتحقق في الأفئدة عِظمِ التوحيد إحقاقًا يُثبت له — سبحانه— مجامع الكمال ومعالم السلطان ، والذي يهدي إليه السياق العام والخاص وقرائن الأحوال يُعمق القول بحسن الاحتباك ؛ لما تحقق فيهما من إظهار معالم وحدانية الله ، وهذه الغاية العظمى التي يسعى الاحتباك في تقرير حقيقتها في النفوس ، فـــــــالعام تضمن الدلالة على تمام القدرة بالفعل بالاختيار ؛ لإثبات الكمال ، والتــــتريـــــه بالنفي لكل شيء به نقص [٣] ، والخاص سيق لأهل الضلال والعناد [٤] فأسهم في الاستدلال بأعظم مظاهر القدرة ؛ ليقرر لهم في النار أنهم لا سبب لهم في شيء من ذلك مطلقًا ، فجاء الجواب

---

(١) التحرير والتنوير ٣٢٤/٢٧ .

(٢) وكذا الحال في قول الحق ﷻ : ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾(الواقعة:٦٤،ك) ، احتباك : «فالآية من الاحتباك بمثل ما مضى في أختها قريباً سواء . تقديره : أأنتم تزرعونه أو أنتم الزارعون له ، أم نحن نزرعه بل نحن الزارعون له» . نظم الدرر ٢٢٣/١٩ . **وفي قول الحق ﷻ** : ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ (الواقعة:٦٩،ك) ، احتباك «والآية من الاحتباك بمثل ما مضى في الآيتين السابقتين سواء » ، تقديره : أأنتم أنزلتموه من المزن أو أنتم المترلون له ، أم نحن نترله بل نحن المترلون له . ينظر : المرجع السابق ٢٢٧/١٩ . **وفي قول الحق ﷻ** : ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾(الواقعة: ٧٢،ك) ، احتباك «والآية من الاحتباك بمثل ما مضى في أخواتها سواء» ، تقديره : أأنتم أنشأتم شجرتها أو أنتم المنشئون لها ، أم نحن أنشأناها بل نحن المنشئون لها . ينظر : المرجع السابق٢٢٩/١٩ .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٩٥/١٩ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير١٥٨/٢٩ .

عقب الإنكار في كل موضع بـــ "أنت الخالق وحدك "[١] ، فتحقق بالاحتباك إبراز عظمة الخالق في غناه عن الخلق أولًا ، وفيض رحمته في إنعامه ثانيًا ، ففي هذا إرشاد عليّ يوجب أهمية الإيمان بالبعث ؛ لأنه مفتاح الارتقاء في مقامات التصعيد الإيماني ؛ إذ إنه رأس صفات أهل التقوى ، وميزة أهل الإحسان .

وللاحتباك أثر بارز في نشوء علائق ربط جديدة حققت جملة ثرية من لطائف المعاني الآخذة بأيدي العباد إلى مدارج النور ، ومن أبرزها : حسن التذكير بنعمتين جليلتين هما : التأمل ، والشكر ؛ إذ إن القول بالاحتباك عون على استبصار دقائق وحقائق خلق الله من خلال ملازمة طول التأمل في عجائب الصنع ، فمظاهر العظمة –هنا– من أعظم الدلائل على البعث ، لأنَّ فيها انتقالاً من شيء إلى شيء ، وإحداثَ شيء من شيءٍ ، فهي دالَّة –بلا ريب– على عظمته وكبريائه وانفراده بالخلق والإنشاء [٢] ، فثبت التنبيه بجليل النعمة كي يحسنوا الشكر عليها تحْضيضاً لهم على الشكر ونبذًا للكفر[٣] .

*

وكذلك في قول الحق ﷻ : ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾(نوح:١٧،ك) ، احتباك "ذكر (أنبت) أولًا دال على حذف مصدره ثانيًا ، وذكر (النبات) ثانيًا دالٌّ على حذف فعله أولًا ؛ **ليكون التقدير** : أنبتكم إنباتًا فنبتم نباتًا" [٤] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (إنباتًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿نَبَاتٗا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (نبتم) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَنۢبَتَكُم﴾ في الطرف الأول . وسرّه أنه ذكر الأظهر الأدل على تمام القدرة ومطلق العلم . فيدخل ضمن هذا النمط التركيبي صورة أخرى[٥] للاحتباك أبرزت معالم قدرة الله على الخلق .

---

(١) نظم الدرر ٢٢٣/١٩ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير٢٩/١٦٠ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير٢٧/٣٢٤ .

(٤) نظم الدرر ٤٤٤/٢٠ ، وإرشاد العقل السليم ٣٩/٩ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٢٥٢/٨ ، وروح المعاني٢٩ /٩٤ .

(٥) هذا الموضع أجمع بعض أهل العلم على عدّه من الاحتباك ، وهو قريب في خصائصه –من حيثُ ذكر الفعل في طرف حذف مصدره في الطرف الآخر ، وذكر المصدر في الطرف وحذف فعله في الطرف الآخر– من قوله :
﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز مطلق القدرة على تحقق البعث ؛ إذ استُعِير الإنبات للإنشاء ؛ -لكونه أدل على الحدوث ، والتكون من الأرض ، وهذه استعارة مصرحة تبعية[1]- ؛ ليدرك البشر عامة -خصوصًا منكري البعث- حقيقة تلك القدرة[2] ، فإن في تبصر دلالة السياق العام ما يُنبِئُ القول بحسنه ؛ إذ تضمن الدلالة على تمام القدرة على إيجاد يوم القيامة ، وما يتحقق فيه من القدرة على إهلاك المكذبين بالرسل ؛ وكل ذلك ليؤكد في العقول والأذهان حقيقة القدرة على البعث [3] ، والسياق الخاص تحقق فيه الاستدلال على كمال القدرة ومطلق العلم بخلق الإنسان ؛ لأنه أعظم المحدثات وأدناها على الله [4] . فالقيمة الحقيقية للاحتباك أبرزت جلّ معاني العظمة والكمال لله وحده من إبداع وابتداء واختراع في تكوين الإنسان وإنشائه ، فتمثل في أصل النظم التعبير بالفعل في :﴿أَنۢبَتَكُم﴾ ، وبالمصدر في :﴿نَبَاتًا﴾ ؛ إذ جاء بالمصدر في:﴿نَبَاتًا﴾ على غير طريقة الفعل في :﴿أَنۢبَتَكُم﴾ فتحققت القدرة الإلهية في الإنشاء والخلق ، وربطه بإنشاء النبات وخلقه ؛ ليتأمل المرء حقيقة تلك القدرة فيستشعر العظمة المطلقة لله في إيجاده ، فهو " أنبتكم بخلق أبيكم آدم عليه السلام من الأرض كما ينبت الزرع ، تذكيرًا لما كان من خلق أبينا آدم عليه السلام ؛ لأنه أدلّ على الحدوث والتكون من الأرض ، وأشار إلى أنه جعل غذاءنا من الأرض التي خلقنا منها ، وبذلك الغذاء نموّنا" [5] . وفي الإعلام بذلك نعمة عليَّة

رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(آل عمران:٣٧،م) . فالسياق العام يقرر معنى التوحيد ، والخاص يبرز إحسان الله وتفضله بقبول سيدتنا مريم عليها السلام ، «فذكر الفعل من(أفعل) في ﴿وَأَنۢبَتَهَا﴾ ، والاسم من (فعل) في ﴿نَبَاتًا﴾ إعلامًا بكمال الأمرين من إمداده ا في النمو الذي هو غيب من الغيوب ، وكمالها في ذاتية النبات الذي هو ظاهر للعين ، فكمل في الإنباء والوقوع حسن التأثير وحسن الأثر ، فأعرب عن إنبائها معنى حسنًا» . ينظر : نظم الدرر٤/٣٥٦-٣٥٧ .

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم ٣٩/٩ ، وروح المعاني٩٣/٢٩ .

والتبعية هي : « أن يكون المستعار أفعالًا أو صفات أو حروفًا ، ولا تكون هذه إلا مصرحًا بها » . التبيان في البيان ، ص١٩٣ .

(٢) ينظر : نظم الدرر٤٤٤/٢٠ .

(٣) ينظر : المرجع السابق٤٢٢/٢٠وما بعدها .

(٤) ينظر : المرجع السابق٤٤٣/٢٠وما بعدها .

(٥) المرجع السابق ٤٤٤/٢٠ .

يحسن مراعاتها بحسن العمل ، وهذا أكرم عطاءً في فهم المراد ؛ لكون الركنين المحذوفين التعبير بالمصدر في : (إنباتًا) ، وبالفعل في : (نبتم) أكّدا معاني العظمة من الإبداع والابتداء والاختراع في تكوين الإنسان ، ففيهما إشارة عظمى إلى سهولة ذلك الخلق وهوانه على رب العالمين ؛ مما يدفع المنكرين إلى الرجوع إقرارًا بعظيم تلك القدرة ومطلق ذلك العلم[١] .

وذهب بعض أهل العلم إلى أن القول بالاحتباك -هنا- ثمرته متمثلة في الإيجاز والاختصار "الذي يلائم إظهار قدرة الله وسهولة الخلق والبعث ، ولفت النظر نحو تدبر آياته في كونه من ظاهرة الإنبات المتكررة الواقعة أمام أعين الناس جميعًا ، وكلَّما كان الاستدلال أوجز كان أسهل في التذكر ، وسهولة التذكر مدعاة لتكرار التدبر ، والتدبر هو المعبر إلى الإيمان واليقين" [٢] .

*

قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾(النبأ:١٠-١١،ك) ، احتباك " ذكر اللباس أولًا دليلًا على حذف ضده ثانيًا ، والمعاش ثانيًا دليلًا على حذف ضده أولًا "[٣] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (تسكنوا فيه) ؛ لدلالة ذكر﴿مَعَاشًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (مكشوفًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِبَاسًا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وجعلنا الليل لباسًا ؛ لتسكنوا فيه عن طلب المعاش ، وجعلنا النهار مكشوفًا معاشًا[٤] .

فالنظم يقتضي فهم الصورة التركيبية للاحتباك كما سيأتي[٥] ؛ لذا فمن الأولى أن يكون المعنى: وجعلنا الليل لكم **غشاء** يتغشاكم سواده ، وتغطيكم ظلمته ، كما يغطي الثوب لابسه ؛ **لتسكنوا فيه** عن التصرف لما كنتم تتصرفون له نهارًا، وجعلنا النهار لكم**ضياء** ؛ **لتنتشروا فيه** لمعاشكم وتتصرفوا فيه لمصالح دنياكم وابتغاء فضل الله فيه[٦] .

---

(١) ينظر : الموضع السابق .

(٢) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه –أسراره ، ص٢٦ .

(٣) نظم الدرر ١٩٧/٢١ .

(٤) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه – أسراره ، ص٣٥-٣٦ .

(٥) ينظر :موضع دراسة سورة القصص:(٧٣) من البحث.

(٦) ينظر : جامع البيان٣/٣٠ .

أمّا القول بجعل التقدير في الطرف الثاني : "وجعلنا النهار معاشًا مظهرًا لما ستره الليل"(١) ، "وجعلنا النهار مكشوفًا معاشًا"(٢) . **ففيه بُعد** لا يتفق مع جلال البيان القرآني ؛ لركاكة العبارة ، وخلوها من الحسن والبلاغة ؛ لذا فمن الأولى تركه .

*

قيل في قول الحق ﷻ : ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ (الليل:٣،ك) ، احتباك **"ذكر أولًا الصنعة** دلالة على حذفها ثانيًا ، **وثانيًا الصانع** دلالة على حذفه أولًا "(٣) ، فالمقصود بقوله : (ذكر الصنعة) خلق الذكر والأنثى المثبتة لله المنفية عن غيره ، وأما قوله : (وثانيًا الصانع) فهو غير ظاهر في أصل النظم بل مقدرٌ فيه ، أي : وما خلق الذين أشركوا . ومن هنا فالتقدير : وما خلق الذين أشركوا به –سبحانه– الذكر والأنثى ، وهو الذي خلق الذكر والأنثى . فالنمط التركيبي لصورة التقدير أتى على النحو التالي :

وفيه نظر ؛ لأنَّ طرفي الجملة الثانية محذوفان معًا ، ثم إن هذا الوجه لا يتلاءم مع سمو البيان القرآني العليّ ؛ لركاكة التقدير ، وعدم اقتضاء المقام له ، وضعف المعنى عليه .

ويذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ التقدير : "والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلقهما ، والذكر والأنثى وما خلقهما . وليس وراءه كثير معنى"(٤) .

وفيه نظر ؛ لأنَّ المذكور في الطرف الأول قابل المذكور في الطرف الثاني ، فأصبح المذكور مقابل مذكور آخر ، وهذا ليس احتباكًا .

*

–القول بشبه الاحتباك.

في قول الحق ﷻ : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:١٦٤،م) ،

---

(١) نظم الدرر ، ١٩٧/٢١.

(٢) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه –وأسراره ، ص ٣٥-٣٦.

(٣) نظم الدرر ٨٨/٢٢ .

(٤) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره ، ص٣٩ .

شبه احتباك ، ذَكَرَ الخلقَ أولًا دليلًا على حذفه ثانيًا ، والاختلافَ ثانيًا دليلًا على حذفه أولًا[1] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (اختلافهما) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (خلقهما) ؛ لدلالة ذكر ﴿خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن في خلق السموات والأرض واختلافهما ، واختلاف الليل والنهار وخلقهما .

وسرّه : أنه ذكر الحسي أولًا -الخلق- طريقًا لإدراك المعنوي ثانيًا -الاختلاف-وهذا من دقيق حكمه وعظيم قدرته، فالسماوات والأرض ثابتة لا تتغير أمَّا آية الليل والنهار فتحتاج إلى تفكر إذن الليل الذي أقمت فيه أيها الإنسان يعقبه نهار، وليس ذلك للسماوات والأرض؛ إذ كلتاهما موجودتان في آنٍ واحد ، فبالنظر الآلي تدرك آية (الخلق)، وبالبصيرة تدرك آية (الاختلاف) .

ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي صورة أخرى[2] تبرز باهر العظمة والقدرة في سياق الاعتراف بوحدانية الله؛ لإبعاد البشر عن اتخاذ الشريك من دون الله فمنشأ الحذف في الآية هو التقابل بين طرفي النظم ﴿خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ؛ إذ إنهما يحتاجان إلى تقدير محذوف يبرز عظمة السياق؛ لذا قُدِّرَ : إن في خلق السموات والأرض واختلافهما، واختلاف الليل والنهار وخلقهما. فللحذف أثر بارز في نشوء علائق ربط جديدة أسهمت في إعلام البشر بمبدأ العظمة والقدرة في خلق السموات والأرض والليل والنهار واختلافهما ، فالسياق العام والخاص وقرائن الأحوال تدعو إلى التقدير؛ لأنَّ السياق العام يقرر وحدانية الله والخاص يقرر إثبات الألوهية لله وهذه الآية دليل على التفرد.

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾(الأنعام:٩٥،ك) ، **شبه احتباك** [3] ، فالمحذوف من الطرف الأول (مخرج الحي من الميت) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف

---

(١) ينظر : نظم الدرر ٢/٢٨٨ .

(٢) قول الحق ﷻ : ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾(آل عمران:١٩٠،م) .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٧/٣٨٩ .

الثاني (يخرج الميت من الحي) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : يخرج الحي من الميت ، ومخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ومخرج الميت من الحي .

وسره " أنه جيء بجملة : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ فعليّة ؛ للدّلالة على أنّ هذا الفعل يتجدّد ويتكرّر في كلّ آن ، وجيء في قوله : ﴿ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ اسماً ؛ للدّلالة على الدّوام والثّبات ، فحصل بمجموع ذلك أنّ كلا الفعلين متجدّد وثابت" (١) .

وفي القول بالحذف **نظر** ؛ لما فيه من التكرار المؤدي لركاكة التقدير وبعده عن سمو بلاغة القرآن .

*

وقيل في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ (٢) ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٩،ك) ، شبه احتباك " أثبت الاشتباه دلالة على نفي ضده ، وهو عدم التشابه ، ولأجل أن الاشتباه أبلغ من التشابه ، علق الأمر بالنظر الذي هو أثبت الحواس ، ودلالة على أن المراد إنما هو ظاهر ذلك ؛ لأنه كان في الدلالة على البعث والتوحيد الذي هذا سياقه " (٣) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (غير مشتبه) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (متشابهًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿مُشْتَبِهًا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : والزيتون والرمان مشتبهًا وغير مشتبه ، ومتشابهًا وغير متشابه .

---

(١) الموضع السابق .

(٢) والتّشابه والاشتباه متقاربان كالتساوي والاستواء ، وهما مشتقّان من الشبَه ، و التّشابه : التماثل في حالة مع الاختلاف في غيرها من الأحوال ، أي بعض شجره يشبه بعضاً ، وبعضه لا يشبه بعضاً ، أو بعض ثمره يشبه بعضاً ، وبعضه لا يشبه بعضاً ، فالتّشابه ممّا تقارب لونه أو طعمه أو شكله ممّا يتطلّبه النّاس من أحواله على اختلاف أميالهم ، وعدم التّشابه ما اختلف بعضه عن البعض الآخر فيما يتطلّبه النّاس من الصّفات على اختلاف شهواتهم ، فمن أعواد الشّجر غليظ ودقيق ، ومن ألوان ورقه قاتم وداكن ، ومن ألوان ثمره مختلف ، ومن طعمه كذلك . ينظر: التحرير والتنوير ، ٤٠٢/٧/٧.

(٣) نظم الدرر ٢١٢/٧ .

وفيه نظر ؛ لعدم اتضاح علة القول به ، والمعنى المراد : والزيتون والرمان يتشابه في الورق ؛ لكونه قريب الشكل بعضه من بعض ، وفي الثاني : والزيتون والرمان يتخالف في الثمار شكلاً وطعمًا وطبعًا[1] .

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ (النحل:٦٧،ك) ، شبه احتباك " ذكر **السَكَر أولًا دال على الفتح** ثانيًا ، وذكر الحسن ثانيًا دال على القبيح أولًا ، فالآية أدل ما في القرآن على المعتزلة في أن الرزق يطلق على الحرام " [2] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (قبيحًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿حَسَنًا﴾ في الطرف الثاني ،ومن الطرف الثاني حذف(يفتحها) ؛ لدلالة ذكر ﴿سَكَرٗا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون ذا سَكَرٍ مُنشيًا مطربًا سادًا لمجاري العقل قبيحًا غير مستحسن للرزق ، ورزقًا حسنًا لا يسد شيئًا من المجاري بل ربما يفتحها[3] .

وسرّه : أن التعبير عن السكر بالمصدر إبلاغ في تقبيحه ، وإشارة إلى كراهيته ؛ لما ينشأ عنه من ضرر في البدن والعقل ، فالسكَر ما حَرُمَ من الشراب ، والرزق الحسن ما أُحِلَّ منه[4] . فمراد البقاعي من هذا ، الإشارة إلى نعمة العقل الذي لا أحسن منه ، إذا استعمله قوم على صوابه في تبصر دلائل الوحدانية ، ودنسه آخرون بالخوض في الشرك ، والغفلة عن تبصر دلائل الوحدانية ، فثبت أن أثر التأمل هو في تنوير القلب بنور الإيمان ، وتوسيع العقل بأفق المعرفة المولدة للعلم[5] .

وقيل في تقديره : "تتخذون منه سكرًا قبيحًا ورزقًا حسنًا" [6] ، وهذا لا يُمثل أركان الاحتباك . والظاهر أن القول بالاحتباك -هنا- فيه بُعد ؛ لذا فالأولى تركه .

*

---

(١) ينظر : جامع البيان٤/٢٩٤ .

(٢) نظم الدرر ١١/١٩٦ .

(٣) ينظر : المرجع السابق١١/١٩٥وما بعدها .

(٤) ينظر : المرجع السابق١١/١٩٦ .

(٥) ينظر : الموضع السابق .

(٦) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره ، ص٤٠ .

وفي قوله ﷻ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ (الفرقان: ٤٧،ك) ، شبه احتباك " ذكر السبات أولًا دليلًا على الحركة ثانيًا ، والنشور ثانيًا دليلًا على الطي والسكون أولًا " [١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (سكونًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿نُشُورًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (حركة) ؛ لدلالة ذكر﴿سُبَاتًا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : والنوم سباتًا وسكونًا ، والنهار نشورًا وحركة[٢] .

وسرّه أنه ذكر الأظهر لهم ؛ لكونه أدل على مطلق القدرة .

فالغرض الأسمى من حمل النظم على الحذف تمثل فيما أنتجته أوجه التقابل من لطائف المعاني الساعية لإبراز عظمة الخالق في إظهار النعم –الليل والنهار– ؛ دليلًا على عظمته بتصرفه بالإيجاد والإعدام[٣] ؛ وليتحقق التذكير بأهمية تحقق إثبات التوحيد ، ففي تبصر دلالة السياقين أهمية عظمى تبرز القول بالحذف ؛ إذ تضمن العام " إنذار المكلفين بما له –سبحانه– من القدرة الشاملة المستلزمه للعلم التام ؛ لأنه لا موجد على الحقيقة سواه ، فهو الحق وما سواه باطل " [٤] ، والخاص تضمن " ذكر أنواع من الدلائل الدالة على وجود الصانع ، وإحاطة علمه ، وشمول قدرته ، مشيرًا إلى أنَّ الناظر في هذا الدليل –لوضوحه في الدلالة على الخالق– كالناظر إلى الخالق" [٥] . فثبت بهذا إعلام الكفرة المعاندين أن لا وجود وجود لهم ؛ لأنهم لا علم لهم ولا قدرة ، ففي هذا إبرازٌ للغاية من وراء الحذف ؛ إذ تحقق به إثبات حقيقة وجود الصانع لتلك الدلائل ، حثًّا على مراعاة حق الله على البشر ، وهو التأمل في الدلائل ؛ لأن ثمرته صدق الإيمان ؛ وهذا من مبادئ ترسيخ العقيدة الحقة ؛ لترتقي النفس الإنسانية في مقامات القرب من ربها قربًا تتبصر به في الدلائل لتبلغ رضاه ؛ إذ جمعت الآية استدلالًا باهرًا على عظيم القدرة بالتصرف في الليل والنهار ، فهو وحده القادر على ذلك ، وامتنانًا بنعمه جعل النوم راحة تستريح به الأبدان ، وتهدأ به الجوارح ، وجعل النهار

---

(١) نظم الدرر ٤٠٠/١٣ .

(٢) ينظر : نظم الدرر٤٠٠/١٣ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه –أسراره ، ص٢٩وما بعدها .

(٣) ينظر : نظم الدرر٤٠٠/١٣ .

(٤) المرجع السابق ٣٢٩/١٣ .

(٥) المرجع السابق ٣٩٦/١٣ .

يقظة وحياة وحركة ، فيه الانتشار للمعاش [(١)] ، فمن الواجب مراعاة تلك النعمة بالشكر عليها ، وحسن العبادة فيها ، لما تقرر في النظم من أنه وحده الموجد لها ، فدلالة القصر على التخصيص واضحة من تعريف الطرفين . كما أضاف للنظم دقة وإيجازًا تلحظ بالمقارنة بين أصل النظم قبل التقدير : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ...وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ ، وبعده : هو الذي جعل لكم النوم سباتًا وسكونًا ، والنهار نشورًا وحركة ، فتلمس الفرق بينهما في الذهن يكشف عن خاصية عمق المعنى وكثافة النظم ، فصار لكل طرف مذكور –(سباتًا) ، و(نشورًا)– مقابل آخر مختزن في الذهن– (سكونًا) ، و (حركة)– .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(النمل: ٥٠،ك) **شبه احتباك** ، دلَّ عليه السياق فـ"عدم الشعور دالٌّ على حذف عدم الإبطال من الثاني ، وعلى حذف الشعور والإبطال الذي هو نتيجته من الأول "[(٢)] ، فالمحذوف من الطرف الأول : (شعرنا بل علمنا به) ؛ ومن الطرف الثاني حذف (أبطلناه) ، و(لم يقدروا على إبطاله) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ، وتقديره : ومكروا مكرًا فشعرنا بل علمنا به فأبطلناه ، ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون ولا يقدرون على إبطاله .

وسرّه : أنه ذكر ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ؛ لينفي عنهم القدرة على الشعور مطلقًا ، فذكر الأهم في إبطال مكرهم رغم اجتهادهم في إتقانه وإحكام شأنه[(٣)] .

فالعلائق الرابطة بين أركان الحذف أسهمت من خلال أوجه التقابل في تأكيد مطلق القدرة والعظمة لله ، ونفي ذلك عن غيره نفيًا مطلقًا ؛ إذ إن في صنيعهم هذا عمل من لا يظن أن الله عالم به [(٤)] ؛ –"إذ احتالوا لأمرهم ، واحتال الله لهم ، ومكروا بصالح مكرًا ، ومكرنا بهم مكرًا ، وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ بمكرنا ، وشعرنا بمكرهم"[(٥)] ، فالقول بشبه الاحتباك ذو اعتلاق لطيف بالسياق العام للسورة ؛ لكونها في الأصل أبرزت معالم القدرة والعظمة

---

(١) ينظر : جامع البيان١٩/٢١ .

(٢) نظم الدرر ١٤/١٧٩ .

(٣) ينظر : الموضع السابق .

(٤) ينظر : المرجع السابق١٤/١٧٨ .

(٥) جامع البيان ١٩/١٧٣ .

لله ؛ إذ تحقق في مقصدها "وصف الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين ، وبالفصل بين الصراط المستقيم وطريق الحائرين ، والجمع لأصول الدين ، وبشارة المؤمنين ، ونذارة الكافرين... وكل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم الحكمة "[١] ، وفي هذا دلالةٌ قاطعة أوجبت إعلام البشر بإحاطة علمه -سبحانه- بالخفي والجلّي ، أمّا الخاص فتضمن إبراز عظمة الله ، وشمول إحاطته علمًا وقدرة ، فاتضح بهما تحقق عظيم القدرة في إبطال ما همّ به أهل الكفر والنفاق ، فإن في تبصر دلالة الخطاب إيضاحًا لأهمية التذكير بجلائل القدرة والعظمة ؛ وردعًا عن تجنب المكر بأنواعه ، فالمكر غدرٌ بأهل الإسلام ، وطغيانٌ في مجاوزة العتو والعناد ، وتكذيبٌ بالرسل والآيات ، والغدر كفر[٢] ، فالإعلام بهذا نعمة عليّة تجنب خطر الوقوع في الكفر ، وتدفع إلى حسن اتباع الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ، فشَكَّل الحذف أثرًا فاعلاً في تحقق إبطال مكر الطاغين بهلاكهم ؛ إذ سلَّط الله عليهم صخرة فقتلتهم[٣] ، وفي هذا عبرة لمن اعتبر ، فمكرهم : ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح وأهله ، ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ (النمل:٤٩،ك) ، ومكر الله : إهلاكهم من حيث لا يشعرون [٤] ، فالناتج من وراء الحذف تحقق في إعلام المجرمين أن ما ستروه من مكرهم السيئ الذي أرادو به الشر ظاهرٌ مكشوفٌ في علم الله ، "فكان مكرهم الذي اجتهدوا في ستره لدينا مكشوفًا ، وفي حضرتنا معروفًا وموصوفًا"[٥] .

فمن خلال المعاني المتقابلة أظهر الحذف تأكيد صفة العلم المطلق لله وحده ؛ إذ أثبت بالدليل القاطع انتفاء ذلك بإعلامهم أن صالحًا عليه السلام لم يشعر بمكر الكافرين ، فتحقق أن في الحذف علامةً واضحةً ودليلًا قاطعًا على مطلق القدرة ، ومنتهى العلم ، وحسن التدبير ، وهذا يرسخ جانبًا عليًّا من جوانب العقيدة تمثل فيما أبرزه السياقان من معالم القدرة [٦] ،

---

(١) نظم الدرر ١٢٢/١٤ .

(٢) ينظر : جامع البيان١٧٣/١٩ .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٧٤/١٩ .

(٤) ينظر : البحر المحيط٨٢/٧ .

(٥) نظم الدرر ١٧٨/١٤ .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٢١٧/١٣بتصرف .

كما أنَّ في تدبر دلالة شبه الاحتباك إرعابًا يُخيف أهل الكفر ؛ لشدَّة تحقُّق مكر الله بهم ، فأتى في النظم مُنكَّرًا ؛ لكونه عظيمًا في ذاته ؛ إذ مكر الله بمن مكر به ، فأَخْذُه من أخذه منهم على غرّة ، واستدراجه منهم من استدرج على كفره به ، ومعصيته إياه ، ثم إحلاله العقوبة به على غرّة وغفلة [1] ، فثبت أنَّ في نجاة صالح نجاة للمؤمنين عامة ، وفي إهلاك الظالمين إهلاك لهم في كل أمة من الأمم على مر الدهور والأزمان ، ففي تبصر دلالة الخطاب إعلاء لذلك ؛ إذ سمى الله شدة مجازاتهم على عصيانهم مكرًا ، فثبتت مجازاتهم على مكرهم بمكر أشد قوة ، وأعظم زجرًا[2] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾(القصص:٧،ك) ، شبه احتباك "ذكر الإرضاع أولًا دليلًا على تركه ثانيًا ، والخوف ثانيًا دليلًا على الأمن أولًا"[3] . فالمحذوف من الطرف الأول (ما كنت آمنة عليه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (اتركي رضاعه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ما كنت آمنة عليه ، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ، واتركي رضاعه . وسرّه : أنه "ذكر المحبوب لها تقوية لقلبها وتسكينًا لرعبها"[4] .

فصورة الحذف أسهمت في الكشف عن تمكن الإيمان الحقيقي في النفوس من خلال إبراز حالة أم موسى عليه السلام أمام أقدار الله لها ، وهذا معنى جليل يكشف عن سر من أسرار التنزيل ؛ تأكيدًا لقوله : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾(القصص : ٥،ك) ، وإعلامًا بحسن العاقبة للمتقين الصابرين ، وأن ما أراده –سبحانه– واقع لا محالة . فأظهر الحذف دلالة الأمر في النص القرآني في سياق إثبات دلائل العظمة والكمال لله ، وهذا ما دعت إليه السورة في المقام الأول ؛ لكونها تهدف إلى إثبات التواضع

---

(١) ينظر : جامع البيان١٩/١٧٣ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٣/٢١٧ .

(٣) نظم الدرر ١٤/٢٤٤ .

(٤) الموضع السابق .

لله ، المستلزم التوحيد والانقياد له [(١)] ، فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في المعاني الجوهرية المتضمنة خبرين ،وأمرين ،ونهيين ،وبشارتين ، فالخبران:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ ، و ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ ﴾ ؛لأنه يشعر بأنها ستخاف عليه . والأمران : ﴿أَرْضِعِيهِ ﴾ ، و﴿فَأَلْقِيهِ ﴾ ، والنهيان :﴿وَلَا تَخَافِي ﴾ ، و﴿ وَلَا تَحْزَنِيٓ ﴾ .والبشارتان :﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ ، وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[(٢)] . فما تضمنته الآية يكشف عن حالة أم موسى ، فهي أمام أمرين عظيمين ، يحمل كل واحد منهما سرًّا من أسرار اللطف الجميل ، والقدرة الإلهية الباهرة في تحقيق ما يطمئن فؤادها ، ويهدئ من روعها ؛ حثًا على الترغيب في الأمن بـــ : ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ ، ونهياً عن الخوف ؛ لتصل إلى تحكم ربط الأمور واستنتاجها بـــ : ﴿ فَأَلْقِيهِ ﴾ ، وهذا يدفع إلى الترغيب في الأمن والاطمئنان ، والنهي عن الخوف . فتحقق بالمعاني الجوهرية عِظم التسليم والعمل بأمر الله ؛ لتتحقق إرادته[(٣)] . وفي حمل النظم على الحذف مزايا عِظامٌ ؛ من أجلِّها : أنَّ في إعلام البشر بالقدرة العلية ، والعظمة الباهرة ، والإرادة الواقعة نعمةً تُحَقِّقُ في القلوب الغافلة الإيمان ، وفي النفوس حب الله ، وفي العقول توحيده ، فإذا أحب المرءُ ربَّه أنسَ به ، وارتقى في عبادته إلى أرفع مراتب الإحسان . كما أنَّ في تأمل موضع الحذف استشعاراً لعظم منّة الله على موسى عليه السلام وأمه ، يفتحُ باب ملازمة العبادة والتقوى ، ودليلَ تحقُّقِ صدق الوعد منه سبحانه وتعالى .

*

و في قول الحق عز وجل : ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(يس: ٤٠،ك) ، شبه احتباك "نفى أولًا إدراك الشمس لقوتها دليلًا على حذف الثانية من نفي إدراك القمر للشمس ، وذكر ثانيًا سبق الليل النهار لما له من القوة بما يعرض من النهار فيغشيه دليلاً على حذف سبق النهار الليل أولًا "[(٤)] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فما النهار سابق الليل) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾ في الطرف الثاني ،

---

(١) ينظر : المرجع السابق١٤/٢٣٢ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير٢٠/٧٤وما بعدها .

(٣) ينظر : نظم الدرر١٤/٢٤٢بتصرف .

(٤) المرجع السابق ١٦/١٣٣ .

ومن الطرف الثاني (لا القمر ينبغي له أن يدرك الشمس) ؛ لدلالة ذكر﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، فما النهار سابق الليل ، ولا الليل سابق النهار ، ولا القمر ينبغي له أن يدرك الشمس .

وقيل : إن في الآية اكتفاء ؛ لكون التقدير : "ولا القمرُ يدرك الشمسَ ، ولا النهارُ سابق الليل" [١] . فالأنسب لهذا التقدير حمله على الاحتباك ؛ لكون المحذوف من الطرف **الأول** : (ولا القمرُ يدرك الشمسَ) ؛ لدلالة ذكر﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ ﴾ في الطرف **الأول** ، ومن الطرف **الثاني** حذف (ولا النهارُ سابق الليل) ؛ لدلالة ذكر﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ في الطرف **الثاني** . وتقديره : لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا القمر يدرك الشمس ، ولا الليل سابق النهار ، ولا النهار سابق الليل ؛ ثم لتحقق التقابل بين طرفي القول ، وهو في صياغته أدق مما سبق . وسرّه : أنه ذكر الأظهر الأدل على تمام الحكمة ومطلق القدرة .

فمنشأ الحذف في هذه الآية هو التقابل بين طرفي النظم ؛ إذ إن أركان الاحتباك تكشف عن قدرة الله في التحكم في تدبير الليل والنهار ، والشمس والقمر بما يناسب مصالح العباد ، خصوصًا وأن السياق العام نص على "إثبات أمر الرسالة " [٢] ، والخاص يسعى لإثبات الوحدانية ، فالركنان المحذوفان -: (لا القمر يدرك الشمس) في الطرف الأول ، و(لا النهار سابق الليل) في الطرف الثاني- يقيمان علائق ربط جديدة مع الركنين المذكورين- : (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) في الطرف الأول ، و(لا الليل سابق النهار) في الطرف الثاني -تضيف إلى أصل النظم معاني حِسَانًا ، من أهمها : أن التأمل في تلك الدلائل يقرب العبد من ربه ، فيكون سببًا في تمسك المؤمن بدينه ، وحافزًا للكافر في الرجوع إلى ربه . فالنمط التركيبي لصورة الحذف يُؤكد مطلق القدرة لله في التصرف في الشمس والقمر والليل والنهار من خلال المعاني المتقابلة ؛ إذ تضمن أصل النظم ذكر الأهم- (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) ، و(لا الليل سابق النهار)- فنشأ في مقابل كل مذكور محذوف آخر- : (لا القمر يدرك الشمس) ، و : (لا النهار سابق الليل)- يُبرز قدرة الله ويُؤكد عظمته

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣/٢٥ .

(٢) نظم الدرر ١٦/٨١ .

الموجبة صرف العبادة له إفرادًا .

*

وفي قول الحق ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (غافر: ٦٤،ك) ، شبه احتباك "ذكر القرار أولًا دليلًا على الدوران ثانيًا ، والبناء ثانيًا دليلًا على الفراش أولًا "(١) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فراشًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿بِنَآءً﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أفلاكًا دائرة) ؛ لدلالة ذكر ﴿قَرَارًا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : الله الذي جعل لكم الأرض ، مع كونها فراشًا ممهدًا ، قرارًا ، والسماء ، مع كونها أفلاكًا دائرة ، بناء (٢) . وسرّه أنه ذكر الأظهر الأدل على مطلق القدرة والعظمة له ﷻ .

القول بالحذف سببٌ في نشوء علاقة تقابل بين طرفي النظم ؛ الأول : في جعل الأرض لنا فراشًا ممهدًا مقابل جعل السماء لنا بناءً ، والثاني : في جعل الأرض قرارًا مقابل جعل السماء أفلاكًا دائرة ، فالسياق العام والخاص وقرائن الأحوال تشير إلى إثبات استحقاق العبادة لله بمظاهر قدرته المركوز في الطباع صحتها وفي العقول معرفتها (٣) . ففي هذا –أولًا– استدلالٌ بعظيم القدرة الدالة على التوحيد ، الموجبة على العبد التعرف على ربه ، فالمؤمن بالله ينطلق بتوحيده إلى الاعتراف بمظاهر القدرة والسلطان ، ثم يجسد استسلامه لله ، و –ثانيًا– امتنانه بجعل كل ذلك لنا ؛ حثًّا على حسن الانتفاع بما أوجده من أجلنا ، ويبرز حسن الحذف بما في النظم من لطائف أجلّها التعبير بـ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ﴾ .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾ (النازعات: ٢٩،ك) ، شبه احتباك "دل بـ(وَأَغْطَشَ) على(أضاء) ، وبإخراج الضحى على إخفاء الضياء" (٤) . وعليه فالمحذوف من

---

(١) المرجع السابق ، ١٠٥/١٧

(٢) ينظر : نظم الدرر١٠٥/١٧ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه ، أسراره ، ص٢٣ .

(٣) ينظر:نظم الدرر ١٠٤/١٧ .

(٤) المرجع السابق ٢٤٠/٢١ .

الطرف الأول (أخفى) ؛ لدلالة ذكر﴿وَأَخْرَجَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أضاء) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَأَغْطَشَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وأغطش ليلها بغياب شمسها فأخفى ضياءها ، وأخرج ضحاها بطلوع شمسها فأضاء نهارها(١) .
وسرّه أن ذلك أدل على تحقق القدرة على البعث ، "ولعله عبر بالضحا عن النهار ؛ لأنه أزهر ما فيه وأقوى نورًا" (٢) .

فالقول بالحذف أسهم في نشوء علائق ربط جديدة تمثلت في التقابل بين المعاني ، لتحقق مزيدَ تأكيدٍ على إثبات القدرة على البعث ؛ إذ إن في تبصر مظاهر تلك العظمة في كل يوم وليلة مرتين أثرًا فاعلاً في إدراك وجود صانعٍ مدبرٍ بيده جعل ليلها مظلمًا أسود حالكًا ، ونهارها مضيئًا مشرقًا نيرًا ، وهذا يثُبت في النفوس عِظمِ التوحيد لنفي الشرك (٣) ، فالسياق العام والخاص وقرائن الأحوال تدعو إلى إثبات حقيقة بعث الإنسان بالدليل القاطع ؛ إذ تضمن العام " الإقسام على بعث الأنام ووقوع القيامة " (٤) ، والخاص أبرز الدلائل الشاهدة على تلك القدرة ؛ فثبت أن القدرة على البعث متحققة بصدق الدلائل لا ريب فيها مطلقًا ، وهذا أجدى لمقام تذكير المنكرين بالقدرة على البعث وإعادة الأرواح إلى أبدانها(٥) . وللاحتباك أثر فاعل في إبراز حسن التذكير بعظيم الامتنان في جعل الليل والنهار وما لهما من خصائص معينة على سهولة الحياة ، وهذا أتمُّ في الإنعامِ ، وأكملُ في الإحسانِ ، فوجب لهذا الدعوة إلى ملازمة الشكر ، كما أضاف نوعًا من الدقة والإيجاز يلحظان بالمقارنة بين أصل النظم قبل التقدير : ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ ، وبعده : وأغطش ليلها بغياب شمسها فأخفى ضياءها ، وأخرج ضحاها بطلوع شمسها فأضاء نهارها . فتلمس الفرق بينهما يكشف عن مخزون آخر في الذهن مقابل لكل محذوف ، وهذا يؤكد مطلق العظمة والسلطان لله ﷻ .

*

(١) ينظر : نظم الدرر٢٤٠/٢١ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه–أسراره ، ص٣٧ .

(٢) نظم الدرر ٢٤٠/٢١ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٤٦٩/٤ .

(٤) نظم الدرر ٢١٧/٢١ .

(٥) ينظر : روح المعاني٤٠/٣٠ .

وفي قول الحق ﷻ : ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ . ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ . وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ [1]﴾(التكوير:١٥-١٧،ك) ، شبه احتباك " ذكر خنوس الكواكب وكنوسها أولًا **يفهم** ظهورها ثانيًا ، و**ذكر الليل** ثانيًا **يفهم** حذف النهار أولًا "[2] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (ظهرت) ؛ لدلالة ذكر ﴿بِٱلۡخُنَّسِ .. ٱلۡكُنَّسِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (النهار) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس –تختفي وتغيب– نهارًا ، والليل إذا عسعس فظهرت كواكبه . وقيل تقديره : "فلا أقسم بالخنس بالنهار ، الجوار الكنس بالليل ، **ويكون المحذوف** : **الليل** والنهار"[3] ؛ لأن موضع شبه الاحتباك منحصر في ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ . ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ وهذا جائز في باب شبه الاحتباك ، ولكن الأولى التقدير الأول ؛ لما سيأتي في بيان وجهه . وسرّه : أنه ذكر الأغرب الأدل على المراد ، وهو تحقق القدرة لله وحده .

فالتقابل في الآية ظهر من خلال فهم المعنى بين : (الخنس...الكنس) ؛ إذ إن معناها : (تختفي وتغيب) مقابل للمحذوف : (ظهور الكواكب) ، فمنشأ القول بالحذف قائم على تأمل "هي النجوم **تبدو** بالليل و**تخنس** بالنهار" [4] . والذي يهدي إليه السياق العام والخاص يبرز أهمية حمل النظم على ذلك ؛ لما تحقق فيهما من علو نبرة التهديد الشديد التي سيطرت على بناء السورة بكليتها ، فتضمن العام تصوير يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور الهائلة من عالم الملك والملكوت بقصد إعلاء شأن التهديد الشديد المترتب على إنكاره [5] ، وحَمَلَ الخاصُّ الدلالة على عظيم القدرة في سياق الترهيب تخويفًا وإرعابًا من الخوض في تكذيب الحق وأعظم ما فيه القرآن الكريم ؛ ليُحقق في العقول الغافلة حقيقة القرآن ، وأنه متره عن

---

(١) الخُنَّس ، الجَوار ، الكُنَّس : واحدها كانِسٌ ، وخانِسٌ . ويقالُ : كَنَسَ وَخَنَسَ : إذا اختفى ، يخنِسُ بالنهار ، ويَظْهَرُ باللّيْل . ينظر : غريب القرآن وتفسيره ، تأليف : أبي عبد الرحمن عبدالله بن يحيى بن المبارك اليزيدي ، حققه وعلق عليه : محمد سليم الحاج ، (بيروت ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هــ-١٩٨٥م) ، ص ٤١٧ .

(٢) نظم الدرر ٢٨٦/٢١ .

(٣) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه ، وأسراره ، ص٣٨ .

(٤) جامع البيان ٧٤/٣٠ .

(٥) ينظر : نظم الدرر ٣٧٥/٢١ .

شوائب النقص ، لأنه كلام الملك الأعلى[١] ، وفي تدبر دلالة شبه الاحتباك اتضح ما يلحق هذه الأجرام من عيوب اقتضتها طبيعة القدرة الإلهية بقصد الإعلام بأن القرآن متره عن كل شائبة نقص ؛ لذا ثبت ثباتًا قاطعًا أنَّ الأمر فيه غنى عن كل قسم ؛ لشدة ظهوره وانتشار نوره[٢] ، "وإنما نفى الإقسام بها ؛ لأنها وإن كانت عظيمة في أنفسها بما ناط بها —سبحانه– من المصالح ، وأنتم تعظمونها ، وتغلون فيها ؛ لأن فيها نقائص الغيبوبة وانبهار النور ، والقرآن المقسم لأجله متره عن ذلك ، بل الغالب على كل ما سواه من الكلام غلبة هي أعظم من غلبة ضياء الشمس لنور ما سواها من الكواكب "[٣] ، فأسهم الحذف في إعلام البشر بما هو غيب عنهم ؛ ليدفعهم إلى العلم بمكانة القرآن وعلو رتبته .

*

المطلب الثاني : مظاهر إنعام الله وتفضله على الخلق .

يكشف الاحتباك عن مدى إنعام الله وتفضله على عباده ، وذلك في قول الحق ﷻ :

﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥١،م) ، ففي الآية الكريمة **احتباك** سببه اختلاف أوجه القراءة[٤] ، فذكر (دفع الله الناس) أولًا دليلًا على (دفع المخلوقات بعضها ببعض) ثانيًا ، وذكر (فساد الأرض) ثانيًا دليلًا على حذف (فساد الناس) أولًا ، وعليه فالمحذوف من الطرف

---

(١) ينظر : المرجع السابق٢١/٢٨٤وما بعدها بتصرف .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) المرجع السابق ٢١/٢٨٦ .

(٤) قرأ نافع : (ولولا دفاعُ اللهِ الناسَ) بالألف . وقرأ الباقون : (دفْعُ الله) ، مصدر من (دفع دفعًا) . وحجتهم : أن الله ﷻ لا مدافع له ، وأنه هو المتفرد بالدفع من خلقه . وكان أبوعمرو يقول : «إنما الدفاع من الناس ، والدافع من الله» . وحجة نافع : أن الدفاع مصدر من (دفع) كالكتاب من (كتب) كما قال : ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾(النساء:٢٤،م) ، ويجوز أن يكون مصدرًا لفاعل ، تقول : دافع الله عنك الشيء يدافع مدافعة ودفاعًا . والعرب تقول : أحسن الله عنك الدفاع . ينظر : حجة القراءات السبع ، تأليف : أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، حققه وعلق عليه : سعيد الأفغاني ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م) ، ص ١٤٠ وما بعدها .

الأول (دفع بعض المخلوقات بعضها ببعض) ؛ لدلالة ذكر (دفاع الله الناس) في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (لفسد الناس) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : " ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض وبقية الموجودات بعضها ببعض لفسدت الأرض -أي : مَن على الأرض- ولفسد الناس" [١] .

وسرّه : أنّه ذكر السبب العام لجلب المنافع ودفع المضار تذكيرًا بعظيم الامتنان -دفع الله- ؛ لشموله على ما أضمر-دفع الناس- . ثم ذكر السبب العام لجلب المضار ودفع المنافع -فساد الأرض- ؛ لشموله على ما أضمر -فساد الناس- .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إثبات فضل الله ومنّهِ على العباد في دفعه البرَّ من خلقه عن الفاجر ، والمطيع عن العاصي ، والمؤمن عن الكافر [٢] ، وهذا المعنى يبرز حسنه بمراعاة السياق العام بما يقرره من "إقامة الدليل على أن الكتاب هدى ليتبع في كل ما قال ، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب " [٣] ، والخاص بما تحقق فيه من إنجاز وعد الله للمؤمنين على جهاد أعدائه وأعداء رسوله [٤] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تحققت في الركنين المذكورين ، الأول : في " ولولا دفع الله العدو بجنود المسلمين لغلب المشركون فقتلوا المؤمنين وخربوا البلاد" [٥] ، والثاني : في " لَفَسَدَتِ الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها" [٦] ، ولكنْ وراء الحذف لطائف ، من أهمها : إبراز فضل الله ونعمته في دفاع الناس بعضهم ببعض ودفع المخلوقات بعضها ببعض ، وأنه وحده هو المتفرِّد بالدفع عن خلقه ، ولا أحد يُدافعه فيغالبه[٧] ، كما أن في الحذف نعمة عليّة ، هي نعمة الإعلام بـــ"أن بـــ"أن الله ليدفع بالمؤمن الصالح عن مئةِ أهلِ بيت من جيرانه البلاءَ "[٨] ، وهذا حثًّا على التمسك بفعل الطاعات التي هي من أجلِّ النعم التي يحسن مراعاتها والعمل بها ، كما أن فيه

---

(١) التحرير والتنوير ٥٠٣/٢ .

(٢) ينظر : جامع البيان٦٣٣/٢ .

(٣) نظم الدرر ٥٥/١ .

(٤) ينظر : جامع البيان٦٣٣/٢ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٠/٢ .

(٦) إرشاد العقل السليم ٢٤٥/١ .

(٧) ينظر : جامع البيان٦٣٤/٢ .

(٨) المرجع السابق ٦٣٣/٢ .

دعوة إيمانية تغرس في النفوس الإقبال على إصلاح الأرض وصلاحها ، وذلك بالتمكين للخير بالكفاح مع الشر ؛ حتى يكون الصلاح والخير والنماء ، فهذه المعاني مجتمعة تدل على اجتماع الكلمة واتحاد الصف في نشر الخير والدعوة إليه ، حتى تعلم النفس أنها مكلفة بدفع الباطل وإقرار الحق في الأرض ، وتعرف أن لا نجاة لها من عذاب الله إلا أن تنهض بهذا الدور النبيل ؛ لأنها واثقة بالله أنها ستغلب في النهاية وتنتصر ؛ وأنها تمثل إرادة الله العليا في دفع الفساد عن الأرض ، وتمكين الصلاح في الحياة . وأنها تنتصر لأنها تمثل غاية عليا تستحق الانتصار[1] ، وفي الحذف -أيضًا- حكم ربانية جليلة تهدف لقيام الدين وحفظه ، وذلك في جعل الناس يدفع بعضهم بعضًا ، فلو كانت السلطة والقوة لقوم معينين لأفسدوا وتجبروا ، ولكن القدرة الإلهية لهم بالمرصاد .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (آل عمران:١٢٦م) ، **احتباك** اقتضاه السياق[2] ، فالمحذوف من الطرف الأول (لتستبشر) ؛ (لتستبشر) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (طمأنينة لكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : بشرى لتستبشر نفوسكم به ، وطمأنينة لكم لتطمئن قلوبكم به . وسرّه : أنّه ذكر فضله ومنّه على عباده ؛ ليحصل المقصود ، ويتحقق الهدف الأسمى من الرسالة المحمدية ، وهو : التصديق بنبوة محمد ﷺ ، وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز . ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي صورة أخرى من صور الحذف[3] .

---

(١) ينظر : في ظلال القرآن٢/٢٧١بتصرف يسير .

(٢) ينظر : نظم الدرر٥/٥٨ .

(٣) في سورة الأنفال موضع للاحتباك اتفق في الغرض مع هذا الموضع ، واختلف في كيفية صياغته ، ومن أبرز مواضع الاختلاف : *ذكر الضمير(لكم) في (بُشْرَىٰ لَكُمْ)-آل عمران- ، وتركه في الأنفال . *تقديم الفاعل (قلوبكم) وتأخير الجار والمجرور(به) في (وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ)-آل عمران- والعكس في الأنفال(وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ) - وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾«الأنفال: ١٠م» ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ﴾ احتباك ، وتقديره : بشرى لتستبشر به نفوسكم وطمأنينة لتطمئن به قلوبكم . ينظر : نظم الدرر٨/٢٣٢ .

فالحذف أسهم في إبراز منّة الله على المؤمنين ؛ ليوقنوا بنصر الله ، فيزداد نشاطهم في التوجه والالتجاء ، وهذا المقصد متحقق بالمعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ، ولكنْ في الحذف دقائق من أهمها : التنويه للعباد بعناية الله بهم ؛ كي يبصروا أن الفاعل الحقيقي لذلك النصر والإمداد هو الله ، فيقوى رجاء النصر منه سبحانه ، والطمع في عظيم رحمته [(١)] ، فتسكن الأرواح والقلوب إليه ، و" لتبقى الصلة المباشرة بين العبد والرب ، بين قلب المؤمن وقدر الله بلا حواجز ولا عوائق " [(٢)] ، وهذا أجود في فهم المراد ؛ لكون الركنين المحذوفين أسهما في تعميق المعنى الجليل المتمثل في إبراز جليل النعم وعظيم الفضل في نفس البشر عامة ، والمسلمين خاصة ، فـــ"أجرى سبحانه سُنَّتَه مع أوليائه أنه إذا ضعفت نِيَّاتُهم ، أو تناقصت إرادهم ، أو أشْرفت قلوبهم على بعض فترة ؛ أراهم من الألطاف ، وفنون الكرامات ما يُقَوِّي به أسباب عِرْفانهم ، وتتأكد به حقائق يقينهم " [(٣)] . كما أن فيه تثقيفًا للنفوس البشرية ؛ لتقف أولًا عند تأمل الإمداد الملائكي ، فتشكر الله عليه ، ومن جانب آخر فإن لجمال القصر بـــ(ما ، وإلَّا) وقعًا بلاغيًّا نستمد منه مقصدًا جليلًا من مقاصد الاحتباك –حتى لا تتوقع النفس أن النصر كان بالإمداد- بالملائكة- بل هو متحقق بقدرة الله التي هيأت لهم ذلك ، وما ظفركم إن ظفرتم بعدوكم إلا بعون الله ، لا من قبل المدد الذي يأتيكم من الملائكة ، فعلى الله فتوكلوا ، وبه فاستعينوا ، لا بالجموع وكثرة العدد[(٤)] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ[(٥)] مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ (يوسف: ١١٠،ك) ، **احتباك** اقتضاه السياق ؛ إذ ذكر الماضي أولًا دليلًا على حذف مضارعه ثانيًا ، وذكر المضارع ثانيًا دليلًا على حذف ماضيه أولًا ، فالمحذوف من الطرف الأول (شئنا) ؛ لدلالة ذكر ﴿نَّشَآءُ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير٤/٧٧ .

(٢) في ظلال القرآن ٤/ ٤٧٠ .

(٣) لطائف الإشارات ١/ ٢٧٨ .

(٤) ينظر : جامع البيان٤/ ٨٤ .

(٥) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي (فَنُنْجي) . ينظر:إعراب القراءات السبع وعللها ، تأليف : أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني النحوي الشافعي ، حققه وقدم له : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، (القاهرة ، مطبعة المدني ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـــ-١٩٩٢م) ١/ ٣١٧وما بعدها .

الثاني حذف (ننجي) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَنُجِّيَ﴾ في الطرف الأول وتقديره : "فنُجّي من شئنا ممن نجا في القرون السابقة ، وننجي من نشاء في المستقبل من المكذبين" [١] .

وسرّه : أنه ذكر مطلق القدرة أولًا ، ومطلق المشيئة ثانيًا ؛ لكونهما أدل على مطلق التوحيد ، ولما كان النصر قد وقع لأنبياء وأقوام سابقين أظهره في النظم وأبرزه ﴿فَنُجِّيَ﴾ ؛ لذا آثر التعبير بصيغة الماضي إعلامًا بتحقق وقوعه ، وأضمره بصيغة المضارع لكونه آنذاك لم يقع وسيقع من الله إكرامًا لأوليائه . ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي عدة صور أخرى اتفقتا في الناتج الدلالي من وراء الحذف[٢] ، وبعضها حُمِل على الاحتباك بسبب تغاير أوجه القراءة فيها ، وهي : في قول الحق ﷻ : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس:١٠٣،ك) ، فالاحتباك فيها [٣] على قراءة التخفيف والتثقيل [٤] ، على تقدير : وكذلك ننجي المؤمنين تنجية عظيمة وننجيهم إنجاء عظيمًا[٥] .

فالصورة التركيبية للحذف -في هذه المواضع- تشير إلى إبراز دلائل القدرة الإلهية في التفضل والمنّ على أشرف الخلق ؛ لكون السياق العام يقرر وحدانيته ، ويبين عظيم قدرته على ما عذب به الأمم ، وأنه حكم بالنصرة لعابديه ، فلا بد أن يكون ما أراده ؛ لأنه إليه يرجع الأمر كله [٦] ، والخاص يقرر حال الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في إنذار قومهم لخلاصهم من الشقاء ، وتوعدهم من الله بأنواع العقوبات إن لم يتبعوهم ، فطال عليهم الأمر ، وتراخى النصر ، وهم يكذبونهم في تلك الإيعادات ، ويستهزئون بهم[٧] .

فالقاعدة الأم لفهم المعنى المراد تمثلت في المعاني الجوهرية ، الأول : تحقق وعد الله ﷻ

---

(١) التحرير والتنوير ٧٠/١٣ .

(٢) قول الحق : ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنبياء:٩،ك) ، إذ «الإتيان بصيغة المستقبل في ﴿وَمَن نَّشَاءُ﴾ ، على تقدير : فأنجيناهم ومن شئنا، ونُنْجي رسولنا ومن نشاء منكم » . ينظر : التحرير والتنوير١٣٠/٩ .

(٣) ينظر : نظم الدرر٢١٤/٩ .

(٤) «قرأ الكسائي وحفص عن عاصم : (ننج) خفيفة من أنجى ينجي ، وقرأ الباقون : (نُنَجِّي) مشدّدًا من نَجّي ينجّي» . إعراب القراءات السبع وعللها ٢٧٥/١وما بعدها .

(٥) ينظر : نظم الدرر٢١٤/٩ .

(٦) ينظر : المرجع السابق١/١٠وما بعدها .

(٧) ينظر : المرجع السابق٢٥٣/١٠وما بعدها .

لأنبيائه (عليهم الصلاة والسلام) بإنجائهم ونصرهم وإهلاك مكذبيهم ، والثاني : وعد الله لمن آمن وصدق الرسل بالإنجاء والنصر[1] ، وهذا من أعظم دلائل القدرة المستوجبة كمال التوحيد ، فبهما تحقق أصل المراد ، وهو تحقق صدق الوعد بإنجاء الرسل ومن تبعهم من المؤمنين ؛ لكونهما -الركنين المذكورين- من أسمى مبادئ تحقيق الإيمان المحرك في النفوس الخوف من الله ، ولكنْ في حمل النظم على الحذف جملة من لطائف المعاني تدعو إلى تعمق معنى العظمة الإلهية في الإعلام بأن سنته جرت بأنه يطيل الامتحان ، ويمد زمان الابتلاء والاعتبار ؛ حثًّا للأتباع على الصبر ، وزجرًا للمكذبين عن التمادي في الاستهزاء[2] ، وهذا يؤكد للمؤمن صواب عقيدته ، وللكافر فسادها ، فوجب تحقق الدعوة إلى التوحيد ؛ لتعلم النفوس الغافلة حقيقة ربها ، فتدرك أنه مصدر إنعامها ، وفي هذا لطف جليل من الله بعباده ؛ إذ رغبهم في الإيمان بإرسال الرسل وتحقق وعده بالإنجاء ، وتحذير شديد منه لمن أعرض ؛ إذ رهبهم من الكفر والعصيان .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾ (الرعد: ١٢،ك) ، **احتباك** اقتضاه السياق "يريكم ذلك إخافة وإطماعًا ، فتخافون خوفًا وتطمعون طمعًا .فعل الإرادة دال على الإخافة ، والإطماع والخوف دالان على تخافون وتطمعون"[3] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (لأجل إرادة الخوف) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (لأجل إرادة الطمع في رحمته) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ ...وَطَمَعًا ﴾ في الطرف الأول ، وتقديره : هو الذي يريكم البرق خوفًا ؛ لأجل إرادة الخوف من قدرته ، ويريكم البرق طمعًا ؛ لأجل إرادة الطمع في رحمته .

أو : يكون النصب على المصدر "أي : تخافون خوفاً وتطمعون طمعًا"[4] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تخافون) ؛ لدلالة ذكر:﴿خَوْفًا﴾ ، ومن الطرف الثاني حذف

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن٩/٢٧٥ .

(٢) ينظر : نظم الدرر١٠/٢٥٥ .

(٣) المرجع السابق ١٠/٢٩٤ .

(٤) روح المعاني ١٣/١١٨ .

(تطمعون) ؛ لدلالة ذكر :﴿وَطَمَعًا﴾ .

وسرّه أنه ذكر الأهم للدلالة على مطلق إنعام الله ؛ ليتحقق للبشر حسن مراعاتها ، ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيثُ الناتج الدلالي للحذف صورة أخرى [(١)] أسهمت في التذكير بمطلق القدرة ومنتهى الرحمة .

فمنشأ الحذف في الآية هو مراعاة أوجه التماثل بين طرفي النظم ؛ إذ تشكل في مقابل كل ركن مذكور آخر محذوف يبرز معناه ويعمق دلالته ؛ فتحقق بالاحتباك الإشارة إلى وحدانية الله عن طريق إبراز دلائل قدرته ، ومطلق علمه ، وسعة لطفه ، ونبل رحمته ؛ ليرتقي البشر في سلم التصعيد الإيماني من خلال ملازمة تأمل باهر الدلائل ، فالأنفع للسياق والأولى لما يقتضيه المراد حمل النظم على الاحتباك ؛ إذ تضمن العام "وصف الكتاب بأنه الحق في نفسه ، تارة يتأثر -[به]- مع أن له صوتًا وصيتًا وإرعابًا وإرهابًا يهدي بالفعل ، وتارة لا يتأثر بل يكون سببًا للضلال والعمى "[(٢)] ، والخاص بما تقرر فيه من إبراز عظيم الدلائل في السماء الدالة على كمال القدرة ومطلق العلم[(٣)] ، فتحقق بهما عِظَمِ التنبيه وبسط الدلالات ، والتذكير بعظيم ما أُودِع في القرآن من باهر الأدلة والآيات ، وهذه هي الغاية العظمى التي يُحققها حذف التقابل في النظم ، فالقيمة الحقيقية لإيضاح المقصد الأعظم في جعل البرق مظهرًا ترجى منه النعمة ، وفي الوقت نفسه تخشى منه النقمة ، من أجلِّ مظاهر كمال القدرة المستلزمة التوحيد ، وهذا تمثل في المعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ، الأول : هو الذي يريكم البرق خوفًا للمسافر في أسفاره يخاف أذاه ومشقته ، والثاني : طمعًا للمقيم يرجو بركته ومنفعته، ويطمع في رزق الله [(٤)] ، ولكنَّ وراء الحذف أسرارًا منها : أن في الخوف دافعًا قويًّا يدفع المرء إلى الإيمان ؛ لأنه عندما يكون في حالة تخوف وترقب وإرعاب يستشعر عظيم القدرة ، فيعلم أن الفاعل الحقيقي لإراءته البرق وجعله

---

(١) ومثل هذه الصورة قول الحق ﷻ : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الروم:٢٤،ك) .

(٢) نظم الدرر ٢٦٩/١٠ .

(٣) ينظر : المرجع السابق٢٩٣/١٠ .

(٤) ينظر : جامع البيان١٢٣/١٣ .

خوفًا وطمعًا هو الله [١] . "فالآية في تراكيبها متلاحمة متلاصقة ، مبينة مظهرًا من مظاهر قدرة الله وعجيب صنعه ؛ إذ ترسم مشهدًا علويًّا هائلاً يؤذن بالرعب والخوف الشديد ، وتلك نقلة عجيبة في سياق الآيات بارعة في نقل الحس والشعور ، فمن روائع النظم ذكر البرق ، والرعد ، والسحاب الثقال ، وبجانب تلك الظواهر تساق لفظتان ، هما : ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ؛ إذ إن الظواهر السابق ذكرها من برق ورعد وسحاب تُحدِث في النفس البشرية أمرين ، هما : الخوف ، والطمع ، ولا ثالث لهما ، وهذا التعبير من براعة صحة التقسيم[٢] ، فليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق ، والطمع في الغيث" [٣] ، فتحقق الإعلام بأن جعل البرق خوفًا وطمعًا لطفًا جليلاً من الله ؛ لإرشاد النفوس ؛ لتأمل جليل تلك النعمة وعظيم تلك القدرة ، وهذا حق لله يعد من أسمى مبادئ تعلم المرء دينه .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(النحل: ٩،ك) ، احتباك "ذكر أن عليه بيان القصد أولًا دلالة على حذف أن عليه بيان الجائر ثانيًا ، وذكر أن من الطرق الجائر ثانيًا دلالة على حذف أن منها المستقيم أولًا " [٤] ، وعلى ذلك فالمحذوف من الطرف الأول (وعلى الله بيان الطريق) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (منها المستقيم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ . وتقديره : وعلى الله قصد السبيل وبيان الطريق ، فمنها المستقيم ومنها جائر .

وفيه نظر ؛ لأن الطرفين -الأول والثاني- بمعنى واحد ، فقصد السبيل ، هو بيان الطريق "وعلى الله أيها الناس بيان طريق الحقّ لكم ... والسبيل : ه و : الطريق ، والقصد من الطريق : المستقيم الذي لا اعوجاج فيه " [٥] ؛ لذا فالأحق بالمعنى ترك القول بالاحتباك ؛

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٩/٢٩٥بتصرف .

(٢) وهو : «أن تذكر متعددًا ثم تضيف إلى كل منها ما هو له» . التبيان في البيان ، ص٣٣٢ .

(٣) النظم القرآني في سورة الرعد ، تأليف : محمد بن سعيد بن حسن الدبل ، (الرياض ، عالم الكتب ، الطبعة بدون ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م) ، ص ٨٨ وما بعدها .

(٤) نظم الدرر ١١/١١١وما بعدها .

(٥) جامع البيان ١٤/٨٣ .

لأنه ناتج عن فهمه ، ولا حاجة إلى التأويل ؛ لاتضاح المراد .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ (النحل: ١٢٨،م) ، **احتباك** اقتضاه السياق ، ففي "ذكر (الذين اتقوا) أولًا دليل على حذف (الذين أحسنوا) ثانيًا ، و(المحسنين) ثانيًا ، دليل على حذف (المتقين) أولًا " [١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (المتقين) لدلالة ذكر ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الذين أحسنوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن الله مع الذين اتقوا وهو مع المتقين ، وهو مع الذين أحسنوا والذين هم محسنون[٢] .

وسرّه أنّه ذكر معيته بمن هم في أدنى منازل التقوى ، وأعلى منازل الإحسان حثًّا على الترقي في الطاعة ، وترغيبًا في الإيمان لنيل عظيم فضله وشرف معيته .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز فضل الله ولطفه وعونه لجميع أهل التقوى والإحسان ؛ لما لهم من شرف العمل على عبادة الله وحده دون إشراك ؛ ليعظم في النفوس حب الإقبال على ملازمة الإيمان والعمل بالمحافظة على الطاعة ، وهذا من أبرز المعاني الإحسانية التي يحققها الاحتباك ، فالأنفع للسياق والأولى لما يقتضيه المقام القول بالاحتباك ؛ إذ تضمن العام "الدلالة على أنه تام القدرة والعلم ، فاعل بالاختيار ، متره عن شوائب النقص" [٣] ، والخاص بما تحقق فيه من إثبات العمل بالتقوى والإحسان ، فبهما يخلع المرء نفسهُ من الشرك إلى الإخلاص في العبادة [٤] ، فالأصل المراد متحقق في الركنين الجوهرين ، الأول : معية الله لمن هم في أول منازل التقوى ، "الذين اتقوا الله في محارمه فاجتنبوها ، وخافوا عقابه عليها فأحجموا عن التقدّم عليها "[٥] ، والثاني : معيته لمن هم في أعلى منازل الإحسان ، " الذين يحسنون رعاية فرائضه ، والقيام بحقوقه ، ولزوم طاعته فيما أمرهم به

---

(١) نظم الدرر ١١/ ٢٨٥ .

(٢) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه-أسراره ، ص٩٧ .

(٣) نظم الدرر ١١/ ١٠١ .

(٤) ينظر : المرجع السابق١١/ ٢٨٥وما بعدها .

(٥) جامع البيان ١٤/١٩٨ .

ونهاهم عنه" [١] ، وفي تدبر دلالة الاحتباك دعوة إلى الترقي في سلم الطاعات ؛ لتصل النفس إلى مرحلة الفناء عما سوى الله ، والإقبال الخالص له قولًا وعملًا واعتقادًا ، وفي هذا ما يجعل النفس المقصرة في حق الله تعمل على تلافي تقصيرها ، والمؤمنة تزيد في إيمانها ؛ لتحصل على شرف كرامته بمعيته لها في كل حين ، وللاحتباك أثر فاعل في إحداث علائق ربط بين المعاني أسهمت في إبراز عمق دلالة المعنى في جعل معية الله خاصة بكل من هم في درجات التقوى والإحسان أدناها وأوسطها و أعلاها ، والمراد بالمعية : "الولايةُ الدائمةُ التي لا تحوم حول صاحبها شائبةُ شيءٍ من الجزَع والحزنِ وضِيق الصدورِ " [٢] . كما يغرس الحذف في النفس السوية إحساسًا قويًّا يدفعها نحو التوحيد ، ويجنبها الشرك ، وبه تدرك لطف الله بعباده ، فتتعلم المبادرة إلى فعل الطاعة واجتناب المعصية ؛ لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته ، والخير لأجل العمل به ، " فمن كان الله معه كان غالبًا ، وصفقته رابحة ، وحالته صالحة ، وأمره عاليًا ، وضده في أسوأ الأحوال" [٣] .

*

ويقول تعالى : ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ (الإسراء :٢٥،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ **احتباك** اقتضاه السياق ، "**تقديره** : إن تكونوا صالحين أوابين إلى الله فإنه كان للصالحين محسنًا وللأوابين غفورًا" [٤] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (أوابين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لِلْأَوَّابِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (للصالحين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ صَالِحِينَ ﴾ في الطرف الأول . وسرّه : أنه ذكر رمز الإيمان –الصلاح– ؛ لكونه أساسَ كل خيرٍ ، ثم ذكر العود لرياض الخير ترغيبًا في التوبة والحث عليها .

فالنمط التركيبي لطبيعة الاحتباك أسهم في إبراز خاصية الترغيب في التوبة والصلاح ؛ حرصًا على امتثال أوامر الله في وجوب الإحسان للوالدين ورعايتهما كما

---

(١) الموضع السابق .
(٢) إرشاد العقل السليم ١٥٣/٥ .
(٣) نظم الدرر ٢٨٥/١١ .
(٤) التحرير والتنوير ٧٥/١٥ .

أمر ، وفي تأمل دلالة الاحتباك في السياق إشارة عليَّة تهذب النفوس وتلزمها مبدأ الحرص على التمسك بزمام الإيمان ؛ حتى لا يظهر المرء خلاف ما يبطن [١] ، فالذي يهدي إليه السياقان يُعْلِي من حسن القول بالاحتباك ؛ لما تحقق فيهما من الدعوة إلى مراعاة ما يُوجب التوحيد ؛ فتحقق في العام الحث على "الإقبال على الله وحده ، وخلع كل ما سواه ؛ لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور ، وتفضيل بعض الخلق على بعض ، وذلك هو العمل بالتقوى التي أدناها التوحيد " [٢] ، والخاص سعى إلى الح ث على الإحسان إلى الوالدين [٣] . فالقيمة الحقيقية لفهم المراد –وهو : الحث على التوبة والصلاح– تحققت في الركنين المذكورين ، الأول : "إن أنتم أصلحتم نياتكم ، وأطعتم الله فيما أمركم به من البرّ بهم ، والقيام بحقوقهم عليكم ، بعد هفوة كانت منكم ، أو زلة في واجب لهم عليكم ، مع القيام بما ألزمكم في غير ذلك من فرائضه "[٤] ، والثاني : "فإنه كان للأوّابين بعد الزَّلة ، والتائبين بعد الهَفْوة غفورًا "[٥] ، فتحقق بهما الإشارة إلى عظيم الفضل في تحقق التوبة من الخلق والغفران من الخالق رحمة ومنّة للخلائق ؛ إذ دعت المعاني الإحسانية الناتجة من وراء الحذف إلى توجيه المسلم إلى مراعاة إخلاص القصد–ظاهرًا وباطنًا – في حق الوالدين ، فالإنسان ربما تظاهر بعبادةٍ وإحسانٍ إلى والديه دون عقد ضمير على ذلك –رياء وسمعة – ، فالله أعلم بما انطوت عليه الضمائر من دون قصد عبادة الله والبر بالوالدين [٦] ، وللاحتباك أثر بارز في إحداث علائق ربط ربط جوهرية بين المعاني أسهمت في توجيه العقول إلى السعي لإدراك مراتب الإيمان والترقي فيها ؛ إيثارًا للمعاني ذات الصفات الحسنة ؛ للرجوع إلى الحالة المرضية في بر الوالدين والإحسان إليهما ، فلا يظهر أحدكم غير ما يبطن ، فإن ذلك لا ينفعه ولا ينجيه ، إلا أن يحمل نفسه على ما يكون سببًا لرحمتهما ، فهذا لا يتحقق إلا بمعالجة

---

(١) ينظر : نظم الدرر ٤٠٤/١١ .

(٢) المرجع السابق ٢٨٦/١١ بتصرف .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٤٠٢/١١ وما بعدها .

(٤) جامع البيان ٦٨/١٥ .

(٥) الموضع السابق .

(٦) ينظر : البحر المحيط ٢٧/٦ .

النفس و إرجاعها مرة بعد مرة ، فإنه كان للرجاعين إلى الخير مرة إثر مرة بعد جما ح أنفسهم عنه غفورً ا[١] . وفيه -أيضًا- فتح لباب التوبة والرحمة الإلهية الموجبة على العبد الرجوع إلى قصد الخير والصلاح ، وهذا من أعظم منن الله على عامة خلقه ، وفي استشعار ذلك الفضل لطف نبيل يُوجب على المرء الوقوف عند سعة كرمه ومنتهى رحمته ؛ أملاً في العمل برضاه ؛ ليكون المسلم على نفسه رقيبًا [٢] .

*

قيل في قوله تعالى : ﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ (الحج: ٦٠،م) ، **احتباك** ، فـ"ذكر النصرة دليل العزة والحكمة ، وذكر العفو منه سبحانه دليل حذف العفو من العبد " [٣] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (لعزيز حكيم) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (ومن عفا) ؛ لدلالة ذكر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : " ندبًا إلى العفو بعد ضمان النصرة : إن الله لعزيز حكيم ، ومن عفا وأصلح فقد تعرض لعفو الله عن تقصيره ، ومغفرته لذنوبه" [٤] .

وفيه **بُعد** ؛ لأنَّ القول بالاحتباك غير متحقق في الطرف الأول -في جعل النصرة دليل العزة والحكمة- ؛ لعدم التجانس في تركيب المعاني داخل النظم بعد تقديره .

*

وفي موضع آخر أسهم حذف التقابل في إبراز أجل مظاهر الإنعام المتمثلة في تحقق شمول القدرة والغلبة على أهل الكفر والفساد ، وذلك في قول الحق ﷻ : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ . وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص:٥-٦،ك) ، ففيه احتباك "ذكر الاستضعاف أولًا دليل على القوة ثانيًا ، وإراءة المحذور ثانيًا دليل على إراءة المحبوب أولًا" [٥] ، وعلى هذا فالمحذوف

---

(١) ينظر : نظم الدرر ٤٠٥/١١ ، وإرشاد العقل السليم٢٦٧/٥ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن٢٢٢٢/١٥ ، والتحرير والتنوير٧٥/١٥ بتصرف .

(٣) نظم الدرر ، ٧٩/١٣.

(٤) الموضع السابق.

(٥) المرجع السابق ٢٤٢/١٤ .

فالمحذوف من الطرف الأول (نريهم في أنفسهم وأعدائهم وفق ما يحبون ، وفوق ما يأملون) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (نأخذ الذين علوا في الأرض) ؛ لدلالة ذكر ﴿نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض فذلوا وأهينوا ، ونريهم في أنفسهم وأعدائهم وفق ما يحبون وفوق ما يأملون... ونريد أن نأخذ الذين علوا في الأرض وهم فرعون وهامان وجنودهما ونري فرعون وهامان وجنودهما ، ما كانوا يحذرون . وسرّه : " أنه ذكر المسلي المرجي ترغيبًا في الصبر ، وانتظار الفرج" (١) .

فالقول بالاحتباك ذو اعتلاق بالغ بالسياق العام للسورة ؛ لما تحقق فيه من إعلاء شأن التواضع المستلزم الاعتقاد الكامل بمظاهر العظمة والسلطان ، وإسقاط الكفر المستلزم شدة التعالي على الحق بالإعراض والخروج عليه ؛ لذا فصورة الحذف التركيبية أسهمت في إبراز جانبين عظيمين ، الأول : تمثل في فيض الرحمة للأولياء المستضعفين عن طريق تحقق دفع الفساد والضر عنهم ، فحصل لهم ذلك بفضل تحقق القدرة الإلهية الموجبة تحقق التوحيد في النفوس ، والثاني في شدة غضبه وقوة سطوته في إهلاك الأعداء وما يتوصلون به من جنود يسعون بهم إلى الفساد (٢) . فتحقق بالحذف الإعلام بتحقق مشيئة الله وقدرته في حصول التمكين لأهل الإيمان رفعةً وعلوًا ، وهذا يعني عناية فائقة بإنماء الجانب الإيماني من خلال حسن الترغيب الذي يُعَظِّمُ في النفوس حب المجاهدة في التمسك بالطاعات ، وبطلان كيد الأعداء بهلاكهم جميعًا ؛ لإبعاد البشر أنفسهم عن التمادي في الكفر ، والتعالي على الحق .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (الجاثية:٣-٤،ك) ، **احتباك** سببه تغاير أوجه القراءة ، فالأول للقول به جعله على قراءة النصب(٣) ؛ إذ " حذف أولًا الخلق بما دل عليه ثانيًا ، وثانيًا ذوات الأنفس بما دل عليه من

(١) الموضع السابق .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١٤/٢٤١وما بعدها .

(٣) اختلف القراء في قراءة ﴿ءَايَٰتٌ﴾ ، فقرأ حمزة والكسائي ويعقوب **بكسر التاء في الموضعين** وعلى هذا احتباك .

ذوات السموات أولًا"[١] ، فالمحذوف من الطرف الأول (خلق) ؛ لدلالة ذكر ﴿خَلْقِكُمْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (آياتٍ) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَآيَاتٍ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن في خلق السموات والأرض لآيات للمؤمنين ، وفي خلقكم وما بث فيها من دابة آياتٍ لقوم يُوقنون .

وسرّه أن ذلك أدل على تحقق الترغيب في تدقيق النظر بتأمل أعظم آيات الوجود ؛ ليتحقق عِظَمِ الإيمان بشواهد القدرة وآثار الصنعة الدالة على التوحيد [٢] ، ففي تبصر دلالة الخطاب إشارات عليّة تبرز حسن القول بالاحتباك ، فلعل من أبرزها ، إيثار ذكر ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ؛ "لما لها من الدلالة على صانعها ، وخلقها على ما فيها من العبر بما فيها من المنافع وعظيم الصنعة ، ما لها من الشفوف الدال على تعددها بما فيها من الكواكب ، والأرض بما حوت من المعادن ، والمعايش ، والمنابع ، والمعاون"[٣] ، فهذا عون على استبصار دقائق وعجائب خلق الله في ذوات الأنفس المشار إليها بـــ : ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ﴾ . ثم إن في إيثار ﴿لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ في الجانب الأول ، مقابل لـــ (لآياتٍ لقوم يوقنون) في الجانب الثاني معانيَ حِسَانًا لها الأثر الفاعل في توجيه البشر إلى مراعاة التبصر في دلائل التوحيد والكمال ، فينبغي على المرء الترقي في إعمال الفكر ، وتدقيق النظر حتى يصل إلى أعلى درجات الإيمان -الذين هم أهل للنظر- ؛ لأن ربهم يهديهم بحسن إيمانهم ، فشواهد الربوبية لهم لائحة ، وأدلة الإلهية واضحة[٤] ، ولما كانت آيات الأنفس أدق وأدل على القدرة والاختيار بما لها من التجدد والاختلاف ، أوثر التعبير عن أهل النظر فيها بـــ : ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ؛ إذ حصل لهم تجدد العروج في درجات الإيمان إلى أن وصلوا شرف الإيقان ، فلا يخالطهم شك في

أمّا قراءة الرفع فلا تحتاج إلى تقدير . ينظر: النشر في القراءات العشر ؛ تأليف : أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ، قدم له : علي محمد الضباع ، خرج آياته : زكريا عميرات ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : بدون ، ١٣٩١هـــ-١٩٧١م)١-٢/٢٧٨ .

(١) نظم الدرر ٦٥/١٨ .

(٢) ينظر : المرجع السابق٦٠/١٨بتصرف .

(٣) الموضع السابق .

(٤) ينظر : المرجع السابق٦١/١٨ .

وحدانيته مطلقًا[١] ، فتحقق بذلك الإعلام بأن " آية النفس منبهة على آية الحس ، وآية الحس منبهة على آية النفس ، إلا أن آية النفس أعلق ، فهي لذلك أهدى ، فغاية آية الآفاق الإيمان ، وغاية آية النفس اليقين" [٢] .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴾(القمر: ٣٥،ك) ، **احتباك** اقتضاه السياق ؛ إذ " ذكر الإنعام أولًا دليلًا على حذفه ثانيًا ، والشكر ثانيًا دليلًا على حذفه أولًا"[٣] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (شكرهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿شَكَرَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (بنعمتنا) ؛ لدلالة ذكر ﴿نِّعۡمَةٗ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : نعمة من عندنا لشكرهم كذلك نجزي لنعمتنا من شكر[٤] .
وسرّه : أنه ذكر الإنعام أولًا ؛ لأنَّه السبب الحقيقي ، والشكر لأنه السبب الظاهر[٥] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك تكشف عن فضل الله وقدرته في الإنعام لأهل طاعته ، وترشد إلى التحلي بملزوم الشكر ؛ لإتمام النعم ، فتحقق بذلك جانب مهم من جوانب العقيدة تمثل في أهمية الاعتراف بعظيم الفضل ومطلق الإحسان ؛ إذ أنعم على لوط وآله بالإنجاء إنعامًا عظيمًا ، فكل إنجاء منه إنعام [٦] ، وللاحتباك الأثر الفاعل في توجيه العقول إلى الحرص على الترقي في مدارج الطاعات تقربًا من الله ، وهذا من جملة المعاني الإحسانية التي يحققها حذف التقابل في النظم . ثم إن في تبصر دلالة السياق العام والخاص ما يُعلِيّ من شأن الاحتباك ؛ لما تحقق فيهما من إعلام البشر بمصدر الفضل الحقيقي حثًّا على ملازمة عبادته ، وقطعًا لطرق الفساد والإشراك عنه ، فتضمن العام تحقق صدق وعد الله الذي أخبر به محمدًا ﷺ ؛ ففيه إشارة عظمى أثبتت له —سبحانه— مطلق العلم ، وتمام

---

(١) ينظر : المرجع السابق١٨/٦٥ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) المرجع السابق ١٩/١٢٥ .

(٤) ينظر : نظم الدرر١٩/١٢٥ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص١٤٤ .

(٥) ينظر : نظم الدرر١٩/١٢٥ .

(٦) ينظر : روح المعاني٢٧/٩٠ .

القدرة ، وسعة الرحمة[1] ؛ لذا قامت السورة على " تهديد المشركين عند إعراضهم عن الاتعاظ بآيات الله التي شاهدوها ، وآثار آياته على الأمم الماضية التي علموا أخبارها وشهدوا آثارها " [2] ، والخاص قرر قدرته وعظمته في إحلال العذاب على من كذب فتولى ، والنعيم المقيم الأبدي لمن آمن فأطاع ، فتحقق إعلام البشر بأن الطاعة سبب النجاة الذي قوامه السعادة ، والمعصية سبب العذاب الذي أصله ملازمة الشقاء ، فمن وحَّدَ الله وأوقع الشكر على نعمه بجميع أنواعه أنجاه الله ، وهذا يُحقق معنى التفرد الإلهي في النفوس ، وفي تدبر دلالة الخطاب ما يبرز عظيم تلك النعمة ؛ لذا أوثر التعبير عنها بـــ : ﴿ نِّعۡمَةً مِّنۡ عِندِنَاۚ ﴾ ؛ ليتحقق في النفوس تأمل عظمتها واستبصار مصدرها ، فهي –بلا شك– نعمة عظيمة غريبة جدًا [3] ؛ لشدة ملازمة أهلها الطاعة والشكر ، وهذا توجيه كريم يدعو إلى ملازمة الشكر ليدوم الإنعام ، فالشكر يتضمن معانيَ عِظامًا مبدؤها لزوم الإيمان والطاعة في العمل بالأوامر والنواهي[4] ، وهو أصل نبيل من أصول المحافظة على العقيدة ، فالشكر نعمة نعمة من الله على عبده ، والشكر على النعم نعمة أخرى ، فمن بادر واستمر فلم يحرم زيادة الفضل ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾(إبراهيم:٧،ك) ، فحق على المرء التَّذكِيرُ بوحدانية الله ، لأن فيه إرشادًا عليًّا برز في ﴿نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴾ يُعلِمُ بأن كل من شكر واستجاب لما تضمنه التوحيد من أوامر ونواهٍ داخل في حيز ذلك الإنعام ، وهذه نعمة عليّة ترشد لشدة ملازمة الطاعة .

*

– القول بشبه الاحتباك.

في قول الحق ﷻ:﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ

(١) ينظر : نظم الدرر١٩/٨٦ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٧/٢٠٤ .

(٣) ينظر : نظم الدرر١٩/١٢٥ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٧/١٤٤ .

﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ (الأنعام: ٦،ك) ، **شبه احتباك** اقتضاه السياق القرآني [١] ، **تقديره** : "مكناهم في الأرض ما لم نمكنكم ، ومكنا لهم ما لم نمكن لكم ، ومعنى الأول : أنهم كانوا أشدّ منكم قوة وتمكّنًا في أرضهم ، فلم يكن يوجد حولهم من يضارعهم في قوتهم ، ويقدر على سلب استقلالهم ، ومعنى الثاني : أننا أعطيناهم من أسباب التمكن في الأرض وضروب التصرف وأنواع النعم ما لم نعطكم . فحذف من كل من المتقابلين ما أثبت نظيره في الآخر ، وهذا من أعلى فنون الإيجاز الذي وصل في القرآن إلى أوج الإعجاز" [٢] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (ما لم نمكنكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ومكنا لهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ في الطرف الأول .

وفي التعبير بهذا سر يكمن في أنه ذكر ما يدرك بالبصيرة أولًا لكونه أدلّ على القدرة وأشدّ في التهديد ؛ ردعًا لهم وترهيبًا . ثم ما يدرك بالبصر ثانيًا ؛ لكونه أدلّ على الاتّعاظ وأدعى إلى الرجوع عن معاصي الله؛ تحذيرًا لهم من سوء المآل .

فالصورة التركيبية لشبه الاحتباك تدعو إلى التبصر في حقيقة المعنى المراد في سياقه العام الساعي لإثبات التوحيد بدلائل مطلق القدرة على الإيجاد والإعدام والبعث [٣] ، والخاص بما فيه من الإخبار بتحقق عذاب المكذبين بالآيات وتحتم وقوعه [٤] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد قائمة في أصل النظم في الركنين المذكورين ، الأول في : (مكناهم) ، أي : "جعلنا لهم فيها مكاناً وقررناهم فيها ، وأعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من أنواع التصرف فيها"[٥] ، والثاني في : (ما لم نمكن لكم) ، أي : "ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا أهل مكة ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار في العدد والأسباب"[٦] . ولكنَّ ولكنَّ في الحذف أسرارًا من أهمها : إبراز القدرة الإلهية في إحلال العذاب على المكذبين ،

---

(١) ينظر : نظم الدرر٧/٢٢ .

(٢) تفسير المنار ٧/٣٠٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر٧/١ .

(٤) ينظر : جامع البيان٧/١٤٩ .

(٥) تفسير البيضاوي ٢/٣٩٢ .

(٦) الموضع السابق .

بضرب صورة من صور عذاب السابقين الذين كانوا من أشد الناس تمكينًا وتمكنًا في الأرض ؛ أملًا في الرجوع إلى الله ، وبتأمل موضع الحذف يزداد خوف المكذبين من سوء أعمالهم وأفعالهم الساعية بهم إلى العذاب ، فيتركوها خشية العذاب ، فإن النفوس إذا استشعرت عظمة الخالق في قدرته خافت عذابه ، وهذا من أعظم طرق البعد عن المعاصي والرجوع إلى الطاعات ، كما أن في الحذف تثقيفًا للنفوس تعلمها الشكر مقابل النعم ، ثم إن في تأمل جوهر السياق الخاص بما حمله من دلائل العظمة والقدرة أسمى عطاء للتعرف على الله ؛ لكونه دافعًا إلى التيقظ والتنبيه إلى أعظم دلائل التوحيد ، وفيه تذكير للنفوس الطاغية التي مكّن الله لها في الأرض أسباب الرزق أن تنمي بداخلها همم الدعوة إلى الخير والعبودية لله ، وأن تسعى لعمل ما يرضي الله ، فهو الذي قدر لها أسباب التمكن والتمكين .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف:١٧٦،ك) ، **شبه احتباك** اقتضاه السياق ؛ لكون المعنى " ولو شئنا رفعَه (لرفعناه) إلى المنازل العاليةِ للأبرار العالمين بتلك الآياتِ العاملين بموجبها ، لكن لا بمحض مشيئتِنا من غير أن يكون له دخلٌ في ذلك أصلًا ، فإنه منافٍ للحكمة التشريعية المؤسسةِ على تعليق الأجزيةِ بالأفعال الاختيارية للعباد ، بل مع مباشرته للعمل المؤدِّي إلى الرفع بصرف اختيارِه إلى تحصيله ، كما ينبيء عنه (بِهَا) ، أي : بسبب تلك الآياتِ بأن عمِل بموجبها ، فإن اختيارَه وإن لم يكن مؤثرً ا في حصوله ولا في ترتب الرفعِ عليه ، بل كلاهما بخلق الله تعالى ، لكن خلقَه تعالى مَنوطٌ بذلك البتةَ بحسب جرَيان العادةِ الإلهية ، وقد أشير إلى ذلك في الاستدراك بأن أُسند ما يؤدي إلى نقيض التالي إليه ، حيث قيل : ﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ مع أن الإخلادَ إليها أيضًا مما لا يتحقق عند صرف اختيارِه إليه بخلقه تعالى ، **كأنه قيل : لو شئنا رفعَه** بمباشرته لسببه **لرفعناه** بسبب تلك الآيات التي هي أقوى أسبابِ الرفع ، ولكن **لم نشأْه** ؛ لمباشرته لسبب نقيضِه ، فتُرك في كلٍّ من المقامين ما ذكر في الآخر تعويلًا على إشعار المذكورِ بالمطويّ ... وتخصيصُ كلّ من

المذكورين بمقامه للإيذان بأن الرفعَ مرادٌ له تعالى بالذات ، وتفضّلٌ محضٌ عليه لا دخلَ فيه لفعله حقيقةً ، كيف لا وجميعُ أفعاله من نعمه تعالى وتفضّلاته ، وأن نقيضَه إنما أصابه بسوء اختيارِه على موجب الوعيدِ لا بالإرادة الذاتيةِ له سبحانه " [١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (رفعه) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَرَفَعْنَٰهُ﴾ ، في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لم نشأه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَلَوْ شِئْنَا﴾ في الطرف الأول .

فمنشأ القول بالحذف قائم على مراعاة أوجه التماثل بين طرفي النظم الدالة على إبراز مشيئة الله ونفاذ أمره في خلقه ، وهذا يشكل أثرًا فاعلاً في إيضاح مبدأ جليل من مبادئ العقيدة يتمثل في إثبات مطلق القدرة على تحقق المشيئة وعدم تحققها ؛ ليتحقق الغرض الأسمى من الرسالة ، وهو : تخويف وإرعاب المعرضين عن الآيات ؛ لإبعادهم عن الخوص في الشرك بالإنذار ، والذي يهدي إليه السياق يُعْلِي من شأن الاحتباك ؛ إذ تضمن العام تحقق إنذار المعرضين عن التوحيد ، ففيه إشارة إلى مراعاة ما تتطلبه الجنة لأهلها من امتثال كل خير ، واجتناب كل شر ، والاتعاظ بكل مرفق ، وما تتطلبه النار من عكس ذلك [٢] ، والخاص علق الأمر فيه بالمشيئة تنبيهًا على أنها السبب الحقيقي ، وأن ما لم يشأه -سبحانه- لا يكون بأي وجه من الوجوه ؛ لأن مطلق القدرة بيده وحده لا شريك له[٣] ؛ فتحقق بالحذف تنبيه العباد إلى مشيئة الله وقدرته ، وأن ما يريده كائن لا محالة ، فلا يغتر أحد بما أوتي من المعارف ، وما حاز من المفاخر واللطائف ؛ لأن العبرة بالخواتم [٤] ، وفي هذا التنبيه مزيد إعلام للمرء يحرص به على مراعاة نعم الله عليه ، فمن كانت نعم الله في حقه أكثر ، كان بُعده عن الله إذا أعرض عنه أعظم وأكبر ، فإن في تبصر دلالة الخطاب إشارة عظمى لشدة تهالك المعرض –عن تدبر آيات الله بعد أن أتبع نفسه هواها فتمكن منه الشيطان- على ما في الدنيا من الملاذ الحيوانية والشهوات النفسانية [٥] ، وهذا يعمق مبدأ لزوم الدعوة إلى عدم الإعراض عن قبول الحق ، فإن الهداية إليه من أجلِّ النعم وأعظمها ؛ لأن فيها من الرفعة

---

(١) إرشاد العقل السليم ٢٩٢/٣وما بعدها .

(٢) ينظر : نظم الدرر٣٤٧/٧ .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٥٩/٨ .

(٤) ينظر : المرجع السابق١٦٠/٨ .

(٥) ينظر : المرجع السابق١٥٩/٨ .

وعلو المكانة ما يُسعد المرء ؛ لأنَّ الرفع " يَعمُّ معاني كثيرة ، منها : الرفع في المترلة عنده ، ومنها :الرفع في شرف الدنيا ومكارمها ،ومنها: الرفع في الذكر الجميلِ والثّناء الرفيع " (١) ، فـــ"لو ساعدته المشيئة بالسعادة الأزلية لم تَلْحَقْه الشقاوةُ الأبدية ، ولكن من قصمته السوابق لم تنعشه اللواحق" (٢) .

*

وكذلك يأتي التقابل في سياق قصة سيدنا يوسف عليه السلام ، في قول الحق عز وجل : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف:٢١،ك) ، ففي هذه الآية **شبه احتباك** اقتضاه السياق ؛ إذ "أثبت التمكن في الأرض ليدل على لازمه من الملك والتمكن من العدل ، وذكر التعليم ليدل على ملزومه ، وهو النبوة"(٣) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (النبوة) ؛ لدلالة ذكر التعليم في ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لتمكنه من الحكم بالعدل) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وكذلك مكنَّا ليوسف في الأرض بالملك والنبوة فيها ؛ لتمكنه من الحكم بالعدل ، ولنعلمه من تأويل الأحاديث .

وسرّه : أنه ذكر التمكين في الأرض أولًا ، والتعليم ثانيًا ؛ ليدل على تمام قدرته وشمول علمه ، وأضمر ما أضمر لتلازمهما مع ما ذكر . فتحقق بالحذف تحقق مشيئة الله ونفاذ أمره في إكرام نبيه يوسف عليه السلام بما دل على أن قدرة الله لا تصل لها قدرة مهما حاول البشر تبديلها ، ولا تقف في طريقها قوة مهما كان نوعها(٤) ، وفي الإعلام بعظيم قدرة الله ونفاذ أمره ما ينمي في النفوس مبدأ الرغبة في لزوم الحرص والإخلاص في عبادة الله .

وقيل في قول الحق عز وجل : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ

(١) جامع البيان ١٢٧/٧ .

(٢) لطائف الإشارات ٢٨٢/٢ .

(٣) نظم الدرر ٤٩/١٠ .

(٤) ينظر : في ظلال القرآن١٩٧٩/١٢بتصرف .

﴿ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ . وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا﴾ (الإسراء:١،٢ ك) ، **شبه احتباك** ، فـ"ذِكرُ الإسراء أولًا دليلٌ على حذف مثله لموسى عليه السلام ثانيًا ، وذكرَ إتيانِ الكتابِ ثانيًا دليلٌ على حذف مثله أولًا " [١] . وتقديره : سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وآتينا عبدنا محمدًا ﷺ الكتاب المفصل المعجز ، وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ، وأسرينا به من مصر إلى بلاد المسجد الأقصى .

وسرّه : أنه ذكر الأظهر لنبيه محمد ﷺ ، ولموسى عليه السلام ؛ لكونهما أدل على تحقق مطلق القدرة ، فذكر الأهم في سياق إثبات دلائل التوحيد للإقبال على العبادة وخلع كل مظاهر الشرك[٢] .

وفي هذا **نظر** ، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى القول بأن "هذا الموضع من أغرب لمحات البقاعي في الاحتباك"[٣] ؛ لذا فالأولى تركه لغرابته ، والمتضح أنه يسعى جاهدًا لإيجاد علائق ربط بين المعاني ، فحقيقة الإسراء تختلف في : ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ عن : ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ (طه:٧٧،ك) ، فلا ضرورة تدعو له ؛ لكون الكلام منتظمًا في معناه دون تأويل .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢،م) ، شبه احتباك ، ذكر التعظيم أولًا دليلًا على حذفه ثانيًا ، والتقوى ثانيًا دليلًا على حذفها أولًا [٤] ، فالمحذوف من الطرف الأول (تقوى قلبه) ؛ لدلالة ذكر ﴿مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (مُعَظِّمَهَا) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ﴾ في الطرف الأول . وتقديره :ذلك ومن يُعَظِّم شعائر الله خيرٌ له لدلالته على تقوى قلبه ، فإنها من

---

(١) نظم الدرر ٣٠١/١١ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ،٢٨٦/١١.

(٣) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه-أسراره ، ١٢١وما بعدها.

(٤) ينظر : نظم الدرر٤٥/١٣ .

تقوى القلوب فمُعَظِّمُهَا متَّقٍ . وسرّه : أنه ذكر الأعم من أمر التوحيد ؛ لكونه أدل على مراعاة تعظيمه ؛ وفي جعل التقوى نتاج ملازمة التمسك والعمل بشعائر الله دليلٌ قاطعٌ يُوجب المحافظة على الهدي القرآني الشريف ؛ لأنَّ في تبصر دلالة السورة -بكليتها- حثًا على العمل بما توجبه التكاليف السماوية من أوامر ونواهٍ تدعو في جملتها إلى التوحيد ، وتُطهِّر من الشرك .

فالغرض الأسمى من القول بالحذف تمثل في الدلالة على التمسك بالتوحيد وما هو مسبب عنه ؛ ليعلم البشر أن من راعى حدوده فقد فار ، ومن حاد عنها فقد خاب [(١)] ، فتحققت الدعوة إلى تعظيم شعائر الله ، من حيثُ : استحسان البُدن ، واستسمانها ، وأداء مناسك الحجّ[(٢)] ، فالأهم في الآية إبراز خاصيتين ، الأولى : حسن التذكير بمراعاة شعائر الله ؛ لما فيها من عظيم المنافع وجليل الفوائد ، والثانية : إبراز صفة التقوى حثًا على الاستعظام والاستمساك بمعالم الدين التي ندب إليها الإسلام ، وأمر بالقيام بها خصوصًا في الحج ، وهذا ما اقتضاه السياق والمقام [(٣)] ، وفي حمل النظم على شبه الاحتباك معانٍ ثرية تتكون في الذهن بعد مراعاة النظر في السياق العام ؛ لما تحقق فيه من الحث على ملازمة التقوى المنجية من هول يوم القيامة ، وهو الأمر الأعظم الدافع إلى إبراز حسن الحذف ؛ لذا صدرت السورة ببراعة النداء في : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ﴾(الحج:١،م) [(٤)] فإن لدلالة النداء بـــ(الياء) وقعًا جماليًا يكشف عن حاجة الناس لأن يُنَبَّهوا ؛ لأنهم في مقام تغشاهم فيه الغفلة ، ثم تحقق الأمر لهم بالتقوى ؛ لأن في وسعهم وتحت مقدورهم القيام بما كلفوا ، وعلى هذا ، فللحذف أثر فاعل يأخذ بالبشرية إلى مدارج النور ؛ ليدفعهم إلى الحرص على الطاعة ، أمّا السياق الخاص فتضمن الإعلام بأن التحلي بالتقوى هدى يُوجب الخير ، وهذا فيه نماء لدلالة شبه الاحتباك من حيثُ الإقبال على التقوى ، والالتزام بتعظيم شعائر الدين ، فتحقق مزيد تأكيد على مراعاة الدين بحفظ أوامره جميعًا من الوفاء بالنذور ، والطواف

---

(١) ينظر : المرجع السابق١٣/٤٤وما بعدها .

(٢) ينظر : جامع البيان١٧/١٥٦ .

(٣) ينظر : جامع البيان١٧/١٥٦ ، ونظم الدرر١٣/٤٤وما بعدها .

(٤) ينظر : نظم الدرر١٣/١ .

بالبيت العتيق[١] ، فأخبر أن تعظيم شعائره ، –وهي : ما حمله إعلامًا لخلقه فيما تعبدهم به من مناسك حجهم ، من الأماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها ، والأعمال التي ألزمهم عملها في حجهم – من تقوى قلوبهم ؛ لم يخصص من ذلك شيئًا ، فتعظيم كلّ ذلك من تقوى القلوب ، فحق على عباده المؤمنين تعظيم جميع ذل ك[٢] . وهذه المعاني اللطيفة تثير عزائم أهل الإيمان ومن هم في أدنى مراتب الطاعة منهم ؛ لإبعادهم عن الوقوع في المعصية ، ولدفعهم إلى الارتقاء في مقامات التصعيد الإيماني . كما أحدث الحذف علائق ربط جوهرية أسهمت من خلال صورة التماثل في إعلام البشر أن وجل القلوب ثمرة ملازمة خشية الله الناتجة عن معرفته والإخلاص في توحيده[٣] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾(القصص:١٢،ك) ، **شبه احتباك** اقتضاه سياق العظمة والجلال ؛ فقد "ذكر التحريم أولًا دليلًا على الإحلال ثانيًا ، واستفهام أخته ثانيًا دليلًا على استفهامهم لها أولًا"[٤] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (هل عندكم مرضع) ؛ لدلالة ذكر ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فأحللنا رضاعها) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وحرمنا عليه المراضع من قبل ، فقالوا : هل عندكِ مرضع تدلينا عليها لعله يقبل ثديها؟ ، فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون؟ فأتت بأمها ، فأحللنا له رضاعها . "وسرّه أنه ذكر الأغرب من أمره الأدل على القدرة"[٥] .

فالعلائق الرابطة بين أركان الحذف أسهمت في إبراز لطف الله ومنته على أم موسى عليه السلام ؛ وذلك بتحقق صدق الوعد ؛ إذ إن في تبصر دلالة الخطاب إثباتًا لأصل عظيم من

---

(١) ينظر : جامع البيان١٧/١٥٦ .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) ينظر : الموضع السابق .

(٤) نظم الدرر ١٤/ ٢٥٠ .

(٥) الموضع السابق .

أصول العقيدة ، يُحقق في القلوب التعرف على باهر العظمة ومطلق القدرة في حصول المنع من التحريم ؛ لذا ثبت الإعلام بالسبب الأعظم في رده لأمه تحققًا للقدرة التي لا يتخلف أمرها ويتضاءل كل شي دونها (١) ، كما حقق لموسى عليه السلام شرف الكرامة بفضل القدرة الإلهية أن يحميه فرعون ، وترعاه امرأته ، ويُرد إلى أمه لترضعه وهي آمنة (٢) ، ففي تبصر دلالة النظم في : ﴿ٱلْمَرَاضِعَ﴾ إشارة عليَّة تحقق عجز البشر عن مخالفة أمر الله ، فالجمع أتى للتكثير ، ويزداد المرادُ دِقَّة بعد مراعاة النظر في السياق العام بما يقرره من إثبات "التواضع لله المستلزم رد الأمر كله إليه الناشئ عن الإيمان بالآخرة" (٣) ، والخاص بما تحقق فيه من إثبات مطلق العظمة بدلائل التوحيد الساعية إلى إثبات أن وعد الله حق ؛ ولكن أكثر المشركين لا يعلمون ذلك ، ولا يصدقون به(٤) ، فالأولى والأعلى إبراز ما يرشد إليه الاحتباك من الحرص على تأمل صدق الدلائل بغية الوصول إلى حقيقة مصدرها ؛ ليعرف الخلق حسن إدراك علامات التعرف على الله من خلال ملاحظة عظمته وسلطانه وحكمته ورحمته (٥) ، وهذه مجتمعة تحققت في النظم من خلال الحذف ، فلو حصل-للمكذبين - الإحاطة بما في الحذف من مظاهر العظمة والسلطان لأدركوا حقيقة ربهم ، ولمنعهم علمهم من معصيته ، وهذه من أجلّ النعم ؛ لأن في الإعلام بذلك مفاتيح خير تدل على الأنس بالله وصفاء العيش في ظل عبادته . وللحذف أثر فاعل في نشؤ علائق ربط أسهمت في الإعلام بما هو غيب من علم الله وإرادته في الأزل(٦) .

*

وفي قول الحق عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩،ك) ، **شبه احتباك** اقتضاه السياق ؛ إذ "أثبت أولًا الجهاد دليلًا على حذفه ثانيًا ،

---

(١) ينظر : المرجع السابق١٤/٢٥٠وما بعدها بتصرف .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن٢٠/٢٦٨٠ .

(٣) نظم الدرر ١٤/٢٣٢ .

(٤) ينظر : جامع البيان٢٠/٤٠بتصرف .

(٥) ينظر : الموضع السابق .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير٢٠/٨٤ .

وثانيًا (أنه لمع المحسنين) دليلًا على حذف المعية والإحسان أولًا " [١] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول : (نكون معهم ؛ لأنهم أحسنوا المجاهدة) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (جهادهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، ونكون معهم بلطفنا ومعونتنا ؛ لأنهم أحسنوا المجاهدة فينا ، وإن الله لمع المحسنين لجهادهم[٢] . وسرّه : أنه ذكر معيته لمن هم في أعلى مراتب الإسلام -المجاهدين في سبيله- ، ولمن هم في أعلى منازل التقوى -المحسنين- تنبيهًا على شرفهم ، وحثًّا على الترقي في سلم الطاعات ؛ ليشعروا برؤية الله لهم .

فالقول بالحذف أسهم في تحقيق مقاصدَ عِظَامٍ تدعو في المقام الأول إلى إبراز جليل عناية الله بالمجاهدين في سبيله ، والمحسنين في عبادته ، وهذا المقصد يزداد حسنًا بمراعاة السياق العام بما يقرره من "الحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والدعاء إلى الله وحده من غير فترة "[٣] ، والخاص بما تحقق فيه من الحث على اتباع السنة ولزوم الطاعات بمجاهدة الكفار [٤] ، فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تحققت بالمعاني الجوهرية ، الأول : (في والذين جاهدوا فينا) -بنصر الدين ، والرد على المبطلين ، وقمع الظالمين ، وبجميع صور المجاهدة- لنهدينهم سبل ثوابنا [٥] ، والثاني : في إن الله لمع من أحسن من خلقه ، فجاهد فيه أهل الشرك[٦] ، ففي تبصر دلالة الخطاب أهمية عظمى تشير إلى علو قدر المجاهدين عند ربهم ؛ لذا أوثر التعبير بـــ﴿جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ فأوقعوا الجهاد بالقول ، والفعل في الشدة والرخاء بغاية جهدهم على ما دل عليه بالمفاعلة ، فحصل لهم الاهتداء الأمثل ؛ لشدة استحضارهم مطلق العظمة ، والتخلي التام عن اتباع الهوى [٧] ، فتحقق بالحذف جملة ثرية

---

(١) نظم الدرر ، ١٤/٤٨٣ .

(٢) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره ، ص٨٧ .

(٣) نظم الدرر ١٤/٣٨٠ .

(٤) ينظر : المرجع السابق١٤/٤٨١وما بعدها .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن١٣/٣٦٥ .

(٦) ينظر : جامع البيان٢١/١٥ .

(٧) ينظر : نظم الدرر١٤/٤٨١وما بعدها بتصرف .

من لطائف المعاني تضمنت التحريض على المجاهدة في سبيل الله بمنهج منضبط قائم على مراعاة أمر التوحيد من حيثُ اللطف في الدعوة ، والتصدي لكل من ليس مؤهلًا لمعرفة التوحيد ؛ لنقص عقيدته ، كما أن في الحذف نعمًا جليلة ؛ الأولى : في تلمس فضل الله ومنته بمن أحسن المجاهدة فيه ، "فمن صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة" [1] ، ففيه حثٌّ على استحضار عظمة الله ومراقبته في كل حين ، والثانية : في إعلام البشر بمبدأ عظيم من مبادئ التقرب إلى الله ، يشتمل على أبواب نشر الدين والدعوة إليه ؛ لذا تحقق حسن الدعوة إلى التصدي للشرك ومناقضة أهله .

*

ويبرز شبه الاحتباك فضل الله ﷻ على نبي الأمة محمد ﷺ ، وذلك في قوله:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ (الأحزاب: ٥٠م) ، ففي قول الحق ﷻ:﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ﴾ **شبه احتباك** ، والأصل فيه : "بنات عمك وبنات أعمامك ، وبنات عماتك وبنات عمتك ، وبنات خالك وبنات أخوالك ، وبنات خالاتك وبنات خالتك" [2]، حيثُ ذكر الاسم المذكر المفرد في (عمك وخالك) أولًا دليلًا على حذف المؤنث منهما ثانياً ، وذكر الاسم المؤنث المجموع في (عماتك وخالاتك) ثانياً دليلًا على حذف المذكر منهما أولًا .

وسرّه : أنه بدأ بالعمومية ؛ لشرفها[3] .

فمنشأ الحذف تمثل في أوجه التقابل بين طرفي النظم ، وتركيز النظر فيه من حيثُ الإفراد في جانب الذكور ، والجمع في جانب الإناث [4] ، فمن خلال ذلك سعى الحذف في المقام

---

(١) المرجع السابق ٤٨٢/١٤ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ٣٨٠/١٥ .

(٣) ينظر : الموضع السابق .

(٤) وقف بعض المفسرين عند إفراد الذكور وجمع الإناث في هذه الآية الكريمة ، وقد أجمل الألوسي في جمع بعض آرائهم . ينظر : روح المعاني٥٧/٢٢ .

الأول إلى بيان ما شَرَّفَ الله به محمدًا ﷺ وخصه من أمر التوسعة في النكاح ، إذ كرمه ربه بإحلال ذلك له وحده دون غيره من بني البشر [(١)] ؛ ليعلمهم عِظم خصوصيته ؛ لشرف أصله ، وهذا مزيدُ إكرامٍ من الخالق ومحبة من الخلائق [(٢)] ، وفي تبصر دلالة الخطاب ما يُعَلِّي من بيان مراد حمل النظم على الحذف ؛ "إذ أفرد العم ؛ لأن واحد الذكور يجمع من غيره ؛ لشرفه وقوته ، وكونه الأصل الذي تفرع منه هذا النوع ، وعرف بجمع الإناث أن المراد به الجنس ؛ لئلا يتوهم أن المراد إباحة الأخوات مجتمعات "[(٣)] . ثم إن في الحذف تشريفًا لأزواجه من جهة النسب ، فهن من نساء بني عبد المطلب ، وبني زهرة[(٤)] ، فبالنظر في السياق يتضح أن البعيد متضمن الحث على لزوم الصدق في الإخلاص في التوجه إلى الخالق ؛ لأنه عليم بما يصلحهم ، حكيم فيما يفعله ، يعليّ ويردي من شاء [(٥)] ، والقريب يدعو إلى الاستجابة لما أمر الله به ؛ لما فيه من علو القدر وشرف الخلق ، فثبت له شرف الفضل في الإنعام ، وفي هذا تأكيد فضل الله –لأشرف خلقه– فيما وهبه ربه من تحليل الأزواج له ، وإعلام بعظيم تلك النعمة وشرفها ، وفي الإعلام بذلك نعمة عليّة يجب معرفتها ؛ لإثبات ما خصه الله لنبي الأمة محمد ﷺ ، خاصة للذين ينكرون خصائصه ﷺ .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(الزمر:٥٣،م) ، **شبه احتباك** اقتضاه السياق ، "**كأنه قيل** : لا تقنطوا من رحمة الله ومغفرته ، إن الله يغفر الذنوب جميعًا ويرحم "[(٦)] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (مغفرة الله) ؛ لدلالة ذكر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يرحم) ؛ لدلالة ذكر ﴿رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ في الطرف الأول . وسرّه : أنه ذكر مطلق الإنعام أملاً في الرجوع إلى الإيمان ترغيبًا فيه .

---

(١) ينظر : جامع البيان٢٠/٢٢ .

(٢) ينظر : نظم الدرر٣٨٠/١٥ وما بعدها .

(٣) الموضع السابق .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

(٥) ينظر : المرجع السابق٢٧٣/١٥ .

(٦) روح المعاني ١٣/٢٤ .

فالغرض الأسمى من الحذف تمثل فيما أنتجته أوجه التماثل بين طرفي النظم من دلائل اللطف والكرم الإلهي الجليل، فالآية في سياقها العام تدعو إلى إثبات أنه –سبحانه– صادق الوعد وله مطلق العلم، والخاص يدعو إلى عدم القنوط من التوبة التي هي باب الرحمة[1] . فأصل المراد –وهو: إظهار دلائل الفضل والإنعام لإثبات الوحدانية– تمثل في المعاني الجوهرية: الأول: لا تيئسوا من رحمة الله ، والثاني: سارعوا لنيل الغفران فضلًا منه وإحسانًا، ولكنّ وراء الحذف لطائفَ عظامًا تبرز في المقام الأول سعة الكرم واللطف الإلهي الجميل –للناس أجمعين–؛ مما يفتح للغافلين باب الرجوع بالتوبة إلى الله مهما كان عِظَمُ حجمِ الذنب، فالوعد من الله بتحقق مطلق الرحمة شطره طلب المغفرة منه بالتوبة، وهذا أنبل عطاءً في فهم المراد؛ لكون الركنين المحذوفين –الأول: عدم القنوط من مغفرة الله ، والثاني: سعة فضله في رحمته للتائبين– أسهما في تعمق أصول الكرم واللطف؛ لكونها رحمة واسعة تسع كل معصية كائنة ما كانت. وللحذف أثر فاعل في إبراز شمول العلم ومطلق الإحاطة في أنه ﷻ يعلم حال خلقه ضعفًا وعجزًا، ويعلم أن الشيطان يقعد لهم كل مرصد ويعلم أن بناء هذا المخلوق الإنساني بناء واهٍ، وأنه مسكين سرعان ما يسقط فيفقد العروة التي تشده ، وأن ما رُكّب في كيانه من وظائف وميول وشهوات سرعان ما ينحرف عن التوازن، فيشط به هنا أو هناك، ويوقعه في المعصية، وهو ضعيف عن الاحتفاظ بالتوازن السليم[2]؛ لذا مد العون فأجزل الرحمة أملًا في الرجوع وإرشادًا للنفوس؛ لتتلمس منن الرب، فيتعمق الإيمان فيها لترتقي في سلمه.

ويذهب بعض أهل العلم إلى ترك هذا الوجه من الحذف "وفيه بُعد"[3] ، وكذا قيل : "وأما كونه من الاحتباك فمن ضيق العطن " [4] ، ولا حجة لذلك القول ، لأن في عدّه من شبه الاحتباك لا يُفسد النظم ولا يُذهب جلاله .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ

(١) ينظر : نظم الدرر١٦/٤٣٦وما بعدها .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن ٢٤/٣٠٥٨ .

(٣) روح المعاني ٢٤/١٣ .

(٤) حاشية الشهاب على البيضاوي ٧/٣٤٤ .

يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾(فصلت: ٤٤،ك) ، شبه احتباك اقتضاه السياق ؛ حيثُ "ذكر الهدى والشفاء أولًا دليلًا على الضلال والداء ثانيًا ، والوقر والعمى ثانيًا دليلًا على السمع والبصائر أولًا "(١) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (آذانهم به سميعة ، وقلوبهم واعية ، وهو لهم بصائر) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ضلال وداء) ؛ لدلالة ذكر ﴿ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء ، فآذانهم به سميعة ، وقلوبهم له واعية ، وهو لهم بصائر ،والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمىً ، فلهم به ضلال وداء (٢) . "وسرّ ذلك : أنه ذكر أمدح صفات المؤمنين وأذم صفات الكافرين ؛ لأنه لا أحقر من أصم أعمى"(٣) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز فضائل القرآن ، وعلو شأنه في قوة تأثيره في النفوس ، وخلب الأذهان إليه ؛ ليعلم البشر قاطبة ألاّ شيء في الوجود يناظره ؛ لما فيه من جلائل العظمة المتضمنة تفصيله وتبيينه غاية البيان ، وهذا ما قرره السياق العام للسورة ؛ إذ حصل بها الإعلام بأن "القرآن رحمة لمن كان له علم ، وله قوة توجب له القيام فيما ينفعه" (٤) ، فثبت بالدليل القطعي أنه سبب في زيادة إيمان المهتدي ، وإرشاد لبيان ضلال الضال ، أمّا الخاص فتقرر فيه ذكر الكافرين بالقرآن وما ظهر من تكذيبهم ؛ لإثبات أن قصدهم العناد فيما يتعللون به ، متجاهلين أن فيه رحمة عامة لبني الإنسان (٥) ، فالقيمة الحقيقية لإيضاح فضل الله ورحمته بعباده في جعل تدبر القرآن مفتاح تعمق الإيمان وزيادة النعيم ، والإغفال عن تدبره أساس الضلال تمثلت في المعاني الجوهرية ، الأول : في أن القرآن للذين آمنوا بالله ورسوله بيان للحق وشفاء لما في الصدور من الظن والجهل(٦) ، والثاني : في في أنه للذين لا يؤمنون بالله ورسوله في آذانهم ثقل عن استماع ه ، فلا يبصرون حججه

---

(١) نظم الدرر ٢٠٧/١٧ .

(٢) ينظر : نظم الدرر٢٠٧/١٧ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص٤٨ .

(٣) نظم الدرر ٢٠٧/١٧ .

(٤) المرجع السابق ١٣٤/١٧وما بعدها .

(٥) ينظر : البحر المحيط٤٨٠/٧ ، والتحرير والتنوير ، ٣١٥/٢٤ .

(٦) ينظر : جامع البيان١٢٤/١١ ، والبحر المحيط٤٨١/٧ .

عليهم وما فيه من مواعظ [١] ، فتحققت الإشارة إلى ثمرة نفعه لأهل الإيمان في بيان كل مطلوب ، وشفاء كل ما في الصدور ؛ لحسن الإقبال المقتضي الترقي في درجات التأمل والإبصار ، وكذا عِظَمِ إعراض أهل الكفر عن سماع ما فيه ؛ لشدة سيطرة الكفر عليهم ، فأصبح وقع القرآن عليهم ثقلًا مُذْهِبًا للسمع مصمًا ؛ لذا لا يقدرون على تأمله ، فحق لهم بذلك أن يكون لهم به ضلال وداء[٢] ، وهذا من جملة المعاني الإحسانية التي يسعى الاحتباك إلى تحقيقها في النفوس ، تذكيرًا بعظيم نعمة تدبر القرآن وتفهم معانيه ؛ وترغيبًا في الإقبال ، وترهيبًا من الإعراض ؛ لأنه "شفاءٌ للمؤمنين ، وسببُ شقاء للكافرين ؛ شفاءٌ للعلماء ؛ حيث استراحوا به عن كَدِّ الفكر وتحيُّر الخواطر ، وشفاءٌ لضيق صدور المريدين ؛ لما فيه من التنعم بقراءته ، والتلذُّذ بالتفكُّر فيه ، وشفاءٌ لقلوب المحبين من لواعِجِ الاشتياق ؛ لما به من لُطْفِ المواجيد ، وشفاءٌ لقلوب العارفين بما يتوالى عليها من أنوار التحقيق " [٣] ، فأساس الحكمة لتدبر القرآن تبرز في خاصية العلم به ، ليدرك طبيعته وحقيقته ، فيهتدي به في مطلق أحواله ، وفي تعمق معرفته بالقرآن قرب منه ، وهو من باب أولى قُرب من الله . وللاحتباك أثر فاعل في إبراز خاصية التحذير من قبح ملازمة الكفر ، فإن فيه حرمان ثمرة الانتفاع بتدبر القرآن[٤] .

*

وفي قول الحق ﷻ: ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴾ (فصلت:٥١،ك) ، **شبه احتباك** «ذكر الإنعام أولًا دليل الانتقام ثانيًا ، وذكر الشرّ ثانيًا دليل الخير أولًا»[٥] .وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (مسه الخير) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (انتقمنا) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَنۡعَمۡنَا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وإذا أنعمنا على الإنسان فمسه الخير أعرض ونأى بجانبه ، وإذا

---

(١) ينظر : جامع البيان١٢٨/٢٤ .

(٢) ينظر : نظم الدرر٢٠٦/١٧وما بعدها بتصرف .

(٣) لطائف الإشارات ٣٣٦/٥ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير٤١٥/٢٤ .

(٥) نظم الدرر ٢٢٢/١٧ .

مسه الشر لانتقامنا منه فذو دعاء عريض[١] .

"وسرّه : تعليم الأدب بنسبة الإنعام دون الشرّ إليه ، وإن كان الكل منه" [٢] .

فالنمط التركيبي لطبيعة الحذف أسهم في ترسيخ قاعدة عظمى من أهم قواعد العقيدة تمثلت في حسن التذكير بوجوب تقييد النعم بلزوم الشكر ، وهذه من أجل وأنبل المعاني التي يسعى الحذف في تحقيقها ؛ ليعلم البشر عامة –خصوصًا أهل الكفر والعناد– حقيقة تلك النعمة ؛ أملًا في الرجوع إلى معرفته ﷻ بنسبة الفضل والإنعام له ؛ و إيقاظًا للقلوب الغافلة في مواجهة النعم بالصد والجحود ، فحقق الحذف إعلامها بمصدر إنعامها ؛ كي تحسن التوجه إليه ؛ لتنال شرف الإنجاء وكرم المزيد ، والذي يهدي إليه السياق يُعمق من حسن الحذف ؛ إذ سعى العام إلى الإعلام بأن العلم الحقيقي هو العلم الحامل على الإيمان والاستقامة على الطاعة ، فثبت أن الإصرار على ملازمة الكفر قبح ؛ لأنه جهل محض[٣] ، والخاص تضمن إبراز حال الكفرة المعاندين عند مس النعمة ومس الشر ؛ ليُظهر شدة ملازمتهم الكفر الناتج عن عِظَمِ جهلهم بالله[٤] . فالقيمة الحقيقة لأصل المراد تحققت في المعاني الجوهرية ، الأول : وإذا أنعمنا على الكافر أملًا في رجوعه إلى الحق فكشفنا ما به من ضرّ ، ورزقناه غنى وسعة ، لم يعمل بواجبه تجاه ذلك الإنعام ، بل بَعُدَ من لزوم الشكر قاطعًا بأنَّ تلك النعمة خير محض ظاهرًا وباطنًا فهو يستديمها [٥] ، والثاني : إذا مسه الشر فذو تضرع واستغاثة ، فلا يدعو إلا عند المس بالشر متجاهلًا أن ذلك ربما يكون نعمة باطنة وهو لا يشعر[٦] ، وفي وفي تبصر دلالة الخطاب بـــ ﴿أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ عند حصول الإنعام ، إشارة إلى قبح حال الكافر في إعراضه عن الانقياد إلى الحق وتكبره على الله [٧] ، وبـــ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾ عند المس بالشر إيضاح لشدة جهله بحقيقة الله ؛ إذ عرفه في البلاء و لم يعرفه في

(١) ينظر : نظم الدرر١٧/٢٢٢ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص٢٥٠ .

(٢) نظم الدرر ١٧/٢٢٢ .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٧/١٣٤ .

(٤) ينظر : المرجع السابق١٧/٢٢١وما بعده بتصرف .

(٥) ينظر : جامع البيان٢٥/٤ ، ونظم الدرر١٧/٢٢١ .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن١٥/٣٧٣ .

(٧) ينظر : الموضع السابق .

الرخاء[١] ، فـ"إذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة ، وإذا مسه الشر ابتهل إلى الله وتضرع"[٢] ؛ لذا تحقق أن القول بالحذف في هذا المقام عليّ يولد جملة ثرية من المعاني الإحسانية ، والتي من أبرزها : الإعلام بحال أكثر الخلق عند حلول المصائب وأنواع الشدائد في حسن الإقبال ، والإعراض حال الشعور بالأمن وتوفر سبل الراحة ، وهذه نعمة جليلة تُعَرِّفُ الخلق بربهم عن طريق إظهار باهر القدرة في الإنعام والخير ، والانتقام والشر بصورة أكثر عمقًا ؛ ليثبت إعلامها بأن القادر على الإنعام قادر-لا محالة- على الانتقام ، وفي هذا مزيد تذكير بخطأ عقيدتهم التي يسيرون عليها ؛ إذ من الواجب مقابلة الإحسان بمثله مع أقل الناس ، فكيف مع من هو أجلُّ وأعظمُ في جلب الإنعام والخير؟! . ففيه إيماء إلى أصل عليّ من أصول الإيمان ، وهو : الحث على الاجتهاد في الدعاء والشكر في حالتي الإنعام ومس الخير ، والبلاء ومس الشر ؛ ليعلم العبد أن القادر على ذلك : الله وحده ، فمن عرف الله في الرخاء عرفه الله في الشدة[٣] .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِىَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ . وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية: ١٢-١٣،ك) ، ففي هذه الآية **شبه احتباك**[٤] ؛ إذ المحذوف من الطرف الأول (آياتٍ لقوم تفكروا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ابتغوا من فضله وشكروا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : سخر لكم ما في البحر لتجري الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون آياتٍ لقوم تفكروا ، وسخر لكم ما في الأرض جميعًا منن لقوم ابتغوا من فضل الله وشكروا ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون .

فالغرض الأسمى من حمل النظم على الحذف يتمثل في إبراز أعظم صفات الربوبية لله من

---

(١) ينظر : الموضع السابق .

(٢) البحر المحيط ٤٨٢/٧ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن١٥/٣٧٣ ، ونظم الدرر١٧/١٢٢ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير٢٥/٣٣٦ .

خلال الدعوة إلى مداومة التفكر والنظر في تلك الدلائل ؛ أملًا في تبصر عظيم تلك القدرة ، فقد سخر ذلك وحده من غير حول من بني البشر ؛ ليعلموا أنه بقدرته خاصة ؛ وليؤمنوا به[١] . فالسورة في سياقها العام بُنِيت على إثبات التفرد الإلهي بتمام العز والكبرياء ؛ إذ اقتضت حكمته نشر عدله وإظهار فضله لجميع خلقه طائعهم وعاصيهم [٢] ، وسياقها الخاص أثبت دلائل القدرة على تسخير ما في الكون لأجل منافع الناس عامة ، فثبت بالحذف الإرشاد إلى أصلٍ عظيمٍ من أصول العقيدة تمثل في الحث على إفراد الله بالشكر والعبادة . وكذا فإن في إعلام البشر بما سخر لهم من عظيم الدلائل ، وجليل المنافع نعمةً عليّة تُوجب عليهم الاجتهاد في العمل على حسن التأمل والشكر ، "فما من شيءٍ من الأعيان الظاهرة إلاّ- ومن وجهٍ- للإنسان به انتفاع . . . ومِنَ الغَبْنِ أن يستسخرَك ما هو مُسَخَّرٌ لك!" [٣] ، وللحذف أثر فاعل في إحداث علائق ربط بين المعاني تسعى في المقام الأول إلى إظهار إحسان الله في الإنعام [٤] ، ثم إرشاد النفوس إلى التمسك بملازمة التفكر في مظاهر ذلك الإحسان ؛ لأنه ملاك الأمر بعث الإيمان في نفوس المعرضين [٥] ، وشكر المنعم على نعمه ؛ ليزيدها من فضله في الدنيا والآخرة ، فإن المقبل عليه المحب له[٦] .

*

- المطلب الثالث : إثبات علم الله بما ظهر وبطن من أفعال وأعمال بني الإنسان .

قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ (النساء: ١٤٧-١٤٨م) ، احتباك "والظاهر أنه لما ذكر الشكر على وجه علم منه رضاه به ومحبة إظهاره ، تممه بذكر ضده ، فكأنه قال : إنه يحب الشكر وإعلانه ويكره السوء وإظهاره ، وما ذكره لا محصل

---

(١) ينظر : نظم الدرر١٨/٧٥وما بعدها .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٨/٥٨وما بعدها .

(٣) لطائف الإشارات ٥/٣٩١ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٦/١٦٠ .

(٥) ينظر : روح المعاني٢٥/١٤٤ .

(٦) ينظر : نظم الدرر١٨/٧٥وما بعدها .

له ، ولا تتم به المناسبة ، وفيه احتباك بديع "[١] . فهذا ليس باحتباك ؛ لتنافي التقابل بين طرفيه من حيثُ دلالة المذكور الموجود على المحذوف المقدر ، فالطرف الأول أركانه محذوفة (يحب الشكر وإعلانه) ، والطرف الثاني مذكورة (يكره السوء والجهر به) ، ومن جانب آخر فالشكر يقابله كفران النعم ، والجهر بالسوء يقابله إعلان الحسن والجهر به .

*

ويأتي التقابل بين الصفات على طريقة الاحتباك في قول الله تعالى : ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾(الرعد:١٠،م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ "ذكر(مستخف) أولًا دال على ضده ثانيًا ، وذكر (سارب) ثانيًا **دال على ضده أو مثله أولًا** "[٢] . وعليه يكون المحذوف من الطرف الأول (سارب)أو (كامن) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَسَارِبٌۢ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ظاهر) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مُسْتَخْفٍۭ ﴾ في الطرف الأول . وعليه يكون التقدير الأول : ومن هو مستخف بالليل ، كامن فيه ، ومن هو ظاهر ، وسارب بالنهار . والثاني : ومن هو مستخف بالليل ، فسارب . ومن هو ظاهر ، وسارب بالنهار .

وسرّه : أنه ذكر الخفي أولًا ؛ ليدل على عظيم قدرته وشمول علمه ، ثم الأظهر ثانيًا ؛ ليدل على أن تلك القدرة سواء عنده ، "فذكر الاستخفاء مع الليل ؛ لكونه أشد خفاء ، وذكر السروب مع النهار ؛ لكونه أشد ظهورًا ، والمقصود أن هذين الصنفين سواء لدى علم الله"[٣] ، " وتقديمُ الإسرارِ والاستخفاءِ لإظهار كمالِ علمِه ، فكأنه في التعلق بالخفيات أقدم منه بالظواهر ، وإلا فنِسبتُه إلى الكل سواءٌ" [٤] .

فالنمط التركيبي لصورة الاحتباك أسهم في إبراز حقيقة التفرد الإلهي لله في إثبات مطلق العلم ، فسواء عنده سِرُّ خلقه وعلانيتهم ، في ليلهم ونهارهم ، سكونهم وحركتهم[٥] ،

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوي ١٩٣/٣ .

(٢) نظم الدرر ٢٩١/١٠ .

(٣) التحرير والتنوير ٩٩/١٣ .

(٤) إرشاد العقل السليم ٨/٥ .

(٥) ينظر : جامع البيان١١٣/١٣ .

فتحقق بالحذف تقرير مبدأ كمال علم الله وشموله [١] ، فالسياق العام والخاص وقرائن الأحوال أسهمت في تثبيت ذلك المبدأ ؛ ليعلم البشر حقيقية علم الله المستلزم التوحيد ؛ إذ شمل علمه كل من هو مستخفٍ في ظلام الليل ، وكل من هو ظاهر في بياض النهار [٢] ، وهذا ما أبرزته المعاني الجوهرية في سياقها العام الساعي إلى التنبيه وبسط الدلالات والتذكير بعظيم الآيات الدالة على القدرة والاختيار ، والخاص بما تحقق فيه من البيان لاستواء الغيب والشهادة بالنسبة إلى علم الله ، ونفي ذلك عن غيره[٣] ، وفي حمل النظم على الاحتباك جملة ثرية من لطائف المعاني تدعو في المقام الأول إلى أن جنس بني الإنسان بحاجة إلى إيضاح دلائل علم الله المطلق ؛ لتوطين النفوس على مقاومة ما ينافي الإيمان ، وامتثال ما يدعو إليه ، فكل من حرص على زيادة إيمانه ، بتأمل دلائل كمال القدرة ومطلق العلم ، أصبح ممن يعبدون الله عن علم ، وهذا من أعظم علامات رسوخ الإيمان في القلب . وللاحتباك أثر فاعل في إحداث علائق ربط جديدة أسهمت في تأكيد شمول علم الله بأحوال العباد الظاهرة والباطنة من خلال ما تشكل في الذهن من الحذف ؛ إذ أصبح في مقابل كل طرف مذكور آخر محذوف يعمق معناه ويبرز دلالاته .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾(النحل:١٢٥،ك) احتباك "ذكر (من أضل) دليلًا على حذف ضده ثانيًا ، و(المهتدين) ثانيًا دليلًا على حذف ضدهم أولًا"[٤] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (أعلم بالضالين) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أعلم بمن اهتدى) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالضالين ، وهو أعلم بمن اهتدى لسبيله وهو أعلم بالمهتدين[٥] .

---

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم٥/٨ .

(٢) ينظر : جامع البيان١٣/١١٣ وما بعدها .

(٣) ينظر : تفسير البيضاوي٣/٣٢٠ .

(٤) نظم الدرر ١١/٢٨١ .

(٥) ينظر : نظم الدرر١١/٢٨٠وما بعدها ، الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص١٨٣ .

وسرّه : أن في ذكر من أضل أولًا زجرًا لبشاعة ما هم فيه من المنافاة للدين ، وذكر المهتدين تشريفًا بما هم فيه من التصعيد الإيماني في مراتب الهداية . ومن جهة أخرى ذكر علمه بمطلق أحوالهم ؛ لكونه أدل على تمام الحكمة الموجبة التسليم له .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز حقيقة علم الله المطلق ، فهو وحده أعلم من كل مَنْ يتوهم فيه علم ؛ ليتحقق أن الأنبياء لا علم لهم بشيء مطلقًا سوى إعلام الخلق بما ألزمهم الله من أمر الدعوة إليه[١] . فالقول بالحذف يزداد حسنًا بعد مراعاة السياق العام للسورة ، فهو ذو اعتلاق بالغ جدًا ببيان ما يرشد الحذف إليه ؛ لأن غايته " الدلالة على أنه تعالى تام القدرة والعلم ، فاعل بالاختيار ، متره عن شوائب النقص "[٢] ، أمّا السياق الخاص فتحقق فيه إثبات علم الله المطلق بكل من هم في أدنى درجات الضلال ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ ، وبكل من كان مترسخًا في الهداية ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ ، فهذان الركنان كفيلان بإبراز سعة علم الله المطلق ، ولكنْ في الحذف جملة من لطائف المعاني أبرزها : أن الاحتباك يكشف في المقام الأول عن سعة علم الله بمطلق أحوال العباد ابتداءً بمن كان في أول درجات الضلال إلى من ترسخ فيها ، ومن كان في أدنى درجات الهداية إلى من ترسخ فيها ، وهذا يولد في النفوس تدبر عظمة الله ، ويدفع إلى الإيمان ؛ لأن في تأمل سعة علمه مفاتيح رحمة للبشر ، بها يعرفونه حق معرفته ، فيعبدونه عن علم . وللاحتباك أثر بارز في نشوء علائق ربط بين طرفي النظم ، من حيثُ مقابلة المذكور : (أعلم بمن ضل) ، بـــ : (أعلم بمن اهتدى) ، ومقابلة : (أعلم بالمهتدين) ، بـــ: (أعلم بالضالين) ، فتشكل في الذهن عظم القدرة الإلهية الموجبة صرف العبادة لله وحده .

*

ويعود التعبير القرآني لإظهار علم الله تعالى بجميع ما أخفوا وما أعلنوا في صورة من صور التقابل بين ذكر الذين صدقوا والكاذبين ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾(العنكبوت:٣،م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ احتباك " دلَّ بالذين صدقوا على الذين كذبوا ، وبالكاذبين

(١) ينظر : نظم الدرر ٢٨٠/١١وما بعدها بتصرف يسير .

(٢) المرجع السابق ١٠١/١١ .

على الصادقين" [١] . وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (وليعلمن الصادقين) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وليعلمن الذين كذبوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الصادقين ، وليعلمن الذين كذبوا ، وليعلمن الكاذبين[٢] .

وفي موضع آخر يماثل الآية السابقة ، أبرز الاحتباك فيه خاصية شمول علم الله بالذين آمنوا والمنافقين ، وذلك في: ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾(العنكبوت:١١،م) ، ففيه احتباك[٣] ، إذ حُذِف من الطرف الأول (وليعلمن المؤمنين) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وليعلمن الذين نافقوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المؤمنين ، وليعلمن الذين نافقوا وليعلمن المنافقين[٤] . وسرّه : أنه ذكر إحاطة علمه بأدنى مراتب الصدق والإيمان ، وأعلى أحوال الكذب والنفاق ؛ تنبيهًا على شمول علمه وإحاطته بكل شيء ، وأن في ذكر عموم أحوالهم دليلًا على تمام القدرة .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك -في الموضعين- أسهمت في إيضاح القدرة الإلهية بإحاطة علم الله بكل شيء ، فدلالة الاحتباك تمثلت فيما أنتجته أوجه التقابل من دلائل المعاني الساعية إلى إثبات الدعوة إلى الله [٥] ، من خلال إبراز خاصية مطلق علمه ، فمن أقر به قَوَّى إيمانه ، وهو من أهل الإيمان ، ومن أعرض عنه أبطل إيمانه ، وهو من أهل الكفر ، وهذا ما حققته السورة ودعت إليه في سياقها العام ؛ لأن مقصدها الأعظم تمثل في الحث على الاجتهاد في الدعاء إلى الله وحده من غير فترة ، فهي سورة ضعف الكافرين وقوة المؤمنين[٦] ، أمّا الخاص فتحقق فيه إثبات علم الله الشامل وقدرته التامة في الدنيا ، أنه —

---

(١) المرجع السابق ٣٩١/١٤ .

(٢) ينظر : نظم الدرر٣٩٠/١٤وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص٢٤٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر٤٠٠/١٤ .

(٤) ينظر : نظم الدرر٤٠٠/١٤ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص٢٧٢ .

(٥) ينظر : نظم الدرر٣٨٠/١٤ .

(٦) ينظر : المرجع السابق٣٨٤/١٤ .

سبحانه- عليّ العلم والقدرة بجميع عباده[1] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تكونت في المعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ، الأول -في الموضع الأول- : وليعلمن ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في دعواهم الإيمان ، ولو كانوا في أدنى مراتب الصدق ، فيكون أحدهم عند الرخاء برًّا شكورًا ، وعند البلاء حرًّا صبورًا ، والثاني : في ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ الراسخين في الكذب الذين يعبدون الله على حرف ، فإن أصابهم خير اطمأنوا به ، وإن أصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم[2] ، وكذا -في الموضع الثاني- الأول : وليعلمن الله ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فوقع منهم إيمان ، ولو كانوا في أدنى مراتب الإيمان ، وليعلمن المنافقين الراسخين في النفاق[3] ، فثبت بالمذكور إثبات جانب عليّ من جوانب العقيدة تمثل في تحقق خاصية التفرد الإلهي بالعلم المطلق لله وحده ، فقد علم الصادق من الكاذب قبل أن يخلقهما [4] ، كما تحقق " علم الله الحاصل في المستقبل كما يقتضيه توكيد فعل العلم بنون التوكيد التي لا يؤكد بها المضارع إلا مستقبلًا" [5] ، ولكنْ في حمل النظم على الاحتباك جَلَيلُ معانٍ تسعى إلى إعلام البشر بمطلق علم الله ، وهي نعمة عليّة يحسن التبصر فيها ؛ ليدرك المرء عجز الخلائق ، وسعة علم الخالق ؛ فيعبده حق عبادته . وللاحتباك أثر فاعل في إحداث علائق ربط أضافت إلى أصل النظم معاني ذات حُسن من أجلِّها : الحث على ملازمة الصدق ، فهو دليل ثبات الإيمان في قلب المؤمن ، والتحلي بشعار الدعوة إلى الاعتقاد بعقيدة الله واتباع رسوله ، وتجنب الكذب والنفاق ؛ لأنهما دليل ترك الإيمان وتزلزله في قلب الكافر [6] ، فيترتب على تحقق مطلق القدرة على العلم المجازاة على حسن الأعمال وسيئها ، وفي تعريف المتصفين بصفتي الصدق والإيمان بالموصول ، والمتصفين بالكذب والنفاق باللام وبصيغة اسم الفاعل أثر نبيل يرشد النفوس إلى مراعاة التحلي بأعظم الصفات والتخلي عن أدناها[7] .

---

(١) ينظر : المرجع السابق١٤/٣٩١وما بعدها .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٤/٣٩٠وما بعدها .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٤/٤٠٠ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٣/٣٣٠ .

(٥) التحرير والتنوير ٢٠/٢٠٥ .

(٦) ينظر : الموضع السابق .

(٧) ينظر : المرجع السابق٢٠/٢٠٦ .

ويذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يُحِسُّ فضيلة للاحتباك غير الإيجاز –في الموضعين[١] ، وفيه نظر ؛ لأن فيه من لطائف المعاني الآخذة بأيدي العباد إلى ملازمة التحلي بالإيمان من خلال أكمال الصفات ، والتخلي عن الشرك من خلال البعد عن أرذل الصفات .

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(لقمان: ٢٧،ك) ، احتباك " ذكر الأقلام دليلًا على حذف مدادها ، وذكر السبعة **في مبالغة الأبحر** دليلًا على حذفها في الأشجار " [٢] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (سبع شجرات) ؛ لدلالة ذكر ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (من بحرٍ مدادٌ) ؛ لدلالة ذكر ﴿مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام سبع شجرات ، وما في الأرض من بحر مداد لتلك الأقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله[٣] . وسرّه أن ذلك أدل على تحقيق الكمال المطلق لله في العقول والأذهان ، فلا حد لغناه ، ولا حصر لمعلوماته ومقدوراته الموجبة حمده وثناءه[٤] ، **فالغرض** الإعلام بكثرة معاني معاني كلمات الله ، وهي في نفسها غير متناهية [٥] ، والسبع مراد بها الكثرة . والتنكير في شجر كذلك.

فالنمط التركيبي لصورة الاحتباك أسهم بشكل فاعل في إبراز عظمة الله ؛ ليَعلم البشر أن تلك العظمة لا تتناهى مطلقًا ، وليثبت لليهود[٦]علم الله وسعة إحاطته ، فلو أصبح جميع

---

(١) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه ، وأسراه ، ص٢٤٧–و٢٧٢ .

(٢) نظم الدرر ١٥/ ١٩٨ .

(٣) ينظر : نظم الدرر١٥/١٩٧وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره ، ص٤٧ .

(٤) ينظر : نظم الدرر١٥/١٩٦ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن١١/٦٩ .

(٦) «.. أن اليهود سألوا رسول الله أو أ غروا قريشاً بسؤاله لمّا سمعوا قول الله تعالى في شأنهم : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(الإسراء:٨٥) فقالوا : كيف وأنت تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء ، فقال رسول الله ﷺ لمن سألوه : هي في علم الله قليل ، ثم أنزل الله ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ...﴾

جميع ما في الأرض من شجر تحول أقلامًا ، وجميع ما في الأرض من بحر تحول مدادًا ، بل إن هذا البحر أمدته سبعة أبحر كذلك . .. وجلس الكتاب يسجلون كلمات الله المتجددة الدالة على علمه ، والمعبرة عن مشيئته ، لنفدت الأقلام ، ونفد المداد ، ونفدت الأشجار ، ونفدت البحار . .. وكلمات الله باقية لم تنفد ، ولم تأت لها نهاية ... ؛ لأن إرادته لا تكف ؛ ومشيئته ماضية ليس لها حدود وقيود . ..[١] . وهذا ما أرشد إليه السياق العام للسورة ؛ إذ أنه يعلي من حسن القول بالاحتباك ؛ لهذا قيل في بيان وجهه أنه "من عظيم هذا الفن"[٢] ؛ لعِظَمِ ما تضمنه ذلك السياق من إثبات معالم قدرة الله على الإبداع من غير انتهاء[٣] ، وأنه لو شاء أن يبلغ ما في علمه لما وَفَّت به مخلوقاته لتسجل كلامه بالكتابة ، فضلًا عن الوفاء بإبلاغ ذلك بواسطة القول [٤] ، فتقرر في النفوس عظمة الله المستلزمة توحيده كما ينبغي . أما دلالة السياق الخاص فأبرزت الأهم في بيان ما يتعلق بالاحتباك ، من حيثُ مراعاة تبصر بناء التركيب ؛ لما احتواه من براعة التنكير في :﴿شَجَرَةٍ ﴾ ، ثم إيثار﴿شَجَرَةٍ ﴾ دون أشجار ، ثم في اختيار : ﴿أَقْلَٰمٌ﴾ دون قلام ، وكذا التعبير بلفظ : ﴿سَبْعَةُ ﴾ ، وبصيغة المضارع في : ﴿يَمُدُّهُۥ﴾ كل هذه الدقائق مجتمعة أعطت المراد مزيد حسن وبلاغة . فالتنكير للتكثير ، أي : كل شجرة في الأرض [٥] . وقد كان الظاهر بعد جعل الشجر أقلامًا أن يقول : والبحر مداد ، فعدل عن ذلك ؛ لتصوير الإمداد على وجه الاستمرار التجدّدي ؛ لأنه من شأن المداد دون الدواة [٦] . وقيل (شجرة) بتاء الواحدة دون (شجر) أو (أشجار) ؛ لأن المراد تفصيل الشجر واستقصاؤها شجرة شجرة ، حتى لا يبقى

(لقمان:٢٧)الآيتين أو الآيات الثلاث . وعن السدّي قالت قريش : ما أكثر كلام محمدٍ ، فنزلت : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ... ﴾ . ينظر : جامع البيان٢١/ ٨١ .

(١) ينظر : في ظلال القرآن٢١/٢٧٩٥ .

(٢) نظم الدرر ١٥/ ١٩٨ .

(٣) ينظر : الموضع السابق .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير٢١/ ١٨٠ .

(٥) ينظر : روح المعاني٢١/ ٩٧ .

(٦) ينظر : حاشية الشهاب على البيضاوي٧/ ١٤١ ، وروح المعاني٢١/ ٩٧ .

واحدة من جنسها إلا وقد بريت أقلامها ، ولو لم يفرد لم يفد هذا المعنى [(١)] . واختيار جمع القلة في : (أقلام) مع أن الأنسب للمقام جمع الكثرة ؛ لأنه لم يعهد للقلم جمع سواه ، و(قلام) غير متداول ، فلا يحسن استعماله[(٢)] . وعلم من السياق أن المراد بالسبعة المبالغة في الكثرة ، لا حقيقتها ، وأن المراد بجمع القلة في (أبحر) الكثرة ؛ لقرينة المبالغة ، وبجمع القلة في (كلمات) حقيقتها ؛ لينتظم المعنى ، وكل ذلك شائع في لغة العرب ، وأشار بجمع القلة مع الإضافة إلى اسم الذات إلى زيادة العظمة بالعجز عن ذلك القليل ، فيفهم العجز عن الكلم من باب أولى ، ويتبع الكلمات الإبداع ، فلا تكون كلمة إلا لإحداث شأن من الشؤون[(٣)] . وفي إيثار صيغة المضارع في : (يمده) تصوير الإمداد المستمر حالًا بعد حال ، فأفاد النظم الجليل جعل البحر بمنزلة الدواة ، وجعل أبحرًا سبعة مثله مملوءة مدادًا ، فهي تصب فيه مدادها صبًا لا ينقطع ، فكيف تحسب اليهود ما في التوراة هو منتهى كلمات الله؟[(٤)] .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (الأحزاب: ٦٣،م) ، احتباك "والمعنى : أي شيء يدريك الساعة بعيدة أو قريبة؟ لعلها تكون قريبًا ، ولعلها تكون بعيدًا ، ففي الكلام احتباك" [(٥)] ، وفيه نظر ؛ لعدم توافق التقدير المذكور مع نمط طريقة الاحتباك من حيثُ تعادل أطراف التقدير ؛ وذلك لكون التقدير جامعًا لثلاثة جمل كلها محذوفة ؛ الأولى : (الساعة بعيدة) ، والثانية : (الساعة قريبة) ، والثالثة : (لعلها تكون بعيدة) ، والنظم تضمن جملة واحدة ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ . ويذهب بعض أهل العلم إلى أن الأحسن فيه أن يقدر على : " يسألك الناس عن

---

(١) ينظر : الكشاف٣/٢٣٦ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي٧/١٤١ .

(٢) ينظر : روح المعاني٢١/٩٨ .

(٣) ينظر : نظم الدرر١٥/١٩٧بتصرف .

(٤) ينظر : الكشاف٣/٢٣٦ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٧/١٤١ ، وروح المعاني ٢١/٩٨ ، والتحرير والتنوير٢١/١٨٢ .

(٥) التحرير والتنوير ٢٢/١١٣ .

الساعة بعيدة أم قريبة ، وما يدريك لعل الساعة تكون قريبًا ولعلها تكون بعيدًا؟ " [١] ، وفيه نظر .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (الزمر: ٧٠،ك) ، احتباك " ذكر ما عملت أولًا يدل على ما فعلت ثانيًا ، **وذكر ما يفعلون ثانيًا يدل على ما يفعلون أولًا**[٢] " [٣] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (والله أعلم بما يعملون) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ما فعلت) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَّا عَمِلَتْ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ووفّيت كل نفس ما عملت ، والله أعلم بما يعملون ، ووفّيت كل نفس ما فعلت ، وهو أعلم بما يفعلون [٤] . وسرّه " أن ما ذكر أوفق للمراد من نفي الظلم على حكم الوعد بالعدل والفضل ؛ لأن فيه الجزاء على كل ما بني على علم ، وأما المشتهى فما ذكر أنه يُجازى عليه ، بل الله يعلمه"[٥] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك تكشف عن ركنين جليلين من أركان العقيدة ؛ الأول : تمثل في إبراز حكمة الله في مطلق عدله ؛ إذ جعل الموفَّى نفس العمل ، أي : ما عملت من الحسنات ، لذلك عبر بالعمل الذي لا يكون إلا مع العلم [٦] ، والثاني : في إبراز خاصية علمه المطلق ؛ ليُثبت أن له في ذلك مطلق الكمال ، فينفي به عن نفسه النقصان[٧] .

النقصان[٧] . وفي تبصر دلالة السياق العام ما يُنْبِئ القول بالحذف ويبرز حسنه ؛ لما احتواه من إشارات عليّة تدل على " أنه سبحانه صادق الوعد ، وأنه غالب لكل شيء ، فلا يعجل ؛ لأنه لا يفوته شيء ، ويضع الأشياء في أوفق محالها... كما قرر الحكم بين العباد بما

---

(١) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص٢٧٨وما بعدها .

(٢) الأعلى لما يقتضيه النظم : ذكر ما يفعلون ثانيًا يدل على ما يعملون أولًا ، لذا قال : «وأفهم الختام تقدير : والله أعلم بما يعملون» . ينظر : نظم الدرر١٦/٥٦٤ .

(٣) الموضع السابق .

(٤) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه ، أسراره ، ص٢٩١ .

(٥) نظم الدرر ١٦/٥٦٤ .

(٦) ينظر : الموضع السابق .

(٧) ينظر : الموضع السابق .

استحقته أعمالهم عدلًا منه –سبحانه- في أهل النار ، وفضلًا على المتقين الأبرار " [١] ، أمّا السياق الخاص فناسب المقام فيه ذكر الحذف ؛ لما تضمنه من " ذكر الوفاء والعمل لاقتضاء السياق ذلك بذكر الكتاب وما في حيزه من النبيين والشهداء والقضاء الحق ، وذلك أليق بذكر العمل المؤسس على العلم ، والوفاء الذي هو الركن الأعظم في الحق ، ومساق العلم والوفاء أوفق لجعل العمل نفسه هو الجزاء بأن يصور بما يستحقه من الصور المليحة إن كان ثوابًا، والقبيحة إن كان عقابًا، والفرق بينه وبين العقل المؤسس على الشهوة وقوة الداعية" [٢] . فالقيمة الحقيقية لفهم المراد تحققت بالمعاني الجوهرية ، الأول : ووفّيت كل نفس ما عملت من خير وشر ، والثاني : وهو أعلم بما يفعلون في الدنيا ، فلا يفوته شيء من أعمالهم[٣] ، فبهما تحقق مطلق الكمال الإلهي في التفرد والمجازاة ، إذ ذكر الأهم في مقام إعادة الموعظة والترهيب للذين لم يتعظوا بما تكرر في القرآن من عظات [٤] ، ولكنْ في حمل النظم على الاحتباك جملة من المعاني الإحسانية المؤثرة في النفوس بلطائف المعاني الساعية إلى زيادة الوعيد والتهديد [٥] ، فلو حصل للمنكرين معرفة علم الله لمنعهم ذلك من التكذيب به ، ولأوجب لهم الإيمان الحق ؛ لأنه ﷻ صاحب العلم المطلق لا ينازعه في علمه أحد من خلقه، وهذا أكرم عطاءً لفهم المراد ؛ إذ ثبت به إعلام البشر بمطلق علم الله وعدله ؛ إذ لا يحتاج كاتبًا ولا شاهدًا [٦] ، وفوق ذلك لا يعزب عنه علم شيء من أفعال وأعمال المطيعين المطيعين والمسيئين ، مثيب المحسن بإحسانه ، والمسيء بما أساء[٧] .

ويذهب بعض أهل العلم إلى أن القول بالاحتباك لا فضيلة له غير الإيجاز [٨] ، ولعل الأنسب لما عليه السياقان العام والخاص القول بالاحتباك ؛ لما فيه من معانٍ أبرزها : تثقيف النفوس البشرية فيما يتعلق بمراعاة تثبيت جوانب العقيدة الدالة على كمال الله في صفاته .

---

(١) المرجع السابق ٤٣٦/١٦ .

(٢) المرجع السابق ٥٦٣/١٦ .

(٣) ينظر : جامع البيان٣٣/٢٤ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير٦٩/٢٤ .

(٥) ينظر : البحر المحيط٤٢٤/٧ .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٢٨٣/١٥ .

(٧) ينظر : جامع البيان٣٣/٢٤ .

(٨) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه ، أسراره ، ص٢٩١ .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ . أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ . أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ . أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ (العلق :١١-١٤،ك) ، احتباك ، ...حذف الكون على الضلال ثانيًا ؛ لدلالة الكون على الهدى في : ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ ، وحذف (ألم يعلم بأن الله يرى) ، أولًا لدلالة ذكره في : ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[1] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (ألم يعلم بأن الله يرى) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (كان على الضلال) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أرأيت إن كان الناهي ثابتًا في نهيه متمكنًا على الهدى ، أو قد أمر في ذلك بالتقوى ، ألم يعلم بأن الله يرى كل ما يصح أن يرى ، أرأيت إن كذب وتولى فكان على الضلال والهوى متمكنًا في ذلك ، بحيثُ لا يصدر عنه فعل إلا فاسد ، ألم يعلم بأن الله يرى؟[2] .

وثمة تقابلات أخرى يقتضيها النظم تمثلت في : " أرأيت إن كان على الهدى وصدّق وأقبل ، أو أمر بالتقوى ، ألم يعلم بأن الله يرى؟ أرأيت إن كان على الضلال وكذب وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى؟ " [3] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (صدّق وأقبل) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أرأيت إن كان على الضلال) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ في الطرف الأول .

وسرّه : أنه ذكر أشرف ما يكون عليه الناهي من الهدى والتقوى ؛ ترغيبًا في الإقبال عليهما ، ثم ذكر مطلق علمه ترهيبًا لمن فسد حاله وقَبُحَ مآله .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك حققت معنىً جليلاً تمثل في إبراز معنى شمولية علم الله ورؤيته لكل شيء ؛ وذلك من خلال أوجه التقابل والتناظر بين طرفي القول ، خصوصًا وأن قوله : ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ حقق في كل طرف معنًى جديدًا أسهم في إبراز المقصد الأعظم ، وهو إثبات معنى التفرد والكمال في علم الله ﷻ ، فهو يعلم كل معلوم ، ويبصر كل مُبصر ، فمن كان له ذلك كان جديرًا بأن يهلك من يراه على الضلال والإضلال ،

---

(١) ينظر : نظم الدرر٢٢/١٦٨ .

(٢) ينظر : نظم الدرر٢٢/١٦٦وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص٢٤٠ .

(٣) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص٢٤٠ .

وينصر من يطيع أمره على من يعاديه [١] ، فبالحذف برزت خاصية الترغيب في العبادة الموجبة الهدى ، والترهيب من الضلال الموجب الكفر ، وأنه لا سبيل لتحقق الهدى إلا بعبادة الله والتخلي التام عن الشرك . وهذا ما دعت إليه السورة في سياقها العام ؛ إذ إنها تدعو إلى إقامة التوحيد بعبادة الله وحده ، والخاص بما تحقق فيه من بيان حال الناهي ؛ إذ كان متمكنًا في الهداية والتقوى ، وحال من كان مرتكبًا للضلال الذي لا يدعو إليه الهدى[٢] ، فـ"لما كان السؤال عن حال الناهي ؛ لأن الرؤية علمية لا بصرية ، فتشوف السامع إلى معرفتها ، وكان للناهي حالان : طاعة ومعصية"[٣] . فأصل المراد تحقق بالمعاني الجوهرية ، الأول : أرأيت إن كان الناهي ثابتًا في نهيه متمكنًا على الهدى الكامل ، أو كان قد أمر في ذلك الأمر بالتقوى ، والثاني : في ألم يعلم بأن الله يرى فساده وضلاله ، أمّا المعاني الإحسانية فتمثلت في الركنين المحذوفين ؛ حيثُ الإرشاد والتوجيه إلى مراعاة القدرة الإلهية ، فتحقق لله وحده مطلق الرؤية ؛ لذا فمن الواجب على المرء الخوف من سطوته وعقابه[٤] ، وفي هذا دعوة ربانية جليلة تدعو إلى محاسبة النفس ، ووزن الأفعال بميزان الشرع والاعتدال ؛ ليعلم المرء أهي مما يرضي الله ليقره عليه كما يقر سائر ما يرضيه ، أو يسخطه فيمنعه منه ، وللاحتباك أثر بارز في نشوء علائق ربط جديدة أضافت إلى أصل النظم معاني منها : إعلام البشر بمبدأ عظيم من مبادئ العقيدة تمثل في حسن التأدب في الخطاب والموعظة ؛ إذ وعظ الله على لسان نبيه محمدًا ﷺ أبا جهل في تعرضه له عند البيت[٥] ، ففي هذا دافع إيماني نبيل يرشد النفوس إلى مراعاة تحكيم شرع الله وترك المعاصي والهوى ؛ لأن في الأول رمزًا للكمال الذي شعاره الإيمان والتقوى ، وفي الثاني رمزًا للنقصان الذي أساسه الكفر والفساد . كما تحقق بالحذف مزيد تأكيد لحقيقة التهديد والوعيد الشديد بعد التوبيخ[٦] ، "ويله! ألم يعلم أبو جهل بأن الله يرى ، أي : يراه ، ويعلم فعله"

---

(١) ينظر : نظم الدرر٢٢/١٦٦ بتصرف .

(٢) ينظر : المرجع السابق٢٢/١٥١وما بعدها .

(٣) المرجع السابق ٢٢/١٦٧ .

(٤) ينظر : جامع البيان٣٠/٢٥٤ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٢٠/١٢٤ .

(٦) ينظر : روح المعاني٣٠/٢٣٨ .

[1] . فدخل تحت هذا كل من نهى عن الصلاة ومنع منها فهو شريكه في الوعيد [2] ، فمن الواجب على المرء تعلم مبدأ الالتزام بحسن مراعاة الخطاب ؛ فلا ينهى أحدًا عن الصلاة مطلقًا ، وإذا رأى ما خالف الشرع من الصلاة في أوقات النهي أن يتلطف في الخطاب بأن الرسول ﷺ لم يفعل ذلك .

*

–القول بشبه الاحتباك.

في قول الحق عز وجل : ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (الجن: ١٠ ،ك) ، شبه احتباك "ذكر الشر أولًا دليلًا على الخير ثانيًا ، والرشد ثانيًا دليلًا على الغي أولًا"[3] . فالمحذوف من الطرف الأول (فينشأ عنها الغي) لدلالة ذكر ﴿أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (فينشأ عنه الخير)؛ لدلالة ذكر ﴿لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ﴾ في الطرف الأول . وتقديره: وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض فينشأ عنها الغي أم أراد بهم ربهم رشدا فينشأ عنه الخير

وسره أنه ذكر انتفاء مجامع العلم بالشر والخير؛ لأنه أدل على تحقق الغرض الأسمى وهو أن علم الغيب موكول إلى الله وحده، فالأنفع للسياق والأولى لما يقتضيه المقام رفع الهمم عن الخوض في شيء بغير علم؛ لتعظم في النفوس أهمية التفويض إلى علام الغيوب فلا ينسب شيء من أمور الله في كونه إلا له ؛ ليُبطل ما نُسب إلى غيره على وجه الإطلاق، وهذا يبرز جانب العلم والإرادة لله ؛ لأنه هو الفاعل المختار الذي له الإرادة الماضية النافذة[4]. كما أسهم الحذف في إحداث نوعٍ نوعٍ من الترابط والتناسب بين المعاني ، فالشر ضده الخير والرشد ضده الغي ، فأوجز النظم في ذكر انتفاء علمهم بالشر والرشد ليثبت أنهم غير قادرين على إعلام البشر بما يقدر لهم من الهداية والضلال[5] .

*

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٢٤/٢٠ .

(٢) ينظر : روح المعاني ٢٣٨/٣٠ .

(٣) نظم الدرر ٤٧٩/٢٠ .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

(٥) ينظر : جامع البيان ١١١/٢٩ .

– المطلب الرابع: قدرة الله على إضلال بني الإنسان وهدايتهم.

– القول بالاحتباك.

في قول الحق ﷻ : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٥، ك) ، احتباك "ذكر أولًا الضلال دليلًا على حذفه ثانيًا ، وذكر الرجس ثانيًا دليلًا على حذفه أولًا"[١] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (الرجس) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلرِّجْسَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الضلال) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُضِلَّهُۥ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا مرتجسًا كأنما يصعد في السماء ، كذلك يجعل الله الضلال والرجس على الذين لا يؤمنون [٢] . وسرّه : أنه ذكر الضلال والرجس ؛ تقبيحًا للكفر وترهيبًا منهما ؛ لكونهما مما يستقذر . كما أن في تبصر دلالة الخطاب إبرازًا لعظيم القدرة الربانية في إحلال الضلال والرجس وإدامتهما في قلب كل كافر من أهل كل زمان [٣] ؛ لإرادته –سبحانه– دوام ضلالهم [٤] ؛ لذا أوثر التعبير بـــ : ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

فالقول بالاحتباك يشكل أثرًا فاعلاً لإبعاد الكافرين عن مراتع الضلال من خلال إبراز باهر الإرادة ومطلق العظمة لله ، إذ إن في وصف حال الضال ، وتمكن الضلال والرجس منه إظهارًا لمطلق قدرة الله على جعل بعض القلوب متسعة لقبول الإيمان ، وأخرى ضيقة لا تصل إليها الموعظة ولا يدخلها النور [٥] ، فمدار القول بالاحتباك تركز في الصنف الثاني الذي لا يدخله النور ، "فصاحب هذا الصدر لا تكاد الهداية تصل إليه ، وإن وصل إليه شيء منها على لسان واعظ ، ومن طريق مرشد ناصح لم تجد مسلكًا فنكصت ، وهكذا لا يزال في اضطراب وتردد أبدًا " [٦] ، فتحقق بالحذف إبراز جانب عليّ من جوانب العقيدة

---

(١) نظم الدرر ٢٦٣/٧ .

(٢) ينظر : نظم الدرر٢٦١/٧وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص١٧٧ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير١٤٦/١٣ .

(٤) ينظر:نظم الدرر ٢٦٢/٧وما بعدها.

(٥) ينظر : جامع البيان٣١/٨ .

(٦) نظم الدرر ٧/ ٢٦٢ .

تمثل في إثبات مطلق التفرد الإلهي في مطلق القدرة حثًّا على الإيمان وتنفيرًا من الكفر ؛ فـــ"من أراد الله منه الإيمان قوى دواعيه إلى الإيمان ، ومن أراد منه الكفر قوى صوارفه عن الإيمان"[١] ، فهو -تعالى- أعلم بمن طبع على قلبه ، فلا ينفك عن الضلال ، وإن مكر المجرمين إنما هو بإرادته ونافذ قدرته ؛ ليعلم البشر أن الأمر أمره والقلوب بيده ، فكل من سواه يُعد مملوكًا محكومًا عليه بالهداية والضلال [٢] . وفي تدبر دلالة السياق العام والخاص وقرائن الأحوال أهمية عظمى تُرشد إلى إثبات حقيقة الله ؛ إذ سعى العام إلى الاستدلال على التوحيد بإثبات أنه -تعالى- حاوٍ لجميع الكمالات من الإيجاد ، والإعدام ، والبعث ، فدل ما حوته السورة على إحاطة علمه ؛ لأن إحاطة علمه ملزومة لشمول القدرة وسائر الكمالات[٣] ، أمّا الخاص فتقرر فيه إبراز خاصية علم الله بما في القلوب[٤] .

وللاحتباك أثر بارز في نشوء علائق ربط جديدة أسهمت في تأكيد القدرة التامة والعظمة الباهرة لله ، من خلال أوجه التماثل بين طرفي النظم ؛ إذ تشكل في مقابل كل ركن مذكور آخر محذوف يعمق معناه ، ويبرز دلالاته ؛ ليثبت في العقول والقلوب قدرته على ضلال الكافر ؛ " فكلما أصعدته حركته الاختيارية أهبطته حركته الطبيعية القسرية في : ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ "[٥] .

*

ويقول تعالى : ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾(الأعراف:٥٨،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ ﴾ احتباك[٦] ، المحذوف من الطرف الأول (طيبًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿نَكِدًا ۚ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الخبيث) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلطَّيِّبُ﴾ في الطرف الأول . فقيل في تقديره : "والبلد الطّيب يخرج نباته طيّباً بإذْن ربّه ، والنّبات الذي خبث

---

(١) الموضع السابق .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٢٥٨/٧ وما بعدها بتصرف .

(٣) ينظر : المرجع السابق١/٧ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٢٥٨/٧ .

(٥) المرجع السابق ٢٦٣/٧ .

(٦) ينظر : المرجع السابق٤٢٤/٧ .

يخرج نكدًا من البلد الخبيث " [١] ، فلو جعل التقدير : والبلد الطيب يخرج نباته طيبًا بإذن ربه ، والخبيث الذي خبث لا يخرج إلا نكدًا[٢] ؛ لكان أكثرَ دقةً للنظم ؛ حيثُ تحقق مراعاة التناسب في بناء التركيب . وسره : أنه ذكر أساس كل خير ونتيجة كل شرّ ؛ لكونهما أدل على القدرة الإلهية المقتضية الوحدانية الدالة على وقوع البعث بعد الموت ، واختلاف قابلية الناس للهدى ترغيبًا وترهيبًا .

فالنمط التركيبي للاحتباك تمثيلٌ يكشف عن خاصيتي الهدى والضلال في حالتي الاستجابة للدعوة والإعراض ؛ ليتحقق إعلام البشر بمطلق القدرة الإلهية المتضمنة القدرة على البعث من خلال ضرب المثل للمؤمن والكافر ، فالبلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه مثل للمؤمن الذي لدية قابلية الاستجابة ، والذي خَبُث فلا يخرج نباته إلا نكدًا مثلٌ للكافر الماكث في الضلال[٣] . وفي تدبر دلالة السياق العام ما يُعلِي من حسن الاحتباك ؛ لكونه داعيًا إلى إنذار من أعرض عن اتباع التوحيد ، فبه تحقق أن من رحمته انتقامه من أهل الكفر والضلال ، وهدايته لأهل الاصطفاء إلى لزوم طريق الإيمان [٤] ، فثبت أن أثر الاستجابة للدعوة امتثال كل خير واجتناب كل شر ، وأثر الإعراض عنها نكد يورث القلب امتثال كل شر واجتناب كل خير ، أمّا السياق الخاص فهو أشد بيانًا لما يقتضيه الحذف من المعاني الإحسانية ؛ ليُثبت أنه لا فرق في التوحيد بين أموات الإيمان وأموات الأبدان "فكما فاوتنا بين جواهر الأراضي بخلق بعضها جيدًا وبعضها رديئًا كذلك فاوتنا بين عناصر الأناسي بجعل بعضها طيبًا ، وبعضها خبيثًا ، فالجيد العنصر يسهل إيمانه ، والخبيث الأصل يعسر إذعانه وتبعد استقامته"[٥] ، فاتضح أن " الخبيث لا يفلح ولا ينجب وإن كثر ، والطيب نافع حميد جميل العاقبة وإن قل "[٦] ، فـــ"الهدى والآيات والموعظة تنزل على القلب كما ينزل الماء على التربة فإن كان القلب طيباً كالبلد الطيب تفتح واستقبل وفاض بالخير . وإن كان

---

(١) الموضع السابق .

(٢) ينظر : المرجع السابق٧/٤٢٣وما بعدها بتصرف .

(٣) ينظر : جامع البيان٨/٢١٢ .

(٤) ينظر : نظم الدرر٧/٣٤٧ .

(٥) المرجع السابق ٧/٤٢٣ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٦/٣٢٧ .

فاسدًا كالذي خبث استغلق وقسا ، وفاض بالشر"[١] ، فإن في العلم بهذا نعمة عليَّة تجلب الخشية المعينة على كمال الإيمان ؛ فتكون النفوس ظاهرة نقية بعيدة عن شوائب الجهل ، إذا اتصل بها نور القرآن ظهرت فيها أنواع من الطاعات[٢] .

*

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (النحل:٣٦،ك) ، احتباك "ذكر فعل الهداية أولًا دليلًا على فعل الضلال ثانيًا ، وحقوق الضلالة ثانيًا دليلًا على حقوق الهداية أولًا "[٣] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (حقت له الهداية) ؛ لدلالة ذكر ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ومنهم من أضله الله) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فمنهم هدى الله فحقت له الهداية ، ومنهم من أضله الله فحقت عليه الضلالة[٤] .

الضلالة[٤] .

وسرّه : أنّه ذكر فعل الهداية أولًا ؛ لكونها الغاية العظمى التي هي فاتحة كل سعادة ؛ إعلامًا بقدرة الخالق ، وإشعارًا بعظيم ما يترتب عليها من الفوز ، وأسندت هداية بعضهم إلى الله مع أنه أمرهم جميعهم بالهدى ؛ تنبيهًا للمشركين على إزالة شبهتهم في قولهم : ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ﴾(النحل: ٣٥ ، ك) ، بأن الله بيّن لهم الهُدى ، فاهتداء المهتدين بسبب بيانه ، فهو الهادي لهم ، ثم ذكر حقوق الضلال ؛ لكونها أساس كل هلاك ؛ إعلامًا بأن ضلالهم عائد عليهم ، وفي ذلك إيماء إلى أن بقاء الضلالة من كسب أنفسهم [٥] ، فالتعبير في جانب الضلالة بلفظ : ﴿ حَقَّتْ عَلَيْهِ ﴾ دون إسناد الإضلال إلى الله ، إشارة "إلى أن الله لما نهاهم عن الضلالة فقد كان تصميمهم عليها إبقاء لضلالتهم السابقة ، فحقَّت

---

(١) في ظلال القرآن ٨/١٣٠٠ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير٨/١٨٦ .

(٣) نظم الدرر ١١/١٥٨ .

(٤) ينظر : نظم الدرر١١/١٥٧وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص١٨٢ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير١٣/١٥٠ .

عليهم الضلالة ، أي : ثَبَتَتْ و لم تَرتفع "[١] . ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي صورة أخرى من صور الاحتباك أسهمت في إبراز القدرة الإلهيَّة على إحلال الهدى والضلال[٢] .

فأصل الاحتباك أسهم في إثبات مطلق القدرة لله بحقوق الهداية والضلال لبني الإنسان بعد بيان نهج الحق الواجب السير عليه ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ، فمن عمل بذلك كان متبعًا للرسول مرضيًا لربه ، ومن أعرض كان مغضبًا لهما ، فتحقق أنه لا يكون حكم المتنافيين واحدًا أبدًا [٣] ، فالقول بالاحتباك في هذا الموضع ذو اعتلاق بالسياق العام للسورة ؛ إذ إن مقصودها "الدلالة على أنه –تعالى– تام القدرة والعلم ... متره عن شوائب النقص" [٤] ، وفي هذا عناية كبيرة بالحث على توحيد الله وتتريهه عن كل نقص من شرك وغيره ، وكذلك السياق الخاص فقد تحقق فيه إثبات الحكمة الإلهية من إرسال الرسل ، وهي : الدعوة إلى التوحيد كما أمر ، فتبين بالاحتباك أن الأمم تجاه إرسال الرسل قسمان : منهم من هدى الله للحق فحقت له م الهداية ، فأبصروا واتبعوا الدعاة فيما أمروا به عن الله ، فحقت لهم بإذنه الجنة ، ففازوا وأفلحوا ونجوا من عذاب الله [٥] . ومنهم من حقت عليه م الضلالة بأن أضله م الله فنابذوا الأمر ، و لم يعملوا باتباع الرسل ، فحقت لهم النار ، فخسروا وأهلكهم الله بعقابه[٦] . وللاحتباك أثر فاعل في إعلام البشر بمبدأ جليل من من مبادئ الدعوة الصحيحة تمثل في عِظم الحكمة الإلهية في أمر الكل بالإيمان والنهي عن الكفر ، ثم خلق الإيمان في البعض والكفر في البعض الآخر [٧] ، "فلو كان كل ما شاءَه حقًا كان الفريقان محقين فلم يعذب أحدهما ، لكنه لم يكن كذلك بل عُذِّبَ العاصي ونجى

---

(١) الموضع السابق .

(٢) في قوله تعالى : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ (الأعراف : ٣٠ ، ك) احتباك أثبت في الأول(هدى) دليلًا على حذف (أضل) ، وذكر في الثاني (حقوق الضلالة) دليلًا على حذف (حقوق الهدى) ، وتقديره : فريقًا هدى فحق الهداية في قلوبهم ، وفريقًا أضل فحق عليهم الضلالة . ينظر : نظم الدرر٣٨٥/٧ وما بعدها .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٥٦/١١ .

(٤) المرجع السابق ١٠١/١١ .

(٥) ينظر : جامع البيان١٠٣/١٤ .

(٦) ينظر : جامع البيان١٠٣/١٤ ، ونظم الدرر١١/ ١٥٧وما بعدها .

(٧) ينظر : التفسير الكبير٢٣/٢٠ .

الطائع في كل أمة على حسب ما قال الرسل " [١] ، وهذا دال -بلا ريب- على صدق الرسل وكذب مخالفيهم [٢] ، كما أن في الحذف توجيهًا عليًّا يدل على أن صلاح أصل العمل وحسن النية يدفعان إلى نيل هداية الله وحقوقها ، وفساد أصل العمل وقبح النية يدفعان إلى نيل الضلال من الله وحقوقها ، فمن اعتبر بالدلائل هداه الله ، ومن أعرض وكفر أضله الله[٣] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (الكهف: ١٧،ك) ، احتباك "ذكر الاهتداء أولًا دليلًا على حذف الضلال ثانيًا ، والمرشد ثانيًا دليلًا على حذف المضل أولًا "[٤] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فلن تجد له مضلًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فهو الضال) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : من يهد الله فهو المهتد فلن تجد له مضلًا ، ومن يضلل فهو الضال فلن تجد له وليًّا مرشدًا[٥] .

وسرّه : أنه ذكر أفضل ما يكون لأهل الإيمان ترغيبًا ، وأسوأ ما يكون لأهل الكفر ترهيبًا ؛ ليدل على أن مطلق الأمر بهداية المهتدي وإضلال الضال في أي زمان بيده وحده [٦] .

ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيثُ الناتج الدلالي صور أخرى [٧] تبرز مطلق التفرد

---

(١) نظم الدرر ١٥٨/١١ .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) ينظر : البحر المحيط٥/٤٧٦ .

(٤) نظم الدرر ٢٩/١٢ .

(٥) ينظر : نظم الدرر٢٨/١٢وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص١٨٦ .

(٦) ينظر : نظم الدرر٢٩/١٢ .

(٧) قول الحق ﷻ : ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾(الإسراء:٩٧،ك) ، احتباك «خبر الأول يدل على حذف ضده ثانياً ، ونتيجة الثاني تدل على حذف ضدها من الأول» ، وتقديره : ومن يهد الله يخلق الهداية في قلبه فهو المهتد ، ومن يضلل فهو الضال فلن تجد لهم أولياء من دونه . ينظر : المرجع السابق٥١٦/١١ . وكذا قول الحق ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ

التفرد الإلهي في القدرة على الهداية والضلال .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك تدعو في مجملها إلى إثبات أن الهداية والضلال فعل من أفعال الله الخاصة ، فمطلق القدرة بيده وحده ، من هداه اهتدى ومن أضله لا هادي له[(١)] . فبتبصر دلالة السياقين العام والخاص ما يُعلي من شأن الاحتباك ؛ إذ سعى العام إلى "وصف الكتاب بأنه قيم ؛ لكونه زاجرًا عن الشريك الذي هو خلاف ما قام عليه الدليل" [(٢)] ، والخاص تحقق فيه الاستدلال بعظيم القدرة والعلم بكل شيء . وهذا من أبرز دلائل التوحيد الموجبة الاستسلام لله ربًّا واحدًا ، فكشف الاحتباك عن أدق علائق الربط بين المعاني ؛ ليبعث في النفوس مبدأ الحرص على جانب مهم من جوانب العقيدة ، وهو معرفة الله بكل صفات العظمة والكمال ، فبتوحيده تتحقق السعادة ، وهي من الله هداية لا تزول إلا بأمره وقدرته ، وبالإشراك شقاوة ، هي من الله ضلال وحيرته لا تزول إلا بأمره وقدرته ، وفي هذا حافز يدفع إلى الازدياد من فعل الطاعات تقربًا ، والبعد عن فعل المعاصي تجنبًا . كما تعمق بالحذف دلالة التفرد الإلهي ، فالله يهدي قومًا بالتأمل في الأدلة والبراهين ، ومن وسمه بسمة الحرمان لا عرفان ولا علم ولا إيمان لهم [(٣)] ، فمن خلق الله الهداية في قلوبهم أمعنوا النظر في تبصر آيات الله وانتفعوا بها ، ومن خلق الضلالة في قلوبهم أعمى بصائرهم عن طريق الهدى ، فيرون الآيات ويسمعونها ولا يعلمون أنها آيات فضلاً عن تدبر ما فيها والانتفاع بها ؛ لذا ففي حمل النظم على الاحتباك معان ثرية توجه البشر إلى مدارج الطاعات من خلال إطلاق النظر في معالم العظمة والكمال [(٤)] .

ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾(الزمر:٢٣،ك) ، احتباك «ذكر أولًا إطلاق أمره في الهداية دليلًا على حذف مثله في الضلال ، وثانياً انسداد باب الهداية على من أضله دليلًا على حذف مثله فيمن هداه » ، وتقديره : ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ، ومن هداه الله فماله من مضلّ ، ويضلل به من يشاء ، ومن يضلل الله فماله من هاد . ينظر : المرجع السابق١٦/٤٩١ .

(١) ينظر : جامع البيان١٥/١٦٧ .

(٢) نظم الدرر ١٢/١ .

(٣) ينظر : لطائف الإشارات٤/٥٥ .

(٤) ينظر : نظم الدرر١٢/٢٩ .

*

في قول الحق ﷻ: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ (مريم: ٧٥،٧٦،ك) ، احتباك "ذكر السعة بالمد للضال أولًا دليلًا على حذف الضيق بالمنع للمهتدي ثانيًا ، وزيادة الهداية ثانيًا دليلًا على حذف زيادة الضلال أولًا "[١] . وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (فيزداد ضلالًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يمد) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَلْيَمْدُدْ ﴾ في الطرف الأول . فالتقدير : قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدًا فيزيده بذلك ضلالًا ، ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ومنعهم من الدنيا [٢] . ولكن الأنسب كون التقدير على نحو : "فليمدد له الرحمن مدًا فيزداد ضلالًا ، ويمد للذين اهتدوا فيزدادوا هدى"[٣] . وسرّه : أنه ذكر أقبح ما للمضلين ، وأحسن ما للمهتدين ترغيبًا وترهيبًا .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز شدة ضلالة الضال ؛ تقبيحًا وتشنيعًا لفعله ، وحسن الهداية في ازديادها للمهتدي إكرامًا وإعزازًا ، فتحقق أن له – سبحانه– في ذلك حكمًا ربانية تدعو إلى التبصر في جوهر الدليل ؛ لتدرك النفوس عظم قدرته وجلال هيبته فتعبده عن علم ، ففي تبصر دلالة التعبير بالاسم في : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ ﴾ إشارة "إلى التجلي لهم بجميع الصفات العلا ؛ ليعرفوه حق معرفته"[٤] . وفي السياق البعيد تتجلى معالم القدرة ؛ "لاتصافه بصفات الكمال ؛ لشمول القدرة على إبداع المستغرب ، ولتمام القدرة على البعث " [٥] ، والخاص تحقق فيه التهديد من يوم القيامة بإثبات كمال القدرة في فعل الضلال والهداية [٦] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تحققت في الركنين

---

(١) المرجع السابق ٢٤٠/١٢ .

(٢) ينظر : المرجع السابق٢٣٨/١٢وما بعدها بتصرف .

(٣) التحرير والتنوير ١٥٧/١٦ .

(٤) نظم الدرر ٢٤٠/١٢ .

(٥) المرجع السابق ١٠٦/١٢ .

(٦) ينظر : المرجع السابق٢٣٨/١٢وما بعدها .

المذكورين ، الأول : من كان في الضلالة فليدعه في طغيان جهله وكفره[١] ، والثاني : يزيد الله من سلك قصد المحجة واهتدى لسبيل الرشد هدى ويقينًا [٢] ، فثبت للضالين مطلق الضلال ، وللمهتدين مطلق الهداية ، فعنده ﷻ كل صلاح و هدى ، فمن أقبل وفقه لكل خير ، ومن تولى أصابه بالضلال وزاد في إصابته به ؛ لأنه وحده القادر على إحقاقها وزوالها . ومن أبرز لطائف الحذف إعلام البشر عامة بأن ما "يفتخر به الضال في الدنيا لا يدل على حسن الحال في الآخرة ، بل على عكس ذلك "[٣] ؛ فقد جرت عادته ﷻ أن يبسط في العاجلة للكافرين الراحة ، وطيب العيش ، والتنعم بأنواع الملاذ ، والطول في الأعمار ، وإنفاقها فيما يستلذ من الأوزار الكبار [٤] ؛ إبرازًا لشدة عذاب الضالين ، واستدراجًا في زيادة الضلال . كما تحقق الإعلام بأن فعل الطاعات سبب في الهداية ، وفعل المعاصي سبب في الضلال ، فمن يسر الله له الهدى انشرح صدره ومد له في ذلك ، ومن لم يوفق ضاق صدره ومد له في الضلالة ، فإن في زيادة الضلال والمد فيها شدة عقاب ، وفي زيادة الهداية والمد فيها لطفًا ورحمة ، فتحقق أن "الكفرة يردون إلى خسارة وفناء والمؤمنين إلى ربح وبقاء"[٥] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾(سبأ:٥٠،ك) ، احتباك "حذف أولًا كون الضلال من نفسه بما دل عليه ثانيًا من أن الهدى من الوحي ، وثانيًا كون الهدى له بما دلّ عليه من كون الضلال عليه " [٦] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (أضل بما في نفسي) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾ ، ومن الطرف الثاني حذف (هداي لنفسي) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : قل إن ضللت فإنما أضل بما في نفسي على نفسي ، وإن

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن١١/١١٤ ، وتفسير البيضاوي٤/٣٠ وما بعدها .

(٢) ينظر : جامع البيان١٦/١١٩ .

(٣) نظم الدرر ١٢/٢٣٨ .

(٤) ينظر : المرجع السابق١٢/٢٣٩ .

(٥) المرجع السابق ١٢/٢٤١ .

(٦) المرجع السابق١٥/٥٣٥ .

اهتديت فبما يوحي إليّ ربي وهداي لنفسي[١] .
وسرّه : أنه ذكر الضلال ؛ لكونه أساسًا لكل شر ، والهدى ؛ لكونه أساسًا لكل خير ؛ إعلامًا بأن أثر الضلال والهدى عائدٌ عليه ، وليثبت أن بني البشر عامة لا يسلمون من شواغل النفس بشهواتها وحظوظها وكسلها وفتورها إلا بفضل الله عليهم بالعصمة من ذلك ؛ لذا أرسل رسلًا جردهم من تلك القواطع ، فجعل أخلاقهم شرائعهم ؛ فتحقق الأمر على كلٍ أن يتبع رسله المتخلقين بكتبه متهمًا عقله منابذًا رأيه ؛ ليكون مؤمنًا بالغيب حق الإيمان[٢] .

فالعلاقة الرابطة بين المعاني أسهمت في إثبات الضلال وإسناده إلى لعبد ؛ نتيجة لمخالفة الشرع ، وإثبات الهدى وإسناده إلى لحق نتيجة التوفيق منه ﷻ ، فهذا الوجه من الحذف يُبطل إبطالًا تامًا ما عليه المعاندون من إبطال دعوة الحق ؛ ليغرس في نفوسهم مبدأً جليلاً من مبادئ العقيدة تمثل في : إثبات التفرد الإلهي في القدرة على الهداية . فبمراعاة النظر في السياق العام يتضح أن المقصد الأعظم الذي قامت عليه السورة يدعو إلى إثبات "حقيقة الدار الآخرة ؛ لكونها كائنة لا ريب فيها ؛ لما في ذلك من الحكمة وله عليه من القدرة "[٣] ، والخاص تحقق فيه الكشف عن عناد أهل الباطل وتجرُّئِهم على معاندة الرسول [٤] ؛ ليُثبت لهم أن هداه بوحي من ربه ، لا بيد غيره ، فلا يمكن بوجه من الوجوه فيه ضلال ؛ لأنه لا حظّ فيه للنفس مطلقًا [٥] ، فالناتج عن الاحتباك من لطائف المعاني يدعو في المقام الأول إلى تأكيد حقيقة أن الله جعل العقول صحيحة لا انحراف بها في الشهوات ، وإنما النفوس منقادة مترامية نحو الباطل ، وهذا يدفع المرء إلى ربط جمح النفس وترويضها فيما يوجهها إلى الحق ، وهو إرشاد عليّ لا يحسن فهمه إلا من عرف ما يملي عليه عقله أولًا ، وما تريده نفسه ثانيًا ، وماذا يختاره ثالثًا ، كما أن فيه –الحذف– إرشادًا آخرًا به تبرز عظمة القدرة الإلهية في توجيه المرء إلى ربه ، فهو وحده هادٍ له يهديه نحو الهداية وثمرتها

---

(١) ينظر : نظم الدرر١٥/٥٣٥ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراه ، ص١٨٩ .

(٢) ينظر : نظم الدرر١٥/٥٣٦ .

(٣) المرجع السابق ١٥/٤٢٨ .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

(٥) ينظر : المرجع السابق١٥/٥٣٥بتصرف .

لنفسه ، وضلالها عليها بما دفعته نفسه ، وعلاجها الرجوع إلى الحق [١] . وللاحتباك أثر فاعل في تحقيق توجيه عليّ يسعى بالنفوس إلى الارتقاء في تعلم أساليب التأدب في الخطاب ؛ إذ إن في تبصر دلالة الخطاب في سياق الاستعطاف بـــ ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ﴾ حكمًا تربوية تغرس في النفوس مبدأ ملازمة حسن التلطف في الخطاب[٢] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾(محمد: ١،٢م) . احتباك "ذكر ضلال الكفار أولًا دليلًا على إرادة الهدى للمؤمنين ثانيًا ، وإصلاح البال ثانيًا دليلًا على حذف إفساده أولًا"[٣] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (أفسد بالهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وهدى أعمالهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم وأفسد بالهم ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم هدى أعمالهم وأصلح بالهم [٤] . وسرّه : أنه ذكر أقبح ما للكافرين من الضلال الموجب للكفر ، وأحسن ما للمؤمنين من الصلاح الناتج عن تمام الإيمان ، أوأنه ذكر "السبب الأصيل في إضلال أعمال الكافرين وإصلاح بال المؤمنين"[٥] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في ترسيخ أجل معاني القدرة الإلهية في فعل الضلالة و الهداية ؛ ليعلم المؤمنون بما هو في سابق علم الله من أن الهدى والضلال بيده ، فنبه على الطريقين بقوله : ﴿ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ، وقوله في الآخر : ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ

---

(١) ينظر : المرجع السابق١٥/٥٣٤وما بعدها .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) المرجع السابق ١٨/١٩٩ .

(٤) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم ، ص٢٤٧ .

(٥) التحرير والتنوير ٢٦/٧٦ .

بَالَهُمۡ ﴾[1] ، وفي تبصر دلالة السياق ما يُنْبِئ القول به ؛ لما تقرر فيه من حث المؤمنين بإدامة جهاد الكافرين[2] ، أمّا الخاص فهو ذو أثر بالغ في العناية بذكر ضلال الكافر وصلاح المؤمن . فتحقق بالحذف إبراز جانب عليّ من جوانب العقيدة تمثلت في إبراز أعظم أسباب الهداية والصلاح للمؤمنين ، وأعظم أسباب الضلال والفساد للكافرين ؛ تذكيرًا بأن الوصول إلى الإيمان وتمكنه في العقل والقلب من أجلِّ أسباب معرفة الله ونيل هدايته ، والخوض في الكفر وتغطيته للعقل والقلب من أعظم أسباب الجهل بالله واستحقاق ضلاله ؛ وهذا إرشاد نبيل يُعرِّف النفوس الكافرة قبح مآلها ، وفساد حالها ، وضلال عقلها ؛ لتدرك أضرار القبح والفساد والضلال في نفسها ، فترجع إلى إعادة تأهيلٍ تُمكنها من الرجوع إلى سبيل الحق ، فمن خلال تدبر العلائق الرابطة بين المعاني المتقابلة ظهرت صفات القدرة المطلقة لله ؛ لأن في إيثار التعبير بـــ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ تأكيدًا لمطلق القدرة والعظمة ؛ إذ إن في دلالة الخطاب إشارة عليّة تشمل كل من هم في أدنى الطبقات إلى ما فوقهم في الفريقين ، الأول : طريق الضلال وفساد الحال ، والثاني : طريق الهداية وصلاح الحال ، كما ثبت أن السير عليهما لا يتحقق إلا بتحقق الإرادة والمشيئة الإلهية بما فيها من إذلال الكافرين ، وإعزاز المؤمنين[3] .

*

– القول بشبه الاحتباك.

في قول الحق ﷻ : ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾(الأنعام: ٨٠،ك) ، شبه احتباك ، إذ حُذِفَ من الطرف الأول (فأنا أرجوه وأخافه ؛ لأنه قادر) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ولا أرجوهم لهداية ولا إضلال ؛ لأنهم عاجزون) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَقَدۡ هَدَىٰنِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وحاجّه قومه قال : أتحاجونّي في الله وقد هدان ، فأنا أرجوه وأخافه ؛ لأنه قادر ، ولا أخاف ما تشركون به

---

(١) ينظر : نظم الدرر١٨/١٩٧ .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٨/١٩٤ .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٨/٢٧٢ .

ولا أرجوهم لهداية ولا إضلال ؛ لأنهم عاجزون[١] . وسرّه : أنه ذكر الأدل على الكمال في حق الله ﷻ ، والأدل على النقصان في حق ما عبدوه من دون الله . "فأثبت لله القدرة بالهداية ؛ لأنها أشرف ، وطوى الإضلال لدلالتها ودلالة ما نفي في جانب الشركاء عليه ، وأثبت لآلهتهم العجز بنفي الخوف المستلزم لنفي القدرة على الضر . وذلك دال على أن الله تعالى أهل لأن يخاف منه . كل ذلك تلويحاً لهم بأن العاقل لا ينبغي له أن يخالف إلاّ من يأمن ضره ، فهم في مخالفتهم لله في غاية من الخطر ، لا يرتكبها عاقل" [٢] .

فالعلاقة الرابطة بين المعاني تمثلت فيما أنتجته أوجه التقابل بين طرفي النظم من إثبات صفات الكمال المطلق لله في الهداية والخوف منه ؛ لأنه وحده القادر ، فمن رُجِي خيره خيف ضيره [٣] ، فأسهم الحذف في ترسيخ مبدأ العقيدة الصحيحة وترسمه في النفس الإنسانية ؛ كي تسمو في عبادة ربها على الوجه الأمثل ، وفي تدبر دلالة السياق العام ما يهدي إلى حُسن الاحتباك ؛ لما تقرر فيه من إثبات أمر التوحيد بدلائل القدرة على الإيجاد والإعدام والبعث[٤] ، والخاص تحقق فيه من إثبات عجز الآلهة بنفي الخوف المستلزم نفي القدرة[٥] . فتحقق بالدليل القاطع معرفة كل ما يُثبت لله من صفات الكمال ، وما ينفى عنه من الصفات الملازمة للنقصان ، فبإدراك هذا يتبين أنه —تعالى- قد أحسن إلى خلقه غاية الإحسان ، فمن الواجب على المرء مقابلة الإحسان بمثله مع أقل الناس اهتمامًا ، فكيف يكون الأمر مع ربه المنعم عليه بتبصر طرق الهداية ، فحق على بني البشر عامة التوجه إليه وإفراده بالعبادة ، وهذا من أنبل مراتب الإيمان[٦] .

فالقيمة الحقيقية لفهم المراد تمثلت بالمعاني الجوهرية المتضمنة بيان المراد : وقد هداني الله بفضل قدرته ومنّه عليّ ؛ إذ وفقني لمعرفته ، وبصّرني طريق الحقّ ، حتى أيقنتُ أن لا شيء يستحق أن يُعبد سواه ، ولا أخاف ما تشركون بالله من هذه الآلهة أن تنالَني بضر ولا

---

(١) ينظر : المرجع السابق ٧/ ١٦٤ .

(٢) الموضع السابق.

(٣) ينظر:المرجع السابق: ٧/ ١٦٣.

(٤) ينظر : المرجع السابق١/٧ .

(٥) ينظر : المرجع السابق١٦٤/٧ .

(٦) ينظر : المرجع السابق١٦٣/١٧بتصرف .

مكروه ؛ لأنها لا تنفع ولا تضر ، ولكن خوفي من الله أن ينالني في نفسي أو مالي بما شاء من فناء أو بقاءٍ أو زيادة أو نقصان أو غير ذلك ؛ لأنه القادر [١] . وهذا ما حققه الركنان المذكوران من إثبات وحدانية الله ونفي الشرك . وفي حمل النظم على الحذف لطائف عظام من أجلِّها : معرفة العبد ربه بتأمل مختلفة دلائله ، وهذا يتم بالتبصر في أعظم مخلوقاته لفترات أطول تهتدي النفس بها إلى أن الموجد لها رب واحد يستحق أن يُعبد ، كما يُلهم الحذف أن في حسن التأمل والتمهل في تبصر الدلائل هداية للحق وإرشادًا إليه ، وهو مبدأ عليّ يحسن مراعاته والمبادرة إليه . وللحذف أثر فاعل في إبراز معنى الوحدانية الجليل ؛ إذ أسهم الركنان المحذوفان في غرس الخوف والخشية من الله ، فلهما أثر لطيف يدفع إلى حسن العبادة بفعل الطاعات ، واجتناب المنكرات ، وهذا أكرم عطاءً في نفي النفع والضرر في جانب الشريك ؛ لأن معبوداتهم مسلوب عنها ذلك[٢] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴾(الرعد: ٢٧،م) ، شبه احتباك "ذكر المشيئة أولًا دال على حذفها ثانياً ، وذكر الإنابة ثانياً دال على حذف ضدها أولًا" [٣] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (من لم ينب) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَنۡ أَنَابَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لأنه شاء) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَن يَشَآءُ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : قل إن الله يضل من يشاء ممن لم ينب ، ويهدي إليه من أناب ؛ لأنه شاء إنابته[٤] . وسرّه : أنه ذكر المشيئة أولًا ؛ لأنها الأصل في قبول الأعمال ، والإنابة ثانياً ؛ لأنها أدل على التوحيد إفرادًا واعتقادًا .

فالصورة التركيبية للحذف أسهمت في إثبات ركنين عظيمين من أركان العقيدة ، الأول : تمثل في إبراز مطلق المشيئة في إضلال الضالين وهداية المهتدين ؛ ليعلم البشر علمًا قاطعًا – خصوصًا الخارجين عن أمر الدين– أنه ليس إنزال الآيات –التي طالب بها الكافرون– سببًا

---

(١) ينظر : جامع البيان٧/٢٠٢.

(٢) ينظر : نظم الدرر٧/١٦٤.

(٣) المرجع السابق ١٠/ ٣٣٦ .

(٤) ينظر : نظم الدرر١٠/٣٣٥وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص١٩٣ .

للإيمان ، بل أمره راجعٌ إلى مشيئة الله الذي لا مشيئة لأحد معه [(١)] ، والثاني : يُرشد إلى أهمية الإنابة للرجوع إلى الله ، وذلك بإحكام العقل في تبصر دلائل وحدانيته التي هي سبب في الهداية إليه ، وهذا المعنى يظهر حسنه بما في السياق العام من "وصف الكتاب بأنه الحق في نفسه تارة يتأثر –[به]– من له صوتٌ وصيتٌ يهدي بالفعل ، وتارة لا يتأثر بل يكون سببًا للضلال و العمى "[(٢)] ، ففي هذا إشارة عظمى ترشد إلى أهمية توجيهه العقل ؛ لأنه أداة لمعرفة الصلاح الذي دعا إليه الكتاب فيتبع في كل أمر ، والفساد الذي نهى عنه فيجتنب في كل نهي[(٣)] ، أمّا الخاص فتحقق فيه الإشارة إلى أن أمر الإيمان راجع إليه وحده [(٤)] ، فتحقق بالحذف إعلام البشر بما يُحقق لهم الهداية والإضلال ، "فالله الذي لا أمر لأحد معه يضل من يشاء إضلاله ممن لم يُنب ، بل أعرض عن دلالة العقل ونقض ما أحكمه من ميثاق المقدمات المنتجة للقطع بأحقية ما دعت إليه الرسل لما جبل عليه قلبه من الغلظة ، فصار بحيث لا يؤمن ولو نزلت عليه كل آية ، لأنها كلها متساوية الأقدام في الدعوة إلى ما دعا إليه العقل لمن له عقل" [(٥)] ، فهو –تعالى– يهدي لطاعته بمجرد دليل العقل من غير طلب آية ممن كان قلبه ميالًا مع الأدلة ، راجعًا إليها ؛ لأنه شاء إنابته ، فترسيخ مبدأ الإيمان بأن مطلق المشيئة والإرادة لله ، فلا تكون لأحد غيره بأي وجه من الوجوه ، فهو يهدي إلى دينه وطاعته من رجع إليه بعقله وقلبه[(٦)] ، وفي هذا دفعٌ للنفس إلى البدار بالتوبة والإقبال بتأمل تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة ، وحث للإقلاع عن العتو و العناد[(٧)] .

*

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ (إبراهيم: ٢٧،ك) ، شبه احتباك "ذكر الثبات

---

(١) ينظر : نظم الدرر ٣٣٥/١٠ .

(٢) المرجع السابق ٢٦٢/١٠ .

(٣) ينظر : السابق ٣٣٥/١٠بتصرف .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

(٥) الموضع السابق .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٣١٥/٩ .

(٧) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٠/٥ .

أولًا دليلًا على ضده ثانيًا ، والإضلال ثانيًا دليلًا على الهدى أولًا "[١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (يهديهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَيُضِلُّ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يزلزلهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُثَبِّتُ﴾ في الطرف الأول وتقديره : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويهديهم ، ويضل الله الظالمين ويزلزلهم .

وسرّه : أنه ذكر ما اقتضاه السياق من الإشارة إلى كمال القدرة الإلهية على تحقق الثبات من الله للمؤمنين ؛ لكونه أدل على صحة عقيدهم ، والضلال على الظالمين ؛ لكونه أدل على فساد عقيدهم ؛ ليثبت أنه وحده القادر القاهر ؛ إرشادًا إلى الإقبال عليه[٢] .

فالصورة التركيبية للحذف قائمة على مراعاة أوجه التقابل بين : (يثبت) و(يزلزل) و(يضل) ؛ و(يهدي) ، لتثبت مطلق القدرة والعظمة لله ، في الهداية والثبات للمؤمنين ، والضلال وعدم الثبات للظالمين ، فتحقق في أصل النظم التنويه بعظيم القدرة ؛ إذ أوثر التعبير بـ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ، و بـ ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ ؛ ليبرز مطلق قدرته على ثبات كل من هم في درجات الإيمان ، ودركات الكفران من أدناها إلى أعلاها ، وهذا المعنى يبرز بصورة أكثر دقة بعد مراعاة السياق العام بما يقرره من "إثبات التوحيد ، وبيان أن هذا الكتاب غاية البلاغ إلى الله ؛ لأنه كامل ببيان الصراط الدال عليه المؤدي إليه " [٣] ، والخاص بما تحقق فيه من إثبات وحدانية الله بدلائل قدرته في ثبات المؤمنين ، وإرشادهم لمتابعة الدليل ، وإحلال الضلال على الظالمين ، لما تحقق منهم من إبطال كلمة التوحيد بالإشراك [٤] . فالقيمة الحقيقية لبيان أصل المعنى تحققت في الركنين المذكورين ، الأول : في إثبات مطلق القدرة في تثبيت الله الذين آمنوا و إدامتهم على القول الثابت ، والثاني في إثبات مطلق القدرة في إحلال الضلال على الظالمين [٥] ، فتحقق بالحذف جملة من دقائق المعاني تمثلت في ذكر ثبات المؤمنين وهدايتهم ، وضلال الظالمين وعدم ثباتهم ؛ تذكيرًا للنفوس ؛ لتستشعر قدرة الله في توفيق المؤمنين حينما

---

(١) نظم الدرر ٤١٥/١٠ .

(٢) ينظر : المرجع السابق٤١٤/١٠ وما بعدها بتصرف يسير .

(٣) المرجع السابق ٣٦٩/١٠ .

(٤) ينظر : المرجع السابق٤١٥/١٠ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٢١٨/١٣ وما بعدها بتصرف .

تطيش العقول وتدهش الأفكار- ؛ لشدة الأهوال- إلى أحسن الأقوال عند السؤال ، وقدرته في إضلال الظالمين وزلزلتهم لتمكن الضلال منهم ؛ لتقلبهم في الظلمات التي من شأن صاحبها الضلال والخبط ، فيفعلون ما لا يرضاه عاقل ، ثم تختار طريقًا تسلكه بعد معرفة مآل كل طريق [١] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (فصلت:١٧،ك) ، شبه احتباك "ذكر الهداية أولًا دليلًا على حذف الضلال ثانيًا ، والعمى ثانيًا دليلًا على حذف الإبصار أولًا " [٢] . وتقديره : وأمّا ثمود فهديناهم فأبصروا ، فاستحبوا العمى على الهدى فضلوا . "وسرّه : أنه نسب إليه أشرف فعله ، وأسند إليهم ما لا يرضاه ذو روح" [٣] .

إن العلاقة الرابطة بين المعاني أسهمت بشكل بارزٍ في ترسيخ جانب عليّ من جوانب العقيدة تمثل في إثبات التفرد الإلهي في إيضاح مطلق القدرة على بيان طريقي الهداية الناشئة عن ملازمة إبصار الأدلة الواضحة ، والضلال الناشئ عن عمى البصر أو البصيرة أو بهما معًا[٤] ، ويتضح حسن المراد ، بعد النظر في السياق العام ، بما يقرره من "الحث على الإيمان بالله والاستقامة على طاعته" [٥] ، والخاص بما تحقق فيه من الإخبار عن صاعقة ثمود ؛ لبيان شّدة ضلالهم وشّدة عذابهم[٦] ، فتحقق بالحذف إثبات القدرة على البعث وعلى كل شيء ، شيء ، فلا شريك لله في ذلك مطلقًا [٧] ، وفيه توجيه عليّ يرشد الكافر بالإنذار من الصد عن اتباع الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ؛ لأن في إتباعهم نجاة وفي معارضتهم هلاكًا [٨] وللحذف أثر فاعل في إبراز أوجه التقابل بين طرفي النظم ؛ ليتحقق إعلام البشر بأن طريق

---

(١) ينظر : نظم الدرر ٤١٥/١٠ .

(٢) المرجع السابق ١٦٧/١٧ .

(٣) الموضع السابق .

(٤) ينظر : المرجع السابق١٦٦/١٧ .

(٥) المرجع السابق ١٣٤/١٧ .

(٦) ينظر : المرجع السابق١٦٦/١٧ .

(٧) ينظر : الموضع السابق .

(٨) ينظر : المرجع السابق١٦٧/١٧ .

الهدى والضلال بعد بيانهما من أعظم منن الله تعالى .

*

– المبحث الثالث:إثبات الوحي والرسالة :

– القول بالاحتباك:

في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾(الأنعام:٩٢،ك) ، احتباك " ذكر الإنذار والأم أولاً دالّ على حذفهما ثانيًا ، وإثبات الإيمان والصلاة ثانيًا دليل على نفيهما أولاً" [(١)] .وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الذين يكفرون بالآخرة لا يؤمنون به ، وهم في صلاتهم مفرطون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (فيهم قابلية الإيمان من أهل أم القرى ومن حولها) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لتنذر أم القرى ومن حولها ممن لا يؤمن بالآخرة ، فهم لا يؤمنون به ، وهم في صلاتهم مفرطون ، والذين يؤمنون بالآخرة فيهم قابلية الإيمان من أهل أم القرى ومن حولها يؤمنون به ، وهم على صلاتهم يحافظون[(٢)]. وسرّه: أنه ذكر أم القرى ؛ لكونها أعظم المدن بما لها من الفضائل ، ثم ذكر الإيمان ؛ لأنه داعٍ لكل خير بالخوف والرجاء [(٣)] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز مهمة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في الدعوة إلى الإيمان بأعظم دعائمه ؛ ليتحقق للبشر التأكيد على أهمية الأمر بالإنذار عن الخوض في الشرك الذي هو أعظم أنواع الفساد ، والمحافظة على الصلاة التي هي أساس قيام التوحيد [(٤)] ، ففي تأمل دلالة الأمر بـــ ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ فائدة عظمى يرشد إليها السياق العام بما قرره من الدعوة إلى الله بإثبات التوحيد [(٥)] ، والخاص بما تحقق فيه من إثبات الرسالة وتقرير

---

(١) نظم الدرر ١٨٨/٧.

(٢) ينظر:نظم الدرر ١٨٦/٧ وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه – أسراره ، ص:٧٤.

(٣) ينظر: نظم الدرر ١٨٨/٧.

(٤) ينظر:الموضع السابق.

(٥) ينظر:المرجع السابق ١/٧.

وتقرير حقيقة القرآن [١] ؛ ليُثبت أهمية الاستجابة لمطلق ذلك الأمر ؛ لأن في الاستجابة إيمانًا ونجاةً، وفي الإعراض كفرًا وهلاكًا . وبالنظر في المعاني الجوهرية يتضح احتوؤها على إبراز أصل المراد على أتم وجه وأكمل بيان ، – ولتنذر بالقرآن عذابَ الله وبأسه مَنْ ففي أم القرى والأرض كلها ، وهذا ما تمثل في الركن الأول ، أمّا الثاني فتضمن الإشارة إلى أن من يؤمن باليوم الآخر يؤمن بحقيقة هذا القرآن ، ويحافظ على ما فيه من الأمر بالصلوات [٢]

– أمّا الناتج من جملة المعاني الإحسانية فيظهر من حسن الاحتباك في الآية الكريمة ، فهو كما قيل:" من عجيب فن الاحتباك " [٣] ؛ وذلك لما حققه في النظم من إبراز مظاهر الكتاب في كونه جامعًا لخيري الدنيا والآخرة ، والأدل على تعظيمه إيثار نون العظمة في ﴿أَنزَلْنَهُ﴾ فثبت ثبوتًا قاطعًا أنه لا ريب فيه بوجه من الوجوه ؛ لأنه من عند الله ، وليعلم الخلق بذلك –خصوصًا أهل الكتاب– ؛ لذا قال : ﴿مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ﴾ ؛ لما فيه من معانٍ ثرية تأخذ بأيدي العباد إلى مدارج القرب من الله ، من خلال تقرير حقيقة "أن الذي يؤمن بالآخرة هو الذي يؤمن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب ، ومن كان كذلك فإنه عظم رغبته في تحصيل الثواب ، ورهبته من حلول العقاب" [٤] ، ففي الإيمان بالدعوة المحمدية إيمان بأصل التوحيد ، وإعلام البشر بهذا نعمة علية يحسن العمل بها ؛ لتسمو النفس في حسن عبادتها تطلعًا إلى بلوغ درجة الإحسان ، وهي درجة عالية في العبودية ، وللاحتباك أثر فاعل في تأكيد أهمية المحافظة على الصلاة من خلال ما أنتجته أوجه التقابل بين المعاني من دلالات تُوحي بِعِظَمِ تلك المحافظة ؛ لأن المقام يُجسد وصف المنافقين بالتكاسل فيها ؛ لذا جُعِلت المحافظة عليها علمًا على الإيمان [٥] ، وكذا تأكيد أهمية إثبات الإنذار ، وجعله أساس أساس دعوة الرسول (عليهم الصلاة والسلام) إنماءً لجانب الخوف من الله ، وهذا دافع نبيل يدعو إلى إمعان النظر في حقيقة الرسالة ؛ لتدرك النفس أنه من كمال ربوبية الله ومطلق تصرفه لما فيه إصلاح حال البشر ، إرسال الرسل ، فمن الواجب الشكر والاتباع ؛ لأنَّ

---

(١) ينظر:المرجع السابق ١٨٧/٧.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢٧٢/٧.

(٣) نظم الدرر ١٨٨/٧.

(٤) التفسير الكبير ٦٧/١٣ .

(٥) ينظر : نظم الدرر١٨٨/٧ .

الإيمان بهم أساس كل خير ، والكفر بهم حامل على كل شر[١] .

*

كما أبرز الاحتباك أعظم خصائص القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(الأعراف:٢،ك) ، إذ إن "إثبات (لتنذر) أولًا دالٌّ على حذف (لتذكر) ثانيًا ، وإثبات (المؤمنين) ثانيًا دال على حذف (المخالفين) أولًا" [٢] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (لتذكر) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِتُنذِرَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (المخالفين أو الكافرين) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ في الطرف الأول . فقيل في تقديره :"لتنذر به وتذكر به ، فإنه نذرى للكافرين وذكرى للمؤمنين "[٣] ، وقيل أيضًا : "لتنذر به الكافرين ، ولتذكر المؤمنين" [٤] ، وهو أدق من سابقه ؛ لتحقق نسبة الأول إلى الثالث والثاني إلى الرابع .

وسرّه : "حذف متعلّق (تنذر) ، وصرح بمتعلّق (ذكرى) ؛ لظهور تقدير المحذوف من ذكر مقابله المذكور ... وصرح بمتعلّق الذّكرى دون متعلّق (تنذر) ؛ تنويهًا بشأن المؤمنين ، وتعريضًا بتحقير الكافرين تجاه ذكر المؤمنين " [٥] ، " فإن النفوس على قسمين : نفوس بليدة جاهلة بعيدة عن عالم الغيب غريقة في طلب اللذات ... ، فبعثة الرسل في حقهم إنذار وتخويف ، ونفوس شريفة مشرقة بالأنوار الإلهية ، فبعثة الرسل في حقهم تذكير ؛ لأن هذه النفوس ، بمقتضى جواهرها الأصلية وجبلتها الخلقية ، مستعدة للانجذاب إلى عالم القدس ، إلا أنه ربما غشيها غواش من عالم الأجساد ، فيعرض لها نوع ذهول وغفلة ، فإذا سمعت دعوة الأنبياء واتصلت بها أنوار أرواح رسل الله ، تذكرت مركزها وأبصرت منشأها "[٦] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في ترسيخ مبدأ عظيم من مبادئ العقيدة ،

---

(١) ينظر : الموضع السابق .

(٢) المرجع السابق ٣٤٩/٧ .

(٣) نظم الدرر ٣٤٩/٧ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص٢٦٢ .

(٤) التحرير والتنوير ١٢/٨ .

(٥) المرجع السابق ١٤/٨ .

(٦) نظم الدرر ٣٤٩/٧وما بعدها .

وهو : إبراز المقصد الأعظم من إرسال الرسول (عليهم الصلاة والسلام) المتمثل في النذارة عن الضلال من سرعة العقاب ؛ ليتحقق للكافرين الإنذار من الفساد والكفران ، وللمؤمنين ذكرى عظيمة بالبشر والمواعظ والغفران والرحمة [(١)] ، فبمراعاة السياق العام يتضح حسن الاحتباك ؛ لما تقرر فيه من إنذار المعرضين عن التوحيد ؛ لتتحقق الدعوة إلى امتثال كل خير ، واجتناب كل شر[(٢)] ، أما الخاص فهو أشد اعتلاقًا لبيان حقيقة الاحتباك ؛ إذ أسهم في بيان الغرض الأسمى من إرسال الرسل[(٣)] ، وهذه الغاية التي يسعى الاحتباك إلى تحقيقها في العقول ؛ ليصح للبشر حسن الاتباع ، فتحقق بالاحتباك جملة من لطائف المعاني العليّة أسهمت في تأكيد دلالة الأمر بـــ ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ في خطاب الشرع بأمر آخر –(لتذكر)- يوجب العلم بأهم خاصية من خصائص الرسالة المحمدية ، وهي عمومها لكل من أمكن إنذاره وتذكيره من العقلاء [(٤)] ، كما أن في تبصر دلالة التنكير في ﴿كِتَٰبٌ﴾ توجيه عليّ أسهم في تعريف البشر بحقيقة الكتاب ؛ ليثبت أنه عظيم لا ريب فيه بوجه من الوجوه مطلقًا ، وأنه هدى لمن أراد أن يهتدي ، ففيه من الإنذار ما يخوف به الكافر ؛ أملاً في رجوعه إلى الصواب ، ومن التبشير ما يجعل المؤمن يتمسك بشريعته [(٥)] ، وهذا جليل لطف من الله لعباده ؛ لأن في إنزاله القرآن فيضًا من عظيم رحمانيته [(٦)] ، وفي إحسان تأمله نعم عظيمة يتنور بها القلب ليهتدي ؛ لأن أصل الرسالة لا يكون إلا بالنذارة من الضلال ، فشرع الحذف في إعلام البشر بما خص الله نبيه ﷺ من فضائل الإنعام والإكرام "بذكر ما أنعم عليه وعلى من استجاب له ، فأشار إلى نعمته بإنزال الكتاب الذي جعله هدى للمتقين"[(٧)] . ثم إن في الحذف إيضاحًا لمظهر عظيم من مظاهر الإعجاز ، وهو أن القرآن الكريم جمع بين الأمرين معًا –الإنذار والتبشير- ، فهو كتابٌ كاملٌ في شأنه ، حسنٌ في

---

(١) ينظر : المرجع السابق٧/٣٤٨وما بعدها .

(٢) ينظر : المرجع السابق٧/٣٤٧ .

(٣) ينظر : الموضع السابق .

(٤) ينظر : المرجع السابق٧/٣٤٩ .

(٥) ينظر : إرشاد العقل السليم٣/٢١٠ بتصرف .

(٦) ينظر : نظم الدرر٧/٣٤٨بتصرف .

(٧) المرجع السابق ٧/٣٥٢وما بعدها .

بيانه[١] .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي . ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ (طه: ٤٢،٤٣،ك) ، احتباك : "ذكر المذهوب إليه في قوله : ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ ، وحذفه في الأول في قوله : ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ ﴾ اختصارًا في الكلام . **وقيل** : أُمِرا أولًا بالذهاب إلى عموم الناس ، ثم إلى فرعون بخصوصه ، وفيه بُعد ، بل الذهابان متوجهان إلى شيءٍ واحدٍ ، وهو فرعونُ ، وقد حَذَفَ من كلٍ من الذهابين ما أثبته في الآخر : وذلك أنه حذف المذهوبَ إليه من الأول وأثبته في الثاني ، وحَذَفَ المذهوبَ به ، وهو (بآياتي) من الثاني وأثبته في الأول" [٢] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فرعون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فِرۡعَوۡنَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (آياتي) ؛ لدلالة ذكر ﴿ بِـَٔايَٰتِي ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : اذهب أنت وأخوك إلى فرعون بآياتي ولا تنيا في ذكري ، اذهبا إلى فرعون بآياتي إنه طغى .

ويحتمل أن يكون السر أنه حذف :(فرعون) أولاً تشريفًا لهما ، عليهما الصلاة والسلام ، ولآياته ، وذكره ثانيًا تحقيرًا له ولبشاعة جرمه وتعاليه على الحق .

إن العلاقة الرابطة بين المعاني تمثلت فيما أنتجته أوجه التماثل بين طرفي النظم ؛ إذ أسهم الحذف في إبراز مهمة الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في إنفاذ الأمر الإلهي ، وهو : الذهاب بالآيات إلى الطاغين لإنذارهم ، وهذا أصل من أصول الدعوة إلى الله قرره السياق العام بما تمثل فيه من " الإعلام بإمهال المدعوين والحلم عنهم والترفق بهم " [٣] ، والخاص بما تحقق فيه من تنفيذ أمر الله بإنذار الطاغين . ففي تبصر دلالة الأمر بالذهاب إلى فرعون بالآيات جليل من المعاني التي من أبرزها: إرشاد العباد إلى أعظم مبادئ العقيدة ، وهو حاجة المرء إلى من يُذكّره بربه في طغيانه ، فمن رحمته ، سبحانه وتعالى ، إرسال الرسل للبشارة والنذارة ؛ لِيَعْلَم المرءُ أن في الاستجابة له حافزًا قويًا يدفع لتغيير حياته وسلوكه السيئ.

---

(١) ينظر : روح المعاني٨/٧٥ .

(٢) الدر المصون ٨/٤٢ .

(٣) نظم الدرر ١٢/٢٥٥.

*

قيل في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ **فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ** وَٱللَّهُ لَا **يَسۡتَحۡيِۦ** مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾(الأحزاب٥٣،م) ، احتباك "وزعم بعضهم[١] كون أصله : **يستحي منكم** من إخراجكم ، **والله لا يستحي** منكم من إخراجكم ، على أنه من الاحتباك، فيكاد أن يكون من الهذيان فضلًا عن كونه أنسب بإعجاز القرآن كما توهم"[٢] ، و**قيل** : "إن القول بالاحتباك هو الأنسب للإعجاز التنزيلي والاختصار القرآني، ولا يخفى ما فيه"[٣] . والظاهر أن التقدير السابق لا يتناسب مع القول بالاحتباك ؛ لعدم اكتمال صورته ، فالمحذوف الأول :(منكم) في :﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ ؛لدلالة(منكم) في : ﴿فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡ﴾ فقط . فكلا حرفي الجر ليسا بمعنى واحد ، بل الأول : (منكم) للابتداء ، والثاني : (من) للتعليل ، أمّا طرفا الاحتباك الآخران فهما مذكوران في الخطاب ﴿**فَيَسۡتَحۡيِۦ** مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا **يَسۡتَحۡيِۦ** مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ .

*

وفي موضع آخر أسهم حذف التقابل في إبراز خاصية الإنذار تأكيدًا على أهميتها في الدعوة إلى الله ، وذلك في قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾(الشورى:٧،ك) ، إذ إن في "ذكر المنذرين أولًا دلالة على إرادهم ثانيًا ، وذكر المنذر به –وهو يوم الجمع– ثانيًا دلالة على المنذر به من عذاب الأمم أولًا"[٤] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (ما عذبت به الأمم السالفة) ؛ لدلالة

---

(١) تتبعتُ هذه الآية الكريمة فيما بين يديّ من كتب التفسير فلم أعثر على من قال بذلك .

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي ١٨٣/٧ .

(٣) روح المعاني ٧١/٢٢ .

(٤) نظم الدرر ٢٥٠/١٧ .

ذكر ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (أم القرى ومن حولها) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لتنذر أم القرى ومن حولها عذاب يوم الجمع ، وتنذر أم القرى ومن حولها يوم الجمع[1] .

وسرّه : "ليذهب الوهم في المحذوف كل مذهب ، فيكون أهول ، وذكر (يوم الجمع) ؛ لكونه أفخم وأوجل"[2] ، "ولما كان الإنذار- وهو الإعلام بموضع المخافة- تارة يكون عما لا علم به ، وهو الأغلب ، وتارة عما وقع العمل به ، ثم خالف المنذر به علمه فعمل أعمال من لا علم له به ، **نبه على أنه من القسم الثاني** بقوله في جملة حالية : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي : لأنه قد ركز في فطرة كل أحد أن الحاكم إذا استعمل عبيده في شيء ثم تظالموا فلا بد له بما تقتضيه السياسة من جمعهم لينصف بينهم وإلا عد سفيهاً ا ، فما ظنك بأحكم الحاكمين"[3] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في ترسيخ مبدأ جليل من مبادئ العقيدة تمثل في بيان أهمية الدعوة المحمدية في الإنذار من شدة العذاب ، فتحقق بالحذف إعلام البشر عامة – خصوصًا الذين تمادى بهم الكفر ، وغلب عليهم الظلم في اتخاذهم أولياء من دون الله- شدة تحقق العذاب [4] ؛ وهذا ما أبرزه السياق العام الساعي إلى تقرير حقيقة "الاجتماع على الدين الذي أساسه الإيمان"[5] ، والخاص تحقق فيه إنذار عذاب يوم القيامة . فمن خلال أوجه التماثل بين طرفي النظم تحققت الدعوة إلى المسارعة في العمل بما تقتضيه دلالة الأمر من حسن الاستجابة ، واتّباع تعاليم الدين التي دعا إليها النبي ﷺ ، فإن في عدم الأخذ بها جهلًا بحقيقة الرسالة التي تسمو بالإنسان ؛ ليزداد الإيمان في قلبه ، والعلم في عقله ؛ فيقويان ، ثم إن في تأمل موضع الحذف حاجةً ماسَّةً لردع النفس عن الخوض في الكفر بتوجيهها وإرشادها .

*

---

(١) ينظر : نظم الدرر١٧/٢٤٩وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص٢٨٠ .

(٢) نظم الدرر ١٧/ ٢٣٠ .

(٣) المرجع السابق ١٧/ ٢٥٠ .

(٤) ينظر : المرجع السابق١٧/٢٤٩ .

(٥) الموضع السابق .

في قول الحق ﷻ : ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾(الأحقاف:١٢،ك) ، احتباك سببه اختلاف أوجه القراءة [(١)] ، فحصل بها وصف الرسول ﷺ بأنه (منذر) ، ووصف الكتاب بأنه (بشرى) [(٢)] . ويمكن أن يتحقق وجه الاحتباك في النظم دون الرجوع إلى وجه القراءة المشار إليها ، إذ "أثبت أولًا (لينذر) و(الذين ظلموا) دلالة على حذف نحوه ثانيًا ، و(بشرى) و(للمحسنين) ثانيًا دلالة على (نذرى) و(للظالمين) أولًا " [(٣)] ، وهذا الموضع أدق من سابقه ؛ لأنه أعمق في الدلالة على المقصود بما ناسب أصل النظم دون اللجوء إلى اختلاف القراء فيه [(٤)] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (نذرى للظالمين) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (ليبشر الذين أحسنوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لينذر الذين ظلموا ، فهو لهم نذرى كاملة ، وليبشر الذين أحسنوا ، وهو بشرى للمحسنين . وسرّه أن ذلك أدل على تحقق الغرض الأمثل من الرسالة المحمدية ؛ لتتحقق أهميتا الإنذار من عذاب النار ، والتبشير بنعيم الجنة .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في ترسيخ حقيقية التبليغ ، من خلال إبراز ثمرة الكتاب المحكم المترل ؛ ليزداد الإيمان في النفوس الضعيفة السقيمة ويقوى في النفوس الصحيحة ، وهذا من أدل الدلائل على حسن بيانه وعظيم شأنه [(٥)] . فبتبصر دلالتي السياق

---

(١) قرأ نافع ، وابن عمر : (لِتُنْذِرَ الذين ظلموا) -بالتاء- ، أي : لتنذر أنت يا محمد ، وحجتهما قوله : ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾ (إبراهيم:٤٤،ك) ، فجعل الفعل للنبي ﷺ ، فكذلك في قوله : (لِتُنْذِرَ) . وقرأ الباقون : «لينذِرَ»-بالياء- ، المعنى : لينذر القرآن أو لينذر الله ، وحجتهم قوله : ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾(الكهف:٢) . ينظر : حجة القراءات ، ص٦٦٢وما بعدها .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير٢٦/٢٦ .

(٣) نظم الدرر ١٤٣/١٨ .

(٤) ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾متعلقٌ بمصدق ، وفيه ضميرُ الكتابِ أو الله تعالى أو الرسولِ ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ويؤيدُ الأخيرَ القراءةُ بتاءِ الخطابِ ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ في حيزِ النصبِ عطفاًعلى محل لينذرَ ، وقيل : في محلِ الرفعِ على أنَّه خبرُ مبتدأٍ مضمرٍ أي وهو بُشرى ، وقيلَ : على أنَّه عطفٌ على مصدق . ينظر : إرشاد العقل السليم٨٢/٨ ، حاشية الشهاب على البيضاوي٣٠/٨ .

(٥) ينظر : نظم الدرر١١٨/١٨ .

العام والخاص يتضح حسن المراد ؛ لكون المقصد الأعظم الذي دعت إليه السورة بكليتها متحققًا في :"إنذار الكافرين بالدلالة على صدق الوعد في قيام الساعة اللازم للعزة والحكمة"[(١)] ، فبه اتضح أن إرسال الرسل ، وإنزال الكتب رحمة من الله سبقت غضبه بإهلاك المكذبين ، وهذا يبرز أهمية الإنذار من سرعة العقاب بدخول النار ، فثبتت معالم قدرته -سبحانه- على إهلاك المكذبين ، أمّا الخاص فأسهم في إبراز ثمرة الكتاب في إنذار الذين ظلموا ، وتبشير المحسنين[(٢)] ، فالقيمة الحقيقية لأصل النظم تمثلت في المعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ، الأول : لينذر الكتاب الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية ، والثاني : هو بشرى للذين أطاعوا الله فأحسنوا في إيمانهم وطاعتهم في الدنيا ، فحسن الجزاء من الله لهم في الآخرة على طاعته م في الدنيا [(٣)] ، فهذان الركنان كفيلان بإيضاح مهمة التبليغ بالإنذار لمن عصى الله وخالف أمره ، والتبشير لمن أطاع الله واتبع أمره ، أمّا الركنان المحذوفان فأسهما في تأكيد مهمة الكتاب من جانبي الإنذار والتبشير ، فهما عون للمرء يدفعانه لمراجعة حاله تجاه تعاليم الشرع والعمل بها ، واستبصار جوانب التقصير في حق الله والعمل على إصلاحها ، ففيه رحمة وفضلٌ من الله بعباده[(٤)] ؛ يسعد المؤمن بعباراته وإشاراته فيهتدي بنذارته ، ويشقى الكافر بعدم الوقوف على تأمل دلائله ، فلا يهتدي بنذارته[(٥)] ، وهذا أسمى عطاءً في فهم المراد ؛ وهو : إبراز المقصود الأعظم من إنزال الكتاب ، المتمثل في إنذار المعرضين وبشارة المطيعين[(٦)] . فإعلام البشر بذلك المقصد يُعد نعمة جليلة يحسن مراعاتها باتباع ما هو خير ، واجتناب ما هو شر ، فالعمل بموجب تعاليم الكتاب توجيه للمرء يحثه إلى امتثال الاتجاه الأصيل الذي ينمي في النفوس اعتناق الإيمان ويرسخه في القلب[(٧)] .وفي دلالة التعبير بـــ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ في الجانب الأول إشارة عليّة تدل على شمول

---

(١) المرجع السابق ١٨/١٤٣ .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) ينظر : جامع البيان٢٦/١٤ ، والجامع لأحكام القرآن١٦/١٩١ .

(٤) ينظر : في ظلال القرآن٢٦/٣٢٥٩بتصرف .

(٥) ينظر : نظم الدرر١٨/١٤٣ .

(٦) ينظر : إرشاد العقل السليم٨/٨٢ .

(٧) ينظر : في ظلال القرآن٢٦/٣٢٥٩بتصرف .

شمول تحقق الإنذار لكل من هم في دركات الظلم من أدناها (الذين ظلموا) إلى أعلاها (الظالمين) . وفي الجانب الآخر بـــ ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ ، أي : تحقق البشري بالقرآن الكريم لكل من هم في درجات الإحسان من أدناها (الذين أحسنوا) إلى أعلاها (المحسنين) .

وقد يُعترض على وجه الاحتباك لعدم تحقق شرط التقابل بين طرفي القول من حيثُ إن ذكر (الذين ظلموا) ليس بالضرورة أن يكون مقابلها (الذين أحسنوا)، وإنما (الذين أحسنوا) مقابلها: (الذين أساؤوا)، وبشرى (للمحسنين) يقابلها نذرى (للمسيئين)[1]، لكن له جليل أثر في المعنى

*

وأمّا قول الحق ﷻ : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾(الحجرات: ٧،م) ، فقد جُعِل من قبيل الاحتباك ؛ لدلالة "الشرطية في :﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ على الاستدراكية ، والاستدراكية في :﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ﴾ على تقدير الشرطية دلالة ظاهرة"[2] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (لكنه لا يطيعكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني (لو خالفتموه في الأمور لعنتم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ، ولكنه ﷺ لا يطيعكم لكراهته لما يشق ، لو خالفتموه في الأمور لعنتم ، ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه ، فلزمتم طاعته وعشقتم متابعته[3] .

"ولعل السر في حذف الجملة الشرطية هو اللطف في لومهم ، وعدم مجابهتهم"[4] .

ويذهب بعض أهل العلم إلى أن عبارة البقاعي مستغلقة[5] . وظاهر الأمر أن حمل النظم على

---

(١) إنما عدل عن العادلين إلى ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ ، ليكون ذريعة إلى البشارة بنفي الخوف والحزن لمن قالوا : ربنا الله ثم استقاموا ، وقيل : ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾دون الذين أحسنوا بعد قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ، ليكون المعنى : لينذر الذين وجد منهم الظلم ، ويبشر الذين ثبتوا واستقاموا على الصراط السوي ، فيناسب تعليل البشارة بقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ . ينظر : روح المعاني٢٦/١٦ .

(٢) نظم الدرر ٣٦٩/١٨ .

(٣) ينظر : نظم الدرر٣٦٩/١٨ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص٤٦ .

(٤) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص٤٦ .

(٥) ينظر : الموضع السابق .

على الاحتباك أسهم في إبراز مبدأ جليل من مبادئ العقيدة تمثل في إبراز أهمية الرسالة المحمدية من حيثُ العمل بملازمة تنفيذ أمر الله كما أمر ؛ لأنه "متخلق بطاعة الله والوقوف عند حدوده والتقيد في جميع الحركات والسكنات بأمره "[١] ، فلا يصح لبني البشر الإقدام على أي شيء إلا بمشاورته ﷺ ؛ ليعلمهم ما يأتون وما يذرون ، فتحقق بالحذف التنبيه إلى أمرين عظيمين يجب ملازمة العمل بهما : الأول : مشاورته في حياته ﷺ ، والثاني : بذل الجهد في استخراج الأمور من رسالته بعد موته ، ليثبت أنه لا يليق أن يتحرك إلا بأمر من أرسله ؛ لأن في ذلك رحمة لهم ، وفي مخالفته هلاكًا[٢] . فيثبت وجوب طاعة الرسول ﷺ ، لأنه لو عمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لبني البشر لأصبح المتبوع تابعًا والمطاع طائعًا[٣] ، وهذا ينافي أهم خصائص الرسالة المحمدية القائمة على أمر الدعوة إلى الله كما أمر "ومن أراد دائمًا أن يكون أمر الرسول ﷺ تابعًا لأمره فقد زين له الشيطان الكفران"[٤] .

*

وكذا قيل في قول الحق : ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾(الصف: ١٤،م) ، احتباك ، "والأصل : كونوا أنصار الله حين قال لكم النبي ﷺ من أنصاري إلى الله ، كما قال الحواريون نحن أنصار الله ، حين قال لهم عيسى عليه السلام من أنصاري إلى الله؟ وهو كلام حسن" [٥] .

وفيه **نظر** ؛ لكون الجملة الأولى :﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ مذكورة ، ومقابلتها مذكورة : ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ ﴾ ، وكذا فالطرف الثاني فيه محذوفان الأول : (حين قال لكم النبي من أنصاري) ، ومقابله محذوف : (حين قال لهم عيسى من أنصاري) ؛ لذا لم يُجعل من الاحتباك ؛ لانتفاء وجهه .

---

(١) نظم الدرر ٣٦٧/١٨ .

(٢) ينظر : المرجع السابق٣٦٦/١٨وما بعدها .

(٣) ينظر : الموضع السابق .

(٤) المرجع السابق ٣٦٧/١٨ .

(٥) حاشية الشهاب على البيضاوي ١٩٤/٨ ، وروح المعاني٩١/٢٨ .

*

كما أسهم الاحتباك في إبراز جانب عليّ من جوانب العقيدة ، تمثل في عِظمِ تحقق الاستجابة ، وذلك في قول الحق ﷻ : ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾(نوح:٢٨،ك) ، فإثبات الدعاء أولًا مرشد إلى حذفه ثانيًا ، وإثبات الدعاء بزيادة التبار ثانيًا مفهم لحذف الدعاء الموجب لزيادة المفاز أولًا [(١)] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (ولا تزدهم إلا مفازًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ولا تكرم المارقين) ؛ لدلالة ذكر ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنًا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزدهم إلا مفازًا ، ولا تكرم المارقين ولا تزد الظالمين إلا تبارًا [(٢)] . وسرّه أن ذلك أدل على إكرام المؤمنين ترغيبًا في الخلود إلى الإيمان ، وإهانة الكافرين ترهيبًا من الخلود إلى الكفر .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت بشكل فاعل في إعلام البشر بما عليه الرسل (عليهم الصلاة والسلام) من أمر المحافظة على مصلحة الدين ؛ لاستمرار بقاء الإيمان في النفوس ، ورغبة في إقبال الخلق عليه ؛ لذا أثبت الاحتباك تحقق استجابة دعاء الرسل بالرحمة والغفران لأولياء الله ، وبالهلاك والتبار لأعدائه[(٣)] . فبتبصر دلالة السياق العام للسورة إشارة عظمى تُعلِي من شأن الاحتباك ؛ لما أثبته من الدلالة على تمام القدرة على إهلاك المعرضين ، وتبديل خير منهم ، وكذا فإن معالم القدرة الربانية تحققت في مطلق القدرة على إيجاد يوم القيامة الذي طال إنذارهم به ، وهم عنه معرضون ، وبه مكذبون ، وعنه لاهون[(٤)] ، فبهذا تحقق ركن أصيل من أركان الدعوة إلى الله ، وهو : الإنذار تخويفًا من عواقب التكذيب ، كما أن في تدبر دلالة الخطاب إشارة عظيمة تتضمن شمولية الدعاء بالرحمة لكل من هم في درجة الوصف بـــ(المؤمنين والمؤمنات) ، وبالانتقام لكل من هم في دركات الظلم في كل أمة من الأمم إلى آخر الدهور والأزمان ، وهذا -بلا شك- يُعلِي من عظمة الله وشمول

---

(١) ينظر : نظم الدرر٢٠/٤٦٠ بتصرف يسير .

(٢) ينظر : نظم الدرر٢٠/٤٥٨وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص١٣٦ .

(٣) ينظر : نظم الدرر٢٠/٤٦٠ .

(٤) ينظر : المرجع السابق٢٠/٤٢٢وما بعدها .

رحمته بأهل الإيمان ، وشدة انتقامه من أهل الظلم ، ففي الحذف دعوة نبيلة تثقف النفوس وتعلمها حسن الارتقاء بالإيمان ، فمن المفترض أن يكن البشر من (المؤمنين والمؤمنات) ؛ لأن الإخلاد إلى أدنى درجات الإيمان –الذين آمنوا– قد يوقع في شباك المعاصي ثم الكفر . فتحقق إعلام البشر بمظهر جليّ من مظاهر قدرة الله في الاستجابة للرسل "وكما استجاب الله ﷻ له في أهل الإيمان والكفران من أهل ذلك الزمان فكذلك يستجيب له في أهل الإيمان وأهل الخسران بالسعادة والتبار في جميع الأعصار إلى أن يقفوا بين يدي العزيز الجبار"[1] .

*

وفي موضع آخر سعى الاحتباك إلى تأكيد بشرية محمد ﷺ ؛ وذلك في قول الحق ﷻ: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (الجن:٢١،ك) ، فإن ذكر الضر أولًا دليل على حذف النفع ثانيًا ، وذكر الرشد ثانيًا دليل على حذف الضلال أولًا [2] ؛ لأن الضر يقابله النفع ، والرشد يقابله الضلال[3] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (نفعًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ضَرًّا﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني (ضلالًا أو غيًّا) ؛ لدلالة ذكر﴿رَشَدًا﴾ في الطرف الأول . فقيل في تقديره : "لا أملك ضرًّا ؛ لأني لا أملك لكم إضلالًا ولا أملك لكم رشدً ا ، فلا أملك لكم نفعًا ، فإنه لا نفع في غير الرشاد ، ولا ضر في غير الضلال"[4] ، وقيل أيضًا : "لا أملك لكم ضرًّا ولا نفعًا ، ولا غيًّا ولا رشدًا"[5] ، وهذا أولى من سابقه ؛ لما فيه من حسن الإيجاز الملائم لما عليه النظم في بناء تركيبه .

وسرّه : أنه نفى عن نفسه مطلق الصفات ؛ لبيان عجزه ، إعلامًا بأن ذلك لا يكون إلا لمن بيده ملكوت كل شيء ؛ لأنه قادر على كل شيء .

فالحذف أسهم في إيضاح حقيقة الرسالة والرسل ، وأثبت عجز البشر جميعًا عن دفع الضر وجلب النفع ، وأثبت ذلك لله بطريق حذف التقابل ، فتحقق بالحذف أن لا

---

(١) المرجع السابق ٤٥٩/٢٠وما بعدها .

(٢) ينظر : المرجع السابق٤٩٤/٢٠ بتصرف .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير٢٤٣/٢٩ .

(٤) نظم الدرر ٤٩٤/٢٠ .

(٥) إرشاد العقل السليم ٤٦/٩ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٢٦٠/٨ ، وروح المعاني ١١٦/١٩ ، والتحرير والتنوير٢٤٣/٢٩ .

مؤثر في شيء من الأشياء إلا الله ﷻ ، فالأعلى لما يقتضيه السياقان العام والخاص القول بالاحتباك ؛ لما تحقق فيهما من إبراز عظمة الله ورحمته بإرسال الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ؛ ليعم بالبيان ما يلزم الخلق من أمر الدين [١] ، وليحقق الغاية العظمى المتمثلة في أنهم بشر كلفوا حمل الرسالة ، فالسياق العام تضمن إظهار الشرف لنبي الأمة لِيُلَيِّنَ له قلوب الإنس والجن [٢] ، والخاص تحقق فيه إثبات مهمته ﷺ[٣] ، ففي تبصر دلالة الأمر بـــ ﴿ قُلْ ﴾ ما يُعلِيّ من هذا ؛ لما تحقق بها من إثبات تحقق بشرية محمد ﷺ، فثبت بالحذف ثبوتًا قاطعًا نفي قدرة الرسل جميعًا على جلب نفع ودفع ضر ، وأنه يستحيل عليهم ما يستحيل على جميع الممكنات [٤] ، وفي ذلك إعلام للبشر بحاجتهم إلى ربهم في السراء والضراء ؛ لأنه القادر على نفعهم وضرهم ، وهذا يقرر أن الألوهية لله وحده ، والإخلاص فيها من أسمى درجات الإيمان [٥] ، كما أن في الحذف دافعًا قويًا ينمي في النفس إدراك قيم عظيمة ؛ من أجلها : عظمة الله ولطفه معًا ، فعظمته تكمن في قدرته الموجبة على البشر توحيده ، ولطفه في إرسال الرسل وبيان مهماتهم .

*

–القول بشبه الاحتباك :

في قول الحق ﷻ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ (الأنعام: ١٠٧،ك) ، شبه احتباك ، تقديره : "وما جعلناك عليهم حفيظًا تحفظ عليهم أعمالهم لتحاسبهم وتجازيهم عليها ، ولا وكيلاً تتولى أمورهم وتتصرف فيها ، وما أنت عليهم بوكيل ولا حفيظ بملك ولا سيادة "[٦] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (وكيل) ؛ لدلالة ذكر ﴿بِوَكِيلٍ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (حفيظ) ؛ لدلالة ذكر ﴿حَفِيظًاۖ﴾ في الطرف الأول . وتقديره باختصار : وما جعلناك عليهم حفيظًا ولا وكيلًا

---

(١) ينظر : نظم الدرر٢٠/٤٦١ .

(٢) ينظر : المرجع السابق٢٠/٤٦٠ .

(٣) ينظر : المرجع السابق٢٠/٤٩٣بتصرف .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن٢٩/٣٧٣٦ .

(٦) تفسير المنار ٧/٦٦٢ .

وما أنت عليهم بوكيل ولا حفيظ . وسرّه : أنه نفى عنه ﷺ مطلق الصفات المؤهلة لرتبة العبودية ؛ لكونها أدل على تحقق نبوته ، فثبت أنه ﷺ عبد لله مكلف تبليغ الدعوة . ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيثُ الناتج الدلالي صور أخرى للحذف [1] أسهمت في إبراز مهمة الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ونفي القدرة عنهم وإثباتها لله وحده .

فالعلاقة الرابطة بين المعاني قائمة فيما أنتجته أوجه التماثل بين طرفي النظم من لطائف المعاني الساعية إلى إبراز الغاية العظمى من إرسال الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ، وهي : إثبات مهمة التبليغ لهم ، ويزداد المراد دقة بعد مراعاة السياق العام بما يقرره من إثبات التوحيد لله ، والخاص بما تقرر فيه من تسلية الرسول ﷺ عن استهزائهم به وردهم لقوله [2] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تحققت في الركنين المذكورين ، الأول : "إنما بعثتك إليهم رسولًا مبلِّغًا ، ولم نبعثك حافظًا عليهم ما هم

---

(١) قول الحق ﷻ : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴾(هود:١٢،م) ، شبه احتباك «نفى أولاً قدرته صلى الله عليه وسلم ، على الإتيان بما سألوا دليلاً على قدرة مرسله على ذلك وغيره ثانياً ، وأثبت الوكالة ثانياً دليلاً على نفيها أولاً» ، وتقديره : إنما أنت نذير ، فبلغهم ما أرسلت ، وما أنت عليهم بوكيل تتوصل إلى ردهم إلى الطاعة بالقهر والغلبة . والله على كل شيء وكيل ، فهو يدبر الأمور على ما يعلمه من الحكم ، فإن شاء جاء بما سألوا ، وإن لم يشأ لم يأت به ، ولا اعتراض عليه ينظر : نظم الدرر٩/٢٤٧ .

والظاهر-والله أعلم- أن أداة القصر(إنما) حققت المقصود من النظم بأيسر الطرق وأوضحها من غير تأويل بطريق حذف التقابل ، إذ المعنى : «أنت نذير ، لاموكل بإيقاع الإيمان في قلوبهم ، إذ ليس ذلك إليك ، بل هو لله ، فاقتضى القصر إبطال أن يكون وكيلاً على إلجائهم إلى الإيمان ، ومما شمله عموم (كل شيء) في ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴾ أن الله وكيل على قلوب المكذبين مطلع على مكرهم ، وكيل على جزائهم» . ينظر : التحرير والتنوير١٢/١٨وما بعدها .

و قول الحق ﷻ:﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ (الرعد:٧،م) ، شبه احتباك «ذكر المنذر أولاً يدل على حذفه ثانياً ، وذكر الهادي ثانياً دال على حذف مثله أولاً» ، وتقديره : إنما أنت منذر هادٍ لهم تهديهم ببيان ما أنزل عليك مما يوقع في الهلاك ، ولكل قوم نبي هادٍ يهديهم إلى مرشدهم ، ومنذر ينذرهم من مغاويهم . وقد جاءتا مؤكدتين بالاسمية مع ما فيهما من قوة الحصر بـــ(إنما) من إحكامٍ وتناسق عجيب ، ثم التذييل بالأعم (ولكل قوم هاد) . ينظر : نظم الدرر ١٠/٢٨٧ ، والتحرير والتنوير١٣/٩٥ .

(٢) ينظر : نظم الدرر٧/٢٢٥ .

عاملوه"[١] ، والثاني : "لست عليهم بقيِّم تقوم بأرزاقهم وأقواتهم "[٢] ، ولكنْ في الحذف دقائق منها : أن إعلام الرسول ﷺ وتذكيره -مع علمه- حقيقة رسالته إعلام لبني البشر عامة ، وهذه نعمة عليّة يحسن مراعاتها والعمل بها في كل ما يُكلفه المرء من أمور دينه ودنياه ، فالبشر عامة ليس مقامهم مقام حفظ ولا وكالة ؛ لأن الحفيظ والوكيل هو الله وحده [٣] ، كما أن في الحذف تثقيفًا للنفوس الساعية لبناء الدين والدعوة إليه في أنه لا يجوز أن يعلق قلبه وأمله وعمله بالمعرضين عن الدعوة الذين لا تتفتح قلوبهم لدلائل الهدى ومو جبات الإيمان ، وإنما الواجب أن يراعي في نشر دعوته حدود صلاحياته في نشرها ، فيبذل الجهد الأعظم في سبيل إنماء الدين في القلوب [٤] ، فالغرض الأساسي هو المحافظة على الدين .

*

وكذا فإن في قول الحق ﷻ : ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾(يونس:٤٦،ك) ، شبه احتباك "ذكر أولًا الإراءة دليلًا على حذفها ثانيًا ، والوفاة ثانيًا دليلًا على حذفها أولًا "[٥] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (وفاتك) ؛ لدلالة ذكر ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (نريك) ؛ لدلالة ذكر ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وإما نرينك قبل وفاتك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم فنريك[٦] .وسرّه : أنه ذكر ما هو أقر لعين محمدٍ ﷺ وأسر لقلبه [٧] . ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيثُ الناتج الدلالي صور أخرى [٨] أسهمت في تأكيد مطلق

---

(١) جامع البيان ٣٠٩/٧ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير٢٥٠/٧بتصرف .

(٤) ينظر : في ظلال القرآن١١٦٩/٧بتصرف .

(٥) نظم الدرر ١٣٢/٩ .

(٦) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم ومواقعه أسراره ، ص١١٧ بتصرف .

(٧) ينظر : نظم الدرر١٣٢/٩ .

(٨) قول الحق ﷻ:﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (الرعد:٤٠،م) ، والآية من شبه الاحتباك كما مضى بيان ذلك في مثلها من سورة يونس عليه السلام ، وتقديره : فإمّا نرينك بعض الذي نعدهم قبل وفاتك ، أونتوفينك قبل أن ترى . فالسياق العام يدعو إلى (وصف الكتاب

القدرة الإلهية على إحلال العذاب عليهم ؛ لتتحقق القدرة الباهرة بهلاك الأعداء .

فالصورة التركيبية لطبيعة الحذف أسهمت في تحقيق أمرين عظيمين ، الأول : رفع الحزن عن الرسول ﷺ بتسليته أعظم تسلية ، والثاني: تحقق القدرة الإلهية في إهلاك المعاندين ؛ إذ إن في الإخبار الصادق بهلاكهم مزيدَ تأكيدٍ لباهر العظمة ومطلق القدرة ، فثبت إعلام أهل الكفر عامة أن محمدًا ﷺ مبلغ عن ربه وليس مكلفًا غرس الإيمان في قلوبهم[1] ، فالسياق العام تضمن إبراز وحدانية الله ؛ لأن مبنى السورة قائم على وصف الكتاب بأنه من عند الله ؛ لما اشتمل عليه من الحكمة ، وهذا دال –بلا ريب– على أنه – سبحانه– واحد في ملكه لا شريك له في شيء من أمره[2] ، فدل ذلك السياق قطعًا على أن عذاب أهل الكفر متحقق لا محالة في الدارين ، وهذه الغاية التي يسعى الحذف إلى تحقيقها – إما نريَنّك في حياتك بعضَ الذي نعد المشركين من قومك من العذاب ، والثاني : أو نتوفينك قبل أن نريك ذلك فيهم [3]– . ففي تبصر دلالة الحذف تحذيرٌ بالغٌ يكشف عِظم القدرةِ على تحقق العذاب ، وهذا ناتج عن إيثار التنكير في النظم ؛ ليتحقق عِظم الإرادة بما لله من مجامع العظمة ومنتهى القدرة ، فالناتج من وراء الحذف تمثل في تعليم البشر قيمًا عظيمة ؛ من أجلِّها : بذل الجهد الأكبر في نشر كلمة الحق ، والصبر على ما يقدره الله للمرء في الحياة ، فلتكن ثقته بربه ، فلا يستعجل تحقيق وعده له . ثم إن في الحذف غرسًا لِلُّطفِ ولينِ الخطاب في نفوس البشر المكلفين نشر الدعوة ، وهذه لمحة بارزة تكشف لأصحاب الدعوة إلى الله طبيعة المنهج الذي سار عليه محمد ﷺ بتوجيهٍ من ربه ، والاقتداء به يعد أجود غذاء للروح ؛ لأنه الأصل الذي يهدي المرء إلى ربه ، ويعلّم الدعاة أن واجبهم

بأنه الحق في نفسه) ، والخاص تحقق فيه الإعلام بنفي الحرج عليه في ضلالة من ضّل ، فليس من واجبه أن يردهم إلى الحق حتمًا . ينظر : نظم الدرر ١٠/٢٦٢-٣٦٣ .

و قول الحق ﷻ : ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴾ (غافر:٧٧،ك) ، ففيه شبه احتباك ، ذكر الوفاة ثانياً دليلاً على حذفها أولاً ، والرؤية أولاً دليلاً على حذفها ثانيًا ، وتقديره : فإمّا نرينك بعض الذي نعدهم قبل وفاتك ، أو نتوفينك قبل أن ترى . فالسياق العام يدعو إلى إثبات العزة الكاملة والعلم الشامل لله وحده ، والخاص تحقق فيه تسلية الرسول ﷺ . ينظر : نظم الدرر١٧/١٢٠ .

(١) ينظر : نظم الدرر٩/١٣٢ .

(٢) ينظر : المرجع السابق٩/٦١ .

(٣) ينظر : جامع البيان١١/١٢٠ .

في الدعوة مجدد[١] .

*

قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴾(طه: ٩٢-٩٣،ك) ، شبه احتباك[٢] ، المحذوف من الطرف الأول (اضطرك) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (أن لا تتبعني) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : "ما منَعك أن تتبعني واضطرّك إلى أنْ لا تتبعني"[٣] .

"والمقصود تأكيدُ وتشديدُ التوبيخ بإنكار أن يكون لهارونَ مانع حينئذ من اللحاق بموسى ومقتض لعدم اللحاق بموسى " [٤] . والظاهر أن في حمل النظم على شبه الاحتباك بُعدًا ؛ لعدم اقتضاء السياق له .

*

ويعود الحذف بطريقة شبه الاحتباك إلى إبراز خاصية الرسالة المحمدية في قول الحق ﷻ : ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (يس: ٧٠،ك) ، إذ «حذف الإيمان أولًا لما دل عليه من ضده ثانيًا ، وحذف الموت ثانيًا لما دل عليه من ضده أولًا »[٥] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (المؤمنين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ميتًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿حَيّٗا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لينذر من كان حيًّا مؤمنًا ، ويحق القول على الكافرين فإنهم أموات[٦] .

وقيل أيضًا في تقديره : "لتنذر من كان **حيًّا** فيزداد حياة بامتثال الذكر فيفوز ، ومن كان **ميتًا** فلا ينتفع بالإنذار فيحق عليه القول"[٧] . فتحقق بهذا التقدير وجه الاحتباك ؛ إذ حذف حذف من الطرف الأول (فينتفع ويفوز) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾ في الطرف الثاني ،

---

(١) ينظر : في ظلال القرآن١١/١٧٩٦بتصرف .
(٢) ينظر : التحرير والتنوير١٦/٢٩٢ .
(٣) الموضع السابق .
(٤) الموضع السابق .
(٥) نظم الدرر ١٦/١٦٩ .
(٦) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم ومواقعه أسراره ، ص١٢٥ .
(٧) التحرير والتنوير ٢٣/٦٦ .

ومن الطرف الثاني حذف (ميتًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿حَيًّا﴾ في الطرف الأول .
وسرّه : أنه ذكر الحياة الدائمة ؛ لكونها أدل على الانتفاع بدلائل القرآن الذي ثمرته الإيمان ، ثم ذكر الكفر ؛ لكونه أدل على فقد الحس ، فهم كالأموات في عدم الانتفاع بدلائل القرآن .

فالصورة التركيبية للحذف أسهمت في إثبات الغرض الأسمى من إرسال الرسل ؛ ليتحقق بيان ما عليه المنذرون في اتباع بعضهم وإعراض الآخر ؛ لذا أبرز الحذف خاصية عظمى من خصائص الرسالة وهي : إثبات مهمة التبليغ للرسل . وفي تبصر دلالة السياق العام للسورة ما ينبئ عن حسن الحذف ؛ لكون مقصدها متحققًا في إثبات الرسالة التي هي روح الوجود ؛ لتثبيت التوحيد ، بالإنذار عن الشريك لإنذار يوم الجمع [(١)] ، فثبت أن الإنذار بيوم الجمع رحمة عامة من الله لعبادة وجب عليهم مراعاتها ، أمّا الخاص فتضمن إثبات الغاية العظمى من إنزال القرآن الكريم ، وإرسال الرسول ﷺ ؛ فهو لذلك ذو أثر بالغ في العناية ببيان وجه الحذف ، فتحقق بالحذف إيضاح دوره ﷺ ، وبيان وظيفة القرآن إعلامًا للبشر أنهم إزاء هذا القرآن فريقان : فريق يستجيب فهو حي ، وفريق لا يستجيب ، فهو ميت[(٢)] . فمن كان حي القلب يعقل ما يقال له ، ويفهم ما يُبين له ، بخلاف من كان ميتًا[(٣)] .

وللحذف -أيضًا - أثر بارز في إحداث علائق ربط بين دلالات المعاني ؛ ليُحقق في النفوس الدعوة إلى التدبر والتفكر في فضل الله على عباده بإنزال القرآن وإرسال الرسل ، وكذا تأمل حياة الإيمان ، وموت الكفر بالنسبة للروح ، فمن كان حيًّا فحياته تزداد بتأمل الدلائل المعنوية التي يجلبها الإيمان ، وأهل هذا الفريق سعداء ، وهم قلة ؛ لذا أُثر الإفراد في : ﴿حَيًّا﴾ ، ومن كان ميتًا يزداد موتًا بعدم الاستجابة لسماع الحق ، وأهل هذا الفريق أشقياء ، وهم كثرة ؛ لذا جمع في : ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ، وهذا يدعو المرء إلى مراجعة نفسه وإلزامها كلمة الحق لتِحيا حياة الإيمان[(٤)] .

---

(١) ينظر : نظم الدرر١٦/٨٢ .
(٢) ينظر : في ظلال القرآن٢٣/٢٩٧٥ .
(٣) ينظر : جامع البيان٢٣/٢٧ .
(٤) ينظر : نظم الدرر١٦/١٦٨وما بعدها .

*

وفي موضع آخر يقول الحق ﷻ : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر:٢٨،ك) ، ففيه شبه احتباك إذ "ذكر اختصاصه بضر الكذب أولًا دليلًا على ضده ، وهو اختصاصه بنفع الصدق ثانيًا ، وإصابتهم ثانيًا دليلًا على إصابته أولًا "[١] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (يصبه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يُصِبْكُم ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (له صدقه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وإن يك كاذبًا فعليه كذبه ، ويصبه ما يعدكم ، وإن يك صادقًا يصبكم بعض الذي يعدكم ، وله صدقه[٢] . وسرّه : أنه "ذكر الضار في الموضعين ؛ لأنه أنفع في الوعظ ؛ لأن من شأن النفس الإسراع في الهرب منه"[٣] .

فالقول بالحذف أسهم في إبراز جانب عليّ من جوانب العقيدة ، تمثل في إبراز خاصية حسن الوعظ والإرشاد في الدعوة إلى الله بقبول الحق والاستجابة له ، ليقرر في العقول الواعية مبدأ الالتزام بالأدب في مواجهة الخصم ، وعدم رد كلامه من غير حجة ظاهرة ودليل قاطع[٤] ، فبالنظر إلى ما عليه السياق العام من الدلالة على إثبات الدار الآخرة ، وتوفية كل ما يستحقه الخلق على سبيل العدل [٥] ، إشارة عظمى تحقق للبشر الدعوة إلى لزوم مبدأ العدل في المناصفة ؛ وإرشاد إلى عدم التسرع في إثبات الحكم ، فما فعله فرعون من إنكار دعوة موسى عليه السلام ، والعزم على قتله يُعد جهلًا عظيمًا [٦] . فإن في تبصر دلالة الخطاب بـــ ﴿ يَكُ ﴾ في الموضعين "دعوة إلى المسارعة إلى الإتيان بأقل ما يمكن "[٧] . وللحذف أثر فاعل في إحداث علائق ربط بين المعاني أسهمت في تعليم البشر مبدأً عظيمًا

---

(١) المرجع السابق ٥٥/١٧ .

(٢) ينظر : نظم الدرر٥٤/١٧وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص١٦٣ .

(٣) نظم الدرر ٥٥/١٧ .

(٤) ينظر : الموضع السابق٥٥/١٧ .

(٥) ينظر : المرجع السابق١/١٧ .

(٦) ينظر : المرجع السابق٥٣/١٧وما بعدها .

(٧) المرجع السابق ٥٤/١٧ .

من مبادئ قبول الحق والاستجابة له ، ثمرته التريث في سماع كلام الخصم ، ففيه نعمة عليّة تغرس في النفوس قيمًا تهذب الأخلاق ، وتقوم السلوك ، وتتغلب على شيطان النفس بسلطان العقل[(١)] .

*

وفي موضع آخر أسهم شبه الاحتباك في إبراز الدعوة إلى الله ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ (غافر: ٤١،ك) ، إذ أن في "ذكر النجاة الملازمة للإيمان أولًا دليلًا على حذف الهلاك الملازم للكفران ثانيًا ، والنار ثانيًا دليلًا على حذف الجنة أولًا" [(٢)] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الجنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الهلاك) ؛ لدلالة ذكر ﴿إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أدعوكم إلى النجاة والجنة ، وتدعونني إلى النار والهلاك[(٣)] .
وسرّه : "إثارة عزائمهم إلى الحياء منه ، بتذكيرهم أن ما يفعلونه معه ليس من شيم أهل المروءة يجازونه على إحسانه إليهم بالإساءة"[(٤)] .

فالقول بالحذف شكّل أثرًا فاعلاً في إبراز حسن دعوة المؤمنين إلى النجاة من عذاب الله وعقوبته ، وذلك في الوعظ بملازمة الإيمان ، وإتباع موسى عليه السلام ، وقبح دعوة الكافرين إلى النار ، بملازمة الشرك ، والإعراض عن الاتباع [(٥)] ، فتحقق أن الدعوة إلى النجاة موجبة للإيمان لازمة لدخول الجنة ، والدعوة إلى النار موجبة للكفر لازمة للهلاك [(٦)] ، وفي هذا إعلام بأن الناس قسمان هالك ، وناجٍ[(٧)] ، فالذي يهدي إليه السياق العام يعمق القول بالحذف ؛ إذ إنه سعى إلى إثبات حقيقة الجزاء والعقاب ، وذلك بتصنيف الناس في الآخرة

---

(١) ينظر : في ظلال القرآن٣٠٧٩/٢٤ .

(٢) نظم الدرر ٧٦/١٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر٧٥/١٧وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص١٦٨ .

(٤) نظم الدرر ٧٦/١٧ .

(٥) ينظر : جامع البيان٦٨/٢٤ .

(٦) ينظر : التفسير الكبير٦١/٢٧ .

(٧) ينظر : نظم الدرر٧٥/١٧ .

إلى صنفين[١] ، والخاص تحقق فيه التبكيت للكافرين من سوء مكافأهم لأهل الإيمان بعدم سماع نصيحتهم[٢] ، وهذا يرشد في المقام الأول إلى ترسيخ مبدأ حسن مقابلة الخير بالخير ، وقبح مقابلة الخير بالإساءة [٣] ؛ "للموازنة بين الدعوتين دعو ة –الرجل المؤمن من آل فرعون– إلى دين الله الذي ثمرته النجاة ، ودعوهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار "[٤] ، فبالوقوف عند براعة النداء بـــ(يا) دلالة جليلة تكشف عما يحيط بالمنادى من غشاء الغفلة ، فتوجب به على المنادى سرعة لزوم ما تقتضيه دلالة النداء ، فكرر نداءهم ؛ إيقاظًا لما هم فيه من دوام الغفلة ، ومبالغة في توبيخهم على سوء صنيعهم[٥] ؛ إيماء إلى شدة التمسك بالطاعات من أجل المحافظة على الإيمان ، وأملًا في الارتقاء بهم في مقامات الإيمان ، فتقرر بالحذف الإعلام بأن جنس الإنسان في خسر ، إلا من اتصف بالإيمان والصلاح[٦] ، وبهذا يوطن المرء نفسه على مقاومة ما ينافي الإيمان من الشرك ؛ كي تصدق النفس في طاعتها ؛ فمن عرف الله حق المعرفة لم يرتب في تأمل صدق دلائل توحيده ، وصدق ما جاء به رسوله ، وصدق ما يدعو إليه الصالحون ، وهذا مبدأ عظيم من مبادئ الإيمان .

*

وكذلك في قول الحق ﷻ : ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴾(غافر:٤٢،ك) ، شبه احتباك "ذكر أولًا عدم العلم دليلًا على العلم ثانيًا ، وثانيًا العزة والمغفرة دليلًا على حذفهما أولًا "[٧] . وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (لم يكن به علم) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني (لم يكن له عزة ولا مغفرة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : تدعونني لأكفر بالله العزيز الغفار وأشرك به ما ليس لي به علم ، وأنا أدعوكم لما لي به علم

---

(١) ينظر : المرجع السابق١٧/١ .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٧/٧٥وما بعدها .

(٤) روح المعاني ٢٤/٧١ .

(٥) ينظر : تفسير البيضاوي٥/٩٤ ، وإرشاد العقل السليم٧/٢٧٧ .

(٦) ينظر : نظم الدرر١٧/٧٥ .

(٧) نظم الدرر ١٧/٧٧ .

إلى العزيز الغفار[١] . وسرّه : أنه ذكر أقبح ما يدعونه إليه وأشرف ما يدعوهم إليه ؛ لينفي عن الشريك أهم الصفات اللازمة للألوهية وأثبتها لنفسه ﷻ . فأبرز التقابل أهمية بذل الجهد في إبلاغ النصح غاية الإبلاغ ؛ ليتحقق المقصد الأعظم من خلق بني الإنسان على أتم وجه وأكمل بيان .

فالنمط التركيبي لصورة الحذف أسهم بشكل فاعل في ترسيخ ناتج أهمية إبلاغ الدعوة السابقة ؛ ليتحقق بها إثبات التوحيد ؛ تنزيهًا للخالق –سبحانه– عن اتخاذ الشريك [٢] . فالأجدى لما عليه السياقان العام والخاص القول بشبه الاحتباك ؛ لما فيهما من إبراز مجامع القهر والعز والعظمة والكبر لله ؛ إذ تضمن العام إثبات معالم العزة الكاملة والعلم الشامل له سبحانه ؛ لأنه لا يقدر على غفران ما يشاء ولمن يشاء إلا كامل العزة ، ولا يعلم جميع الذنوب إلا بالغ العلم [٣] ، والخاص أبرز أعظم دلائل التوحيد من خلال نفي صلاحية غير الله لاستحقاق العبادة ، وهذا يُعلِي من شأن الحذف ويسعى لإظهار حسنه ، فتحقق به إعلام البشر ، خصوصًا الكافرين ،إعلامًا قاطعًا بأن كل ما عداه ليس له من ذاته إلا العدم[٤] . فإن في : ﴿ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ ﴾ إشارة عظمى تشير إلى تحقق بطلان دعوتهم وعدم ثبوتها ؛ لأنها باطلة في أساسها ، فانتفى بالدليل القطعي ما دعوا إليه من الكفر ، وتحقق ما دعاهم إليه ؛ لكونه الحق الواضح المبين ؛ لذا أوثر التعبير بـــ : ﴿ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴾ لما فيه من الإشارة إلى ثبوت دعوته وقوتها [٥] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تمثلت في المعاني الجوهرية المتضمنة بيان المراد– "تدعونني لأشرك بالله في عبادته أوثانًا لست أعلم أنه يصلح لي عبادتها وإشراكها في عبادة الله ؛ لأن الله لم يأذن لي في ذلك بخبر ولا عقل"[٦] ، فثبت إعلامهم بنفي مطلق الفائدة من عبادة غير الله ، وهذا ما تمثل في الركن الأول ، أمّا الثاني فتمثل في إعلامهم بأن مطلق الفائدة تتحقق في عبادة الله

(١) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص١٦٩ .

(٢) ينظر : نظم الدرر١٧/٧٦ .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٧/١ .

(٤) ينظر : المرجع السابق١٧/٧٦ .

(٥) ينظر : المرجع السابق١٧/٧٧ .

(٦) جامع البيان ٢٤/٦٨ .

"أنا أدعوكم إلى عبادة العزيز في انتقامه ممن كفر به ، الذي لا يمنعه إذا انتقم من عدوّ له شيء ، الغفار لمن تاب إليه بعد معصيته "[١] ، -أمّا المعاني الإحسانية فأسهمت في ترسيخ مبدأ الوحدانية في النفوس ؛ حيثُ التنبيه على أن الإله يجب أن يكون كامل القدرة ، لا يعتريه شيء من النقص ، إظهارًا لعجز فرعون وأنه في غاية العجز ، ففي تبصر دلالة التعبير بـــ﴿ **وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ** ﴾ دلالة علية تشير إلى حقارة فرعون ، فكيف يكون إلهًا يستحق العبادة! .

وللحذف أثر بارز في إحداث علائق ربط تدعو البشر إلى المبادرة بالتوبة ، "فلا يجب أن يكونوا آيسين من رحمة الله بسبب إصرارهم على الكفر مدة مديدة ، فإن إله العالم وإن كان عزيزًا لا يغلب ، قادرًا لا يغالب ، لكنه غفار يغفر كفر سبعين سنة بإيمان ساعة واحدة"[٢] ، وهذا أسمى في فهم المراد ؛ لأن في الحذف دعوة إلى إعمال الفكر في التأمل ، فكل من له عقل متزن يدرك حقيقة من يستحق أن يكون إلهًا بمشاهدة آثاره في نفسه وفي الكون ، فآثار الله في الوجود تشهد بتمام وحدانيته .

*

كما أظهر شبه الاحتباك جانبًا من أهم جوانب القدرة الإلهية ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ** ﴾ (الشورى:٥١،ك) ، فـــ"ذكر الوحي الدال على الخفاء أولًا دليلًا على الجهر ثانيًا ، والحجاب ثانيًا دليلًا على الرؤية أولًا "[٣] . وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (برؤية) ؛ لدلالة ذكر ﴿ **مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ** ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (على وجه الجهر) ؛ لدلالة ذكر ﴿**وَحْيًا** ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إلا وحيًا خفيًّا أو برؤية بمنام ، أو من وراء حجاب على وجه الجهر .

"وسرّه أن ترك التصريح بالرؤية والدلالة عليها بالحجاب أولى بسياق العظمة "[٤] .

---

(١) الموضع السابق .

(٢) التفسير الكبير ٦٢/٢٧ .

(٣) نظم الدرر ٣٥٩/١٧ .

العظمة "[١] .

فالصورة التركيبية للحذف أسهمت في إثبات مبدأ جليل من مبادئ العقيدة ، وهو : تحقق القدرة الإلهية في وحي الله لرسله وأنبيائه (عليهم الصلاة والسلام) ؛ إذ جعله – سبحانه– بواسطة في بعض الأحيان عن طريق ملكه جبريل عليه السلام ، وفي أخرى بغير واسطة ؛ ليتحقق أن "الوحي نوعان : صريح وعبارة ، وتلويح وإشارة"[٢] . فالأنفع للسياق والأولى لما يقتضيه المقام القول بالحذف ؛ لما تحقق فيهما من إبراز معالم القدرة ومطلق العلم ، فالسياق العام أوضح "اتصافه –تعالى– بشمول الرحمة بإفاضة جميع النعم على جميع الخلق ، وغاية هذا الاجتماع على الدين "[٣] ، والخاص أظهر "أنه تعالى تام العلم ، شامل القدرة"[٤] ، فثبت بهما إيضاح الغاية العظمى من الحذف ، وهي : إثبات خاصية علم الله المطلق "... أتبعه القسم الآخر الأعلى الذي العلم فيه أظهر ، وهو : الوحي الذي ختمت آيته أول السورة[٥] بالحكمة التي هي سر العلم" [٦] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تمثلت في الركنين المذكورين ، الأول في : جعل الوحي كلامًا خفيًّا بغير واسطة ، فلا يطلع عليه أحد إلا بخارق العادة[٧] وحذف مقابله ، وهو : ما كان جهرًا بغير واسطة ، والثاني : في ذكر من وراء حجاب ؛ لما في ذلك من إبراز مطلق الخفاء المنافي للرؤية ، "ولما كان الحجاب الحسي يخفي ما وراءه عن العيان ، استعير لمطلق الخفاء "[٨] ، وحذف مقابله ، وهو : ما كان على عكسه ، أي : برؤية في منام . ففي الحذف إعلام لليهود الذين قالوا للنبي ﷺ :

---

(١) الموضع السابق .

(٢) المرجع السابق ٢٣٨/١٧ .

(٣) نظم الدرر ٢٣١/١٧ .

(٤) المرجع السابق ٣٥٧/١٧ .

(٥) ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾(الشورى:٣،ك) ، «ولما كان نفوذ الأمر دائرًا على العزة والحكمة قال : ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾أي : الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ الذي يضع ما يصنعه في أتقن محاله ؛ فلأجل ذلك لا يقدر على نقض ما أبرمه ، ولا نقص ما أحكمه » . ينظر : المرجع السابق٢٤٩/١٧وما بعدها .

(٦) المرجع السابق ٣٥٧/١٧ .

(٧) ينظر : المرجع السابق٣٥٨/١٧ .

(٨) المرجع السابق ٣٥٩/١٧ .

ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيًا كما كلمه موسى ونظر إليه ، فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك ، فقال النبي ﷺ : "إِنَّ مُوسَى لَنْ يَنْظُرَ إِلَيْه "(١) ، فثبت بالحذف دفع إيهام رؤية أحد لله(٢) ، فـــ"من قال إن أحدًا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله "(٣) ، فـــ"المحجوب العبد لا الرب ، والحجاب أن يخلق في محل الرؤية ضد الرؤية"(٤) .

ويذهب بعض أهل العلم إلى أن التكلف واضح في حمل النظم على الاحتباك (٥) ، وفيه نظر ؛ لأن فيه إبرازًا لمظاهر العظمة والقدرة ، فتحقق به إعلام البشر بما هو غيب عنهم ؛ ليدفعهم إلى مدارج الطاعات -والله أعلم- .

*

– المبحث الرابع : تحميد الله وتمجيده

المطلب الأول : إثبات صفتي الجلال والإكرام لله .

– القول بالاحتباك.

في قول الحق ﷻ : ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾(الرحمن: ٧٨،م) ، **شبه احتباك** "حذف من الأول متعلق الصفة وهو النقمة للأعداء ، ومن الثاني أثر الإكرام وهو الرحمة للأولياء "(٦) ، فالمحذوف من الطرف الأول (المنتقم من الأعداء أو الانتقام) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (الرحمة للأولياء) ؛ لدلالة ذكر﴿ذِي ٱلۡجَلَٰلِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : تبارك اسم ربك ذو الجلال فهو المنتقم من الأعداء ، والإكرام المفضي لفيض الرحمة للأولياء .

وسرّه أن ذلك أدل على إثبات تمام القدرة ومطلق العظمة ؛ ليعلم البشر أنه جليل في

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٥٣/١٦ .

(٢) ينظر : جامع البيان٥٠/٢٧ .

(٣) الموضع السابق .

(٤) لطائف الإشارات ٣٦٠/٥ .

(٥) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره ، ص٥٨ .

(٦) نظم الدرر ١٩٤/١٩ .

ذاته ، كريم في أفعاله[١] .

فالصورة التركيبية للحذف أسهمت بشكل كبير في إبراز جلائل القدرة ، والعظمة ، والكبرياء لله ، فهو "أهل أن يجل فلا يعصى ، وأن يكرم فيعبد، ويشكر فلا يكفر ، وأن يذكر فلا ينسى"[٢] ، فبتبصر دلالة الحذف يتضح أن القول به في هذا الموضع ذا اعتلاق بالغ جدًا بالسياق العام للسورة ، إذ إن "مقصدها إثبات الاتصاف بعموم الرحمة ترغيبًا في إنعامه وإحسانه ، وترهيبًا من انتقامه بقطع مزيد امتنانه " [٣] ، وهذا يعني عناية فائقة بالحث على تأمل ما في السورة الكريمة من تعدد نعمه على خلقه في الدارين [٤] . فثبت أن الحذف عون على استبصار معاني الرحمة واللطف الإلهي ، فهو لهذا ذو أثر سامي في العناية بالتصعيد في مقام القرب من الله بملازمة دوام الشكر على النعم ، فإن نتاج ذلك الاستبشار بحسن الجزاء ، وجميل اللقاء[٥] ، كما أن في تدبر فاتحة السورة بـــ ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنُ ﴾(الرحمن :١،ك) ، توجيهًا عليًّا يُوجب الوقوف عند استشعار عموم الرحمة منه سبحانه ، فنعمه لا نهاية لها ولا انقضاء[٦] ، وقيل في : ﴿ ذِى ٱلۡجَلَـٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ "كأنه يريد بالاسم الذي افتتح به السورة ، وقد وقد انعطف آخر السورة على أولها على وجه أعم ، فيشمل الإكرام بتعليم القرآن وغيره ، والانتقام بإدخال النيران "[٧] ، وهذا يعضد القول بأن الحذف فيه جملة من لطائف المعاني المثيرة لعزائم أهل الإيمان ، أمّا دلالة السياق الخاص فجاءت على نحو عجيب ناسبت القول بالحذف على نسق شبه الاحتباك ، وأبرز ما فيها دلالة المفاعلة في : ﴿ تَبَـٰرَكَ ﴾ ؛ إذ بها "ثبت ثباتًا لا يسع العقول جمع وصفه ؛ لكونه على صيغه المفاعلة المفيدة لبذل الجهد إذا كانت ممن تمكن منازعته ، وذلك مع اليمن ، والبركة ، والإحسان" [٨] ، كما ناسب هنا " ذكر ما

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٧/١٩٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم،لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ،(بيروت ،دار الفكر ، الطبعة :بدون ، ١٤٠١هـ-١٩٨٠م) ١/١٩٧ .

(٣) نظم الدرر ١٩/١٣٩ .

(٤) ينظر : المرجع السابق١٩/١٤٠ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٧/١٩٣ .

(٦) ينظر : نظم الدرر١٩/١٤٠ .

(٧) المرجع السابق ١٩/١٩٤ . .

(٨) المرجع السابق ١٩/١٤٠ .

اشتق من البركة ، وهي : النمو والزيادة ؛ إذ جاء ذلك عقب ما امتن به على المؤمنين ، وما آتاهم في دار كرامته من الخير وزيادته وديمومته " [١] ، فتحقق بذلك أنه حقيق بالثناء والشكر ؛ وفي هذا تهذيب يعظم في النفوس حب الإقبال على الشكر ، والمحافظة على تلك الطاعة ، كما أن في إيثار التعبير بـ ﴿ رَبِّكَ ﴾ وقعًا جماليًّا يكشف عن لطف الله ، "وفي استحضار الجلالة بعنوان (رب) مضافًا إلى ضمير المخاطب وهو النبي ﷺ إشارة إلى ما في معنى الرب من السيادة المشوبة بالرأفة والتنمية ، وإلى ما في الإضافة من التنويه بشأن المضاف إليه ، وإلى كون النبي ﷺ هو الواسطة في حصول تلك الخيرات للذين خافوا مقام ربهم بما بلغهم النبي ﷺ من الهدى"[٢] .

كما أحدث الحذف علائق ربط بين المعاني أسهمت في المقام الأعلى في إعلام البشر بأحوال الناس ، ليعلموا أن الرحمة من الله للأولياء من السابقين واللاحقين متحققة لا يشوبها أدنى نقص ، والانتقام من الأعداء المشاققين من المصارحين والمنافقين من الثقلين متحققة بمجامع القدرة والعظمة[٣] .

*

المطلب الثاني : «إثبات مطلق الحمد والتسبيح له»

-القول بشبه الاحتباك.

في قول الحق ﷻ : ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾(الروم: ١٧-١٨،م،ك) ، **شبه احتباك** "ذكر التسبيح أولًا دليلًا على إرادته ثانيًا ، والحمد ثانيًا دليلًا على إرادته أولًا "[٤] ، وعلى ذلك فالمحذوف من الطرف الأول (وله الحمد في الصباح والمساء) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وسبحان الله في ذلك كله) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ . وقيل في تقديره :

---

(١) البحر المحيط ١٩٩/٨ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٧٧/٢٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر١٩٥/١٩ .

(٤) المرجع السابق ٦١/١٥ .

"فسبحان الله وله الحمد حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد والتسبيح عشيًا وحين تظهرون" [١] . فالأعلى بمقام الخطاب إحكام صورة التقدير بما يتوافق مع نمط التركيب ؛ لذا فالتقدير : فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في هذين الجنسين ، وله الحمد في السموات والأرض وعشيًا وحين تظهرون ، وسبحان الله في كل ذلك[٢] .
وسرّه : أنه ذكر الأدل على الكمال تنزيهًا عن الشريك ، "وتخصيصُهما بتلكَ الأوقاتِ للدِّلالةِ على أنَّ ما يحدثُ فيها من آياتِ قدُرتِه وأحكامِ رحمتِه ونعمتِه شواهدُ ناطقةٌ بتنزهِه تعالى واستحقاقِه الحمدَ ، وموجبةٌ لتسبيحِه وتحميدِه حتمً ا"[٣] ، "والظاهر أنه أمر عباده بتنزيهه في هذه الأوقات ، لما يتجدد فيها من النعم" [٤] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الحذف أسهمت في ترسيخ مبدأ جليل من مبادئ العقيدة يدعو إلى إثبات مطلق الحمد والتسبيح لله وحده ؛ لكونه الفاعل الحقيقي المستحق لذلك ، وفي تدبر دلالة الخطاب حث جليل يدعو إلى ملازمة تسبيح الله وتحميده كما أمر ؛ إذ أثبت ﷻ التسبيح والتحميد لذاته في جميع الأوقات والأحوال ؛ لكونه أدل على الكمال المستلزم صرف العبادة ؛ تنزيهًا لنفسه المقدسة عن شوائب النقص[٥] ، وبتبصر دلالة الحذف في الآية تتضح علاقة الربط بالسياق العام ؛ لكون السورة بكليتها تدعو في المقام الأول إلى " إثبات الأمر كله لله" [٦] ، فتحققت أعظم خصائص الربط بين الدلالتين ، فصورة شبه الاحتباك تسعى إلى إثبات الكمال ، ونفي شوائب النقصان ، والسياق العام ينبئ عن ذلك المعنى ، من خلال إثبات الوحدانية ، والبعث ، ونصر الأولياء ، وخذلان الأعداء[٧] . أمّا السياق الخاص الخاص فأشد اعتلاقًا بشبه الاحتباك ؛ إذ تضمن أعظم الدلائل الموجبة صرف العبادة لله وحده إجلالًا وتسليمًا ، فتقرر به الكشف عن نزاهة الله للمكذبين ؛ "لأن تكذيبهم به

---

(١) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره ، ص٣٢ .
(٢) ينظر : نظم الدرر١٥/٦٠وما بعدها .
(٣) إرشاد العقل السليم ٧/٥٤وما بعدها .
(٤) البحر المحيط ٧/١٦١ .
(٥) ينظر : نظم الدرر١٥/٥٩ .
(٦) المرجع السابق ١٥/١ .
(٧) ينظر : الموضع السابق .

مستلزم لاعتقاد نقائص كثيرة ، منها : العجز ، وإخلاف الوعد" [١] ، كما تطلب الحذف دقة الوقوف عند إيثار قوله : ﴿حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ ؛ لما احتواه من معانٍ ثرية أبرزت جماله ، فأثبت بالدليل القاطع عِظم النقص الذي يعتري الخلق في هذين الوقتين على سبيل التجدد والاستمرار ؛ ليتحقق لهم أنه منزه عنه ، وكذا ليبصروا ما يتجدد فيها من مظاهر الإنعام والقدرة الدالة على البعث ، فحين تمسون يعتريكم الملل ، ويداخلكم الفتور ، والكسل ، وحين تصبحون تفعلون ما هو –سبحانه– منزه عنه من الحركة والسعي في جلب النفع ودفع الضر [٢] ، كما أبرز التذكير بما يحدث للآدمي من النقص والفتور في ذكر : ﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ ؛ فآثر التعبير بما دل على الدوام ؛ " لأن وقت النوم الدال على النقص أولى بإثبات الكمال فيه " [٣] . فحمل النظم على الحذف عَمَّقَ المقصود في بطلان صفات النقص والعجز عن الله بطريق حذف التقابل الذي أسهم في تعريف المكذبين بحقيقة نزاهة الله ، وأن التسبيح والحمد له ثابت في كل الأزمان والأكوان ؛ لذا كان إثبات صفة الكمال لله أبين وأظهر في النزاهة [٤] . كما أن للحذف أثرًا فاعلاً في نشوء علائق ربط جديدة أضافت إلى أصل النظم معاني من أجلِّها : إعلام المكذبين بفساد عقيدتهم ؛ لتكذيبهم دلائل الحق ، ولإيضاح الدلائل الموجبة تنزيه الله بأفعاله العالية التي لا مطمع لغيره في القدرة على نيل شيء منها [٥] ، كما تحقق إرشاد النفوس النبيلة لدوام ملازمة تسبيحه وتحميده ، فإن في ذلك نفعًا عظيم الشأن عليّ المقدار ، فقد سمى إبراهيم عليه السلام خليله الذي وفى ؛ لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى : ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾[٦] ، فحق على أهل الأرض كلهم أن يسبحوه ويحمدوه ؛ لأن في أمر العباد بالتسبيح والتحميد لطفًا من الله تمثل في حدوث النفع لهم ، وهذا من أجل مراتب الدعوة إلى نمو التصعيد الإيماني .

---

(١) المرجع السابق ١٥/٥٩ .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٥/٦٠ .

(٣) المرجع السابق ١٥/٦١ .

(٤) ينظر : المرجع السابق١٥/٦٠ .

(٥) ينظر : المرجع السابق١٥/٥٩ .

(٦) ينظر : جامع البيان١/٥٢٨ .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾(سبأ:١،ك) ، شبه احتباك "حذف أولًا (وله الحمد في الأولى) ؛ لما دل عليه ثانيًا ، وثانيًا (وله كل ما في الآخرة) ؛ لما دل عليه أولًا " [١] . وعليه جُعل للنظم عدة تأويلات : **الأول** : وأصله : "الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض في الدنيا ، وله ما في الآخرة والحمد فيها"[٢] .

وفيه نظر ؛ لعدم تعادل المذكور والمحذوف من كل طرف .

حيثُ جُعِلَ المذكور في الطرف الأول : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ مقابلًا للمذكور في الطرف الثاني : ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ، والمحذوف من الطرف الأول : (له ما في الدنيا) مقابلاً للمحذوف من الطرف الثاني ، (له ما في الآخرة) . **والثاني** : في جعل التقدير : "الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض في الأولى ، وله كل ما في الآخرة وله الحمد في الآخرة " [٣] ، فكأن في هذا التقدير نوعًا من الركاكة لا يتطلبها مقام العظمة ، فلو جعل **التقدير** : الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، وله الحمد في الأولى ، وله الحمد في الآخرة وكل ما فيها[٤] ؛ لكان أكثرَ دقة في بناء العبارة .

وسرّه أن حذف " فله الحمد في الأولى ؛ لأجل خفائه على أكثر الخلق ، وظهر ما في الآخرة ؛ لظهوره ؛ لأنها دار كشف الغطاء" [٥] .

فالأنفع للسياق والأجدى بالمقام حمل النظم على شبه الاحتباك ؛ لأن الصورة التركيبية له أسهمت بشكل فاعل في إثبات مطلق الحكمة ، ومنتهى القدرة ، وهذا ما انبنى عليه السياق العام للسورة ؛ لأن " مقصودها أن الدار الآخرة كائنة لا ريب فيها ؛ لما في ذلك من الحكمة ، وله عليه من القدرة ، وفي تركها من عدم الحكمة والتصوير بصورة الظلم "[٦] ،

---

(١) نظم الدرر ٤٣١/١٥ .

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي ١٨٨/٧ ، وروح المعاني١٠٣/٢٢ .

(٣) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه ، أسراره ، ص٥٣وما بعدها .

(٤) ينظر : نظم الدرر٤٢٩/١٥وما بعدها بتصرف .

(٥) المرجع السابق ٤٣٠/١٥ .

(٦) المرجع السابق ٤٢٨/١٥ .

فتقرر أن الحمد الكامل والثناء الشامل كله لله [١] ؛ لأن من دلائل شمول قدرته ؛ إذ أقام بعدله الحساب ، ومن عموم رحمته ؛ إذ رتَّب الثواب والعقاب ، ومن جزيل كرمه على أهل التوحيد ؛ إذ منّ عليهم بطاعته[٢] ، فتأكد للبشر عامة "أن الكل ملكه ، وفي ملكه خائفون من عظمته ، مشفقون من قهر سطوته ، وقاهر جبروته ... فله الإحاطة بأوصاف الكمال من الخلق والأمر كله مطلقًا في الأولى والآخرة"[٣] . فالحذف يأخذ بأيدي العباد إلى مدارج النور ، والتقوى ، والصلاح ؛ ليدفعهم إلى بلوغ مرتبة أهل الإحسان في العمل على إيقاع الحمد[٤] كما ينبغي لجلال الله بما له على الجميع من نعم ، فإن في تبصر البدء بـــ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وقعًا بلاغيًّا تشير إليه دلالة التعريف ، فهو مستغرق لجميع المحامد [٥] ، "أقلها نعمة الإيجاد ، حتى أهل النار فإنهم يحمدونه بما يحبب إليهم في الدنيا من إسباغ نعمه ظاهرة وباطنة ، منها : إنزال الكتب ، وإرسال الرسل ، فعلموا أنهم هم المفرطون حيثُ أبوا في الأولى حيثُ ينفع الإيمان ، واعترفوا في الآخرة حيثُ فات الأوان... وأيضًا فهم يحمدونه في الآخرة ؛ لعلمهم أنه لا يعذب أحدًا منهم فوق ما يستحق ، وهو قادر على ذلك ، ولذلك جعل النار طبقات ، ورتبها دركات ، فكانوا في الأولى حامدين على غير وجهه ، فلم ينفعهم حمدهم ؛ لبنائه على غير أساس ، وحمده في الآخرة على وجهه فما أغنى عنهم ؛ لكونها ليست دار العمل ؛ لفوات شرطه ، وهو الإيمان بالغيب"[٦] ، ففي هذا إرشاد عليّ لأصل جليل من أصول الإيمان ، وهو وجوب الإيمان بالغيب ، إلا أن الغاية العظمى تكمن في إثبات أنه "المحمود في الآخرة كما أنه المحمود في الدنيا ، والمالك للآخرة كما أنه المالك

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٤/٢٥٩ .

(٢) ينظر : نظم الدرر١٥/٤٢٨ بتصرف .

(٣) الموضع السابق ١٥/٤٢٨ .

(٤) «أن الحمد تارة يكون بالنظر إلى الحامد ، وتارة بالنظر إلى المحمود ، فالثاني : اتصاف المحمود بالجميل ، والأول : وصف الحامد له بالجميل ، فحمد الله تعالى اتصافه بكل وصف جميل ، وحمد الحامد له وصفه بذلك ، فكل الأكوان ناطقة بألسن أحوالها بحمده ، سواء أنطق لسان القائل بذلك أم لا ، وهو محمود قبل تكوينها » . ينظر : نظم الدرر١٥/٤٣١ .

(٥) ينظر :البحر المحيط ٧/٢٤٧ .وقد يكون المراد : أن جنس الحمد مستحَق لله . ينظر : التحرير والتنوير٢٢/١٣٥ .

(٦) نظم الدرر ١٥/٤٣٠وما بعدها .

للأولى"[١] . وهذا يتحقق في النظم من إيثار تقديم الصلة في : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ؛ "للاختصاص فإن النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لأجلها ولا كذلك نعم الآخرة "[٢] ، وتقديم المجرور في : ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ ؛ لإفادة الحصر ، أي لا حمد في الآخرة إلا له [٣] . كما نتج بالحذف إعلام البشر بأن له – سبحانه– ما يحويه عرشه من سموات وأرضين وما فيها ؛ لأن من المعلوم أن العرش محيط بالكل ، فالكل فيه ، وكل سماء في التي فوقها ، وكذا الأراضي ، فثبت بالدليل القاطع ، والحد الجازم أن له ما في الكل ، فتقرر بذلك في العقول والأذهان وجوب حمده في عاجل الدنيا وآجل الآخرة لأن النعم كلها من قبله لا يشركه فيها أحد من خلقه[٤] ، كما تقرر أنه أنه "محمود في الأزل ؛ لاتصافه بأوصاف الكمال ونعوت الجلال"[٥] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ .لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ (الحديد: ١،٢م) ، شبه احتباك ، ذكر ما في السماوات والأرض أولًا دليلًا على حذف ما فيهما ثانيًا ، وذكر الخافقين ثانيًا دليلًا على حذف مثل ذلك أولًا[٦] . وعلى ذلك فالمحذوف من الطرف الأول (كل أرض ومن فيها وكل سماء ومن فيها) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (ما في السموات والأرض وما فيهما) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ . وقيل تقديره : "سبح لله ما في السموات والأرض ، وله ملك السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم . وله ملك السموات والأرض وما فيهما يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير "[٧] ، ولعل الأكثر إحكامًا لتمثيل صورة شبه الاحتباك جعل التقدير على نحو : سبح لله ما في السموات

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٥٩/١٤ .

(٢) إرشاد العقل السليم ١٢٠/٧ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير٢٢/١٣٦ .

(٤) ينظر : جامع البيان٢٢/٥٩ .

(٥) التفسير الكبير ٢٠٧/٢٥ .

(٦) ينظر : نظم الدرر١٩/٢٥٤ .

(٧) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه – أسراره ، ص٥٥ .

والأرض ، والذي فيهما ، وكل سماء وأرض ومن فيهما ، وما بينهما . له ملك السموات والأرض ، وملك ما فيهما ، وما بينهما ظاهرًا وباطنًا .

وسرّه : "ليكون التسبيح والملك شاملًا للكل"(١) . فتحقق أن حمل النظم على شبه الاحتباك أجدى في الدلالة على ذلك ؛ لأن فيه إشارة عظمى تدل على "أن كلّ ما دونه من خلقه يسبحه تعظيما له ، وإقرارًا بربوبيته ، وإذعاناً لطاعته" (٢) .

فالغرض الأسمى من القول بالحذف تمثل في إبراز جانب جليل من جوانب العقيدة ، وهو : إثبات مطلق التسبيح والملك لله ؛ وهذا الجانب ذو ارتباطٍ بالغٍ بسياق السورة ، فمقصودها "بيان أن عموم الرسالة لعموم الإلهية بالبعث...تحقيقًا لأنه سبحانه مختص بجميع صفات الكمال ، تحقيقًا لتتزهه عن كل شائبة نقص " (٣) ، فثبت أن إلهيته أحاطت بجميع المخلوقات ، فوسعهم جوده في جميع الحركات والسكنات ؛ لذا جاء الحذف ليؤكد بالدليل الواضح ، والبرهان القاطع مطلق التسبيح والتقديس والتتريه لله (٤) ، وكما أن تدبر فاتحة السورة بإيثار المضي بـــ ﴿سَبَّحَ﴾ أثر فاعل في علو دلالة شبه الاحتباك من حيثُ إثبات مجامع الملك والكمال لله ، و"إعلامًا بأن هذه المكونات من لدن إخراجها من العدم ، إلى الوجود ، إلى الأبد ، مسبحة مقدسة لذاته سبحانه وتعالى قولًا ، وفعلًا ، طو عًا ، وكرهًا"(٥) ، وهذه الغاية العظمى التي يسعى الحذف لإبرازها من خلال أوجه التماثل بين طرفي النظم ؛ إذ أصبح في مقابل كل ركن مذكور آخر محذوف يبرز معنى التسبيح والملك ، ويُعمق معنى الحرص على ملازمته ، فقيل في ذلك "جاء في بعض الفواتح﴿سَبَّحَ﴾ على لفظ الماضي ، وفي بعضها على لفظ المضارع ، وذلك إشارة إلى أن كون هذه الأشياء مسبحة غير مختص بوقت دون وقت ، بل هي كانت مسبحة أبدًا في الماضي ، وتكون مسبحة أبدًا في المستقبل ، وذلك لأن كونها مسبحة صفة لازمة لماهياتها ، فيستحيل انفكاك تلك الماهيات عن ذلك التسبيح ، وإنما قلنا : -[أي : الرازي]- إن هذه المسبحية صفة لازمة

---

(١) نظم الدرر ٢٥٤/١٩ .

(٢) جامع البيان ٢١٥/٢٧ .

(٣) نظم الدرر ٢٥٠/١٩ .

(٤) ينظر : المرجع السابق٢٥١/١٩بتصرف .

(٥) روح المعاني ١٦٥/٢٧ .

لماهياتها ، لأن كل ما عدا الواجب ممكن ، وكل ممكن فهو مفتقر إلى الواجب ، وكون الواجب واجباً يقتضي تنزيهه عن كل سوء في الذات ، والصفات ، والأفعال ، والأحكام ، والأسماء ..."[1] . وللحذف أثر بارز في إحداثِ علائقِ ربطٍ أضافت معاني حسانًا من أبرزها : تعريف البشر بملك الله الظاهر ، والباطن ؛ إذ الظاهر متمثل فيما في الكون من أرض مدحية ، وسماء مبنية ، وكواكب ، وأفلاك ، ورياح ، وسحاب ، وغيرها ، والملك الباطن الغائب عنا وهو الملكوت [2] ، "المُلْك مبالغةٌ من المِلْك ، وهو القدرة على الإبداع ، ولا مالكَ إلا الله "[3] ، وكذا "تعريف المنكرين بما جهلوه من صفات الله العليا وأسمائه الحسنى"[4] ، وإلزامهم العمل بما تقتضيه دلالة الخطاب في الآية من التسبيح قولًا وعملًا واعتقادًا ؛ ليكون خالصًا لله وحده ، فهو حق على أهل الأرض كما هو حق على أهل الملأ الأعلى[5] .

*

المطلب الثالث : تنزيه الله عن الشرك .

– القول بالاحتباك.

في قول الحق ﷻ : ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ (الإسراء:٤٠،ك) ، احتباك[6] ؛ لكون المحذوف من الطرف الأول (رضي لنفسه البنات) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (خصكم بالذكور) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ﴾ . وتقديره : "أفأصفاكم بالبنين ورضي لنفسه البنات ، وخصكم في نوعكم الذي هو أضعف ما يكون بالذكور ، واتخذ من الملائكة الذين منهم من يقدر على حمل الأرض وقلب أسفلها على أعلاها إناثً ا في غاية

---

(١) التفسير الكبير ٢٢/٤ .

(٢) ينظر : نظم الدرر١٩/٢٥٤ .

(٣) لطائف الإشارات ٦/٩٩ .

(٤) نظم الدرر ١٩/٢٥٣ .

(٥) ينظر : إرشاد العقل السليم٨/٢٠٣ .

(٦) ينظر : نظم الدرر١١/٤٢٠ .

الرخاوة"[١] . وهذا التقدير أشمل وأدق من غيره [٢] ، في تحقق نسبه الأول إلى الثاني ، والثالث إلى الرابع في الدلالة على المراد .

وسرّه أنه "عبر أولًا بالبنين دون الذكور ؛ لأن اسم الابن ألذ في السمع ، مرضٍ لمن بشر به من غير نظر في العاقبة ، وعبر في الثاني بالإناث لإفهام الرخاوة بمدلول اللفظ"[٣] .

فحمل النظم على الاحتباك أسهم بشكل فاعل في إبراز ركن عليّ من أركان العقيدة ، تمثل في وجوب النهي عن الشرك ، والأمر بالتوحيد ؛ لأنه من أخص صفات الإلهية ، وهذا الركن وثيق الاتصال لما أشارت إليه السورة في سياقها البعيد ؛ إذ إن مقصودها "الإقبال على الله وحده ، وخلع كل ما سواه ؛ لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور ، وتفضيل بعض الخلق على بعض"[٤] ، فثبت أن الاحتباك يسعى في المقام الأول إلى إعلاء ما احتواه السياق العام من إبراز وحدانية الله من خلال إثبات مطلق نزاهته عن الشرك أولًا ، واتخاذ المخلوقين ثانيًا ، أمّا دلالة السياق القريب فهي أشد علقة ؛ لتضمنه جملة من النواهي الإلهية[٥] الدافعة الدافعة إلى الارتقاء في عبادته ، ليُعلِّم البشر أن الجهل في معرفة الخالق سبب لكل سوء ، والشرك أعظم جهل [٦] ، فتحقق بالحذف إظهار شدة جهلهم ، وعِظم خطئهم في نسبة البنين والبنات لله ؛ إذ نسبوا له – ﷻ – أدنى خلقه ، وهم لا يرضونه لأنفسهم [٧] ، كما ثبت بالحذف إرشاد جليل يثقف النفوس إلى مراعاة نعم الله ، فلا يصح في العقل مطلقًا الاعتقاد بأن الولد قسمان ؛ أشرف القسمين البنون ، وأخسهما البنات ، والأعظم من ذلك إثبات البنين لأنفسهم مع علمهم بنهاية عجزهم ونقصهم ، وإثبات البنات لله مع علمهم

---

(١) الموضع السابق

(٢) «أفأصفاكم ربكم بالبنين ورضي لنفسه البنات؟ ، واتخذ من الملائكة إناثًا ، وأصفاكم بالبنين؟» . ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه ، أسراره ، ص٢٣١ .

(٣) نظم الدرر ٤٢٠/١١ .

(٤) المرجع السابق ٢٨٦/١١ .

(٥) ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ...وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾(الإسراء:٣٧-٣٩،ك) .

(٦) ينظر : نظم الدرر ٤١٧/١١ .

(٧) ينظر : جامع البيان ٩٠/١٥ .

بأنه الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له ، والجلال الذي لا غاية له [١] ، فالاحتباك أبرز الدلالة في النهي عن الشرك من خلال الاستفهام في :﴿ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ ﴾ ؛ لينكر على القائلين – بأن الملائكة بنات الله– باطل قولهم [٢] ، كما تقرر معنى الإنكار وازداد تأكدًا في : ﴿ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴾ ؛ لأن بها حصل "تقرير لمعنى الإنكار وبيان له ، أي : تقولون : اتخذ الله الملائكة بنات . وأكد فعل (تقولون) بمصدره تأكيدًا لمعنى الإنكار ، وجَعْله مجرد قول ؛ لأنه لا يعدو أن يكون كلامً ا صدر عن غير روية ، لأنه لو تأمله قائله أدنى تأمل لوجده غير داخل تحت قضايا المقبول عقلًا"[٣] ، وهذا لإبعاد الكافرين عن الشرك حتى لا يتعرضوا لشدة لشدة المجازاة[٤] ، فإن "إبطال عبادة الملائكة بإبطال أصلها في معتقدهم ، وهو أنهم بنات الله ، فإذا تَبَيّنَ بطلان ذلك علموا أن جعلهم الملائكة آلهة يساوي جعلهم الأصنام آلهة"[٥] .
آلهة"[٥] .

ويذهب بعض أهل العلم إلى أن القول بالاحتباك اقتصر على إبراز خاصية الإيجاز [٦] ، وفيه نظر ؛ لأن فيه جليلَ معانٍ أظهرت نزاهة الله في صفاته ، وفوق ذلك هو في بصيرة المتأمل معين يهدف إلى استنباط جواهر الأسرار ولطائف المعاني .

*

ويبرز القول بالاحتباك حال الكفرة من الإنس والجن في افتراء الكذب على الله بنسبة الصاحبة والولد له ، فقال مخبرًا عن ذلك على لسان نفر من الجن الذين يسمعون القرآن : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾(الجن:٥،ك) ، ففي الآية احتباك ، سببه تغاير أوجه القراءة[٧] فــ"فعل التقول أولًا دليل على فعل الكذب ثانياً ، ومصدر الكذب ثانياً دليل على

(١) ينظر : التفسير الكبير٢٠/١٧٢ .
(٢) ينظر : روح المعاني١٥/٨١ .
(٣) التحرير والتنوير ١٥/١٠٨ .
(٤) ينظر : روح المعاني١٥/٨١ .
(٥) التحرير والتنوير ١٥/١٠٧ .
(٦) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه – أسراره ، ص٢٣١ .
(٧) قرأ يعقوب بفتح القاف والواو مشددة : تَقَوَّل . ينظر : النشر في القراءات العشر٢/٢٩٣-١ .

على مصدر التقول أولًا "[١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (قولًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَذِبًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (تكذب) ؛ لدلالة ذكر (تَقَوَّل) في الطرف الأول . وتقديره : وأنا ظننا أن لن تَقَوَّل الإنس والجن على الله قولًا ، وأن تكذب كذبًا .
فالسياق وقرائن الأحوال تدعو إلى حمل النظم على الاحتباك ؛ لما فيهما من لطيف المسالك المنجية من الوقوع في المهالك ؛ إذ سعى الاحتباك في المقام الأول إلى إبطال ما كان يزعمه الزاعمون من اتخاذ الله الصاحبة والولد ؛ لإبعاد البشر عن تصديقهم بدون دليل قاطع [٢] ، وفي تبصر سياق السورة العام تتضح خاصية إرسال الرسل من أجل توجيه المخالفين من أهل الأرض إلى بيان صدق الحق ، وأبرز ما فيها "بيان سيرة الجن في تلقيهم لهذا القرآن بالأخذ إرثًا من أشرف النبيين ، وإلقائهم له بالإبلاغ إلى غيرهم من وارث العلم منهم ؛ ليكون لهم الشرفان : شرف العلم لكمال أنفسهم والتعليم لتكميل غيرهم "[٣] ، فتحقق بالحذف إعلام الخلق عامة أن هذه الدعوة تقتضي الارتقاء بالنفوس في نيل شرف تعلم وتعليم مبادئ
التوحيد من أجل الخلوص من الشرك ، وأن العمل بهذا سمة أهل الإسلام ، والخاص تضمن الإشارة إلى عدم توقع الجن –قبل سماع القرآن– أن تفتري الإنس والجن على الله كذبًا ، "وأنا حسبنا أن لن تقول بنو آدم والجنّ على الله كذبًا من القول "[٤] ، فاعتقدنا أن لا يجترئ يجترئ أحد على أن يكذب على الله ، فينسب إليه الصاحبة والولد ، فلذلك صدقناهم في أن لله صاحبة وولدًا ، حتى سمعنا القرآن وتبينا به الحق ، فتبينا كذبهم [٥] . فتعظم في النفوس إنماء جانب مهم من جوانب العقيدة ، وهو : التأكد من صدق الدليل ، وصحة القول ؛ "إشارة إلى خطر التقليد في العقيدة ، وأنها لا يجوز فيها الأخذ بحسن الظن بالمقلَّد ، بل يتعين النظر واتهام رأي المقلَّد حتى ينهض دليله"[٦] .

وفي تدبر دلالة الاحتباك أثر بارز يأخذ بأيدي العباد إلى حسن سماع الحق والعمل به ؛

---

(١) نظم الدرر ٤٧١/٢٠ .
(٢) ينظر :جامع البيان١٠٧/٢٩ .
(٣) نظم الدرر ٤٦٢/٢٠ .
(٤) جامع البيان ١٠٧/٢٩ .
(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن٩/١٩ .
(٦) التحرير والتنوير ٢٢٤/٢٩ .

ليوقنوا حقيقية صدق الداعين إلى الحق وكذب المعارضين له [١] ، فتحقق بالحذف إيضاح أن التقول لا يكون إلا كذبًا [٢] ، فأصبح الكذب ملازمًا لهم في أقوالهم لا ينفك عنهم ، ففي هذا تحذير من التصديق لمجرد الظن .

*

الفصل الثاني :

أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات الأحكام الشرعية ، والتكاليف الإلهية من حيثُ السياق والصورة وأثره في المتلقي

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن١٩/٩ .

(٢) ينظر : تفسير البيضاوي٥/٣٩٨ .

الفصل الثاني : أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات الأحكام الشرعية ، والتكاليف الإلهية من حيثُ السياق والصورة وأثره في المتلقي .

وقوع الاحتباك في آيات الأحكام الشرعية يبدو قليلًا مقارنة بغيره من آيات العقيدة ، وآيات الترغيب والترهيب ، فقد بلغ عدد مواضعه : (اثنين وعشرين) موضعًا ، ولعلَّ سبب قلة وروده : أن بيان الأحكام التشريعية يتطلب دقةً في التفصيل ، وبيانًا في الإيضاح . فالمعنى الذي أبرزته آيات التكاليف والأحكام تمثل في :

أ – ما يتعلق بالعلاقات الخارجية بالأمم الأخرى .

– تثقيف النفوس بواجبها تجاه أهمية فرض القتال في سبيل الله .

–القول بالاحتباك.

في قول الحق تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: ٢١٧م) ، احتباك[١] ، إذ حذف من الطرف الأول (الصد عن المسجد الحرام) ؛ لدلالة ذكر (الإخراج) في : ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (السؤال عن القتال في المسجد الحرام) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله والمسجد الحرام ، ويسألونك عن المسجد الحرام قتال فيه وإخراج أهله منه أكبر عند الله .

وسرّ ه : "أنّه لما كان القتال في الشهر الحرام قد وقع من المسلمين حين هذا السؤال في سرية عبد الله بن جحش ، أبرز السؤال عنه والجواب ، ولما كان القتال في المسجد الحرام لم يقع بعد ، وسيقع من المسلمين أيضًا عام الفتح [٢] ، طواه وأضمره ، ولما كان الصدّ عن سبيل الله الذي هو البيت ، والكفر الواقع بسببه لم يقع ، وسيقع من الكفار عام

(١) ينظر : نظم الدرر ٢٢٩/٣ .

(٢) وقع في السنة الثامنة من رمضان ، فيها كُسِّرَتْ الأصنام ، وَهُدِمَت العُزَّى . ينظر : الرحيق المختوم –بحث في السيرة النبوية– ، لصفي الرحمن المباركفوري ، (دار المؤيد الإسلامية ، الطبعة : بدون ، ١٤١٧هـ–١٩٩٦م) ، ص٣٥٩ .

الحديبية[1] ، أخفى خبره وقدّره –[ما دل على هذا مذكور في النص القرآني ، وليس مقدرًا ، وهو : ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾]– ، ولما كان الإخراج قد وقع منهم [2] ذكر خبره وأظهره ؛ فأظهر ﷻ ما أبرزه على يد الحدثان ، وأضمر ما أضمره في صدر الزمان ، وصرح بما صرح به لسان الواقع ، ولوح إلى ما لوح إليه صارم الفتح القاطع"[3] .

وحاصل القول فيه من وجهين ، **الأول** : ظاهر في أن القول بالاحتباك **فيه نظر** ؛ لكون ركني الطرف الأول مذكورين معًا ، وهما :﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ ﴾ . **والثاني** : خفي أرشد إليه السياق التنزيلي ؛ إذ نزلت الآية الكريمة في سرية عبدالله بن جحش [4] ، وهذا هو : المقصود بـــ : فأظهر سبحانه ما أبرزه على يد الحدثان ، وأضمر ما أضمره في صدر الزمان ، وصرح بما صرح به لسان الواقع ، ولوح إلى ما لوح إليه صارم الفتح القاطع .

فعند نزول الآية الكريمة قد حصل ما حصل في سرية عبد الله بن جحش من السؤال عن القتال في الشهر الحرام في السنة الثانية ، وكذا الإخراج الذي حصل في خروج الرسول ﷺ في السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية . بخلاف ما حصل في صلح الحديبية من الصد عن المسجد الحرام في السنة السادسة للهجرة ، والسؤال عن القتال في الشهر الحرام في فتح مكة في السنة الثامنة ، فإنه لم يقع وقت نزول الآية .

*

– القول بشبه الاحتباك.

من أبرز الآيات القرآنية التي تناولت الحديث عن الجهاد قول الحق ﷻ : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ

---

(١) وقع في السنة السادسة ، بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ . ينظر : المرجع السابق ، ص٣٠٤ .

(٢) في السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية عندما خرج الرسول ﷺ ، وأبو بكر من مكة مهاجرين إلى المدنية بسبب شدة الأذى . ينظر : المرجع السابق ، ص١٤٧ .

(٣) نظم الدرر ٢٢٩/٣ وما بعدها .

(٤) ينظر : جامع البيان٣٤٩/٢ .

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٦م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ وَعَسَىٰ[1] أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ[2] أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ شبه احتباك اقتضاه السياق القرآني ، فـ"ذكر الخير أولًا دال على **حذفه** ثانيًا ، وذكر الشر ثانيًا دال على **حذفه مثله** أولًا "[3] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (شر لكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (خير لكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ في الطرف الأول ، وتقديره : عسى أن تكرهوا شيئًا لظنكم أنه شرٌ لكم وهو خيرٌ لكم ، وعسى أن تحبوا شيئًا لظنكم أنه خيرٌ لكم ، وهو شرٌ لكم .

ويصح على التقدير السابق أن يكون النظم من قبيل الاحتباك ، ذكر الخير أولًا دال على **ضده** ثانيًا ، وذكر الشر ثانيًا دال على **ضده** أولًا .

وقيل في تقديره : "كتب عليكم القتال وهو كرهٌ لكم ، ومنعتم منه وهو حُبٌّ لكم ، وعسى أن تكرهوا القتال وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوه وهو شر لكم"[4] .

وفيه نظر ؛ حيثُ لا وجه للاحتباك فيما قُدِّرَ ؛ لانعدام الجهة الجامعة بين الأركان من خلال التقدير ، لأن التقدير السابق تضمن أربع فقرات ؛ الأولى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ -مذكورة- ، والثانية : (وهو حب لكم) -محذوفة - ، والثالثة : ﴿ وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ -مذكورة- ، والرابعة : ﴿ وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ -مذكورة- ؛ لذا انتفى القول بالاحتباك على الأصح ، والأولى بالصواب التقدير الأول ؛ لتحقق شرط التقابل بين المحذوف والمذكور من كل طرف .

---

(١) «﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ هنا للإشفاق لا للترجي ، ومجيئها للإشفاق قليل ، وهي هنا تامة لا تحتاج إلى خبر ، ولو كانت ناقصة لكانت مثل قوله : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا ﴾» (محمد:٢٢م) . البحر المحيط٢/١٥٢ .

(٢) «﴿ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ عسى هنا للترجي ، ومجيئها له هو الكثير في لسان العرب ، وقالوا : كل (عسى) في القرآن للتحقيق ، يعنون به الوقوع ، إلاّ قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا وَأَبْكَارًا ... ﴾» (التحريم:٥م) . المرجع السابق٢/١٥٣ .

(٣) نظم الدرر٣/٢٢٢ .

(٤) التحرير والتنوير٢/٣٢١ .

وسرّه أنّه ذكر الأولى للسياق والمناسب للمقام ؛ ترغيبًا في القتال ؛ لما فيه من الخير المتمثل في الظفر ، والغنيمة ، أو الشهادة والجنة ، وترهيبًا من القعود عنه لما يخشى فيه من الشر المتمثل في الذل ، والفقر ، وحرمان الغنيمة والأجر(١) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في توعية النفس الإنسانية بأمر القتال في سبيل الله ؛ تنويهًا إلى أن الخلود إلى الراحة وترك القتال أمر خطير ينبغي تفاديه (٢) ، تواؤمًا مع نظرة الشرع في الحرص على العمل بفرض قتال الكفار ، فهو خير لا شرّ كما يتوهمون ويتوقعون ، فهم يكرهون القتال ، ويحبون القعود (٣) ، ففي تبصر دلالة الخطاب بـ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ ﴾ إشارات عليّة تغرس في النفوس مبدأ لزوم الحرص على بذل النفس من أجل المدافعة عن الدين ؛ لأنه لا راحة لمؤمن صح إيمانه ، واستقامت نيته ، وسلم قلبه إلا في لقاء ربه ، والذي يستدعيه السياق والمقام — هنا — طلب لقائه بالشهادة في الحرب (٤) ، فتحقق بالحذف إرشاد نبيل يُوجب أهمية المدافعة عن الدين ، "فجرى ما شأنه المدافعة بمعنى الكتب "(٥) ، فهي رأس صفات أهل التقوى ، وشعار أهل الإحسان ؛ لقربهم من الله ، "وهو -[أي : القتال]- عند المحبين للقاء الله من أحلى ما تناله أنفسهم حتى كان ينازع الرجل منهم في أن يقف فيقسم على الذي يمسكه أن يدعه والشهادة... " (٦) . فمن خلال تدبر دلالة السياق العام من حيثُ الدعوة إلى الترقي في مراتب الإيمان ، والخاص من حيثُ تحقق الدعوة إلى لزوم القتال ؛ لأن فيه جهاد العدو (٧) العدو(٧) الذي يُعد من أسمى قواعد المحافظة على الدين انكشف أن القول بالحذف في هذا هذا المقام عليّ يُولد جملة من المعاني الإحسانية التي من أبرزها وأعلاها : أهمية لزوم المحافظة على جهاد العدو ؛ حتى يستقيم أمر الدين ، وهذا يتطلب من النفس التحلي

---

(١) ينظر : نظم الدرر ٢٢٢/٣ .

(٢) ينظر : البحر المحيط١٦٢/٢ .

(٣) ينظر : تفسير آيات الأحكام ، تأليف : عبد القادر شيبة ، (الرياض ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)١-٢٢٤/٢ .

(٤) ينظر : نظم الدرر٢١٨/٣بتصرف .

(٥) المرجع السابق ٢١٧/٣وما بعدها .

(٦) تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص٣٨٦ .

(٧) ينظر : نظم الدرر٢١٧/٣ .

بأعلى مقامات الصبر ؛ لما في القتال على المال من المؤدبة ، وعلى النفس من المشقة ، وعلى الروح من الخطر [١] ، "فالمتقاعد له في تقاعده آفات وشر في الدنيا والآخرة ، ليس أن لا ينال خير الجهاد فقط بل وينال شر التقاعد والتخلف "[٢] . وللحذف أثر فاعل في تثقيف النفوس بأمر دينها ؛ لتتعلم حسن المبادرة إلى كل ما يأمرها به وإن شق عليها وصعب ؛ لأنه لا يأتي إلا بخير وهي لا تعلم بذلك ، فالخير متمثل في الدرجة الأولى في العمل بما كتبه الله ، والشر متمثل في تركه [٣] ؛ لذا نفى العلم عنهم بـــ ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

*

وفي موضع آخر يبرز الحذف أهمية لزوم المدافعة عن الدين بالجهاد فيه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(النساء: ٧٤،م) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ شبه احتباك "ذكر القتل أولًا دليل على السلامة ثانيًا ، وذكر الغالبية ثانيًا دليل على المغلوبية أولًا"[٤] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (المغلوبية) ؛ لدلالة ذكر(الغالبية) في ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (السلامة) ؛ لدلالة ذكر(القتل) في ﴿فَيُقْتَلْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل بعد أن يُغْلَب أو يَغْلِبْ فيسلم . وسرّه أنّه ذكر ما اقتضاه السياق لكونه أدل على المقصود ، أو أنّه ذكر مطلق أحوالهم تشريفًا لهم ، وتنويهًا برفعة مترلتهم عند الله ، "وإنّما اقتصر على القتل والغلبة في : ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ ولم يزد أو (يؤسر) إبانة من أن يذكر لهم حالة ذميمة لا يرضاها الله للمؤمنين ، وهي حالة الأسر ؛ فسكت عنها لئلّا يذكرها في معرض الترغيب ، وإن كان للمسلم عليها أجر عظيم أيضًا إذا بذل جهده في الحرب ف غُلب ؛ إذ الحرب لا تخلو من ذلك ، وليس بمأمورٍ أن يلقي بيده إلى التهلكة إذا علم أنّه لا يجدي عنه الاستبسال ، فإنّ من

---

(١) ينظر : المرجع السابق٣/٢٢٠ .

(٢) تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص٣٨٨ .

(٣) ينظر : تأملات في سورة البقرة ، تأليف : حسن محمد باجودة ، (القاهرة ، مكتبة مصر ، الطبعة : بدون ، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م)٣/٢٣٠بتصرف .

(٤) نظم الدرر ٥/٣٢٦وما بعدها .

منافع الإسلام استبقاءَ رجاله لدفاع العدوِّ "[١] . فقدم قوله : ﴿فَيُقْتَلْ﴾ ؛ "لأنها درجةُ شهادة ، وهي أعظم من غيرها ، وثَنَّى بالغَلَبة وهي تشمل نوعين : قتلَ أعداءِ الله ، والظفرَ بالغنيمة ، والأولى أعظمُ من الثانية" [٢] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الحذف أسهمت في حض النفوس على المسارعة لتلبية الأمر الإلهي المقتضي إنفاذ القتال في سبيل الحق والعدل ، لا في سبيل الهوى والطمع [٣] ، دون تركيز النظر على النتيجة الدنيوية ؛ لأنه يدعو إلى السعادة الحقيقية ، والعيش الهانئ الطيب ، فلا تتحقق إلا بتمثل الأمر على أكمل وجه ، ثم التحلي بالصبر الذي هو شعار صلابة الإيمان ، فحمل النظم على الحذف أسمى في فهم المراد ؛ حيثُ الإقبال على مراعاة ما يقتضيه دلالة الأمر من لزوم التكليف والعمل بمقتضاه ، فالسياق العام أرشد إلى أهميه الحرص على العمل بموجب التكاليف عامة ؛ حثًّا للاجتماع على التوحيد [٤] ، والخاص تضمن الترغيب في لزوم العمل بالأمر الكريم ؛ لما تحقق فيه من بروز حسن الأجر الذي هو قصد المجاهد من إقباله[٥] . فالقاعدة الأم تمثلت في المعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ، الأول : الاستشهاد في سبيل الله في :﴿فَيُقْتَلْ﴾ وهذا شرف عظيم بأن يقتل في سبيل الله ، والثاني : الانتصار على الأعداء في : ﴿يَغْلِبْ﴾ وهذه غاية الإسلام من الجهاد ، فبهما تحققت نظرة الشرع المثلى في توجيه المسلم لبلوغ أشرف المراتب ، ونيل أعظم الدرجات ؛ لكونهما غايتين مرسومتين لهدف التطلع إلى الكمال ؛ لأنه دين الكمال في كل شيء[٦] . أمّا المعاني الإحسانية المتمثلة في الركنين المحذوفين ، الأول : في ذكر الهزيمة والأسر في : (يُغْلَب) ، والثاني : في ذكر السلامة من القتل في : (يسلم) ، فإنها تدعو المسلم في المقام الأول لتبصر حقيقة الإسلام ؛ إذ إنه يدعو لشرف القصد ، وارتفاع الهدف ، فليس همّ المسلم في جهاده قتل الأعداء أو الاستحواذ على الغنائم ، بل همّه نصر الإسلام والاستشهاد في سبيل ه ،

---

(١) التحرير والتنوير ١٢٢/٥ .

(٢) الدرر المصون ٣٦/٤ .

(٣) ينظر : المنار٥/٢٥٩ .

(٤) ينظر : نظم الدرر٥/١٦٩ .

(٥) ينظر : المرجع السابق٥/٣٢٦ .

(٦) ينظر : في ظلال القرآن٥/٧٠٨بتصرف .

والظفر بالأجر العظيم ، فدل التعبير بــ ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ على طول عمر المجاهد غالبًا ، وهذا خلافًا لما يتوهمه كثير من الناس ، ففي الإعلام بهذا نعم عِظَام يُوجب في النفوس حب ملازمة العمل في نصرة الإسلام والذود عنه(1) .

*

ب – ما يتعلق بالعلاقة الاجتماعية بالأمة .

– اتباع الشرع في حفظ حق ذوي الأرحام في الميراث .

– القول بشبه الاحتباك.

في قول الحق ﷻ : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ (الأحزاب: ٦م) ، شبه احتباك "أثبت وصف الإيمان أولًا دليلًا على حذفه ثانيًا ، ووصف الهجرة ثانيًا دليلًا على حذف النصرة أولًا "(2) ، فالمحذوف من الطرف الأول (الأنصار) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (المؤمنين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين الأنصار –من غير قرابة مرجحة– ، والمهاجرين المؤمنين –من غير قرابة كذلك–(3) . وسرّه : أن غيرهم أولى بسبب القرابة ؛ فـ"القرب في الرحم أولى من غيره "(4) ، فصارت المواريث لذوي الأرحام ، بعد أن كان التوارث بالهجرة ، والنصرة ، والمؤاخاة(5) . فالأولى والأعلى حمل النظم على شبه الاحتباك ؛ لما فيه من تأصيل مبدأ المحافظة على ملازمة العمل بموجب دلالة الخطاب ؛ إذ إن هذه الآية ناسخة لما في خاتمة سورة الأنفال(6) من التوارث بالهجرة ، والمؤاخاة ، فإن لهم ما لكم ، وعليهم ما

---

(١) ينظر : نظم الدرر٥/٣٢٧ ؛ في ظلال القرآن٥/٧٠٨ بتصرف .

(٢) نظم الدرر ١٥/٢٩٣ .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٥/٢٩٢ .

(٤) المرجع السابق ٨/٣٤٨ .

(٥) ينظر : جامع البيان١٠/٥٢ .

(٦) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم

ما عليكم من المواريث ، والمغانم ، وغيرها[١] .

فالصورة التركيبية للحذف تدعو في مجملها إلى المحافظة على تعاليم الدين بحفظ حق أولي الأرحام من أهل الدين ، وفي تبصر دلالة الخطاب حث على ملازمة العمل باتباع الوحي ؛ لأنَّ في ذلك طاعة لله وتقوى ، إذ أرشد السياق العام إلى مراعاة الحث على الصدق في الإخلاص في التوجه إلى الخالق ؛ لأنه عليم بما يصلحهم ، حكيم فيما يفعله[٢] ، والخاص تضمن "النهي عن التشتت والتشعب "[٣] ، فالذي يهدي إليه السياقان –العام والخاص– يعمق دلالة القول بالحذف ؛ إذ إنهما سعيا إلى إبراز خاصية شدة التمسك بالطاعة في تنفيذ أحكام الله والمحافظة عليها ، فالقاعدة المثلى في "إن أوصيتم فغير الوارثين أولى ، وإن لم توصوا فالوارثون أولى بميراثكم وبما تركتم "[٤] ، فتحقق بالحذف إبراز القاعدة العظمى في أن التوارث يكون بين الأقارب ، وإعلام البشر بذلك نعمة تهدف إلى إنماء التواد والتعاطف في النفوس ، وتقربهم من نيل رضا الله ؛ إذ تمسكوا بموجب حكمه . وللحذف أثر فاعل في إحداث علائق ربط بين المعاني تسعى في المقام الأول إلى التذكير بحق أصحاب أولي الفضل في الميراث من غير قرابة مرجحة ﴿تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ ، فمن المفترض أن يكون المرء أقل كرمًا فيوصي لغير قرابته ، فيصير الموصي له أولى من قريبه ، وكأنه بالوصية قطع الإرث[٥] ؛ لما في ذلك من "تكثير قلتكم ، ونصر ذلتكم ، وجمع شتاتكم ، وجعل ما بينكم من الأخوة كلحمة النسب"[٦] .

*

– بيان العلة الشرعية في زيادة عدد النساء على الرجال في شهادة عقد المداينة .

– القول بشبه الاحتباك:

مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾(الأنفال:٧٢م) .

(١) ينظر : نظم الدرر٨/٣٤٨ .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٥/٢٧٣ .

(٣) المرجع السابق ١٥/٢٩١ .

(٤) التفسير الكبير ٢٥/١٧٠ .

(٥) ينظر : الموضع السابق .

(٦) نظم الدرر ٨/٣٤٩ .

في قول الحق ﷻ : ﴿...أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ[1] إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ...﴾ (البقرة ٢٨٢،م) ، شبه احتباك[2] ، المحذوف من الطرف الأول (فتنسى) لدلالة ذكر ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ ، ومن الطرف الثاني حذف (تهتدي) ؛ لدلالة ذكر ﴿تَضِلَّ﴾ في الطرف الأول ، وتقديره: أن تضل إحداهما فتنسى الشهادة أو شيئًا منها فتذكر إحداهما الأخرى فتهتدي إلى ما ضلت إليه بواسطة الذاكرة

وسرّه : أنه ذكر السبب الأساسي لنقص الضبط فيهن –وهو ضعف حفظهنّ– ، ثم ذكر السبب الأساسي لقبول الشهادة منهنّ –وهو التذكير– "ولما شرط في القيام مقام الواحد من الرجال العدد من النساء ، علله بما يشير إلى نقص الضبط فيهن ، فقال :﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ ، أي : تغيب عنها الشهادة فتنساها أو شيءًا منها : ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ فتهتدي إلى ما ضلت عنه بواسطة الذاكرة ؛ لأنها أعرف بمداخل الضلال عليها"[3] .

فالقول بالحذف يُعد وجهًا من وجوه فهم المراد لم يبرز عند جمهرة المفسرين[4] ؛ فلا ضرورة ضرورة تدعو له ؛ إذ الكلام منتظم في معناه[5] دون تقدير بتلك الطريقة .

---

(١) وجه القراءة : قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : «من الشهداء أن تَضلَّ» ، بفتح «أن» ، «فتُذْكرَ» ، بإسكان الذال ، وفتح الراء . وقرأ حمزة –وحده– : «إنْ تَضِلَّ» بكسر «إنْ» ، «فتُذكِّرُ» بتشديد الكاف ورفع .

وقرأ الباقون : «أن تضِلَّ» بفتح «أن» ، «فتُذَكِّرَ» بالتشديد ونصب الراء . وحجة من قرأ «فتُذْكِرَ» بالتخفيف حكاها الأصمعي عن أبي عمرو ، قال أبو عمرو : إذا شهدت المرأة على شهادة ثم جاءت الأخرى فشهدت معها أذكرتها ، أي : جعلتها ذكرًا ؛ لأنهما تقومان ، يعني : صارت المرأتان كذكر . وحجة التشديد : أنهما لغتان ، وتأويله : فجعل الله المرأتين بإزاء رجل ؛ لضعفهما وضعف حفظهن وتذكرهنّ ؛ ولمزية الرجال على النساء ، وفضل رأيهم إن لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان ، فمتى نسيت إحداهما ذكرتها الأخرى .

ينظر : حجة القراءات ، ص١٥٠وما بعدها ، وإعراب القراءات السبع وعللها١/١٠٤ .

(٢) ينظر : نظم الدرر٤/١٥٥ .

(٣) الموضع السابق .

(٤) ينظر : جامع البيان ٣ / ٤٢١ ، والكشاف١/٤٠٣ ، والمحرر الوجيز ١/٣٨٠ ، والتفسير الكبير ٧/١٠٠ ، والجامع لأحكام القرآن٣ /٣٩٧ وما بعدها ، وتفسير البيضاوي ١/٥٧٩ وما بعدها ، والبحرالمحيط٢/٣٦٥ وما بعدها ، وإرشاد العقل السليم ١/٢٧٠ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٢/٣٤٩ ، و ورح المعاني ٣/٥٨ وما بعدها .

(٥) خلاصة المعنى : قال أبو عبيدة : معنى تضل تنسى ، **[تفسير الضلال بالنسيان لا يتلاءم مع قول الحق ﷻ :** ﴿فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾(طـه:٥٢...) ، **فعطف (ينسى) على (يضل) فدل على تغايرهما]**– والضلال عن الشهادة إنما هو نسيان جزء منها وذكر جزء ، ويبقى المرء حيران بين ذلك ضالًا . ومن نسي الشّهادة جملةً فليس يقال : ضلّ فيها . وموضع الشّرط وجوابه رفعٌ على الصّفة للمرأتين والرجل . ومن فتح

*

– تحقق الأمر بالوفاء في الكيل والميزان حتى يتم استيفاء مجمل الحقوق .

–القول بالاحتباك:

يقول تعالى :﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف:٨٥،ك) ، ففي قول الحق ﷻ:﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾احتباك[(١)] ،فالمحذوف من الطرف الأول (المكيل) ؛ لدلالة ذكر﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الوزن) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلْكَيْلَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "أوفوا الكيل والمكيال والوزن والميزان" [(٢)] .

وسره : أن الحث غالبًا يكون في الكيل لا في المكيال ، وفي الميزان لا في الوزن ؛ لكون الوفاء من جهة المكيال إنما يغفل في الكيل لا في المكيال ، والوزن لا الميزان [(٣)] ، ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيثُ الناتج الدلالي للحذف صورة أخرى[(٤)] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز دلالة الأمر حثًا على امتثال العمل

(أن) فهي مفعولٌ له . والعامل فيها محذوف . وانتصب ، (فتذكر) على قراءة الجماعة عطفًا على الفعل المنصوب بـــ(أن) . وأمّا أن تضلّ–بفتح الهمزة– فهو في موضع المفعول من أجله ، أي : لأن (تضلّ) تتزيل السَّبب –وهو : الإضلال– منزلة المسبّب عنه –وهو : الإذكار– كما ينزّل المُسبِّب منزلة السبب ؛ لالتباسهما واتّصالهما ، فهو كلام محمولٌ على المعنى ؛ لأنه تذكر إحداهما الأخرى إن ضلّت . ولا يجوز أن يكون التقدير مخافة أن تضلّ ؛ لأجل عطف (فتذكر) عليه ، ومعنى الضلال -هنا- : هو عدم الاهتداء للشهادة لنسيانٍ أو غفلة ، ولذلك قوبل بقوله : (فتذكر) وهو من الذكر . فتذكر إحداهما الأخرى ، فتذكّر –بالتشديد– أي : تنبّهها إذا غفلت ونسيت ، وتذكّر يتعدى لمفعولين ، والثاني محذوف : أي : فتذكر إحداهما الأخرى الشهادة . ينظر : جامع البيان٣/٤٢١ ؛ والجامع لأحكام القرآن٣/٣٩٧ وما بعدها ، والبحر المحيط ، ص٣٦٥وما بعدها ، وتأملات في سورة البقرة٣/١٧٤٢وما بعدها .

(١) ينظر : تفسير ابن عرفة ، لوحه(٤٧١) (مخطوط) ، ونظم الدرر٧/٤٦٠ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) ينظر : تفسير ابن عرفة ، لوحه(٤٧١) مخطوط .

(٤) قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(الأنعام : ١٥٢،ك) .

بما يوجبه الخطاب الإلهي ؛ لتتحقق الغاية العظمى من وراء فرضه ، وهي : إعطاء صاحب الحق حقه على أكمل وجه دون زيادة مفرطة أو نقصان مجحف ، ويأخذ صاحب الحق حقه من غير طلب زيادة ، فثبت بالحذف تأكيد الحث على لزوم العمل به في كافة المعاملات ، وفي تبصر دلالة الخطاب في إيراد النهي عن البخس بعد الأمر فائدة عليّة تؤكد حسن الأمر بالإيفاء وتنهى عن النقص لقبحه ، فالسياق العام تضمن إنذار المعرضين عن التوحيد [١] ، والخاص حمل جملة الأوامر والنواهي الدالة على كمال أمر الدين ، الواجب العمل بها تسليمًا لأمره ﷻ ، فأصل المراد –وهو : الدعوة إلى العمل بموجب الأمر في الوفاء بالكيل والوزن– قائم في الركنين المذكورين ، الأول : في ذكر ﴿ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ ﴾ ، والثاني : في ذكر ﴿وَٱلْمِيزَانَ ﴾ ، فمن خلال التركيب العام للاحتباك –أوفوا الكيل والمكيال والوزن والميزان– تحققت أهمية العمل بما يقتضيه الحذف ؛ لكون المعاني الإحسانية الناتجة من ورائه تأخذ بأيدي العباد إلى الترقي في مقام القرب من الله ، قربًا يعظم العمل بالعدل ودفع الظلم ، فيرسخ في النفوس عِظم دلالة الأمر بالوفاء ؛ وذلك بإعطاء الناس حقوقهم تامة ، فإن الاعتدال في الأخذ والعطاء عند البيع والشراء من أهم مبادئ الإيمان التي تحفظ للمشتري حقه[٢] ، ففي إلزام البشر العمل بذلك نعمة عليّة ترشد المؤمنين إلى إكمال إيمانهم بالتزام الشّرائع الفرعيّة ، كما أن فيها تبليغًا لمن لم يؤمن بما يلزمه بعد الإيمان بالله وحده [٣] . فكان للاحتباك أثر بارز في تحقق حسن الوعظ بإثبات نبل الوفاء في الحقوق والمعاملات ؛ فإن تمام العمل بالوفاء فيهما يُعد من أهم الأحكام التشريعية الفرعية المترتبة على كمال التوحيد[٤] .

*

– تحقق النهي عن الوقوع في المن والأذى كي لا تدنس فضائل الأعمال .

–القول بالاحتباك:

يقول تعالى في سياق الترهيب من إحباط الصدقة بالمن والأذى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ

(١) ينظر : نظم الدرر٧/٣٤٧ .

(٢) ينظر : جامع البيان٨/٢٣٧ ، والتحرير والتنوير٨/٢٤٣ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير٨/٢٤١ .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

﴿عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(البقرة : ٢٦٤،م) ، ففي قول الحق ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ ، احتباك[1] ، إذ المحذوف من الطرف الأول (الرياء) ؛ لدلالة ذكر ﴿رِئَآءَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (المن والأذى) ؛ لدلالة ذكر ﴿بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى رئاء الناس كالذي ينفق ماله منًّا وأذى رئاء الناس .

وسرّه أنه ذكر المنّ والأذى في الصدقة ؛ لشدة تعلقه بهما ، والرياء في الإنفاق أيضًا ؛ لشدة تعلقه به ؛ توبيخًا من سوء الصنيع ؛ وزجرًا عن فعله ، "فالرياء يمنع انعقادها سببًا للثواب ، والمن والأذى يبطل الثواب التي كانت سببًا له "[2] ، "فإنّ المنّ والأذى في الصدقة أكثر حُصولًا ؛ لكون الصدقة متعلّقة بأشخاص معيّنين ، بخلاف الإنفاق في سبيل الله ؛ فإن أكثر من تنالهم النفقة لا يعلمهم المنفِق"[3] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية التحذير الشديد من إبطال النفقة وإتباعها بالمن والأذى ، مبالغة في التنفير عن هاتين الرذيلتين وما يقتضيه ولوع الناس بهما[4] في سياق إثبات الأحكام التشريعية الدالة على التوحيد ؛ لوجوب العمل بها ، وهذا ما دعت إليه السورة في المقام الأول ؛ لكونها ترسخ الإيمان الحقيقي ، وتدل على معنى الوحدانية ، فدلالة النهي في خطاب الشرع تهدف إلى التخلي عما يبطل الأعمال ويزيل ثوابها[5] ، وهذا متحقق في الركنين المذكورين : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ **لَا تُبۡطِلُواْ** صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ ، فثبت أن الأصل في تحقق قبول الصدقات : العمل بما يقتضيه النهي من التخلي التام عن نوازع النفس ، وطلب ثواب الله بها باطنًا وظاهرًا [6] ، فاتضح بالحذف أهمية لزوم العمل بدلالة النهي ؛ لأن في ذلك تنبيهًا جليلًا يرشد العباد إلى

---

(١) ينظر : نظم الدرر٤/٨١ .

(٢) التفسير القيم ، ص١٥٢ .

(٣) نظم الدرر ٤/٤٤ .

(٤) ينظر : المنار٣/٦٥ بتصرف يسير .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٣/٣١١ .

(٦) ينظر : جامع البيان٣/٦٤ .

مراعاة التمسك بما تقتضيه التكاليف الإلهية ، والبعد عن صفات أهل الكفر والنفاق في أفعالهم ، فهم لا يفعلون إلا لِيُشكروا بين الناس ، فظاهرهم طلب الثواب ، وباطنهم حمد الناس لهم [(١)] . فتحقق مزيد التنبيه لمن لديهم قابلية الإيمان ؛ لذا جاء النداء بـــ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ﴾ ؛ لما هم فيه من الغفلة ، ثم إرشادهم لما يبطل أعمالهم ؛ لأن الخطاب بـــ : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ دليل على أن المخاطبين ما زالوا في بداية الإيمان ، فجاء التكليف الكريم بما يستطيعون فعله ، ويرتقون به في مقامات القرب من الله .

*

ج – ما يتعلق بالعلاقة الأسرية .

– إرشاد العقل إلى تدبر الحكمة من تحقق المنع من العضل في الإسلام .

–القول بشبه الاحتباك.

في قول الحق ﷻ: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(البقرة:٢٣٢،م) ، شبه احتباك اقتضاه السياق "(طلقتم) يفهم الأزواج من (تعضلوهن) و(تعضلوهن) يفهم الأولياء من (طلقتم)"[(٢)] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فلا تعضلوهن) ؛ لدلالة ذكر ﴿تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (طلقتم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ طَلَّقْتُمُ ﴾ في الطرف الأول ، وتقديره : وإذا طلقتم النساء –أيها الأزواج– لا تعضلوهن ، فلا تعضلوهن –أيها الأولياء– إن طُلقن .

وسرّه أنه ذكر الطلاق أولًا وما يترتب عليه ثانيًا ؛ تحذيرًا من الوقوع في العضل ؛ لما فيه من ظلم للمرأة ، وامتهان كرامتها .

فالغرض الأسمى من القول بالحذف يتجلى في عظمة الخطاب الإلهي المتضمن الحرص على العمل بما يوجبه النهي في ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾[(٣)] ؛ لما فيه من حفظ حق

---

(١) ينظر : الموضع السابق بتصرف .

(٢) نظم الدرر ٣٢٤/٣وما بعدها .

(٣) والعضل هو : «هو أسوأ المنع ، من عضلت الدجاجة إذا نشبت بيضتها فيها حتى تهلك » . تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص٤٠٣ .

المطلقة في الرجعة إلى زوجها بعقد نكاح جديد يوجب لها حقها ويحفظ كرامتها ، فالإيمان يحرم على الأولياء عضل المرأة نهيا عن إيقاع المضرة بها [(١)] ظلمًا وقسرًا لحمية الجاهلية [(٢)] ، وهذا ما كشفته المعاني الجوهرية المتمثلة في الركنين المذكورين ، فالقول بالحذف يرشد إليه السياق التنزيلي [(٣)] ؛ لما فيه من لطيف المعاني الباعثة في النفوس الرحمة واللطف بالنساء ، والساعية إلى صيانة المرأة بحفظ حقها في الشرع ، كما أن في الحذف تثقيفًا للأولياء -جميعًا- ، يرشدهم إلى سماحة الإسلام في الرقي من أخلاق الجاهلية إلى أخلاق الإسلام بفرض النهي ، و"تهويل أمر العضل بأن من حق الأولياء أن لا يحوموا حوله ، وحق الناس كافة أن ينصروا المظلوم "[(٤)] .

أهل العلم على خلاف في مرجع الضمير :﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾[(٥)] ، وقيل : "للأولياء والأزواج . وقيل : الناس كلهم ، والمعنى :لا يوجد فيما بينكم هذا الأمر ،

(١) ينظر : جامع البيان٢/٤٨٤ .

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم١/٢٢٩ .

(٣) سبب النزول . ينظر : جامع البيان٢/٤٨٤ وما بعدها .

(٤) إرشاد العقل السليم١/٢٢٩ .

(٥) ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ ، قيل : نزلت في كل من منع امرأة من نسائه عن النكاح بغيره إذا طلقها ، وقيل : في معقل بن يسار ... ، فعلى **السبب الأوّل** يكون المخاطبون هم الأزواج ، وعلى **السبب الثاني** الأولياء ، **وفيه بُعد** ؛ لأن نسبة الطلاق إليهم هو مجاز بعيد ، وهو أن يكون الأولياء قد تسببوا في الطلاق حتى وقع ، فنسب إليهم الطلاق بهذا الاعتبار ، **ويبعد جدًا** أن يكون الخطاب في : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ﴾ للأزواج ، وفي ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ ، للأولياء ؛ **لتنافي التخاطب** ، **ولتنافر الشرط والجزاء** ، فالأولى ، والذي يناسبه سياق الكلام : أن الخطاب في الشرط والجزاء للأزواج ؛ لأن الخطاب من أوّل الآيات هو مع الأزواج ، ولم يجر للأولياء ذكر ؛ ولأن الآية قبل هذه خطاب مع الأزواج في كيفية معاملة النساء قبل انقضاء العدة ، وهذه الآية خطاب لهم في كيفية معاملتهم معهنّ بعد انقضاء العدّة ، ويكون الأزواج المطلقون قد انتهوا عن العضل ؛ إذ كانوا يفعلون ذلك ظلمًا وقهرًا وحمية الجاهلية ، لا يتركونهنّ يتزوّجن من شأن من الأزواج ، وعلى هذا يكون معنى : ﴿ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ﴾ أي : من يردن أن يتزوّجنه ، فسموا أزواجًا باعتبار ما يؤولون إليه ، وعلى القول بأن الخطاب للأولياء يكون أزواجهن هم المطلقون ، سموا أزواجًا باعتبار ما كانوا عليه ، وإن لم يكونوا بعد انقضاء العدّة أزواجًا حقيقة . ينظر : البحر المحيط٢/٢٢٢٠ .

فإنه إذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا الفاعلين له "[١] ،ومنهم من حمل الآية على الالتفات في كون مرجع الضمير :﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ للأزواج ، ثم التفت إلى الأولياء : ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾[٢] .

*

– إرشاد العقل إلى تدبر الحكمة من تحقق المنع من وطء الحائض .

– القول بالاحتباك.

يكشف الاحتباك عن بيان حكم شرعي يتعلق بالمحافظة على أسمى الحقوق الإنسانية النبيلة بين الزوجين ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٢٢م) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ ﴾ احتباك أساسه تغاير أوجه القراءة في الآية [٣] ، لذا فالمحذوف من الطرف الأول (يتطهرن) ؛ لدلالة ذكر ﴿تَطَهَّرْنَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فإن طهرن) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَطْهُرْنَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "ولا تقربوهن حتى يطهرن ويتطهرن ، فإن طهرن وتطهرن فأتوهن"[٤] .

وسرّه أنه ذكر قاعدة الحكم الشرعي حرصًا على سلامة المسلم الحسية والمعنوية .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في تثقيف النفوس ؛ لمعرفة حد الشرع فيما يجب عليهم تجاه وطء الحائض ، وبيانه متوقف على الجمع بين القراءتين : "فـ(طَـهُرَ) يستعمل فيما لا كسب فيه للإنسان ، وهو : انقطاع دم الحيض . وأمّا (تَطَهَّرْنَ) فيستعمل

---

(١) تفسير البيضاوي ٥٢٢/١ ، والكشاف٣٦٩/١ ، والمحرر الوجيز٣١٠/١ .

(٢) ينظر : البحر المحيط٢٢٢/٢ .

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر : (يَطْهُرْنَ) خفيفةً ، وقرأ عاصمٌ في رواية أبي بكرٍ والمفضلِ ، وحمزةُ والكسائي : (يَطَّهَّرْنَ) مشدَّدَةً . ينظر : الحجة للقراء السبعة –أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد– لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي ، وضع حواشيه وعلق عليه : كامل مصطفى الهنداوي ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م)٤٣٨/١ .

(٤) المترع البديع ، ص١٩٧ .

فيما يكسبه الإنسان ، وهو : الاغتسال بالماء"[1] . فالقول بالاحتباك تضمن معاني لطيفةً جليلةً تدعو في المقام الأول إلى تأصيل مبدأ إرشاد الأزواج ، وتوجيه سلوكهم مع زوجاتهم مدة الحيض[2] ، وقد تبين بهذا الإرشاد والتوجيه سر من أسرار التتريل ، تمثل في وجوب احترام نظرة الشرع والعمل بمقتضاه ، ثم بيان ما ينبغي على الزوج التزامه في حق زوجته وقت حيضها . فبأصل النظم تحققت القاعدة الأم التي ينبغي مراعاتها ، وتمثلت في الركنين المذكورين : ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ ، ولكن المنهج القرآني التربوي الحكيم يرشد إلى الحالة الأمثل ، والمنهج الأقوم ؛ مراعاة للكمال في التطهر ؛ للوصول إلى مرحلة أرفع فيه ، وهي غسل جميع البدن كغسل الجنب[3] ، دون الاقتصار على مكان الأذى[4] . والحاصل من ذلك أنّ رأي الشافعي على قراءة التخفيف يكون مبنيًا على أنّ التقدير في الأصل : (ولا تقربوهن حتى يطهرن ويتطهرن ، فإذا طهرن وتطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله) ، واقتصر في كل من المتقابلين على ذكر أحدهما لدلالة المذكور على المحذوف في كل منهما ، وهذا هو ما تؤيده قراءة التشديد ، فصارت القراءة الثانية مؤيدة لهذا التقدير ، كما يؤيده : ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ . ومذهب الشافعي يميل إلى وجوب الكمال ؛ لما فيه من مراعاة الفطر السامية التي تنفر من الإتيان دون أن تكون الزوجة في أحسن حالتها ، وعلى ذلك معظم فقهاء الأمصار . وعلى أي حال فإن رأي الشافعي قد عمق دلالة الأسلوب على قراءة التخفيف بحيث اشتمل على انقطاع الدم والاغتسال معًا ، واكتفي بذكر واحد في الطرفين ؛ لشمولهما للأمرين ؛ مما يغني عن ذكر المحذوفين اللذين لا يحسن ذكرهما في الأسلوب الفصيح العلي ، وهذا هو ما تعضده قراءة التشديد كما تعضده نهاية الآية ؛ لأنها تبغي الكمال ، ولأن صيغة الأمر من الله تعالى لا تقع إلَّا على الوجه الأكمل... وهكذا أفادتنا قراءة التخفيف فائدة مضاعفة من الحذف الذي يبدو في ظاهره كأنه نقصان ، وهو

---

(١) تفسير آيات الأحكام ١-٢/٢٤٢ .

(٢) ينظر : تأملات في سورة البقرة٣/١٢٧٩ .

(٣) هذا ما أجمع عليه جمهرة من العلماء من أمثال : الإمام مالك ، والشافعي ، والطبري وغيرهم . ينظر : جامع البيان٢/٣٨٥ ، والبحر المحيط٢/١٧٨ ، وتأملات في سورة البقرة٣/١٢٧٦ .

(٤) قال به الإمام ابن حنيفة . ينظر : الموضع السابق .

في الحقيقة غاية التمام وآية الكمال [١] . كما نتج عنه نوعٌ من الإيجاز الدقيق ، وهذا يلحظ بعقد المقارنة بين أصل النظم قبل التقدير : ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ ، وبعده : (ولا تقربوهن حتى يطهرن ويتطهرن ، فإن طهرن وتطهرن فأتوهن) ، وتلمس الفرق بينهما في الذهن إذ يكشف عن مدى كثافة المعنى وعمقه ، كما كشف عن حرص التشريع الإسلامي على تطبيق مبدأ الكمال في كل شيء ؛ لأنه دين الجلال والجمال ، والكمال ، وهذا مقصد من مقاصده[٢] .

*

– إرشاد العقل إلى مراعاة حق الزوجين .

–القول بالاحتباك:

يكشف الاحتباك عن بيان حكم شرعي ، يتعلق بمراعاة حق الزوجين بعضهما تجاه بعض ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَـٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٨،م) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾احتباك اقتضاه السياق ، فالمحذوف من الطرف الأول (عليهم) –أي : (لأزواجهن)– ؛ لدلالة ذكر ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لهم) –أي : (على أزواجهن)– ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَهُنَّ﴾ في الطرف الأول .وتقديره : "ولهن عليهم مثل الذي لهم عليهن" أو : "ولهنّ على أزواجهنّ مثل الذي لأزواجهنّ عليهنّ"[٣] .

وسرّه أنّه ذكر مالهن وما عليهن من حقوق أملًا في الرجعة إلى عصمة الزوج ، ومن جانب آخر فإن "الاعتناء بذكر ما للنساء من الحقوق على الرجال ، وتشبيهه بما للرجال على النساء ؛ لأن حقوق الرجال على النساء مشهورة ، مسلّمة من أقدم عصور البشر ، وأما حقوق النساء فلم تكن مما يلتفت إليه ، أو كانت متهاوناً بها ، وموكولة إلى مقدار حظوة

(١) ينظر : مقال من صور الحذف البليغ٣/١٢٨٠وما بعدها .

(٢) ينظر : تأملات في سورة البقرة٣/١٢٨٠بتصرف .

(٣) البحر المحيط٢/١٨٩ ، والتحرير والتنوير٢/٣٩٦ ، وبلاغة الاحتباك في القرآن الكريم ، ص٢١ .

المرأة عند زوجها ، حتى جاء الإسلام فأقامها "[١] ؛ تذكيرًا بمدى أهميتها ، وتنبيهًا للعمل بها .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إثبات العدل والمساواة في حق كُلٍّ من الزوجين بعضهما تجاه بعض ؛ مراعاةً للعمل بمقتضى الشرع ، وهذا الحكم صِيغ بطريقة في غاية التناسق والترابط في سياق الحديث عن عدة المطلقات وما لهن من أحكام ، خصوصًا عند تفكك عرا الزوجية بينهم ؛ تذكيرًا بما على المرأة من حقوق في فترة التربص [٢] ، لذا أوجز اللفظ مراعاة لحال النفس المتقبلة له . فليس الزواج في الشرع عقد تمليك ؛ وإنما هو عقد يوجب على الزوج حقوقًا للمرأة كما يوجب على المرأة حقوقًا للزوج [٣] ، "ألا إنّ لكم على نسائكم حقاً ، ولنسائكم عليكم حقاً"[٤] .

فالقاعدة الأم لبيان حقوق الزوجين تمكنت في المعاني الجوهرية ، وتمثلت في الركنيين المذكورين ، الأول : في لفظ (عليهن) ، والثاني : في لفظ (لهن) ؛ إذ أفادت إيضاح نظرة الشرع في فرض مبدأ المماثلة في الوجوب ، لا في جنس الفعل[٥] . أمّا المعاني الإضافية فنتج عنها مزيد تأكيد للمعنى عَمَّقَ خاصية الائتلاف بين الزوجيين [٦] ؛ لذا فحمل النظم عليه أكثر دقةً وأكرم عطاءً لبيان المعنى ؛ لأنه يوقظ العقول كي تعمل بموجب الشرع على الدوام ، والآية تعم جميع حقوق الزوجية[٧] .

*

د – ما يتعلق بالعلاقة بالله تعالى

– تحقق الأمر بإقامة الصلاة .

---

(١) التحرير والتنوير٢/٣٩٦ .

(٢) أي : «إمهال وتمكث يتحمل فيه الصبر» . ينظر : تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص٣٩٦ .

(٣) ينظر : تفسير آيات الأحكام١-٢/٢٦٠ .

(٤) أخرجه الترمذي -بنصه- في سننه ، كتاب الرضاع ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ٣ /٤٦٧ ، رقم(١١٦٣) ، وبرقم(٣٠٨٧) ، وقال : «حسن صحيح» .

(٥) أهل العلم من المفسرين اختلفوا في تحديد هذه المماثلة . ينظر : البحر المحيط٢/٢٠٠ .

(٦) ينظر : روح المعاني٤/٢٥٦ .

(٧) ينظر : المحرر الوجيز١/٣٠٥ .

- القول بالاحتباك:

يكشف الاحتباك عن بيان قاعدة شرعية تمثلت في إتمام العبودية لله وحده ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنعام: ٧١-٧٢،ك) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ احتباك تنامى في السياق القرآني "حذف الصلاة أولًا ؛ لدلالة ذكرها ثانيًا ، والإسلام ثانيًا ؛ لدلالة ذكره أولًا "[١] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الصلاة) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الإسلام) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أمرنا لنسلم ونقيم الصلاة لرب العالمين ، وأن أسلموا وأقيموا الصلاة[٢] .

وسرّه أنّه ذكر أعلى مراتب التوحيد تنبيهً ا على أهمية الأمر به ، وأنه سبب السعادة لمن أرادها ، ثم ذكر عماد ذلك ترغيبًا فيه وفي القيام بها على أكمل وجه للوصول إلى تلك السعادة الأبدية .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في ترسيخ مبدأ جليل ، به توثقت عرا الإيمان الكامل في النفوس ، وهو : وجوب الاستسلام لرب العالمين ، فهو وحده الذي يستسلم له العالمون ، والعوالم كلها مستسلمة له ، -فما الذي يجعل الإنسان يشذ عن الاستسلام لهذه الربوبية الشاملة التي تستسلم لها العوالم في السماوات والأرضين ؟[٣] ، وهذا تمثل في علو دلالة الأمر في خطاب الشرع مقترنًا بالأحوال والملابسات التي جاءت قبله وبعده ، وهذه الأحوال لا تظهر إلا بعد مراعاة المقصد الأعظم للسورة ، فهي في المقام الأول دالة على إثبات التوحيد لله وحده بأعظم دلائله [٤] ، ثم على دقة النظر في سياق الآية

---

(١) نظم الدرر٧/١٥٣ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير٧/٣٠٥ .

(٣) ينظر : في ظلال القرآن٧/١١٣٣بتصرف يسير .

(٤) ينظر : التفسير الكبير١٢/١١٧ ، ونظم الدرر٧/١ .

الآية الذي اقتضى إبراز الأمر ؛ ليثبت معناه في نفوس أولئك المشركين الذين أمروا المؤمنين بالانصراف عن دين محمد ﷺ واتباع دينهم ، ولتعمق معناه -أيضًا- في نفوس المؤمنين ؛ لكون المقصود من هذه الآية الرد على عبدة الأصنام[١] .

فالقاعدة الأم لفهم دلالة الأمر تحققت في المعاني الجوهرية ، وتمثلت في الركنين المذكورين ، الأول : الأمر بالإسلام ، والثاني : الأمر بإقامة الصلاة ، فهما كفيلان ببيان أشرف أقسام الهدى "الإسلام الذي هو رئيس الطاعات الروحانية ، والصلاة التي هي رئيسة الطاعات الجسمانية"[٢] ، ولكنْ الحذف على طريق الاحتباك عمق المقصود من خلال الركنين المحذوفين ، الأول : الأمر بالصلاة ، والثاني : الأمر بالإسلام ومقابلتهما بما ذكر ؛ تأكيدًا للمعنى ، وهذا أكرم عطاءً في فهم المراد : أمرنا بأن نوقع الإسلام فنتخلى عن كل هوى ، وأن نقيم الصلاة فنتحلى بفعلها أشرف حلى لرب العالمين ، وأن أسلموا وأقيموا الصلاة لوجهه[٣] ؛ أملًا في الرجوع إلى دين الحق ، وبيانًا لأهمية وجوب الإسلام والصلاة في بناء العقيدة الصحيحة . وللاحتباك -أيضًا- أثرٌ بارز في إحداث علائق ربط جديدة أضافت إلى أصل النظم معانيَ ذاتَ حُسن ، من أجلِّها وألطفها : تثبيت قاعدة التوحيد ، وإثباتها لله وحده .

*

– تحقق الأمر بالاستغفار والتوبة .

– القول بالاحتباك:

يبرز التقابل عظمة الأمر ترغيبًا في الحث على الاستغفار والتوبة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾(النصر:٣،م) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ ، احتباك اقتضاه السياق[٤] ، في الاستغفار طلب غفران

---

(١) ينظر : التفسير الكبير٢٥/١٣ ، والتحرير والتنوير٣٠٣/٧ .

(٢) في ظلال القرآن ١١٣٣/٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر١٥٢/٧ .

(٤) القول بالاحتباك أيده ما ورد في السنة النبوية من حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : «كان رسول اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ : سُبْحَانَكَ اللهم رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللهم اغْفِرْ لي ، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ...» . ينظر : صحيح البخاري ١٩٠٠/٤، ١٩٠١ ، باب تفسير سُورَة : النصر ، حديث رقم : «٤٦٨٤» . وكذا بما في

لما مضى ، وفي التوبة وعد بالاستغفار فيما هو آت ، فـ"دل بالأمر بالاستغفار على الأمر بالتوبة ، وبتعليل الأمر بالتوبة على تعليل الأمر بالاستغفار "(١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (إنه كان غفارًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وتب إليه) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "واستغفره إنه كان غفارًا ، وتب إليه إنه كان توابًا"(٢) .

وسرّه أنه ذكر القاعدة العظمى (الأمر بالاستغفار) ؛ لكونها مفتاح التوبة ترغيبًا ، وللفوز بها ، وامتثالًا لاستجابة أمره ، وتنبيهًا على أن الاستغفار إنما ينفع إذا كان مع التوبة والندم والعزم على عدم العود(٣) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في ترسيخ مبدأ جليل تمثل في علو دلالة الأمر في خطاب الشرع مقترنًا بالأحوال والملابسات التي جاءت قبله وبعده ، وهذه الأحوال لا تظهر إلا بعد مراعاة المقصد الأعظم للسورة ، فهي في المقام الأول "دالة على تمام الدعوة ، وكمال أمر الدين "(٤) ، ثم على دقة النظر في السياق القريب الذي برز في هيبة الأمر وجلالته في أنه ﷺ أُمِرَ بما أُمِرَ به بعد تحقق الوعد ، فرأى ما أخبره به ربه من النصرة ، والدخول في الدين . لذا فدلالة الأمر تحققت في مشروعية الاستغفار بعد تحقق المراد ، "ليحرز لعباده من حفظ أحوالهم ، ورعي أوقاتهم ما يفي بِعَلِيِّ أجورهم كما وعدهم"(٥) ؛ حثًّا على المبادرة لبلوغ أسمى مراتب الكمال ، وهذا فضلٌ خصه الله لأنبيائه ،

صحيح مسلم عن عَائِشَةَ ، قالت : «كان رسول اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ من قَوْلِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إليه ، قالت : فقلت : يا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَاكَ تُكْثِرُ من قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إليه ، فقال: خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً في أُمَّتِي فإذا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ من قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إليه ، فَقَدْ رَأَيْتُهَا» . ينظر : صحيح مسلم٣٥١/١ ، بَاب ما يُقَالُ في الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، حديث رقم : (٤٨٤) .

(١) نظم الدرر٣٢١/٢٢ .

(٢) روح المعاني ٣٣١/٣٠ ، وروح البيان٤٦٠/١٧ .

(٣) ينظر : روح المعاني١٣١/٣٠ .

(٤) تفسير البيضاوي ٥٤٢/٥ ، ونظم الدرر٣١٢/٢٢ .

(٥) نظم الدرر ٣١٥/٢٢ .

عليهم الصلاة والسلام [(١)] ، فمحمد ﷺ لما أن جاءه نصر الله والفتح ، نسي فرحة النصر وانحنى انحناءة الشكر ، وسبح وحمد واستغفر كما لقنه ربه ، ثم إن ذلك الشعور بالنقص والعجز والتقصير والاتجاه إلى الله طلباً للعفو والسماحة والمغفرة ثمرته اعتقاد الكمال في ربه ، وليراقب المنتصرُ اللهَ فيهم ، فهو الذي سلطه عليهم ، وهو العاجز القاصر المقصر . وإنما سلطه الله عليهم ؛ تحقيقاً لأمرٍ يريده هو ، والنصر نصره ، والفتح فتحه ، والدين دينه[(٢)] .

فالقاعدة الأم لفهم دلالة الأمر-لنبي الأمة ﷺ- تحققت في المعاني الجوهرية التي تقوم في النظم ، ويقوم النظم بها ، وتمثلت في الركنيين المذكورين ، الأول : استغفره يا محمد بطلب غفرانه ؛ لتقتدي بك أمتك [(٣)] ، والثاني : في إعلامه أنه ﷻ توّاب على من يفعل ذلك . فهما كفيلان بإيضاح مشروعية الاستغفار الذي هو في الأصل التزام طلب المغفرة بشروط على أتم بيان ، وأكمل وجه ، فتوبة الله على عبده نتيجة توبته [(٤)] . ولكنْ وراء الحذف مقاصد عِظام تحققت في المعاني الإحسانية التي تهتف بالنفوس البشرية لتتطلع وترتقي إلى الكمال ، فتتجرد في لحظة النصر من حظ النفس ليذكر الله وحده[(٥)] ، وهذا أكرم عطاءً في فهمِ المراد ؛ لكون الركنيين المحذوفين أسهما أولًا في تأكيد الأمر-بالاستغفار- بأمر آخر ،

---

(١) مثلًا : نبي الله يوسف عليه السلام في اللحظة التي تم فيها كل شيء ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ (يوسف:١٠٠، ك)-فتوارى الجاه والسلطان وبدأ الابتهال إلى الله ﷻ . نبي الله سليمان عليه السلام رأى عرش ملكة سبأ حاضرًا بين يديه : ﴿قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ... ﴾(النمل:٤٠، ك)- . وهذا هو الأدب الذي اتسمت به النبوة دائمًا ، يريد الله أن ترتفع البشرية إلى آفاقه ، أو تتطلع إلى هذه الآفاق دائمًا . ينظر : في ظلال القرآن٣٩٩٧/٣٠ .

(٢) ينظر : نظم الدرر٣٢٠/٢٢ ، وفي ظلال القرآن٣٩٩٧/٣٠ .

(٣) يقول بعض أهل العلم في تأويل ما يستغفر منه النبي ﷺ في هذه الآيات : «الاستغفار من الزهو الذي قد يساور القلب أو يتدسس إليه من سكرة النصر بعد طول الكفاح ، وفرحة الظفر بعد طول العناء . وهو مدخل يصعب توقيه في القلب البشري . فمن هذا يكون الاستغفار . والاستغفار مما قد يكون ساور القلب أو تدسس إليه في فترة الكفاح الطويل والعناء القاسي ، والشدة الطاغية والكرب الغامر ، من ضيق بالشدة ، واستبطاء لوعد الله بالنصر ، وزلزلة : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾(البقرة:٢١٤،م)- فمن هذا يكون الاستغفار» . في ظلال القرآن٣٩٩٦/٣٠ .

(٤) ينظر : نظم الدرر٣٢٠/٢٢ بتصرف .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن٣٩٩٧/٣٠ بتصرف .

هو : التوبة في (وتب إليه) التي تحقق معناها في :﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ ، وثانيًا في تأكيد علة الأمر بعلة أخرى ،هي :(إنه كان غفارًا) التي تحقق أصلها في الأمر بها في ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ لإبراز سعة الكرم واللطف الإلهي الجميل في طلب الاستغفار والتوبة منه سبحانه وتعالى .

وللاحتباك -أيضًا- أثرٌ بارز في إحداث علائق ربط جديدة أضافت إلى أصل النظم معانيَ ذاتَ حسن ، من أجلِّها وألطفها : تعمق مشروعية الاستغفار والتوبة عند تحقق المراد ، ومع ذلك حافظ التركيب على جماله . وهذا يُعد وجهًا من وجوه فهم المعنى ، اعترض عليه الشهاب الخفاجي قائلًا : "لا وجه لجعله احتباكًا "[(١)] ، وما ذهب إليه الخفاجي فيه نظر ؛ لأنَّ القول بالاحتباك لا يفسد النظم ، وإن لم يقل به جمهرة المفسرين . بل يبرز جليل أثر في النفس وفي المعنى .

ومن أبرز لطائف النظم بجانب الاحتباك : إيثار التعبير بصيغة (فعالًا) في : ﴿تَوَّابَۢا﴾ "دلالة على قبول توبة الخلق منذ خلق المكلفين ، فليكن المستغفر التائب متوقعًا للقبول"[(٢)] ، فهو منظور فيه إلى كثرة من حاز التوبة ، ثم إن "التواب في حق الله تعالى أنه يقبل التوبة كثيرًا ، فيجب على العبد أن يكون إتيانه بالتوبة كثيرًا"[(٣)] ، فهو منظور إلى تعدد عطاء التوبة من الله للعبد الواحد. ثم "اختيار ﴿تَوَّابَۢا﴾ على (غفارًا) مع أنه الذي يستدعيه (استغفره) ظاهرًا ؛ للتنبيه على أن الاستغفار إنما ينفع إذا كان مع التوبة "[(٤)] ، ثم العدول عن مقتضى الظاهر في : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ فمقتضى الظاهر أن يقال : (إنه كان غفّارًا) ، كما في : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ (نوح:١٠، ك) ، فيُجرى الوصف على ما يناسب قوله : ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ ، فعُدل عن ذلك تلطفاً مع النبي ﷺ بأنَّ أمره بالاستغفار ليس مقتضياً إثبات ذنب له[(٥)] ، وفيه بشرى بالعون ؛ لأن في توبة الله على عبده عونًا له في

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوي ٨/٤٠٧ .

(٢) روح المعاني ٣٠/١٣١ .

(٣) التفسير الكبير ٣٢/١٥٠ .

(٤) روح المعاني ٣٠/١٣١ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير٣٠/٥٩٧وما بعدها .

في أيامة المقبلة بالحفظ من المعاصي .

*

– تحقق الأمر بالتبتل والخلوص إلى الله .

– القول بالاحتباك:

يبرز التقابل أهمية الذكر ترغيبًا للإخلاص فيه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾(المزمل:٨،ك) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ احتباك اقتضاه السياق "ذكر فعل (التبتل) دليلًا على حذف مصدره (تبتلًا) ، وذكر مصدر (بَتّل) دليلًا على حذف فعله (يبتلك)"[١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تبتلًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَتَبَتَّلْ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يبتلك) ؛ لدلالة ذكر ﴿ تَبْتِيلًا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "تبتل إليه تبتلاً يبتلك عما سواه تبتيلًا ، والأنسب : يبتلك اسم ربك بفناء صفاتك وأفعالك وتبتل إليه تبتيلًا بفناء ذلك وبقاء ذاته"[٢] .

وسره أنه مبدأ الأمر ومنتهاه ، المتمثل في صيغة التفعل أولًا ، ثم التفعيل ثانيًا .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز دلالة الأمر "بالذكر الخاشع المتبتل"[٣] ، وهيبة هذا الأمر وجلالته تظهر بصورة أكثر دقة بعد مراعاة السياق العام للسورة ، فهي في المقام الأول داعية إلى النهوض بالطاعة وإخلاصها لله رب العالمين ، ثم إلى دقة النظر في السياق القريب المتمثل في الأمر بالتبتل والتبتيل ، فناسب الخطاب حالة الرسول ﷺ ؛ إذ خاطبه ربه بهذا في أول فترات الوحي قبل تبليغ الرسالة [٤] ؛ "إعلامًا بأنه ﷺ ممن ارتضاه من الرسل وخصه بخصائص "[٥] . فكان ذكر الأمر بــ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ أنسب بمقام الخطاب ؛ لأنه يتطلب من النفس الخلوص إلى الله ، والانقطاع في ذلك بالعبادة والذكر كما أمر ﷻ ؛ وللاستعداد لتحمل التكاليف العظيمة الشاقة التي تتطلب الصبر والجلد .

---

(١) نظم الدرر ١٥/٢١ .

(٢) روح البيان ٢٠٧/١٦ .

(٣) في ظلال القرآن ٣٧٤٦/٣٠ .

(٤) ينظر : تفسير البغوي٤٠٦/٤ .

(٥) البحر المحيط ٣٥٢/٨وما بعدها .

فالقاعدة الأم لفهم دلالة الأمر –لنبي الأمة ﷺ– تحققت في المعاني الجوهرية ، وتمثلت في الركنين المذكورين ، الأول : صيغة التفعل في (تبتل) ، والثاني : صيغة التفعيل في (تبتيلًا) ، فبهما يتضح مبدأ جليل ينمي في النفوس مبدأ الإقبال على العمل بموجب الأمر –خصوصًا في خطاب الشرع– وهو البدء بالتدرج شيئًا فشيئًا ، وهذا ناتج من أن كلمة (تبتل) تفيد التدرج في العبادة ، ومصدر الفعل (بتّل)وهو : (تبتيلًا) دال على التكثير ، فآثر القرآن التعبير الأول بصيغة الفعل ، ثم بمصدر فعل آخر ؛ "لتجمع بين التدرج ، والتكلف ، والمبالغة ، والتكثير ، فالتبتّل هو : الانقطاع إلى الله في العبادة ، وقد علّمنا ﷻ أن نبدأ بالتدرج في العبادة شيئًا فشيئًا ، ثم ندخل في التكثير ولا ندخل في العبادة الكثيرة مباشرة ؛ لأن التدرج في العبادة يؤدي إلى الكثرة فيها فيما بعد ، وهذه هي الطريقة التربوية للعبادة تبدأ بالتدرج وتحمل نفسك على العبادة شيئًا فشيئًا ، ثم تنتهي بالتكثير والكثرة في العبادة . والتدرج والتكلف جاء بالصيغة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد ﴿ وَتَبَتَّلْ ﴾ ، ثم جاء بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت ﴿ تَبْتِيلًا ﴾"[1] . وهذا المعنى يتضح في المعاني الإحسانية في الركنيين المذكورين ، الأول : مصدر الفعل (تبتل) ، وهو : (تبتلًا) ، والثاني : الفعل من المصدر (تبتيلًا) وهو : (بتل) ، فهما أسهما في تأكيد الأمر ، وتعمق معناه من خلال الجمع بينهما .

وللاحتباك –أيضًا– أثرٌ بارز في إحداث علائق ربط جديدة أضافت إلى أصل النظم معاني من أجلِّها : تعمق مشروعية الانقطاع إلى العبادة والتدرج فيها ؛ لتصل النفس مراتب الكمال في ذكر الله كما ينبغي .

*

– تحقق الأمر بالدعاء .

– القول بالاحتباك:

من أبرز الآيات القرآنية التي تناولت جانب الأمر بالدعاء ، عبادةً وخضوعًا وتضرعًا ، قول الحق ﷻ : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأعراف :٥٥،ك) ، ففي الآية

(١) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، لفاضل صالح السامرئي ، (دار عمار ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م) ، ص٣٩٤ .

الكريمة احتباك[1] اقتضاه السياق ؛ إذ حذف من الطرف الأول (يحب المخلصين) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (لا تتركوا الإخلاص) ؛ لدلالة ذكر ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : ادعوا ربكم تضرعًا وخفية إنه يحب المخلصين ، ولا تتركوا الإخلاص فتكونوا معتدين إنه لا يحب المعتدين[2] . وسرّه : أنه ذكر الركن الأهم في الدعاء –وهو ملازمة التذلل ظاهرًا وباطنًا ؛ لـــــكونه أدل على صحة اليقين بوحدانية الله [3] ، وأدعى إلى ا لإجابة ، وأبعد عن الرياء[4]– ؛ ليتحقق قبوله ؛ حثًّا على العمل بموجب الأمر .

إن العلاقة الرابطة بين المعاني في صورة الاحتباك ترشد في المقام الأول إلى لزوم العمل بمقتضى الأمر في خطاب الشرع حثًّا على الإخلاص في الدعاء بقلوب خاشعة منكسرة ، تحمل في باطنها وظاهرها كمال التذلل والخضوع لله [5] ، فتحقق بالحذف ترسيخ مبدأ الإخلاص في العبادة ، فشرط الدعاء أن يجمع البشر ، إلى خضوع الظاهر ، خضوع الباطن وفاءً بحق الله عليهم ، "إنه يحب المخلصين ؛ لأن تفرده بأن يدعى هو اللائق بمقام عز الربوبية ، والتذلل على هذه الصفة هو اللائق بمقام ذل العبودية... فالعبد لا يدعو إلا وقد استحضر من نفسه الذل والحاجة ، ومن ربه العلم والقدرة والكفاية ، وهذا هو المقصود من جميع العبادات ، فلهذا كان الدعاء مخ العبادة " [6] ، فالخطاب بـــ : ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ ﴾ خاص بالمسلمين ؛ لأنّه تعليم لأدب دعاء الله تعالى وعبادته [7] ، فدلالة الأمر حققت معنًى جليلًا –أبرزه الحذف– فهو يرشد إلى عدم رفع الصوت في الدعاء فوق الحد الذي حدَّه لعباده في دعائه ومسألته[8] ، "إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا! إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو

---

(١) ينظر : نظم الدرر ٤١٩/٧ .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) ينظر : جامع البيان٢٠٦/٨ .

(٤) ينظر : البحر المحيط٣١٢/٤ .

(٥) ينظر : جامع البيان٢٠٦/٨وما بعدها بتصرف .

(٦) نظم الدرر ٤١٩/٧ .

(٧) ينظر : التحرير والتنوير١٧١/٨ .

(٨) ينظر : جامع البيان٢٠٧/٨ .

معكم"[١] ، فارفقوا بأنفسكم و أقصروا من الصياح في الدعاء [٢] ، فالعمل بما يُوجبه الأمر طاعة لله ﷻ ، بها يحصل صلاح الدنيا وفلاح الآخرة ، فتتخلص الأعمال من الرياء والسمعة[٣] ، فـ"الشريعة مقررة أن السر فيما لم يعترض من أعمال البر أعظم أجرًا من الجهر"[٤] ، فبتأمل وجه الاحتباك واستشعار دلالة الخطاب تتضح خاصية القرب من رحمة الله الموجبة كمال اللطف بتحقق الإجابة [٥] ؛ "لأنّ في لفظ الرّب إشعارًا بتقريب المؤمنين بصلة المربوبية ، وليتوصل بإضافة الرّب إلى ضمير المخاطبين إلى تشريف المؤمنين وعناية الرّب بهم"[٦] .

فالاحتباك كشف بدقة عن أوجه التقابل بين المعاني في دلالاتها الموحية بالمراد ، فثبت أن الركنين المذكورين ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ ، و﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ [٧] ﴾ يلازمهما ركنان آخران محذوفان : (لا تتركوا الإخلاص) ، و(يحب المخلصين) ، وبذلك يبرزان هيبة المعنى ؛ لذا تحقق توجيه البشر إلى مراعاة ملازمة التضرع والخضوع في الدعاء ؛ لأنهما شعار الإخلاص ، والله يحب المخلصين ، "فإن الإخفاء دليل الإخلاص"[٨] ، وتركهما وتركهما فيه خروج عن العمل بالأمر الإلهي ، والله لا يحب المتجاوزين للحد ، فـ"سيكون قوم يعتدون في الدعاء"[٩] ، فيطلبون مالا ينبغي ولا يليق[١] .

---

(١) أخرجه بنصه البخاري في صحيحه ، كتاب : «الدعوات وقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ ، باب : الدعاء إذا علا عقبة ، ٥/٢٣٤٦ ، رقم : (٦٠٢١) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ .

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم٣/٢٣٣ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٧/٢٢٣ .

(٤) الموضع السابق .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير٨/١٧١ .

(٦) الموضع السابق .

(٧) «الاعتداء في الدعاء على وجوه ، منها : الجهر الكثير والصياح ، ومنها : أن يدعو الإنسان في أن تكون له منزلة نبي ، أو يدعو في محال ، ومنها : أن يدعو طالبًا معصية وغير ذلك ، ومنها : أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة... وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء» . الجامع لأحكام القرآن الكريم٧/٢٢٦ .

(٨) ينظر : تفسير البيضاوي٣/٢٧ .

(٩) أخرجه بنصه ابن ماجة في سننه ، كتاب : الدعاء ، باب : كراهية الاعتداء في الدعاء٢/١٢٧١ ، رقم(٣٨٦٤) من حديث ابن عبدالله بن مغفل ﷺ .قال الألباني :«صحيح» .صحيح سنن ابن ماجة ٢/٣٣١ ، رقم :

– القول بشبه الاحتباك:

في موضع آخر يبرز الحذف أهمية الأمر بالدعاء ؛ لكونه أصل العبادات كلها ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾(غافر:٦٠،ك) ، ففيه شبه احتباك "ذكر الدعاء أولًا دليلًا على حذفه ثانيًا ، والعبادة ثانيًا دليلًا على حذفها أولًا"[٢] .وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تعبدوني) ؛ لدلالة ذكر ﴿عِبَادَتِي﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (دعائي) ؛ لدلالة ذكر ﴿ادْعُونِي﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ادعوني بأن تعبدوني وحدي أستجب لكم ما دعوتم به ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي ويُعرضون عن دعائي سيدخلون جهنم داخرين .

وسرّه : أنه ذكر أصل العبادة حثًّا على العمل بمقتضى الأمر مع الإخلاص فيه .

فالقول بالحذف يبرز عظمة الأمر في خطاب الشرع ، ويشير إلى سعة رحمة الله بعباده في استجابة الدعاء وجعله أصل العبادة ، وهذا المقصود يظهر بصورة أدق في تصور المعنى بعد رعاية السياق العام بما يُقرره من إثبات حقيقة الله المتمثلة في أنه لا يقدر على غفران ما يشاء ولمن يشاء إلا كامل العزة وشامل العلم [٣] ، والخاص بما تحقق فيه من إثبات الأمر بالدعاء الذي هو العبادة . فالقيمة الحقيقية تمثلت في علو دلالة الأمر بالدعاء ، ثم في تسميته عبادة ، ثم في الوعد الصادق بالاستجابة ، اعبدوني وأخلصوا لي العبادة أُجِبْ دعاءكم ، فأعفو عنكم وأرحمكم ، وهذا متحقق بالمعاني الجوهرية التي تقوم بالنظم ويقوم النظم بها ،

٣١١٦) .

(١) ينظر : تفسير البيضاوي٣/٢٧ .

(٢) نظم الدرر ١٧/١٠٠ .

يقول ابن عاشور : «فلما جمعت الآية بين الفعلين على تفاوت بين شيوع الإطلاق في كليهما علمنا أن في المعنى المراد ما يشبه الاحتباك بأن صرح بالمعنى المشهور في كلا الفعلين ، ثم أعقب بقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ فعلمنا أن المراد الدعاء والعبادة ، وأن الاستجابة أريد بها قبول الدعاء وحصول أثر العبادة . ففعل ﴿ ادْعُونِي ﴾ مستعمل في معنييه بطريقة عموم المشترك . وفعل ﴿أَسْتَجِبْ﴾ مستعمل في حقيقته ومجازه ، والقرينة ما علمتَ ، وذلك من الإيجاز والكلامِ الجامع» . التحرير والتنوير٢٤/١٨١وما بعدها .

(٣) ينظر : نظم الدرر١٧/١بتصرف يسير .

ولكنَّ في الحذف أسرارًا ، منها : أن في إعلام البشر بما يُوصلهم إلى رضا الله ودخول جناته نعمة عليّة يحسُن مراعاتها والعمل بها ، فالدعاء مأمن من غوائل الدنيا ، به يسعد المرء في حياته ؛ لأن الله أوجب على نفسه أن يُجيب من دعاه وأخلص له في ذلك [١] ، فليعلم المرء أن الدعاء نصف العبادة ، بل العبادة كلها[٢] ، ثم يعمل حريصًا جادًا في أهم المهمات التي أُمِرَ بها أمرًا إلهيًّا مبدؤه صلاحه ، ونهايته فلاحه . وفي الحذف -أيضًا- دعوة تنمي في القلب معرفة الله بواسع فضله وكريم عطفه وجليل لطفه ، فإذا أدرك المرء صفات ربه عرف علو قدره فترك ما يغضبه وعمل على توحيده ، وهذا أجود في فهم المراد ؛ لأن الركنين المحذوفين أسهما في تأكيد هيبة أمر الله "إذ أمرهم بالدعاء ووعدهم الاستجابة ، وليس بينهما شرط"[٣] ، ففي القيام بأمر الله خضوع ، والاستسلام ينفي الشرك[٤] ، فجعل الدعاء عبادة -إنَّ عِبَادَتِي دُعائي - ، واستغفارًا بالإخلاص فيهما تكون الإجابة والعفو والرحمة والغفران[٥] ، وفي هذا بشارة عظمى لبني البشر عامة تعمق في قلوبهم مبدأ القيام بمراعاة حق الله -الدعاء- والإخلاص فيه ؛ لذا آثر التعبير بـ﴿لَكُمْ﴾ في ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ .

*

– تحقق الأمر بالصلاة على النبي ﷺ .

– القول بالاحتباك:

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب:٥٦،م) . ففي قول الحق ﷻ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ ، احتباك "حذف التأكيد أولًا لفعل الصلاة لما دل عليه من التأكيد بمصدر السلام ، وحذف متعلق السلام لدلالة متعلق الصلاة عليه ﷺ ، وليصلح أن يكون عليه وأن يكون له . فيصلح أن تجعل التسليم بمعنى الإذعان "[٦] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تصلية) ؛ لدلالة

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٢٤/٧٨ .

(٢) ينظر : جامع البيان٢٤/٧٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٥/٣٢٧ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير٢٧/٧١ بتصرف يسير .

(٥) ينظر : جامع البيان٢٤/٧٩وما بعدها .

(٦) نظم الدرر ١٥/٤٠٩ .

ذكر ﴿تَسۡلِيمًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يسلمون) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُصَلُّونَ﴾ في الطرف الأول . والأصل"صلوا عليه تصلية ، وسلموا عليه تسليمًا"[١] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك تمثَّلت في علو دلالة الأمر في خطاب الشرع حثًّا على المبادرة بالاستجابة ، والعمل بموجب النداء المتضمن وجوب الأمر بالصلاة والتسليم على نبي الأمة ﷺ ؛ تعظيمًا وتشريفًا له .

فالقاعدة الأم لفقه دلالة الأمر تحققت في المعاني الجوهرية ، وتمثلت في الركنين المذكورين ، الأول : الأمر بالصلاة عليه ﷺ في كل حين عند ذكر اسمه ، والثاني : في الأمر بالسلام عليه ﷺ ، أمّا المعاني الإضافية فقد تمثلت في الركنين المحذوفين ، الأول : في تأكيد وجوب الصلاة في (صلوا عليه تصلية) ، والثاني : في تأكيد متعلق السلام عليه في (سلموا عليه تسليمًا) ، فلم تُضف إلى أصل النظم جديدًا سوى الإيجاز والاختصار ؛ فالقول به – أي : الاحتباك– يُعد وجهًا من وجوه فهم المعنى ليس بالضرورة أن يصار إليه ، وهذا ما أجمع عليه جمهرة من المفسرين ، فالتسليم جاء مؤكدًا بخلاف الصلاة ؛ ليكتمل السلام عليه ، ولم يؤكد الصلاة –بالمصدر– ؛ لأنها كانت مؤكدة بقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾[٢] .

*

– تحقق الأمر بامتثال الإسلام .

–القول بالاحتباك:

في قوله تعالى : ﴿۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾(الحجرات: ١٤م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ احتباك "نفي الإيمان الشرعي أولًا يدل على إثبات الإسلام اللغوي ثانياً ، والأمر بالقول بالإسلام ثانياً يدل على النهي عن القول بالإيمان

(١) روح المعاني ٨٠/٢٢ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير١٩٧/٢٥ .

أولًا"[١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (لا تقولوا آمنا) ؛ لدلالة ذكر ﴿قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ولكن أسلمتم) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "قل لم تؤمنوا ، فلا تقولوا آمنا ، ولكن أسلمتم ، فقولوا أسلمنا"[٢] .

وسرّه أنه ذكر ما دل على الباطن أولًا ؛ ثم ما دل على الظاهر ثانيًا ؛ لكونهما أحق برعاية السياق والمقام . فالمقام يستدعي كشف حقيقة أولئك الأعراب الذين أظهروا إيمانهم وهم ليسوا بمؤمنين ؛ لأنهم صدقوا بألسنتهم و لم يصدقوا بفعلهم ؛ لذا أمروا بأن يقولوا : ﴿قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ فالإسلام قول ، والإيمان قول وفعل[٣] ، ثم إن إطلاق مسمى الأعراب عليهم أولى بمقام التذكير والحث على أنهم قبلوا ما جاء به الرسول خوفًا على أنفسهم –وهذه صفة المنافقين– ، فلم يسموا مهاجرين كما يريدون [٤] ، والسياق يرشد إلى تذكيرهم حقيقة ما هم عليه من انتحال الإيمان بمجرد الكلام دون العمل [٥] ، وبهذا الأمر يتضح لهم أن الإيمان أخص من الإسلام في علو الرتبة .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في تأصيل مبدأ الدخول الحقيقي في الدين ، وهذا تمثل في دلالة النهي والأمر في خطاب الشرع ، فدلالة النهي والأمر تبرز بصورة أكثر دقة بعد مراعاة المقصد الأعظم للسورة ، فهي في المقام الأول تقدم أصولًا وتوجيهات تربوية داعية لامتثال القيم والآداب ؛ لكونها الأس الجامع في تعلم تلك الآداب ، ومِن ثَم التمرن عليها[٦] ، ثم على دقة النظر في السياق القريب الذي اقتضى إبراز الأمر و النهي ، أولًا في : ﴿قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ﴾ ، ثم في الاستدراك بـــ : ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ .

فالقاعدة الأم لفهم دلالة النهي والأمر –لهؤلاء الأعراب– تحققت في المعاني الجوهرية ،

---

(١) نظم الدرر ٣٨٦/١٨ .

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي ٨٢/٨ ، وروح المعاني١٦٨/٢٨ .

(٣) ينظر : جامع البيان١٤١/٢٦ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٣٤٨/١٦ .

(٥) ينظر : الموضع السابق .

(٦) ينظر : جامع البيان ١٤١/٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن الكريم ٣٤٨/١٦ ، والبحر المحيط ١١٦/٨ ، ونظم الدرر٣٤٩/١٨ بتصرف .

وتمثلت في الركنين المذكورين ، الأول : نهيهم عن القول بأنهم مؤمنون ، والثاني : في أمرهم بالقول بأنهم مسلمون ، فهما كفيلان بإيضاح علة النهي عن ادعاء الإيمان ، والأمر بما أظهروه من الإسلام ؛ لأن شطر الدخول في الدين الإيمان الذي محله القلب ، أمّا إظهار الشهادتين فدليله الإسلام ، ومحله اللسان ، "فدل على أن الإيمان ليس الإسلام ، فإن الإيمان باطن ، والإسلام ظاهر"[١] . ولكن الحذف جارٍ على مقتضى الظاهر ؛ لتحصل المقابلة بين أطراف القول[٢] ، فالركن الأول : (لا تقولوا آمنا) ، والركن الثاني : (ولكن أسلمتم) .

ويذهب بعض أهل العلم إلى أن ترك هذا الوجه من الحذف أبلغ [٣] ؛ لما تحقق في أصل النظم من مزايا ، "فإنهم ادعوا الإيمان فنفي عنهم ، ثم استدرك عليه فقال : ادعوا ادعاء الإيمان وادعوا الإسلام ؛ فإنه ينبغي أن يصدر عنكم ما فيه ، فنفيُ الإيمان أثبت لهم قول الإسلام دون الاتصاف به ، وهو أبلغ مما ذكر من الاحتباك ، مع سلامته من الحذف بلا قرينة"[٤] . و"كذا فإنه عدل عن الظاهر اكتفاء بحصولها من حيث المعنى ، مع إدماج فوائد زوائد ، بيان ذلك أن الغرض المسوق له الكلام توبيخ هؤلاء في مَنِّهم بإيمانهم بأنهم خلوا عنه أولًا ، وبأنهم الممتنون إن صدقوا ثانياً ، فالأصل في الإرشاد إلى جوابهم : قل كذبتم ، ولكن أخرج إلى ما هو عليه المترل ؛ ليفيد عدم المكافحة بنسبة الكذب ، وفيه حمل له ﷺ على الأدب في شأن الكل ؛ ليصير ملكة لأتباعه ، وأن لا يلبسوا جلد النمر لمن يخاطبهم به ، وتلخيص ما كذبوا فيه .ومن الدليل على أنه الأصل قوله :﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ (الحجرات:١٥،م) ، تعريضاً بأن الكذب منحصر فيهم ، **وأوثر على** : لا تقولوا آمنا ؛ لاستهجان ذلك ، لاسيما من النبي ﷺ المبعوث للدعوة إلى الإيمان ، **على أن إفادة** ﴿لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ﴾ لمعنى (كذبتم) أظهر من إفادة : لا تقولوا آمنا كما لا يخفى ، ثم قوبل بقوله : ﴿ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ كأنه قيل : قل لم تؤمنوا ، فلا تكذبوا ، ولكن قولوا أسلمنا ؛ لتفوزوا بالصدق إن فاتكم الإيمان والتصديق ، **ولو قيل** : ولكن أسلمتم ، لم يؤدِّ هذا المعنى ، وفيه تلويح بأن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٤٣/٢ .

(٢) ينظر : روح المعاني١٦٧/٢٦ .

(٣) ينظر : تفسير البيضاوي٢٢٠/٥ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي٨٢/٨ .

(٤) الموضع السابق .

إسلامهم -وهو خلو عن التصديق- غير معتدّ به ، **ولو قيل** : ولكن أسلمتم ، لكان ذلك موهمًا أن ذلك معتدّ به ، والمطلوب كماله بالإيمان ، ولا يحتاج هذا إلى أن يقال : القول في المترل مستعمل في معنى الزعم" [(١)] ؛ لذا يستحسن حمل النظم على أصله دون تقدير.

*

- تحقق الأمر ببيان حكم الحج .

-القول بالاحتباك:

كشف الاحتباك عن بيان حكم شرعي يتعلق بالركن الخامس من أركان الإسلام ، وهو أداء فريضة الحج ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران: ٩٧م) . ففي قول الحق ﷻ:﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ ﴾ احتباك "لأن إثبات فرضه أولًا يدلُّ على كفر من أباه ، وإثبات (ومن كفر) ثانياً يدلُّ على إيمان من حجه " [(٢)] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (كان مؤمنًا) ؛ لدلالة ذكر﴿وَمَن كَفَرَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ومن لم يحج مع الاستطاعة) ؛ لدلالة ذكر﴿حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ ﴾ من الطرف الأول . وتقديره : ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا ، فمن حج كان مؤمنًا ، ومن لم يحج مع الاستطاعة كفر بالنعمة ، أو كان كافرًا -بدليل سبب الترول- ، فلما نزلت آية الحج ، جَمع رسول الله ﷺ أهلَ الأديان كلَّهم ، فقال : يا أيها الناس ، إن الله ﷻ كتب عليكم الحج فحجُّوا ، فآمنتْ به ملة واحدة ، وهي من صدّق النبيّ ﷺ وآمن به ، وكفرَتْ به خمس ملل ، قالوا : لا نؤمن به ، ولا نصلي إليه ، ولا نستقبله[(٣)] . فأنزل الله : ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ، ومن جهة أخرى تكشف أن المراد بقوله : ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ ، أي : كفر بالله ، أنه أوجب تعالى الحج ، ثم أتبعه بــ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ، فهم منه أن هذا الكفر هو ترك ما تقدم -الحج مع الاستطاعة- ، فالغرض التنفير من ترك فريضة الحج ، والتغليظ على المستطيعين ؛ حتى يؤدوها[(٤)] . وسرّه أنه ذكر الحكم

---

(١) روح المعاني ١٦٧/٢٦ .

(٢) نظم الدرر١٠/٥ .

(٣) هي : ملة مشركي العرب ، واليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والصابئين . ينظر : جامع البيان٢٠/٤ .

(٤) ينظر : تفسير آيات الأحكام١-٣٣٢/٢وما بعدها .

الشرعي ترغيبًا فيه ، وما يترتب على تاركه ترهيبًا منه .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز حكم الحج وما يترتب على فعله ، وتركه إذا حصل شطره ، وهو : (الاستطاعة) ؛ لِتُقبلَ النفوس على العمل بمقتضاه ؛ لذا فحمل النظم عليه عمق الدلالة على المقصود من خلال صورة التقابل التي تمثلت في فرض الحكم الشرعي ، ثم الإشادة بنتيجة العمل به –الإيمان والكفر– ، خصوصًا وأن السياق سياق تذكيرٍ متضمنٍ وعيدًا عامًّا لكل من كفر بالله[1] ، والمقام لمن لم يعمل بمقتضى التشريع عامة .

فالقاعدة الأم لحكم الحج تحققت في المعاني الجوهرية ، وتمثلت في الركنين المذكورين ، الأول : لله على الناس حج البيت من استطاع ، والثاني : ومن كفر ، فهما كفيلان ببيان مشروعية الحج في الإسلام ؛ لما لهما من عِظَمِ الأهمية التي بها اتضح وجوب الحج مع الاستطاعة ، وكما أن في التصريح بـ ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ قاعدة –أخرى– كشفت نتيجة ترك العمل بالحج مع توفر شطره ، فهذان الركنان شطر في فهم النظم لا يمكن حذفهما . أمّا الركنان الآخران فهما بمثابة التكميل لبيان حكم الحج ، اللذان استغنى عنهما النظم من جهة ، ومن جهة أخرى يفهمان من الركنين الجوهريين ؛ لما بينهما من علائق التقابل ؛ حيثُ إن الأول : (الحج مع الاستطاعة) لا بدَّ أن يقابله ضده : (ترك الحج مع الاستطاعة) ، والنتيجة في الثاني (كفر من أبى الحج) قابلها ضدها (إيمان من حج) .

*

– تحقق الأمر بتعيين شهر الصيام .

–القول بالاحتباك:

يكشف الاحتباك عن بيان حكم شرعي يتعلق بالركن الرابع من أركان الإسلام ، وهو : أداء فريضة الصيام ، وذلك في قوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(البقرة: ١٨٥،م) .احتباك "ذكر الشهود أولًا يدل على عدمه ثانيًا ،

---

(١) الموضع السابق .

وذكر الإكمال لأجل الغمام ثانيً ا يدل على الصحو أولًا "[١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الصحو) ؛ لدلالة ذكر (الإكمال لأجل الغمام) ﴿وَلِتُكْمِلُواْ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف الناتج عن الغمام هو (عدم الرؤية للهلال) ؛ لدلالة ذكر : (الرؤية) ، ﴿شَهِدَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فمن شهد منكم الهلال برؤية بينة لوجود الصحو فليصمه ، وإن لم تشهدوا الهلال لوجود الغمام فلتكملوا العدة .

وقيل :"تقديره : لتوفوا الصوم بالرؤية ، ولتكملوا إن عُمِّيَ عليكم ، ففي هذا الخطاب تعادل ذكر الصحو في الابتداء بقوله (شهد) ، وذكر الغيم في الانتهاء بالإكمال" [٢] . وسرّه أنّه ذكر الركن الأساسي لمعرفة بداية الصيام لزوال الإبهام .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في بيان حكم شرعي يترتب عليه معرفة بداية دخول الشهر ؛ للشروع في بدء شهر الصيام ؛ وذلك لتثقيف النفس الإنسانية تجاه مراعاة تطبيق الحكم وتحري الرؤية ، وأن الصيام لا يجب إلا برؤية هلاله : "الشهر تسع وعشرون ، ولا تصوموا حتى تروه ، ولا تفطروا حتى تروه ، فإن غُمَّ عليكم فاقدروا له"[٣] . فالصيام متوقف على رؤية الهلال ، وهذا ما كشفته حركة الاحتباك في النص القرآني ، حيثُ احتوى أصل النظم على المعاني الجوهرية التي أفادت بيان معرفة بدء الشهر الكريم ، وهي رؤية الهلال ، وإن لم يتعين فالإكمال ، فبهما (الرؤية ، والإكمال) يصح تحديد زمن الصيام ، أمّا ما حققه من المعاني الإضافية ، فليس بالضرورة إبرازه ا ؛ لكونها مستخلصة من فهم تلك المعاني الجوهرية ، بمعنى : أنَّ صيام الشهر لا يتعين شرعًا وعرفًا إلَّا بظهور هلاله ، وهذا يكون في الصحو ، فإن غُمَّ لوجود الغمام فليكملوا الشهر ثلاثين .

فالناتج عن القول بالاحتباك أحدث تجلية للترابط وانسجامًا يظهر في ربط المعاني الجوهرية : (الرؤية ، والإكمال) ، بالمعاني الإضافية : (الصحو ، والغمام) ، من خلال أوجه التقابل بينهما ، كما نتج عن القول به نوع من الإيجاز الدقيق ، وهذا يلحظ بعقد

---

(١) نظم الدرر٣/٦٤ .

(٢) تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص٣٤٤ ، ونظم الدرر٣/٦٣ .

(٣) أخرجه بنحوه مسلم في صحيحه ، كتاب الصيام ، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ، والفطر لرؤية الهلال ، وأنه إذا غم في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يومًا ٢/٧٦٠ ، رقم (١٠٨٠) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

المقارنة بين أصل النظم : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ... وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ ﴾ وبعده : فمن شهد منكم الهلال برؤية بينة لوجود الصحو فليصمه ، وإن لم تشهدوا الهلال لوجود الغمام فلتكملوا العدة ، وتلمس الفرق بينهما يكشف عن روعة القرآن في بيان مقاصده .

*

– تحقق الأمر بلزوم الشروط وتقيد الالتزام بها .

– القول بشبه الاحتباك:

في قول الحق ﷻ : ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾(الكهف :٧٨،ك) ، شبه احتباك ، فالمحذوف من الطرف الأول (بينك) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَبَيْنِكَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (بيني) ؛ لدلالة ذكر﴿ بَيْنِي ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : "فراق بيني من بينك كما أجبرت ، وفراق بينك من بيني كما اشترطت"[(١)] .

وسرّه : أن ذكر حقيقة الفراق بلفظين أعمق في إبراز دلالتها ؛ وأدل على تحققها . فالمقام يتطلب إبراز ذلك الفراق ؛ حتى يتبصر المرء ما تؤول إليه عاقبة أفعاله التي يفعلها ، إذ لم يستطع تَرك المسألة عنها ، والصبر على نكير ما فيها[(٢)] .

فالقول بالحذف يشكل أثرًا فاعلًا في تأكيد حقيقة الفراق بين الخضر وموسى عليه السلام[(٣)] ، ليَعلم موسى عليه السلام أنه وقع منه بسبب السؤال : ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾(الكهف: ٧٧،ك) ، "فبعد أن كان البينان بينًا واحدًا لاتصالهما فلا بين ، فهو في الحقيقة فوق ما كان متصلًا من بينهما"[(٤)] . فحصل تحقق شرط الفراق ، وهو : ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾(الكهف : ٧٦،ك) . فأصل المراد متحقق في المعاني الجوهرية المتضمنة أن الخضر عامل موسى عليه السلام بقوله ، فلم يصبر موسى معه في تَرْكِ السؤال ، و لم يصبر الخضرُ –أيضاً– معه في إدامة الصحبة ، فاختار الفراق[(٥)] .

---

(١) نظم الدرر ١١٧/١٢ .

(٢) ينظر : جامع البيان١٥/٢٩١ .

(٣) ينظر : نظم الدرر في١٢/١١٧ .

(٤) الموضع السابق .

(٥) ينظر : لطائف الإشارات٤/٥٨ .

فالقول بشبه الاحتباك ذو اعتلاق بالغ بالسياق العام للسورة ؛ لأنها في المقام الأول تدعو إلى الاجتهاد في إقامة التوحيد وإبطال الشرك ، وهذا يتطلب لا محالة ملازمة الصبر على تحمل معاناة الدعوة ؛ إذ إن الظروف لا تساير الظاهر دائمًا ، بل ربما يكون الأمر خلاف ما يُقدر له ، وهذا ما أنتجه الحذف من أن موسى كان يظن أنه قادر على مرافقة الخضر ، غير أن الظروف على عكس ما كان ظاهرًا له ، فلم يكن متوقعًا للفراق ، إلَّا أنَّ عدم ملازمة الصبر أجبرته عليه ، فما أشكل ظاهره على موسى ، أظهر الله للخضر باطنه[1] ، "وهذا العالم ما كانت أحكامه مبنية على ظواهر الأمور بل كانت مبنية على الأسباب الحقيقية الواقعة في نفس الأمر ؛ وذلك لأن الظاهر أنه يحرم ..." [٢] ، وبهذا تتحقق جملة من لطائف المعاني ترشد إلى أن إعلام البشر بما هو غيب عنهم نعمة عليّة تعلمهم أن الاستزادة من العلم تثري العقول ، والتريث في طلبه شطر لفهمه ، "ويقال : كما أن موسى عليه السلام كان يحب صحبة الخضر ؛ لما له في ذلك من غرض الاستزاد ة من العلم ، فإن الخضر كان يحب تَرْكَ صحبة موسى عليه السلام ؛ إيثارًا للخلوة بالله عن المخلوقين " [٣] ، كما أظهر الحذف أن "مرتبة موسى عليه السلام في معرفة الشرائع والأحكام بناء الأمر على الظ اهر ، وهذا العالم كانت مرتبته الوقوف على بواطن الأشياء وحقائق الأمور والاطلاع على أسرارها الكامنة ، فبهذا الطريق ظهر أن مرتبته في العلم كانت فوق مرتبة موسى عليه السلام"[٤] ، وفيه أن "العلم بظواهر الأشياء يمكن تحصيله بناء على معرفة الشرائع الظاهرة ، وأما العلم ببواطن الأشياء فإنما يمكن تحصيله بناء على تصفية الباطن ، وتجريد النفس ، وتطهير القلب عن

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، بتصرف .

(٢) التفسير الكبير ١٣٥/٢١ «...التصرف في أموال الناس وفي أرواحهم في المسألة الأولى ، وفي الثانية من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف لأن تخريق السفينة تنقيص لملك الإنسان من غير سبب ظاهر ، وقتل الغلام تفويت لنفس معصومة من غير سبب ظاهر ، والإقدام على إقامة ذلك الجدار المائل في المسألة الثالثة تحمل التعب والمشقة من غير سبب ظاهر ، وفي هذه المسائل الثلاثة ليس حكم ذلك العالم فيها مبنيً ا عن الأسباب الظاهرة المعلومة ، بل كان ذلك الحكم مبنيًا على أسباب معتبرة في نفس الأمر ، وهذا يدل على أن ذلك العالم كان قد آتاه الله قوة عقلية قدر بها أن يشرف على بواطن الأمور ويطلع بها على حقائق الأشياء» . الموضع السابق.

(٣) لطائف الإشارات ٥٨/٤ .

(٤) التفسير الكبير ١٣٥/٢١ .

العلائق الجسدية"(١) .

ولا يخفى على ذي بصيرة أثر الحذف في إنماء جوانب عدة من أبرزها : الدعوة إلى تعلم الصبر ؛ حتى يتحقق المراد ، فمحمد ﷺ ، يقول : "يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما "(٢) . والدعوة إلى تعلم العلم ؛ حتى تتمكن النفوس من حسن عبادة ربها ، وقيل : "إن الخضر قال لموسى لما أراد أن يفارقه : يا موسى ، تعلم العلم لتعمل به ، ولا تعلمه لتحدث به "(٣) ، والتقيد بملازمة ما يأخذه المرء على نفسه من شروط ؛ لأنه مؤاخذ بما شرط على نفسه (٤) ، ووجوب العمل بمقتضى النص ، "عند تعارض الضررين يجب تحمل الأدنى لدفع الأعلى "(٥) ، فوجب على النفس تحمل الضرر الأقل في مقابلة دفع الأعظم منه .

*

– تحقق الأمر بلزوم طاعة الله ورسوله .

–القول بشبه الاحتباك:

في قول الحق ﷻ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾ (محمد: ٣٣،م) ، شبه احتباك "ذكر الطاعة أولًا دليلًا على المعصية ثانيًا ، والإبطال ثانيًا دليلًا على الصحة أولًا" (٦) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تصلح أعمالكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (تعصوا الله والرسول) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ ، وتقديره : وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول تصلحوا أعمالكم ، ولا تبطلوا أعمالكم بمعصيتهما .

---

(١) المرجع السابق/ ١٣٦ .

(٢) أخرجه البخاري بنحوه في صحيحه ، كتاب : العلم ، باب : ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إليه ٥٧/١ ، رقم(١٢٢) ، ومسلم بلفظه في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب : من فضائل الخضر (عليه السلام)١٨٤٩/٤ ، رقم(١٣٨٠) كلها من حديث أبي عمر ﷺ .

(٣) روح المعاني ٨/١٦ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٣٣/١١ .

(٥) التفسير الكبير ١٣٥/٢١ .

(٦) نظم الدرر ٢٦٠/١٨ .

وسره : "أنه أمر بمبدأ السعادة ، ونهى عن نهاية الفساد ثانيً ا ؛ لأنه أعظم في النهي عن الفساد ؛ لما فيه من تقبيح صورته وهتك سريرته" [١] .

فالقاعدة العظمى من وراء الحذف تتجلى في أهمية الأمر الإلهي في سياق " ترغيب المخلص وترهيب المتردد " [٢] بما يحفز النفوس على العمل بمقتضى الأمر في :﴿أَطِيعُواْ﴾ أولًا ، ثم في أهمية النهي الدافع إلى التخلي عن مفسدات الأعمال بوجه عام في : ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[٣] ثانيًا ، والمحور الأساسي للعمل بموجب خطاب الشرع قائم في حفظ الدين بإدامة جهاد الكفار [٤] ، وهذا ما أبرزه السياق العام للسورة بكليتها ، ولا يتحقق ذلك الغرض إلا بالتخلي عن الكفر الذي هو أصل بطلان الأعمال ، وهذا ما تحقق في السياق الخاص ؛ فهما يدلان دلالة قاطعة على أن الطاعة سبب صلاح الأعمال ، والمعصية سبب إبطالها ، وهذا يرشد إلى وجوب العمل على طاعة الله ورسوله ، وهو متحقق بالمعاني الجوهرية ، الأول : في الأمر بلزوم طاعة الله في أوامره والرسول في سننه [٥] ، والثاني : في "لا تبطلوا أعمالكم بمعصيتكم إياهما ، وكفركم بربكم ثواب أعمالكم ، فإن الكفر بالله يحبط السالف من العمل الصالح"[٦] . ففي الحذف لطيفُ معانٍ من أجلِّها : الدعوة إلى لزوم لزوم طاعة الله ورسوله ؛ لذا أوثر النداء بــ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ دلالة على أنهم بحاجة لمن ينبههم لما هم فيه من الغفلة ، ثم إن المخاطبين في بداية سلم الإيمان ليسوا بعاجزين عن تحقيق ما أُمِرُوا به ، وهذا عون للمرء يدفعه إلى الارتقاء في القرب من ربه "فمن استطاع أن لا يبطل عملًا صالحً ا عمله بعمل سيئ فليفعل ... فإن الخير ينسخ الشر ، وإن الشر ينسخ الخير"[٧] ، وفي إعلام البشر بهذا وتوجيههم لسماع الأوامر والنواهي نعمة عليّة و فضل من الله على عباده يحسن إخلاص العمل فيهما . وثمة لطيفة أخرى تلحظ من أثر الحذف ، وهي

---

(١) الموضع السابق .

(٢) المرجع السابق ٢٥٩/١٨ .

(٣) بـالكفر والنفاق والعجب والريا والمن والأذى ونحوها . ينظر : تفسير البيضاوي١٩٦/٥ .

(٤) ينظر : نظم الدرر١٩٤/١٨ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٢٥٤/١٦ .

(٦) جامع البيان ٦٢/٢٦ .

(٧) الموضع السابق .

إرشاد النفوس إلى أن العمل بعد حصول العلم واجب على المرء فعله : "يا أيها الذين آمنوا علمتم الحق فافعلوا الخير "[١] ، كما أن في طلب العوض عن فعل الخير من بني البشر يعد فسادًا للأعمال ، دليله عدم الإخلاص ، فلم يأتِ النظم على نحو : وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول تصلحوا أعمالكم ، ولا تبطلوا أعمالكم بمعصيتهما ؛ ليتحقق بلاغته وإيجازه .

*

(١) التفسير الكبير ٦٢/٢٨ .

الفصل الثالث :
أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات الترغيب والترهيب من حيثُ السياق والصورة وأثره في المتلقي .

الفصل الثالث : أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات الترغيب والترهيب من حيثُ السياق والصورة وأثره في المتلقي .

وقوع الاحتباك وشبهه في آيات الترغيب والترهيب احتل مكانًا كبيرًا مقارنة بغيره من آيات العقيدة والأحكام ، فقد بلغ عدد مواضعه(مائتين وأربعة)مواضعَ . أمّا المعاني التي حققها الاحتباك وشبهه في هذا الباب فذات حسن ، أظهرت جانب النعيم مقابلة بجانب الجحيم ، وجانب الرحمة مقابلة بجانب العذاب ، وقررت في النفوس حب الإيمان ترغيبًا ، وتجنب الكفر ترهيبًا ، ودعت إلى الطاعات ورهبت من المعاصي ، وكل ذلك لحكم تدعو إلى العمل بما يرضى الله لنا وترك ما يكره لنا ﷻ . فتضمن هذا الفصل عدة مباحث أسهمت في إبراز مقاصد الترغيب والترهيب .

المبحث الأول : أحوال أهل الإيمان وأهل الكفر ترغيبًا في الجنة ، وترهيبًا من النار .

المطلب الأول : وقوع الاحتباك وشبهه في سياق بيان حال أهل الطاعة .

-القول بالاحتباك:

يرشد الاحتباك إلى إبراز حال المؤمنين في توكلهم على ربهم ترغيبًا ، وذلك في قول تعالى : ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(آل عمران: ١٢٢،م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ احتباك اقتضاه السياق ، فـــ"الأمر بالتوكل ثانيًا دال على وجوده أولًا ، وإثبات الولاية أولًا دال على الأمر بها ثانيًا"[(١)] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (لتوكلهما وإيمانهما) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فتولوا الله) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "والله وليهما لتوكلهما وإيمانهما ، فلم يمكن الفشل منهما ، فتولوا الله ، وتوكلوا عليه ؛ ليصونكم من الوهن ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون كلهم ليفعل بهم ذلك" [(٢)] .

وسرّه : أنّه ذكر الولاية أولًا والتوكل ثانيًا ؛ لكونهما أنبل عُدَدِ المجاهد ، وأعظم أسباب

---

(١) نظم الدرر ٥/٤٩ .

(٢) الموضع السابق .

السعادة ترغيبًا في الإقبال على الحق ، ومتابعة الرسول ﷺ .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك تكشف عن أهمية الإيمان الحقيقي من المؤمنين ، وتوجه عامة البشر إليه ؛ ترغيبًا في ملازمة التوكل والاعتماد على الله ، من خلال إيضاح حال فئة من المؤمنين في قتالهم ، في سياق النهي عن اتخاذ بطانة السوء ، والأمر بالتوكل[1] ، فالقول به في هذا الموضع أشد اعتلاقًا لما تحتويه دلالة السياق الخاص من تحقق فيض الرحمة المتمثلة في حصول العصمة لأهل الإيمان ، فالسبب الأمثل في تحقق العصمة الحرصُ على لزوم ما قرره السياق العام من جملة الأصول الواجبة مراعاتها والعمل بها . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد قامت في المعاني الجوهرية المتضمنة بيان "ما همّا به من الفشل ، والانصراف عن رسول ﷺ والمؤمنين ، جبنًا منهم من غير شك -منهم- في الإسلام ولا نفاق ، فعصمهم الله مما هموا به من ذلك ، ومضوا مع رسول الله ﷺ لوجهه الذي مضى له ، فأثنى الله عليهما بثبوتهما على الحق ، وأخبر أنه وليُّهما وناصرهما على أعدائهما من الكفار " [2] ، فثبت لهم حسن الثواب المتمثل في التوفيق والهداية والعصمة من الوقوع في الزلل .

وللاحتباك أثر بارز في إحداث علائق ربط تدعو في المقام الأول إلى توجيه البشر إلى مراعاة حقيقة التوكل والاعتماد على الله ليقووا بنصره ، دون الاعتماد على غيره ليضعفوا بخذلانه[3] ، ففي التوكل على الله حفظ لهما وصيانة عن فعل ما يوجب غضبه ؛ لذا تحقق لهم منه العصمة وهزم عدوهم ، والاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وصحة الولاية[4] . وفي الحذف تثقيفٌ جليلٌ يوطن في النفوس ملازمة الصبر والتوكل على الله في المواقف التي يصعب على المرء مواجهتها واللقاء فيها ، " ولا شك أن النفس عندما تلاقي الحروب ومن يجالدها يزيد عليها مثلين وأكثر يلحقها بعض الضعف عن الملاقاة ، ثم يوطنها صاحبها على القتال فتثبت وتستقر "[5] ؛ لذا اعتبِر القول بالاحتباك وجهًا حسنًا من وجوه

---

(١) ينظر : المرجع السابق٥/٤٨ .

(٢) جامع البيان ٤/٧٤ .

(٣) ينظر : نظم الدرر٥/٤٩ .

(٤) ينظر : جامع البيان٤/٧٤ ، والبحر المحيط٣/٥٠وما بعدها بتصرف يسير .

(٥) البحر المحيط ٣/٥٠ .

فهم المعنى[1] ؛ لما حققه في النظم من لطائف وأسرار تدعو إلى المثابرة على طاعة الله ورسوله ، والعمل بها[2] . وثمة لطيفة أخرى تعمق في القلوب التحريض على القتال والنهي عن الفشل ، وذلك بالإخلاص في العقيدة ، "فالعقيدة لا تحتمل شركة في قلب صاحبها ، ولا تطيق لها فيه شريكًا! فإما أن يخلص لها وحدها ، وإما أن تجانبه هي وتجتويه!" [3] .

*

كما يكشف الاحتباك عن حال أهل الإيمان ترغيبًا في الاستقامة على الدين ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾(آل عمران:١٤٤م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ احتباك اقتضاه السياق القرآني ، فـــ" أثبت الانقلاب وعدم الضر أولًا دليلًا على حذف ضده ثانيًا ، والجزاء ثانيًا دليلًا على حذف مثله أولًا" [4] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (وسيجزي الله الشاكرين) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ومن سار ثابتًا على المنهج السوي فإنما ينفع نفسه) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا ، وسيجزي الله الشاكرين ، ومن سار ثابتًا على المنهج السوي فإنما ينفع نفسه ، وسيجزي الله الشاكرين . وسرّه : أنّه ذكر ما اقتضى المقام ذكره ودعت الحاجة إلى بيانه ، وهو أنّ "الرسول ﷺ ليس مقصودًا لذاته ، فيبقى للناس ، وإنما المقصود من إرساله ما أرسل به من الهداية ، فيجب العمل بها من بعده ، كما وجب في عهده "[5] . وفي هذا توجيه جليل يرشد إلى مراعاة التمسك بالإيمان ؛ لأنه حق لله وحده لا ينتهي إلا بقيام أمره .

---

(١) ينظر : نظم الدرر٥/٤٩ .

(٢) ينظر : البحر المحيط٣/٥٠ .

(٣) في ظلال القرآن ٤/٤٦٨ .

(٤) نظم الدرر ٥/٨٣ .

(٥) تفسير بالمنار ٤/١٦١ .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترهيب من الكفر بعد الإيمان ؛ تأكيدًا لأهمية الحرص على الدعوة إلى الله في حياة الرسول ﷺ وبعد مماته ؛ لكون المتراجع من أهل الإيمان عن نصرة الحق ، المنقلب عن الهدى بعد وفاة الرسول يضر نفسه بسوء الصنيع ، والترغيب في لزوم الهدى والاتباع له في حياة الرسول ومماته ﷺ . فالأنفع للسياق والأولى لما يقتضيه المقام وقرائن الأحوال القول بالاحتباك ؛ لما تحقق في العام من إثبات دلائل وحدانية الله ، والخاص من إرشاد المؤمنين وتوجيههم إلى مراعاة دوام الإيمان والعمل به ، وهذا مقصد من مقاصد الاحتباك سعى بمعونة السياق إلى إنمائه ؛ لِيُثبت أن الرجوع إلى الكفر بعد الإيمان لا يوهن عزة الله و سلطانه ، بل يضر المنقلب نفسه[1] ، إيماء إلى أهمية رسوخ العقيدة الحقة في نفوس المؤمنين ، من خلال إعلامهم حقيقة أن الأديان لا تزول بموت الأنبياء (عليهم السلام) ، وفي هذا حثٌّ لهم على اتباعهم أحياءً وأمواتًا ، والعمل بسنتهم[2] . فالغرض الأسمى من الاحتباك تمثل فيما أنتجته أوجه التقابل من لطائف المعاني الساعية بالنفوس إلى تعلم الشجاعة والصبر عند حلول المصائب ؛ لكون " الشجاعة والجرأة حدهما ثبوت القلب عند حلول المصائب " [3] ، فحصل تنبيه العباد بحقيقة أن الرسل بشرٌ مصيرهم الفناء ، والعقيدة إلى البقاء ، ومنهج الله للحياة مستقل في ذاته عن الذين يحملونه ويؤدونه إلى الناس من الرسل على مر الأزمان ، وهذا يرشد النفس إلى التمسك بالدين[4] . ثم إن في إبراز حالة المنقلب إلى الكفر بعد الإيمان تنفيرًا من قبح الرجوع إلى الضلال بعد الهدى ، وفي تأكيد جزاء الله للشاكرين غرسًا لحب تمكن الصبر من النفس حال الهلع ، حتى ترتقي به إلى الشكر على الشدائد ، وهذا أعلى مراتب الإيمان ، وأنبل درجات الصبر .

*

كما يبرز الاحتباك حسن إسلام الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) واقتداء الأتباع ؛ ترغيبًا في الحفاظ على الإسلام ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا

---

(١) ينظر : جامع البيان٤/١١٠ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٤/٢٢٢ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق ٤/٢٢٢ .

(٤) ينظر : في ظلال القرآن٤/٤٧٨ .

﴿ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤،م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾احتباك «ترك أولًا بما استحفظوا ؛ لدلالة ما ذكر عليه ، وترك ذكر الإسلام هنا ؛ لدلالة ذكره أولًا عليه»[١] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (بما استحفظوا من كتاب الله) ؛ لدلالة ذكر ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الذين أسلموا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا بما استحفظوا من كتاب الله للذين هادوا والربانيون والأحبار الذين أسلموا بما استحفظوا من كتاب الله . وسرّه : أنه "خص الأول بذكر الإسلام ؛ لأن الأنبياء أحق به ، وهو داع إلى الحفظ قطعًا ، وخص الثاني بالاستحفاظ ؛ لأنَّ الأتباع أولى به ، وهو دال على الإسلام" [٢] .

فالنمط التركيبي لصورة الاحتباك أسهم في إبراز صحة العقيدة ؛ حيثُ الثناء الرباني لمن راعى الأحكام وعمل بموجبها ؛ ترغيبًا في حسن الانقياد والاتباع ، فالقول به جاء في سياق يدعو إلى أهمية إثبات أصول تشريعية تدل على وحدانية الله ، وهذا ما حققه السياق العام ، أمّا الخاص فأبرز الثناء الحسن الجميل لمن أخلص الانقياد ، وأحسن الاتباع . فهو لهذا ذو أثر جليل في العناية بالجانب الإيماني بغية ترسيخ أصول الشرع في النفوس أولًا ، وتقرير حقائقها في العقول ثانيًا ، وتحقق العمل بموجبها ثالثًا ، ففي الحذف دعوة سامية لالتزام العمل بالكتاب المحكم وتطبيق أحكامه ؛ نزعًا للظلم ، ومراعاةً لنشر العدل ، فثبت الوجوب على كل من استحفظ كتاب الله أن يحفظه ويعمل بموجبه .

*

و من أبرز الشواهد القرآنية التي قيل فيها بالاحتباك ، والتي تضمنت الحديث عن وصف حال أهل الطاعة قوله تعالى : ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾(الزمر:٩،ك) ففي قول الحق

---

(١) نظم الدرر ٦/١٤٥ .

(٢) الموضع السابق .

ﷻ : ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا ﴾ احتباك سببه تغاير أوجه القراءة في النظم [1] "ذكر السجود دليلًا على الركوع ، والقيام دليلًا على القعود "[2] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (راكعًا) ؛ لدلالة ذكر﴿سَاجِدٗا﴾في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (قاعدًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَقَآئِمٗا﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : أمن هو قانت آناء الليل ساجدًا وراكعًا ، قاعدًا وقائمًا . وسرّه "أن السجود يدل على العبادة ، وقرن القيام به دال على أنه قيام منه فهو عبادة ، وذلك مع الإيذان بأنهما أعظم الأركان ، فهو ندب إلى تطويلهما على الركنين الآخرين ؛ لأن القعود إنما هو للرفق بالاستراحة ، والركوع إنما أريد به إخلاص الأركان للعبادة ؛ لأنه لا يمكن عادة أن يكون لغيرها ، وأما السجود فيطرقه احتمال السقوط والقيام والقعود مما جرت به العوائد ، فلما ضم إليهما الركوع تمحصا للخضوع بين يدي الملك العليم العزيز الرحيم"[3] .

فالنمط التركيبي لطبيعة الاحتباك أسهم في إبراز حال أهل الطاعة ترغيبًا في لزوم المحافظة على إتمام الصلاة ، وتأكيدًا على أهمية الحرص والإخلاص في أدائها على أكمل وجه ، فثبت أن له الأثر الفاعل في توجيه العقول إلى امتثال الحرص على التقوى المعينة على حسن القيام بموجبات الشرع ، الموصلة إلى تحقق الغاية العظمى من الإيجاد ، وهي : إثبات التوحيد ؛ لذا فالقول به ذو ارتباط وثيق بما اشتمل عليه السياق العام من تحقق الأمر في مفتتح السورة بالإخلاص الذي هو نقيض الشرك [4] ، أما الخاص فتضمن الإخبار بحال المؤمنين بغية نفي التسوية بينهم وبين ما تقدم من ذكر حال المشركين[5] ، فتقرر في السياقين الدعوة إلى عبادة الله وترك عبادة غيره من خلقه ، وهذا يعني عناية جليلة بالتصعيد الإيماني من خلال لزوم الطاعات والمجاهدة فيها، ثم إن في تبصر دلالة الخطاب إشارات تُعْلِي من شأن

---

(١) قوله ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ﴾ يقرأ بتشديد الميم وتخفيفها فالحجَّة لمن شدَّد أنه رده على قوله : ﴿ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًا ﴾ فكأنه قال : أهذا خير أمن هو قانت . والحجة لمن خفَّف أنه أقام الألف مقام حرف النداء ، فكأنه قال : يا من هو قانت . ينظر : حجة القراءات السبع١/٣٠٨ وما بعدها .

(٢) نظم الدرر ٤٦٦/١٦ .

(٣) الموضع السابق .

(٤) ينظر : المرجع السابق٤٣٧/١٦وما بعدها .

(٥) ينظر : المرجع السابق٤٦٦/١٦ .

الاحـــــــتباك ، منها : إيثار التعبير بــ﴿سَاجِدًاوَقَآئِمًا﴾ تنبيهًا على دوام الإخلاص حال السـجود والقيام[1] ؛ ليتمكن في الإخلاص ، فإن "أفضل الصلاة طول القنوت "[2] ، كما تحقق في الحذف دعوة تُعَلِّم البشر تخير أوقات بعد العباد عن ربهم لفعل الطاعات التي توصل لنيل الرضوان ، " فالليل محل سكون العباد وغفلة العاصين ، والعبادة فيه أستر عن العيون ، فتكون أبعد عن الرياء ، وإن الظلمة تمنع من الإبصار ، ونوم الخلق يمنع من السماع ، فإذا صار القلب فارغًا عن الاشتغال عاد إلى المطلوب الأصلي ، وهو معرفة الله" [3] .

*

– القول بشبه الاحتباك :

سعى الحذف لإبراز حال الملائكة في الانقياد والتسليم لأمر الله ، وذلك في قوله تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾(النحل:٥٠،ك) ، ففيه شبه احتباك ، فــ"ذكر الخوف أولًا دال على الرجاء ثانيًا ، وذكر الفعل ثانيًا دال على الانتهاء أولًا " [4] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (ينتهون) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَيَفْعَلُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يرجون) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَخَافُونَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يخافون ربهم من فوقهم ، فهم عما نهوا عنه ينتهون ، ويفعلون ما يؤمرون ، فهم لرحمة ربهم يرجون .

وسرّه : أنه ذكر الخوف من ربهم ، والفعل لأمره ؛ لكونهما أعظم موجبات التوحيد ، وأتم متطلبات العقيدة ؛ ترغيبًا في لزوم الإخلاص ، وحسن الانقياد من عامة الخلق .

فصورة الحذف أسهمت في إبراز حال الملائكة في انقيادهم وتسليمهم لربهم ؛ ترغيبًا في العبادة ، وإظهارًا لعظم التوحيد في أنفسهم ، ويبرز حسن المعنى بعد النظر في السياق العام بما فيه من الدلالة على أنه ﷻ تام القدرة والعلم ، متره عن شوائب النقص[5] ، والخاص بما

---

(١) ينظر : الموضع السابق بتصرف .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب:صلاة المسافرين وقصرها ، باب أفضل الصلاة طول القنوت ٥٢٠/١ ، رقم : (٧٥٦) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٣) التفسير الكبير ٢١٨/٢٦ .

(٤) نظم الدرر ١٧٥/١٥ .

(٥) ينظر : المرجع السابق١٠١/١١ .

فيه من الإشادة بأن الملائكة كغيرهم في الوقوف بين الخوف والرجاء [(١)] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في المعاني الجوهرية الدالة على الإخبار بحال الملائكة في أنهم : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم ...وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ ، فيؤدّون حقوقه ، ويجتنبون سُخْطه[(٢)] . وفي القول بالحذف لطائف عِظام أسهمت في إعلام البشر عامة بحال الملائكة في خوفهم ورجائهم طوعًا وانقيادًا ، وهم أعظم الموحدين وأعظم الساجدين ، وفي هذا نعمة عليّة تنمي في النفس عِظم الخوف من الله ، الدافع إلى تمكن الخشية ، والرجاء الدافع إلى طلب مزيد الرحمة [(٣)] ، كما أن في إعلامهم بما هو غيب عنهم نعمة أخرى تزيد العلم ، وتدفع الجهل . وفي ذكر حال الملائكة تنبيه لبني الإنسان أنه ينبغي -بل يجب عليهم- أن يكونوا طائعين منقادين لأمره ، فتقرر أَنَّ الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء[(٤)] .

*

المطلب الثاني : وقوع الاحتباك وشبهه في سياق بيان حال أهل المعصية .

- القول بالاحتباك:

للاحتباك أثر فاعل في الكشف عن خبث ملة أهل الكفر والفساد ترهيبًا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة:٩١،م) ، ففي قول الحق ﷻ:﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾،احتباك "حذف من الأول الشرط ومن الثاني الجواب " [(٥)] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (إن كنتم مؤمنين) -فعل الشرط- ؛ لدلالة ذكر ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فلم تقتلوهم) -جواب الشرط- ؛ لدلالة ذكر﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن كنتم مؤمنين فِلمَ تقتلون أنبياء الله من قبل ، فإن كنتم

---

(١) ينظر : المرجع السابق١١/١٧٤ .

(٢) ينظر : جامع البيان١٤/١١٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر١١/ ١٧٥ ، وإرشاد العقل السليم٥/١١٩بتصرف يسير .

(٤) ينظر : تفسير البيضاوي٣/٤٠٣ ، البحر المحيط٥/٤٨٠ .

(٥) حاشية الشهاب على البيضاوي٢/٢٠٥ .

مؤمنين فِلمَ تقتلونهم؟ .

وسرّه أن ذلك أدل على تحقق التحذير والشدة في التهويل لهؤلاء من سوء الصنيع .

فقوله :﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾"فيه إشعار بأن مثل ذلك لا يصدر من متلبس بالإيمان"[1] .

فطبيعة الاحتباك أسهمت بأثر فاعل في محاولة إبعاد الشرك عن النفوس البشرية من خلال إيضاح حال المعرضين عن قبول الحق ترهيبًا من الرضا بأفعال أسلافهم الموجبة خروجهم عن دائرة الإيمان والدعوة إلى الله ، وهذا ما أرشد إليه السياق العام الساعي إلى إثبات أصول العقيدة وإنمائها في النفوس ترغيبًا في الإيمان بالغيب ؛ لكونه الركن الأعظم الأدل على تحقق صدق التوحيد . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متحققة في المعاني الجوهرية ، الأول : " إن كنتم -يا معشر اليهود- مؤمنين بما أنزل الله عليكم فلم تقتلون أنبياءه ، وقد حرم في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم ، بل أمركم فيه باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم"[2] ، والثاني : في " إن كنتم معتقدين الإيمان فلم رضيتم بقتل الأنبياء!" [3] ، فبالركنين المذكورين نتج قبح فعلهم الصادر عن اتباعهم الهوى ، فتحقق انتفاء ما كان يدعونه من الإيمان في قولهم : "نؤمن بما أنزل علينا" [4] ، وبالمحذوفين نتج ترغيب الكفار في التخلي عن الشرك من خلال تقبيح حال أسلافهم في فعلهم ، فاتضحت لهم أسباب الوقوع في الشرك ؛ لإرشادهم إلى أن طريق المؤمنين الإيمان بالله واتباع رسوله . ففي علائق الربط بين المعاني دلالات عِظام أضافت إلى النظم معاني ذات حسن تمثلت في إعلام البشر حقيقة جهل اليهود والكافرين في خروجهم عن الدين والكفر بالرسل ، فسوء جرمهم جرهم إلى استحقاق العذاب ، وهو : أن في الرضا بما عليه الأسلاف من الكفر بالأنبياء والتكذيب بهم يُعد كفرًا بهم وقتلًا لهم[5] . كما تحقق إقناع الكافرين بالعدول عن ما كان عليه الأسلاف ، الأسلاف ، وذلك بـــ"إلزام الحاضرين بما فعله أسلافهم ؛ لأنهم يرونهم على حق فيما فعلوا

---

(١) نظم الدرر٢/٥٠ .

(٢) جامع البيان ١/٤١٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢/٣٠ .

(٤) تفسير البيضاوي ١/٣٦١ .

(٥) ينظر : الموضع السابق .

من قتل الأنبياء"[1] ، فثبت توجيههم إلى الإيمان باستشعار عِظَمِ الذنب .

*

كما كشف الاحتباك عن حال المنافق إذا تولى من عند رسول الله ﷺ عمل في الأرض بما حرم الله عليه من إهلاك الحرث والنسل [2] ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ (البقرة : ٢٠٥م) . ففيه وجهان للاحتباك ، **الوجه الأول** : في :﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ ﴾ إذ "ذكر أولاً الإفساد ليدل على حذفه ثانيًا ، وثانيًا الإهلاك ليدل على حذفه أولاً "[3] .

فالمحذوف من الطرف الأول (الإهلاك) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَيُهْلِكَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الإفساد) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِيُفْسِدَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد ويهلك فيها ، و يفسد ويهلك الحرث .

والوجه الثاني : في : ﴿ وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾ ؛ حيثُ ذكر الحرث الذي هو السبب دلالة على الناسل ، والنسل الذي هو المسبب دلالة على الزرع [4] ، فالمحذوف من الطرف الأول (الزرع) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَٱلنَّسْلَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الناسل) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلْحَرْثَ﴾ في الطرف الأول . وتقدير النظم : ويهلك الحرث والزرع والناسل والنسل . وسرّه أنّه ذكر الأعم مبالغة في إظهار فساد حاله تحذيرًا من سوء ما صنع ؛ " لأن الفساد شامل يدخل تحته إهلاك الحرث والنسل ، ولكنه خصصهما بالذكر ؛ لأنهما أعظم ما تحتاج إليه في عمارة الدنيا ، فكان فسادهما غاية الإفساد" [5] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في تصوير حالة ذلك المنافق وما يترتب عليها من بشاعة مظاهر التخريب والإفساد في كلا الموضعين ، إلَّا أن الموضع الأول أدق من الثاني ؛ لأنه أتى بالمعنى عامًّا ؛ ليشمل كل فساد ، بخلاف الموضع الثاني الذي صوَّر جزءًا من

---

(١) التحرير والتنوير ٦٠٨/١ .

(٢) ينظر : جامع البيان٣١٦/٢وما بعدها بتصرف .

(٣) نظم الدرر١٧٤/٣ .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

(٥) البحر المحيط١٢٥/٢ .

إفساده ؛ لكونه حُدِّد بحالة الحرث والنسل ؛ لهذا يستحسن–والله أعلم– الاقتصار على الموضع الأول دون الثاني ؛ لتمام المعنى . فالقول بالاحتباك حقق جملة ثرية من لطائف المعاني أسهمت في إبراز بشاعة جرم التخريب والفساد ؛ ليتحقق في النفوس حب إصلاح الأرض والسعي لعمارتها ، وهذا أصل جليل من أعظم مبادئ تكوين العقيدة الصحيحة الدالة على فعل الخير[١] . ففي تبصر دلالة الخطاب إرشاد علِيّ يُوجب ترك العدوان وتجنب الظلم ، ويدعو إلى محاربتهما ، فإذا رأى الناس الظالم و لم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده [٢] ، وفي الإعلام بهذا نعمة عظيمة يجب العمل بها والاجتهاد في محاربة مختلف مظاهر الفساد .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى مرغبًا في حسن الاتباع ، ومرهبًا من قبح الإعراض :﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٣٢،م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ، احتباك "إثبات التولية في الأول يدل على حذف الإقبال من الثاني ، وإثبات الكراهة في الثاني يدل على حذف **مثلها في الأول** " [٣] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الله لا يحبهم لكفرانهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (إن أقبلوا) ؛ لدلالة ذكر التولي ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "فإن تولوا فإن الله لا يحبهم لكفرانهم ، وإن أقبلوا فإن الله يحبهم لإيمانهم ، فإن الله لا يحب الكافرين ، والله يحب المؤمنين" [٤] .

وسرّه أنّه ذكر أقبح ما يكون منهم من الإعراض عن دعوة الحق ، وأنكأ ما يكون من الحق لهم ترهيبًا .

---

(١) «الفساد يكون بأنواع مرها : الجور ، والقتل ، والنهب ، والسبي ، ويكون بالكفر» . المرجع السابق٢/١٢٤ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن٣/١٧١ .

(٣) نظم الدرر٤/٣٣٩وما بعدها .

(٤) المرجع السابق ٤/٣٣٩وما بعدها .

بالنظر في التقدير يتبادر إلى الذهن أن الأفضل أن يقال : إثبات الكراهية في الثاني يدل على حذف ضدها – المحبة– في الأول ، لما يحققه التقابل بين المعاني من دلالات تعمق بيان حال المؤمن في الإقبال ، والكافر في التولي والإعراض ، ولكن السياق الخاص لا يتواءم مع ذلك لكونه خاصًا ببيان ما عليه أهل الشرك .

فالاحتباك أسهم في إبراز حال الكافرين تجاه دعوة الحق ترهيبًا من الوقوع في الكفر الذي سببه الإعراض عن طاعة الله ورسوله ، ليكشف لهم قبح صنيعهم الناتج عن ضعف عقولهم ، في سياق تقرير الدلائل الدالة على كمال وحدانية الله ، وهذا ما قرره السياق العام ، أمّا الخاص فتحقق فيه الأمر بطاعة الله والرسول وعدم الإعراض عنهما [(١)] . فدلالة الأمر تعمق في النفوس هيبة الأمر المتضمن إلزام أهل الشرك العمل بمقتضى الخطاب ، وكل ذلك متحقق في المعاني الجوهرية "فإن تولوا عما أمروا به من اتباع الرسول وطاعته فإن الله لا يحب من كان كافرًا " [(٢)] . فثبت بالركنين المحذوفين ترغيب أهل الشرك في الإيمان بالله، والبعد عن اتخاذ الشريك من دونه ؛ لأن في إعلامهم أن الله لا يحب من كفر بجحد ما عرف من الحق ، وأنكره بعد علمه[(٣)] أهمية عظمى ترشد إلى ترسيخ أهم مبدأ من مبادئ العقيدة الصحيحة ، وهو : أن محبة الله وطاعته لا تتحقق إلا بمحبة الرسول وطاعته ، فالطريق إلى الله هو طريق الاتباع للرسول [(٤)] ؛ " لأن الكفر ينفي عنه الحب فنفى منه ما يناله العفو أو المغفرة والرحمة ، وحب الله للعبد بحسب توحيده ، كلما كان أكمل توحيدًا كان أحب ، وما سقط عن رتبة أدنى التوحيد الذي هو محل الأمر بطاعة الله ، سبحانه وتعالى ، ورسوله كان كفرًا بحسب ما يغطي على تلك الرتبة من التوحيد ، لأن هذه السورة سورة إلهية إيمانية توحيدية " [(٥)] ، ولهذا فالقول بالاحتباك في هذا الموضع علي يولد جملة ثرية من لطائف المعاني ، من أبرزها : إنماء الجانب الإيماني ، وهذا ينمي في القلوب الحية حب السمع والانقياد ، ويرشد الضالة إلى امتثال الأمر وعدم التولي والإعراض . ثم إن العلائق الرابطة بين المذكورين والمحذوفين أسهمت في ذكر الجانب الأهم لوصف حالة الكافرين في الدنيا ، وهو : التولي والإعراض ، ليتحقق –لهم– في أنفسهم شدة القبح الذي أوجب لهم الكراهية فأخرجهم عن نيل محبة الله ، فباستشعار عظم الفرق بين من تولى ونال الكراهية لإعراضه ، ومن أقبل ونال المحبة لإقباله إقناع بالعدول عن كل ما يُوجب الكفر ، فثبت للمقبل لحسن

---

(١) ينظر : جامع البيان٣/٢٣٣بتصرف .

(٢) البحر المحيط ٢/٤٤٩ .

(٣) ينظر : جامع البيان٣/٢٣٣بتصرف .

(٤) ينظر : في ظلال القرآن٣/٣٨٧ .

(٥) نظم الدرر٤/٣٣٩وما بعدها .

إقباله محبة الله ، وللمعرض لقبح توليه كراهية الله .

*

كما أسهم الاحتباك في إبراز حال أهل الشرك والنفاق ترهيبًا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ (المائدة: ٤١م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَ ﴾ ، احتباك "حذف أولًا الإتيان وأثبت عدمه ثانيًا ؛ للدلالة عليه ، وحذف ثانيًا الصدق ودل عليه بإثبات ضده –الكذب– في الأول"[١] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (يأتونك) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَمۡ يَأۡتُوكَ ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (الصدق) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِلۡكَذِبِ ﴾ في الطرف الأول . وتقدير الكلام : سماعون للكذب يأتونك ، سماعون للصدق لم يأتوك .

وسرّه أنه ذكر خبث أفعالهم لِعِظَمِ بشاعتها تحذيرًا من السقوط في مراتب الكفر ، وتنبيهًا لفساد أفكارهم جراء افتراء تحريف حكم الله . والمقصود البغض على نفاقهم يحرفون الكلم الذي يسمعونه عنك على وجهه ، فيبالغون في تغييره وإمالته [٢] . وهذا يظهر بشاعة ما أقدموا عليه حينما أرادوا أن يغيروا حكم الله .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز حال الكافرين في مخالفة أمر الله واتباعهم الأهواء ترهيبًا من التجرد من الإيمان ؛ لكونه سبب تحقق شدة العقاب والعذاب ، فتقرر بالحذف أن الإيمان بالرسول ينجي من العذاب ، والكفر به يوقع في العذاب ، فارتبط الحذف بإبراز خاصيتي الترهيب الشديد من الكذب ، والترغيب الجميل في ملازمة الصدق في سياق إبراز الأصول التشريعية الدالة على إثبات وحدانية الله [٣] ؛ لكونها المقصد الأعظم

---

(١) نظم الدرر ١٤٠/٦ .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) ينظر : المرجع السابق١/٦ .

الذي تمثل في السياق العام ، أمّا الخاص فحمل علة نفي الحزن على شيء من أمر اليهود الجاحدين النبوة ، وأمر غيرهم ممن عصوا الله وخالفوا أحكامه [١] ؛ لكونهم تجاوزوا الحد في الخروج عن أمر الله ونهيه ، فالقول بالاحتباك كشف بدقة بالغة عن حال الكافرين ، وشدة فرط عداوتهم وبغضهم للرسول ﷺ[٢] ، وأرشد النفوس السوية إلى ملازمة الصدق في نقل الأخبار عند سماعها ، خصوصًا من أصحاب الرسالة والعلم ؛ لأن فيه تطبيق الشرع كما أمر التنزيل ، لا كما يأمر الواهمون الذين جعلوا حد الزاني المحصن التحميم والجلد مكان الرجم[٣] ، فتحقق جرم من حرف أو أخفى أوترك العمل بما يُوجبه الشرع [٤] ، ومن كان عينًا على الرسول ﷺ وأصحابه في زمانهم يسمع أخبارهم فيسرع في تحريفها بما ينفع نفسه متجاهلًا أن ذلك وبالًا عليه[٥] .

*

قيل في قول الحق ﷻ : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[٦] (الأنعام: ٩،ك) ، "...احتباك ؛ لأن كلا اللبسين هو بتقدير الله تعالى ؛ لأنه حرمهم التوفيق ، فالتقدير : وللبسنا عليهم في شأن الملك فيلبسون على أنفسهم في شأنه كما لبسنا عليهم في شأن محمد ﷺ ؛ إذ يلبسون على أنفسهم في شأنه . وهذا الكلام منظور فيه إلى حمل اقتراحهم على ظاهر حاله من إرادتهم الاستدلال "[٧] ، **وهو**

---

(١) ينظر : المرجع السابق٦/١٣٧ .

«(سماعون للكذب) ، يعني هؤلاء المنافقين من اليهود ، يقول : هم يسمعون الكذب ، و(سمعهم الكذب) ، سمْعُهم قول أحبارهم : أنّ حكم الزاني المحصن في التوراة ، التحميمُ والجلد ، (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) ، يقول : يسمعون لأهل الزاني الذين أرادوا الاحتكام إلى رسول الله وهم القوم الآخرون الذين لم يكونوا أتوا رسول الله ، وكانوا مصرِّين على أن يأتوه» . جامع البيان١٦/٢٣٤ .

(٢) ينظر : روح المعاني٦/١٣٦ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٦/١٨١ .

(٤) ينظر :المرجع السابق٦/٢٣٥ بتصرف .

(٥) ينظر : البحر المحيط٣/٥٠٠ بتصرف .

(٦) «في (ما) قولان ، أحدهما : أنها موصولة بمعنى الذي ، أي : ولَخَلَطْنَا عليهم ما يخلطون على أنفسهم أو على غيرهم . قاله أبو البقاء ، وتكون (ما) حينئذ مفعولاً بها . والثاني : أنها مصدرية ، أي : ولَلَبَسْنا عليهم مثل ما يلبسون على غيرهم ويسلكونهم» . الدر المصون٤/٥٤٤ .

(٧) التحرير والتنوير ٧/١٣٦ .

وهو غير دقيق ؛ لكون التقدير المشار إليه لا يفصح عن وجه الاحتباك ، فعلى حد قوله يصبح المحذوف من الطرف الأول (يلبسون على أنفسهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَلْبِسُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لبسنا عليهم في شأن الملك) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَلَبَسْنَا ﴾ في الطرف الأول . و لم يبرز هذا الوجه عند جمهرة المفسرين ؛ لذا فالأولى حمل المعنى على ظاهره من غير تأويل ؛ لوضوح المراد[1] .

*

كما قيل في بيان قول الحق ﷻ : ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾(الأنعام:٢٨،ك) ، "أن في الكلام احتباكًا ، وتقديره : بل بدا ما كان يبدو لهم في الدنيا ، فأظهروه الآن وكانوا يخفونه" [٢] . وعلى حد قوله يصبح المحذوف من الطرف الأول (يبدو لهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُخْفُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (أظهر) ؛ لدلالة ذكر ﴿بَدَا ﴾ في الطرف الأول .

وفيه نظر ؛ وذلك لأن ما قُدِّرَ في الطرف الأول يعد بمثابة التفسير لما ذكر ، ودليل هذا أن (بدا) المذكور بمعنى (أظهر) المقدر ، فلا وجه لحمل الآية على الاحتباك.

*

وفي موضع آخر يرشد الاحتباك إلى عدم تحقق حزن أهل الإيمان لأهل الكفر ؛ لشدة بعدهم عن آيات الله ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾(الأنعام:٣٣،ك) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ احتباك : " حذف من الجملة الأولى سبب الحزن وهو التكذيب ؛ لدلالة الثانية عليه ، ومن الثانية النهي عن المسبب ؛ لدلالة الأولى عليه "[٣] ، فالمحذوف من الطرف الأول (تكذيبهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (فلا تحزن) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لَيَحْزُنُكَ ﴾ في الطرف الأول .

---

(١) ينظر : جامع البيان١٥٢/٧ ، والكشاف٧/٢ ، والبحر المحيط٨٤/٤ ، وإرشاد العقل السليم١١٣/٣ .

(٢) التحرير والتنوير ١٨٥/٧ .

(٣) نظم الدرر ٩٦/٧ .

وتقديره : قد نعلم إنه ليحزنك تكذيبهم الذي يقولون ، فلا تحزن ؛ فإنهم لا يكذبونك ، أو قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون من تكذيبك فلا يحزنك ذلك ؛ فإنهم لا يكذبونك .
وقيل تقديره : " فإنهم لا يكذبونك ولا يكذبون الآيات ، ولكنهم يجحدون بالآيات ويجحدون بصدقك" [1] . والتقدير الأول أولى ؛ لكونه أقرب إلى بلاغة القرآن وسمو نظمه .

وسرّه أنه حذف سبب الحزن أولًا إظهارًا لشرف النبي ﷺ وأدبًا معه ، ثم ذكره ثانيًا إعلامًا له بخبث نواياهم وفحش صنيعهم ؛ تحذيرًا منهم .

فالنمط التركيبي لطبيعة الاحتباك يكشف عن خبث حال الجاحدين لوحدانية لله ، وعظيم ما هم عليه من الكفر والبذاءة ترهيبًا من الخوض في الكفر والمكوث فيه ؛ لإبعاد البشر عن شدة العذاب ، وفي تبصر دلالة السياق إشارة عظمى تُعلي من شأن القول بالاحتباك ؛ لما تحقق في العام من إثبات التوحيد بمظاهر العظمة والسلطان [2] ؛ ليتحقق في نفوس أهل الكفر بطلان ما يسعون لأجله من الإعراض والخروج عن مقتضى الشرع ، أمَّا السياق الخاص فأبرز حال الكافرين تجاه سماع دعوة الحق تسلية للرسول ﷺ ؛ ليتحقق إعلامه ﷺ بحقيقة حال المعاندين تجاه دعوته ، فإنهم لا يكذبونك بل أنت عندهم الأمين ، ولكنهم لشدة عنادهم وعجزهم ينكرون آيات الله مع علمهم بحقي قتها[3] . فحسن الحذف يتضح في دقة المعاني الإحسانية المتمثلة في إعلام البشر عامة ، والرسل خاصة ، أن من عَلِمَ أن ربه يُرضي المطيع له بجزيل الثواب ، ويجزي عاصيه بشديد العذاب لا ينبغي أن يحزن بل يسرّ ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾(يس:٧٦،ك) ، فالحزن عند وقوع ما يسوء من طبع البشر الذي لا يقدر على الانفكاك عنه ، فالنهي إنما هو نهي عما ينشأ عنه من الاسترسال المؤدي إلى الجزع الموصل إلى عدم الصبر [4] . فمن عرف الرسول ﷺ حق المعرفة لم يرتب في صدقه وصدق ما جاء به ، فمعرفته ﷺ توجب في النفس المبادرة إلى الإيمان ، ودحض شبهة المكذبين بالصبر عليهم .
كما أبرز الاحتباك حال أهل الكفر عند حلول العذاب ترهيبًا من الغفلة ، وذلك في قوله

---

(١) التحرير والتنوير ٢٠٠/٧ .
(٢) ينظر : نظم الدرر١/٧بتصرف .
(٣) ينظر : المرجع السابق٩٤/٧ وما بعدها .
(٤) ينظر : الموضع السابق .

تعالى : ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ (الأعراف:٤،ك) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ احتباك " دلّ إثبات (بَيَاتًا) أولًا على حذف (قائلة) ثانيًا ، وإثبات (هُمْ قَائِلُونَ) ثانيًا على حذف (هم نائمون) أولًا" [(١)] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (قائلة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (هم نائمون) ؛ لدلالة ذكر ﴿بَيَاتًا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "بياتًا هم فيه بائتون ، أي : نائمون ، أو قائلة هم فيها قائلون ، أي : نائمون"[(٢)] .

وسره : أنه ذكر أنسب الأوقات لحلول العذاب والانتقام ؛ لكونهما أشدّ وأنكأ ؛ للزوم الراحة وتمكن الغفلة فيهما ترهيبًا . وفي هذا تصوير لِعِظَمِ وهول ما أصابهم ، فهم في كل من الوقتين لم يقع في فكر أحد منهم التصويب إلى مدافعة العذاب [(٣)] ، "وتخصيصُ الحالتين بالعذاب لما أن نزولَ المكروهِ عند الغفلة والدعَةِ أفظعُ ، وحكايتَه للسامعين أزجرُ وأردَعُ عن الاغترار بأسباب الأمن والراحةِ ، ووصفُ الكلِّ بوصفي البياتِ والقيلولة مع أن بعضَ المُهلَكين بمعزل منهما ، لاسيما القيلولة ؛ للإيذان بكمال غفلتِهم وأمنِهم" [(٤)] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز شدة تمكن الغفلة من المشركين لشدة جهلهم بالله ترهيبًا اقتضاه السياق العام المتضمن إنذار من أعرض عن التوحيد [(٥)] ، والخاص لما تحقق فيه من إثبات مطلق القدرة على إهلاك المشركين . فالقيمة الحقيقة لأصل المراد وهو : ذكر شدة غفلتهم ولهوهم ، متحققة في المعاني الجوهرية التي أبرزت حالهم وقت حلول العذاب ، فالركن الأول في ذكر حلول العذاب عليهم ﴿بَيَاتًا ﴾ حيثُ الاستكنان في البيوت ، والثاني في حلوله و ﴿ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ وقت القائلة وهم مستريحون من غير نوم[(٦)] ، نوم[(٦)] ، فاتضح بالركنين المذكورين شدة تمكن الغفلة فيهم ، وتحقق معنى القدرة الإلهية في

---

(١) المرجع السابق ٣٥٧/٧ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) ينظر : الموضع السابق .

(٤) إرشاد العقل السليم ٢١٢/٣ ، والتحرير والتنوير ٢٣/٨ .

(٥) ينظر : نظم الدرر٣٤٧/٧ .

(٦) ينظر : المرجع السابق٣٥٧/٧ .

حلول العقاب والعذاب لكل من طغى وكفر . فالاحتباك كشف بصورة أكثر دقة وبيانًا عن وصف حالهم وقت حلول العقاب عليهم ؛ ليُثبت أن للكافرين العذاب ، وللغافلين التذكير ؛ للاتعاظ والاعتبار ، وللعاقل التمسك بدينه ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ (الأعراف:٩٩،ك) .

*

كما أسهم حذف التقابل في إبراز أعظم أسباب الكفر ترهيبًا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ . وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٤٦-١٤٧،ك) ،ففي قول الحق : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ ، احتباك "إثبات الغفلة أولاً يدل على إرادتها ثانيًا ، واللقاء ثانيًا يدل على إرادته أولاً" [(١)] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (لقاء الآخرة) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (كانوا غافلين) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ذلك بأنهم كذبوا بآيتنا ولقاء الآخرة وكانوا غافلين ، والذين كذبوا بآيتنا ولقاء الآخرة كانوا غافلين .وسرّه : أنه ذكر أقبح ما هم سالكوه من طرق الضلالة ؛ لكونها حاجزًا بينهم وبين الوصول إلى الحسن ترهيبًا .

فالنمط التركيبي لطبيعة الاحتباك أسهم في تأكيد شدة ضلال الكافرين ؛ لشدة بعدهم عن الدين ، فقد لازموا صفتي التكذيب ، والغفلة عن تدبر الآيات ، لذا أنكروا حقيقة القيامة استكبارًا وتكذيبًا ، وهذه من أعظم الصفات الموجبة العذاب الأليم ، وفي تدبر دلالة الخطاب إشارات عظمى تبرز حسن الحذف ؛ إذ أوثر التعبير بـ﴿ وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴾ ؛ ليتمكن عِظم التنبيه في القلوب الغافلة فتتنبه ، ولـ"التنبيه على أن غفلتهم عن قصد "[(٢)] .

---

(١) المرجع السابق ٨٤/٨ .

(٢) التحرير والتنوير ١٠٧/٩ .

فتحقق بالاحتباك الإشارة إلى بطلان أعمالهم ، وتحقق شدة عذابه لهم ، "ذهبت أعمالهم فبطلت ، وحصلت لهم أوزارها فثبتت ؛ لأنهم عملوا لغير الله ، وأتعبوا أنفسهم في غير ما يرضي الله ، فصارت أعمالهم عليهم وبَالاً "[(١)] ، فثبت أن العذاب سيقع على كل من كفر ؛ لأن أعمالهم في طاعة الشيطان دون طاعة الرحمن [(٢)] . فمن خلال إبراز أوجه التماثل بين طرفي النظم تحقق -أولًا :- تمكن الضلال والغفلة فيهم ؛ لملازمتهم التكذيب بالآيات ، فأصبح دأبهم وديدنهم ملازمة الغفلة والتكذيب ، وهذا أبشع مظاهر الكفر[(٣)] ، و-ثانيًا : - تحقق العذاب لهم نتيجة تكذيبهم في الدنيا ، فلا محالة أنهم في العذاب محضرون . كما تقرر بالحذف جملة من المعاني الإحسانية الساعية إلى إنماء الجانب الإيماني ، والترفع عن الوقوع في الجهل الذي يلازمه دوام الغفلة الناتجة من عدم تدبر دلائل الحق والإعراض عنها [(٤)] ، فإن في التفكر والاتعاظ تبديد للغفلة ، وفي حسن العمل بما توجبه الدلائل تبديدًا للتكذيب[(٥)] .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ (الأعراف:١٩٣،ك) ،ففي قول الحق ﷻ :﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ احتباك [(٦)] ، المحذوف من الطرف الأول (أم أنتم صامتون) ؛ لدلالة ذكر﴿أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (صمتم) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "أدعوتموهم مرة أو أنتم داعوهم دائمًا أم صَمَتُّمْ عن دعائهم في وقت ما ، أم أنتم صامتون دائمًا عن دعائهم" [(٧)] .

وسره : أنه عبر بالفعل أولًا ثم بالاسم ثانيًا إشارة إلى تساوي الحالتين في عدم الإجابة ، وفي هذا إعلام بأنهم أغرق الخلق في بحر الضلال ؛ لكونهم جهلاء ضروا أنفسهم بأنفسهم . فصيغة الفعل مشعرة بالتجدد والحدوث حالً ا بعد حال ، وصيغة الاسم مشعرة بالدوام

---

(١) جامع البيان ٦١/٩ .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) ينظر : نظم الدرر٨٤/٨ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٤/١٤ .

(٥) ينظر : البحر المحيط٣٨٩/٤ .

(٦) ينظر : نظم الدرر ١٩٤/٨ .

(٧) الموضع السابق .

والثبات والاستمرار[١] .

فصورة الحذف التركيبية أسهمت في إبراز عظيم خطئهم وقبح اختيارهم في عبادة غير الله ؛ ترهيبًا[٢] اقتضاه السياق العام المتمثل في الدعوة إلى إنذار من أعرض عن اتباع التوحيد[٣] ، والخاص لما تحقق فيه من انتفاء عبادة غير الله ؛ لكون صورة الحذف ارتبطت ارتباطًا قويًّا بهما ؛ لتحقق خاصية الترهيب الشديد من الإعراض عن الاستجابة فيهما ؛ لذا فالقول به ذو ارتباط بالغ بدلالة السياقين العام والخاص . وللاحتباك أثر فاعل في الكشف عن قبح حالهم ؛ لإعلامهم أن "المعبود يجب أن يكون قادرًا ، فمن كان عاجزًا نوع عجز كان مربوبًا"[٤] ، فثبت أن الرب "هو النافع من يعبده ، الضارّ من يعصيه ، الناصرُ وليَّه ، الخاذل عدوه ، الهادي إلى الرشاد من أطاعه ، السامع دعاء من دعاه"[٥] ، أمّا ما عبدوه فهي فهي أملاك لله مربوبة ، لا تملك من الأمر شيئًا ، فمهما بُذِلَ في ملازمة الجد والجهد في دعائها لا تضر ولا تنفع ؛ لكونها عن السمع معزولة ، ومن الاستجابة ممنوعة[٦] ، ومستو عندكم دعاؤكم وبقاؤكم على صمتكم ، فإنه لا يتغير حالكم في الحالين ، كما لا يتغير حالهم بحكم أنهم جماد[٧] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾(هود: ٢٠،ك) ، احتباك ، نفي الاستطاعة أولًا دال على نفيها ثانيًا ، ونفي الإبصار ثانيًا دال على نفي السمع أولًا[٨] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فما كانوا يسمعون) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَمَا كَانُواْ

---

(١) ينظر : البحر المحيط٤/٤٣٩ بتصرف .

(٢) ينظر : جامع البيان٩/١٥٠ بتصرف .

(٣) ينظر : نظم الدرر٧/٣٤٧ .

(٤) المرجع السابق ٨/١٩٣ .

(٥) جامع البيان٩/١٥٠ .

(٦) ينظر : الموضع السابق ، بتصرف .

(٧) ينظر : الموضع السابق .

(٨) ينظر : نظم الدرر٩/٢٥٨ .

﴿يُبۡصِرُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وما كانوا يستطيعون الإبصار) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ في الطرف الأول . وتقدير الكلام : ما كانوا يستطيعون السمع ، فما كانوا يسمعون . وما كانوا يستطيعون الإبصار ، فما كانوا يبصرون .

وسرّه أنّه ذكر أبشع ما يصور حالهم تجاه الحق ترهيبًا وتحذيرًا ؛ وذلك لفرط تصامهم عن الحق ، وعدم إذعانهم له ؛ لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة في الأنفس والآفاق[1] ، وكذا فإن نفي الاستطاعة أغرق في العيب وأدل على النقص ، وأنكأ من نفي السمع ؛ لأنهم قد يحملونه على الإجابة ، وأما نفي البصر فغير منفك عن النقص سواء كان للعين أو للقلب ، وحقيقة الاحتباك أتت لتثبت أنهم لا سمع ولا بصر لهم ، فهم لا شيء ؛ لفساد عقيدتهم[2] ، فبرزت خاصية الترهيب المقتضي أمل رجوعهم إلى الحق ؛ كي يبصروا بعين الإبصار السليمة ، ويسمعوا بآذان السمع الواعية، وهذا أدعى كي يرجعوا[3] . ففي تبصر دلالة السياقين العام بما تقرر فيه من إثبات حقيقة القرآن وما تضمنه من حالتي البشارة والنذارة ، والعناية بكل دابة ، والقدرة على كل شيء من البعث وغيره؛ لإثبات التفرد لله وحده[4] ، والخاص بما تحقق فيه من من الإشارة إلى إيضاح قدرة الله على الكافرين في الدارين[5] ، اتضح أن القول بالاحتباك يحقق جملة من المعاني الإحسانية الساعية إلى إرشاد الضال ودفعه إلى عدم الانشغال بالكفر وترك طاعة الله ، وتوظيف السمع لسماع ما هو نافع دال على الخير ، والبصر لتأمل دلائل العظمة والسلطان ؛ ليعرفوا الله ويطلعوا على علامات وحدانيته ، ففي السمع والبصر نعم عِظام بها يدرك المرء باهر الدلائل وأعظم العظات ، فمن الواجب الترفع عن سماع كل قبيح ورؤية كل فاسد[6] .

*

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم٤/١٩٧ .

(٢) ينظر : نظم الدرر٩/٢٥٨ .

(٣) ينظر : المرجع السابق٩/٢٥٧ .

(٤) ينظر : المرجع السابق٩/٢٢٤ .

(٥) ينظر : المرجع السابق٩/٢٥٧ .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٩/١٩ .

وفي موضع آخر قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾(الأنبياء،٥) ، احتباك "... أريد كلٌّ واحد من الإتيان والإرسال في كل واحد من طرفي التشبيه، ولكنه ترك في جانب المشبه ذكر الإرسال، وفي جانب المشبه به ذكر الإتيان»[١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (إن أرسل) لدلالة ذكر ﴿ كَمَآ أُرْسِلَ[٢] ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (فأتوا بآية) لدلالة ذكر ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ ﴾ في الطرف الأول. وتقديره: "إن أرسل فليأتنا بآية كما أرسل الأولون فأتوا "بآية[٣] .

وسره : "أن عدم تصريحهم بالإرسال في جانب النبي ﷺ والاكتفاء في التعبير بالإتيان ، راجع إلى أنَّ في التعبير به وعدم التصريح بالإرسال إيماءً إلى أن ما أتى وما يأتي به —على فرض استجابته لهم- من عنده ، وإنكارًا لأن يكون مرسلًا به من عند الله ، نفيًا لرسالته من أصلها ، كما أن ذكر الإرسال في جانب الرسل الأولين فيه إيماء إلى أنَّ ما أتوا به من عند الله ، وتعريض بأن ما أتوا به حق ؛ لأنهم رسل الله حقًّا ، فكان ذكر الإرسال هنا أهم لهم ، كما كان ذكر الإتيان أهم في الأول ، وحذف الإرسال من الأول فيه إشارة إلى هذه الأسرار النفسية التي تجول بهذه الأنفس المريضة المصرة على الكفر ، كما حذف الإتيان من الثاني ؛ لأن الإرسال الذي أثبتوه للسابقين لا بد أن يتضمن إتيانًا بالآيات " [٤] . وهذا السر السر – قال به أبو السعود [٥]- ليس متوقفًا عليه فهم المقصود ، وإنما المقصود الأهم متضح في سياق النظم ، وهو الكشف عن خبث طباع أولئك المعرضين في الافتراء على الحق ، وهذه أمارة من أمارات الباطل نتيجة الاضطراب في أقوالهم ، فقد طلبوا آية على صدق ما يدعو إليه ﷺ ، فقالوا : فليأتنا دليلًا على رسالته بآية ؛ لأنا قد بينا بطعننا أن القرآن ليس بآية ، ثم خيلوا النصفة بقولهم : مثل ما أرسل الأولو ن بالآيات —مثل تسبيح الجبال ،

---

(١) إرشاد العقل السليم ٦/٥٥ .

(٢) «قوله : ﴿ كَمَآ أُرْسِلَ ﴾ يجوزُ في هذه (الكاف) وجهان ، أحدهما : أن تكونَ في محلِّ جرٍّ نعتًا لــ(آيةٍ) أي : آيةِ إرسالِ الأوَّلين . فــ(ما) مصدريةٌ . والثاني : أن تكونَ نعتًا لمصدرٍ محذوفٍ . أي : إتيانًا مثلَ إرسال الأولين» . الدر المصون٨/١٣٤ .

(٣) المنزع البديع ، ص١٩٦ ، والبرهان٣/١٢٩ .

(٤) مقال من صور الحذف البليغ ٤/١٣٨٤ .

(٥) ينظر : إرشاد العقل السليم٦/٥٥ .

وتسخير الريح وغيرها- ، وهذا تناقض في اعترافهم برسالة الأولين مع معرفتهم أنهم بشر ، وإنكارهم رسالة محمد ﷺ ؛ لكونه بشرًا ، ولم يستحوا بعد التناقض من المكابرة فيما أتاهم به من انشقاق القمر ، وتسبيح الحصى[(١)] ، وهذا إشارة لفساد طعنهم في نبوته ﷺ ، وهو مقصود النظم تحقق دون تأويل بطريقة الاحتباك . فالقول بالاحتباك يُعد وجهًا من وجوه فهم المعنى لم يتضح حسنه ، **وقيل : فيه بعد**[(٢)] .

*

كما قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾(لقمان:٣٢،ك) ، احتباك «دل ذكر المقتصد أولًا على (ومنهم جاحد) ثانيًا ، وحصر الجحود في الكفور ثانيًا على حصر الاقتصاد في الشكر أولًا »[(٣)] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (وما يقتصد إلا كل صبار شكور) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ومنهم جاحد) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فلما نجاهم إلى البر انقسموا قسمين فمنهم مقتصد ، ومنهم جاحد ، وما يقتصد إلا كل صبَّار شكور ، وما يجحد إلا كل ختار كفور .

إن النظر في قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ -[ثم في]- وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾(لقمان:٣١ ، ٣٢ ، ك) ، يُظهر جمال النظم دون الرجوع إلى الاحتباك من حيثُ مراعاة أمرين :

أ- أن المعنى يتطلب أن تكون هيئة التقدير على النحو التالي : **فلما نجاهم إلى البر انقسموا قسمين ؛ فمنهم مقتصد ، ومنهم جاحد** ، فالمقابل للمقتصد محذوف دل عليه

---

(١) ينظر : نظم الدرر ٣٨٧/١٢وما بعدها .

(٢) ينظر:روح المعاني ١٠/١٧وما بعدها ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٢٤٢/٦ ، كما ينظر : الكشاف٥٦٣/٢ ، وتفسير البيضاوي ٨٣/٤ .

(٣) نظم الدرر ٢٠٩/١٥ .

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ وهذا وجه أجمع عليه بعض المفسرين[1] ، وعليه يكون المعنى مقتصد ، أي : مؤمن مقتصد في أقواله وأفعاله بين الخوف والرجاء[2] .

ب – جمال المقابلة والطباق في : ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ، ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ فـــ(خَتَّار) مقابل لـــ(صَبَّار) ؛ لأن من غدر لم يصبر على العهد ، و(كفور) مقابل لـــ(شكور)[3] ، فقوله : ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ كناية رمزية عن المؤمنين وتعريض رمزي بالمشركين ووجه إيثار خلقي الصبر والشكر هنا للكناية بهما من بين شعب الإيمان ؛ أنهما أنسب بمقام السير في البحر ؛ إذ راكب البحر بين خطر وسلامة ، وهما مظهر الصبر والشكر .

*

وفي موضع آخر قيل بالاحتباك في قول الحق ﷻ : ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾(ص:٦٣،ك) ، حيثُ "أثبت الاتخاذ المذكور الذي يلزمه بحكم العناد بين الجملتين عدم كون المستسخر بهم معهم في النار أولًا دليلًا على ضده ثانيًا ، وهو كونهم معهم فيها ، وأثبت زيغ الأبصار ثانيًا اللازم منه بمثل ذلك كونهم معهم في النار دليلًا على ضده ، وهو كونهم ليسوا معهم " [4] . وفيه نظر ؛ **لخفاء وجه المقابلة في ظاهر النص القرآني** ؛ إذ لا وجه للمقارنة بين (اتخذناهم سخريًا) و(زيغ الأبصار) .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى مظهرًا سوء حال الكافرين في القيامة ترهيبًا : ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾(الزمر : ٣،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ احتباك "ذكر فعل التقريب أولًا دليلًا على فعل

---

(١) ينظر : روح المعاني ١٠٦/٢١ ، والتحرير والتنوير ١٩٢/٢١ .

(٢) ينظر : البحر المحيط ١٨٩/٧ .

(٣) ينظر : حاشية الشهاب على البيضاوي ١٤٤/٧ ، و روح المعاني ١٠٦/٢١ وما بعدها .

(٤) نظم الدرر ٤١٢/١٦ .

الزلف ثانيًا ، واسم الزلف ثانيًا دليلًا على الاسم من التقريب أولًا"[١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تقريبًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿زُلْفَىٰٓ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يزلفونا) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِيُقَرِّبُونَآ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله تقريبًا ويزلفونا إليه زلفى . وسرّه "أنهم أرادوا بهذا الاعتذار المسكت عن قبيح صنيعهم ، فأتى سبحانه في حكايته عنهم بالتأكيد على أبلغ وجه ؛ لأن الدلالة على المعنى بلفظين أجدر في ثباته وتكثيره من لفظ واحد ، وبدأ بأرشق الفعلين وأشهرهما وأخفهما وأوضحهما ، وقد خسر غاية الخسارة قوم تمذهبوا بأقبح المذاهب ، وجعلوا عذرهم هذه الآية التي ذم الله المعتذر بها ، وعلى ذلك فقد راج اعتذارهم بها على كثير من العقول ، وهم أهل الإلحاد الذين لا أسخف من عقولهم ولا أجمد من أذهانهم" [٢] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز حال المشركين وبطلان اعتذارهم بـــ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ ترهيبًا من سوء المآل ، وقبح القول الذي به يحتجون ، في سياق إثبات الدلائل المقررة أنه سبحانه صادق الوعد غالب لا يفوته شيء ، حكم بين الخلق بما استحقته أعمالهم عدلًا وفضلًا [٣] ، وهذا ما تمثل في السياق العام ، أمّا الخاص فتحقق فيه ذكر إثبات استحقاق الله وحده للعبادة ، ثم ذكر المشركين وعنادهم وسوء اتخاذهم الأنداد والشركاء [٤] . فبالحذف تعمَّقت دلالة المراد في تصوير قبح احتجاج المشركين ، فقد افتروا على الله بقولهم في الآلهة ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ .

فعلائق الربط بين الركنين المذكورين والمحذوفين تبرز أهمية طاعة الله ؛ "لأن كل ما دونه ملكه ، وعلى المملوك طاعة مالكه لا من لا يملك منه شيئًا "[٥] ، فلا يليق بعاقل أن يقول إذا سُئل من ربك وخالقك؟ فيقول الله ، فيقال له : ولم تعبد الأصنام؟ فيقول : ليقربونا إلى الله زلفى ، ويشفعوا لنا عنده ، فهذا الصنيع لا يُوثق علائق القرب ، ولا يُوجب الشفاعة ؛ لأن التقرب من الله يكون بحسن الطاعات ، فتأكد لهم أنها تزلفهم من النار وتقصيهم من الله

---

(١) المرجع السابق ١٦/٤٤٥ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٦/٤٣٦ .

(٤) ينظر : المرجع السابق١٦/٤٤١وما بعدها .

(٥) جامع البيان ٢٣/١٩١ .

ورحمته[١] .

*

وفي قول الحق ﷻ ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾(غافر:٨٣،ك) ، احتباك "إثبات الفرح أولًا دليلٌ على حذف ضده ثانيًا ، والاستهزاء ثانيًا دليلٌ على حذف مثله أولًا " [٢] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (استهزؤوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أزال فرحهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَرِحُوا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ، واستهزؤوا بما أتاهم به الرسل ، وأتيناهم بما أزال فرحهم وحاق بهم ما كانوا يستهزئون .

وسره أنه ذكر أبشع ما كان منهم من الفرح الأشر البطر ترهيبًا من سوء الصنيع ؛ لأنهم نصبوا أنفسهم منصب العالم المنطيق وهم في الجهل ماكثون[٣] .

فالاحتباك كشف بدقة عن حال المشركين ترهيبًا من سيطرة الجهل والشرك على القلوب ، ليُوضح أسباب الكفر أمام عقول الكفار حتى يتنبهوا إلى طريق الرشد ، فالسياق العام قرر مبدأ جليلاً من مبادئ التشريع ، هو تصنيف الناس يوم القيامة صنفين يوفَّى كلٌّ ما يستحقه من العذاب والنعيم [٤] ، والخاص تحقق فيه بيان حال المشركين الذي أدى إلى هلاكهم[٥] ، فثبت تحقق العذاب الشديد ؛ ليُزيل به ما حصل لهم من الفرح بالنعم ، فبأصل فبأصل المراد تحقق أنهم "فرحوا جهلًا منهم بما عندهم من العلم ، وقالوا : لن نُبْعَثَ ، ولن يُعذِّبنا الله "[٦] ، ثم "حاق بهم من عذاب الله ما كانوا يستعجلون رسلهم به استهزاء وسخرية"[٧] . فللاحتباك أثر فاعل في إحداث علائق ربط جديدة أضافت إلى النظم لطائف

---

(١) ينظر : المرجع السابق٢٣/١٤٤ .

(٢) نظم الدرر ١٧/١٣٠ .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٧/١٢٩بتصرف .

(٤) ينظر : المرجع السابق١٧/١ .

(٥) ينظر : المرجع السابق١٧/١٢٧ .

(٦) جامع البيان ٢٤/٨٨ .

(٧) المرجع السابق ٢٤/٨٩ .

لطائف عِظاما تهذب النفوس ، وتعلمها الإعراض عن الفاني ، والإقبال على الباقي ، والخوف مما بعد الموت ، وتُجنبها الفرح الأشر ، والتفاخر ، والتعاظم ، والتكاثر المؤدي إلى التعالي على الحق والهلاك[1] ، وفي هذا إعلام للبشر أن الله يبغض البذخين الفرحين ، ويحب كل قلب حزين، وهي نعمة عليّة تنمي في العقول العلم ، وفي القلوب الإيمان ، وفي النفوس عدم الافتخار بما عندها من علم الدنيا[2] ، فإن أعظم الاستهزاء وأقبحه ما كان بالحق ، وبما جاء به الرسل من علم الله[3] .

*

ويقول تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴾ (الشورى:٤٨ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ﴾ احتباك "ذكر الفرح أولًا دال على حذف الحزن ثانيًا ، وذكر الكفران ثانيًا دال على حذفه أولًا " [4] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (كافر للنعمة) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَفُورٌ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (حزنوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَرِحَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وإذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها ، فأخرجه الفرح عن تأمل ما ينفعه ليشكر ، فكان لذلك كافرًا للنعمة ، وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم حزنوا فكفروا ، فإن الإنسان كفور . وسرّه أنه ذكر أفضل ما ينالهم وقت الرحمة ، وأنكأ ما يكون منهم وقت الشدة ؛ تنويهًا ببشاعة صنيعهم ، فـــ"الإنسان جحود نعم ربه ، يعدد المصائب ويجحد النعم"[5] .

فالغرض الأسمى من حمل النظم على الاحتباك إيضاح حال الكافر وقت إتمام النعم ؛ ترغيبًا في ملازمة الشكر ، وعند إصابته بالنقم ؛ ترهيبًا من ملازمة الجحود ، فالحذف يقرر مبدأً مهمًا من مبادئ الحفاظ على النعم في سياق بيان ما جبل عليه الإنسان من الفرح

---

(١) ينظر : نظم الدرر١٧/١٢٧وما بعدها .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٥/٣٣٦ وما بعدها بتصرف يسير .

(٣) ينظر : روح المعاني٢٤/٩١ .

(٤) نظم الدرر ١٧/٣٥١ .

(٥) جامع البيان ٢٥/٤٤ .

بالنعمة فرح شر وبطر ، والقنوط واليأس بالنقمة ، فبالمعاني الجوهرية تحقق أصل المراد وهو : إبراز حال الكافر ، إذا أعطاه ربه من عنده سعة في الرزق سر بها ، فتجاهل صاحب الإنعام ولم يقدر النعم ، وإن أصابته فاقة وفقر بما فعل من معاصي الله أيس من الخير [١] . فتأكد بالحذف لطائف عِظام من أجلِّها : إبراز حالة الكافر ترهيبًا "إذا أذقنا الإنسان مِنَّا رفاهيةً ونعمةً فَرِحَ بتلك الحالة ، وقابلها بالبَطَرِ ، وتوصَّل بتمام عافيته إلى المخالفة ، وجعل السلامةَ ذريعةً للمخالفة . وإنْ أصابته فتنةٌ وبلية ومَسَّتْهُ مصيبةٌ فإنه كفورٌ بنعمائنا ، وجحودٌ لآياتنا"[٢] ، يظن أنه فاز بكل المنى ووصل إلى أقاصي السعادات [٣] . فشكل الاحتباك أثرًا قويًّا لإبعاد المرء نفسه عن ملازمة الجحود ، والحث على التخلق بأخلاق المؤمن "إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له" [٤] .

فالاحتباك أسهم في إحداث علائق ربط بين دلالات المعاني المذكورة والمحذوفة على السواء تُعلم البشر أن إبدال الشكر بالفرح والكفر مخالفة للفطر السوية ، وتعلمهم أن تلك الطريقة "طريقة من يضعف اعتقاده في سعادات الآخرة ، وهي مخالفة لطريقة المؤمن الذي لا يعد نعم الدنيا إلا كالوصلة إلى نعم الآخرة"[٥] . فكان هذا "تنبيهًا على أن طبع الإنسان الإنسان عدم الاهتمام بشدائد الإخوان وإشارة إلى أنه مطبوع على أنه ليس عليه إلا من نفسه ، ولو أن أهل الأرض كلهم في نقمة وبؤس وعمى ، أخرجه الفرح عن تأمل ما ينفعه ليشكر"[٦] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴾(الطور:٣٢،ك) ، احتباك "ذكر الأحلام أولًا دليلًا على ضدها ثانيًا ، والطغيان ثانيًا دليلًا على ضده (العدل السواء)

---

(١) ينظر : المرجع السابق٢٥/٤٣وما بعدها .

(٢) لطائف الإشارات ٥/٣٥٩ .

(٣) ينظر : جامع البيان٢٥/٤٤ ، ونظم الدرر١٧/٣٥١ ، والتفسير الكبير٢٧/١٥٨ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الزهد والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير ٤/٢٢٩٥ ، رقم : (٢٩٩٩) من حديث صهيب ﷺ .

(٥) التفسير الكبير ٢٧/١٥٨ .

(٦) نظم الدرر ١٧/٣٥١ .

أولًا"[١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (العدل السواء) ؛ لدلالة ذكر ﴿طَاغُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ليس لهم عقول) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَحْلَمُهُم﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أم تأمرهم أحلامهم بهذا وهم يعتقدون صحته وأنه العدل السواء ، فليس لهم عقول أصلًا لقولهم هذا ، أم هم قوم طاغون .

وسره «أن ما ذكر أشد تنفيرًا من السوء وأعظم تقبيحًا له وتحذيرًا منه»[٢] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية التوبيخ الشديد من سوء حال المشركين في إعراضهم عن الرسالة المحمدية ، وإتهامهم الرسول بأنه شاعر ترهيبًا من خطر الوقوع في العذاب ، فالسياق العام قرر تحقق وقوع العذاب [٣] ، والخاص كشف عن حقيقة المشركين وعما قالوا في حق الرسالة والرسول ؛ لذا فالسياق تضمن الإنكار عليهم في قولهم[٤] ، وهذا المقصد الأعظم من القول بالاحتباك ؛ لأنه نفى عنهم أكمل صفات البشرية المتمثلة في العقل ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُم بِهَٰذَآ﴾ ، فنفى عنهم الحق –سبحانه– أهم الصفات وأثبت لهم أقبحها ؛ للدلالة على أنهم بلا عقول أصلًا ، وقد طغوا فتجاوزوا حكم الشرع في الأمر بعبادة الله [٥] ، وهذا ما حملته المعاني الجوهرية ، فثبت بالركنين المذكورين إبراز حقيقة طغيانهم ؛ لخروجهم عن الشرع رغم ظهوره ، وكل ذلك كفرًا وطغيانًا [٦] ، وبالركنين المحذوفين أهمية نماء العقول بالمعرفة من خلال الحرص على التزود بالحسن من الأقوال والأعمال ، فـ"العقل لا يعطى للكافر ولو كان له عقل لآمن ، وإنما للكافر الذهن والذهن يقبل العِلم جملة ، والعقل يميز العلم ويقدر المقادير لِحدود الأمر والنهي "[٧] . فتحقق أن من له عقل لزم العمل بطاعة الله لا محالة ، ومن كان جاهلًا أعرض عن الحق فطغى ، فتلك عقول كادها الله ﷻ فلم يصحبها التوفيق ؛ لذا لم يؤمنوا وكفروا ،

---

(١) المرجع السابق ٢٤/١٩ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) ينظر : المرجع السابق١/١٩ .

(٤) ينظر : جامع البيان٣٢/٢٧ بتصرف .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٧٣/١٧ .

(٦) ينظر : الموضع السابق .

(٧) الموضع السابق .

فالمشركون في إعراضهم عن الله بلا عقول ، لأن أصحاب العقول عرفوا الحق فاتبعوه ، والباطل فاجتنبوه[1] .

*

وكذلك قيل في : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ . هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (الصف:٨-٩،م) ، احتباك ، على تقدير : "ويعلم أن غير المشركين **يكرهون ظهور هذا الدين** ؛ لأنهم أرادوا **إطفاء نور الدين** ؛ لأنهم **يكرهون ظهور هذا الدين**"[2] .

وهو غير دقيق ؛ لعدم اتضاح وجه الاحتباك فيه ؛ ولكون التقدير المشار إليه حمل ثلاثة أركان فقط ، كلها محذوفة من أصل النظم ، وهذا لا يتمثل في القول بالاحتباك .

*

كما قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (المنافقون:١٠،م) ، احتباك "وأما قوله : ﴿وَأَكُن﴾ فقد اختلف فيه القراء[3] . فأما الجمهور فقرؤوه مجزومًا بسكون آخره على اعتباره جوابًا للطلب مباشرة ؛ لعدم وجود فاء السببية فيه واعتبار الواو عاطفة جملة على جملة وليست عاطفة مفردًا على مفرد ؛ وذلك لقصد تضمين الكلام معنى الشرط زيادة على معنى التسبب فيغني الجزم عن فعل الشرط . فتقديره : إنْ تؤخرْني إلى أجل قريب أَكُن من الصالحين، جمعًا بين التسبب المفاد بالفاء، والتعليق الشرطي المفاد بجزم الفعل. وإذا كان الفعل الأول هو المؤثر في الفعلين الواقِع أحدهُما بعد فاء السببية والآخرُ بعد الواو العاطفة عليه فقد أفاد الكلام التسبب والتعليق في كلا الفعلين، وذلك يرجع إلى مُحَسِّنِ الاحتباك . فكأنه قيل : لولا أخرتني إلى أجل قريب فَأَصَّدَّقَ

---

(١) ينظر : روح المعاني ٣٦/٢٧ وما بعدها .

(٢) التحرير والتنوير ١٩٣/٢٨ .

(٣) «قرأ أبو عمرو : «فأصدق وأكون من الصالحين » ، وقرأ الباقون : -ابن كثير،ونافع،وابن عامر، وحمزة ، والكسائي- : «فأصدق وأكن» ، كأنه جواب معنى الاستفهام ، والمعنى : لئن أخرتني ، وجزم «وأكن» عطفًا على موضعه . ألا ترى أنك إذا قلت : «أخرني أصدق» ، كان جزمًا بأنه جواب الجزاء ، وقد أغنى السؤال عن ذلك الشرط ، والتقدير : أخرني فإن تؤخرني أصدق ، فلما كان الفعل المنصوب بعد الفاء في موضع فعل مجزوم بأنه جزاء الشرط حمل قوله : «وأكن» عليه» . حجة القراءات السبع ، ص٧١٠ .

وأكونَ من الصالحين. إن تؤخرني إلى أجل قريب أصَّدَّقْ وأكُنْ من الصالحين[١] .

وفيه نظر ؛ لتنافي شرط التقابل بين المذكورين والمحذوفين من كل طرف ؛ حيثُ إن الطرف الأول فيه مذكوران هما : ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ﴾ و﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ والطرف الثاني فيه محذوفان هما : (إن تؤخرني) و(أصَّدَّقْ) .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ . وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(القلم: ٥١،٥٢،ك) ، احتباك[٢] ، فالمحذوف من الطرف الأول (كلام مجنون) ؛ لدلالة ذكر﴿إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ما أنت إلا مذكر) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "ويقولون إنه لمجنون وإن القرآن كلام مجنون ، وما القرآن إلاّ ذِكر ، وما أنت إلاّ مُذكِّر"[٣] .

وفيه نظر ؛ إذ لا فائدة من حمل النظم على الاحتباك ؛ لتكلف وجه التقدير من حيثُ ركاكة العبارة وخلوها من الحسن .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ . فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ . وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ... وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ . فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾(الحاقة:٤-١٠،ك) ، احتباك "ففي عطف هؤلاء على ثمود وعاد في سياق ذكر التكذيب بالقارعة إيماء إلى أنهم تشابهوا في التكذيب بالقارعة كما تشابهوا في المجيء بالخاطئة وعصيان رسل ربّهم ، فحصل في الكلام احتباك"[٤] .

فالقول بالاحتباك -هنا- حمل ثلاثة تقابلات من كل طرف ، فقد لازموا التكذيب بالبعث أولًا ، والإقدام على الكفر ثانيًا ، ومعصية الرسل ثالثًا ؛ ليبرز حال الكافرين في ملازمة التكذيب الذي هو نتيجة لارتكاب المعاصي ترهيبًا من الكفر ، وعلى هذا فالتقدير :

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥٤/٢٨ .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٠٩/٢٩ .

(٣) الموضع السابق .

(٤) المرجع السابق ١٢٠/٢٩ .

كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، وجاءوا بالخاطئة ، فعصوا رسل ربهم ، وكذب فرعون ومن قبله بالقارعة وجاءوا بالخاطئة ، فعصوا رسول ربهم . **وفيه نظر** ؛ لكون المقصد الأعظم يسعى لإبراز مظاهر القدرة الإلهية الموجبة صرف العبادة لله وحده ، "ولما ذكر المهلكين بالصيحة لأجل التكذيب بالقارعة تحذيرًا لمن يكذب بها ، أتبعه المهلكين بما هو سبب لإنفاذ الصيحة وتقويتها دلالة على تمام القدرة على كل نوع من العذاب بالاختيار "(١) ، فحمل النظم على ظاهره أجود عطاءً في إبراز كمال قدرة الله .

*

وكذلك قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ .وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴾(المطففين:٢-٣،ك) ، احتباك "لم لم يقل : إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا وزنوهم يخسرون ؛ ليعلم من القرينتين أنهم يستوفون الكيل ويخسرون بالنزر الحقير بالطريق الأولى ، ويكون في الكلام ما هو من قبيل الاحتباك . **وقال الزجاج : المعنى : إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل ، وكذلك إذا اتزنوا استوفوا الوزن** ولم يذكر إذا اتزنوا ؛ لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن ، فاستغنى بذكر إحدى القرينتين عن الأخرى ؛ لدلالة القرينة الآتية عليها"(٢) .

وفيه نظر: وذلك لأن أركان الطرف الأول مذكورة ، وأركان الطرف الثاني محذوفة ؛ لذا انتفى شرط القول بالحذف ، والأولى تركه ، "فكأنه ذكر (اكتالوا) ولم يذكر (اتزنوا) ؛ لأنه لا يتأتى في الوزن من المعالجة ما يتأتى في الكيل ؛ ولأنهم يتمكنون في الاكتيال من المبالغة في استيفاء المؤدي إلى الزيادة ما لا يتمكنون من مثله في الاتزان ، وهذا بخلاف الإخسار ؛ فإن التمكن بسببه حاصل في الموضعين ، فلذلك ذكرهما فيه "(٣) . وكذلك فإن "الاقتصار على ﴿إِذَا ٱكۡتَالُواْ ﴾ دون أن يقول : وإذا اتَّزنوا كما قال : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴾ اكتفاء بذكر الوزن في الثاني ؛ تجنبًا لفعل : (اتزنوا) ؛ لقلة دورانه في الكلام ، فكان فيه شيء من الثقل . ولنكتة أخرى ؛ وهي أن المطففين هم أهل التجر ، -[التجار]- وهم

---

(١) نظم الدرر ٣٤٢/٢٠ .

(٢) روح المعاني ٨٩/٣٠ .

(٣) نظم الدرر ٣١٣/٢١ .

يأخذون السلع من الجالبين في الغالب بالكيل ؛ لأن الجالبين يجلبون التمر والحنطة ونحوهما مما يكال ، ويدفعون لهم الأثمان عينًا بما يوزن من ذهب أو فضة ، مسكوكين أو غيرَ مسكوكين ، فلذلك اقتُصر في ابتياعهم من الجالبين على الاكتيال ؛ نظرًا إلى الغالب ، وذكر في بيعهم للمبتاعين الكيل والوزن ؛ لأنهم يبيعون الأشياء كيلاً ويقبضون الأثمان وزنًا"[1] .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ . وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ (الفجر:١٧-١٨،ك) ، "قد حصل في الآية احتباك ؛ لأنهم لما نُفِي إكرامهم اليتيم وقوبل بنفي أن يحضُّوا على طعام المسكين ، **عُلم** أنهم لا يحضون على إكرام أيتامهم ، أي لا يحضون أولياء الأيتام على ذلك ، وعلم أنهم لا يطعمون المساكين من أموالهم"[2] .

وفيه نظر ؛ لتحقق وجه الاحتباك في طرف واحد ، وهو أن المحذوف (لا يحضون على إكرام أيتامهم) ؛ لدلالة ذكر :﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ . وانتفى في الطرف الآخر جعل المحذوف (لا يطعمون المساكين من أموالهم) ؛ لأنه ناتج من تفسير النظم﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ ،فالمعنى على قراءة ﴿كَلَّا بَل **لَّا تُكْرِمُونَ** ٱلْيَتِيمَ . **وَلَا تَحَٰٓضُّونَ** عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾[3] بمعنى : ولا يحضّ بعضكم بعضًا على طعام المسكين ، وعلى قراءة «يُحَاضَونَ» فمعناه ولا يحافظون[4] ، وعلى قراءة«وَلَا تَحُضُّون»[5] بمعنى : ولا تأمرون بإطعام المسكين .

*

– القول بشبه الاحتباك:

يقول تعالى : ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(الأنعام:١٠٨،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ شبه احتباك "إثبات ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

(١) التحرير والتنوير ١٩١/٣٠وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ٣٣٣/٣٠ .

(٣) قراءة أهل الكوفة . ينظر : إعراب القراءات السبع وعللها ، ص٤٧٩ .

(٤) قراءة أبي عمرو وحده . ينظر : الموضع السابق .

(٥) قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر . ينظر : الموضع السابق .

أولًا دال على حذفه ثانيًا ، وإثبات التزيين ثانيًا دليل على حذفه أولًا "[1] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (زينا أعمالهم) ؛ لدلالة ذكر﴿ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (بغير علم) ؛ لدلالة ذكر﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ... فيسبوا الله عدوًا بغير علم ؛ لأنا زينا لهم أعمالهم ، كذلك زينا لكل أمة عملهم بغير علم . وسرّه أنه ذكر نتيجة سوء عملهم ، والسبب الذي حملهم على ذلك الجرم ؛ لعظم بشاعته ، تسلية للرسول ﷺ .

فالغرض الأسمى من القول بالحذف يتمثل فيما تنتجه أوجه التماثل من لطائف المعاني المؤثرة في النفوس ؛ لكونها تدعو في مجملها إلى العمل بما تقتضيه دلالة النهي عن سب ما اتخذه الكفار من الأنداد ؛ لأنه يجر إلى ارتكاب معصية في حق الدين ، فأظهر الحذف انتفاء العقل عنهم ؛ لذا أثبت لهم أقبح الصفات الموجبة للنقص الملازم لضعف العقول والقلوب ، في سياق إثبات دلائل التوحيد لله بعظيم القدرة على الإيجاد والإعدام والبعث ، وهذا ما أرشد إليه السياق العام ، أمّا الخاص فتقرر فيه إبراز النهي عن سب ما عبد من دون الله . فأصل المراد متحقق في الركنين المذكورين ، الأول : "ولا تسبُّوا الذين يدعو ن من دون الله من الآلهة والأنداد ، فيسبَّ المشركون اللهَ جهلًا منهم بربهم ، واعتداءً بغير علم "[2] ، والثاني : في ذكر تزيين المشركين في حب الأصنام والدفاع عنها ، فتحققت جملة من المعاني تدعو في المقام الأول إلى توجيه المسلم للحفاظ على مبادئ دينه وسلامة عقيدته ، بالترفع عن سب ما هو في الحقارة أقل وأدنى، وإن كان فيه مصلحة -وهي سب الشرك وأهله والتبرؤ منهم- إلا أنه يترتب عليه مفاسد أعظم منبعها الجهل بالتوحيد [3] ، وفي هذا نعمة عليّة ترشد النفوس إلى ترك ما يؤدي إلى الشر ؛ لأنه شر عظيم[4] .

*

وفي موضع أخر أسهم الحذف في إبراز قبح حال الكافرين ترهيبًا من المكوث في الكفر والضلال ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ

---

(١) نظم الدرر ٢٢٨/٧ .

(٢) جامع البيان ٣٠٩/٧ .

(٣) ينظر : جامع البيان٣٠٩/٧وما بعدها بتصرف ، وتفسير البيضاوي٤٤١/٢ ، والبحر المحيط٢٠٢/٤ بتصرف .

(٤) ينظر : تفسير البيضاوي٤٤١/٢ .

﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٢٢،ك) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ شبه احتباك " أثبت أولًا كونه في الظلمات دليلًا على تقديره ثانيًا ، وثانيًا التزيين دليلًا على تقديره أولًا"[١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (زين له سوء أعماله) ؛ لدلالة ذكر ﴿ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فهم أبدًا في الظلمات) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بما زين له سوء أعماله ، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعلمون ، فهم أبدًا في الظلمات . وسرّه : أنه ذكر أقبح ما هم عليه من الفسوق والعصيان ؛ لكونه أدل على فساد الفطرة ، وتمكن الكفر في نفوسهم ترهيبًا من الاتباع ، "والعبرة في هذا المثل أن يطالب المسلم نفسه بأن يكون حيًّا عالمًا على بصيرة في دينه وأعماله وحسن سيرته في الناس ، وقدوة لهم في الفضائل والخيرات ، وحجة على فضل دينه على جميع الأديان ، وعلو آدابه على جميع الآداب" [٢] .

إن العلاقة الرابطة بين المعاني حققت للنظم مزيد تأكيد لبشاعة صورة الكافر ، فتحقق كونه في الضلال أبدًا ؛ لما زين له من سوء عمله [٣] ، تحذيرًا من طاعة المشركين ، وتنفيرًا منهم ؛ لماهم عليه من الفسق والضلال ، ويبرز حسن المراد بعد النظر في السياق العام الساعي لإثبات وحدانية الله من خلال إثبات مظاهر العظمة من الإيجاد والإعدام والقدرة على البعث[٤] ، والخاص بما تحقق فيه من انتفاء التسوية بين من كان كافرًا يجادل في حكم الله فصار مؤمنًا – بهدايه الله – يعرف مضارّ نفسه ومنافعها ، وبين الكافر الضال الذي لا يبصر رشدًا ولا يعرف حقًّا [٥] ، فاتضحت للبشر أسباب الوقوع في الكفر ؛ ليتجنبوا خطرها ، فبهذا يبصرون الطريق الصحيح طريق الإيمان . وللحذف أثر كبير في إحداثِ علائقِ ربطٍ أضافت إلى أصل النظم معاني حِسانًا من أبرزها : إظهار حالة الكافر في سيطرة

---

(١) نظم الدرر ٢٥٣/٧وما بعدها .

(٢) التحرير والتنوير ٣١/٨وما بعدها .

(٣) ينظر : جامع البيان٢٢/٨ .

(٤) ينظر : نظم الدرر١/٧ .

(٥) ينظر : جامع البيان٢٢/٨ .

الكفر على نفسه ، وتمكن الظلام على عقله ، فلا يبصر للحق طريقًا ، ولا يعرف للكفر مخرجًا ؛ لتمكنه فيه[1] ، فإن في تأمل حالة هذا الكافر ، واستشعار قبح حاله ، وبأس مآله نعمة عليّة لإقناع الكفار بالعدول عن كفرهم ، كما أن فيه توجيهًا كريمًا إلى حسن استخدام العقل في إقامة الدليل ، والنهي عن اتباع الأهواء المضلة بغير هدى ، فـ"القلب الذي ينقطع عن الحياة ، والإيمان ، والنور ، يسمع في الظلمة للوسوسة ، فلا يرى ولا يحس ولا يميز الهدى من الضلال" [2] . وفي تبصر دلالة الخطاب إشارات تُعلي من شأن الحذف ، منها : بناء الفعل ﴿زُيِّنَ﴾ للمجهول ، "وقد بني فعل التزيين هنا للمفعول ؛ لأن المشبه به حسن وقبيح ، فالأول تزيين عمل المؤمن للمؤمن ، والثاني تزيين عمل الكافر للكافر ، وإنما لم يذكر في المشبه إلا النوع الثاني ؛ لأن السياق له ، وإنما ذكر الأول في المثل المشار إليه في التشبيه ؛ لبيان قبح الضد بمقابلته بحسن ضده ، والذي يزين للكافرين أعمالهم القبيحة هو الشيطان بوسوسته" [3] ، ثم جمال الاستعارة في ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ حيثُ استعيرت للجهل والضلال والكفر بجامع عدم الإدراك في كل ، ثم الكناية في ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ عن دوام تلك النقم التي أحل الكافر فيها نفسه بإصراره على كفره ، فهو كأنه محبوسٌ في مكان تحيط به الظلمات من كل جهة ، ضيقة أنفاسه ، كالح وجهه ، منقبض صدره ، وزيادة حرف الباء في خبر ليس -﴿بِخَارِجٍ﴾- لزيادة في المعنى هي : تأكيد عدم الخروج من ذلك السِّجن الذي حبس الكافر فيه كفرهُ ، وأحاطت به خطيئته[4] .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾(الأنعام:١٤٨،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ، شبه احتباك "أثبت أولًا الإشراك

---

(١) ينظر : الموضع السابق بتصرف .

(٢) في ظلال القرآن ٨/١٢٠١ .

(٣) تفسير المنار ٨/٣١وما بعدها .

(٤) ينظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم١/٣٤٠ .

دليلًا على حذفه ثانيًا ، وثانيًا التكذيب دليلًا على حذفه أولًا " [1] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تكذيبًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَذَّبَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أشركوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَشْرَكُواْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : سيقول الذين أشركوا تكذيبًا منهم لو شاء الله ما أشركنا ولا آبآؤنا ولا حرمنا من شيء ، كذلك كذب الذين أشركوا من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا .

وسرّه أنه ذكر أعظم الكبائر ترهيبًا من سوء الصنيع وبشاعة الجرم الذي سيقولون به .

إن الغرض الأسمى من حمل النظم على الحذف تمثل في إبراز صورة الكافرين في شدة ملازمتهم الشرك والتكذيب ترهيبًا اقتضاه السياق ودعا إليه المقام ؛ لكون المقصد الأعظم من بناء السورة يسعى لإيضاح دلائل القدرة على تحقق البعث ، ففيه إرشاد إلى أهمية الإيمان بالغيب ؛ لأنه أدل على التوحيد ، أمّا الخاص فتضمن الإخبار بقول الكفار بمشيئة الله في إبطال نبوة الأنبياء ، وهذا باطل يمنع من اتباع الظن في الأمور العقدية [2] ، فأصل المراد متحقق في أن الله كلف البشر عامة أن يعلموا أوامره ونواهيه ، ثم يكلفوا أنفسهم القيام بها طاعة وتسليمًا ، وحين يحاولون العمل بحقيقتها يهديهم الله ويشرح صدورهم لنور الإسلام [3] ، فثبت أن العذاب سيقع على كل من لازم الكفر أولًا ، وتأكد حقيقة قيام الساعة ثانيًا ، تحقق سؤال الكافرين عن سبب شركهم وتكذيبهم ثالثًا ؛ حثًّا على الحرص والاجتهاد في طلب الحق والعمل به ، لترتقي به النفوس في معرفة وحدانية ربها [4] . ومن أبرز لطائف القول بالحذف الحث على مراعاة الصحة في تقديم الحجج والبراهين ؛ لتكون سندًا صحيحًا به يتقوى صاحبها ، لا سندًا باطلًا يهوى بصاحبه في النار . ثم إعلام النبي ﷺ خاصة والبشر عامة بحال المشركين يوم القيامة وهو غيب عند الله ؛ للإرشاد إلى حقيقية كفر المشركين لما لزمتهم الحجة وتيقنوا باطل ما كانوا عليه في الدنيا ، فإن في العلم نورًا به تحيا القلوب ، وفي الجهل ظلامًا يطمس العقول ، فالعبد لو أراد أن يفعل بالتكاليف

---

(١) نظم الدرر ٣١٢/٧ .

(٢) ينظر : تفسير البيضاوي٤٤١/٢ ، والتفسير الكبير١٨٦/١٣ ، التحرير والتنوير١٤٨/٨بتصرف .

(٣) ينظر : في ظلال القرآن١٢٢٧/٨ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٢٨/٧وما بعدها بتصرف .

من أوامر ونواهٍ لأمكنه ذلك بنور الفطرة السليمة ويقين العقل المبين [(١)] .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الأنفال:١٣،م) ، شبه احتباك "ذكر الفعل المدغم أولًا دليلًا على حذف المظهر ثانيًا ، والمظهر ثانيًا دليلًا على حذف المدغم أولًا "[(٢)] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (شاقوه) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُشَاقِقِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يشاقّه) ؛ لدلالة ذكر ﴿شَآقُّوا۟﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله وشاقوه –باشتهار السيف جهرًا– ، ومن يشاقق الله ويشاقه –سرًا أو جهرًا– ورسوله فإن الله شديد العقاب .

وفيه نظر ؛ لتكلف التقدير ؛ لما فيه من ركاكة لا تناسب جمال النظم وهيبته ، ثم إن المقصود من الحذف –وهو : بيان بشاعة حال المخالفين أمر الله ورسوله ، حيث قال بنبرة الترهيب الشديد من سوء الصنيع وسوء الجزاء :﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ فأظهر الإدغام في المضارع (يشاقق) ؛ لأن القصة للعرب ، وكان أمرهم في عداوتهم بعد الهجرة فيه مجاهرة وشدة ، وأدغم في الماضي (شاقّوا) ؛ لأن ما مضى قبلها كان ما بين مساترة بالمحاكرة ومجاهرة بالمقاهرة ، وعبر بالمضارع ندبًا إلى التوبة بتقيّد الوعيد بالاستمرار [(٣)]–متحقق دون تأويل . وفي موضع آخر من سورة الحشر ، قال تعالى :﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الحشر: ٤،م) ، أدغم في الموضعين (شاقوا ، ويشاق) ؛ لأن القصة لليهود ، وأمرهم كان ضعيفًا ومساترة في محاكرة [(٤)] . فما أصابهم من العذاب الفظيع كان بسبب مشاقتهم ومغالبتهم من لا سبيل إلى مغالبته أصلًا ، فبلغ بهم العذاب أقصى درجات الشدة والفظاعة ،

---

(١) ينظر : الموضع السابق .

(٢) نظم الدرر ٨/٢٣٩ .

(٣) ينظر : المرجع السابق٨/٢٣٨ .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

وهذا ما اتضح من إيثار التعبير باسم الإشارة (ذلك) ، فهو للبعيد[١] ، ومن إظهار لفظ الجلالة (الله) في موضع الإضمار ؛ وذلك لتربية المهابة وإظهار كمال شناعة ما اجترؤوا عليه ، ومن التذييل[٢] الذي عمّ كل من يشاقق الله ، وعم أصناف العقائد في ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٣] .

*

كما أسهم الحذف في نفي الإيمان من أهل الكفر ترهيبًا، وذلك في : ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (التوبة: ٤٥م) ، ففيه شبه احتباك[٤] ، فالمحذوف من الطرف الأول (لم يؤمنوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في الطرف الأول ،ومن الطرف الثاني حذف (ترتاب قلوبهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ، في الطرف الثاني. وتقديره : "الذين لم يؤمنوا ولا يؤمنون وارتابت وترتاب قلوبهم"[٥] .
وسره أن "الارتياب ملازم لانتفاء الإيمان" [٦] .

فصورة الحذف التركيبية -هنا- تركز على إبراز حال المشركين ؛ لإظهار شدة ملازمتهم الكفر ترهيبًا اقتضاه السياق العام المتضمن معاداة من أعرض عن التوحيد وموالاة من أقبل عليه[٧] ، وكذا الخاص لما تحقق فيه إبراز صفات المنافقين في تخلفهم عن الجهاد ، فهم "في شكهم متحيِّرون ، وفي ظلمة الحيرة متردِّدون ، لا يعرفون حقًّا من باطل "[٨] ، وهذا هو أصل المراد المتحقق في المعاني الجوهرية ، الأول : في ذكر أنهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ ، والثاني : في ذكر ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ، فثبت بالركنين المذكورين ملازمة الكفر والارتياب لهم ؛ لإنكارهم أهم مبادئ التوحيد ، وبالمحذوفين مزيد التأكيد

---

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم٤/١١ .
(٢) وهو :أن يقطع الكلام بما يشتمل على معناه توكيدًا لا محل له ، التبيان في البيان ، ص٣٠٧ .
(٣) ينظر : التحرير والتنوير٩/٢٨٤ .
(٤) ينظر : المرجع السابق١٠/٢١٣ .
(٥) الموضع السابق .
(٦) الموضع السابق .
(٧) ينظر : نظم الدرر٨/٣٥٠ .
(٨) جامع البيان ١٠/١٤٣ .

لتحقق تلك الصفات ، فهم لا يجزمون بشيء من التوحيد ؛ لما فيهم من الشك[1] ، فالشاك المرتاب غير مؤمن بالله[2] ، ففيه إرشاد يوجب أهمية الإيمان بالله واليوم الآخر ، وهذا يُعظم في النفوس المحافظة على الطاعة . وللحذف أثر بارز في إعلام البشر عامة أن الباعث على ملازمة الجهاد هو صدق الإيمان بالله واليوم الآخر ، " فمن آمن بهما قاتل في سبيل دينه وتوحيده وهان عليه القتل فيه ؛ لما يرجوه في اليوم الآخر من النعيم المقيم ، ومن لم يؤمن بمعزل عن ذلك ، فالإيمان بهما مستلزم للإيمان بسائر ما يجب الإيمان به" [3] .

*

وكما قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾(يونس:٧٧،ك) ، شبه احتباك "ذكر القول في الأول دال على حذف مثله في الثاني ، وذكر السحر في الثاني دال على حذف مثله في الأول "[4] . وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (السحر) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَسِحْرٌ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (تقولون) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَتَقُولُونَ ﴾ في الطرف الأول . وتقدير الكلام : أتقولون للحق لما جاءكم ، إنّه سحر ، أسحر هذا حتى تقولون فيه ذلك .

وفي هذا نظر ؛ لتكلف القول بالحذف ؛ لكون المعنى لا يحتمل التأويل على تلك الطريقة ؛ لأن العلة منه ظاهرة- في أنه ذكر أبشع ما كان منهم تجاه الحق ترهيبًا ، وإعلامًا بأن استكبارهم عائد عليهم ؛ لكون القول والسحر مجتمعين في عدم الصحة ، فلا ثبات لهما ولا أصل لما يقولون- في سياق الآية مع ما قبلها ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ وما بعدها ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس:٧٨،ك) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾(إبراهيم:

(١) ينظر : نظم الدرر٨/٤٨٩ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير١٦/٦٢ .

(٣) روح المعاني ١٠/١١٠ .

(٤) نظم الدرر ٩/١٧١ .

٢٨،ك) ، شبه احتباك ؛ لكون المحذوف من الطرف الأول (شُكرَها) ؛ لدلالة ذكر ﴿كُفْرًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (نقمة) ؛ لدلالة ذكر ﴿نِعْمَتَ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : "بدلوا نعمة الله وشُكرَها كفراً بها ونقمةً منه"[(١)] .

وسرّه : أنه ذكر أفضل ما منّ به عليهم من النعم ترغيبًا في لزوم شُكرِها ، وأقبح ما كان منهم في مقابلة تلك النعم ترهيبًا من كُفرها ؛ إذ "وضعوا الكفران محل الشكر ، فاستعملوا النعمة للكفر ، بدلًا من استعمالها فيما كان ينبغي لها من الشكر "[(٢)] . فالأعلى بمقام الخطاب والأولى لما يقتضيه السياق حمل النظم على شبه الاحتباك ؛ لما فيه من المساهمة في إبراز الجانب الإيماني من خلال تقبيح صورة الكافرين في لزوم الجحود والنكران . وبتبصر دلالة السياق العام يتضح حسن الحذف ؛ لأنَّ مقصد السورة الأساسي متمثِّلٌ في تحقيق الدعوة إلى التوحيد[(٣)] ، فمن فيض رحمانيته إرسال الرسل رحمة ، ونعمة للخلائق ، فمن أقبل وشكر دخل الجنة ، ومن أعرض وكفر دخل النار ، والخاص مختص بالحديث عن كفار أهل مكة[(٤)] ، فبعد أن ذكر حال المؤمنين وهداهم ، وحال الكافرين وإضلالهم ، ذكر السبب في إضلال المشركين وهو تبديل نعمة الله كفرًا[(٥)] ، فتحقق بالحذف تأكيد قبح إعراضهم عن شكر أنعم الله ، والتي من أجلِّها نعمة إرسال محمد ﷺ بالتوحيد إليهم ، فلم يصدر منهم أدنى شكر ، و"لأن شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرًا ، فكأنهم غيروا الشكر إلى الكفر "[(٦)] . وفي تدبر دلالة الاحتباك تحذير بالغ يكشف عن قبح ملازمة الجحود والنكران ، وحثّ يرشد إلى الحرص على دوام شكرها ، فإن في دوام شكرها تأكيد بقائها .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢٨/١٣ .

(٢) لطائف الإشارات ٢٥١/٣ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٣٦٩/١٠ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٢١٩/١٣ .

(٥) ينظر : البحر المحيط ٤١٩/٥ .

(٦) الكشاف ٣٧٧/٢ .

﴿وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(النحل: ٦٣،ك) ، شبه احتباك[1] ، فالمحذوف من الطرف الأول (زين لهم الشيطان أعمالهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (كان وليهم من قبل) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ في الطرف الثاني . وتقدير الكلام : "لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزيّن لهم الشيطان أعمالهم فكان وليّهم حينئذٍ ، وهو وليّ المشركين اليوم يُزيّن لهم أعمالهم كما كان وليّ من قبلهم"[2] .

وفيه نظر ؛ لأن أركني الطرف الأول مذكوران معًا ، والطرف الثاني محذوفان معًا .

*

كما قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴾ (طـه : ٨٦،ك) ، شبه احتباك " ذكر طول العهد الموجب للنسيان أولًا دليلًا على حذف العناد ثانيًا ، وذكر حلول الغضب ثانيًا دليلًا على انتفاء الجناح أولًا "[3] ، المحذوف من الطرف الأول (لم يكن عليكم في الإخلاف جناح) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (عاندتم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "أطال عليكم العهد بزيادة عشرة أيام فنسيتم ، فلم يكن عليكم في الإخلاف جناح؟ أم أردتم أن يحل عليكم الغضب فعاندتم"[4] .

وسرّه "أنه ذكر السبب الذي هو طول العهد أدل على النسيان الذي –هو المسبب– ، وإثبات الغضب وهو المسبب أنكأ من إثبات سببه الذي هو العناد "[5] . **وفيه نظر** ؛ لعدم اتضاح المراد منه .

*

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير١٤/١٩٥ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) نظم الدرر ١٢/٣٢٧وما بعدها .

(٤) الموضع السابق .

(٥) الموضع السابق .

وفي موضع آخر أبرز الحذف حال أهل الكفر ترهيبًا ، وذلك في قول الحق ﷻ :
﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾(الحج:٣١م) ، ففيه شبه احتباك "خطف الطير الملزوم للتقطع أولًا دال على حذف التقطع ثانيًا ، والمكان السحيق الملزم لبلوغ الأرض ثانيًا دليل على حذف ضده أولًا"[١] . فالمحذوف من الطرف الأول (يصل إلى الأرض) ؛ لدلالة ذكر ﴿فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يتقطع) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فتخطفه الطير وهو نازل في الهواء قبل أن يصل إلى الأرض ، أو تهوي به الريح في مكان سحيق ، فيتقطع حال وصوله إلى الأرض .
وسره أنه ذكر أنكأ ما يكون للمشرك من هول السقوط وبشاعة التقطع .

فالنمط التركيبي لطبيعة الحذف أسهم في إبراز صورة المشرك في شركه ترهيبًا من الوقوع في الشرك ؛ لما عليه من الضلال والسقوط ، ففي تبصر دلالة الخطاب إشارات تبرز القول بالحذف ؛ لما تحقق في العام من الحث على ملازمة التقوى المنجية من هول القيامة[٢] ، والخاص لما تحقق فيه إبراز "عظمة التوحيد وعلوه ، وفظاعة الشرك وسفوله" [٣] ، فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في المعاني الجوهرية المتضمنة الحث على اجتناب عبادة الأوثان ، والاستقامة على إخلاص التوحيد لله بإفراد الطاعة له ، فإنه من يُشرك بالله كمن خرّ من السماء فتخطفه الطير فهلك ، أو هوت به الريح في مكان سحيق [٤] . فأنتج الحذف جملة من لطائف المعاني أسهمت بأثر فاعل في إبراز حال المشرك بدافع إعلام البشر-خصوصًا الخارجين عن الشرع- بحقيقة الشرك وحال الواقع فيه ؛ ترهيبًا من قوة السقوط ، وشدة الضغطة لبعد السقوط ، فتحقق هلاكه لا محالة ، إمّا في السماء بخطف الطير له ، وإمّا في الأرض حال وصوله[٥] . فاستشعار صورة المشرك حافز يولد في النفوس عِظم الجرم وبشاعة وبشاعة العذاب وشده الخوف من الله ؛مما يدفع إلى اتقاء ذلك بالرجوع إلى الإيمان . وفي

---

(١) نظم الدرر ٤٤/١٣ .
(٢) ينظر : المرجع السابق١/١٣ .
(٣) المرجع السابق ٤٣/١٣ .
(٤) ينظر : جامع البيان١٥٥/١٧ .
(٥) ينظر : نظم الدرر٤٤/١٣ .

الحذف تذكير لعامة الخلق بأن المشرك في القيامة لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ، فهو في أدنى درجات الضعف .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[1] (الشعراء:٦،ك) ، شبه احتباك "ذكر التكذيب أولًا دليلًا على حذفه ثانيًا ، والاستهزاء ثانيًا دليلًا على حذف مثله أولًا"[2] ، فالمحذوف من الطرف الأول (استهزؤوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (التكذيب) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَذَّبُوا۟﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فقد كذبوا واستهزؤوا بآيتنا ، فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون ، وقد ضموا إليه التكذيب . وسره أنه ذكر أبشع ما يكون منهم تجاه الحق ترهيبًا من الوقوع في التكذيب والاستهزاء ؛ لشدة خطرهما الموجب شدة العذاب .

فالمقصد من حمل النظم على الحذف إبراز مطلق التكذيب والاستهزاء الذي يصدر من أولئك الكافرين المكذبين المستهزئين بالدعوة المحمدية[3] ، وإظهار جرم المشركين في حرصهم على ملازمة التكذيب والاستهزاء ؛ لتماديهم في كفرهم ، وتمرّدهم على ربهم ، وهذا دليل ضعفهم ، وعجزهم ، وذلهم[4] ، فمن خلال أوجه التماثل تحقق مزيد تأكيد ما عليه الكافرين من إنكار الحق تكذيبًا ، ومن الكفر بالرسول محمد ﷺ استهزاءً ؛ ففي هذا ترهيب شديد من عاقبة الاستهزاء والتكذيب ، إما بعذاب الدنيا ، أو بعذاب الآخرة المنتظر[5] . فالغاية القصوى إيضاح أسباب الوقوع في الكفر من خلال تأكيد قبح بشاعتها وشدة عذابها ؛ حثًّا على التخلي عنها ، وحرصًا على الإيمان بالتوجيه والإرشاد إليه[6] .

*

---

(١) يمكن أن يقال مثل هذا التقدير في قول الحق عز وجل : ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾(الأنعام:٥،ك) .

(٢) نظم الدرر ١٠/١٤ .

(٣) ينظر : نظم الدرر١٣/١٤ ، و إرشاد العقل السليم٢٣٤/٤ .

(٤) ينظر : جامع البيان٦٢/١٩ .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن٢٥٨٥/١٩ .

(٦) ينظر : البحر المحيط٧٩/٤ .

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾(القصص:٤،ك) ، شبه احتباك "ذكر العلو أولًا دليلًا على السفول ثانيًا ، والافتراق ثانيًا دليلًا على الاجتماع أولًا " [١] . فالمحذوف من الطرف الأول (جمعنا عليه الجنود) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (سفل أمرهم) ؛ لدلالة ذكر﴿ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن فرعون علا في الأرض ؛ لأنا جمعنا عليه الجنود ، فكانوا معه إلبًا واحدًا ، فأنفذنا بذلك كلمته ، فكفر تلك النعمة ، وجعل أهلها شيعًا ، فافترقت كلمتهم ، فتخاذلوا فسفل أمرهم . وسره أنه ذكر أبشع ما كان منه تقبيحًا لبشاعة جرمه وعظم فعله .

فالعلائق الرابطة بين المعاني أسهمت في إبراز صورة فرعون وعظمته في الدنيا ؛ لما عليه من الظلم الشنيع بادعائه الألوهية ، وتجبره على عباد الله ترهيبًا ؛ لإبطال ما كان يصبو إليه من الشر والفساد ، في سياق الأمر بملازمة التواضع لله المستلزم التوحيد به[٢] ، وهذا هو المقصد الأعظم من السورة ، فتحقق الترغيب في العمل بموجب الشرع في الحرص على التخلق بالتواضع وحب العدل ، فإن في الخروج عنهما خروج عن اتباع الشرع الذي يوجب الهلاك . فبالمعاني الجوهرية تحقق أصل المراد المتمثل في الترهيب من الخوض في الشرك ، وملازمة الفساد ، فـ"فرعون تجبر في أرض مصر وتكبر ، وعلا على أهلها وقهرهم ، حتى أقرّوا له بالعبودية " [٣] ، ثم جعل أهلها فرقًا متفرّقين[٤] ، أما المعاني الإحسانية فدعت في المقام الأول إلى تهذيب النفوس بغرس قيم قيم الدين السمح فيها ، من خلال تعليمهم حب التواضع وملازمته في كل الأمور ، ومع كافة البشر خصوصًا من كانوا ضعفاء تحت ملكه [٥] ، "فالطغاة تخدعهم قوتهم وسطوتهم وحيلتهم فينسون إرادة الله وتقديره ، ويحسبون أنهم يختارون لأنفسهم ما

---

(١) نظم الدرر ٢٣٩/١٤ .

(٢) ينظر : المرجع السابق٢٣٢/١٤ .

(٣) جامع البيان ٢٧/٢٠ .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٢٤٨/١٣بتصرف .

يحبون ، ويختارون لأعدائهم ما يشاءون ، ويظنون أنهم على هذا وذاك قادرون "[1] ، فإن في إبراز حال فرعون وعظمته في الدنيا إرشادًا جليلاً يدفع إلى حسن الاتعاظ ؛ لتكون العبرة بهلاكه بعد ذلك العلو أكبر العبر ، وفي إعلامهم بأن إفساده في الأرض سبب طغيانه وبغيه نعمة عليّة ترشدهم إلى التخلص من البغي والفساد وملازمة التواضع ولين الجانب .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (القصص:٥٠،ك) ، شبه احتباك ، حيثُ «أثبت أولًا اتباع الهوى دليلًا على حذفه ثانيًا ، وثانيًا الظلم دليلًا على حذفه أولًا»[2] . فالمحذوف من الطرف الأول (فهم ظالمون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا تباعهم أهواءهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فاعلم أنما يتبعون أهواءهم فهم ظالمون غير معتدين ، بل هم أضل الناس ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين ؛ لاتباعهم أهواءهم . وسرّه أنه ذكر قبح حالهم ؛ لترديهم في درك الكفر ترهيبًا .

فالنمط التركيبي لطبيعة الحذف أسهم بأثر فاعل في إيضاح حال الكافرين ؛ تحذيرًا من اتباع الهوى ، والظلم ؛ إذ هما موجبا الإشراك بالله سبحانه ، فتقرر في النفوس عِظم الترهيب من اتباع الأهواء المضلة عن الحق ، والخوض في الظلم ؛ ليحفظ المرء نفسه من الوقوع فيها .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ

---

(١) في ظلال القرآن ٢٦٧٩/٢٠ .

(٢) نظم الدرر ٣١٢/١٤ .

﴿يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾(الأحزاب:٤م) ، شبه احتباك "ذكر الفم أولًا دليلًا على نفيه ثانيًا ، والحق ثانيًا دليلًا على ضده الباطل أولًا" [١] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الباطل) ؛ لدلالة ذكر﴿ٱلۡحَقَّ﴾في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فم) ؛ لدلالة ذكر﴿بِأَفۡوَٰهِكُمۡ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ذلكم قولكم بأفواهكم ؛ لأن من كان له فم كان محتاجًا ، ومن كان محتاجًا كان معرضًا للنقائص والأوهام ، ومن غلبت عليه الأوهام كان في كلامه الباطل ، والله يقول الحق ؛ لأنه متره عن النقائص ، فلا جارحة ثم ليكون بينهما وبين معد القول مخالفة من فم أو غيره وعما يقتضي حاجة .وسرّ ذلك "أنه ذكر ما يدلُّ على النقص في حقنا وعلى الكمال في حقه ، ودل التتريه بالإشارة ليبين فهم الفقهاء ، وعلم العلماء"[٢]

وفيه نظر ؛ لتكلف فهم المراد ، فلا حاجة إلى حمل النظم على الحذف –والله أعلم– ؛ وذلك لكون الوجه المشار إليه لم يبرز عند جمهرة المفسرين ؛ لذا أبانوا المقصود من ﴿ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ﴾ بجعل (ذلكم قولكم) جملة مستأنفة تؤكد بطلان العادات ، وهذا من قبيل التأكيد المعنوي ، والمهم أن القول الكائن بالفم ، والذي لا يتجاوزه إلى القلب واليقين ، تأكيد لكون الصورة المتقدمة صورة باطلة ؛ وأنها لا أساس لها من الفطرة الصادقة والشرع الحكيم "فذكَرَ أفْوَاهَهُمْ تنبيهًا على أن ذلك كَذِبٌ مَقُولٌ لا عَنْ صِحةِ اعْتِقَادٍ" [٣] ، وفي اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ تمييز للمشار إليه عن كل صواب ، وتبرئة من هذا القول ، أي : **هو قولكم لا قولنا** ، وقوله :﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ﴾ اتصال بالجملة السابقة ؛ لأن قول الحق يقابل قول الباطل الذي لا يكون إلا بالفم ، ومن هنا كانت المناسبة واضحة في هذه المقابلة بين أكثر من نقيضين في الوجود (الحق ، والباطل) ، وفيه إشارة إلى أن الحق أغلب ؛ لأنه تُستَمَدُّ قوته من قوة الله ﷻ ، والباطل يستمد بقاءه من بقاء الإنسان[٤] . فالمقام ليس للمقارنة ؛ إذ لا وجه لها أصلًا ، وإنما مقام بيان عدم صحة ما يقوله القائلون من أن يكون لرجل قلبين في جوف ، وأحكام تتعلق بالمظاهرة والتبني ، فليس

---

(١) المرجع السابق ٢٨٧/١٥ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) المفردات في غريب القرآن ، مادة : «ق،و،ل» ، ص٤١٦ .

(٤) ينظر : من أسرار التعبير القرآني ، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب ، ص٦٤وما بعدها .

لأحد قلبان ، وليست الأزواج أمهات ، ولا الأدعياء أبناء ؛ لاشتراكهما في كونها مقولة لا حقيقة لها[١] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (الأحزاب:١٢،م) ، شبه احتباك "ذكر النفاق أولًا دال عليه ثانيًا ، وذكر المرض ثانيًا دليل عليه أولًا"[٢] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول «قلوبهم مريضة» ؛ لدلالة ذكر ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف «النفاق» ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وإذ يقول المنافقون ؛ لأنَّ قلوبهم مريضة ، والذين في قلوبهم مرض فهم لم يصلوا إلى الجزم بالنفاق ، ولا الإخلاص في الإيمان ، ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا . وسرّه أن ذلك أدل على كفرهم وتمكن النفاق في قلوبهم ؛ لضعف اعتقادهم ، وشدة تزلزلهم .

فالقول بالحذف يشكل أثر قويًّا لإبعاد البشر عن النفاق والتكذيب حتى لا يتعرضوا لشدة العذاب ، فهو ذو اعتلاق بالغ بالسياق العام ؛ لما تحقق فيه من الحث على لزوم الصدق في الإخلاص في التوجه إلى الله [٣] ، فثبت عِظَمَ ما يحيط بقلوب أهل النفاق من غشاوة الضلال ، ففي تبصر دلالة الخطاب إشارات تُعلي من شأن الحذف منها : إبراز كثرة حدوث النفاق منهم واستمرارهم فيه لدوام حالهم عليه ؛ لذا أوثر التعبير بـــ ﴿يَقُولُ﴾ ؛ ليكشف عن تكرار ذلك منهم مرة بعد أخرى [٤] ، ومن أبرز جواهر المعاني الإحسانية أن الحذف أسهم في إعلام البشر أن "القلوب أربعة : قلب أجرد فيه سراج يزهو ، فذلك قلب المؤمن ، وقلب أسود منكوس ، فذلك قلب الكافر ، وقلب مربوط على غلاف ، فذلك قلب المنافق ، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق ، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد ، فأيّ المدتين غلبت عليه

---

(١) ينظر : حاشية الشهاب على البيضاوي١٥٩/٧ .

(٢) نظم الدرر ٣٠٤/١٥ .

(٣) ينظر : المرجع السابق٢٧٣/١٥ .

(٤) ينظر : المرجع السابق٣٠٤/١٥ .

حكم له بها" [١] ، وهذا دافع إلى الترقي في مراتب الإيمان بغية امتثال التوحيد .

*

وكذلك في قول الحق ﷻ : ﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ﴾(سبأ:٨،ك) ، شبه احتباك "ذكر الافتراء أولًا يدل على ضده ثانيًا ، وذكر الجنون ثانيًا يدل على ذكر ضده أولًا "[٢] . فالمحذوف من الطرف الأول (عاقل) ؛ لدلالة ذكر ﴿جِنَّةُۢ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (من أهل القصد) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَفۡتَرَىٰ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أفترى على الله كذبًا ، وهو عاقل يصح منه القصد ، أم به جنّة ؛ لأنه ليس من أهل القصد .

وفيه نظر ، لكون المقدر من كلا الطرفين تفسيرًا ناتجًا عن فهم المعنى ، حين جعلوا الرسول ﷺ دائرًا بين الكذب والجنون ، بناء على أنه إن كان ما قاله من البعث قاله عن عمد وسلامة عقل ، فهو في زعمهم مفتر ؛ لأنهم يزعمون أن ذلك لا يطابق الواقع ؛ لأنه محال في نظرهم القاصر ، وإن كان قاله بلسانه لإملاء عقل مختلّ فهو مجنون ، وكلام المجنون لا يوصف بالافتراء . وإنما ردَّدوا حاله بين الأمرين بناء على أنه أخبر عن تلقي وحي من الله ، فلم يبق محتملاً لقسم ثالث ، وهو أن يكون متوهمًا أو غالطًا[٣] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ . وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾(الزخرف:٣٨-٣٩ك) ، شبه احتباك "به زال عنها ما كان من إعراب المعربين [٤] لها موجبًا للارتباك (فيا ليت) إلى آخره دال على تقدير ضده ثانيًا (ولن ينفعكم) إلى آخره دال على تقدير مثله أولًا " [٥] ، فالمحذوف من الطرف الأول (لن ينفعكم ذلك اليوم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ في الطرف

---

(١) الموضع السابق.

(٢) المرجع السابق ٤٥٢/١٥ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير١٥١/٢٢ .

(٤) ينظر : الدر المصون٥٩٠/٩وما بعدها .

(٥) نظم الدرر ٤٣٢/١٧ .

الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يا ليت أنا لا نفترق ...) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ، فلن ينفعكم ذلك اليوم يوم جئتمونا ؛ إذ تمنيتم هذا التمني حين عانيتم تلك الأهوال اشتراككم اليوم ، ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم ، يا ليت أنّا لا نفترق أبدًا ، فنعم القرين أنت . **وفيه نظر** ؛ لعدم اتضاح علة القول بالحذف .

*

وكذلك في قول الحق ﷻ : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾(محمد:٢٤،م) ، شبه احتباك "ذكر التدبر أولًا دليلًا على ضده ثانيًا ، والأقفال ثانيًا دليلًا على ضدها أولًا " [١] .

وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (منفتحة) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَقۡفَالُهَآ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا يتدبرون) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَتَدَبَّرُونَ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : أفلا يتدبرون القرآن بقلوب منفتحة ، أم على قلوب أقفالها ؛ لأنها لا تقدر على التدبر .

وسرّه أنه "ذكر نتيجة الخير الكافلة بالسعادة أولًا ، وسبب الشر الجامع للشقاوة ثانيًا"[٢] .

إن الغرض الأسمى من حمل النظم على الحذف تمثل في الحث ترغيبًا وترهيبًا على التدبر في قراءة القرآن بقلوب واعية ، فإن الله إذا أراد بعبد خيرًا أبصرت عيناه اللتان في قلبه ، وإذا أراد به غير ذلك طَمسَ عليهما [٣] . فتحققت أهمية العمل على تدبر آيات الله للوصول إلى باهر الدلائل الموصلة إليه ، وفي حمل النظم على الحذف معانٍ ثرية توجه البشر إلى الارتقاء في مدارج الطاعات ، ولا يخفى على ذي بصيرة أثر نعمتي التدبر والتأمل في فتح آفاق الخير ، فالقول به جاء في سياق يدعو إلى لزوم حفظ الدين بإدامة الجهاد للكفار [٤] . أمّا الخاص ففيه دعوة إلى تدبر القرآن بقلوب واعية تعيه حق وعيه من خلال الإخبار عن حال

---

(١) المرجع السابق ١٨/٢٤٥ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) ينظر : جامع البيان٢٦/٥٧ .

(٤) ينظر : نظم الدرر١٨/١٩٤ .

الكافرين بإقفال قلوبهم[١] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في المعاني الجوهرية ، الأول : "أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه ﷺ ، ويتفكَّرون في حُججه التي بيَّنها لهم في تتريله فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون"[٢] ، والثاني : في " أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعِبَر" [٣] . فالقول بالحذف أجود عطاءً في فهم المراد ؛ لما حققته المعاني الإحسانية من إعلام البشر بحقيقة التدبر والتأمل في جعل القلوب منشرحة مهتدية ، فهما –التأمل والتدبر– سبب في إنارة البصائر وفتح القلوب ، فتحقق في العقل أن مفاتيح القلوب الإدامة على التأمل والتدبر في حقائق القرآن والعمل بها [٤] ، أمّا القلوب الغافلة لفرط جهالتها وإعراضها عن التأمل والتدبر فلا يدخلها الإيمان ولا يخرج منها الكفر ، لأنَّ الله طبع عليها[٥] وفي هذا نعمة عليّة تعلم البشر عامة مفاتيح القلب الحقيقية الموصلة إلى النعيم ، وترغب في ملازمة التأمل والتفكر في دلائل القرآن وحقائقه ، وترهب في البعد والإعراض ؛ لذا جاء تنكيرها بـــ ﴿قُلُوبٍ﴾ ؛ لزيادة تهويل حالها وتفظيع شأنها و شدتها في القساوة والجهالة[٦] ، فقلوب الكافرين "أقفلَ الحقُّ عليها فلا يُدَاخِلُها زاجرُ التنبيه ، ولا ينبسط عليها شعاعُ العلم ، فلا يحصل لهم فَهْمُ الخطاب ؛ فالبابُ إذا كان مُقفلًا لا يدخل فيه شيءٌ ولا يخرج منه شيء ؛ كذلك قلوبُ الكفار مقفلةٌ ، فلا الكفرُ الذي فيها يَخْرُجُ ، ولا الإيمانُ الذي هم يُدْعَوْن إليه يدخل في قلوبهم . وأهلُ الشِّرْكِ والكفرِ قد سُدَّت بصائرهم وغُطِّيَتْ أسرارهم ، ولُبِّسَ عليهم وجهُ التحقيق"[٧] .

*

كما أبرز الحذف أهمية التخلق بمكارم الأخلاق المتمثلة في رزانة العقل وقوة الصبر ترهيبًا من

---

(١) ينظر : المرجع السابق١٨/٢٤٤وما بعدها بتصرف .

(٢) جامع البيان ٢٦/٥٧ .

(٣) الموضع السابق .

(٤) ينظر : نظم الدرر١٨/٢٤٣وما بعدها .

(٥) ينظر : تفسير البيضاوي٥/١٩٤وما بعدها .

(٦) ينظر : البحر المحيط٨/٨٢بتصرف .

(٧) لطائف الإشارات ٥/٤١٣ .

الإخلال بهما ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(الحجرات:٤-٥،م) ، ففي الآية شبه احتباك ، "حذف التعليل بعدم الصبر أولًا لما دل عليه ثانيًا ، والعقل ثانيًا لما دل عليه من ذكره أولًا" [١] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (لم يصبروا) ؛ لدلالة ذكر ﴿صَبَرُواْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يعقلون) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ؛ لأنهم لم يصبروا –والعقل يمنع مثل ذلك لمن اتصف بالرئاسة ، فكيف إذا كانت رئاسة النبوة والرسالة عن الملك الجبار– ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرًا لهم ، فكانوا يعقلون . وسرّه أن ذلك أدل على سوء عملهم ترهيبًا من إساءة التأدب مع الرسول ﷺ ، وفي التقدير تأديبًا وتدريبًا على الصفح عن الجاهل ، وعذره ، وتعليمه[٢] .

فالنمط التركيبي لطبيعة الحذف أسهم في ترسيخ مبدأ جليل يؤكد عِظَم النهي عن الإخلال بالأدب مع الرسول ﷺ ، ويأمر بالمحافظة على تعظيمه ؛ لما له من عظيم المكانة ، وعلو القدر[٣] . ففي تبصر دلالة السياق العام والخاص ما يُعضد من شأن الحذف ؛ لكون المقصد الأعظم من السورة قائمًا في "الإرشاد إلى مكارم الأخلاق بتوقير النبي ﷺ بالأدب معه في نفسه ، وفي أمته"[٤] ، فتحققت أهمية التوجيه والإرشاد إلى الإقبال على ما يوجب للجميع حسن المآب ، وجميل الثواب[٥] . وبالوقوف عند براعة النداء في مفتتح السورة دلالة جليلة تكشف عما يحيط بالمنادي والراضي من الغفلة ، وفي تدبر دلالة الحذف أثر فاعل في توجيه البشر إلى امتثال الأدب أولًا ، فـ"الأدب عند الأكابر يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلا والخير في الأولى والعقبى "[٦] ، ففي هذا دفع لهم إلى المعالي ، وإرشاد إلى ما يتفاخرون به من عليّ المحاسن . وتعلم الصبر ثانيًا ؛ لما فيه من "حبس النفس عن أن تنازع

---

(١) نظم الدرر ٣٦٢/١٨ .

(٢) ينظر : المرجع السابق٣٦١/١٨ .

(٣) ينظر : المرجع السابق٣٥٩/١٨ بتصرف .

(٤) المرجع السابق ١٤٩/١٨ .

(٥) ينظر : المرجع السابق٣٥٠/١٨ .

(٦) المرجع السابق ٣٦٢/١٨ .

إلى هواها ، وهو حبس فيه شدة وصبر"[١] .

*

وفي قول الحق ﷻ:﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ . وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ (القمر:٢-٣،ك) ، شبه احتباك[٢] ، المحذوف من الطرف الأول (رأوا الآيات وأعرضوا وقالوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (سيكذبون ويتبعون أهواءهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : "وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا : سحر ، وقد رأوا الآيات وأعرضوا وقالوا : سحر مستمر ، وكذبوا واتبعوا أهوا ءهم وسيكذبون ويتبعون أهواءهم" [٣] . وسرُّه أنه ذكر حقيقية حالهم في ملازمة التكذيب والإعراض واتباع الأهواء ترهيبًا من قبح الإعراض عن تأمل دلائل الآيات .

فالحذف كشف بدقة عن حال المشركين في إنكار دلائل نبوة محمد ﷺ ؛ لأنه لما أراهم أعرضوا وكذبوا ، وقالوا : هذا سحر ، فقال فيهم :﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ ﴾[٤] ، فمن خلال أوجه التماثل بين المعاني تحققت شدة تمكن الإعراض والتكذيب فيهم ، فأصبحا -أي : الإعراض والتكذيب- دأبهم المستمر ، فهم لا ينقادون للحق مطلقًا ، ثم إن في اتباعهم أهواءهم دليل تمكن الجهل والغفلة فيهم ، فدل الحذف دلالة قاطعة على أن حالهم في ملازمة الإعراض والتكذيب في الماضي وفي الاستقبال واحد [٥] ، وفي هذا مزيد تأكيد يقوي في النفوس المؤمنة حب الإيمان والعمل به ، وفي الغافلة التوجيه والإرشاد فلو نظروا لحصل لهم العلمُ واجبًا[٦] .

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ

---

(١) المرجع السابق ٣٦١/١٨ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير١٧٢/٢٧ .

(٣) الموضع السابق .

(٤) ينظر : جامع البيان٨٤/٢٧ .

(٥) ينظر : المرجع السابق٨٧/٢٧بتصرف .

(٦) ينظر : لطائف الإشارات٦٢/٦ .

ﭐلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾(الحشر: ١١م) ، شبه احتباك "ذكر الإخراج أولًا دليلًا على ضده ثانيًا ، والقتال ثانيًا دليلًا على حذف ضده أولًا "[١] ، المحذوف من الطرف الأول (من غير قتال) ؛ لدلالة ذكر ﴿قُوتِلۡتُمۡ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لم تخرجوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿أُخۡرِجۡتُمۡ﴾ في الطرف الأول . وتقديره :لئن أخرجتم من غير أن تقاتلوا لنخرجن معكم ، وإن قوتلتم فقاتلتم و لم تخرجوا لننصرنكم . وسرّه أنه أظهر شدة نفاقهم الموجب ملازمة التكذيب ؛ لانتفاء تحقق الإيمان فيهم ترهيبًا من المكر[٢] .

فالغرض الأسمى من القول بالحذف تأكيد خبث المنافقين في إظهار غير ما أضمروا ، فقد أظهروا الخير ، وبالغوا في إخفاء عقائدهم [٣] ، في سياق تحقق القدرة على الحشر ؛ ليثبت الإيمان بالبعث ؛ لأنه محط الحكمة ، وموضع إظهار النقمة والرحمة [٤] ، وهذا هو المقصد الأعظم الذي حققه السياق العام للسورة ، أمّا الخاص فتحقق فيه الإخبار بأن رسوخ الإيمان دافع إلى إقامة السنة بالهجرة والإيثار ، وعدم رسوخه دافع إلى الخوض في التكذيب[٥] . فالعلائق الرابطة بين المعاني أسهمت بأثر فاعل في إبراز قبح صورة المنافين في موالاة إخوانهم بالضلالة ، تنفيرًا منهم ، وإعلامًا بأنَّ من صادقهم تحتم هلاكه [٦] ، ففي الحذف مزيد تأكيد لكذبهم ، وهذا من أعظم دلائل النبوة ؛ لأنه إخبار بمغيب بعيد عن العادة بشهادة ما ظننتم أن يخرجوا فحققه الله عن قريب[٧] .

*

كما أسهم الحذف في إظهار شدة عجز أهل الكفر عن نفع أنفسهم في القيامة ترهيبًا ، وذلك في قول الحق ﷻ : ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ . خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ

(١) نظم الدرر ١٩/٤٤٧ .
(٢) ينظر : المرجع السابق١٩/٤٤٥بتصرف .
(٣) ينظر : المرجع السابق١٩/٤٤٦ .
(٤) ينظر : المرجع السابق١٩/٤٤٢ .
(٥) ينظر : المرجع السابق١٩/٤٤٦ .
(٦) ينظر : الموضع السابق .
(٧) ينظر : المرجع السابق١٩/٤٤٨ .

﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ (القلم:٤٢-٤٣،ك) ، ففيه شبه احتباك ، "ذكر عدم الاستطاعة أولاً دال على حذف الاستطاعة ثانيًا [١] ، وذكر السلامة ثانيًا دال على حذف عدم السلامة أولًا" [٢] . وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (غير سالمين) ؛ لدلالة ذكر ﴿سَٰلِمُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (مستطيعون) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يوم يدعون إلى السجود فلا يستطيعون ؛ لأنهم غير سالمين -لا أعضاء لهم تنقاد به مع شدة معالجتهم لأنفسهم- ، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون مستطيعون -ليس في أعضائهم ما يمنع من ذلك ؛ وإنما يمنعهم منه الشماخة والكبر- . وسرّه أنه ذكر قبح حالهم في القيامة ترهيبًا من الإعراض ، وحسن حالهم في الدنيا ترغيبًا في الإقبال .

فتحقق بالحذف إبراز حال الكافرين في الدنيا ؛ إذ كانوا يدعون فيها إلى السجود -له ﷻ- وهم سالمون مستطيعون ، فتمنعهم عنه الشماخة والكبر ، وفي الآخرة يدعون وهم غير سالمين ولا يستطيعون [٣] ؛ ترهيبًا من المكوث في الكفر الذي يوقعهم في شدة العقاب والعذاب . فالسياق العام أتى لأجل إظهار ما استتر، وبيان ما أبهم [٤] . والخاص حقق خاصية التهديد الشديد بما ثبت لله من تمام القدرة ؛ ففي إباء السجود في الدنيا دليل الجهل بالدين ، وفي عدم الاستطاعة في الآخرة دليل تحقق شدة العذاب الذي يجعل ظهر الكافر شديد القسوة فيكون لذلك عظمًا واحدًا[٥] وهذا يُعلي من شأن القول بالحذف ؛ لأنه سعى سعى لإبراز حالهم في الدنيا والآخرة . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تمثلت في المعاني الجوهرية ، الأول : ﴿وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ ، والثاني : ﴿وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ

---

(١) «قال الجبائي : لما خصص عدم الاستطاعة بالآخرة دل ذلك على أنهم في الدنيا كانوا يستطيعون ، فبطل بهذا قول من قال : الكافر لا قدرة له على الإيمان ، وإن القدرة على الإيمان لا تحصل إلا حال وجود الإيمان ، والجواب عنه : أن علم الله بأنه لا يؤمن مناف لوجود الإيمان ، والجمع بين المتنافيين محال ، فالاستطاعة في الدنيا أيضًا غير حاصلة على قول الجبائي » . التفسير الكبير٣٠/٨٥ ، **فتحقق أن نفي الاستطاعة للسجود في الآخرة لا يدل على أن لهم استطاعة في الدنيا** . ينظر : البحر المحيط٨/٣١٠ .

(٢) نظم الدرر ٢٠/٣٢٥ .

(٣) ينظر : جامع البيان٢٩/٤٢ وما بعدها .

(٤) ينظر : نظم الدرر٢٠/٢٧٢ .

(٥) ينظر : جامع البيان٢٩/٣٨ .

﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ ، فاتضحت بهذين الركنين حالة الكافر في الدنيا والآخرة ، وبالركنين المحذوفين ثبت أن عقابهم في الآخرة نقيض ما كانوا عليه في الدنيا ؛ إذ كانوا فيها سالمين مستطيعين ، ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة[١] ، فالدنيا دار ينفع فيها القيام بالتكليف ؛ لأن أهلها قادرون عليه وعملهم نافع لهم[٢] . وللحذف أثر كبير في إحداث علائق ربط جديدة أضافت إلى أصل النظم معاني عظيمة أبرزت قبح حال الكافرين في الدنيا والآخرة ؛ لإقناع أهل الشرك بالعدول عن الكفر وتوجيههم نحو الإيمان من خلال استشعار الحسرة ، والندامة ؛ فالله يجعل سجود المؤمنين عليهم توبيخًا وذلًا ، وصغارًا ، وندامةً ، وحسرةً[٣] . فالمؤمنون يرفعون رؤوسهم ووجوههم أضوأ من الشمس ، ووجوه الكافرين والمنافقين سود مظلمة[٤] .

*

وفي موضع آخر أسهم الحذف في إبراز حال الكافرين وما يعتريهم من شدة الغفلة ترهيبًا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ . حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ . كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(التكاثر:١-٤،ك) ، ففيه شبه احتباك ، فـ"ذكر الإلهاء أولًا وحذف سببه وهو الجهل لدلالة الثاني عليه ، وذكر ثانيًا العلم الذي هو الثمرة ، وحذف ما يتسبب عنه من عدم اللهو الذي هو ضد الأول "[٥] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الجهل) ؛ لدلالة ذكر ﴿تَعْلَمُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لم يلهكم التكاثر) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ألهاكم التكاثر بما غلب عليكم من الجهل فلو تعلمون علم اليقين لما شغلكم التكاثر . وسرُّه أنه ذكر سوء إعراضهم عما أمامهم من الآخرة ؛ لينفي عنهم خاصية العلم تهديدًا وتقريعًا .

فالنمط التركيبي لطبيعة الحذف يكشف بدقة عن حال الكافرين المنشغلين بحب الدنيا ؛ ترهيبًا من شدة عذاب الآخرة ، فالقول به في هذا الموضع عليّ ؛ لما تحقق في السياق العام

---

(١) ينظر : الموضع السابق .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٣٢٤/٢٠وما بعدها بتصرف .

(٣) ينظر : جامع البيان٤٣/٢٩ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٣٢٥/٢٠ .

(٥) المرجع السابق ٢٣٠/٢٢ .

من شدة التحذير من الانشغال بالمال والإخلاد إلى دار الزوال[1] ، فتحققت خاصية الترهيب الشديد من الركون إلى الدنيا ، أمّا الخاص فتحقق فيه إبراز علة الشقاوة يوم القيامة للكافرين[2] . فأصل المراد قائم في المعاني الجوهرية ، الأول : في إيضاح غفلتهم في الدنيا وانشغالهم بالمال والجاه والبنين[3] ، والثاني : في محاولة ردع من أعرض عما يعنيه وأقبل على ما لا يعنيه[4] . فأسهم الحذف في إيضاح أسباب الهلاك أمام عقول الكافرين ، وإعلامهم أن في اتباعها هلاكًا يُوجب شدة العذاب[5] ، وفي تجنبها طاعة لله تُوجب الحث على " المنافسة المنافسة في الأعمال الموصلة إلى أعلى الدرجات بكثرة الطاعات " [6] ، وللحذف أثر فاعل يرشد إلى أنه ليس في الإسلام تكاثر بالسادة والنسب ، والجاه والمال [7] ، فليس له من المال إلا ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو تصدق فاقتنى وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس[8] . كما أن في تأمل حال الغافلين في الدنيا واستشعار قبح مآلهم في الآخرة نعمة عليّة عليّة تهذب النفوس وتوجهها إلى الاتعاظ والاعتبار بحال من كانوا في الغفلة ماكثين وأصبحوا في القبور جاثمين[9] .

*

كما أسهم الحذف في إبراز قبح حال أهل الكفر ترهيبًا من سوء أفعالهم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ . وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ (الماعون:٢-٣،ك) ، ففيه شبه احتباك "الدعّ[10] في الأول يدل على المقت [11] في الثاني ، والحض في الثاني يدل على

(١) ينظر : المرجع السابق٢٢/٢٢٥ .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) ينظر : جامع البيان٣٠/٢٨٣ .

(٤) ينظر : نظم الدرر٢٢/٢٢٨ .

(٥) ينظر : جامع البيان٣٠/٢٨٤بتصرف .

(٦) نظم الدرر ٢٢/٢٢٦ .

(٧) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٢٠/١٦٨ .

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الزهد والرقائق٤/٢٢٧٣ ، رقم : (٢٩٥٩) من حديث أبي هريرة ﷺ

(٩) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٢٠/١٦٩وما بعدها .

(١٠) الدَّعُ : الدفعُ الشديدُ . ينظر : المفردات في غريب القرآن ، مادة : «د،ع» ، ص١٧٦ .

(١١) المَقْتُ : أَشَدُّ الإِبْغاضِ . ينظر : المرجع السابق ، مادة : «م،ق،ت» ، ص٤٧٣ .

مثله في الأول" [١] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (لا يحض) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَلَا يَحُضُّ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يمقت) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَدُعُّ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحث على إكرامه ؛ – لأن الله نزع الرحمة من قلبه– ، ولا يحض على طعام المسكين ، بل يمقته ولا يكرمه .
وسرُّه أنه ذكر أسوأ الصفات الحاملة على الشر تنفيرًا وتحذيرًا من الخلود في الكفر ؛ لكون إيذاء الضعيف والتهاون بالمعروف من أعظم علامات التكذيب بالبعث[٢] .

إن العلاقة الرابطة بين المعاني أسهمت بقدر كبير في إيضاح حال المشركين وشدة غلظتهم في معاملة الخلائق ؛ ترهيبًا من خفاء المعاملة ، وفي تبصر دلالة السياق من حيثُ تحقق التنبيه على عِظَمِ التكذيب بالبعث لأجل الجزاء [٣] ، والخاص من حيثُ الإخبار بحال المكذبين انكشف أن القول بالحذف أسهم في إبراز معانٍ حسانٍ أوجبت التخلق بأكمل الصفات ، ففي الدفع عنف شديد ، يولد البغض والكراهية ، ويحمل على العذاب ؛ لأن في دفع اليتيم عن حقه ظلمًا له [٤] ، فتحقق تذكير أهل الكفر بعِظَم الجزاء الذي ينالونه على سيىء الأعمال والأفعال . فأصل المراد متحقق في المعاني الجوهرية ، الأول : في الإخبار بأن حاله مع اليتيم في معاملة القهر والظلم والدفع العنيف ، والثاني : في أنه لا يحثّ غيره على إطعام المحتاج من الطعام [٥] ، فالقول بالحذف أجود عطاءً في فهم المراد ؛ لأنه يغرس في النفوس الخوف من الله ، وهذا دافع إلى التطلع إلى الإحسان الذي أساسه حب الخير ، وأعظم ثماره الرحمة [٦] . وللحذف أثر بارز في تثقيف النفوس وتعليمها مبدأ لزوم الحرص على أفعال الخير أسوة بالرسول ﷺ خاصة في حبه للمساكين ، فمن "ضم يتيمًا من أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة "[٧] ، وتجنب أفعال الشر التي

---

(١) نظم الدرر ٢٨٠/٢٢ .
(٢) ينظر : المرجع السابق٢٧٩/٢٢بتصرف يسير .
(٣) ينظر : المرجع السابق٢٧٥/٢٢ .
(٤) ينظر : جامع البيان٣١٠/٣٠ .
(٥) ينظر : المرجع السابق٣١١/٣٠ .
(٦) ينظر : نظم الدرر٢٧٩/٢٢بتصرف .
(٧) أخرجه أحمد في مسنده ٣٤٤/٤ ، رقم : (١٩٠٤٧) من حديث مالك بن الحرث ﷺ . قال الألباني : (صحيح لغيره) . صحيح الترغيب والترهيب ، تأليف : محمد ناصر الدين اللباني ، بإشراف : محمد زهير الشاويش ،

تهبط به إلى أسفل دركات النار [١] ؛ وفي هذا توجيه إلهي جليل يهذب النفوس ، ويعلمها حب الإنفاق إن استطاعت ، والحث إن عسر عليها ، فوجب الحرص الشديد على إطعام اليتامى والمساكين[٢] ، فإن في ﴿أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾(المعارج :٢٤-٢٥،ك) .

*

المطلب الثالث : وقوع الاحتباك وشبهه في سياق بيان حال أهل الطاعة والمعصية معًا .

– القول بالاحتباك:

يقول تعالى ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(البقرة: ٢٦،م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ﴾ احتباك : ذكر العلم أولًا دليلًا على حذف ضده ثانيًا ، والاعتراض ثانيًا دليلًا على حذف ضده أولًا[٣] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فيقولون آمنا به كل من عند ربنا) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (جهلوا عنه) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ، فيقولون إذعانًا وتسليمًا : آمنا به كلٌّ من عند ربنا . وأما الذين كفروا وجهلوا عنه ، فيقولون اعتراضًا واستهزاءً : ماذا أراد الله بهذا مثلًا؟[٤] .

وسرّه : أنّه ذكر ما يُشرِّفُ أهل الإيمان للإيمان بالله في العلم الخالص ؛ ترغيبًا في الاتباع ،

(المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م)١٨٧/٢ ، باب الترغيب في الاكتساب بالبيع وغيره ، رقم : (١٨٩٥) .

(١) ينظر : نظم الدرر٢٧٩/٢٢بتصرف .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٢١١/٢٠بتصرف ، والبحر المحيط٥١٨/٨ .

(٣) ينظر : نظم الدرر٢٠٦/١ ، هامش رقم : (٨) .

(٤) ينظر : المرجع السابق٢٠٥/١ ، هامش رقم : (٤) ، (٥) ، ورقم : (٣-٣)٢٠٦/١ .

وحقارة أهل الكفر ؛ لكفرهم بالله في الاعتراض -مع حقيقة العلم بأهم خلاف الصواب ، وهذا أنكأ وأبشع ما يكون منهم- ترهيبًا .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إظهار حقيقة استكبار الكافرين عن قبول الحق والاعتراف به ؛ حيثُ زعموا أن اللهَ أجل وأعظم من أن يضرب المثل بما هو حقير ، تشكيكًا في صدق نبوة محمد ﷺ ، وهذا كامن في تساؤلهم الناتج عما طوي من جهلهم ونقصهم في معرفة الدين الحق ، في مقابل إظهار حقيقة العلم المقتضي العبودية الخالصة لله ؛ لكونها الأساس الصحيح لكل متبع يدرك طريق الحق ، فإذا تحقق العلم الخالص بأنه حق حصل الإيمان بصدق النبوة المحمدية . فالناتج من وراء القول بالاحتباك : المقابلة بين المؤمنين ، والكافرين ؛ لكون الناس أمام هذا المثل نوعين : مؤمنين بكل ما أنزل الله ، لهذا لم يعترضوا ، وكافرين موقفهم الطعن في سلامة هذه الأمثال والسخرية منها ، اعترضوا قائلين : ماذا أراد الله بهذا مثلًا [1] . ثم إن في الحذف أسرارًا ، منها : أن في المبادرة إلى قبول دعوة الحق وعدم الإعراض تأكيدًا لرسوخ الإيمان في القلب ، "لما كان الذين آمنوا ممن بادر فأجاب ، وكان ضرب المثل تأكيدَ دعوةٍ وموعظةٍ لمن حصل منه توقف حصل للذين آمنوا استبصارًا بنور الإيمان في ضرب المثل ، فصاروا عالمين بموقع الحق فيه ، وكما استبصر فيه الذين آمنوا استغلق معناه على الذين كفروا وجهلوه ، فاستفهموا عنه استفهام إنكار لموقعه"[2] ، وللاحتباك أثر فاعل في إحداث علاقات ربط بين المعاني ترشد العقول إلى إدامة النظر وإمعان الفكر في التدبر والتأمل في حقيقة ضرب المثل ، ففيه اختبارٌ من الله لهم ؛ ليميز به أهل الإيمان والتصديق من أهل الضلال والكفر [3] ، ثم إن في ذلك دلالة على إحاطة علم الله وكماله في كل شيء ، فإنه بقدر علو المثل أو دنوه أو توسطه يتزايد للمؤمن الإيمان ، وللعالم العلم ، وللفاهم الفهم ، وبضد ذلك لمن اتصف بأضداد تلك الأوصاف [4] . وفي تبصر دلالة الخطاب إشارات تعلي من شأن الاحتباك ، منها : التعبير بصيغة المضارع ﴿فَيَقُولُونَ﴾ ؛ للدلالة على أن هذا القول دأبهم وعادتهم ، ولو قيل : (فقالوا) لاحتمل

---

(١) ينظر : جامع البيان ١/١٨٠ وما بعدها بتصرف .

(٢) تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص١٧٨ ، ونظم الدرر ١/٢٠٥ وما بعدها .

(٣) ينظر : جامع البيان ١/١٨١ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١/٢٠٥ وما بعدها .

اللفظ أنهم قالوا هذا القول مرة واحدة ، وهذا لا يطابق الواقع من عنادهم الذي يواجهون به الحق مرات ومرات[١] . ثم الاستفهام في : ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ " للتنبيه بادعاء أنه من الدناءة والحقارةِ بحيث لا يليق بأن يتعلقَ به أمرٌ من الأمور الداخلةِ تحت إرادته تعالى ، على استحالة أن يكون ضربُ المثل به من عنده سبحانه" [٢] .

*

كما أسهم الاحتباك في إبراز حال أهل الإيمان في حصول الإقبال على الإيمان ترغيبًا ، وحال أهل الكفر في حصول الإعراض عن الإيمان ترهيبًا ؛ وذلك في قوله : ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(البقرة:٣٨-٣٩، م) ، ففيه موضعان للاحتباك ، الموضع **الأول** سيعرض في بابه [٣] . و**الثاني** في قول الحق ﷻ : ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ " إثبات الهدى في الأول دال على انتفائه في الثاني ، وإثبات الكفر في الثاني دال على حذف الإيمان في الأول" [٤] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الذين آمنوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فمن لم يتبع الهدى) ، لدلالة ذكر ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فمن تبع هداي فأولئك الذين آمنوا ، ومن لم يتبع الهدى فأولئك الذين كفروا .

وسرّه : أن حذف (الذين آمنوا) تشريفٌ لهم بجميل الصنيع ، وجزيل الثواب ، والمقام مقام تهويل بشنيع الصنيع ، وتخصيص بأنكأ العذاب ، لذا ذكر (الذين كفروا) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترغيب في اتباع الهدى الذي عليه أهل الإيمان ، والترهيب من الإعراض الذي عليه أهل الكفر ، فاتضح بالحذف حقيقة التقابل بين الفريقين : (المؤمن ، والكافر) من حيثُ تضاد الصفات في التبشير بالجنة وما يترتب على الخلود فيها ، والإنذار من النار وما يترتب على الدخول فيها ، والسياق أتى

---

(١) ينظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم١/٤٢ .

(٢) إرشاد العقل السليم١/٧٤ .

(٣) ينظر : (٤٦٩) من البحث .

(٤) نظم الدرر١/٣٠٢ ، هامش رقم : (٣) .

لبيان ذلك ، فالعام أوضح جملة الأصول العقدية حثًّا على اتباعها ؛ لأهميتها في بناء الإيمان الصحيح ، والخاص حمل طابع التبشير للذين اتبعوا الهدى ، والإنذار من الكفر ، " ولما بَشَّر المؤمنين الذين اتبعوا الهدى أتبعه إنذار الكافرين الذين نابذوه بقوله : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هذا من أسوأ الكفر ؛ لأنه كفر بالآيات التي جعلها الله علمً ا على غيب عهده " [1] ، فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تمثلت بالمعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ؛ الأول : في إيضاح سبب إيمان المؤمنين ، وهو اتباعهم الهدى الذي جاء به الرسل(عليهم السلام) عن ربهم ؛ إذ عملوا بطاعته في الدنيا وفق أوامره ونواهيه ، وحُذِفَ مقابله (للكافرين) ، وهو إعراضهم عن الإيمان بما جاء به الرسل ؛ إذ جحدوا دلائل وحدانية الله وربوبيته ، والثاني : في ذكر (الذين كفروا) ، وحَذفِ مقابله (الذين آمنوا)[2] ، فتحقق بهذين الركنين المقصد الأعظم في الحث على الإنابة والتوبة ، فإن تابوا وأنابوا واتبعوا ما جاءهم من البيان ، ففي الآخرة لا خوف عليهم ولا يلحقهم الحزن ، وإن هلكوا على كفرهم وضلالتهم قبل الإنابة والتوبة ، كانوا من أهل النار المخلدين فيها [3] ، فحمل النظم على الاحتباك يولد جملة من المعاني الإحسانية ، التي من أبرزها: إرشاد بني البشر عامة إلى حسن استخدام العقل في تدبر دلائل الحق ؛ لأن الله أظهر في الكون دلائل خلقه وقدرته ، وجعل في العقل نورًا تقُرأ به دلائله ، فمن لا نور له فهو من أصحاب النار ، فهو إما تابع هدى بنور العقل ، وإما صاحب نار[4] ، وفي تنبيه العباد بهذا نعم عليّة تُوجب السعي ؛ لأجل التعرف على دلائل العظمة الموجبة الإيمان . وللاحتباك أثر بارز في زيادة الترغيب والترهيب المقتضيين تحقق الإيمان بالله وعدم الكفر ؛ للحرص على مبدأ تثبيت قواعد العقيدة الإسلامية ، وهو المقصود الأعظم الذي دعت إليه السورة بكليتها ، وذلك بأن يقدر المرء نفسه مع الخاسرين أهل النار ، لعله يلحق بالفائزين أهل الجنة ، فثبت أن في اتباع الهدى نجاة ، وفي الإعراض عنه هلاكًا[5] .

*

---

(١) تراث أبي الحسن الحرالي ، ص٢٠١وما بعدها ، ونظم الدرر١/٣٠١ .

(٢) ينظر : جامع البيان١/٢٤٨بتصرف .

(٣) ينظر : الموضع السابق .

(٤) ينظر : نظم الدرر١/٣٠١ .

(٥) ينظر : جامع البيان١/٢٤٧بتصرف .

قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (البقرة:١٠٨م) ، احتباك[١] .

وفيه نظر ؛ لغموض التقدير وخفاء أركانه .

*

ويقول تعالى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(البقرة:١٧١م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ ﴾ احتباك ، " حذف من الأول الداعي ؛ لدلالة الناعق عليه ، ومن الثاني المنعوق به ؛ لدلالة المدعوين عليه" [٢] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الأنبياء) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الذي ينعق به) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : " ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعق والذي ينعق به" [٣] .

ويذكر ابن أبي الإصبع أسرارًا للحذف الواقع في الطرفين قائلًا : " وفي التصريح بتشبيه الرسول ﷺ بالراعي الذي ينعق بالضأن غض من جلالته ، ومخالفة للأدب في مخاطبته . وقد علمت مكانته عند ربه وتلطفه في مخاطبته ، وما جاء بمثل ذلك في الكتاب العزيز ليؤدِّبنا به ، ويعرفنا حقه ، ويعلمنا كيف نخاطبه ، فمن أجل ذلك قلب الكلام عن وجهه... وليأتي الكلام غير منفر ، جاريًا على سنن الأدب مع الرسول ﷺ ، ولو جاء الكلام على وجهه لم يُفِد ذلك[٤] . " فإذا كان الأمر كذلك فإن البيان المعجز لا يصرح بداعي الكفار ؛ لفتًا إلى هذا السر البلاغي الفائق ، واتساقًا مع شأنه سبحانه في مخاطبة نبيه في الكتاب الكريم ، وأما مع الكفار فإنه سبحانه لم يشأ أن ينفرهم عن نبيه بالتصريح بالضأن ، وكأنه سبحانه يفتح

---

(١) لأن مقتضى الظاهرِ أن يقال : «كما سألوا موسى ؛ لأن المشبَّه هو المصدرُ من المبني للفاعل ، أعني سؤالية المخاطبين ، لا من المبني للمفعول أعني مسؤوليةَ الرسول ، حتى يُشبَّه بمسؤولية موسى عليه السلام ، فلعله أريد التشبيهُ فيهما معًا ، ولكنه أوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائليةَ ، وفي جانب المشبَّه به المسؤولية » . إرشاد العقل السليم١/١٤٥ .

(٢) نظم الدرر٢/٣٣٤ .

(٣) الإتقان٢/١٧٠ .

(٤) بديع القرآن المجيد ، ص١٣٦ .

أمام رسوله باب الأمل في أن تستمع هذه الآذان الصم لتعي حقيقة الدعوة ، وأن تتكلم الأفواه البكم بكلمة التوحيد ، وأن تنفتح الأعين العُمي على دلالات الوجود..." [١] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إيضاح صورة التشبيه في الهيئة المركبة ، حيث شبه حالهم بحال الغنم مع الراعي يدعوها فتقبل ، ويزجرها فتزجر ، وهي لا تعقل مما يقول شيئًا ، ولا تفهم له معنى ، وإنما تسمع أصواتًا تقبل لبعضها وتدبر للآخر بالتعويد ، ولا تعقل شيئًا للإقبال ولا الإدبار... [٢] . فصورة التماثل المنعقدة بين طرفي التشبيه -في كل طرف- حققت المقصود من حمل المعنى على الحذف ، وهو إظهار الصورة المنفرة من خلال تصوير هؤلاء الكافرين بالغنم ؛ ذمًّا وتقبيحًا لجهلهم بحقيقة الإيمان . وهذا يؤكد مبدأ الحرص على إثبات الألوهية لله إفرادًا . كما يكشف الحذف عن حالة المقلدين من اتباع ما وجدوا عليه آباءهم من غير نظر ولا استدلال ، فضرب لهم مثلًا زيادة في تقبيح شأنهم ، فوصفهم في تقليدهم لآبائهم بالراعي للبهائم ينعق ويصيح بها في سوقها إلى المرعى ، فلا تفقه شيئًا[٣] ، وهذا يدعو إلى تثقيف النفوس لتعلم آداب الدعوة كما أوضحها الله ﷻ ، وهو الاستمرار في الدعوة بالرفق واللين ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن ، فعسى أن تثمر خيرًا في الرجوع إلى الحق[٤] .

*

كما يكشف الاحتباك في موضع آخر عن حال أهل الإيمان ، وأنهم يقتلون دائمًا لإعلاء كلمة الحق ورفعته ترغيبًا ، وحال أهل الكفر ، وأنهم يقتلون في سبيل الشيطان ترهيبًا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ (آل عمران: ١٣م) ، ففي قول الحق ﷻ :﴿ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ احتباك [٥] فالمحذوف من الطرف الأول (أولى مؤمنة) ؛

---

(١) مقال من صور الحذف البليغ الاحتباك ، الإصدار الثالث/١٢٧٩ .

(٢) ينظر : تفسير المنار٢/٩٤ ، بتصرف يسير جدًا .

(٣) ينظر : المرجع السابق٢/٩٣وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : مقال من صور الحذف البليغ الاحتباك ، الإصدار الثالث/١٢٧٩ .

(٥) ينظر : نظم الدرر٤/٢٦٣ .

لدلالة ذكر ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (تقاتل في سبيل الشيطان) ؛ لدلالة ذكر ﴿تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : " فئة أولى مؤمنة تقاتل في سبيل الله ، وفئة أخرى كافرة تقاتل في سبيل الشيطان " [1] . وسرّه : أنّه ذكر أعلى درجات الإيمان المتمثل في القتال في سبيله رمزًا إلى الاعتداد بقتالهم ترغيبًا . وأدنى درجات الكفر إسقاطًا لقتالهم عن درجة الاعتبار : ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، فهي في أعلى درجات الإيمان ، ولم يقل : مؤمنة ؛ مدحًا لهم بما يليق بالمقام ، ورمزًا إلى الاعتداد بقتالهم . ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ ، هي أبعد من أن تقاتل في سبيله ، وإنما لم توصف بما يقابل صفة الأولى ؛ إسقاطًا لهم ولقتالهم عن درجة الاعتبار ، وإيذانًا بأنه لم يتصدوا له ؛ لما عراهم من الهيبة والوجل[2] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في الكشف عن حال المؤمنين والكافرين توجيهًا للاعتبار بما كان من شأن فريقي المؤمنين والكافرين في غزوة بدر ، وهذه علامة دالة على صدق نبوة محمد ﷺ ، فقد التقت الفئتان ؛ المؤمنة تقاتل في سبيل الله وتطلب رضاه ، والكافرة تقاتل في سبيل الطاغوت[3] ، فحسن المراد يتحقق بعد النظر في السياق العام بما فيه من إثبات أصول العقيدة الدالة على كمال التوحيد، والخاص بما تحقق فيه من إبراز حال الفئة المقاتلة في سبيل الله ، والأخرى الكافرة . فالقيمة الحقيقية لأصل المعنى تحققت في الركنين المذكورين ؛ الأول : أنها فئة تقاتل في سبيل الله ؛ لذا ثبت أنها مؤمنة لما هي عليه من الإيمان ، والثاني : في الإعلام بأنها كافرة فوجب كونها مقاتلة في سبيل الشيطان ؛ لما هي عليه من الكفر . فحصل بالحذف إعلام البشر من المؤمنين خاصية أن النصر متحقق لهم بشرط إخلاصهم في أمورهم العقدية التي توجب لهم التوحيد، "فالمؤمنون لا يهزمون أبدًا إلا بذنوبهم وتقصيرهم عن بلوغ مرتبة الإيمان الصادق ، لا بكثرة عدد أعدائهم وعتادهم ، وأن النصر حليفهم ما داموا مخلصين لعقيدتهم ، عاملين من أجلها ، مهما كان عددهم وعتادهم..."[4] .

---

(١) تفسير ابن عرفة ، لوحه : (٢٢٧) مخطوط ، ومحاضرات الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية ١٤٢٠هـ ، لمحات في إعجاز سورة آل عمران ، ص٤٤ .

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم٢/٩٥ ، وروح المعاني١/٩٥ .

(٣) ينظر : البحر المحيط٢/٤١١ .

(٤) مقال من صور الحذف البليغ الاحتباك ، الإصدار الثالث١٢٨١ .

كما أسهم الحذف في تحقق وجه حسن من وجوه الإيجاز المكثف الدقيق ، وهذا يلحظ بِعَقْدِ نوعٍ من المقارنة بين أصل النظم قبل التقدير وبعده ، وتلمس الفرق بينهما في الذهن يكشف عن خاصية عمق المعنى المراد ، "... ونتحول إلى البلاغة بالحذف في الجزئية الكريمة : ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ ، ونبادر إلى القول : إن روعة الحذف تتجلى في دلالة المحذوف على المذكور ، والمذكور على المحذوف ، بحيث إنا نتبين أن الجزئية الكريمة عبرت عن المعنى المقصود أحسن تعبير وأكمله ، مستعملة نصف الألفاظ فقط ، أو مكتفية بنسبة خمسين في المائة من الألفاظ المطلوبة لأداء المعنى أساسًا . لننظر إلى الجزئية الكريمة ، ولنضع ما يخص كلًا من الفئتين من ألفاظ في سطر خاص به ؛ كي تسهل المقارنة بين النصيبين ؛ وكي تتبين الألفاظ المحذوفة ؛ وكي تتأكد دلالة الألفاظ المذكورة بشأن إحدى الفئتين على المحذوفة في حق الفئة الأخرى : ﴿فِئَةٌ ...تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ...وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٌ ...﴾ . وهذا هو أصل الكلام بشأن المؤمنين : فئة أولى مؤمنة تقاتل في سبيل الله ، وهذا هو أصل الكلام بشأن الكافرين : فئة أخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت ، أو في سبيل الشيطان . ومن البين أن واو العطف خارجة عن الفئتين في القول :﴿وَأُخۡرَىٰ﴾ ، أو أن الواو شَرِكةٌ بينهما . ومن البين كذلك أن كل لفظة محذوفة دلت عليها لفظة مذكورة تقابلها . ومن البين كذلك أن ثَمّة لفظين محذوفين في حق الفئة الأولى المؤمنة ، وقد دلّت عليهما اللفظتان المذكورتان المقابلتان لهما في حق الفئة الكافرة : ﴿وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ ، وهاتان اللفظتان المحذوفتان هما : أولى مؤمنة . وقد دلّ على هذه الفئة الأولى المؤمنة كذلك القول : ﴿تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ . ومن البين كذلك أن ثَمّة خمسة ألفاظٍ محذوفةٍ في حق الفئة الأخرى الكافرة . إن لفظة : (فئة) المذكورة في حق المؤمنين دلّت على لفظة : (فئة) المحذوفة في حق الكافرين . وإن القول المذكور في حق الفئة المؤمنة : ﴿تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دلّ على القول المحذوف في حق الفئة الكافرة (تقاتل في سبيل الطاغوت أو الشيطان) . ومن البين كذلك أن الحذف أبلغ من الذكر ؛ لأنَّ كامل المعنى الذي يتطلب أربعة عشر لفظًا يُتَوصَّل إليه بسبعة ألفاظٍ فقط ، أي : بنصف الألفاظ" [1] .

---

(١) محاضرات الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية ١٤٢٠هـ ، ص٤٤وما بعدها .

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة: ٥٤م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ احتباك "حذف أولًا البغض وما يثمره ؛ لدلالة الحب عليه ، وحذف ثانيًا الثبات ؛ لدلالة الردة عليه" [(١)] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (يبغضهم الله ويبغضونه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (يثبتون على دينهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه يبغضهم الله ويبغضون ، فسوف يأتي الله بقوم يثبتون على دينهم يحبهم ويحبونه . وسرّه : أنه ذكر أصل كل شقاء : (الردة) ؛ لكونها قاعدة لانطلاق كل شر يقدح في صحة العقيدة ثم زوالها ترهيبًا ، ثم ذكر أصل كل سعادة : (محبة الله) ؛ لكونها قاعدة كل خير يدعو إلى التمسك بزمام الإسلام ترغيبًا .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز صحة العقيدة وثباتها ، وذلك بموالاة أولياء الله ، ومعاداة أعدائه ، وفي فسادها وتلاشيها ؛ وذلك بموالاة أعداء الله ، ومعاداة أوليائه ، فبالنظر في السياق العام يتضح حسن الاحتباك ؛ لما تقرر فيه من إثبات أصول العقيدة لأجل الدعوة إلى كمال التوحيد ، والخاص لما تحقق فيه من لزوم العمل على موالاة أهل الإيمان ، ومعاداة أهل الكفر[(٢)] . فعمل الاحتباك على غرس الإيمان في القلوب والثبات عليه ؛ لأن به يكسب المرء الحصول على نيل محبة الله ، وهذا من أسمى علامات الرضا والقبول ، وثمرتها الترقي في سلم العبادة ، وفي إعلام البشر حقيقة حب الله لهم بعد محبتهم له ، وإخلاصهم التوحيد نعمة عليّة تعمق في الأفئدة حب الازدياد من الأعمال الصالحة ، فجاء الخطاب بـــ :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ إشارة إلى أنهم مازالوا في أول درجات الإيمان ، وغير عاجزين عن تحقيق موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه ، فلما كانوا في مقام يغشاهم فيه نوع من الغفلة ، نبهوا لذلك فانتبهوا . وهذا عون للبشر يرشدهم إلى العمل من

---

(١) نظم الدرر ١٩١/٦ وما بعدها .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

أجل أن يتخلصوا من شوائب الشرك ، ويخلصوا الإيمان لله وحده . وثمة لطيفة أخرى يحققها الحذف تبرز صورة حب الله لأوليائه فترغبهم في الإيمان ، وبغضه لأعدائه فتنفرهم من الكفر ، «وفي ذلك بشارة عظيمة للمؤمنين ؛ لأنه يجب أن يُعْلَمَ أن من كان غير مرتد فإنَّ الله يحبه . وفيه إشارة دقيقة ، فإن من كان مؤمنًا يجب أن يكون لله محبًّا ، فإذا لم تكن له محبة فالخطر بصحة إيمانه»[1] .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿ ۞إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾(الأنعام:٣٦،ك) ، ففي قول الحق ﷻ :﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ احتباك "حذف من الأول الحياة ؛ لدلالة ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ عليها ، ومن الثاني السماع ؛ لدلالة ﴿يَسْمَعُونَ﴾ عليه" [2] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الحياة) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ في الطرف الثاني .ومن الطرف الثاني حذف (فيسمعون) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَسْمَعُونَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إنما يستجيب الذين يسمعون الأحياء ، والموتى يبعثهم الله فيسمعون . وسرّه : أنه ذكر السماع لكونه أدلّ على الاستجابة ؛ حثًّا على الإيمان وترغيبًا فيه ، ثم ذكر الموتى لكونه أدلّ على عدمها ؛ تحذيرًا من الإعراض وترهيبًا منه .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إنماء جانبي الترغيب في الاستجابة لسماع الدعوة ، والترهيب من الإعراض عنها ، وتظهر دقة المراد بعد النظر في السياق العام بما تقرر فيه من إثبات التوحيد لله بما له من عظيم القدرة على الإيجاد والإعدام والبعث [3] ، والخاص بما تحقق فيه من إعلام البشر حقيقة أن من لا يؤمن كالميت حثًّا على الإيمان [4] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تحقق بالمعاني الجوهرية الدالة على إيضاح حال أهل الإيمان في استجابتهم للهدى ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ ، وحال أهل الكفر في إعراضهم عن الهدى

---

(١) لطائف الإشارات ١٢٦/٢ .

(٢) نظم الدرر ١٠٢/٧ .

(٣) ينظر : المرجع السابق١/٧ .

(٤) ينظر : المرجع السابق١٠٢/٧ .

﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ . فالحذف أسهم في إبراز دقة الإيجاز الذي تمثل في المقابلة بين حالتين : حالة الاستجابة لمن لديهم قابلية السمع ؛ لأنهم أحياء يتدبرون ما يُلقى إليهم فينتفعون به ؛ فأهم ما يُميِّز المستجيبين للدعوة المحمدية أنهم يحيون حياة خاصة هي حياة الإيمان ، ويسمعون بسمع خاص هو سمع الاتعاظ والاعتبار ، وحالة المعرضين الذين صاروا أمواتًا في عدم قابليتهم للسماع ، فختم على مشاعرهم حسًّا ومعنًى[١] . فهذا يرسخ مبدأ الإقبال على التدبر والتأمل ؛ لأن فيه حياة للقلب تُوجب الإيمان الذي يرشد لسماع الحق أفضل سماع [٢] . ففي الاستجابة لدعوة الحق حياة للفطرة ، وصفاء للقلب ، بهما يزداد العلم ، وفي عدم الاستجابة موت للغرائز ، وكدر للقلب ، بهما يزداد الجهل ؛ لذا ثبت الإرشاد إلى الإنقاذ والتخليص من عمى الجهل وموت الضمير .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ (الأنعام: ١٠٥،ك) احتباك " إثبات ادعاء المدارسة أولاً يدل على نفيها ثانيًا ، وإثبات العلم ثانيًا يدل على عدمه أولاً" [٣] ، فالمحذوف من الطرف الأول (بغير علم) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا يقولون درست) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وليقولوا درست بغير علم ، فلا يقولون درست ، بل يقولون إنه من عند الله ولنبينه لقوم يعلمون .

وسرُّه أنه ذكر أنكأ ما يُلازم الكافرين من الاعتداء على الحق ؛ لإظهار تمكن عجزهم عن الإتيان بما يدانيه ، ثم ذكر أحسن ما لأهل الإيمان من العلم الدافع بهم إلى وجه الصواب ترهيبًا وترغيبًا في الإقبال على القرآن والعمل به[٤] .

فالقول بالاحتباك شكل أثرًا فاعلًا لإبعاد الكفار عن ملازمة الخوض في الكفر ؛ لشدة سيطرة الجهل عليهم ؛ حتى يُثبت لهم بالدليل القاطع حقيقة عجزهم عن الإتيان بمثل

---

(١) ينظر : المرجع السابق٧/١٠١ .

(٢) ينظر : جامع البيان٧/١٨٦ .

(٣) نظم الدرر ٧/٢٢٤ .

(٤) ينظر : الموضع السابق.

القرآن[١] ، فالعلائق الرابطة بين أوجه التقابل أسهمت في إيضاح فرط جهلهم ، فــ«كأنهم قالوا : إنك أتيت به عن علم ونحن جاهلون لا نعلم شيئًا منه ، فيعلم كل موفق أنهم ما رضوه لأنفسهم مع ادعاء الصدق والمنافسة في البعد عن أوصاف الكذب إلا لفرط الحيرة وتناهي الدهشة»[٢] . فتحقق لهم ملازمة الجهل ؛ لذا قالوا : درست بغير علم ، ولغيرهم حصل الهدى الذي أنار عقولهم بالعلم ، فلا يقولون درست .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾(الأنعام:١٥٨،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ احتباك " ذكر إيمانها أولًا دليل على حذف (كسبها) من الجملة الثانية ، وذكر جملتي (آمنت ، وكسبت) ثانيًا دال على حذف (كافرة ، ومؤمنة) أولًا"[٣] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (كافرة ولا مؤمنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (كسبها) ؛ لدلالة ذكر ﴿إِيمَٰنُهَا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لا ينفع نفسًا كافرة ولا مؤمنة إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خير إيمانها وكسبها .

وسرّه : أنه ذكر أصل التوحيد رمزًا لسلامة أهله ، وإعلامًا بعظيم ثمرته وقت الحصاد ؛ للإقبال على الحق ، وتوجيه المعرضين عنه إليه ترغيبًا وترهيبًا .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترهيب من مجيء يوم القيامة وتحقق ما فيه من قبول الأعمال ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة:٧-٨،ك) ، وكذلك الترغيب في الإقبال على التوبة ؛ أملًا في الرجوع إلى الصواب ، فهي أوسع طريق لِنيل

---

(١) ينظر : الموضع السابق .

(٢) الموضع السابق .

(٣) المرجع السابق ٧/٣٣٣ .

شرف رحمة الله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾(الشورى : ٢٥م) . فالسياق أتى لإبراز دلائل القدرة لله ؛ ليتحقق للبشر الإعلام بحصول القيامة لأجل الحساب ، أمّا الخاص فأثبت تحقق الحساب في القيامة ، للكافر العذاب ، وللمؤمن الثواب ، فتحقق إعلام البشر عامة بالوقت الذي لا تنفع الطاعة بعده وإن اقترنت بالتوبة ، وهذا يغرس في النفوس استشعار عِظَم الذنب ، ثم المسارعة في لزوم الأعمال الصالحة [(١)] . وفي تأمل موضع الحذف دافعٌ قويٌ يعمق في القلب حب الله والأنس بطاعته ، فالخوف من الله وشدة الأهوال يملأن القلب فزعًا ورعبًا يدفعه إلى لزوم العمل بهما .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾(الأنفال : ٦٥م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ احتباك "أثبت في الأول وصف الصبر دليلًا على حذفه ثانيًا ، وفي الثاني الكفر دليلًا على حذفه أولًا " [(٢)] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الذين كفروا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (صابرة) ؛ لدلالة ذكر ﴿صَـٰبِرُونَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين من الذين كفروا ، وإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا ألفًا من الذين كفروا .

ثم في قوله ﷻ : ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾(الأنفال:٦٦م) ، احتباك[(٣)] "ذكر

---

(١) ينظر : جامع البيان٨/٩٩ بتصرف .

(٢) نظم الدرر ٨/٣٢٢ .

(٣) أشكل على بعض أهل العلم تحديد موضع القول بالاحتباك ، حيث قال الدكتور عبد الحميد العيسوي : «وفي الآيتين الكريمتين : ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ تبدو صنعة الاحتباك في النظم الكريم ؛ فإنه قد أثبت في

في الأول صابرة دلالة على حذفه ثانيًا ، وذكر الإذن ثانيًا دليلًا على حذفه أولًا" [١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (بإذن الله) ؛ لدلالة ذكر﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (صابرون) ؛ لدلالة ذكر﴿صَابِرَةٌ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فإن يكن منكم ألف صابرون يغلبوا مائتين من غيركم بإذن الله ، وإن يكن منكم ألف صابرون يغلبوا ألفين بإذن الله .

وفي بيان بلاغة الاحتباك يقول أبو حيان : " ... ولما كان الصبر شديد المطلوبية أثبت في جملتي التخفيف وحذف من الثانية ؛ لدلالة السابقة عليه ، ثم ختمت بقوله : (إن الله مع الصابرين) مبالغة في شدة المطلوبية ، ولم يأت في جملتي التخفيف بقيد الكفر ؛ اكتفاء بما قبله" [٢] . وقد ترك ذكر : ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ تعويلًا على ذكره ههنا ، كما ترك قيد الصبر ههنا مع كونه معتبرًا حتمًا ثقة بذكره هناك[٣] .

فالصورة التركيبية للحذف أسهمت في إبراز الحالة التي ينبغي أن يكون عليها المؤمنون في القتال ؛ ترغيبًا في التحلي بالصبر ونيل رضوان الله . وفي تبصر دلالة السياق العام والخاص ما يُعضد القول بالاحتباك ؛ لما تحقق في العام من الأمر باتباع الداعي بغاية الإذعان والتسليم والرضا[٤] ، والخاص لما فيه من الندب إلى القتال وإعلام البشر أنهم منصورون فيه بشرط أن يلزموا آلة النصر [٥] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متحققة في المعاني الجوهرية الدالة على أن " فضل المؤمنين على الكافرين في القتال مقيد بأن يكون المؤمنون صابرين دون الكافرين ، أو فوق صبرهم ، ويكون الكافرون من الذين لا يفقهون في المقاصد الدينية والاجتماعية ما يفقهه المؤمنون ، فكان من إيجاز القرآن – في الآية الأولى– أن قيد العشرين

الجملة الأولى (صابرون)وحذف نظيره من الثانية ، وأثبت في الثانية (الذين كفروا)وحذفه من الأولى » . مع بلاغة القرآن –تفسير بياني لسورتي الأنفال والفرقان– ، لعبد الحميد العيسوي ، (مكان النشر بدون ، طبع بدار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٤هـ–١٩٧٤م)ص١٥١وما بعدها . فتحديده لموضع الاحتباك – من أن في الآيتين احتباكًا–فيه نظر ؛ وذلك لأنه أجمل ذكر الآيتين لوجه الاحتباك الذي سبق .

(١) نظم الدرر ٣٢٦/٨ .

(٢) البحر المحيط ٥١٢/٤ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي٢٩٠/٤ .

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم ٣٤/٤ .

(٤) ينظر : نظم الدرر٢١٤/٨ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٣٢١/٨ .

بوصف صابرين ، و لم يقيد بذلك في المائة ، وقيد الغلب في قتال المائة للألف بأن يكون للذين كفروا الذين وصفهم بأنهم قوم لا يفقهون ، و لم يذكر هذا القيد في غلب العشرين للمائة منهم ، وكل من القيدين مراد ... ثم وصف المائة في التخفيف بالصابرة ؛ لأن الصبر شرط لا بد منه في كل حال وكل عدد ، مع عدم وصف المائة به في الأولى ؛ لئلا يتوهم أنه شرط في العدد القليل -كالعشرين- دون الكثير-كالمائة والألف- ، و لم يذكره في الألف استغناء بما قبله وبما بعده من قوله : ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ، وهو مع قوله : ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ يدل على أن سنة الله تعالى في الغلب أن يكون للصابرين على غير الصابرين ، وكذا على من هم أقل منهم صبرًا ، وفي هذا تحذير للمؤمنين من الغرور بدينهم ؛ لئلا يظنوا أن الإيمان وحده يقتضي النصر والغلب ، وإن لم يقترن بصفاته اللازمة لكماله ، ومن أعظمها : الصبر والعلم بحقائق الأمور وسنن الله تعالى في الخلق " [١] . فإن من أبرز محاسن القول بالحذف : الدعوة إلى إعلام المؤمنين طرق النصر والغلبة على الكافرين ؛ مما يدفع إلى العمل بها ؛ لكونها أعظم مفاتيح تحقق النصر ، ففيها طاعة لامتثال أمر الله ومحافظة على منهج الحق المستقيم[٢] . كما أن في الحذف تثقيفًا للنفوس يُعَلِّمُها حب الصبر وملازمته في كافة الأمور على السواء .

*

ويعود النظم القرآني إلى مراعاة التقابل بين الأساليب ؛ لبيان بشاعة حال المنافقين وما هم عليه من الترصد للمؤمنين ؛ حيث قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ (التوبة : ٥٢، م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾ احتباك «حذف أولاً الإصابة ؛ للدلالة عليها بما أثبت ثانيًا ، وثانيًا إحدى السوءتين ؛ للدلالة عليها بإثبات إحدى الحسنين أولًا »[٣] ،

---

(١) تفسير المنار ٨٢/١٠وما بعدها .

(٢) ينظر : نظم الدرر٣٢٢/٨وما بعدها .

(٣) المرجع السابق ٤٩٨/٨ .

وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تصيبنا) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُصِيبَكُمُ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (إحدى السوءتين) ؛ لدلالة ذكر﴿إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنين أن تصيبنا ، ونحن نتربص بكم إحدى السوءتين أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا .

وســــرّه أنّه ذكر أحسن ما يكون للمؤمنين من الخير ترغيبًا في الجهاد ؛ لكونهما –النصر ، والشهادة– من أحسن عواقب الدنيا . وأقبح ما يكون للكافرين من الإصابة بالعذاب ، وهذا أبلغ في الترهيب ؛ لجواز أن يتوبوا عن نفاقهم ، ويصح إيمانهم ، وقد تاب بعضهم ، واعترفوا بما كانوا عليه بعد ظهور أمرهم[1] . وفيه مزية أخرى هي : الإعلام بأنَّ ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة أنفع مما يعدونه منفعة من النصر ، والغنيمة[2] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الجمع بين حالين : حال المؤمنين ، وحال المنافقين ، من خلال التقابل الذي عمق المقصود من المعنى [3] ؛ حيثُ إنهم لا ينتظرون من حالنا إلا حسنة عاجلة ، أو حسنة آجلة ، وهي : أن نصيب أعداءنا فنظفر ، ونغنم ، ونؤجر ، أو يصيبونا بقتلٍ أو غيره فنؤجر ، وكلا الأمرين حسن ، أمّا السراء فأمرها واضح ، وأمّا الضراء فموجبة لرضا الله عنا ومثوبته لنا بالصبر عليها ، ورضانا بها إجلالًا له وتسليمًا لأمره ، فهي حسنى –كما نعلم– ، لا سوءى –كما يتوهمون– . فأمّا نحن فننتظر من حالكم إحدى السوءتين ، وهي : أن يعذبكم الله في الآخرة بعذاب النار ، أو في الدنيا بعذابٍ لا تسبب لنا فيه –كما أهلك القرون الأولى بصائر للناس– ، أو بعذاب بأيدينا ، من قتلٍ ، أو نهبٍ ، وأسرٍ ، وضربٍ ؛ لأن حذركم لا يمنعكم من الله ، وكل ذلك مكروه عندكم[4] . فحمل الآية على القول بالاحتباك أبلغ ؛ لكونه أظهر ما لكلٍ من حيثُ إن

---

(١) ينظر : تفسير المنار ٤٨٠/١٠ .

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم ٧٣/٤ ، بتصرف يسير جدًا .

(٣) إن التقابل في الآية على نسج الاحتباك قائمٌ بعد مراعاة التقدير ؛ لأن النص أشار إلى ذكر حالتين : الأولى : ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِ﴾ ، وبالنظر فيها والمقارنة بما بعدها اتضح أنها بحاجة إلى تقدير محذوف ؛ لذا قُدِرَ لها ، والثانية :﴿نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ﴾ لابد لها من محذوف على وفق ما ذُكِرَ في الجملة الأولى .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٤٩٧/٨ ، والتحرير والتنوير ٢٢٤/٩ .

السراء والضراء خيرٌ للمؤمنين ، " فالرضا بمر القضاء موجب لإقبال القاضي على المقضي عليه بالرأفة والرحمة" [١] ، والسوء خاص بحزب الشيطان ، ومن هنا برزت أهم خاصية مِن خصائص مَن أخلص التفرد والتوحيد ، فتحقق الهدف القرآني في النظم في سياق " بيان حال أناس من أولئك المنافقين بأقوال قالوها فيما بينهم جهرًا ، وأمور أكنوها في أنفسهم سرًّا، وأقوال سيقولونها ، وأحكام سيقسمونها ، وأعذار سيقدمونها ، وشؤون عامة فيهم – أكثرها من أنباء الغيب – مع ما يتعلق بذلك ويناسبه من الحكم ، والأحكام ، والعقائد ، والآداب"[٢] . وفي تدبر دلالة الخطاب إشارات عظمي تُعلي من شأن القول بالاحتباك ، من أبرزها : الاستفهام ، " والاستفهام مستعمل في النفي بقرينة الاستثناء . ومعنى الكلام توبيخ لهم ، وتخطئة لتربّصهم ؛ لأنّهم يتربّصون بالمسلمين أن يقتلوا ، ويغفلون عن احتمال أن ينصروا ، فكان المعنى : لا تتربّصون بنا إلا أن نقتل أو نغلِب ، وذلك إحدى الحسنيين"[٣] . ثم أوثر التعبير عن التمكث أو التمهل بلفظ التربص ؛ إشعارًا ببراعة القرآن في اختيار الألفاظ ذات الدلالات الموحية بالمقصود ، "والتربص : انتظار حصول شيء مرغوب حصوله ، وأكثر استعماله أن يكون انتظارَ حصول شيء لغير المنتظِر ، ولذلك كثرت تعدية فعل التربّص بالباء ؛ لأن المتربّص ينتظر شيئًا مصاحبًا لآخرَ هو الذي لأجله الانتظار " [٤] . ثم التعطف " فانظر كيف أتى التعطف في هذه الآية الكريمة من صدرها في قوله : ﴿تَرَبَّصُونَ بِنَآ﴾ ، وقوله : ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ ، وتجنيس الازدواج في قوله من عجزها ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ ، إلى ما فيها من الإشارة في قوله :﴿إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾... وقد وقع في التعطف منها مقابلة معنوية خرج الكلام فيها مخرج إيجاز الحذف ، فإن مقتضى البلاغة أن يكون ترتيب النظم : قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين أن يصيبنا الله بعذاب من عنده أو بأيديكم ، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا . فحذف لتوخّي الإيجاز تفسير الحسنيين من الجملة الأولى : أثبت في الجملة الثانية فرارًا من تكرار اللفظ وتكثيره ، كما حذف الحسنيين من الجملة

---

(١) نظم الدرر ٨/ ٤٩٧ .

(٢) تفسير المنار ١٠/٤٨٠ .

(٣) التحرير والتنوير ١٠/٢٢٤ .

(٤) الموضع السابق .

الثانية ، استغناء بذكرها أولًا طلبًا للاختصار ، فحصل في الآية التعطف ، والمقابلة ، والإيجاز ، والتفسير ، وتجنيس الازدواج مقترن ، والتمكين مرشح لتجنيس الازدواج ، فتكملت فيها ثمانية أضرب من البديع "[1] ، ثم ناسب القول بالاحتباك إيثار التعبير بالجملة الاسمية : ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ﴾ ، فلم يقل : (ونتربص بكم) -مثلًا- ؛ لإفادة تقوية التربّص ، وكناية عن تقوية حصول المتربَّص ؛ لأن تقوية التربّص تفيد قوة الرجاء في حصول المتربَّص ، فتفيد قوّة حصوله[2] .

*

ويلحظ التقابل بين الألفاظ والمعاني في النظم المعجز على حد فريد للكشف عن حال أناس من أهل المدينة منافقين مردوا على النفاق أقروا بذنوبهم فقال الله فيهم: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(التوبة ١٠٢ ، م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ احتباك[3] ، فالمحذوف من الطرف الأول (سيئًا)؛ لدلالة ذكر ﴿سَيِّئًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف(صالحًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿صَٰلِحًا﴾ في الطرف الأول. وتقديره: "خلطوا عملًا صالحًا بآخر سيىء وآخر سيئًا بصالح" .

وسرّه : الإشارة إلى تساوي العملين ، وأنه ليس أحدهما بأولى من الآخر أن يكون أصلًا[4] ؛ لكونهم أتوا أولًا بالعمل الصالح ، ثم استتبعوه سيئًا . وأتوا بالسيئ ، ثم أردفوه بالصالح ، فأحدهما لا يستلزم الآخر . والذي يؤخذ من ذلك أن في تعبير القرآن الكريم بالخلط دون الاختلاط مزية معنوية ، يؤديها الاحتباك بحذف السيئ من الأول ؛ للدلالة على أنهم قصدوا الصالح أولًا ، ثم عرضت لهم بعض المعاصي بعده دون قصد أوّليّ ، وإنما لخور في الطبيعة وضعف في المقاومة ، وفي مرة ثانية قصدوا إلى المعصية قصدًا أوليًّا ، ثم عرضت لهم بعض الأعمال الصالحة فأتوها ، ومع ذلك يثابون عليها ، مع بيان أنه ليس هناك استلزام بين عمل الطاعة وعمل المعصية في عمل المحترزين ، وإنما هو من شأن ضعاف الهمم بحسب

---

(١) بديع القرآن المجيد ، ص٩٧وما بعدها .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير١٠/٢٢٥ .

(٣) ينظر : نظم الدرر٩/١٠ .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

الواقع ، ثم إن في الآية على هذا التقدير فتحًا لباب الرجاء في التجاوز عن المعاصي الطارئة على الأعمال الصالحة ، وفتحًا لقبول الأعمال الصالحة ، وإن لم يكن مقصودًا إليها ، ولا غرابة في ذلك ، فقد يثاب المؤمن رغم أنفه ، وهذا هو ما يشعر به قوله : ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، ومع ذلك فإنه يجب على المكلف أن يكون على الطمع والإشفاق ، فلا يتواكل[1] . فالدقة والإيجاز يلحظان بالمقارنة بين أصل النظم قبل التقدير ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ وبعده : (خلطوا عملًا صالحًا بآخر سيىء ، وآخر سيئًا بصالح) .

*

كما أسهم الاحتباك في إبراز حال أهل الطاعة ترغيبًا في لزوم تدبر الآيات ، وحال أهل المعصية ترهيبًا من الركون إلى الغفلة عنها ، وذلك في : ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (التوبة:١٢٤-١٢٥م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا ﴾ احتباك "إثبات الإيمان أولًا دليل على حذف ضده ثانيًا ، وإثبات المرض ثانيًا دليل على حذف الصحة أولًا "[2] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الصحة) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَّرَضٌ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الكفر) ؛ لدلالة ذكر ﴿إِيمَٰنًا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فأما الذين آمنوا لصحة قلوبهم فزادتهم إيمانًا ، وأما الذين كفروا في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا . وسرّه : أنّه ذكر الإيمان ؛ لكونه أصلَ كلِّ سعادة ، وأساس كل صحة ، خصوصًا صحة القلوب ؛ ترغيبًا في الإقبال على تدبر الآيات ، ثم ذكر المرض وحدده في القلب ؛ لكونه أعضل ، وعلاجه أعسر وأشكل ، ودواؤه أعز ، وأطباؤه أقل ؛ ترهيبًا من الإعراض عن الدين ، وسُمي الشك في الدين مرضًا ؛ لأنه فساد في الروح يحتاج إلى علاج ، كفساد البدن في الاحتياج ... ولما زاد الكفار بالسورة رجسًا من أجل كفرهم بها ، كانت كأنها هي التي زادتهم[3] .

---

(١) ينظر : مقال من صور الحذف البليغ ، الاحتباك١٣٨٢/٤ .

(٢) نظم الدرر ٥٢/٩ .

(٣) ينظر : الموضع السابق .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترغيب في الإيمان والترهيب من الكفر من خلال ذكر حال المؤمنين عند نزول آيات الله ، وكيفية وقعِها في نفوسهم ، وحال المنافقين عند نزولها ، وكيفية وقعِها في نفوسهم ، ففي تبصر دلالة السياق العام إشارات عظمى تعضد من شأن الاحتباك ؛ لما احتواه من تحقق الدعوة إلى معاداة أهل الشرك ؛ لأجل كفرهم بالله ، وموالاة أهل التوحيد ؛ لأجل إيمانهم وحسن إقبالهم على تدبر الآيات[1] ، وهذا يُعنى عناية بالغة بالتصعيد الإيماني من خلال ملازمة طول التأمل ، وإمعان النظر إلى فقه آيات الله . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد في أنهم انقسموا قسمين : مؤمنين ، ومنافقين . فالذين أوقعوا الإيمان حقيقة لصحة أمزجة قلوبهم زادتهم تلك السورة إيمانًا بإيمانهم بها إلى ما كان لهم من الإيمان ، فحصلت لهم البشرى بما زادتهم من الخير الباقي الذي لا يعدله شيء ، والذين لم يؤمنوا لخبث عقيدتهم ، وفساد عقولهم ، زادتهم اضطرابًا موجبًا للشك ؛ لتمكنه عندهم ، إلى أن ماتوا وهم كافرون [2] . ومن أبرز جواهر المعاني أن الاحتباك يأخذ بالبشرية إلى مدارج النور ؛ ليدفعهم إلى الاجتهاد في تدبر آيات الله وتأملها ، فهما -التدبر والتأمل- حصن للمرء يقيه من الوقوع في الشرك ، " فالمؤمنون يخبرون عن زيادة إيمانهم ، والمعرضون يخبرون عن عدمه في وجدانهم " [3] . فبالعقل يُعرف طريق الإيمان فيُتبع ، وطريق الكفر فيُجتنب .

*

ويقول تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ (هود:٣٥،ك) ، فيه احتباك "نسبة قوله :﴿ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى ﴾ إلى قوله : (وعليكم إجرامكم) كنسبة قوله : (وأنتم برآء منه) إلى قوله : ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾"[4] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (وأنتم براء منه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وعليكم إجرامكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى ﴾ في

---

(١) ينظر : المرجع السابق ٩/ ٥٠ .

(٢) ينظر : المرجع السابق٩/ ٥١وما بعدها بتصرف .

(٣) الموضع السابق .

(٤) المترع البديع ، ص١٩٦ .

الطرف الأول . وتقديره : "إن افتريته فعليّ إجرامي وأنتم براءٌ منه ، وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون" [١] .

وسرّه : "ذكر الإجرام المترتب على الافتراء على سبيل الفرض والتقدير والتخيل ؛ تنزلًا معهم وملاينة ، كما يوحي به النظم في بنائه ، بينما لم يذكر براءتهم إشارة إلى أنها لن تقع ؛ لأنهم أجرموا فعلًا بإسنادهم الافتراء إليه ، وهذا في الجانب الأول من الآية ، وأما في الجانب الثاني فقد ذكر براءته ؛ لأنها حقيقة واقعة ، وهي الأهم في السياق ، وقد اكتفى بدلالة الإنكار الذي صدرت به الآية عن ذكر عقوبة جرمهم ؛ ولأن في إدماج تسجيل الإجرام عليهم إشارة إلى الجزاء المترتب عليه ، كما أن تنزله معهم إلى الفرض والتقدير وملاينته لهم رجاء أن يثوبوا إلى عقولهم ورشدهم لا يلائمه مصارحتهم بتسجيل جرمهم قصدًا" [٢] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في تقرير مبدأ العدل الإلهي من خلال إبراز موقف المشركين – في معارضة الدعوة – مع رسلهم ، ليتحقق الإيمان ترغيبًا وترهيبًا ، فالقيمة الحقيقة لأصل المراد قائمة في الركنين المذكورين ، الأول : "فعلي إثمي في افترائي ما افتريت"[٣] ، والثاني : "وأنا بريء مما تذنبون وتأثَمُون بربكم من افترائكم عليه " [٤] . وفي حمل النظم على الاحتباك معانٍ حسان ، من أجلِّها : تعليم البشر مبدأ الحرص على تحكيم العقل في قبول الحق ، لا اتباع الأهواء الضالة ، فإن ثمرة عملهم في الدنيا واقعة بهم لا محالة ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر ، فتكونت أهم مبادئ العقيدة الإلهية المتمثلة في : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء: ١٥ك) ، فتحمل المسؤولية وعاقبة الأعمال تقع على المرء نفسه ، وفي إعلام البشر بهذا حافز قوي يُرشد إلى التمسك بفعل الخيرات وترك المنكرات .

*

كما أسهم الاحتباك في إبراز حال أهل الطاعة في الآخرة ، وحال أهل المعصية ترغيبًا وترهيبًا : ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا

---

(١) الموضع السابق .

(٢) من صور الحذف البليغ الاحتباك ١٣٨٣/٤ .

(٣) جامع البيان ٣٢/١٢ .

(٤) الموضع السابق .

يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا ‌. وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ (الإسراء:٧١-٧٢،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا ‌. وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ احتباك «أثبت الإتيان باليمين والقراءة أولًا دليلًا على حذف ضدهما ثانيًا ، وأثبت العمى ثانيًا دليلًا على حذف ضده أولًا »[1] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فهو في الآخرة أبصر) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ومن أوتي كتابه بشماله) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فمن أوتي كتابه بيمينه فهو في الآخرة أبصر وأهدى سبيلًا ، فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلًا . ومن أوتي كتابه بشماله فهو لا يقرأ كتابه ، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلًا .

وسرّه أنه ذكر ما يكون لأهل الإيمان تشريفًا وتبشيرًا " إبانةً لخطر الكتابِ المؤتى ، وتشريفًا لصاحبه وتبشيرًا له من أول الأمرِ بما في مطاويه " [2] ، ثم عاد فذكر ما يكون لأهل الكفر والضلال تحقيرًا ، "فهو لا يهتدي إلى ما ينجّيه ولا يظفَر بما يُجديه ... وقد ذُكر في أحد الجانبين المسبّبُ وفي الآخر السببُ ، ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الآخر ؛ تعويلاً على شهادة العقلِ"[3] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترهيب الشديد من هول القيامة ، والترغيب في اقتناء الفضائل اقتداءً بأهل الإيمان في إيمانهم ، فالقول به في هذا الموضع ذو اعتلاق بالغ بدلالة السياقين العام والخاص ؛ لما تحقق في العام من تقرير حقيقة التوحيد الداعي إلى امتثال الإيمان لأجل الجزاء على الأعمال [4] ، والخاص لما تحقق فيه من إثبات حقيقة الآخرة وما فيه من الجزاء . فأصل المراد – القائم في ذكر حال البشر يوم القيامة ترغيبًا وترهيبًا– متحقق في الركنين الجوهرين ؛ الأول : في إبراز حال أهل السعادة في الآخرة يؤتون كتبهم بأيمانهم ، وحذف مقابله ، وهو حال أهل الشقاوة يؤتون كتبهم بشمائلهم ، والثاني : في الإخبار بأن من كان في الدنيا معرضًا عن دلائل خلق الله ، كافرًا

---

(١) نظم الدرر ٤٧٩/١١ .

(٢) إرشاد العقل السليم ١٨٧/٥ .

(٣) الموضع السابق .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٢٨٦/١١ .

بها جاحد وحدانيته ، هو في الآخرة أعمى عن طريق الخير و أشد ضلالاً[1] ، وحذف مقابله ، وهو حال من أقبل على آيات الله ، فهو في الآخرة أبصر وأهدى سبيلًا ، وفي تدبر دلالة الاحتباك أثر فاعل في إرشاد العباد استعدادًا ليوم الحساب ، فالأتقياء فيه يعطون كتبهم بأيمانهم ، والأشقياء بشمالهم ؛ مما يدفع القلوب الغافلة إلى امتثال طريق الحق . وثمة لطيفة أخرى يحققها الحذف ، وهي إعلام البشر بأن الذين حصل لهم عمى القلب في الدنيا إنما حصل لهم ؛ لشدة حرصهم على تحصيلها وابتهاجهم بلذاتها وشهواتها[2] ، وفي الإعلام بهذا نعم جليلة تدفع إلى ترك الدنيا والعمل لها ، ويغرس في النفوس حب الآخرة والإقبال عليها ، كما أنَّ في استشعار الأهوال والموقف المهيل المفزع إيقاظًا لجانب الخوف من الله ، وهذا من أسمى مبادئ رسوخ العقيدة في القلب ؛ لأنَّ الخوف من الله ينتج الإيمان الصادق الصحيح من خلال تأمل دلائل خلقه ومظاهر عظمته ، فتزداد الرغبة في العمل لأجل الآخرة . كما أسهم الحذف بأثر بارز يبعث في النفس حب العدل وتجنب الظلم ، فمن العدل أن يلقى المرء ثمرة غرسه حين حصادها ، فيحصل سعادته ورضاه ، أو شقاوته وسخطه .

*

وفي موضع آخر أسهم الاحتباك في الحث على التصديق وتجنب التكذيب بالآيات الشاهدة على كمال التوحيد ترغيبًا وترهيبًا ، وذلك في قول الحق ﷻ : ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ . وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (الحج:٥٦-٥٧م) ، ففيه احتباك "**والأصل** : فالذين آمنوا وصدقوا بآياتنا وعملوا الصالحات في جنات النعيم ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا وعملوا السيئات فأولئك لهم عذاب مهين "[3] ، فالمحذوف من الطرف الأول (صدّقوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَكَذَّبُوا۟﴾ في الطرف الثاني ،ومن الطرف الثاني حذف(وعملوا السيئات) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ في الطرف الأول . وسرّه أنه ذكر أحسن ما عليه أهل الإيمان من فعل الصالحات ترغيبًا فيها ، وذكر أقبح ما عليه أهل الكفر من الإعراض عن تأمل دلائل الآيات والتكذيب بها ؛ ترهيبًا من شناعة صنيعهم وضعف عقولهم .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير١٥/١٧٠ ، وفي ظلال القرآن١٥/٢٢٤١ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير٢١/١٦ .

(٣) روح المعاني ١٧/١٨٧ .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أبرزت معنىً جليلًا تضمن الكشف عن خاصية الترغيب والترهيب من خلال أوجه التقابل الذي أحدث في النظم انسجامًا ظهر جليًّا في طرفي المقابلة ، فالذين عملوا الصالحات مقابلها محذوف ، هم الذين عملوا السيئات ، والذين كذّبوا مقابلها محذوف ، هم الذين صدّقوا . ويظهر حسن المراد ودقته بعد النظر في السياق العام بما تقرر فيه من الحث على التقوى المنجية من هول يوم القيامة [(١)] ، فتحقق حسن الإعلام بحقيقة القيامة ترهيبًا يعظم في النفوس المحافظة على الصالح من الأعمال والأفعال ، وتجنب السيئ منها ، أمّا السياق الخاص فهو أشد بيانًا لما تحتويه صورة الاحتباك من إبراز حال أهل الطاعة في عملهم الصالحات ، وحال أهل المعصية في تكذيبهم الآيات . ولهذا فإن القول بالاحتباك ذو أثر عليّ في العناية بالتصعيد في مقام القرب من الله بعمل الصالحات ليؤكد أن في الرجوع إلى الإيمان سعادة المؤمن ، وبدونه هلاك الكافر[(٢)] .

ويذهب بعض أهل العلم إلى أن القول بالاحتباك "خلاف الظاهر"[(٣)] . والظاهر أن الحذف على طريق الاحتباك يُعدّ وجهًا من وجوه فهم المعنى أبرز حسن المراد ، وأسهم في الرقي الإيماني .

*

وفي قول تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴾(الروم:٤٤،ك) ، احتباكان . الموضع **الأول** في قول الحق ﷻ : ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴾ فـ"حذف أولًا عدوانهم على أنفسهم لما دلَّ عليه من المهد ، وثانيًا كون العمل خاصًّا بهم لما دل عليه من كون الكفر على صاحبه خاصة ، **وأحسن من هذا أن يقال** : ذكر الكفر الذي هو السبب دليلًا على الإيمان ثانيًا ، والعمل الصالح الذي هو الثمرة ثانيًا دليلًا على العمل السيئ أولًا" [(٤)] . فالمحذوف من الطرف الأول (وعلى أنفسهم يعتدون **ولها يمهدون**) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف

---

(١) ينظر : نظم الدرر١٣/١ .

(٢) ينظر : جامع البيان١٩٤/١٧بتصرف .

(٣) روح المعاني ١٨٧/١٧ .

(٤) نظم الدرر ١١٠/١٥وما بعدها .

(فلهم خاصة عملهم الصالح) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : من كفر فعليه كفره وعلى أنفسهم يعتدون ولها يمهدون ، ومن عمل صالحًا فلهم خاصة عملهم الصالح ولأنفسهم يمهدون .

أما الموضع **الثاني** ففي قول الحق ﷻ : ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (فعمل سيئًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿عَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الإيمان) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَفَرَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : من كفر فعمل سيئًا فعليه كفره ، ومن آمن وعمل صالحًا فلأنفسهم يمهدون .

وسرّه أنه ذكر أفضل ما لأهل الإيمان ترغيبًا ، وأسوأ ما لأهل الكفر ترهيبًا .

فصورة الاحتباك -في الموضعين- أسهمت في إبراز حال المؤمنين ترغيبًا في حصول العمل الصالح وتحقق الإيمان ؛ لكونهما الطريق الموصل إلى الجنة ، وحال الكافرين ترهيبًا من العمل السيئ والكفر ؛ لكونهما الطريق الموصل إلى النار . فالأنفع للسياق والأجدر لما يقتضيه المقام القول بالاحتباك ؛ لما تحقق في السياق العام من الحرص على إثبات دلائل وحدانية الله من حيثُ تحقق نصر الأولياء ؛ لحسن إيمانهم ، وخذلان الأعداء ؛ لقبح كفرانهم[1] ، أمّا الخاص فتحقق فيه إثبات الركن الأعظم الأدل على تمكن التوحيد ، وهو الدعوة إلى الإيمان بالغيب ؛ لإثبات حقيقته في نفوس البشر عامة ، فالمراد أنهم -يوم القيامة- فريقان فريق في الجنة يتنعمون ، وفريق في السعير يحترقون ، فحصل من خلال الاحتباك إعلام البشر أن العمل الصالح يزكي النفوس ويطهرها من رذائل الأخلاق ، والعاملون به لهم خاصة أعمالهم ولهم عملهم الصالح[2] ، وفي هذا نعمة عظيمة ترغب في النفوس حب الصالحات والسعي لها ، فبها يوطن المرء لنفسه في الآخرة فراشًا ومسكنًا وقرارًا [3]به تكون راحته[4] ، ففي العمل الصالح عز ورفعة لبني الإنسان ؛ لأن الله يعزهم بعز طاعته[5] . وللاحتباك أثر بارز في إحداث علاقات ربط جديدة أضافت للنظم معاني من أجلها ترسيخ أصل من أصول

---

(١) ينظر : المرجع السابق١٥/١ .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٥/١٠٩وما بعدها .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٤/٤٢ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير٢١/١١٦وما بعدها .

(٥) ينظر : نظم الدرر١٥/١٠٩وما بعدها .

العقيدة متمثل في أن ضرر الكفر والعمل السيئ يعود على الكافر لا يتعدّاه ، ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تتجاوزه[1] .

*

ويبرز التقابل خاصية الترغيب في الشكر والترهيب من الكفر ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ (لقمان:١٢،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ احتباك " تخصيص الشكر بالنفس أولًا يدل على حذف مثله من الكفر ثانيًا ، وإثبات الصفتين ثانيًا يدل على حذف مثلهما أولًا" [2] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فإن الله غني حميد) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ومن كفر فإنما يكفر على نفسه) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، فإن الله غني حميد ، ومن كفر فإنما يكفر على نفسه ، فإن الله غني حميد .

وسرّه : أنه ذكر الشكر ؛ لكونه أدل على كمال الحكمة وتمام القدرة : " فإن شكر الله من الحكمة ؛ إذ الحكمة تدعو إلى معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه ؛ لقصد العمل بمقتضى العلم ، فالحكيم يبث في الناس تلك الحقائق على حسب قابلياتهم بطريقة التشريع تارة ، والموعظة أخرى ، والتعليم لقابليه مع حملهم على العمل بما علموه من ذلك ، وذلك العمل من الشكر ؛ إذ الشكر قد عُرف بأنه صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من مواهب ونِعم فيما خلق لأجله ؛ فكان شكر الله هو الأهم في الأعمال المستقيمة ، فلذلك كان رأس الحكمة ؛ لأن من الحكمة تقديم العلم بالأنفع على العلم بما هو دونه ؛ فالشكر هو مبدأ الكمالات علمًا ، وغايتها عملاً"[3] ، ثم ذكر صفتي الغني الحميد ؛ لإثبات غنى الله عن شكر وحمد بني البشر عامة ؛ لأنه غني حميد بذاته وصفاته .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في ترسيخ مبدأ عظيم من مبادئ العقيدة ،

---

(١) ينظر : الكشاف٣/٢٢٥ .

(٢) نظم الدرر ١٥/١٦٠ .

(٣) التحرير والتنوير ٢١/١٥٢ .

وهو : الحرص على لزوم الشكر على النعم ، فمن بادر وشكر ما نفع إلا نفسه ، ولو كفر ما ضرّ إلا نفسه ، وأنه ﷻ غني عن شكر الشاكرين[١] ، فالأنفع للسياق والأجدى لما عليه المقام القول بالاحتباك ؛ لما تقرر في السياق العام من إثبات الحكمة للكتاب المبين اللازم منها حكمة الله ﷻ في أقواله وأفعاله [٢] . والخاص لما تحقق فيه من إبراز أعظم دلائل التوحيد المتمثلة في إثبات تلك الحكمة ، وهي الإقبال على الله بدوام الشكر على النعم [٣] . فثبت بالمعاني الجوهرية أن من يشكر الله على نعم ته فإنما يشكر لنفسه ، فالله يجزل له على شكره الثواب[٤] ، ومن كفر نعمة الله عليه أساء ، فالله معاقبه على كفرانه ، والله غنيّ عن شكره ؛ لأن شكره لا يزيد في سلطانه ، ولا ينقص كفرانه من ملكه ، فهو محمود على كلّ حال[٥] . أمّا القول بالاحتباك فحقق جملة عليّة من المعاني الإحسانية الساعية بالبشر إلى الترقي في مدارج الشكر ، ليعلم أن في تجدد الشكر وتعاهده منافع كثيرة ، وفي كفران النعم مفاسد يضر المرء بها نفسه [٦] ، كما أن فيه تنبيهًا جليلاً يرشد إلى المبادرة بالشكر عند حصول النعم[٧] . وللاحتباك أثر فاعل في إحداث علاقات ربط بين المعاني أسهمت في الحث على ملازمة الشكر ، فهو طاعة لله فيما أمر به ، ونفعه وأجره عائد لنفس الشاكر لا للمشكور[٨] ، وفي إعلام البشر أن الله حقيق بالحمد وإن لم يحمد ، ومحمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته إبراز لعظمة الله وسلطانه ، الدافعة إلى تعلم مبدأ الحكمة الأصيل ، والعلم الحقيقي ، فإن "من لم يشكر النعمة فقد تعرّض لزوالها ، ومن شكرها فقد قيّدها بعقالها"[٩] . فتحقق إبراز حسن عاقبة الشكر ، وسوء عاقبة الجحود ونكران النعم ؛ ترغيبًا وترهيبًا .

---

(١) ينظر : نظم الدرر١٥/١٥٩ .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٥/١٤٠ .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٥/١٥٩ .

(٤) ينظر : جامع البيان٢١/٦٨ .

(٥) ينظر : الموضع السابق .

(٦) ينظر : نظم الدرر١٥/١٥٩ .

(٧) ينظر : التحرير والتنوير٢١/١٥٣ .

(٨) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٤/٦٢ ، والتحرير والتنوير٢١/١٥٢ .

(٩) التحرير و التنوير ٢١/١٥٢ .

*

ويبرز الاحتباك حسن التمسك بالدين ، وقبح الاعتماد على الملل الأخرى ترغيبًا وترهيبًا ، وذلك في : ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۞ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (لقمان:٢٢-٢٣،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ﴾ احتباك "ذكر الحزن ثانيًا دليلًا على حذف ضده أولًا ، وذكر الاستمساك أولًا دليلًا على حذف ضده ثانيًا"[١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فليسرك شكره) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لم يستمسك بشيء) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى فليسرك شكره ، ومن كفر ولم يستمسك بشيء فلا يحزنك كفره . وسرّه : أنه ذكر حالة المسلم ترغيبًا في الإسلام لكل من كان خارجًا عنه ، وذكر حالة الكافر ترهيبًا من الكفر لكل من كان داخلًا فيه[٢] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصيتي الترغيب في الإيمان من خلال العمل بشكر النعم ، والترهيب من الكفر من خلال كفران النعم ، فالأنفع للسياق والأولى لما عليه المقام القول بالحذف ؛ لما تقرر في السياق العام من وصف الكتاب بالحكمة اللازمة منه حكمة الله ﷻ في أقواله وأفعاله ، المستلزم صرف العبادة له بجميع مظاهرها [٣] فحصل إرشاد البشر إلى مراعاة العمل بموجب الحكمة ، وهي الإقبال على الله والتجرد الكامل من جميع مظاهر الشرك . فأصل المراد متمثل في المعاني الجوهرية المقررة حقيقة أن من يعبد الله مقرًّا له بالإلوهية هو المطيع لأمره ونهيه ، المستمسك بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه من تمسك به ، ومن كفر بالله فلا يحزنك كفره وإصراره عليه[٤] . وفي تبصر

---

(١) نظم الدرر ١٩٠/١٥ .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٤٠/١٥ .

(٤) ينظر : جامع البيان٧٩/٢١ .

تبصر دلالة الاحتباك أثر فاعل في إبراز حالة المسلم المستمسك بأوثق العرا التي هي أوثق ما يتمسك به ، فلا سقوط له أصلاً ، فإن ربه يعليه إلى كل مراد ما دام متمسكًا بها ، وحالة الكافر الذي لا يستمسك بشيء إلا وهن وضعف فسقط ، فإن ربه قادر على عذابه [1] ، وبهذا يدرك المرء عظمة التوحيد فيسرع في امتثاله ، وأهمية الشكر فيلازمه في جميع أحواله ، ففي إعلامه أن العبادة من غير إحسان لا تنفع ، والقلوب من غير معرفة لا تبصر[2] ، وأوثق العرا جانب الله ؛ لأنها الصلة الوثيقة الثابتة المطمئنة بين قلب المؤمن المستسلم وربه [3] ، نعم عليّة تسعى إلى إنماء الإخلاص في النفوس ؛ ليتمكن فيها أفضل تمكن ، فيكون المرء مخلصاً بباطنه كما أخلص بظاهره ، فيرتقي بنفسه من حضيضها إلى أعلى درجات الرقي بالروح .

*

ويبرز الاحتباك خاصية الترغيب في الإيمان لما يُوجبه من الهدى ، والترهيب من الكفر لما يوجبه من الضلال ، وذلك في قول الحق ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (فصلت:٥٢،ك) ، ففيه احتباك "ذكر الكفر أولًا دليلًا على الإيمان ثانيًا ، والضلال ثانيًا دليلًا على الهدى أولًا "[4] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (آمن به) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (ومن أهدى) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به وآمن به غيركم ، ومن أضل ممن هو في شقاق بعيد ، ومن أهدى ممن هو في إسلام قريب . وسرّه "أن ذكر المضار أصدع للقلب ، فهو أنفع في الوعظ " [5] ، أو أنه ذكر أنكأ ما يكون منهم ترهيبًا لأهل الكفر من التكذيب بالحق، وحذف أفضل ما يكون من أهل الإيمان ترغيبًا في الإقبال عليه .

فصورة الحذف أسهمت في إبراز خاصية الترهيب من الكفر والضلال ، والترغيب في ملازمة الإيمان والهدى ، فالقول به جاء في سياق الحث على لزوم العلم النافع الحامل على

---

(١) ينظر : نظم الدرر١٥/١٤٠ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٤/٧٤بتصرف يسير .

(٣) ينظر : في ظلال القرآن٢٥/٢٧٩٣ .

(٤) نظم الدرر ١٧/٢٢٤ .

(٥) الموضع السابق .

الطاعة ، وهذا ما أبرزه السياق العام ؛ لكون المقصد الأعظم من السورة متمثلاً في إعلام البشر عامة أن العلم ما اختاره الله وجاء به الرسول ، وهو العلم الحامل على الإيمان والاستقامة[(١)] ، فاتضح بالحذف أن أهل الكفر خلاف الصواب في اختيار الكفر والضلال ، فلا أحد أضل منهم ؛ لفرط شقاءهم وعداوهم[(٢)] ، فتحقق شدة التنفير من الكفر ، ومشاقة الحق ، والبعد عن الهدى الذي هو طريق الوصول إلى الصواب من خلال تكريه الله للمضلين ، فهم أشد الخلق عقوبة ؛ لكون الضلال سببًا للخسران[(٣)] ، ففي الحذف دعوة إلى الإيمان تُظهر زينته في النفوس ، وتعمق أثره في القلوب ، فتقبله العقول ؛ لكونه سبب الفلاح والنجاة .

*

وفي موضع آخر أبرز الاحتباك الترغيب في الإسلام ، والترهيب من ضده ، وذلك في : ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ (الفتح٢٦،م) ، ففيه احتباك" ذكر حمية الجاهلية أولاًدليلاً على ضدها ثانيًا، وكلمة التقوى ثانيًا دليلاًعلى ضدها أولاً" [(٤)] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تكبروا عن كلمة التقوى) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (حميتهم –أي: حمية أهل الإسلام) ؛ لدلالة ذكر ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾في الطرف الأول . وتقديره: إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية، فأنتجت لهم هذه الحمية أن تكبروا عن كلمة التقوى، فأنزل الله بسبب حميتهم سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى.
وسرُه : "أنه ذكر مجمع الشر أولاً ترهيبًا منه ، ومجمع الخير ثانيًا ترغيبًا فيه"[(٥)] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترهيب الشديد من الكفر

---

(١) ينظر : المرجع السابق١٣٤/١٧ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٣٧٤/١٥ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير١٧/٢٥ .

(٤) نظم الدرر ٣٣٢/١٨ .

(٥) الموضع السابق .

وملازمة الجهل ، والترغيب في الإيمان والحث على التقوى ، في سياق الإعلام بتحقق صدق الوعد بسائر الفتوحات التي يجمعها إظهار الدين ؛ بشارة للمجاهدين بالفوز والنصر والظفر على كل من كفر ، وهذا ما حققه السياق العام للسورة[1] ، أمّا الخاص فتحقق فيه إبراز ما عليه الكافرون من الأنفة والإباء والتكبر عن الحق ، والخوض في الشرك الذي هو أبطل الباطل[2] . فحصل التذكير بحسن صنيع الرسول ﷺ والمؤمنين في تمسكهم بالعقيدة والمنهج القويم ، وكلمة التوحيد التي تخلق في النفوس حب الصبر والخضوع والانقياد [3] ، وسوء صنيع المشركين في الخروج عن أمر الشرع حمية ، لا لعقيدة ولا منهج ، إنما هي حمية الكبر والفخر والبطر[4] ، فالقول بالحذف فيه تثقيف للنفوس يرشدها إلى عدم التخلق بأخلاق أهل الكفر ؛ لأن الذي يفعلونه لم يكن مما أذن الله به ، ولا أمر به أحدًا من رسله[5] . ففي ففي تبصر دلالة الخطاب إبراز لحسن الاحتباك لما تحقق في الآية من بدائع النظم "وهو أنه تعالى أبان غاية البون بين الكافر والمؤمن . فبلين بين **الفاعلين** ؛ إذ فاعل (جعل) هو الكفار ، وفاعل (أنزل) هو الله تعالى ؛ **وبين المفعولين** ؛ إذ تلك حمية ، وهذه سكينة ؛ **وبين الإضافتين** ؛ أضاف الحمية إلى الجاهلية ، وأضاف السكينة إلى الله تعالى ، **وبين الفعل جعل وأنزل** ؛ فالحمية مجعولة في الحال في العرض الذي لا يبقى ، والسكينة كالمحفوظة في خزانة الرحمة فأنزلها . والحمية قبيحة مذمومة في نفسها ، وازدادت قبحًا بالإضافة إلى الجاهلية ، والسكينة حسنة في نفسها وازدادت حسنًا بإضافتها إلى الله تعالى"[6] .

*

وفي موضع آخر أسهم الاحتباك في إبراز حسن الأعمال الصالحة ترغيبًا ، وقبح السيئة ترهيبًا ، وذلك في : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ﴾ (محمد:١٢،م) . ففيه موضعان للحذف ،

---

(١) ينظر : المرجع السابق١٨/٢٧٣وما بعدها .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) ينظر : جامع البيان٢٦/١٠٤ وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : روح المعاني٢٦/١١٦ ، وفي ظلال القرآن٢٦/٣٣٢٩ .

(٥) ينظر : جامع البيان٢٦/١٠٤ وما بعدها بتصرف .

(٦) البحر المحيط ٨/٩٩ .

الأول في قول الحق ﷻ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ ﴾ ، فـ"ذكر الأعمال الصالحة أولًا دليلًا على حذف الفاسدة ثانيًا ، والتمتع ثانيًا دليلًا على حذف التعلل أولًا "[١] . فالمحذوف من الطرف الأول (تقويًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الأعمال الفاسدة) ، لدلالة ذكر ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات –فتمتعوا بما رزقهم الله تقويًا– جنات تجري من تحتها الأنهار ، والذين كفروا فعملوا لأجل كفرهم الأعمال الفاسدة يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام . وسرُّه أنه ذكر أفضل ما يميز أهل الإيمان ترغيبًا في ملازمة فعل الصالحات ، وأقبح ما يميز أهل الكفر في تجردهم من التفكر والنظر ترهيبًا من دوام الغفلة والبعد عن مراتب الإيمان .

والمتضح: أن الاقتصار على الموضع الثاني أولى ؛ لكونه أكثر دقة في العبارة ، ويذهب أهل العلم من المفسرين إلى أنَّ قوله : ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ ﴾ في مقابلة ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ؛ لما فيه من الإيماء إلى أنهم عرفوا أنَّ نعيم الدنيا خيال باطل وظل زائل ، فتركوا الشهوات وتفرغوا للصالحات ، فكانت عاقبتهم النعيم المقيم في مقام كريم ، وهؤلاء غفلوا عن ذلك فرتعوا في دمنهم كالبهائم ، حتى ساقهم الخذلان إلى مقرهم من درك النيران [٢] . أمّا **الموضع الثاني** فيدرس في بابه[٣] .

*

وفي قوله تعالى : ﴿ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾(الممتحنة:٦،م) ، : احتباك "ذكر الرجاء أولاً دليلًا على ضده ثانيًا ، والتولي ثانيًا دليلًا على ضده أولًا"[٤] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (أقبل) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَتَوَلَّ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لم يكن راجيًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ

---

(١) نظم الدرر ٢١٥/١٨وما بعدها .

(٢) ينظر : روح المعاني٤٦/٢٦ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي٤٣/٨وما بعدها .

(٣) ينظر : صفحة (٤٩١)من البحث .

(٤) نظم الدرر ٥٠٥/١٩ .

ٱللَّهَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فمن أقبل على هذا التأسي لكونه يرجو الله واليوم الآخر فلم يخلد إلى الدنيا يتوله الله ، فإن الله رحيم ودود ، ومن يتولَّ ولم يتأسَّ بهم لم يكن راجيًا .

وسرّه : "أنه ذكر سبب السعادة ترغيبًا ، وسبب الشقاوة ترهيبًا " [١] . فصورة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترغيب في الرجاء ، والترهيب من التولي ، وتتضح حقيقة المراد بعد مراعاة السياق العام بما فيه من براءة من أقر بالإيمان ممن اتسم بالعدوان دلالة على وجوب البراءة من أعدائه [٢] ، والخاص بما فيه من الوعظ بما هو أنفع وأقرب إلى صلاحهم وهو التأسي بمن هم قدوة ؛ لأن فيه صحة العقيدة ، والنهي عن التولي والإعراض عن التأسي بهم ؛ لأن به فساد العقيدة[٣] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متحققة في الركنين المذكورين ، الأول : أن في اتباع إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه ممن يرجون لقاء الله وثوابه والنجاة في اليوم الآخر قدوة حسنة [٤] ، والثاني : ومن يتول عما أمره الله به فأعرض عنه وأدبر مستكبرًا ، ووالى أعداء الله ، وألقى إليهم بالمودّة ، فإن الله هو الغنيّ عن إيمانه وطاعته ، الحميد عند أهل المعرفة بأياديه ، وآلائه عندهم[٥] . فبالحذف تحققت الدعوة إلى التبرؤ من الشرك وأهله ، وقطع أواصر المودة بينهم ؛ عداوة للكافرين ؛ حتى يرجعوا إلى امتثال الإسلام ، ودليل جليّ يكشف عن عظم الحث على التأسي الحسن الذي أبرز شدة وجد المسلمين لحب الإسلام والعمل بمقتضاه [٦] ، كما أن العمل به يعمق في القلوب أن البغض لمن خالف أمر الله ، والحب لمن اتبع أمر الله [٧] ، فـــ"لا ينبغي لمؤمن أن يترك التأسي بهم ، وإن تركه مؤذن بسوء العقيدة"[٨] .

---

(١) الموضع السابق .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٩/٤٨٣ .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٩/٥٠٣وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : جامع البيان٢٨/٦٤ .

(٥) ينظر : الموضع السابق .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٨/٥٨ .

(٧) ينظر : التفسير الكبير٢٩/٢٦٢ .

(٨) تفسير البيضاوي ٥/٣٢٧ .

ويقول تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ .وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(التحريم: ١٠-١١م) ففي قول الحق ﷻ : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ ... وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ ﴾ احتباك "حذف أولاً (فلم تسألا الجنة) ؛ لدلالة (رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة) ثانيًا عليه ، وحذف ثانيًا (كانت تحت كافر) ؛ لدلالة الأول عليه"[١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فلم تسألا الجنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (كانت تحت كافر) ؛ لدلالة ذكر ﴿ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ...كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فلم تقل واحدة منهما : رب اجعلني مع نبيك في الجنة ، وضرب الله مثلًا امرأة فرعون إذ قالت لأجل إيمانها -وإن كانت تحت كافر- رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة .

وسرّه أنه ذكر العبودية والصلاح لكونهما أفخم ، وأشد تأثيرًا للموعوظ وأعظم ، وحذفهما ثانيًا دليلًا على تحقيره له ، وعدم رحمته به ؛ ترهيبًا من الكفر ؛ لأنه أعدى أعدائه[٢] ، أو أنه أنه ذكر ما يشرف أهل الإيمان للإيمان بالله ترغيبًا في العبادة والصلاح وثمرتها الجنة ، وحذف أنكأ ما لأهل الكفر من الكفر بالله تحقيرًا لهم وترهيبًا منه .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترغيب في التمسك بالطاعة والثبات على الحق ، والترهيب من الكفر والمكوث فيه[٣] ، فالقول به جاء في سياق سياق يدعو إلى الارتقاء في مدارج الطاعة ؛ إذ حقق السياق العام الحث على التخلق بالأدب الشرعي وحسن المعاشرة لاسيما للنساء ؛ اقتداء بالنبي ﷺ[٤] ، وفي هذا الحث رقي يبعث في

---

(١) نظم الدرر ٢١٢/٢٠ .

(٢) ينظر : المرجع السابق٢٠٩/٢٠ وما بعدها .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٢٠٢/١٨ .

(٤) ينظر : نظم الدرر١٧٩/٢٠ .

في النفوس الإيمان ويجنبها الكفر ، أمّا دلالة السياق الخاص فهي أشد اعتلاقًا لبيان صورة الحذف ؛ لما تحقق فيه من إثبات حقيقة أنه لا ينفع النفس إلا إيمانهم ، "فللكفار قرابات بالمسلمين كانوا يتوهمون أنها ربما تنفعهم ، وللمسلمين قرابات بالكفار كانوا ربما توهموا أنها تضرهم" [(١)] ، فحصل بالاحتباك إعلام البشر أن الكفر قاطع للعلائق بين الكافر والمسلم ، وأن كفر العاصي لا يضر المطيع ، وإن كان أقرب الناس ، وأن طاعة المطيع لا تنفع العاصي ، وإن كان أقرب الناس[(٢)] ، وفي هذا نعمة عليّة ترشد العقول وتوجه القلوب لحب الإيمان والدعوة إليه ، كما أن في الحذف حثًّا جليلًا يعمق معنى الصبر في الشدائد ؛ لترتقي النفوس في عبادة الله ، "فلا تكونوا في الصبر عند الشدة أضعف من امرأة فرعون حين صبرت على أذى فرعون "[(٣)] . وثمة لطيفة أخرى أسهم الحذف في إبرازها ، وهي إعلام البشر عدل حكم الله ، فلا يؤاخذ العبد إلا بذنبه ، وكان من قضاء الله في خلقه أن لا تزر وازرة وزر أخرى[(٤)] ، وبهذا يتضح للمرء أن العذاب يدفع بالطاعة ، لا بوسائل القربى[(٥)] ، وهذا يرسخ مبدأً جليلًا من مبادئ العقيدة الحقة ، وهو قوة الإيمان الدالة على التصديق بحقيقة البعث[(٦)] .

*

وفي موضع آخر يكشف الاحتباك عن حال الجن ترغيبًا في التمسك بالإيمان وترهيبًا من تركه ، وذلك في قول الحق ﷻ : ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ (الجن:١٤،ك) ، ففيه احتباك "ذكر (المسلمون) يدل على الكافرين ،و (القاسطون) يدل على المقسطين "[(٧)] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الكافرون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ في الطرف الأول . ومن الطرف الثاني حذف (المقسطون) ؛ لدلالة ذكر

---

(١) المرجع السابق ٢٠٧/٢٠ .

(٢) ينظر : المرجع السابق٢٠٨/٢٠وما بعدها .

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٠٣/١٨ .

(٤) ينظر : جامع البيان١٧١/٢٨ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٢٠٢/١٨بتصرف .

(٦) ينظر : البحر المحيط٢٨٩/٨ .

(٧) نظم الدرر ٤٨٤/٢٠ .

﴿ٱلۡقَٰسِطُونَۖ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : وأنا منا المسلمون ومنا الكافرون ومنا القاسطون ومنا المقسطون . وسرّه : أنه ذكر شرف إسلامهم لإخلاصهم ، وقبح جور بعضهم لكفرانهم .

فصورة الاحتباك أسهمت في إبراز حال الجن في أن منهم من هو في الإيمان متمكن ، ومنهم من هو في الكفر -أيضًا- متمكن ، وتتضح حقيقة المراد ، بعد النظر في السياق العام، بما فيه من إيضاح شرف النبي ﷺ ؛ حيثُ لين له قلوب الإنس والجن ، وبيان سيرة الجن في تلقيهم القرآن الكريم [(١)] ، والخاص بما فيه من الإخبار بحال نفر من الجن خضع بعضهم لله بالطاعة ، وآخر جار عن الإسلام [(٢)] . ففي الحذف نعم عليّة تمثلت في إعلام البشر بحقيقة حال نفر من الجن في تلقي القرآن ، فإن في العلم نورًا للبصائر ، به يدركون أعظم الأمور ، وفي الجهل طمسًا للأفهام ، به يعيشون في غياهب الظلام ، وكذا الإعلام بأن محمدًا ﷺ أرسل للإنس والجن عامة ، فتحققت أهم خاصية من خصائص الرسالة ، وهي شمولها وعمومها للثقلين : "بعثت إلى الأحمر والأسود"[(٣)] -أي : الإنس والجن- .

*

ويذكر القرآن حال الناس يوم القيامة ؛ ترغيبًا في الثواب الجزيل لمن أقبل على الآخرة ، وعمل لها ، وترهيبًا لمن أدبر عنها ، ولم يعمل بها[(٤)] ، وذلك في قوله تعالى : ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ . وَوُجُوهٌ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٌ . تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾(القيامة:٢٣-٢٥،ك) ، ففيه احتباك "ذكر النظر في الأولى دليل على ضده في الثانية ، وذكر الفاقرة في الثانية دليل على ضدها في الأولى " [(٥)] ، وعلى هذا

---

(١) ينظر : المرجع السابق٢٠/٤٦٠وما بعدها .

(٢) ينظر : جامع البيان٢٩/١١٣ .

(٣) أخرجه الدرامي في سننه ، كتاب السير ، باب الغنيمة لا تحل لأحد قبلنا ٢/٢٩٥ ، رقم : (٢٤٦٧) من حديث أبي ذر ﷺ ، وأحمد في مسنده ، رقم : (١٤٣٠٣) من حديث جابر بن عبدالله ﷺ : ٣/٣٠٤ ، ورقم : (١٩٧٥٠) من حديث أبي موسى الأشعري٤/٤١٦ ، ورقم : (٢١٣٥٢) من حديث أبي ذر ﷺ٥/١٤٧ . قال الألباني : «إسناده صحيح» . إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، بإشراف : محمد زهير الشاويش ، (المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٧٩م)١/٣١٦ ، رقم : (٥) .

(٤) ينظر : نظم الدرر٢١/١٠٥وما بعدها بتصرف .

(٥) المرجع السابق ٢١/١٠٧ .

فالمحذوف من الطرف الأول (هي آمنة من أن يفعل بها فاقرة) ؛ لدلالة ذكر ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (عن ربها محجوبة) ؛ لدلالة ذكر ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ووجوه يومئذ إلى ربها ناظرة وهي آمنة من أن يفعل بها فاقرة ، ووجوه يومئذ باسرة عن ربها محجوبة تظن أن يفعل بها فاقرة . وسرّه : أنه ذكر أسرَّ ما للمسلم ترغيبًا ، وأنكأ ما للكافر ترهيبًا ، فعُلم أن أصل أسباب السعادة : الإيمان بالله وحده وتصديق رسُوله ، وأصل أسباب الشقاء : الإشراك بالله وتكذيب الرسول[1] .

فالنمط التركيبي لطبيعة الاحتباك أسهم في إبراز حال الناس يوم القيامة ؛ ترغيبًا في الإقبال على أهل الإيمان ؛ لما هم فيه من النعيم المقيم ، وترهيبًا من أهل الكفر والعصيان لما هم عليه من شدة العذاب الأليم ، ويزداد المراد دقة بعد النظر في السياق العام لما تقرر فيه من الدلالة على عظمة الرسول ﷺ ؛ لعظمة مرسله ﷻ[2] ، فحصل لمن اتبع شرف الكرامة ، ولمن أعرض شدة المهانة ، أمّا السياق الخاص فهو أشد إيضاحًا لما يتطلبه الاحتباك ؛ لما احتواه من بيان حال المؤمن في الآخرة وماله من السرور والنعيم ، وحال الكافر وماله من الحزن والجحيم ، فإن السرور الحقيقي لأهل النعمة ، والحزن الحقيقي لأهل النقمة[3] ، فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تمثلت في أن الخلائق يوم القيامة قسمان : قسم وجوههم ناضرة بهية مشرقة ، ظاهر عليها أثر النعمة ، بحيث يدل ذلك على نعمة أصحابها إلى ربها المحسن لها ناظرة دائمًا ، وقسم وجوههم شديدة العبوس ،إلى أنواع العذاب ناظرة ، تتوقع بما ترى من الأهوال أن يفعل بها فاقرة[4] . فالناتج من وراء حمل النظم على الاحتباك إبراز حالة النعيم المقيم والسرور الأبدي –لأهل الإيمان– حافزًا يبعث في النفس المسارعة لفعل الصالحات والازدياد من الإيمان ، وفي هذا تثقيف للنفوس يرشدها إلى المداومة على فعل الطاعة ، ويعلمها أن كل جزء يفوت من الوقت خاليًا من الطاعة يفوته من السرور والسعادة بقدره ، ومن عرف الدنيا اجتهد في العبادة ، وأقام نفسه على أدائها[5] . فالحذف

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير٢٩/٣٥٢ بتصرف يسير .

(٢) ينظر : نظم الدرر٢١/٨٢ .

(٣) ينظر : المرجع السابق٢١/١٠٥ وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : المرجع السابق٢١/١٠٤وما بعدها .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن٢٩/٣٧٧١ بتصرف .

فالحذف أسهم بأثر بارزٍ في إيضاح أفضلية المؤمنين وما لهم من السعادة والرفعة في النظر إلى ذات الله الذي هو أصل الكمال والجمال[1] ، وهذا يزيد في النفوس حب الإيمان والتطلع إلى أعلى مراتب الإحسان ؛ لأنَّ جزاء من أخلص التوحيد النظر إلى ذات الحق : "إنكم سترون ربكم عَيَانًا"[2] . وثمة لطيفة أخرى يحققها الحذف في النظم ، وهي الإشادة بمشهد المؤمنين ومالهم من الأمن والنعيم ترغيبًا ، ومشهد الكافرين المقطوعين الصلة بالله وما ينالهم من الخوف ترهيبًا .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ . فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ .وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ . وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ . وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴾ (عبس:٥-٩،ك) ، احتباك "ذكر الغنى أولًا يدل على الفقر ثانيًا ، وذكر المجيء والخشية ثانيًا يدل على ضدهما أولاً ، وسرّه : التحذير مما يدعو إليه الطبع البشري من الميل إلى الأغنياء ، ومن الاستهانة بحق الآتي إعظامًا لمطلق إتيانه "[3] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (إن لم يخش ، و لم يجئ إليك) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ . وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وهو فقير) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أمّا من استغنى وإن لم يخش و لم يجئ إليك ، وأمّا من جاءك يسعى وهو فقير وهو يخشى .

وفيه بعد ؛ **لعدم حاجة النظم إليه** ؛ لكون ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ أي : يسرع طالبًا للخير ، فيه إيماء إلى أن ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴾ بمعنى استغنى بكفره عن طلب ما يهديه [4] ؛ لذا فالأولى تركه .

*

---

(١) ينظر : المرجع السابق٢٩/٣٧٧٠ .

(٢) أخرجه البخاري بنصه ، كتاب : التوحيد ، باب قول الله تعالى :﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ .إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ٦/٢٧٠٣، وقم:(٦٩٩٨) من حديث جرير بن عبدالله ﷺ .

(٣) نظم الدرر ٢١/٢٥٦ .

(٤) ينظر : إرشاد العقل السليم ٩/١٠٨ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٨/٣٢١ ، روح المعاني ٣٠/٥١ ، والتحرير والتنوير٣٠/١٠٧ .

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ... كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾(المطففين:٧-٢١،ك) ، احتباك "ذكر سِجّين أولًا دال على الاتساع ثانيًا ، وذكر عليين والمقربين ثانيًا دال على أسفل سافلين والمبعدين أولًا "[١] . وتقديره : وما أدراك ما سجين ، وهو مع ذلك في أسفل سافلين ، يشهده المبعدون ، وما أدراك ما عليون ، كتاب مرقوم ، يشهده المقربون .

وفيه نظر ؛ لأنَّ قوله : **ذكر سجين أولًا دالٌّ على الاتساع ثانيًا** ، **غير دقيق** ؛ لكون الطرفين مذكورين معًا ، وهما : ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ و﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ فليس ثمة محذوف يقدر . فالقول فيهما واحد[٢] من حيثُ المعنى المراد ، فسجين فيها دلالة على شدة الضيق ، وعليون فيها دلالة على شدة الاتساع .

*

– القول بشبه الاحتباك :

قيل في قول الحق ﷻ : ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(الأعراف:٤٤،ك) ، شبه احتباك «أثبت المفعول الثاني دليلًا على حذف مثله ثانيًا ، وحذفه ثانيًا دليلًا على إثبات مثله أولًا »[٣] .

فالمحذوف من الطرف الأول (وجدنا) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَجَدْنَا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وجدتم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَجَدتُّم﴾ في الطرف الأول . وتقديره : قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا ، ووجدنا جميع ما وعدنا ربنا لنا ولغيرنا حقًّا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ لكونكم وجدتم ما توعدكم به ربكم حقًّا ، قالوا : نعم .

و لم يبرز هذا التأويل عند جمهرة المفسرين ؛ فلا ضرورة تدعو إليه ؛ إذ الكلام منتظم في معناه وفق ما أولوا من أنه "حُذف المفعولُ من الفعل الثاني إسقاطًا لهم عن رتبة التشريفِ بالخطاب عند الوعدِ ، وقيل : لأن ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصًا بهم وعدًا كالبعث والحسابِ ونعيمِ الجنة ، فإنهم قد وجدوا جميعَ ذلك حقًّا ، وإن لم يكن وعدُه

---

(١) نظم الدرر ٣٢٧/٢١ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير٢٠٤/٣٠ .

(٣) نظم الدرر ٤٠٥/٧ .

مخصوصًا بهم"[١] . لذا فالأولى تركه .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ . خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(العنكبوت: ٤٣-٤٤،ك) ، شبه احتباك[٢] ، تقديره : وتلك الأمثال نضربها للناس **وما يعلمها إلّا العالمون** ، ومن لم يعلمها ليسوا بعالمين ، خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين ، وقد اهتدى واتبع المؤمنون ، و لم يهتد وينتفع المشركون .

وفيه نظر ؛ لأنَّ المذكور ركن واحد ، والمحذوف ثلاثة أركان **لا يدل** المذكور عليهما دلالة بينة ، فالتقدير المشار إليه ناتج من فهم المعنى ليس بالضرورة أن يصار إليه لانتظا م المعنى بدونه .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴾(فصلت:٣٨،ك) ، شبه احتباك "ذكر الاستكبار أولًا دليلًا على حذفه ثانيًا ، والتسبيح ثانيًا دليلًا على حذفه أولًا "[٣] . فالمحذوف من الطرف الأول (لم يتزهوه) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا يستكبرون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فإن استكبروا و لم يتزهوه عن الشريك ، فالذين عند ربك يسبحون له وهم لا يستكبرون .

وسرّ ذلك : أنه "ذكر أقبح ما لأعدائه ، وأحسن ما لأوليائه" [٤] . فصورة الحذف أسهمت في إبراز حال أعداء الله في استكبارهم عن التسبيح والتتريه ترهيبًا ، وحال أوليائه في ملازمة التسبيح والتتريه ترغيبًا ، ويظهر حسن المراد بعد النظر في السياق العام بما تحقق فيه من

---

(١) إرشاد العقل السليم ٢٢٩/٣ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٢٥٧/٢٠ .

(٣) نظم الدرر ١٩٦/١٧ .

(٤) الموضع السابق .

الإعلام بأن العلم هو ما اختاره الله ، وهو الحامل على الإيمان المطلق والاستقامة التامة [١] .
والخاص بما فيه من بيان طاعة الأولياء ، ومعصية الأعداء [٢] ، فثبت بالدليل القاطع أهمية التسبيح والتتريه والتقديس لله وحده ، وانتفى اتخاذ شريك له في ذلك . وفي القول بالحذف لطائف تدعو في المقام الأول إلى ترسيخ أهمية التسبيح لله ﷻ في نفوس البشر عامة ، خصوصًا بعد تأمل دلائل كمال عظمته ، ففي ترك التسبيح جهل بدلائل العظمة والسلطان ، وفي ملازمته علم بها . ثم إن في إعلام البشر بما هو غيب عنهم ، وهو حال الملائكة في تسبيحهم وتعظيمهم لله ، وعدم استكبارهم ، نعمة عليّة تغرس في النفوس ملازمة الاستغفار والتسبيح ، وترشدهم أن العبادة لا تصلح لغير الله[٣] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (الشورى:١٨،ك) ، شبه احتباك "ذكر الاستعجال أولًا دليلًا على حذف ضده ثانيًا ، والإشفاق ثانيًا دليلًا على حذف ضده أولًا"[٤] ، فالمحذوف من الطرف الأول (غير مشفقين منها) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا يستعجلون بها) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها وهم غير مشفقين منها ، والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ، وهم لا يستعجلون بها[٥] .
وسرّه : أنه ذكر أقبح ما يكون من الكافرين ، وأحسن ما يكون من المؤمنين تجاه الساعة ؛ ترهيبًا وترغيبًا . فصورة الحذف أسهمت في إبراز حال أهل الكفر وأهل الإيمان في الإيمان بالساعة وتحقق وقوعها . ويبرز حسن المراد بعد النظر في السياق العام لما تحقق

---

(١) ينظر : المرجع السابق١٧/١٣٤ .
(٢) ينظر : المرجع السابق١٧/١٩٤ .
(٣) ينظر : جامع البيان٢٤/١٢١ .
(٤) نظم الدرر ١٧/٣٨٣ .
(٥) ينظر : روح المعاني٢٥/٢٦ .

فيه من الدعوة إلى الاجتماع على الدين الحق الذي أساسه الإيمان الخالص [(١)] ، والخاص لما فيه من بيان حال الناس في أمر الساعة [(٢)] ، فتضمن الحذف دعوة جليلة ترشد إلى حسن الاستعداد ليوم القيامة والإخلاص في فعل الأعمال الصالحات ؛ لأنه لا بد من كونها في الدنيا ؛ لأنها دار تكليف [(٣)] ، كما أن في استعجال الكافرين بها ، وعدم الخوف منها دليل جهلهم الذي أوقعهم في التردي في دركات الكفر والضلال ، وفي عدم استعجال المؤمنين بها وخوفهم منها دليل علمهم الذي رفعهم للترقي في درجات الإيمان والهدى [(٤)] ، ثم إن في إبراز حال الناس في أمرها دليلًا يقرر أن الكفر يطبع على القلوب وينزع منها بذور الخشية والخوف ، والإيمان يزرع في القلوب الخوف والخشية ، "والذين لا يؤمنون بها لا تحس قلوبهم هولها ، ولا تقدر ما ينتظرهم فيها ؛ فلا عجب يستعجلون بها مستهترين ؛ لأنهم محجوبون لا يدركون ، وأما الذين آمنوا فهم مستيقنون منها ، ومن ثم هم يشفقون ويخافون ، وينتظرونها بوجل وخشية"[(٥)] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(الأحقاف:١٠،م) ، شبه احتباك «ذكر الإيمان أولًا دليلًا على ضده ثانيًا ، والاستكبار والظلم وعدم الهداية ثانيًا دليلًا على أضدادهما أولًا»[(٦)] . فالمحذوف من الطرف الأول (اهتدى و لم يستكبر و لم يظلم) ؛ لدلالة ذكر﴿ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (كفرتم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَـَٔامَنَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فآمن فاهتدى و لم يستكبر و لم يظلم ، واستكبرتم فضللتم فكفرتم ، والله لا يهدى القوم الظالمين .

---

(١) ينظر : نظم الدرر١٧/٢٣٠ .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٧/٢٨٢ .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٧/٢٨٢وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : المرجع السابق١٧/٢٨٣بتصرف .

(٥) في ظلال القرآن ٢٠/٣٥١٥١ .

(٦) نظم الدرر ١٨/١٣٩ .

وسرّه : "أنّه ذكر سيي السعادة ترغيبًا وترهيبًا "[١] . فصورة الحذف أسهمت في إبراز حال إيمان الشاهد من بني إسرائيل ، واستكبار الكافرين عن الإيمان ترغيبًا وترهيبًا [٢] ، في سياق تحقق إنذار الكافرين للدلالة على صدق الوعد في قيام الساعة اللازم منه العزة والحكمة ، وهذا دليل الوحدانية[٣] ، وهذا ما مثله السياق العام من السورة ، أمّا الخاص فتضمن تقبيح الكافرين لإصرارهم على التكذيب [٤] . ففي الحذف جملة من المعاني تدعو في المقام الأول إلى إعلام البشر بأن من وحَّد الله فقد آمن ، ومن أشرك فقد كفر ؛ وهذا يدفع إلى المبادرة للحفاظ على الإيمان لدى المؤمن ، والمسارعة إلى امتثاله لدى الكافر ، ثم النهي عن وضع الكفر موضع الإيمان ؛ لأن فيه تعمد الخوض في الكفر ، والاستكبار والظلم[٥] .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ . وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ . تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ (عبس: ٣٨-٤١،ك) ، شبه احتباك "ذكر الإسفار والبشر أولاً يدل على الخوف والذعر ثانيًا ، وذكر الغبرة ثانيًا يدل عل البيا ض والنور أولًا"[٦] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (بيضاء نيرة) ؛ لدلالة ذكر ﴿غَبَرَةٌ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (عابسة منذعرة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مُسْفِرَةٌ ... مُسْتَبْشِرَةٌ ﴾ في الطرف الثاني .

وتقديره : وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ، وهي بيضاء نيرة ، ووجوه يومئذ عليها غبرة ، وهي عابسة حذرة وجلة منذعرة .

وسره : "أنه ذكر دليل الراحة ودليل التعب لظهورهما ترغيبًا وترهيبًا" [٧] .

فالنمط التركيبي لطبيعة الاحتباك ركز على إبراز خاصيتي الترغيب الجميل لأهل الإيمان من خلال الكشف عن حسن حالهم ، والترهيب الشديد لأهل الكفر من خلال إبراز قبح

---

(١) الموضع السابق .

(٢) ينظر : جامع البيان٢٦/١١ ، والبحر المحيط٨/٥٨ .

(٣) ينظر : نظم الدرر١٨/١١٨ .

(٤) ينظر : المرجع السابق١٨/١٣٧ .

(٥) ينظر : المرجع السابق١٨/١٣٩ .

(٦) المرجع السابق ٢١/٢٧٣ .

(٧) الموضع السابق .

حالهم في الآخرة ، فالسياقان العام والخاص يعضدان القول بالحذف ؛ لما تحقق في العام من التخويف من أهوال القيامة ، وإعلام البشر بأن النفس تسمو فيها بشرف أعمالها في الدنيا[١] ، والخاص لما فيه من إثبات انقسام الناس في القيامة قسمين : أهل سعادة ينعمون ، وأهل شقاوة يعذبون [٢] ، فتحقق الترغيب في العمل لأجل الآخرة ، والترهيب منه لأجل الدنيا ، وفي هذا إعلامٌ للبشر بأعظم دوافع الإيمان الحقيقي ، وهي الخشية والخوف من الله ، فالذين بكت أعينهم في الدنيا وعبست وجوههم فشحبت ، استبشرت في الآخرة بشرف العمل واستنارت ؛ لما لقيت من السعادة ، والتي ضحكت في الدنيا فرحًا وطربًا ، بكت وعبست في الآخرة ؛ لما لقيت من شدة العذاب ، فغشاها وقهرها وغلب عليها الرعب ، فهزّ فؤادها[٣] ، نعمة عليّة تغرس في النفوس مبدأ الإقبال على الطاعات ؛ انقيادًا وتسليمًا لأمر الله ونهيه ، خصوصًا الأعمال التي تزيد الوجه حسنًا ونضارة ، وفي هذا ترغيب يدفع إلى مراعاة حسن القيام بصلاة الليل ، والخلاص من علائق الدنيا والاتصال بعالم القدس ومنازل الرضوان[٤] .

*

وفي موضع آخر أسهم الحذف في إظهار حال أهل الإيمان والكفر في الآخرة ترغيبًا وترهيبًا وذلك في : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ إلى قوله : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾(الانشقاق:٧-١٠،ك) ، ففيها شبه احتباك"ذكر اليمين أولاً يدل على الشمال ثانيًا، وذكر الوراء ثانيًا يدل على الأمام أولاً"[٥] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (من أمامه)؛ لدلالة ذكر ﴿وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (شماله)؛ لدلالة ذكر ﴿بِيَمِينِهِ﴾ في الطرف الأول. وتقديره: فأمّا من أوتي كتابة بيمينه من أمامه وأمّا من أوتي كتابه وراء ظهره في شماله

وسرّه : "أنه ذكر دليل المودة والرفق بالمصافحة ونحوها في السعيد" [٦] .

---

(١) ينظر : المرجع السابق ٢١/٢٤٩ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٢١/٢٧١ وما بعدها .

(٣) ينظر : الموضع السابق .

(٤) ينظر : التفسير الكبير ٣١/٥٩ .

(٥) نظم الدرر ٢١/٣٤٣ .

(٦) الموضع السابق .

فالنمط التركيبي لطبيعة الحذف أسهم بشكل بارز في تحقق خاصيتي الترغيب والترهيب من خلال الكشف عن حال البشر عامة في إتيان صحائف أعمالهم ، فالقول به ذو اعتلاق بالسياق العام للسورة ؛ إذ إنها في الأصل ترشد إلى إعلام البشر بأن أولياء الله ينعمون ، وأعداءه يعذبون ، فانقسموا أهل ثواب وأهل عقاب[١] ، أمّا السياق الخاص فحمل الإعلام بأن العباد إذا عُرضوا على ربهم كان منهم المقبول ومنهم المردود بحسب أعمالهم في الدنيا[٢] . فثبت بالحذف إعلام البشر بأن من كان مقبولًا منهم أُعطي كتاب حسناته بيمينه ؛ لأنه كان في الدنيا من أهل اليمين ، ومن كان مردودًا أعطي كتابه بشماله ؛ لأنه كان في الدنيا مع أهل الباطل[٣] ، وفي الإعلام بهذا نعمة جليلة تعمق في النفوس المبادرة إلى العمل في الدنيا لأجل الآخرة ، وفي إبراز حال الكافر في الآخرة : " يمد يده اليمنى ليأخذ كتابه فيأخذ به ملك فيخلع يمينه ، فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره " [٤] ، دعوة ترشد إلى ترك المعاصي الموجبة للكفر ، والرجوع إلى التوبة .

*

وفي موضع آخر أسهم الحذف في إبراز حال أهل الكفر في الدنيا ترهيبًا ، وحال أهل الإيمان ترغيبًا ، وذلك في : ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ . وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى . ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾(الأعلى:١٠-١٢،ك) ، ففيه شبه احتباك ، "ذكر الثمرة في الأول وهي الخشية دليلًا على حذف ضدها من الثاني ، وهي القسوة الناشئة على الحكم بالشقاوة ، وذكر الأصل والسبب في الثاني وهو الشقاوة دليلًا على حذف ضده في الأول وهو السعادة ، فالإسعاد سبب والخشية ثمرة ، والإشقاء سبب والقساوة ثمرة ومسبب " [٥] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (وهو السعيد) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا يخشى) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَخْشَىٰ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : سيذكر من يخشى وهو السعيد ، ويتجنبها الأشقى فهو لا يخشى .

---

(١) ينظر : المرجع السابق٢١/٣٣٥ .

(٢) ينظر : المرجع السابق٢١/٣٣٩ .

(٣) ينظر : المرجع السابق٢١/٣٣٩وما بعدها .

(٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٩/٢٧٢ .

(٥) نظم الدرر ٢١/٣٩٩ .

"وسر ذلك أنه ذكر مبدأ السعادة أولًا حثًّا عليه ، ومآل الشقاوة ثانياً تحذيراً منه" [1] .

وفي موضع قريب من هذا يقول تعالى : ﴿ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ . وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى . ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾(الليل:١٦-١٨،ك) ، ففيه شبه احتباك "ذكر التكذيب أولاً دليلاً على حذف ضده ثانيًا ، وإيتاء المال ثانيًا دليلًا على حذف ضده أولًا" [2] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (لم يؤت ماله) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لم يكذب) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَذَّبَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : الذي كذب وتولى فلم يؤت ماله لزكاة نفسه ، وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى ما كذب وما تولى .

وسرّه أنه ذكر أقبح ما يصدر من أهل الكفر ترهيبًا ، وأحسن ما يكون من أهل الإيمان ترغيبًا . ففي تدبر دلالة الحذف –في الموضعين– إشارات تُعلي من شأن الحذف ؛ لما فيه من توجيه البشر إلى السعي لإدراك مراتب الإيمان ثم الترقي فيها ، ففيه إيماء إلى شدة التمسك والحرص على الطاعة ؛ لأجل المحافظة على البقاء في الإيمان .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾(الشمس: ٨،ك) ، شبه احتباك "ذكر الفجور أولًا دالّ على السكون الذي هو ضده ثانيًا ، وذكر التقوى ثانيًا دالّ على ضده ، –**وهو عدم الخوف**– أولًا" [3] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (عدم الخوف) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَتَقْوَىٰهَا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (سكونها) ؛ لدلالة ذكر ﴿فُجُورَهَا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فألهمها فجورها عدم الخوف ، وتقواها أوجب سكونها[4] .

يذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ القول بهذا التقدير لا وجه له ؛ "لأن الفجور ليس ضد السكون كما ذكر ، وإنما الفجور معناه الانبعاث غير المكترث في المعاصي ، أو الفجور : شق ستر الديانه ، فلا يستقيم ما ذكره البقاعي إلا على تأويلٍ بعيد" [5] .

---

(١) الموضع السابق .

(٢) المرجع السابق ٩٥/٢٢ .

(٣) المرجع السابق ٧٧/٢٢ .

(٤) ينظر : نظم الدرر٧٧/٢٢ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه–وأسراره ، ص٥٣ .

(٥) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه–وأسراره ، ص ٥٣.

والظاهر أن القول بالحذف في هذا الموضع قائم على شدة التركيز في فهم المفردة القرآنية ، فقد أوضح -البقاعي- اصطلاحه لجعل : (الفجور) دالاً على السكون ، و(التقوى) دالّةً على عدم الخوف ؛ فمراده الساعي لإثبات أن الفجور أقبح القبيح ، والتقوى أحسن الحسن - ؛ لما أقام عليها من ملك العقل الملكي وغريزة العلم النوراني- ، فحصل أن تذوق الفجور أشهى شهي ، وأن التقوى أَمَرُّ شيء ،وأصعبه ، وأثقله ، وأتعبه ؛ وذلك لِيُثبت ما للآدمي من الإقدام على ما يضره وهو يعلم ضرره . فتحقق بهذا أن معنى فجورها : انبعاثها في الميل مع دواعي الشهوات ، وعدم الخوف ناتج من التجرؤ على خرق سياج الشريعة بسب قبح الطباع ، والسكون ناتج من التحرز والاتقاء بوقايات الشريعة[١]، و"يقال : فجورها : حركتها في طلب الرزق ، وتقواها : سكونها"[٢] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾(التين:٤-٦،ك) ، شبه احتباك "حذف أولاً بما أفهمته الآية عمل السيئات ، وثانيًا الإبقاء على أصل الخلق في أحسن تقويم على الفطرة الأولى ؛ **ليكون نظمها في الأصل** : ثم رددناه أسفل سافلين بعمل السيئات ، فله على ذلك عذاب مهين ، إلَّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنا أبقيناهم على الفطرة الأولى في أحسن تقويم" [٣] .

وفيه نظر من حيثُ كون التقدير المشار إليه متضمنًا ثلاثة أركان ؛ هي : (عمل السيئات) -محذوف- مقابل -المذكور- (عمل الصالحات) ، و(في أحسن تقويم) - محذوف- ليس له مقابل .

ولو قيل : لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين بعمل السيئات ، فله على ذلك عذاب مهين ، إلَّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنا أبقيناهم على الفطرة الأولى في أحسن تقويم ؛ لَصَحَّ وجهه ، وأصبح المحذوف من الطرف الأول (عمل السيئات) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف

---

(١) ينظر : نظم الدرر٢٢/٧٧ .

(٢) لطائف الإشارات ٣٠١/٦ .

(٣) نظم الدرر ١٤٦/٢٢ .

(أحسن تقويم) ؛ لدلالة ذكر ﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ في الطرف الأول .
وسرّه أنه ذكر أشرف فعل الله في خلقهم في أحسن صورة ، ثم ذكر أشرف ما يكون من أهل الإيمان ترغيبًا في ملازمة فعل الصالحات ، فالحذف أسهم في رسم صورة الإنسان في جعله مفطورًا على فطرة الدين القيم ، ثم منحه العقل السليم الذي يهديه إلى العروج عن دركِ النيران إلى درج الجنان بالإيمان والأعمال الصالحة البالغة نهاية الإحسان ؛ ترغيبًا بملازمة الأعمال الصالحة والحث عليها[1] . ويتضح المراد بعد النظر في السياق العام بما فيه من إثبات القدرة الكاملة في خلق الله للأشياء ، خصوصًا الإنسان[2] ، والخاص بما فيه من الإخبار عن خلقه ابن آدم ، وتصريفه في الأحوال[3] . وفي تدبر دلالة الحذف إشارات عظمي أسهمت في الإعلام بأن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم ، ثم ركبه ، فإن قدّم عقله على هواه صعد إلى أعلى عليين ، وكان من المقربين المقدمين ، وإن قدّم هواه هبط إلى الجحيم ، وكان من المبعدين المؤخرين[4] ، وفي هذا نعمة عليّة ترشد إلى العلم بالمقصد الحقيقي من خلق الإنسان ، وهو العقل ، فيعمل من أجل السعي في مرضاة الله بالعزم الصادق على فعل أعمال البر ، فكلما زاده الله سنًّا زادت أنوار عقله ، ونقصت شهوته[5] ، كما أن في الحذف دعوة نبيلة تعلم البشر أن لهم أجرهم الذي عملوا به قبل أن تذهب عقولهم[6] ، فـ"إذا بلغ من الكبر ما يعجز عن العمل ، كُتِب له ما كان يعمل"[7]، فلا يخرف ولا يهرم ولا يذهب عقل من كان عالمًا عاملاً به[8] .

*

(١) ينظر : المرجع السابق٢٢/١٣٩ .

(٢) ينظر : المرجع السابق٢٢/١٣٠ .

(٣) ينظر : جامع البيان٣٠/٢٤٣ وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : نظم الدرر٢٢/١٤٤ .

(٥) ينظر : المرجع السابق٢٢/١٣٩ .

(٦) ينظر : جامع البيان٣٠/٢٤٦ .

(٧) المرجع السابق ٣٠/٢٤٧ .

(٨) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٢٠/١١٦ .

المبحث الثاني : أحوال أهل الإيمان و الكفر وبيان جزائهم ترغيبًا وترهيبًا .

–القول بالاحتباك:

يكشف الاحتباك عن حال أهل الإيمان يوم القيامة ، وما يكون لهم من النعيم المقيم ، وحال أهل الكفر ، وما يكون لهم من العذاب الأليم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٦-١٠٧م) . ففيه احتباك ، إثبات الكفر أولًا دليل على إرادة الإيمان ثانيًا ، والرحمة ثانيًا دليل على حذف اللعنة أولًا [(١)] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (اللعنة) ؛ لدلالة ذكر (الرحمة) في الطرف الثاني ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ، كما حُذِف من الطرف الثاني (الإيمان) ؛ لدلالة ذكر (الكفر) في الطرف الأول ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ ، وتقديره : فأما الذين اسودت وجوهم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب إنكم في لعنة الله ماكثون ، وأما الذين ابيضت وجوهم لأنهم آمنوا فأمنوا من العذاب ، ففي رحمة الله هم فيها خالدون . وسرّه أنّه ذكر الأنكأ المشين الملزم للتوبيخ ؛ لأن النفوس لخوض أسبابه أسرع ، في مقابل ذكر الثمرة الباقية عالية القدر تشريفًا لأهل الإيمان .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصيتي الترغيب والترهيب من خلال الكشف عن هول القيامة ، وما يحصل فيها من صور النعيم المقيم ، والعذاب الأليم ، وما يحصل –أيضًا– من بياض وجوه وسواد وجوه تهويلًا لمن اسوّدت وجوههم ، وتشريفًا لمن ابيضّت وجوههم[(٢)] ، فتحقق بالاحتباك ترسيخ ركن عليّ من أعظم أركان الدين يدعو إلى كمال التوحيد ، وهو : الإيمان بالغيب المقصد الذي دعت إليه السورة بكليتها ؛ ليدفع النفوس إلى استشعار عِظَمِ يوم القيامة ، وهذا حافز للزوم الإقبال على الطاعات ، وترك العصيان ، فالسياق العام والخاص يُعمقان القول بالاحتباك ؛ إذ العام يسعى لإثبات الوحدانية لله وإبطال إلهية غيره [(٣)] ، والخاص تضمن الترهيب الشديد بزيادة النكاية لأهل

---

(١) ينظر : نظم الدرر٥/٢٢ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير٤/٤٤ .

(٣) ينظر : نظم الدرر٤/١٩٥ .

الكفر ، والترغيب الجميل لحسن حال أهل النعيم [١] . فأصل المراد –وهو : تحقق العقاب والثواب– متمثل في الركنين المذكورين ، الأول : في إظهار قبح حال الكافرين الذين قالوا كلمة الإيمان بألسنتهم وأنكروها بقلوبهم وأعمالهم[٢] ، والثاني : في إظهار المآثر الحسنة لأهل طاعة الله والوفاء بعهده[٣] ، فثبت إعلام البشر أنه لم يكن في القيامة إلا هذان الفريقان[٤] ، وفي هذا نعمة ترشد إلى أن الإيمان الحق هو ما تقرر في القلب قولًا وعملًا واعتقادًا ، فجميع الكفار داخلون في فريق من سوِّدت وجوههم ، وجميع المؤمنين داخلون في فريق من بُيِّضت وجوههم[٥] ، فرجحان الحسنات على السيئات كان سببًا في بياض الوجه ، كما كانت غلبة السيئات على الحسنات سببًا في سواده [٦] . وللاحتباك أثر بارز في إحداث علائق ربط أضافت إلى النظم معاني ذات أثر جليل من أجلِّها جمال الإيجاز ودقة المعنى في ذكر أوجه التقابل ؛ إذ إن بياض الوجوه لما حصل من التوفيق ؛ لشرف الأعمال في الدنيا ، وشرف النعيم في الآخرة ، لذا عبر بـ﴿فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ؛ إشعارًا بأن المؤمن ، وإن استغرق عمره في طاعة الله ، لا ينال ما ينال إلا برحمته تعالى ، فلن يدخل أحد من البشر الجنة بعمله حتى يتعمده الله بواسع رحمته [٧] ، وسوادها لما حصل من الخوض في المعاصي في في الدنيا ، ولما غشاها من العذاب الأليم [٨] ، فالبياض والسواد بياض وسواد حقيقيان يوسم بهما المؤمن والكافر في الآخرة[٩] .

*

وفي قول تعالى : ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمْۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾

---

(١) ينظر : المرجع السابق٥/٢١وما بعدها بتصرف .

(٢) ينظر : جامع البيان٤/٤١ .

(٣) ينظر : الموضع السابق .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

(٥) ينظر : الموضع السابق .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٤/١٦٦ .

(٧) ينظر : روح المعاني٤/٢٥وما بعدها .

(٨) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٤/١٦٦ .

(٩) ينظر : التحرير والتنوير٤/٤٤ .

(الشورى: ٢٢،ك) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِ ﴾ احتباك ؛ فقد "أثبت فيه الإشفاق أولًا دليلًا على حذف الأمن ثانيًا ، والجنات ثانيًا دليلًا على حذف النيران أولًا" [١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (في غمرات النيران) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (غير خائفين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مُشۡفِقِينَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم في غمرات النيران ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات غير خائفين في روضات الجنات . وسرّه أنه ذكر أحسن ما للمؤمنين ، وأقبح ما للظالمين .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز حال أهل الكفر في الآخرة ترهيبًا مما يدعو إلى النار ، وثواب أهل الإيمان ترغيبًا مما يوجب الجنة ، فالقول بالاحتباك جاء في سياق يدعو إلى الارتقاء في مدارج الطاعات ؛ إذ تحقق في العام الدعوة إلى الاجتماع على الإسلام[٢] ، وفي الخاص إثبات الفصل يوم القيامة بين أهل الجنة و النار[٣] . فالقيمة الحقيقية الحقيقية لأصل المراد متحققة في المعاني الجوهرية التي ظهرت في إبراز شدة خوف أهل النار مما اعتقدوا نفعه في الدنيا ، فهم "مشفقون من عقاب أعمالهم حال نزول العقاب بهم"[٤] ، بهم"[٤] ، وفي ذكر ثواب أهل الجنة في الآخرة : ﴿ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِ ﴾ ، فتحقق بهذين الركنين أصل المراد على أتم وجه ، فحمل النظم على الحذف يحقق معاني عظيمة من أجلِّها : إعلام البشر عامة –مؤمن وكافر– أن حال إشفاق المؤمنين في الدنيا اطمئنان في الآخرة ، وحال اطمئنان الكافرين في الدنيا إشفاق في الآخرة ، نعمة ترشد إلى الإقبال على الصالحات واجتناب السيئات[٥] .

*

(١) نظم الدرر ٢٩٤/١٧ .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٧/٢٩٤ .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٧/٢٩٢ .

(٤) التحرير والتنوير ٧٨/٢٥ .

(٥) ينظر : المرجع السابق٢٥/٧٨وما بعدها .

ويبرز التقابل خاصية الترهيب من نقض العهد ، والترغيب في الوفاء به في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(الفتح: ١٠م) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾احتباك "ذكر أولًا أن النكث عليه دليلًا على أن الوفاء له ثانيًا ، وإيتاء الأجر ثانيًا دليلًا على إحلال العقاب أولًا " [١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (عذابًا أليمًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فإنما وفاؤه لنفسه) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ويستحلّ به على نكثه عذابًا أليمًا ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فإنما وفاؤه لنفسه فسيؤتيه أجرًا عظيمًا .
وسرّه : "أنه بين أن ما يريده الناكث من الأذى لغيره إنما هو واقع به ؛ لأن ذلك أعظم في الترهيب عن النكث ؛ لما جبل الإنسان عليه من النفرة عن ضر نفسه وبعده عنه ، وذكر الأجر للموفي ؛ لأنه أعظم في الترغيب" [٢] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية "الترهيب الشديد من نقض العهد ؛ للحث على الوفاء به ؛ لأنه سبب قيام الدين ، والترغيب في المحافظة على الوفاء به إتمامًا للحث عليه "[٣] ، وتبرز دقة المراد بعد النظر في السياق العام الدال على تحقق صدق وعد الله بسائر الفتوحات للمؤمنين تبشيرًا للمجاهدين في نصرة دينه بالفوز والظفر على الخارجين عن الدين [٤] ، والخاص بما فيه من الترغيب في اتباع الرسول والدخول في الإسلام ، والترهيب من التواني عن ذلك [٥] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في المعاني الجوهرية ، الأول : في الإخبار بأن حال من ﴿نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ ﴾ ، والثاني : في إبراز ثواب من اتبع الرسول ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ، فهما كفيلان بإيضاح أهمية التمسك

---

(١) نظم الدرر ٢٩٨/١٨ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) المرجع السابق ٢٩٧/١٨وما بعدها .

(٤) ينظر : المرجع السابق٢٧٣/١٨وما بعدها .

(٥) ينظر : المرجع السابق٢٩٤/١٨ وما بعدها .

بالوفاء بالعهد ، والصبر عند لقاء العدو ، ونصرة النبي محمد ﷺ على أعدائه[١] ، فتحقق حسن ثواب العامل بذلك ، أما الناكث فيحرم نفسه الثواب ويلزمها العقاب[٢] .

وفي القول بالاحتباك معانٍ ترشد في المقام الأول إلى إثبات مبدأ تأصيل الأخلاق الساعية إلى الارتقاء في مقام القرب من الله ، فالتمسك بالعهد والوفاء به من أخلاق المؤمنين الأخيار ، والنكث من أخلاق الكفار ، فليس من أخلاق المؤمن المكر والخديعة والخيانه[٣] ، وفي هذا أبلغ تحذير عن التخلق بالأخلاق الذميمة التي توجب النار والخروج عن أخلاق الإيمان الكريمة التي توجب الجنة[٤] ، كما تحقق بالحذف إعلام البشر أن المرء لا يضر بعمله السيئ إلا نفسه ، ولا ينفع بعمله الصالح إلا نفسه[٥] ، في هذا تثقيف للنفوس يدفعها إلى الإخلاص في طاعة الرسول ﷺ وامتثال أمره ، فإن أساس الإخلاص ملازمة الصبر والثبات عليه[٦]، وإن عقد الميثاق مع الرسول ﷺ كعقده مع الله ﷻ من غير تفاوت بينهما[٧] ،﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾(النساء:٨٠،م) .

*

يبرز التقابل الترغيب في الجنة والترهيب من النار ، من خلال إيضاح حال جماعة من الجن وبيان جزائهم ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا.وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾(الجن:١٤-١٥،ك) . ففيه احتباك ؛ حيثُ "ذكر التحري أولًا دليلًا على تركه ثانيًا ، وذكر جهنم ثانيًا دليلًا على حذف الجنة أولًا "[٨] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فكان لهم إلى الجنة سببًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾ في الطرف الثاني ، وحذف من الطرف الثاني (فلم يتحروا) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ﴾ في الطرف الأول .

---

(١) ينظر : جامع البيان٢٦/٧٦ .
(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٦/٢٦٨ .
(٣) ينظر : المرجع السابق١٤/٣٦٠ .
(٤) ينظر : الموضع السابق .
(٥) ينظر : جامع البيان٢٦/٧٦ ، ونظم الدرر١٨/٢٩٧بتصرف .
(٦) ينظر : نظم الدرر١٨/٢٩٥بتصرف .
(٧) ينظر : البحر المحيط٨/٩٢ .
(٨) نظم الدرر ٢٠/٤٨٦ .

وتقديره : فمن أسلم فأولئك تحروا رشدًا ، فكان لهم ذلك إلى الجنة سببًا ، وأما القاسطون فلم يتحروا ، فكانوا لجهنم حطبًا .

وسرّه "أنهم في مقام الترهيب ، فذكروا ما يحذر ، وطووا ما يجب العلم به ؛ لأن الله تعالى لا يضيع لأحد أجرًا ، بل لا يقتصر على ما يقابل الحسنة في العرف ، بل لا بد أن يزيد عليها تسعة أضعافها وعنده المزيد"(١) .

فالصورة التركيبية للحذف أسهمت في بيان حال الجن بأن منهم المسلمين المخلصين في صفة الإسلام ، والكافرين الجائرين عن المنهج الأقوم (٢) ، ويتضح حسن المعنى بعد مراعاة النظر في السياق العام بما يُقرره من إثبات شرف النبي محمد ﷺ بإرساله إلى الإنس والجن عامة(٣) ، والخاص بما فيه من الإخبار بحقيقة وقوع البعث للجزاء على الأعمال (٤) . فالقيمة فالقيمة الحقيقية لأصل المراد -إثبات تحقق البعث- متحققة في الركنين المذكورين ، الأول : بيان حال الفريق المخلص في العمل لأجل الفوز بالإسلام ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدٗا﴾ ، والثاني : بيان جزاء القاسطين منهم ﴿فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴾ ، فهذان الركنان أسهما في ترسيخ مبدأ تحقق الثواب والعقاب لمن آمن بمحمد ﷺ من الجن والأنس(٥) ، فالقول بالاحتباك حقق جملة جملة من لطائف المعاني تدعو في المقام الأول إلى معالجة النفوس بالترغيب والترهيب ؛ ليزدادوا من اليقين و الهداية فيدل ظاهر إسلامهم على باطنه دلالة بينة (٦) ، فإن من أسلم وخضع لله بالطاعة هم من تعمدوا وترجَّوا رشدًا في دينهم ، ومن كفر وخلد في جهنم هم من قعدوا عن طلب النجاة لأنفسهم (٧) ، ما أن في إعلام البشر بما هو غيب عنهم نعمة

---

(١) الموضع السابق .

(٢) ينظر : المرجع السابق٢٠/٤٨٤وما بعدها .

(٣) ينظر : المرجع السابق٢٠/٤٦٠بتصرف .

(٤) ينظر : المرجع السابق٢٠/٤٨٤بتصرف .

(٥) ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾(الأحقاف:٢٩-٣٢،ك).

(٦) ينظر : نظم الدرر٢٠/٤٥٤ وما بعدها بتصرف .

(٧) ينظر : جامع البيان٢٩/١١٣ .

جليلة يدفع إلى الترقي في نور العلم ، وتمنع من المكوث في الظلام ، فبالعلم يدرك المرء دلائل الحق فيسعى في دخول الإسلام [(١)] "فإن الاهتداء إلى الإسلام معناه الدقة في طلب الرشد وتحري الصواب واختياره عن معرفة وقصد بعد تبين ووضوح"[(٢)] .

*

– القول بشبه الاحتباك :

في قول الحق ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ[(٣)] وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴾(الحج:١٨،م) . شبه احتباك ، ففي "إثبات السجود في الأول دليل على انتفائه في الثاني ، وذكر العذاب في الثاني دليل على حذف الثواب في الأول"[(٤)]. وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (حق له الثواب) ؛ لدلالة ذكر﴿حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ ﴾ في الطرف الثاني ، وحُذِفَ من الطرف الثاني (لم يسجد) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَسْجُدُ﴾في الطرف الأول . وتقديره : ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس فحق له الثواب ، وكثير منهم حق عليه العذاب لكونه لم يسجد .

وسرُّه أنه ذكر الأظهر الأدل على تمام قدرته ونفاذ أمره وهو تحقق السجود له بما يعم العاقل وغيره ؛ لانتفاء جواز اتخاذهم آلهة تعبد، فعلم "أن الكل مع الإرادة منقادون أتم الانقياد تحت طوع المشيئة ، وأنه جعل الأمر والنهي للمكلفين سببًا لإسعاد السعيد ، وإشقاء الشقي"[(٥)] .

.

فصورة الحذف أسهمت في إيضاح حال الخلق في الانقياد لأمر الله ترغيبًا للمكلفين في السجود الذي هو أتم دلائل التوحيد ، وترهيبًا من العذاب لمن أبى ، فالقيمة الحقيقية لأصل

---

(١) ينظر : البحر المحيط٨/٣٤٤ بتصرف .

(٢) في ظلال القرآن ٦/٣٧٣٣ .

(٣) ينظر: الدر المصون٨/ ٢٤٥وما بعدها .

(٤) نظم الدرر ١٣/٢٧ .

(٥) المرجع السابق ١٣/٢٧ .

المراد –وهو : الانقياد التام لله ﷻ بالسجود ترغيبًا وترهيبًا– متمثلة في المعاني الجوهرية المتضمنة إيمان من اتبع أمر الله في الخضوع والتسليم ، وكفر من جحد أمره في الإباء والخروج عن الدين . فتحقق بالحذف أن السجود والانقياد طاعة لله بها يتحقق حسن الثواب ، والإباء معصية بها يتحقق قبح العقاب[1] . فمن خلال تبصر دلالة السياق العام من حيثُ تحقق لزوم الحث على التقوى الموجبة ثواب الله [2] ، والخاص من حيثُ تحقق دلائل العظمة والسلطان[3] انكشف أن القول بالحذف حقق للنظم جملة من المعاني الساعية إلى إعلام البشر عامة –خصوصًا أهل الكفر– بسجود الأجرام العلوية والذوات السفلية التي عبدوها من دون الله لله سجود انقياد لأمره ؛ نعمة عظيمة بها يدركون عظمة الله الموجبة توحيده فيسارعون في السجود لله تسليمًا له[4] .

*

وفي موضع آخر يقول الحق ﷻ : ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾(الشورى:٢٦،ك) ، ففيه شبه احتباك "ذكر الاستجابة أولًا دليلًا على ضدها ثانيًا ، والعذاب ثانيًا دليلًا على ضده أولًا "[5] . فالمحذوف من الطرف الأول (النعيم المقيم) ؛ لدلالة ذكر ﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا يجيب) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَيَسْتَجِيبُ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيثيبهم النعيم المقيم ويزيدهم من فضله ، والكافرون لهم عذاب شديد ولا يجيب دعاءهم . وسرّه : "أنه ذكر الحامل على الطاعة والصادّ عن المعصية" [6] .

فالنمط التركيبي لصورة الحذف أسهم في إبراز حال المؤمنين في استجابتهم للحق ترغيبًا ،

---

(١) ينظر : جامع البيان١٧/١٣٠ .

(٢) ينظر : نظم الدرر١٣/١ .

(٣) «ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع لله ساجدًا حين يغيب ، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له ، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه . وأما الجبال والشجر فسجودهما بفَيء ظلالهما عن اليمين والشمائل » . جامع البيان١٧/١٣٠ .

(٤) ينظر : نظم الدرر١٣/٢٦بتصرف .

(٥) المرجع السابق ١٧/٣٠٧ .

(٦) الموضع السابق .

وجزاء الكفرين في إعداد العذاب لهم ترهيبًا . فالقول بالحذف يتحقق إذا حُمِل المعنى على أن المراد : يستجيبونَ بالطاعة ، أي : يستجيبون لله فيطيعونه [(١)] . ويتضح حسن المراد بعد النظر في السياق العام الدال على الحث على الاجتماع على دين الحق [(٢)] ، والخاص بما فيه من الإخبار عن كرم الله للمؤمنين في زيادة الإيمان وحسن الاستجابة ترغيبًا ، والترهيب من الاستمرار على الكفر [(٣)] . فأصل المراد متحقق بالمعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ، الأول : في ذكر استجابة المؤمنين لربهم في أمره ونهيه ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ، والثاني : في ذكر جزاء الكافرين على كفرهم بالله [(٤)] ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ، فهما ركنان كفيلان بإيضاح المراد على أكمل وجه ؛ لذا تحقق بهما عِظم الطاعة المتمثلة في حسن الاستجابة ، وشدة العذاب الناتج عن الإعراض والخوض في الكفر [(٥)] . فالقول بالحذف أظهر المقابل لما هو مذكور في أصل النظم ؛ لتتحقق به جملة من المعاني الإحسانية الساعية في المقام الأول إلى ترسيخ معنى التوبة الجليل ؛ لتُقبلَ النفوس عليها إقبال منعقد على العزم على عدم العود [(٦)] فيخلص بقلبه ويطيع ببدنه [(٧)] ، ففي الإقبال زيادة تشريف وكرامة لأهل الإيمان ، وفي الإعراض زيادة تهديد ونكاية لأهل الكفر «تحذيرًا من الدوام على الكفر بعد فتح باب التوبة لهم»[(٨)] ، وللحذف أثر فاعل في إبراز وجه المقابلة بين النعيم والعذاب تحفيزًا تحفيزًا في الرجوع إلى الإيمان فـــ "العاصي يكون أبدا منكسرَ القلب ، فإذا عَلِمَ أن اللَّهَ يَقْبَلُ الطاعة من المطيعين يتمنى أَنْ ليت له طاعةً مُيَسَّرَةً ليقبلَها ، فيقول الحقُّ : عبدي ، إنْ لم تَكُنْ لك طاعةٌ تصلح للقبول فَلكَ توبةٌ إنْ أتيْتَ بها تصلح لقبولها"[(٩)] .

*

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير٢٥/٩١ .

(٢) ينظر : نظم الدرر١٧/٢٣٠ .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٧/٣٠٦وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : جامع البيان٢٥/٢٩ .

(٥) ينظر : تفسير الكبير٢٧/١٤٥بتصرف .

(٦) ينظر : نظم الدرر١٧/٣٠٧ بتصرف .

(٧) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٦/٢٦ .

(٨) التحرير والتنوير ٢٥/٩١ .

(٩) لطائف الإشارات ٥/٣٥٣ .

وفي قول الحق ﷻ : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ (الحديد: ١٩،م) ، شبه احتباك "ذكر الصديقية وما معها أولًا دليلًا على أضدادها ثانيًا ، والجحيم ثانيًا دليلًا على النعيم أولًا "[١] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (أصحاب النعيم) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أولئك هم الكاذبون الذين لا تقبل شهادتهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم ، وأولئك أصحاب النعيم المقيم ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ، وأولئك هم الكاذبون الذين لا تقبل شهادتهم عند ربهم ، لهم عقابهم وعليهم ضلالهم .

وسرُّه : "أن الأول أعظم في الكرامة ، والثاني أعظم في الإهانة "[٢] . فصورة الحذف أسهمت في إبراز حال أهل الإيمان ترغيبًا في الحرص على التوحيد ، وإيضاح عذاب أهل الكفر ترهيبًا من الخوض في الشرك ، ويظهر حسن المعنى بعد النظر في السياق العام بما فيه من إثبات الرسالة لتحقق البعث [٣] ، والخاص بما فيه من "ذكر حال الفريقين الأشقياء والسعداء" [٤] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في المعاني الجوهرية المتضمنة بيان أن الذين أقرّوا بوحدانية الله ، فصدقوا الرسل وآمنوا بما جاءوهم به أولئك هم الصدّيقون والشهداء ، والذين كفروا بالله وكذّبوا بأدلته ، أولئك أصحاب الجحيم [٥] ، وفي القول بالحذف أسرار من أجلِّها : الدعوة إلى تصديق الأنبياء في جميع ما أخبروا به[٦] ، وغرس قيم قيم الصدق في النفوس البشرية لتخلد إلى الإخلاص في العبادة والترقي إلى أعلى منازل

---

(١) نظم الدرر ٢٨٦/١٩ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٩/٢٥٠ .

(٤) المرجع السابق ٢٨٦/١٩ .

(٥) ينظر : جامع البيان٢٣٠/٢٧وما بعدها .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٢٥٣/١٧بتصرف ، وتفسير البيضاوي٣٠١/٥ .

الفضل "فالمؤمنون بمنزلة الصديقين والشهداء لهم أجرهم في الجنة ونورهم في القيامة " [١] .
كما تحقق للمؤمنين شرف النعيم ؛ لما هم عليه من الإيمان ، وشرف الكرامة فـــ ﴿هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ﴾ ، وللكافرين شدة الجحيم ؛ لما هم عليه من التكذيب ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ فلا أجر لهم ولا نور [٢] ، وبهذا يرتقي المرء في فعل الطاعات التي تقربه من ربه ؛ ليأنس بحلاوة النعيم .

*

(١) لطائف الإشارات ١٠٨/٦ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٧/٢٥٤ .

المبحث الثالث : التحذير من اتباع الشيطان ترهيبًا من خطر الاتباع.

– القول بالاحتباك:

من أبرز الآيات القرآنية التي تضمنت شدة التحذير من اتباع الشيطان قول تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (الأعراف : ٢٧،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ احتباك ، فــ"ذكر الفتنة أولًا دليلًا على حذفها ثانيًا ، والإخراج ثانيًا دليلًا على حذف **ضده أو نظيره**[١] أولًا" [٢] .

وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الدخول في النار) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الفتنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لا يفتننكم الشيطان فيدخلكم النار كما فتن وأخرج أبويكم من الجنة . وقيل تقديره : "**لا تتبعوه** فيفتنكم كما فتن أبويكم **فاتبعاه**" [٣] .

وفيه نظر ؛ لأنَّ الطرف الأول محذوف (لا تتبعوا) ومقابله في الطرف الثاني محذوف – أيضًا– (فاتبعاه) ، والتقدير الأول أولى لطبيعة الاحتباك . وسرّه : أنه ذكر أبشع وأعظم ما يكون من الشيطان تحذيرًا من خطر الاتباع له .

فالصورة التركيبة لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز دلالة النهي في خطاب الشرع بغية تأكيد النهي عن اتباع الشيطان وخطر الافتتان به [٤] ؛ لتؤكد في النفوس عِظَم ضلالته ، وهذا المعنى يزاد دقة بعد مراعاة النظر في السياق العام المتضمن تحقق الدعوة إلى إنذار المعرضين عن الدين ، فالقول بالحذف شكّل أثرًا قويًا ؛ لإبعاد الإنسان نفسه من خطر الشيطان ؛ حتى لا يتعرض للوقوع في الفتن المضلة الموجبة شدة العذاب ، فإن في اتباع

---

(١) الأنسب القول بحذف نظيره ، لأن في القول بحذف ضده تكرارًا للمعنى لا فائدة منه ، فإن معنى قوله تعالى : ﴿أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ ، أي : تسبب في دخولهم النار ومنعهم من دخول الجنة . ينظر : نظم الدرر٧/٣٨١ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) تفسير ابن عرفة ، لوحه(٤٧١) مخطوط .

(٤) ينظر : تفسير البيضاوي٣/١٥ .

الشيطان معصية لله توجب الإشراك[1] ، ولعل من أبرز لطائف القول به : إعلام البشر شدة كيد الشيطان ؛ ليترفعوا عن الإصغاء إليه والطواعية لأمره ؛ لما له من المكايد الخفية والأسباب الدقيقة[2] ، فإعلامهم ذلك توجيه كريم ، به يعلم الناجي إنما نجا بمحض التوفيق ومجرد اللطف ، فليقبل على الله بالشكر ، متبرئًا من الحول والقوة[3] ، فنتج من خلال صورة الحذف إبراز الجوانب السلبية المترتبة على اتباع الشيطان ؛ لفرط عداوته لبني الإنسان ، فالعلاقات الرابطة بين المعاني تكشف عن ذلك ؛ لكونها أبرزت في السياق شدة التحذير من الركون إليه : ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ ، والتذكير بأعظم أسباب العذاب المترتبة على الخروج من الجنة والدخول في النار ، فبالحذف تحقق للنظم مزيد من الدقة والإيجاز ؛ لما حوى عليه من تلاحم المعاني في دلالاتها .

*

وفي موضع آخر أبرز الاحتباك حسن اتباع دعوى الرسل ترغيبًا ، وقبح الإعراض وإتباع هوى الشيطان ترهيبًا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (إبراهيم: ٢٢،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ احتباك "ذكر (وعد الحق) أولًا دليلًا على حذف ضده ثانيًا ، و(أخلفتكم) ثانيًا دليلًا على حذف (صدقكم)أولًا" [4] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (صدقكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وعد الباطل) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وقال الشيطان لما قُضي الأمر : إن الله وعدكم وعد الحق ، فصدقكم فيه ووُفي لكم ، ووعدتكم وعد الباطل ، فأخلفتكم .

---

(١) ينظر : جامع البيان١٥٢/٨وما بعدها بتصرف .

(٢) ينظر : البحر المحيط٢٨٤/٤بتصرف .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٣٨٠/٧ .

(٤) المرجع السابق ٤٠٧/١٠وما بعدها .

وسرّه أنّه ذكر وعد الحق أولًا ثم أضمر ضده ؛ لكونه متحقق الوقوع لا محالة ، وفي هذا ما يدعو إلى الترغيب في الرجوع إلى لحق ، حيثُ ثبت بالبرهان والدليل القاطع القدرة الإلهية على الإعادة بعد الموت ، ثم ذَكَرَ الإخلاف ثانيًا وأضمر ضده ؛ تصويرًا لبشاعة الجرم الذي اقترفوه ، وهو اتباع طريق الضلال ؛ إعلامًا بأن ضلالهم عائد عليهم .

فالنمط التركيبي لطبيعة الاحتباك أسهم في ترسيخ مبدأ جليل تضمن إبراز الدعوة إلى اتباع الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ؛ لصحة دعواهم ، وصدق ما وعدوا به عن ربهم ، والتحذير من دعوى الباطل واتباع الشيطان ؛ لبطلان ما يدعو إليه وكذب ما وعد به؛ تسجيلًا على أهل الضلالة ، وقمعًا لسقوطهم في مراتع الكفر [1] ، فتحقق بالاحتباك التبشير لمن أجاب دعوى الحق في الوفاء بصدق ما وعِدوا به ، والتحذير لمن أبى واتبع الباطل ، فما منى به الشيطان إلا زيغ .

فالأنفع للسياق والأولى لما يقتضيه المقام القول بالحذف على نسق الاحتباك ؛ لما فيه من تحقق الدعوة إلى امتثال دعوى الرسل بالاتباع لهم ، واجتناب دعوى الباطل بالمخالفة والإعراض عنهم ، وهذا ما يعضده السياق العام للسورة ؛ إذ إن مقصدها الأعظم "التوحيد ، وبيان أن هذا الكتاب غاية البلاغ إلى الله "[2] ، فلا مخرج من الظلمات والضلالات إلا بحسن الاتباع وتمام الانقياد . أمّا السياق الخاص فتحقق فيه إخبار المضلين بكيد الشيطان ومكره ، ولما كان الشيطان أعظم المستكبرين ، وأول المتبوعين في الضلال ، ورأس المضلين المستكبرين ؛ حذّر منه ؛ لأنه يعد أولياءه ويمنيهم بأنهم الفائزون في الدنيا والآخرة[3] ، فيوقعهم في الضلال من أجل الإقبال والاستمرار على طاعته في الدنيا ، فيتحقق لهم العذاب من الله ؛ لتلبسهم بالضلال والإضلال[4] ، فأصل النظم يكشف عن عِظم الرب في تحقق وعده يوم القيامة ؛ لإثبات أنه وعد صدق لا نقص فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ فوفى لكم بوعده [5] ، وخبث الشيطان في سَوْق الإنسان إلى ما يهلكه ويخزيه يوم

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير١٣/٢١٩ .

(٢) نظم الدرر ١٠/٣٦٩ .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٠/٤٠٦ .

(٤) ينظر : البحر المحيط٥/٤٠٨ .

(٥) ينظر : جامع البيان١٣/٢٠٠ ، والتحرير والتنوير١٣/٢١٩ .

القيامة ، إذ لا نفع لإيمان فات زمن الإقبال عليه ، ففي تبصر دلالة الحذف تشويق للنفوس المؤمنة العاملة بحسن الاتباع والانقياد يريح فيها حب لزوم العمل بما تقتضيه الدعوة السماوية ، وإرعاب يزلزل النفوس الطاغية بغية إرشادها إلى طريق الرشد والصواب ؛ كي لا تتعرض لشدة عذاب اتباع الشيطان . فمن أبرز المعاني التي يحققها الحذف الإرشاد إلى التحصن المنيع من الوقوع في مكر الشيطان ؛ لشدة عداوته لبني الإنسان : ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾(النساء:١٢٠،م) ، فمحاولة نزع الإنسان نفسه من دوام الغفلة هو الأهم في بعث اليقظة الإيمانية الموصلة إلى الصعود في سلم الإيمان ؛ ليعلم المرء أن تحقق صدق الوعد من الله ﷻ وعد حق وخبر صدق لا ريب فيه ، وبطلان صحة ما يدعو إليه الشيطان بما يؤكد حقيقة كذبه وعجزه عن حفظ نفسه [١] ، نعمة عليّة توجب العلم بصدق الله في تحقق وعده بالبعث ، والجنة ، والنار ، وثواب المطيع ، وعقاب العاصي ، فَتُرغِّبُ في الإيمان به ، وكذب الشيطان في وعده أن لا بعث ، ولا جنة ، ولا نار ، ولا ثواب ، ولا عقاب ، فتحذر منه[٢] ، فـ"المقصود من وصف هذا الموقف : إثارة بغض الشيطان في نفوس أهل الكفر ؛ ليأخذوا حذرهم بدفاع وسواسه ؛ لأن هذا الخطاب الذي يخاطبهم به الشيطان مليء بإضماره الشر لهم فيما وعدهم في الدنيا مما شأنه أن يستفز غضبهم من كيده لهم وسخريته بهم ، فيورثهم ذلك كراهية له " [٣] ، فالعلم يجلب الخشية التي هي من أهم مبادئ رسوخ الإيمان ، ويبعد الغفلة عن الإيمان بتحقق الموت والدار الآخرة . وللاحتباك أثر عليّ في استنباط معانٍ ذات دلالات جمّة ، من أجلّها : إعلام المرء أنه لا ينفعه الاعتراف بالحق في دركات النار يوم القيامة ؛ لأنه ليس بنافع ، وفي إعلامه ذلك نعمة جليلة يحسن العمل بها ؛ لينجو من عذاب يوم القيامة [٤] ، فتحقق أن التصديق بوعد الله في الدنيا نافع في الآخرة لمن عمل به ، وصدق الكفار به في القيامة غير نافع لهم[٥] ، وثمة لطيفة أخرى تدل على «أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة

---

(١) ينظر : جامع البيان١٣/٢٠٢ ، والجامع لأحكام القرآن الكريم٩/٣٥٦بتصرف .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٩/٣٥٦ .

(٣) التحرير والتنوير ١٣/٢١٨ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٩/٣٥٨ .

(٥) ينظر : المرجع السابق٩/٣٥٦ .

ويحصلهما لنفسه ، وليس من الله إلا التمكين ، ولا من الشيطان إلا التزيين »[1] ؛ لذا جاء النظم على نحو : ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ .

*

وفي موضع آخر يبرز الاحتباك قبح تمكن الكفر والاستكبار ؛ ترهيبًا من الوقوع في زمرة أتباع الشيطان ، وذلك في قوله تعالى : ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (ص: ٧٤ ،ك) ، ففيه احتباك "ذكر فعل الاستكبار أولًا دليلًا على فعل الكفر ثانيًا ، ووصف الكفر ثانيًا دليلًا على وصف الاستكبار أولًا "[٢]. وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (وكان من المستكبرين) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (كفر) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱسۡتَكۡبَرَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إلا إبليس استكبر وكان من المستكبرين ، وكفر وكان من الكافرين .

وسرّه : "أن ما ذكره أقعد في التحذير بأن من وقع منه كِبر جرّه إلى الكفر "[٣] . ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيثُ الناتج الدلالي صورة أخرى من صور الحذف[٤] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز شدة تمكن الكفر والضلال في نفوس المتعالين عن الاستجابة لأمر الانقياد بالسجود ؛ إذ أظهر الحذف في المقام الأول ما عليه إبليس من شدة تعاليه واستكباره على الحق ؛ لامتناعه عن الطاعة لأمر الله امتناع طعن في حكمة الله وعلمه[٥] ، ففي تبصر دلالة الاحتباك في السياق القرآني إشارات عليّة تُوجب

---

(١) الكشاف ٣/٣٧٤ .

(٢) نظم الدرر ١٦/٤٢١ .

(٣) الموضع السابق .

(٤) ومثله في قول الحق ﷻ : ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ (ص:٧٥،ك) ، شبه احتباك «دلّ فعل الاستكبار أولًا على فعل العلو ثانيًا ، ووصف العلو ثانيًا على وصف الاستكبار أولًا» . وتقديره : استكبرت فكنت من المستكبرين ، أم كنت من العالين ، فلذلك علوت بنفسك و لم تسجد . وسرّه «أن إنكار الفعل المطلق مستلزم لإنكار المقيد؛ لأنه المطلق بزيادة ، وإنكار الوصف مستلزم لإنكار الفعل ؛ لأنه جزؤه ، مع أن إنكار الفعل من هذا مستلزم لإنكار الفعل من ذاك ، فيكون كل من الفعلين مدلولًا على إنكاره مرتين : تارة بإنكار فعل عديله ، وأخرى بإنكار وصفه نفسه ، والوصفان كذلك ، وفعل الكبر أجدر بالإنكار من فعل العلو» . الموضع السابق .

(٥) ينظر : جامع البيان٢٣/١٨٥ ، والتحرير والتنوير٢٣/٣٠٢ .

في النفوس الضالة حسن الرجوع إلى التوحيد قولًا وعملًا واعتقادًا ، فالذي يهدي إليه السياق العام يُعضد القول بالاحتباك ؛ إذ تحقق فيه الإشارة إلى نصر جند الله ؛ لأنهم هم الغالبون وإن تأخر نصرهم [١] ، ففي هذا إعلام لأهل الكفر بالقدرة الإلهية العظمى المتمثلة في نصر أهل الدين ، فكما رفع الله آدم عليه السلام على من استكبر عن السجود له ، وجعله خليفة في الوجود سينصر محمدًا ﷺ على من استكبر من الكفرة عن الاستجابة لأمر التوحيد ؛ لذا فالقول بالاحتباك أشد اعتلاقًا بما يحتويه السياق العام . أمّا الخاص فتحقق فيه تأكيد استكبار إبليس وتكبره على الانقياد لحكم الله [٢] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد ترشد الخلائق إلى ما عليه إبليس من الكفر والعصيان ؛ تحذيرًا لهم وتنفيرًا منه ؛ لأن في شناعة صنيعه جحدًا لربوبية الله ، فكان من الكافرين في علم الله السابق [٣] ، وهذا ما كشفته المعاني الجوهرية المتمثلة في تأكيد فعل الاستكبار وإثبات وصفه بالكفر ، فالركن الأول : ﴿ٱسۡتَكۡبَرَ﴾ ، والثاني : ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ، فَأنفَ إبليس من السجود لآدم جهلًا بأن السجود له طاعة لله ، والأنفة من طاعة الله استكبارًا كُفْرٌ لا محالة ، ولذلك كان من الكافرين باستكباره عن أمر الله . فتحقق تمكن الكفر والاستكبار في أهل الضلال ؛ لشدة خروجهم عن امتثال أوامر الله وتمكنهم في الكفر [٤] ، وللاحتباك أثر فاعل في إحداث علائق ربط بين المعاني ترشد البشر وتعلمهم أن الاستكبار والعصيان والأنفة من اتباع أوامر الشرع يُعدّ إنكارًا لله وكفرًا به [٥] ، وبهذا ينزع المرء نفسه من الكبر والتمرد على أوامر الشرع ، فيعمل بها خضوعًا وتعظيمًا ، كما أن في إعلامهم بعداوة إبليس لهم ولأبيهم آدم عليه السلام كي يحذروا كيده بعدم الاستجابة والاتباع له ؛ نعمةً عليّة تقوّي في القلب حقارته ، وتنفر منه .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾ (القصص:٦٣،ك) ، شبه احتباك "حذف أولًا (فغووا) ؛ لدلالة

---

(١) ينظر : نظم الدرر١٦/٣٢١ .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٦/٤٢٠ وما بعدها بتصرف يسير .

(٣) ينظر : جامع البيان٢٣/١٨٥ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٥/٢٢٧ .

(٥) ينظر : الموضع السابق .

﴿غَوَيۡنَا﴾ عليه ، وثانيًا (لما أغوانا من قبلنا) ؛ لدلالة ﴿أَغۡوَيۡنَـٰهُمۡ﴾"[1] . وعلى هذا فالتقدير : ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم فغووا كما غوينا لما أغوانا .

وفي هذا تكلف ؛ لأن المعنى ليس بحاجة لمثل هذا التقدير[2] .

*

(١) نظم الدرر ١٤/٣٣٤ .

(٢) ينظر : البحر المحيط٧/١٢٨ ، والدر المصون٨/٦٨٨وما بعدها .

المبحث الرابع: الترغيب في الحياة الآخرة والترهيب من الحياة الدنيا .

–القول بالاحتباك:

أسهم حذف التقابل في إبراز علو الآخرة مقابل دنو الدنيا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة :٨٦ ،م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ احتباك "ذكر الدنيا أولًا دالٌ على حذف العليا ثانيًا ، وذكر الآخرة ثانيًا دالٌ على حذف العاجلة أولًا " [(١)] . وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (العاجلة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (العليا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ ٱلدُّنۡيَا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا العاجلة بالعليا الآخرة .

وسرّه أنه ذكر المحبوب عندهم (الدنيا) لعظمتها في أنفسهم تحذيرًا من الانغماس في شهواتها ، وذكر (الآخرة) لأنها الثمرة الباقية عالية القدر ؛ ترغيبًا لأهل الإيمان في العمل بها ، في مقابل طي (العاجلة) ؛ لسرعة زوالها ، فإن"الدنيا فُعلى من الدنو ، وهو الإنزال رتبة ، في مقابلة عليا ؛ ولأنه لزمتها العاجلة صارت في مقابلة الأخرى اللازمة للعلو ، ففي الدنيا نزول قدر وتعجل ، وفي الأخرى علو قدر وتأخر "[(٢)] . ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيثُ الناتج الدلالي صور أخرى[(٣)] أسهمت في إبراز علو الحياة الآخرة ودناءة الحياة الدنيا .

---

(١) نظم الدرر ١٤/٢ .

(٢) تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص٢٣٧ ، ونظم الدرر١٤/٢ .

(٣) وفي مواضع أخرى ظهرت صورة التقابل لإبراز جانب الترغيب ، حيثُ قال تعالى في سياق الحث على القتال : ﴿ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ (النساء:٧٤،م) ، أي : باعوا حياتهم وبذلوها في إعلاء كلمة الحق جهادًا في سبيله ، وثمنها الجنة ، وهذا معنى ذو شجون تضمن الإشارة إلى شرف الحياة الآخرة ورفعتها عند من أحسن العمل لها . ينظر : لسان العرب ، مادة : «ش،ر،ي»٤٢٧/١٤ بتصرف يسير .

ويقول محذرًا من الركون إلى الحياة الدنيا وترك الجهاد في سبيله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترهيب من الركون إلى الحياة الدنيا في سياق التحذير من سوء أعمال اليهود الذين رضوا رياسة الحياة الدنيا وخستها بالإيمان الذي يكون لهم به في الآخرة الخلود في النعيم [(١)] . فأصل المعنى تحقق في المعاني الجوهرية : ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ؛ لإثبات جرمهم الذي أخرجهم من الإيمان ، وهو : وصف الله لهم بأنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ؛ فلا حظ لهم من خصائص الآخرة ؛ لأنهم باعوها وأخذوا بالدنيا [(٢)] . وهذا متحقق في أصل النظم ، ولكنّ في الحذف أسرارًا ، منها : التحذير من العمل لأجل الحياة الدنيا وترك الآخرة ، فمن أقدم على فعل ذلك فهو فاسد العقل ، وفي إعلام البشر أن الدنيا ما دنا من شهوات القلب ، والآخرة ما اتصلت برضا الرب ، نعمة عليّة ترشد البشر إلى التمسك والعمل من أجل إيثار الآجل الباقي على العاجل الفاني .

*

ويأتي التقابل في قوله تعالى : ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ (الأنعام:٣٢،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ احتباك "ذكر حال الدنيا وحذف نتيجتها لأهلها لدلالة ثمرة الآخرة عليها ، وحذف ذكر حال الآخرة ؛ لدلالة ذكر حال الدنيا عليه " [(٣)] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (شر للذين يلعبون) ؛ لدلالة ذكر ﴿خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وما الحياة الآخرة إلا جد وحضور) ؛ لدلالة

ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة:٣٨، م) ، أفادت مطلق الرضاء ، فالباء في (بالحياة) للإلصاق ، وتفيد تعليق الرضاء وإلصاقه بالحياة الدنيا ، و(من) في : (من الآخرة) للبدلية ، وتفيد سوء اختيارهم ، حيثُ اختاروا الدنيا بخستها بدلًا من الآخرة برفعتها . وتركيب الفعل مع (الباء) أفاد تخصيص الرضاء وتعليقه –أو إلصاقه– بالحياة الدنيا ، وتركيبه مع (من) أفاد البدلية ، أي : بدلًا من الآخرة . ينظر : القرآن الكريم وتفاعل المعاني –دراسة دلالية لتعلق حرف الجر بالفعل وأثره في المعنى في القرآن الكريم– ، محمد محمد داود ، (القاهرة ، دار غريب ، الطبعة : بدون ، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م)٦١/٢ .

(١) ينظر : جامع البيان٣١٧/٢ .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) نظم الدرر ٩٣/٧ .

ذكر ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو ، ولَلْحياة الدنيا شر للذين يلعبون ، وما الدار الآخرة إلا جدّ وحضور ، وللدار الآخرة خير للذين يتقون[1] .

وسرّه أنه ذكر حال الدنيا وطوى نتيجتها لأهلها ؛ تنبيهًا إلى خستها ؛ لشدة رغبتهم في إيثار لذاهّا ، وحذف حال الآخرة وذكر نتيجتها ؛ تنبيهًا إلى أن من شأن العقلاء الإقبال على الخير[2] .

فالصورة التركيبية للاحتباك –متفقة مع سابقتها في الناتج الدلالي من الحذف [3]– أسهمت في إبراز خاصية الترهيب من الدنيا والحط من شأها ، وحصر متاعها في اللهو واللعب ؛ تنفيرًا من الركون إليها ، والترغيب في الآخرة ؛ تعظيمًا لشأها ، ورفعة لمقامها ، فتحقق من خلال أوجه التقابل جملة من لطائف المعاني ، من أبرزها : إعلام البشر بحقيقة الحياة الدنيا بما يدفعهم إلى التنفير منها ؛ ليرسخ في الأذهان حقارها ، وحقيقة الحياة الآخرة ؛ ليقوى الإيمان بها والعمل من أجلها ، فإن العلم حياة للقلوب ، والجهل موت للضمير .

*

ساق القرآن الكريم شواهد عدة أبرز التقابل فيها خاصية الترغيب في لزوم العمل لأجل الآخرة ، والترهيب من العمل لأجل الدنيا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾(محمد:٣٦،م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ احتباك "ذكر الحياة الدنيا واللهو واللعب أولًا دال على **ذكر** الآخرة والجد ثانيًا[4] ، وذكر الإيمان والتقوى ثانيًا دالٌّ

---

(١) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص١٠٤بتصرف .

(٢) ينظر : نظم الدرر٩٣/٧ بتصرف .

(٣) وجه الاحتباك في هذا الموضع متفق فيه مع : ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾(محمد:٣٦،م) ، فتحقق أن الآخرة جِدّ وحضور . ينظر : (٦٠٠) من البحث . ومن جانب آخر مع : ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾(الأعلى:١٧-١٨ك) ، فتحقق كون الدنيا شرًا للذين يعملون بها . ينظر : (٦٠٣) من البحث .

(٤) فيه نظر : والصواب : دال على حذف الآخرة والجد ثانيًا .

على حذف ضدهما -الكفران والجرأة- أولًا " [1] .

لو قيل : احتباك في احتباك لكان أكثر دقة وأتم بيانًا ؛ لتحقق وجهين من وجوه الاحتباك في النظم . **فالوجه الأول** : (ذكر الحياة الدنيا دال على حذف الحياة الآخرة ، وذكر الإيمان دال على حذف الكفر) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (تكفروا) ؛ لدلالة ذكر ﴿تُؤۡمِنُواْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الآخرة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ، فإن تكفروا وتجترِئُوا يبطل أجوركم ، والآخرة جد وعمل وحضور ، وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم .

والوجه الثاني : (ذكر اللعب واللهو أولًا دليلًا على حذف الجد والحضور ثانيًا ، وذكر التقوى **ثانيًا** دليلًا على الجرأة أولًا) فالمحذوف من الطرف الأول (تجترئوا عليه) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (جد وحضور) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : كما سبق في الوجه الأول .

وسرّه "أن تصوير الشيء بحال الصبي والسفيه أشد في الزجر عنه عند ذوي الهمم العالية ، وذكر الأجر المرتب على الخوف الذي هو فعل الحَزَمة أعْوَن على تركه"[2] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصيتين ؛ الأول : الترهيب من الانشغال بالدنيا وترك العمل في سبيل الآخرة ، والثانية : الترغيب في لزوم العمل لأجل الآخرة بالمحافظة على أداء الفرائض واجتناب النواهي [3] ، فتحقق بالحذف جانب علِي تمثل في إرشاد أهل الإيمان إلى ما يحفظ دينهم ويوصلهم إلى رضا ربهم ، فالأمر بحفظ الدين هو المقصد الأعظم من السورة بكليتها [4] ؛ لذا فالقول بالاحتباك ذو اعتلاق بالغ بسياق السورة ؛ لأن حفظ الدين يتمثل في جوانب عدة من أبرزها : العمل والمحافظة عليه ، وهذا الجانب اتضح في السياق الخاص ؛ إذ رغب في الطاعات الموجبة الفوز الدائم ، ورهب من الطاعات القائدة إلى الركون في المعاصي [5] ، فحصل بالحذف أن ما كان من الحياة الدنيا

---

(١) نظم الدرر١٨/٢٦٦ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) ينظر : جامع البيان٢٦/٦٥ .

(٤) ينظر : نظم الدرر١٨/١٩٤ .

(٥) ينظر : المرجع السابق١٨/٢٦٣وما بعدها .

خالصًا لله هو جد وحضور ، وما عدا ذلك لعب ولهو يضمحلّ فيذهب فيزول [(١)] ، ففي العمل بالأولى اجتناء فوائد عظيمة ، من أجلّها –ما أرشد إليه السياق من– جهاد الأعداء ، والنفقة في سبيل الله ، وبذل المهج في قتال أهل الكفر [(٢)] ، وفي الثانية دون اجتناء فائدة ؛ لأن لذة العيش حملتهم على الزهادة في مقابلة العدوّ ، فإن ذلك يغري بهم العدوّ ، فلا يتمكنون من حفظ الدين[(٣)] . وللاحتباك أثر بارز في إحداث علائق ربط أضافت إلى النظم معاني عِظامًا ؛ منها : الحث على تَعلمِ مبدأ الجدة والثبات الموْصلاين إلى الإيمان ، وترك اللعب واللهو الموْصلاين إلى الكفر ، فجعل الدنيا لعبًا ولهوًا دليل سرعة زوالها وانقضائها ، وجعل الآخرة جدًا وحضورًا دليل شرفها وعلو شأنها ، وفي إعلام البشر هذا نعمة عليّة [(٤)] ترشد النفوس إلى البعد عن محل الزوال واللهو ؛ لسرعة زواله واضمحلاله ، والإقبال على محل الثبات والجد ؛ لما فيه من سرور العلو بالإسلام ، فإنه باق على الدوام[(٥)] ، ففي تبصر دلالة الخطاب إشارات عظمى تشير إلى حقارة الدنيا ودناءتها عند أصحاب الهمم العالية ، والعقول الواعية ؛ ليتقرر في النفوس العاقلة الحذر والتنفير منها ؛ لذا أوثر حصرها في اللعب واللهو ، فـــ"شُبهت أحوال الحياة الدنيا باللعب واللهو في عدم ترتب الفائدة عليها ؛ لأنها فانية منقضية ، والآخرة هي دار القرار"[(٦)] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمًا ثَقِيلًا ﴾ (الإنسان : ٢٧، م) احتباك "ذكر الحب والعاجلة أولًا دلالة على ضدهما ثانيًا ، والترك والثقل ثانيًا دلالة على ضدهما أولًا "[(٧)] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (يأخذون منها ويستخفون لما خفت به من الشهوات) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمًا ثَقِيلًا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن

---

(١) ينظر : جامع البيان٢٦/٦٤ .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير٢٦/١٣٣ .

(٤) ينظر : نظم الدرر١٨/٢٦٣ .

(٥) ينظر : المرجع السابق١٨/٢٦٤ وما بعدها .

(٦) التحرير والتنوير٢٦/١٣٣ .

(٧) نظم الدرر ٢١/١٥٨ .

الطرف الثاني حذف (يكرهون الآجلة) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن هؤلاء يحبون العاجلة ، ويأخذون منها ، ويستخفون لما حفت به من الشهوات ، ويكرهون الآخرة الآجلة ، ويذرون وراءهم يومًا ثقيلًا[(١)] .

وسرّه : "أن ما ذكره أدل على سخافة العقل بعدم التأمل للعواقب" [(٢)] . ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيثُ الناتج الدلالي من الحذف صورة أخرى[(٣)] أسهمت في إبراز حقارة حقارة أهل الكفر في شدة حبهم للدنيا وبغضهم للآخرة .

فالقول بالاحتباك أسهم في إبراز حالة الغافلين –عن ذكر الله من الكفرة وغيرهم– في شدة تمسكهم بالحياة الدنيا ؛ ترهيبًا اقتضاه السياق ودعا إليه المقام ، ففي السياق العام تقرر إبراز الترهيب بتعذيب العاصي ، والترغيب بتنعيم المطيع يوم القيامة [(٤)] ، والخاص تحقق فيه إعلام الرسول ﷺ بحقيقة جهل الكفرة الذين أقبلوا على الدنيا وتركوا الآخرة . فأصل المراد – القائم في الترهيب من الركون إلى الدنيا والانشغال بها– متحقق بالمعاني الجوهرية ، الأول : حب الكافرين للبقاء في الدنيا وإعجابهم بزينتها ، والثاني : ترك العمل للآخرة وما لهم من النجاة فيها [(٥)] ، وفي حمل النظم على الحذف مزيد إيضاح لحال الكافرين في قصر نظرهم وجمود عقولهم ؛ لحرصهم على الدنيا ، فإن شدة غفلتهم وتعلقهم بحب زينة الدنيا أبعدتهم عن تذكر الآخرة والعمل لها ، فأصبحت هممهم في تحصيل حطام الدنيا الفاني لا في تحصيل ثواب الآخرة الباقي [(٦)] ، فتحقق أن غلبة محبة الشهوات على القلوب تنسيها النظر في أمر الآخرة والعمل لها ، وفي هذا تثقيف نبيل ، به يدرك المرء زوال الدنيا وفناءها ،

---

(١) ينظر:الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه –أسراره:٢٤٨.بتصرف.

(٢) نظم الدرر ١٥٨/٢١ .

(٣) في –موضع قريب من هذا– يقول الحق ﷻ : ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴾(القيامة:٢٠-٢١، ك) ، ففيه شبه احتباك «ذكر الحب أولًا دليلًا على البغض ثانيًا ، والترك ثانيًا دليلًا على الإقبال والأخذ أولًا » . وتقديره : كلا بل تحبون العاجلة بدليل أنكم تقبلون غاية الإقبال عليها فتأخذونها ، وتذرون الآخرة لأنكم تبغضونها . ينظر : المرجع السابق ١٠٤/٢١ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١٢٠/٢١ .

(٥) ينظر : جامع البيان ٢٢٥/٢٩ .

(٦) ينظر : البحر المحيط ٣٨٠/٨ .

ويرشد إلى ترك طلب الدنيا وأهلها للآخرة[١] . ففي تبصر دلالة الخطاب إشارات عليّة تبرز قبح انشغال أهل الكفر بالدنيا ، ففي إيثار : ﴿يُحِبُّونَ﴾ دلالة على تكرر ذلك منهم ، فهذا دأبهم وديدنهم ، لا يشاركون مع حب العاجلة حب الآخرة ، وكذا : ﴿وَيَذَرُونَ﴾ فهو يقتضي أنهم مستمرون على ذلك ، وأنه متجدد فيهم ومتكرر ، لا يتخلفون عن ذلك الترك ؛ لأنهم لا يؤمنون بحلول يوم القيامة [٢] . ثم إيثار الدنيا بوصف العاجلة في ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ "توطئة للمقصود من الذم ؛ لأن وصف العاجلة يؤذن بأنهم آثروها ؛ لأنها عاجلة . وفي ذلك تعريض بهم ؛ إذ رضُوا بالدون ؛ لأنه عاجل ، وليس ذلك من شيم أهل التبصر" [٣] .

*

ويبرز الاحتباك خاصية الترهيب الشديد من الركون إلى لحياة الدنيا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾(الأعلى:١٧-١٨ك) . ففيه احتباك ، "ذكر الإيثار والدنو أولًا يدل على الترك والعلو ثانيًا ، وذكر الخير والبقاء ثانيًا يدل على ضدهما أولًا"[٤] ، أولًا"[٤] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (شر وفناء) ؛ لدلالة ذكر ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (تتركون العليا) ؛ لدلالة ذكر ﴿تُؤْثِرُونَ ... ٱلدُّنْيَا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : بل تؤثرون الحياة الدنيا مع أنها شر و فناء ، وتتركون الآخرة العليا ؛ لأنها خير وبقاء .

وسرّه : "أنه لا يؤثر الدنيء إلا دنيء ، فذكره أولًا ؛ لأنه أشد في التنفير ، وذكر الخير والبقاء ثانيًا ؛ لأنه أشد في الترغيب"[٥] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترهيب الشديد والترغيب الجميل بما يدفع السعداء إلى العمل من أجل الآخرة ، ويحذر الأشقياء من الانشغال بالدنيا .

---

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم٩/٧٦ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير٢٩/٤٠٧ .

(٣) المرجع السابق ٢٩/٤٠٨ .

(٤) نظم الدرر٢١/٤٠٦ .

(٥) الموضع السابق .

ففي تدبر دلالة الاحتباك أثر فاعل في توجيه البشر إلى السعي لإدراك مراتب الإيمان والترقي فيها ، عن طريق تحقق إيثار الآخرة على زينة الدنيا وزخرفها ، فالذي يهدي إليه السياق الخاص يعمق القول بالاحتباك ؛ إذ تحقق فيه الحث على ترك الدنيا والعمل للآخرة ، فـــ"لو كانت الدنيا من ذهب يفنى ، والآخرة من خزف يبقى ، لكان الواجب أن يؤثر خزفًا يبقى ، على ذهب يفنى ، فكيف والآخرة من ذهب يبقى ، والدنيا من خزف يفنى "[(١)]؟ . فتحقق بالاحتباك إبراز جملة من لطائف المعاني الساعية لإثبات حقيقة أن الدنيا دنيئة فانية ، والآخرة شريفة عالية باقية ، فالتمتع بزينة الدنيا ، ونسائها ، وطعامها ، وشرابها يبعد المرء عن التفكر في جليل الأمور ، ويكسل عن طلب أشرف الأعمال ، وهو ما كان للآخرة[(٢)] ، فثبت امتهان العمل للدنيا ؛ لأنها شر وفناء ، وتعظيم العمل لأجل الآخرة ؛ لأنها خير وأبقى ، وهذا متحقق في الصحف الأولى [(٣)] ، وبه تحصل الكرامة والارتقاء إلى علو سلم الطاعات تقربًا إلى الله ، «فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى ، ويهتم بما يزول ، ويترك الاهتمام بما لا يزول أبدًا؟! ، فـــ"من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومَن أحبّ آخرته أضرّ بدنياه ، فآثروا ما يبقَى على ما يفنى "[(٤)] ، فثبت أن كمال العمل ما يوصل إلى الخير والفلاح ، وإيثار الدنيا معصية لله وإعراض عن العقيدة يدفع إلى الكفر ، فـــ"ما الدنيا في الآخرة إلا كما يضع أحدكم إصبَعه في اليم، فلينظر بم يرجع"[(٥)] .

*

– القول بشبه الاحتباك:

في قول ﷻ : ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم٢٠/٢٤ .

(٢) ينظر : جامع البيان٣٠/١٥٨ .

(٣) ينظر : الموضع السابق .

(٤) أخرجه أحمد بنصه في مسنده ، كتاب : حديث أبي موسى الأشعري ﷺ٤/٤١٢ ، رقم : (١٩٧١٢) ، (١٩٧١٣) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ .قال الألباني : «صحيح لغيره » صحيح الترغيب والترهيب٣/١٤٤ ، كتاب : الترغيب في التوبة والمبادرة بها ، رقم : (٣٢٤٧) .

(٥) أخرجه مسلم بنحوه في صحيحه ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة٤/٢١٩٣ ، رقم : (٢٨٥٨) من حديث المستورد بن شداد ﷺ .

(غافر:٣٩،ك) ، شبه احتباك "ذكر المتاع أولًا دليلًا على حذف التوسع ثانيًا ، والقرار ثانيًا دليلًا على حذف الارتحال أولًا "[١] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الارتحال) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلْقَرَارِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (اتساع) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَتَٰعٌ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إنما الحياة الدنيا متاع ؛ لأنها دار الزوال والارتحال ، وإن الآخرة هي دار القرار ، فهي للتلذذ ، والانتفاع ، والاتساع[٢] .

وسرّه أنه ذكر أقبح ما للحياة الدنيا في كونها متاعًا ؛ لتحقق زوالها لا محالة ، وأفضل ما للحياة الآخرة في كونها محل القرار .

فالآية تشير إلى إثبات حقارة الدنيا ونزاهة الآخرة للترغيب في نعيم الجنان ، والترهيب من عذاب النيران [٣] ، فأصل المراد -القائم في بيان حقيقة كلٍّ من الدنيا والآخرة ترغيبًا وترهيبًا- يتضح بعد مراعاة السياق العام الدال على إثبات صفتي العزة الكاملة ، والعلم الشامل لله ﷻ بتصنيف الناس يوم القيامة صنفين يُوَفِّي كلٌ ما يستحق[٤] ، والخاص بما تحقق فيه من ذم الدنيا ومدح الآخرة [٥] ، فالقيمة الحقيقية تمثلت في الركنين المذكورين ، الأول : تضمن الإشارة إلى زوال الدنيا ، لذا أوثر التعبير عنها بـــ : ﴿مَتَٰعٌ﴾ ، والثاني : تضمن الإشارة إلى بقاء الآخرة واستمرارها ؛ لذا قال مؤكدًا لبقائها : ﴿هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ ، وفي تبصر دلالة الحذف أثر فاعل -في تأكيد حقيقة سرعة انقضاء الدنيا وزوالها ، وبقاء الآخرة وخلودها- يرشد البشر إلى أنهم في الحياة الدنيا يتمتعون قليلًا ، ثم تنقطع و تزول بموتهم لا محالة ، أمّا الآخرة فهي دار القرار ، لا يموتون فيها ، وهي عنهم لا تزول ، وبهذا يعلم المرء حقارة الدنيا ويحذرها ، ونزاهة الآخرة فيطلبها [٦] ، فإن الخلود إلى الدنيا وتجاهل الآخرة أساس تمكن الشر في القلب ، ومنبع انتشار الفتن التي تذهب الإيمان من النفس وتُخْلد فيها

---

(١) نظم الدرر١٧/٧٣ .

(٢) ينظر:الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره:١٦٥.بتصرف.

(٣) ينظر : نظم الدرر١٧/٧٣ .

(٤) ينظر : المرجع السابق١٧/١ .

(٥) ينظر : البحر المحيط٧/٤٤٦ ، ونظم الدرر١٧/٧٢ .

(٦) ينظر : جامع البيان٢٤/٦٧ ، والجامع لأحكام القرآن١٥/٣١٧ .

الكفر والعصيان[١] ، فترسخ في العقل حقيقة أن الجنة والنار لا تفنيان أبدًا [٢] ، مما يدعو إلى المسارعة في الإقبال على الطاعة والارتقاء فيها طلبًا لثمرتها .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ . وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا . فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ . وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾(النازعات:٣٧-٤٠،ك) ، **شبه احتباك** "أتى بطغى دليلًا على ضده ثانيًا ، **وبالنهي عن الهوى ثانيًا دلالة على إيثار الدنيا أولًا** "[٣] ، وتقديره : فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هي المأوى ، وأمّا من خاف مقام ربه **فلم يطغ** ، ونهى النفس عن الهوى .

وفيه نظر ؛ حيثُ إنه جعل (إيثار الحياة الدنيا) محذوفًا من الطرف الأول ، وهو مذكور فيه ﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ ، ومقابل لمذكور ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ . فليس ثمة حذف على طريقة شبه الاحتباك ؛ لأنَّ ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ هذان الوصفان مضادَّان للوصفين المتقدمين : ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ . وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ ، فقوله : ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ ضد قوله : ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ ، و﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ ضد : ﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾[٤] ، وقيل : ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ مقابل : ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ ؛ لأنَّ الخوف ضد الطغيان[٥] ، وقوله : ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ مقابل ﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ ، ونهي الخائف نفسه مستعار للانفكاك عن تناول ما تحبه النفس من المعاصي والهوى ، فجعلت نفس الإنسان بمنزلة شخص آخر يدعوه إلى السيئات وهو ينهاه عن هذه الدعوة [٦] ، وهذا يشبه

---

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم٧/٢٧٧ بتصرف .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥/٣١٧ .

(٣) نظم الدرر ٢١/٢٤٤ .

(٤) ينظر : اللباب في علوم الكتاب١٦/٢١٨ .

(٥) الظاهر خلاف ذلك ، قال الراغب : و يضاد الخوفَ الأَمنُ ، وقيل : جعل الخوف ضد الطغيان مع أن مقابله الانقياد والطاعة بناء على أن الخوفَ أولُ أسباب الإطاعة ، ثم الرجاء ، ثم المحبة ، فالأول للعوام ، والثاني للخواص ، والثالث لأخص الخواص . ينظر : تفسير روح البيان ١٦/٤٨٢ . ولو قيل : ولازم الخوف ضد الطغيان ، لكان أقرب .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير٣٠/٩٢ .

ما يسمى بالتجريد[١] .

ويذهب بعض أهل العلم إلى بيان وجه آخر صح القول فيه بالحذف على تقدير : "فأما من طغى **واتبع الهوى وآثر الحياة الدنيا** ، فإن الجحيم هي المأوى ، وأمّا من عدل وخاف مقام ربه **ونهى النفس عن الهوى وآثر الآخرة** فإن الجنة هي المأوى "[٢] . وهذا احتباك ظاهر .

*

(١) هو : أن ينتزع من متّصف بصفة آخرى مثله فيها مبالغة في كمالها فيه . ينظر : التبيان في البيان ، ص٢٣٥ .
(٢) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص٣٠٩وما بعدها .

المبحث الخامس : جـــــزاء المحســـــنين وعـــــقاب المسيئين تـــــــرغيبًا في الثـــــواب ، وتـــــرهيبًا من العذاب .

المطلب الأول : وقوع الاحتباك وشبهه في سياق بيان جزاء أهل الطاعة .

– القول بالاحتباك :

يقول تعالى : ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(الأعراف:٥٦،ك) ، ففي قول الحق ﷻ :﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ احتباك ؛ لكون المحذوف من الطرف الأول (من المحسنين) ؛ لدلالة ذكر ﴿مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (قريبة) ؛ لدلالة ذكر﴿قَرِيبٌ ﴾من الطرف الأول . وتقديره : إن الله قريب من المحسنين ، ورحمته قريبة من المحسنين .
وسرّه : أنه ذكر الأخص ؛ لكونه أدل على الأعم ؛ لأنَّ "قربه تعالى أخص من قرب رحمته ، والأعم لا يستلزم الأخص بخلاف قربه ، فإنه لما كان أخص استلزم الأعم ، وهو قرب رحمته"[(١)] .

فالنمط التركيبي لصورة الاحتباك أسهم في تأكيد قرب الله ورحمته من المحسنين ؛ ترغيبًا في الصعود إلى مرتبة الإحسان في العبادة ؛ وذلك بلزوم الجمع بين الخوف والرجاء ، "فمن جمع بين الخوف والرجاء كان في مقام الإحسان ، وكأنه مشاهد للرحمن ، ما زجره زاجر الجلال بسياط سطوته إلا دعاه داعي الجمال إلى بساط رأفته "[(٢)] . ومن خلال تبصر دلالة السياق العام من حيثُ تحقق الدعوة إلى الاجتماع على الخير ؛ لإقامة التوحيد[(٣)] ، انكشف أن القول بالاحتباك في هذا الموضع عليّ يولد جملة من المعاني أعلاها : إعلام البشر أنه من حاز مقام الإحسان في عبادته كان أهلًا لنيل القرب من ربه المستلزم فيض رحمانيته [(٤)] ، فلا يتحقق بلوغ درجة الإحسان إلا بمراعاة ما يتطلبه السياق الخاص من الأمر المقتضي لزوم الصلاح والتقوى ، والنهي المقتضي التخلي التام عن أنواع الفساد ، فالنهى عام يتضمن

---

(١) نظم الدرر ٣٤١/٧وما بعدها .
(٢) المرجع السابق ٤٢٠/٧ .
(٣) ينظر : المرجع السابق٣٤٧/٧ .
(٤) ينظر : المرجع السابق٤٢٠/٧ .

الابتعاد عن جميع مظاهره ، كإفساد النفوس ، والأموال ، والأنساب ، والعقول ، والأديان[١] ؛ ليتحقق في النفوس حسن الترقي بالعبادة ، والترفع عن أدنى مظاهر الشرك ؛ خوفًا من عقابه ، وطمعًا في ثوابه[٢] .

*

تحدث القرآن الحكيم في مواطن عدة عن حسن ثواب أهل الطاعة ؛ ترغيبًا في بلوغ أقصى درجات الكمال في الإيمان ، ومن أبرز الشواهد التي أسهم الاحتباك في إنمائها قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ . وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾(ص: ٤٦-٤٧،ك) ، ففيه احتباك "ذكر(أخلصناهم) أولًا دليلًا على (اصطفيناهم) ثانيًا ، و(المصطفين) ثانيًا دليلًا على (المخلَصين) أولًا "[٣] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (المخلصين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (اصطفيناهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَخْلَصْنَٰهُم﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ، وإنهم عندنا لمن المخلصين ، وإنا اصطفيناهم وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار .
وسرّه : «"أن الإخلاص يلزم منه الاصطفاء"[٤] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز عظيم الفضل ، وسعة الرحمة ، ووافر الإحسان الممزوج بالمحبة والكرامة لأهل الطاعة قادة التوحيد ، وحملة الرسالة ؛ لشدة تمسكهم بزمام الإسلام ، وعلُقِهم بربهم في صرف الهمم في طاعته ، وذكر الآخرة إخلاصًا له ﷻ ؛ إذ "نزع من قلوبهم حب الدنيا وذكرها ، وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها "[٥] ، فالذي يهدي إليه السياق العام من الإعلام بنصر جند الله ؛ لأنهم هم الغالبون وإن تأخر نصرهم ، وتحقق صدق الوعد فيما وعدوا به عن ربهم [٦] ، إشارات عظمى تُعْلِي من شأن

---

(١) ينظر : روح المعاني٨/١٤٠ .

(٢) ينظر : جامع البيان٨/٢٠٧ .

(٣) نظم الدرر ١٦/٣٩٨ .

(٤) الموضع السابق .

(٥) الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٥/٢١٨ .

(٦) ينظر : نظم الدرر١٦/٣٩٨ .

الاحتباك ، وتعمق في القلوب دلالته ؛ لما فيه من لطائف المعاني المثيرة لعزائم أهل الإيمان ، والآخذة بأيدي البشرية إلى مدارج الطاعات ؛ لتدفعهم إلى الوصول إلى درجات الإحسان ؛ فهو لهذا ذو أثر فاعل في العناية بالتصعيد في مقام القرب من الله ؛ ليؤكد أن الله يحب المحسنين في طاعته ، المؤمنين بتوحيده ، الموقنين بحقيقة الدار الآخرة ، فإن في تبصر الخطاب عنها بـــ : ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ فائدة جليلة تُعِظم في النفوس حسن الإقبال على مراعاة العمل لأجلها ، فتحقق حسن تذكرهم تلك الخالصة تذكيرًا عظيمًا لا يغيب عنهم[١] ، كما تحقق –أيضًا– إعلام البشر بحال أهل الطاعة في الإقدام على الآخرة ، وترك الدنيا ، فهم لا ينظرون إليها ؛ بغضًا فيها ، والمعنى : أنهم لا يعملون شيئًا إلا وهو مقرب إلى الآخرة[٢] ، فوجب التأسي بأنبياء الله في قوة صبرهم على الدين والمجاهدة في امتثاله [٣] ، فهم يذكرون الآخرة ويرغبون فيها ، ويزهدون في الدنيا[٤] ؛ لذا خلص لهم التذكير بها ، ودعا الناس إليها إليها وحضهم عليها[٥] . وللاحتباك أثر فاعل في إحداث علاقات ربط جوهرية أسهمت في في ترسيخ حقيقة هامة تمثلت في الإعلام بأن ما يعتري أهل الطاعات في الدنيا من مصائب دليل الخيرية فيهم ، فكل واحد منهم بخير بليغ في الخير ، وإصابتنا إياهم بالمصائب دليل ذلك لا دليل عكسه كما يظنه أهل الكفر والفساد والعناد[٦] ، كما أسهم الحذف في إبراز جلائل جلائل الأعمال وفضائلها من الإخلاص في العبادة ، وحسن المجاهدة ، ودوام ذكر الآخرة بغية الالتزام بها والعمل عليها .

*

وفي موضع آخر يبرز حذف التقابل نعيم أهل الجنة ترغيبًا ، وذلك في : ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسًا وَلَا زَمۡهَرِيرًا﴾ (الإنسان:١٣، م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسًا وَلَا

(١) ينظر : المرجع السابق١٦/٣٩٧ .
(٢) ينظر : الموضع السابق .
(٣) ينظر : جامع البيان٢٣/١٧١بتصرف .
(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٥/٢١٨ .
(٥) ينظر : البحر المحيط٧/٣٨٦ .
(٦) ينظر : نظم الدرر١٦/٣٩٨ .

﴿زَمۡهَرِيرٗا[1]﴾ احتباك ، دل بنفي الشمس أولًا على نفي القمر ثانيًا ، ودل بنفي الزمهرير ثانيًا على نفي الحر أولًا[2] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (قمرًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿شَمۡسٗا﴾ في الطرف الأول . ومن الطرف الثاني حذف (حرًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿زَمۡهَرِيرٗا﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : "لا يرون فيها شمسًا ولا قَمرًا ولا حَرًّا ولا زمهريرًا "[3] .

وسرّه : أنه "دل بنفي الشمس أولًا على نفي القمر ؛ لأن ظهوره بها ؛ لأن نوره اكتسابٌ من نور الشمس ، ودل بنفي الزمهرير الذي هو سبب البرد ثانيًا على نفي الحر الذي سببه الشمس ، فأفاد هذا أن الجنة غنية عن النيرين ؛ لأنها نيرة بذاتها ، وأهلها غير محتاجين إلى معرفة زمان ؛ لأنه لا تكليف فيها بوجه ، وأنها ظليلة ومعتدلة دائمًا ؛ لأن سبب الحر – الآن– قرب الشمس من مساومته الرؤوس ، وسبب البرد بعدها عن ذلك"[4] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز صورة النعيم المقيم ؛ ترغيبًا في نيل الجنة ، وحثًّا على فعل الطاعات ، فتحقق بالاحتباك إعلام البشر بحقيقة نعيم المطيع في الآخرة ، وهذا مرتكز في السياق العام ؛ لكون المقصد الأعظم من السورة بكليتها يدعو إلى إقامة الترغيب والترهيب من خلال إبراز صورة القيامة وما فيها من تعذيب العاصي في النيران ، وتنعيم المطيع في الجنات [5] ، أمّا الخاص فتضمن إبراز صورة النعيم ؛ ترغيبًا في إيقاظ القلوب ، وهذا يعنى عناية فائقة بالحث على لزوم الطاعة واجتناب المعصية ، ومنع الأنفس من شهواتها ؛ لترقى إلى المقام الأسنى من الطاعة والنعيم ، ففي تبصر دلالة الخطاب في : ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا . . .﴾ إشارات عليّة تبرز حالهم في الجنة وما يحتويهم من تمكن الراحة ،

---

(١) **الجدير ذكره** : أن للزمهرير عند المفسرين معنيين ، الأول : قيل : هو القمر ، وحمل المعنى على ذلك ينفي وجه الاحتباك ؛ لانتفاء شرط ذكر أحد الطرفين وحذف مقابله ، فتحقق في النظم ذكر الشمس والقمر معًا . والثاني : قيل : هو البرد ، وحمل المعنى عليه يؤيد القول بالاحتباك ؛ لتحقق شرط التقابل بين المعاني المذكورة والمحذوفة ، فالشمس مقابلها القمر ، والبرد مقابله الحر . ينظر : جامع البيان ٢٩/٢١٣ ، وتفسير البيضاوي٥/٤٢٨ .

(٢) ينظر : نظم الدرر٢١/١٤٣ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٩/٣٩٠ .

(٤) نظم الدرر ٢١/١٤٣ .

(٥) ينظر : المرجع السابق٢١/١٢٠ .

ودوام النعيم ، فإنهم لا يرَوْن فيها شمسًا فيؤذيهم حرّها ، ولا زمهريرًا فيؤذيهم بردها[(١)] ، فحصل لهم مطلق الوقاية من الأذى ، وهذا لون لطيف من ألوان النعيم ، ففيها من لذيذ العيش ، وحسن المُقام ما يُعظم في الأفئدة حب التمسك بها . ومن جليل المعاني التي يحققها الاحتباك إعلام البشر بما هو غيب عنهم ، باعتدال نعيم الجنة وصفائه ، فهواؤها معتدل ، لا شدة حر شمس يحمي ، ولا شدة برد يؤذي [(٢)] ، وفي هذا نعمة جليلة ترغب في النفوس العمل من أجل الفوز بالجنة والخلود فيها ، فتحقق أن ساكنيها لا يرون فيها بأبصارهم ولا بصائرهم شمساً ولا قمرًا ولا يحسون فيها بردًا شديدًا مزعجًا ولا حرًّا[(٣)] ، ثم إن في إعلام البشر بما هو غيب ، لطيفة أخرى تدفع إلى نماء العقول بزيادة العلم وتجنب الجهل ، وللاحتباك أثر بارز في إحداث علاقات ربط أسهمت في ترسيخ أثر جليل يعمق في القلوب معاني الأنس والاطمئنان ، والدفء بتأمل نعيم الجنة ، "فهم في جلسة مريحة مطمئنة ، والجو حولهم دافئ في غير حر ، نديّ في غير برد ، لا شمس تلهب النسائم ، ولا زمهرير!" [(٤)] .

*

– القول بشبه الاحتباك :

في قول الحق ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾(الحج:٢٣،م) ، شبه احتباك[(٥)] المحذوف من الطرف الأول (حليتهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلِبَاسُهُمۡ﴾ في الطرف الثاني ومن الطرف الثاني حذف (يلبسون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يُحَلَّوۡنَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "يحلون فيها ، وحليتهم من أساور من ذهب ، ولباسهم فيها حرير يلبسونه" [(٦)] .

(٦) .

---

(١) ينظر : جامع البيان٢٩/٢١٣وما بعدها .

(٢) ينظر : جامع البيان٢٩/٢١٤ ، والجامع لأحكام القرآن١٩/١٣٨ .

(٣) ينظر : نظم الدرر٢١/١٤٣ .

(٤) في ظلال القرآن ٦/٣٧٨٢ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير١٧/٢٣٣ ، ومثله قول الحق : ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾(فاطر:٣٣،ك) .

(٦)الموضع السابق .

"ولمّا كانت التحلية غير اللباس ، جيء باسم اللّباس بعد : (يحلون) بصيغة الاسم دون (يلبسون) ؛ لتحصل الدلالة على الثبات والاستمرار ، كما دلّت صيغة : (يحلون) على أن التحلية متجددة بأصناف وألوان مختلفة" [١] .

فالنمط التركيبي لصورة الحذف يسعى لإبراز النعيم الحسن لأهل الجنة في الجنة ترغيبًا في اعتناق فضائل الأعمال ، فالقول به جاء في سياق يدعو إلى إنماء الإيمان في النفوس من خلال دوام الحث على لزوم التحلي بالتقوى المنجية من هول العذاب [٢] ، وهذا يُعضد من شأن القول بشبه الاحتباك ؛ لما فيه من مزيد تأكيد الثواب والعطاء الناتج من حسن التخلق بالتقوى المتمثلة في علو دلالة الأمر في مفتتح السورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ (الحج:١م) ، فالعمل بموجب الأمر يُعظم في النفوس شدة تجنب المعاصي والوقاية منها بفعل الطاعات ، وهذا يُحقق حسن الأجر ترغيبًا . وفي تدبر دلالة الاحتباك أثر فاعل في إبراز مطلق الفضل ومنتهى الإنعام ، فهم متصفون بصفات بهيجة حسنة نضرة موجبة للسرور ، يحلون في الجنة وحليتهم من أساور من ذهب ، ويلبسون ولباسهم الحرير [٣] ، ففي الإعلام بجزيل الثواب بعد شدة العذاب نعمة عظيمة توجب في النفوس مخافة الله وتلزمها التقوى [٤] ، فما أعده الله لهم من نعيم الفضل وحسن الثواب أعلى مما في الدنيا بكثير [٥] . كما أن في الحذف دعوة جليلة تدفع النفوس القابلة للإيمان إلى الارتقاء في سلمه ؛ لذا أوثر التعبير بـــ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ﴾ فعبر بالمضي ترغيبًا في المبادرة ، ثم قال (عملوا) إشارة إلى أن من عمل انكشف له ما كان محجوبًا عنه من حسنه ونعيمه فأحبه و لم ينفك عنه [٦] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا

---

(١) الموضع السابق .

(٢) ينظر : نظم الدرر١٣/١ .

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم٧٣/٩ .

(٤) ينظر : نظم الدرر٣١/١٣ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٣٦/١٧بتصرف .

(٦) ينظر : نظم الدرر٣١/١٣ .

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(الزمر:٧١،ك) ، شبه احتباك "ذكر (الرب) أولًا دلالة على حذف (الجبروت) ثانيًا ، و (الإنذار) ثانيًا دليلًا على (البشارة) أولًا" [١] . وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (بالبشارة إن تابعتم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الجبار) ؛ لدلالة ذكر ﴿رَبِّكُمْ﴾ في الطرف الأول ، وتقديره : وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم بالبشارة إن تابعتم ، وينذرونكم لقاء يومكم هذا من الملك الجبار إن نازعتم .

فالآية تشير إلى ذكر حال الأشقياء في شدة سوقهم إلى النار [٢] ؛ لإعراضهم في الدنيا وعدم إيمانهم بحقيقة القيامة ترهيبًا من الخوض في الكفر[٣] ، ففي الإخبار عنهم مزيد توبيخ وتنكيل لكل من جحد وحدانية الله وكفر بالرسل (عليهم الصلاة والسلام) [٤] ، وفي هذا إبراز للمقصد الأعظم من السورة المتمثل في الدلالة على تحقق صدق وعد الله[٥] . أمّا فائدة القول القول بالحذف فتمثلت في ذكر الرب ؛ لكونه أدل على مطلق الرحمة ترغيبًا في قبول دعوة الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ، ثم ذكر الإنذار لكونه أدل على قوة الزجر والمبالغة فيه .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾ (الغاشية:٧،ك) ، شبه احتباك ، فقد " نفى السمن أولًا ليدل على إثبات الهزال ثانيًا ، ونفى الإغناء من الجوع ثانيًا ليدل على نفي الشبع أولًا ، **ومن جعل ذلك صفة الطعام أفسد المعنى ؛ لأنه يؤول إلى : ليس لهم طعام منفي عنه الإسمان والإغناء ، بل لهم طعام لا ينفى عنه ذلك**" [٦] . فالمحذوف من الطرف الأول (لا يشبع) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَا يُغْنِى﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (لا يمنع من الهزال) ؛

---

(١) المرجع السابق ٥٦٦/١٦ .

(٢) ينظر : المرجع السابق٥٦٥/١٦وما بعدها بتصرف .

(٣) ينظر : البحر المحيط٤٢٤/٧ بتصرف .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٣٥/٨ ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم١٤٩/٩ .

(٥) ينظر : نظم الدرر٤٣٦/١٦ .

(٦) المرجع السابق ٨/٢٢ .

لدلالة ذكر ﴿لَا يُسۡمِنُ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لا يسمن فلا يشبع ، ولا يغني من جوع ، ولا يمنع الهزال .

وسرُّه أنه ذكر الأظهر الأدل على المراد ؛ لشدة ضرره وخلو نفعه ، وهو نفي نفع فائدة الطعام في القيامة مطلقًا . فصورة الحذف أسهمت في إبراز وصف طعام أهل النار في النار ؛ ترهيبًا من الكفر وحثًّا على الإيمان بالبعث ، فالمقصد الأعظم يسعى إلى "إثبات الدار الآخرة التي الغاشية مبدؤها ، وذكر ما فيها للأتقى والأشقى "[1] ، فالغاية من القول بالحذف هي : نفي فائدة طعام أهل النار مطلقًا ، ففيه مزيد تأكيد لتحقق نفي الفائدة مطلقًا فمنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما : إماطة الجوع وإفادة القوة[2] .

*

المطلب الثالث : وقوع الاحتباك وشبهه في سياق بيان جزاء أهل الطاعة والمعصية معًا .

-القول بالاحتباك:

يكشف الاحتباك عن جزاء أهل الإيمان الذين اتبعوا الهدى الذي آتاه الله رسله فهم آمنون من عقابه بما أطاعوه في الدنيا ، ولا هم يحزنون ، وعن جزاء أهل الكفر الذين جحدوا الآيات وكذبوا الرسل فهم المخلدون في النار [3] ، وذلك في قول تعالى : ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ . وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة:٣٨-٣٩م) . ففيه موضعان للحذف .

الموضع **الأول** : في قول الحق ﷻ : ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ، انتفاء الخوف والحزن من الأول دلالة على وجودهما في الثاني ، ووجود النار في الثاني دلالة على انتفائها ووجود الجنة في الأول[4] . وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (أولئك أصحاب الجنة) ؛ لدلالة ذكر

---

(١) المرجع السابق ١/٢٢ .

(٢) ينظر : روح المعاني١٤٦/٣٠ .

(٣) ينظر : جامع البيان٢٤٧/١ وما بعدها .

(٤) ينظر : نظم الدرر٣٠٢/١ .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ في الطرف الثاني ، وحُذِفَ من الطرف الثاني (عليهم خوف وهم يحزنون) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وهم أصحاب الجنة . ومن كذب فعليهم خوف وحزن ، وأولئك أصحاب النار . "لهذا اقتضى التقسيم أن من اتبع الهدى لا خوف ولا حزن يلحقه ، وهو صاحب الجنة ، ومن كذب يلحقه الخوف والحزن ، وهو صاحب النار" [(١)] .

وسرّه أن نفي الخوف والحزن عن من اتبع الهدى يؤسس عليه فيض عظيم من النعم مفتاحها الجنة ، وإثبات الخوف والحزن لمن لم يتبع الهدى يؤسس عليه اغتيال الحياة الحقة ، ثم الخلود في النار . فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في الكشف عن حسن جزاء المحسنين ترغيبًا في حسن الثواب ، وقبح جزاء المسيئين ترهيبًا من شدة العذاب [(٢)] . أمّا الموضع **الثاني** فقد درس في بابه .

*

قيل في قول الحق ﷻ : ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (البقرة:١٣٤،م) [(٣)] احتباك "... والمراد : بما كسبت وبما كسبتم ثواب الأعمال بدليل التعبير فيه بـــ(لها ولكم) ، ولك أن تجعل الكلام من نوع الاحتباك والتق دير[(٤)] : لها ما كسبت وعليكم ما كسبتم ، أي : إثمه " [(٥)] فالمحذوف من الطرف الأول (عليكم ما كسبتم) ؛ لذكر ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (عليها ما

---

(١) البحر المحيط١/٣٢٤ .

(٢) ينظر : ص( ) من البحث.

(٣) ومثله في قوله تعالى : ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾(الأنعام:١٦٤،ك) ، قيل : احتباك ؛ إذ المحذوف من الطرف الأول (لها) ؛ لدلالة ذكر ﴿عَلَيۡهَا﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (تكتسب) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَا تَكۡسِبُ﴾ في الطرف الأول . تقديره : ولا تكسب كلّ نفس إلاّ لها ولا تكتسب إلا عليها . ينظر : التحرير والتنوير٨/ ٢٠٧ .

(٤) يقول ابن عاشور : «والتقرير» ، والأنسب لسياق الكلام : والتقدير .

(٥) التحرير والتنوير١/٧٣٥ .

كسبت) ؛ لذكر ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ﴾ في الطرف الأول .

وفي ذلك نظر ؛ إذ المعنى : لها ما كسبت من دين الإسلام خاص بها لا شركة لكم فيه ، ولكم ما كسبتم مما أنتم عليه من الهوى خاص بكم ، لا يُسألون هم عن أعمالكم ، ولا تُسألون أنتم عما كانوا يعملون(١) ، فالمعنى تام في سياقه لا يحتمل الحذف -والله أعلم- .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة:٢٥٧،م) ، احتباك "والتقدير : الله ولي الذين آمنوا وهم أصحاب الجنة ، والذين كفروا ليس الله لهم بمولى وأولئك أصحاب النار " (٢) . فالمحذوف من الطرف الأول (أصحاب الجنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الذين كفروا ليس الله لهم بمولى) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في الطرف الأول .

وفيه نظر ، وذلك لأن الركن الثالث الذي قدره بقوله (والذين كفروا ليس الله بمولى لهم) معناه كامن في رحم معنى : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ أي : أن الله ليس بمولى لهم . لهذا انتفى القول بالاحتباك -والله أعلم- .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾(آل عمران: ٣٠،م) احتباكان ، **الموضع الأول** في قوله تعالى : ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗا﴾ ذكر حضور الخير دلالة على حضور السوء ، وود بعد السوء دلالة على ود لزوم الخير (٣) ، فالمحذوف من الطرف الأول (تود لزوم الخير) ؛ لدلالة

---

(١) ينظر : نظم الدرر٢/١٨٢وما بعدها .

(٢) التحبير في علوم التفسير ، ص٢٨٢ ، هامش رقم : (١) .

(٣) ينظر : نظم الدرر٤/٣٣٠ .

ذكر ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (من سوء حاضرًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا تود لزومه ، وما عملت من سوء حاضرًا تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا .

وسرّه أنّه ذكر الأحب إلى الأنفس ترغيبًا فيه ، ثم ذكر المبغض إليها تحذيرًا منه (لأنه بالضد تتميز الأشياء) .

فمن خلال المعاني المتقابلة ظهرت حالة النعيم المقيم والعذاب الشديد ترغيبًا وترهيبًا ؛ إذ برز في جانب أهل الإيمان ذكر إحضار الخير المطلق ، وفي جانب أهل الكفر ود بعد السوء ومفارقته ؛ ليتحقق إعلام البشر بأن الكفار أصحاب عذاب ، والمؤمنين أصحاب ثواب بغية الإيمان بالغيب ، وهذا هو المقصد الأعظم الذي دعت إليه السورة ، ففي تبصر دلالة السياق إعلام بأهمية التمسك بأصول الشريعة لدلالتها على كمال التوحيد ، أمّا السياق الخاص فأبرز العناية بذكر القيامة وما فيها من هول المصير تحذيرًا [(١)] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في المعاني الجوهرية المتضمنة شدة التحذير من ذلك اليوم المحصى فيه كل كبير وصغير ، أمّا حمل النظم على الاحتباك فحقق جملة من لطائف المعاني أسهمت في جعل كل من الخير للمؤمنين حاضرًا والسوء للكافرين حاضرًا ، ففي حضوره للمؤمنين شرف نبيل وفضل عظيم به تحصل الكرامة والرضا ؛ لذا تود لزومه ، وفي حضوره للكافرين توبيخ به يحصل الامتهان والسخط فتود مفارقته [(٢)] . وفي تدبر دلالة الخطاب بـــ﴿أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ إشارات تبرز شدة رغبة النفوس الكافرة يوم القيامة في مفارقة السوء الحاصل من شدة كفرها في الدنيا . أمّا **الموضع الثاني** ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ فـــ"التحذير أولًا دال على الوعد بالخير ثانيًا ، والرأفة ثانيًا دالة على الانتقام أولًا"[(٣)] ، فالمحذوف من الطرف الأول (الانتقام) ؛ لدلالة ذكر ﴿رَءُوفٌۢ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الوعد بالخير) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾ في الطرف

---

(١) ينظر : المرجع السابق٤/٣٢٩ .

(٢) ينظر : المرجع السابق٤/٣٢٩وما بعدها .

(٣) المرجع السابق٤/٣٣٢ .

الأول . وتقديره : ويحذركم الله نفسه وانتقامه ، ويعدكم فضله ورأفته بكم .

وسرّه أنّه ذكر أقوى وألطف ما يكون منه سبحانه ترهيبًا وترغيبًا . فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصيتي الترغيب في الطاعة والترهيب من المعصية ؛ ليعلم المرء أنه عبد لله "والذي ينبغي أن يبرئ العبد من نفسه تبرئته من أن يكون له إرادة ، وأن يلاحظ علم الله وقدرته في كلية ظاهره وباطنه وظاهر الكون وباطنه" [1] .

فالحذف أسهم في ترسيخ الدعوة إلى التوحيد بإخلاص الطاعة لله والتخلص من الشرك ، وقد كثر الحذف في الآية ؛ لما اقتضاه المقام ، مقام التهويل بيوم المعاد ، فلقد أكسب الحذفُ النظمَ مزايا عظيمة منها : الاهتمام بهذا اليوم من أجل تقديم الظرف على عامله لقضاء حق الإيجاز بنسج بديع [2] . ثم ذكر محضرًا مع الخير ﴿مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ "للإشعار بكون الخير مرادًا بالذات ، وكونِ إحضارِ الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية"[3] .ثم التعريف في ﴿بِٱلْعِبَادِ﴾ للاستغراق ؛ لأنّ رأفة الله شاملة لكلّ الناس مسلمهم وكافرهم[4] . ثم التكرار في ذكر الجلالة ﴿وَٱللَّهُ﴾ ؛ لتربية المهابة وإذهاب الغفلة بتوجيه الذهن إلى هذا الحكم أتم توجيه [5] . وللاحتباك أثر فاعل يأخذ بأيدي البشرية إلى زمام الطاعة القائدة إلى نيل رضوان الله ، فهو لهذا ذو أثر علي في العناية بتوجيه البشر إلى مراعاة حق الله ، وهو التوحيد .

*

ويقول تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(آل عمران : ٥٧م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ احتباك ، ففي ذكر توفية الأجر أولًا نفيها ثانيًا ، و في إثبات الكراهة ثانيًا إثبات ضدها أولًا[6]. وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (المحبة) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في

---

(١) المرجع السابق ٣٣٠/٤ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير٢٢٣/٢ .

(٣) إرشاد العقل السليم٢٤/٢ .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

(٥) ينظر : روح المعاني١٢٩/٣ .

(٦) ينظر : نظم الدرر٤٢٣/٤ .

الطرف الثاني ،وحُذِف من الطرف الثاني(نحبط أعمالهم) ؛ لدلالة ذكر﴿ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره على هذا : "فنوفيهم لأنا نحبهم ، والله يحب المؤمنين ، والذين ظلموا نحبط أعمالهم لأنا لا نحبهم ، والله لا يحب الظالمين" [١] .

وسرُّه أنه "أثبت للمؤمنين لازم المحبة المراد منها في حق الله ﷻ ؛ لأنه أسرّ ، ولازم المراد من عدمها في الظالمين ؛ لأنه أنكأ" [٢] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إعلاء فضل أهل الإيمان ترغيبًا فيه ، وإسقاط شأن أهل الكفر ترهيبًا منه . ففي الاحتباك دلالة على تحقق خاصية الإيمان بأصول الشريعة ، وهذا مرتكز في السياق العام ؛ لما فيه من إثبات الأصول التشريعية الواجب اتباعها ؛ لأجل تحقق الإيمان بالبعث ، أمّا الخاص فحمل الاعتناء بالأولياء الذين اتبعوا عيسى عليه السلام حق الاتباع ، وقهر الأعداء[٣] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متحققة في المعاني الجوهرية الدالة على الإخبار بأن الذين آمنوا بعيسى عليه السلام وصدقوا نبوته وما جاء به من الحق يعطيهم الله جزاءَ أعمالهم الصالحة كاملاً لا يبخسون منه شيئًا ، والله لا يحبُّ الظالمين[٤] . ومن أبرز جواهر المعاني التي يحققها الاحتباك : إعلام البشر أن الله متعال عن الظلم لا يجزي المسيءَ ممن كفر جزاءَ المحسن ممن آمن ، أو يجازي المحسنَ ممن آمن به واتبعَ أمره وانتهى عما نهاه عنه فأطاعه ، جزاءَ المسيئ ممن كفر به وكذّب رسله وخالف أمره ونهيه[٥] ، وفي هذا نعمة عليّة بها يترفع المرء عن الظلم وأهله تحقيرًا وكرهًا لهما ، " فالله ﷻ لا يفعل مع الظالمين فعل المحب فهو يحبط أعمالهم لبنائها على غير أساس الإيمان "[٦] . كما أسهم الحذف في إبراز أوجه التقابل بين المعاني ؛ لبيان عِظمِ الجزاء في إنعام الله بتوفية الأجر لمن أقروا بالنبوة وعملوا بما فيها ، وعقابه بإحباط أعمال المتجاوزين عن إتباع النبوة ، وفي ذكر توفية الأجور ومضاعفتها حافز نبيل يوجه المرء إلى المسارعة للارتقاء في سلم

---

(١) الموضع السابق .

(٢) المرجع السابق ٤٢٢/٤وما بعدها بتصرف .

(٣) ينظر : المرجع السابق٤٢٢/٤ .

(٤) ينظر : جامع البيان٢٩٤/٣ .

(٥) ينظر : الموضع السابق .

(٦) نظم الدرر ٤٢٣/٤ .

الطاعات تنبيهًا على فضل الوصول إلى درجة الكمال في الإيمان [١] ، فهو لهذا ذو أثر بالغ في العناية بالترقي في الإيمان ليؤكد أن الله يحب أهل الإيمان بمختلف درجاته ، ويبغض أهل الكفر بمختلف دركاته .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(آل عمران :١٤٠م) ، فصورة الاحتباك ظاهرة في قول الحق ﷻ : ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ؛ "إذ إن في إثبات الاتخاذ أولًا د لالة على نفيه ثانيًا ، وفي إثبات الكراهة ثانيًا دلالة على المحبة أولًا "[٢] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الله يحب المؤمنين) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يمحق أهل الجحد) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ويتخذ منكم شهداء ، والله يحب المؤمنين . ويمحق أهل الجحد ، والله لا يحب الظالمين .

وسرّه أنّه ذكر أفضل ما للمؤمن حثًا على الإيمان ، وأقبح ما للكافر ترهيبًا من الكفر ، بشارة في الترغيب بأنه لا يفعل مع الكفرة فعل المحبة " وفي ذلك بشارة للمتقين ، وإنذار للمقصرين ، فالناس قبل الابتلاء بالمحن والفتن يكونون سواء ، فإذا ابتلوا تبين المخلص والصادق ، والظالم والمنافق" [٣] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إيضاح حسن جزاء المؤمنين وقبح جزاء الكافرين ترغيبًا وترهيبًا ، ويبرز حسن المعنى بعد النظر في السياق العام لما فيه من بيان الأصول العقدية الواجب مراعاتها والتي من أبرزها وأكملها الإيمان بالغيب ، والخاص بما فيه من الحديث عن الجهاد . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في الركنين المذكورين ، الأول : في إبراز فضل الله وكرمه لأهل الطاعة المجاهدين في سبيله ، والثاني : في إذلال أهل المعصية المتخاذلين عن نصرة الدين . فاللاحتباك الأثر الفاعل في توجيه العقول إلى الأخذ

---

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم٢/٤٥ بتصرف .

(٢) نظم الدرر٥/٧٩وما بعدها .

(٣) تفسير المنار٤/١٥١ .

بالإيمان وترك الكفر ، وهذا من جملة المعاني الإحسانية التي يحققها الحذف للنظم ، كما أسهم في إعلام البشر بما هو غيب لله ؛ لإلزامهم طاعته وأمره ، "وإن أنال الكفار من المؤمنين فهو لا يحبهم ، وإن أحل ألمًا بالمؤمنين فإنه يحبهم"[1] ، فالله لا يحب من لا يكون ثابتًا على الإيمان صابرًا على الجهاد [2] ، فبالجهاد يصعدون إلى أعلى مراتب الإيمان فينالون أعلى الدرجات وأسمى المنازل ، درجات ومنازل أهل الإحسان [3] ، ففي الحذف توجيه كريم للنفوس المؤمنة المجاهدة يعلمها أن الحرب تكون مرة للمؤمنين لينصر الله دينه ، ومرة للكافرين إذا عصى المؤمنون ليبتليهم ويمحص ذنوبهم ، فإذا لم يعصوا فإن حزب الله هم الغالبون[4] ، كما أسهم في إعلامهم أنه ﷻ لا ينصر الكافر على الحقيقة وإنما يغل به أحيانًا استدراجًا له ، ولو كانت النصرة دائمًا للمؤمنين لكان الناس يدخلون في الإيمان على سبيل اليُمَن والفأل ، والمراد الأعظم التخلص من شوائب الشرك والإخلاص في التوحيد[5] .

وثمة لطيفة أخرى يحققها الحذف تثير في النفوس بغض الظلم والظالمين ؛ لذا أوثر التعبير بـ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فنفيُ المحبةِ كنايةٌ عن البغض ، وفي إيقاعه على الظالمين تعريضٌ بمحبته لمقابليهم[6] . فالنفس المؤمنة "هي التي تصبر على الضراء ، ولا تستخفها السراء ، وتتجه إلى الله في الحالين" [7] .

*

ويقول تعالى :﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ .وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(النساء: ١٣-١٤،م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٤/٢١٩ .
(٢) ينظر : تفسير الكبير٩/١٦ .
(٣) ينظر : جامع البيان٤/١٠٦ وما بعدها .
(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن٤/٢١٨ .
(٥) ينظر : تفسير البيضاوي٢/٩٦وما بعدها .
(٦) ينظر : إرشاد العقل السليم٢/٩٠ .
(٧) في ظلال القرآن ٤/٤٨١ .

﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ . وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ احتباك[١] ، إذ المحذوف من الطرف الأول (نعيم مقيم) ؛ لدلالة ذكر ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ في الطرف الثاني ، وحُذِفَ من الطرف الثاني (الخسران المبين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ونعيم مقيم ، وذلك هو الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارًا خالدًا فيها وله عذاب مهين ، وذلك هو الخسران المبين[٢] .

وسرّه أنه ذكر الغاية العظمى الكامنة في الفوز العظيم ؛ ترغيبًا لأهل الطاعة في الانقياد للعمل على تلك الحدود ؛ تنبيهًا لعظمتها ، وتأكيدًا لأهمية الحرص عليها . ثم ذكر المآل المخزي والنهاية المؤلمة ترهيبًا من التعدي على هيبة التكاليف الشرعية بمخالفة أوامر الله ورسوله .

فالاحتباك أسهم في إظهار صورة النعيم المقيم المتمثل في الفوز العظيم ، والخسران المبين المتمثل في العذاب المهين ترغيبًا وترهيبًا ، في سياق تقرير الأصول التشريعية الدالة على كمال التوحيد وحكمة الخالق ، وهذا هو المقصد الأساسي الذي قامت عليه السورة وتمثل في سياقها العام ، أمّا الخاص فهو أشد اعتلاقًا لبيان الاحتباك ؛ لما تضمنه من الحرص الشديد بعناية تقسيم الميراث على الوارثين بالعدل ، فظهرت أهمية المحافظة على تلك الحقوق بإعطاء كل ذي حق حقه ، والويل الشديد لمن خالف ذلك ، بأسلوبٍ لطيفٍ دقيقٍ فيه ترغيبٌ وترهيبٌ[٣] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متحققة بالمعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ، الأول : في ذكر نعيم من أخلص الطاعة لله ورسوله وعمل بموجب أمرهما ونهيهما ، فإنه له جزاء ذلك ﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ ، والثاني : في ذكر عذاب من عصى الله ورسوله وخالف أمرهما ونهيهما ، فإن له جزاء ذلك ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ . وفي تدبر دلالة الاحتباك أثر فاعل في توجيه البشر إلى السعي لإدراك مراتب الإيمان ، ولزوم حدود الله جليلة النفع عظيمة الجدوى[٤] ، وفي الإعلام بها نعم عليّة تُرشد إلى عِظَمِ تلك الفرائض والأحكام

(١) ينظر : تفسير ابن عرفة ، لوحة(٣١٧) مخطوط .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٥/٢١٥وما بعدها .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

وتذكر بها[١] ؛ ليُخلص البشر عامة في العمل بها من باب الإخلاص في العبادة ، أو الترفع عن دناءة الإخلاد إلى الفاني وسفول الهمة ، فإنه يوشك أن يجره ذلك إلى أن يكون ممن يطيع الله ؛ فتوجههم وترشدهم إلى الفوز العظيم الذي به ينعمون في الجنة ، وتبعدهم عن العذاب المهين الذي به يعذبون في النار[٢] .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ .وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾(المائدة:٩-١٠م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ .وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ احتباك ؛ حيثُ "ذكر في قسم المؤمنين الحكم بثواب عملهم ، و لم يذكر ما به يقع الثواب ، وذكر في قسم الكافرين ما به يقع العذاب ، و لم يذكر الحكم بتعذيبهم "[٣] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (هم أصحاب الجنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (لهم عذاب أليم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم ، وهم أصحاب الجنة ، والذين كفروا وكذبوا بآيتنا لهم عذاب أليم ، وأولئك أصحاب الجحيم[٤] .

والسر في هذا أنه ذكر أحسن ما يكون للمؤمنين ترغيبًا في الامتثال لأمره ، وأقبح ما يكون فيه الكافرون ؛ لشموله على أنكأ أنواع العذاب تحذيرًا ، وترهيبًا لمن خالف أمره .

فمن خلال أوجه التقابل برز حسن الثواب لأهل الإيمان ، وسوء المآل لأهل الكفر ترغيبًا في الإقبال على الطاعات ، وترهيبًا من الإقدام على المعاصي ، فتحقق بالاحتباك ترسيخ مبدأ الجزاء على الأعمال لأجل الإيمان وترك الكفر ، وفي حمل النظم عليه معانٍ عِظَام توجه العقول إلى الارتقاء بفضائل الأعمال في مدارج الإيمان بغية الظفر بحسن

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن٥/٨١ .

(٢) ينظر : نظم الدرر٥/٢١٥وما بعدها .

(٣) تفسير ابن عرفة ، لوحه(٣٨١) مخطوط .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

الثواب ، والبعد عن التردي في دركات الكفر ، فالسياق العام يقرر إثبات جملة من الأصول التشريعية الدالة على كمال أمر التوحيد للعمل بها ، والخاص تضمن التذكير بالوعد الحسن الجميل لمن امتثل جملة الأوامر ، والوعيد المؤلم الشديد لمن حاز عنها [١] ، وكلاهما يرشدان إلى إنماء الجانب الإيماني من خلال الحث على لزوم التقوى . فأصل المراد متمثل في المعاني الجوهرية المتضمنة الجمع بين الترغيب والترهيب [٢] ، فحصل بالاحتباك جملة عليّة من لطائف المعاني تدعو في المقام الأول إلى إعلام البشر بحسن جزاء المؤمنين وقبح مآل الكافرين ، فإن في تعليق قلوبهم وأنظارهم بعظم الجزاء وقبح المآل نعمة عليّة بها يخلصون التعامل مع الله ﷻ في حفظ أوامره والعمل بها ، ومعرفة نواهيه والعمل على اجتنابها [٣] ، وبهذا يتجردون من كل النوازع ، ويعلمون أن المنهج الرباني يأخذ الطبيعة البشرية بما يعلمه الله من أمرها ؛ ويهتف لها بما تتفتح له مشاعرها ، وتستجيب له كينونتها [٤] . ثم إن في إعلام البشر بحسن النعيم وسوء العذاب لطيفة أخرى ترشد إلى معرفة المصير "والله يعلم حاجتها إلى هذا الوعد بالمغفرة والأجر العظيم ، وحاجتها إلى معرفة جزاء الكافرين المكذبين ، كما إن في هذا وذاك ما يرضيها ويطمئنها على مصيرها وجزائها" [٥] .

وللاحتباك أثر فاعل في إحداث علاقات ربط جديدة تبرز معاني عِظامًا تهتف بالنفوس إلى الارتقاء في مقامات القرب من الله والبعد عن دركات النار ، فالمغفرة إسقاط للسيئات ، والأجر العظيم إيصال للثواب [٦] ؛ فتحقق أن المغفرة والأجر العظيم دليل رضا الله عن عباده ، وحصل للمؤمنين بهما شرف الرضا وشرف النعيم وفيه تطييب لقلوبهم[٧] "وبعض القلوب يكفيها أن تشعر برضا الله وتتذوق حلاوة هذا الرضا كما تتذوق حلاوة الوفاء بالميثاق"[٨] .

---

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم٤/١٢ .

(٢) ينظر : جامع البيان٦/١٤٢ .

(٣) ينظر : في ظلال القرآن٦/٨٥٤بتصرف .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

(٥) الموضع السابق .

(٦) ينظر : التفسير الكبير١١/١٤٣ .

(٧) ينظر : تفسير البيضاوي٢/٣٠٣ .

(٨) في ظلال القرآن ٦/٨٥٤ بتصرف .

*

كما قيل في قوله تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(المائدة:٩٨،م) ، احتباك[١] ، تقديره :"اعلموا أن الله شديد عقابه وغضبه ، أنه غفور رحيم جزيل ثوابه" [٢] .

وفي ذلك نظر ؛ لأنه جُعِلَ المحذوف من الطرف الأول مقابلًا للمحذوف من الطرف الثاني . كما أن المذكور في الطرف الأول شيء واحد وهو ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ، والمذكور في الطرف الثاني شيئان الغفران والرحمة في ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فشدة العذاب تقابلها الرحمة ، ولا تقابلها المغفرة ؛ لأن الرحمة هي حسن المثوبة لمن عصى فغفر له ، ولمن لم يعص . أمّا المغفرة فلا تكون إلا مع ذنب . فالأولى لما عليه النظم أن يكون التقدير على نحو : اعلموا أن الله سريع الحساب شديد العقاب ، وأن الله غفور رحيم ؛ لأنه لما كان العقاب لازمًا للحساب اكتفى باللازم عن الملزوم ، أمّا المغفرة فلا يلزمها الرحمة ، فقد يغفر فلا يُثيب .

ولعل الأنسب للنظم ترك القول بالاحتباك ؛ لتحقق الغاية من دون تأويل ، وهذا ما أجمع عليه جمهرة المفسرين .

*

وكذلك في قول الحق ﷻ : ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾(الأنعام:١٣٥،ك) ، احتباك ، ففي ذكرِ العاقبة أولًا دليل على حذفها ثانيًا ، وفي ذكر الظلم ثانيًا دليل على حذف العدل أولًا[٣] ، فالمحذوف من الطرف الأول (العدل) ؛ لدلالة ذكر ﴿الظَّالِمُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (عاقبة) ؛ لدلالة ذكر ﴿عَاقِبَةُ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فسوف تعلمون –فكأنه قيل :– أي علم؟ من تكون له عاقبة الدار؟ للعامل العدل ، إنه لا يفلح الظالمون فلا تكون لهم عاقبة الدار .

وقيل : فسوف تعلمون من أهل العدل الذين تكون لهم عاقبة الدار ، إنه لا يفلح

---

(١) ينظر : تفسير ابن عرفة ، لوحه(٣٩٩) مخطوط .

(٢) الموضع السابق .

(٣) ينظر : نظم الدرر٧/٢٧٨ .

الظالمون فلا تكون لهم عاقبة الدار[١] ، **وهو أدق في نمط تركيب العبارة .**

وسرّه أن في ذكر العاقبة أولًا ترغيبًا لأهل الإيمان في شدة التمسك بالطاعات ، والمحافظة على اتباع الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ، وفي ذكر الظلم ثانيًا تحذيرًا بالغًا يكشف عن عظم العذاب وهول المصير الذي ينال أهل الظلم .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز شدة التحذير ترهيبًا لمن تسول لهم أنفسهم الخروج عن اتباع الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ، ففي تبصر دلالة الخطاب إشارات تُعلي من شأن القول بالاحتباك منها : تحقق الإرشاد الناصح المتمثل في دلالة الأمر في ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ﴾ ، وبالوقوف عند براعة النداء بـــ(الياء) دلالة تكشف عما يحيط المنادي من الغفلة فهم بحاجة إلى ذلك لأجل التنبيه ، فثبت أن " أدل شيء على النصيحة مبادرة الناصح إلى مباشرة ما نصح به ودعا إليه" [٢] .

*

وفي موضع أخر يبرز التقابل حسن الجزاء لأهل الإيمان وقبحه لأهل الكفر ترغيبًا وترهيبًا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾(إبراهيم:٧،ك) ، ففي قوله : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ احتباك[٣] فقد ذكر الزيادة أولًا دليلًا على حذف ضدها ثانيًا ، وذكر (إن عذابي لشديد) ثانيًا على حذف مقابله أولًا ، فالمحذوف من الطرف الأول (إن عطائي لعتيد [٤]) ؛ لدلالة ذكر ﴿عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لأنقصنكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لئن شكرتم لأزيدنكم ، إن عطائي لعتيد فارجوه ، ولئن كفرتم لأنقصنكم ، إن عذابي لشديد فخافوه .

وسرّه أنّه ذكر المحبوب للأنفس أولًا ، ففيه ترغيب على الإقبال وحث على الاتّباع ، ثم ذكر المبغض المشين ثانيًا تنفيرًا من الخوض في مراتع الضلال ، وهذا أوقع في النفوس كي ترجع .

---

(١) ينظر : الاحتباك في القرآن الكريم مواقعه أسراره ، ص٢٥٨ .

(٢) نظم الدرر ٢٧٧/٧ .

(٣) ينظر : المرجع السابق٣٨٥/١٠ .

(٤) أي : حاضر مُهيَّأ . ينظر : لسان العرب ، مادة : « ع،ت،د»٢٧٩/٣ .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصيتي الترغيب والترهيب إبرازًا لأهمية تحقق التوحيد في النفوس ، وهذا مرتكز في السياق العام ؛ إذ المقصد الأعظم من السورة بكليتها متحقق في ذكر التوحيد ، وبيان أن القرآن غاية البلاغ إلى الله [(١)] ، لهذا فالقول بالاحتباك ذو اعتلاق بالغ بسياق السورة العام ، أمّا الخاص فهو أشد بيانًا لما يحتويه من الترغيب فيما يزيد نعمة الأمن والترهيب مما يزيلها[(٢)] . وفي القول بالحذف لطائف عِظام تدعو في المقام الأول إلى الدعوة إلى الترغيب في الشكر ؛ إذ إنه مفتاح دوام النعم فلئن شكرتم لأزيدنكم من أسباب الشكر ما يعينكم عليه ، يقابلها دعوة إلى الترهيب من الكفر ولئن كفرتم نعم الله فجحدتموها بترك الشكر عليها إن العذاب لكم شديد [(٣)] . فالدعوة الأولى رابحة لمن اتقى أنعم الله باستمرار الشكر عليها ، والثانية خاسرة لمن جحد أنعم الله وكفر بها . فتحقق أن الشكر قيد الموجود ، وصيد المفقود[(٤)] . والناتج من وراء الحذف أسهم في نشوء علاقات تثقف النفوس وتدفعها إلى الحفاظ على نعمة الأمن ؛ إذ هو مطلب الحياة الكريمة وأساسها ، وترهب من زوالها –نعمة الأمن– الذي هو بمثابة زوال الحياة فـــ " الكفر في ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ مراد به كفر النعمة ، وهو مقابلة المنعم بالعصيان ، وأعظم الكفر جحد الخالق ، أو عبادة غيره معه ، وهو الإشراك ، كما أن الشكر مقابلة النعمة بإظهار العبودية والطاعة"[(٥)] .

*

وفي موضع آخر يبرز الاحتباك عظيم الثواب والعذاب ترغيبًا وترهيبًا ، وذلك في ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ . وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النمل: ٨٩-٩٠،ك) ، ففي قوله تعالى : ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ احتباك "ذكر الخيرية

---

(١) ينظر : نظم الدرر١٠/ ٣٦٩ .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٠/٣٨٤ .

(٣) ينظر : جامع البيان١٣/١٨٦ .

(٤) ينظر : نظم الدرر١٠/٣٨٥ .

(٥) التحرير والتنوير ١٣/١٩٤ .

والأمن أولًا دليلًا على حذف المثل والخوف ثانيًا ، وفي الكب في النار ثانيًا دليلًا على الإكرام منه أولًا " [١] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (أكرمت وجوههم عن النار) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وهم من فزع يومئذ خائفون) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : من جاء بالحسنة فله خير منها ، وأكرمت وجوههم عن النار ، وهم من فزع يومئذ آمنون. ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار، وهم من فزع يومئذ خائفون. وسرّ أنه ذكر أفضل ما للمحسنين ترغيبًا في الثواب ، وأقبح ما للمسيئين ترهيبًا من العذاب "وبين أهل هاتين الحالتين أصناف كثيرة في درجات الثواب ودركات العقاب . وجماع أمرها أن الحسنة لها أثرها يومئذ عاجلًا أو بالآخ رة ، وأن السيئة لها أثرها السيئ بمقدارها ومقدار ما معها من أمثالها وما يكافئها من الحسنات أضدادها" [٢] .

فصورة الاحتباك أسهمت في ذكر جزاء المحسنين ، وعقاب المسيئين ترغيبًا في الأمن إذ إنه ثمرة الإيمان ، وترهيبًا من النار إذ إنّها نتيجة الكفر ، ويظهر حسن المراد بعد مراعاة المقصد الأعظم للسورة الدال على تحقق بشارة المؤمنين ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الأولين والآخرين ، وهذا من أتم دلائل العلم والحكمة [٣] ، والسياق القريب بما فيه من الترغيب الجميل لأهل الإيمان لحسن الجزاء ، والترهيب العظيم لأهل الكفر لقبح الجزاء [٤] . فأصل المراد متحقق في الركنين الجوهرين ، الأول في إبراز حسن الجزاء " فمن جاء بالحسنة الناتجة عن ثمرة الإيمان بالله والعمل بمقتضاها فله خير منها ، وإذا وقعت الأهوال العظيمة يوم الحشر هم آمنون "[٥] ، والثاني في إبراز سوء حال الكافرين الذين جاءوا بالسيئة الناتجة عن الإشراك بالله فكبت وجوههم في النار[٦] ، فهما كفيلان بإيضاح حالهم ومآلهم يوم الحشر ، الحشر ، ومن أبرز جواهر المعاني أن الاحتباك يدعو إلى التبصر في حال أهل الإيمان في إكرام

---

(١) نظم الدرر ٢٢٦/١٤ .

(٢) التحرير والتنوير ٥٢/٢٠ .

(٣) ينظر : نظم الدرر١٢٢/١٤ .

(٤) ينظر : المرجع السابق٢٢٤/١٤وما بعدها بتصرف .

(٥) المرجع السابق ٢٢٥/١٤وما بعدها .

(٦) ينظر : الموضع السابق .

وجوههم عن النار نظير إخلاصهم الإيمان ، وحال أهل الكفر في عبوسهم وترددهم وتجهم وجوههم لشدة خوفهم نظير خوضهم في الكفر واستهانتهم بأمر الإيمان [١] . ثم إن في الحذف إعلامًا للبشر بأن من خاف الله في الدنيا أمن الخوف والفزع في الآخرة ، وفي هذا نعمة عظيمة تهذب النفوس وتعلمها أعظم مبادئ التوحيد وهو شهادة أن لا إله إلا الله [٢] .

كما أسهم الحذف بأثر جليل يرشد إلى المبادرة في فعل الحسنات لكونها مفتاح الأمن والاطمئنان .

*

كما أسهم حذف التقابل في إبراز ثواب المحسنين وعقاب المسيئين ، وذلك في قوله تعالى : ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(الروم:٤٥،ك) ، ففيه إشارة إلى الاحتباك[٣] ، فالمحذوف من الطرف الأول (إنه يحب المؤمنين) ؛ لدلالة ذكر ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (ليجزي الذين كفروا وعملوا السيئات بعدله) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله ، إنه يحب المؤمنين ، ويجزي الذين كفروا وعملوا السيئات بعدله ؛ لأنه لا يحب الكافرين" [٤] .

وسرّه "... أن إكرام المؤمنين هو المقصود بالذات ، وهو بعينه إرغام الكافرين ، وعبر في شق المؤمنين بالمنتهى الذي هو المراد من محبة الله ؛ لأنه أسرّ ، وفي جانب الكافرين بالمبدأ الذي هو مجاز ؛ لأنه أنكأ وأضر" [٥] .

فالنمط التركيبي لطبيعة الاحتباك أسهم في ترسيخ مبدأ لزوم العمل الصالح ترغيبًا في فضل الله وإحسانه ، وترك السيئ ترهيبًا من شدة عذابه وخذلانه [٦] ، ففي تبصر دلالة السياق توجيه علي يبرز مظاهر القدرة ودلائل التوحيد ، وهذا يُعلي من شأن الاحتباك ، لما

---

(١) ينظر : الموضع السابق .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن٢٦٦٩/٢٠وما بعدها بتصرف .

(٣) ينظر : نظم الدرر١١١/١٥وما بعدها .

(٤) الموضع السابق .

(٥) الموضع السابق .

(٦) ينظر : المرجع السابق١١١/١٥ .

تأكد في السياق العام من تحقق إثبات دلائل القدرة على البعث[١] ، والخاص لما تحقق فيه من نصر أوليائه وخذلان أعدائه[٢] ؛ لذا فالقول به عليّ يحقق جملة من المعاني من أبرزها : إظهار أوجه التقابل بين الفريقين جزاء الله للمؤمنين والكافرين ، فالذين آمنوا يجزيهم من فضله ويحبهم لإيمانهم ، والذين كفروا يجزيهم بعدله ويكرههم لكفرانهم ، فتحقق إعلام البشر بما هو غيب عنهم ، وهو تحقق حقيقة البعث لأجل الإيمان به ، فالله ينصر أولياءه لإحسانهم ؛ لأنه مع المحسنين ، وهذا فعل المحب ؛ لشرف صنيعهم ؛ لذا أوثر التعبير بـــ ﴿ءَامَنُواْ﴾ ولو على أدنى الوجوه ، أمّا الكافرون فلا يفعل معهم فعل المحب ، فلا يسويهم بالمؤمنين[٣] .

*

ويقول تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(الروم:٤٧،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ احتباك "حذف أولًا الإهلاك الذي هو أثر الخذلان ؛ لدلالة النصر عليه ، وثانيًا الإنعام ؛ لدلالة الانتقام عليه " [٤] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (وكان حقًّا علينا قهر المجرمين) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وأنعمنا على الذين آمنوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقًّا علينا قهر المجرمين ، وأنعمنا على الذين آمنوا وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين . وسرّه أنه ذكر أحسن ما للمؤمنين ترغيبًا في الإيمان ، وأسوأ ما للكافرين ترهيبًا من الكفر والعصيان .

فحركة الحذف أسهمت في إبراز الجزاء الذي أُعد للمحسنين من أهل الإيمان ، والعقاب الذي أعد للمسيئين من أهل الكفر والنفاق ترغيبًا وترهيبًا ، فالذي يهدي إليه السياق البعيد والقريب يعضد من شأن الاحتباك ؛ لما تحقق في البعيد من إثبات جميع مظاهر

---

(١) ينظر : المرجع السابق١٥/١ .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٥/١١١ .

(٣) ينظر : الموضع السابق .

(٤) المرجع السابق ١٥/١١٨ .

القدرة والعظمة المستلزمة التوحيد ، ومن أبرزها القدرة على البعث [١] ، وفي القريب من الإشارة إلى تحقق صدق الوعد بنصر الأولياء ، وخذلان الأعداء[٢] ، فثبت أن من آمن أذاقه الله من رحمته ، ومن كفر أنزل عليه نقمته ، ففي الأول دلالة على نجاة أهل الإيمان ، وفي الثاني قهر لأهل النفاق [٣] . وفي حمل النظم على الاحتباك مزايا عِظام منها : الإعلام بأن بأس الله إذا جاء لا ينفع فيه قريب ولا بعيد ، وفي هذا نعمة عظيمة تنمي في القلوب الإيمان وحب الشكر ؛ إذ إنه دوام الإنعام وتمام الإفضال ، وتترع منها الكفر بالنعم ؛ إذ إنه أساس الانتقام ومحط القهر والخذلان ، فما أفاض ﷻ من نعمة ودفع من نقمة إلا بالشكر[٤] . ففي الحذف تبشير جليل للرسول ﷺ وأمته بالنصر والظفر ، وهذا مزيد شرف و تكريم لهم ، إذ أوجب على نفسه نصر هم وجعله حقًّا فضلاً وكرمًا [٥] . فأسهم الحذف في إبراز أوجه التقابل بين المسلمين والمجرمين من حيثُ الإيمان بالرسل ؛ "فَمَنْ قابلهم بالتصديق وصل إلى خلاصة التحقيق ، ومَنْ عارضَهم بالجحود أذقناهم عذابَ الخلود" [٦] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الأحزاب:٨،م) ، احتباك[٧] ، ذكر سؤال الصادقين أولًا دليلًا على ضده ثانيًا ، والعذاب الأليم ثانيًا دليلًا على الثواب العظيم أولًا ، فالمحذوف من الطرف الأول (ثوابًا عظيمًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (يسأل الكاذبين عن كذبهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد لهم ثوابًا عظيمًا ، ويسأل الكاذبين عن كذبهم وأعد لهم عذابًا أليمًا" [٨] .

---

(١) ينظر : المرجع السابق١/١٥ .

(٢) ينظر : المرجع السابق١١٥/١٥وما بعدها بتصرف .

(٣) ينظر : جامع البيان٥٣/٢١ . ينظر : نظم الدرر١١١٥/١٥وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : نظم الدرر١١٧/١٥ وما بعدها .

(٥) ينظر : البحر المحيط١٧٣/٧بتصرف ، في ظلال القرآن٢٧٧٤/٢١ .

(٦) لطائف الإشارات ١٢٣/٥ .

(٧) ينظر : نظم الدرر٢٩٥/١٥ .

(٨) حاشية الشهاب على البيضاوي ١٦١/٧ ، وروح المعاني ١٥٥/٢١ .

وسرّه أن في سؤال أهل الصدق تبشيرًا وتشريفًا لهم ، وفي طي سؤال الكافرين تبكيتًا وامتهانًا لهم ، كما أن في ذكر عذابهم دلالةً على تحقيقه ، حتى لا يظنوا أنهم يسألون سؤال من يسمع جوابهم أو معذرتُهم ، ولإفادة أن إعداد عذابهم أمر مضى وتقرر في علم الله[1] .

فصورة الاحتباك أسهمت في إيضاح ثواب الصادقين وعذاب الكافرين ترغيبًا في الصدق ، وترهيبًا من الكذب ، فالقول بالاحتباك ذو اعتلاق بالغ بالسياق العام للسورة ؛ لما تحقق فيه من أمر الحث على الصدق في الإخلاص في التوجه إلى الخالق ؛ لما له من صفات الجلال والكمال[2] ، أمّا السياق الخاص فتضمن الإخبار بأن الكفر معذب به صاحبه بلا شرط ، والطاعة مثاب عليها صاحبها بشرط الإخلاص ، فأرشد السياق إلى مراعاة الصدق في الأقوال والأفعال[3] . فحصل أن الاحتباك في هذا الموضع علي لما يحققه من معانٍ جليلة تدعو في المقام الأول إلى إعلاء شان الإخلاص في العبادة حثًّا على الوفاء بالعهد في صدقهم[4] ، فأسهم في نشؤ علائق ربط بين المعاني تمثلت في تقابل الركنين المذكورين مع الركنين المحذوفين من أجل إعلام البشر بحسن ثواب المؤمنين الصادقين وسوء عقاب الكافرين المكذبين ؛ حتى يشهد الجميع أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم ، وأبانوا الحق الذي أرسلوا به . فتحقق سؤال الصادقين مع أن العلم بحقيقة صدقهم تشريف لهم ، وإهانة وتبكيت للكاذبين ، ويسأل الكافرين عن كفرهم ، ما الذي حملهم عليه ، والحال أنه أعد للصادقين ثوابًا عظيمًا ، وأعد للكافرين الساترين لإشراق أنوار الميثاق عذابًا أليمًا[5] .

*

وقيل في قول الحقﷻ : ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾(الأحزاب١٧،م) ، احتباك ؛ حيثُ "ذكر السوء أولًا دليلًا على ضده ثانيًا ، وذكر الرحمة ثانيا دليلًا على ضدها أولًا" [6] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول

---

(١) ينظر : نظم الدرر١٥/٢٩٥ ، والتحرير والتنوير٢١/٢٧٦ .

(٢) ينظر : نظم الدرر١٥/٢٧٣ .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٥/٢٩٥ .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

(٥) ينظر : الموضع السابق .

(٦) المرجع السابق ١٥/٣١٢ .

(فأناخ بكم نقمة)؛ لدلالة ذكر ﴿أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (قبح) ؛ لدلالة ذكر ﴿سُوٓءًا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : قل من الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءًا فأناخ بكم نقمة أو يهينكم ويقبح جانبكم إن أراد بكم رحمة فأفادكم نعمة

وفيه نظر ؛ لانتفاء وجه التقابل بين المعاني ، فلم يتحقق بالتقدير وجه الاحتباك المشار إليه ؛ لأن الرحمة ضدها العذاب ، والسوء ضده الحسن .

وقيل تقدير المعنى : "قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوء وعذابا أو يصيبكم بسوء أن أراد بكم رحمة وحسنًا" [١] .

وفيه نظر -أيضًا- ؛ لأن السوء عام يدخل فيه أنواع العذاب ، والرحمة عامة تشتمل على جميع أوجه الحسن والكمال .

فالأولى ما عليه جمهرة المفسرين من تقدير مضاف ، **والأصل** : "قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءًا أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة " [٢] ، وقيل : "كيف جُعِلَتِ الرحمةُ قرينةَ السوءِ في العِصْمة ، ولا عِصْمةَ إلا من السوء؟ قلت -أي : الزمخشري- : معناه : «أو يصيبكم بسوءٍ إن أرادَ بكم رحمةً ، فاختصر الكلامَ" [٣] .

*

ويبرز التقابل الترغيب في العمل الصالح ، والترهيب من السيئ ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ (فاطر:١٠،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ احتباك ، "حيثُ حذف ما لصاحب العمل الصالح ، ودل عليه بذكر ما لصاحب العمل السيئ ، وحذف وضعه المكر السيئ ، ودل عليه برفعه للعمل الصالح "[٤] ، فالمحذوف من الطرف الأول (ولصاحبه نعيم مقيم) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن

---

(١) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره ، ص٢٠٣ .

(٢) ينظر : حاشية الشهاب على البيضاوي١٦٤/٧ ، و روح المعاني١٦٣/٢١ .

(٣) الكشاف ٢٥٥/٣ .

(٤) نظم الدرر ٢٠/١٦ .

الطرف الثاني حذف (ولا يرفعه) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، ولصاحبه نعيم مقيم ، والذين يمكرون السيئات لا يصعد مكرهم إليه بنفسه ، ولا يرفعه هو ، ولهم عذاب شديد .

وسرّه أنه ذكر أحسن ما يكون لصاحب العمل الصالح من العزة ، والرفعة ، والعلو ترغيبًا ، وأقبح ما لصاحب العمل السيئ من شدة العذاب ترهيبًا . وهذا ما أظهرته حركة الاحتباك من النص القرآني في سياقه العام الدال على إثبات دلائل القدرة الكاملة لله تعالى اللازم منها تمام القدرة على البعث ؛ ليتحقق الفصل فيه بين فريقي السعادة والشقاوة [(١)] ، والخاص بما فيه من إثبات القدرة على النشور ، "فدل على شمول علمه للخير والشر من القول والفعل الخفي والجلي ، وتمام قدرته، وذلك معنى العزة"[(٢)] ، فتحقق إعلام البشر بالفصل بين فريقي السعادة والشقاوة في الآخرة ؛ لهذا فالقول بالاحتباك يعنى عناية فائقة بالحث على لزوم الطاعات والمحافظة على الإيمان ، فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في الركنين المذكورين ، الأول في : ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ فهو –سبحانه– يتولى رفعه وعمله يفوز[(٣)] ، والثاني في : ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بما عملوا من عبادة الأوثان ، ومن أبرز دقائق المعاني التي يحققها الاحتباك إعلام البشر بمكمن العزة الحقيقية الدالة على الخير الموصلة إلى العز المنيع والنعيم المقيم الموجبة رفع العمل والفوز به ؛ وهي الاعتزاز بالله وحده ، فلله العزة جميعًا دون كل ما دونه من آلهة وأوثان[(٤)] ، " فإنه من اعتز بالعبد أذله الله ، ومن اعتز بالله أعزه الله " [(٥)] ، وفي ذلك نعمة عظيمة توجب التخلص من علائق الشرك ودوافع الشر [(٦)] ، ففي الحذف دعوة إلى الإخلاص في الأعمال فـ"لا يقبل الله قولاً إلا بعمل ، من قال وأحسن العمل قبل الله منه"[(٧)] ، فتحقق بطلان أعمال الكافرين ، لعدم إخلاصها ؛ لذا لم تنفعهم ، وأكسبتهم

---

(١) ينظر : المرجع السابق١٦/١ .

(٢) المرجع السابق ٢٠/١٦ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٩/١٦وما بعدها .

(٤) ينظر : جامع البيان١١٩/٢٢ ، ونظم الدرر٢٠/١٦ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٣٢٩/١٤ .

(٦) ينظر : نظم الدرر٢٠/١٦بتصرف .

(٧) جامع البيان ١٢١/٢٢ .

الذلة والمهانة ، وأوجبت لهم النقمة والعذاب الشديد[1] .

*

وكذلك قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ۝ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾(الزمر:٣٢-٣٣،ك) ، احتباك ، ففي "ذكر التكذيب أولًا **دليل على الصدق والتصديق ثانيًا** ، وفي الاتقاء وجزائه وما يتبعه ثانيًا دليل على ضده أولًا ، وسرّه أنه ذكر في شق المسيء أنكأ ما يكون من الكذب والتكذيب في أقبح مواضعه ، ولاسيما عند العرب ، وأسرّ ما يكون في شق المحسن من استقامة الطبع وحسن الجزاء" [2] .

وفيه نظر ؛ لعدم دقته ، إذ جُعِلَ المحذوف من الطرف الثاني (وصدق بالصدق) هو عين المذكور ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ . ثم إن قوله : (الاتقاء وما يتبعه دليل على ضده أولًا) متضمن لثلاثة أشياء لا بد أن تكون مذكورة في النظم ؛ ليستقيم القول بالاحتباك ، والمتضح أن المذكور ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ هو المقصود (بالاتقاء) ، وما يتبعه –جزاؤه– وهو محذوف تقديره : ... فليس لجهنم عليهم سبيل ، ولا لهم فيها مترل ولا مقيل ؛ بل الجنة مترلهم ؛ لذا انتفى القول بالاحتباك .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (الجاثية: ٣٠-٣١،ك) ، احتباك "ذكر الإدخال في الرحمة أولًا دليلًا على الإدخال في اللعنة ثانيًا ، وذكر التبكيت ثانيًا دليلًا على التشويق أولًا " [3] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (سلام عليكم أيها المؤمنون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فيدخلهم الملك في لعنته) ؛ لدلالة ذكر

---

(١) ينظر : جامع البيان١٢١/٢٢ ، ونظم الدرر١٩/١٦وما بعدها .

(٢) نظم الدرر ٥٠٦/١٦ .

(٣) المرجع السابق ١٠٩/١٨ .

﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ، وتقول الملائكة تشريفًا لهم : سلام عليكم أيها المؤمنون ، ذلك هو الفوز المبين ، وأمّا الذين كفروا فيدخلهم الملك في لعنته ، فيقال لهم : أفلم تكن آياتي تتلى عليكم وذلك هو الخسران المبين . "وسرّه أن ما ذكره أدل على شرف الولي وحقارة العدو"[١] .

فالصورة التركيبية للحذف أسهمت في إيضاح جليل الثواب وحسن المآب المعد لأهل الطاعات تشريفًا وترغيبًا في الجنة ، وشدة العقاب المعد لأهل المعاصي تبكيتًا وترهيبًا من النار[٢] ، فمن خلال تبصر دلالة السياق العام من حيثُ اشتماله على إثبات صفتي العزة والحكمة لله ، علم أنه وحده ﷻ المختص بالكبرياء ، وله وحده الكمال [٣] ، والخاص من حيثُ تحقق ذكر جزاء الخلق يوم القيامة إشارة عظمى إلى صدق تحقق وقوعه ، انكشف أن القول بالاحتباك في هذا المقام عليّ يولد جملة ثرية من المعاني الإحسانية ، والتي من أبرزها : إعلام البشر أن الإخلاد إلى أدنى درجات الطاعة قد يوقع في شباك الكفر والعصيان فيخلد صاحبه في دركات النار ؛ لذا أسهم الحذف في إبراز أوجه التقابل بين المعاني بغية الحث على المبادرة بالطاعات والحذر من المعاصي أولًا ، والدعوة إلى دوام النظر والتفكر في الدلائل الدالة على وحدانية الله والاعتبار بها ثانيًا ، وإعلام البشر بما يكون لهم من حسن المصير وسوئه ثالثًا ، فإن في إعلامهم ذلك نعمة عليّة ثمرتها السعي إلى معرفة أعظم مبادئ العقيدة وهو تحقق معنى الوحدانية الجليل . وبالوقوف عند براعة النظم دلالات عظمى تكشف أسباب الفوز بالجنة ، وقد تمثلت في حسن الاتباع ، وعمل الصالحات ، فمن ارتقى بنفسه من الكفر إلى درجات الإيمان فإن له كرم الإحسان والتشريف ، وهذا دليل عظم رحمة الله ، أمّا أسباب المكوث في النار ، فقد تمثلت في الإعراض عن دعوى الحق والبعد عن التفكر في الآيات القرآنية ، فمن أعرض خسر كرم الله وجناته[٤] .

*

---

(١) الموضع السابق .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٨/١٠٧بتصرف .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٨/٥٨ .

(٤) ينظر : جامع البيان٢/١٥٧ ، وتفسير البيضاوي٤/١٧٤بتصرف ، ونظم الدرر١٨/١٠٧وما بعدها.

وفي موضع آخر يبرز الاحتباك خاصية الترغيب في الجنات والترهيب من النيران ، وذلك في : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾(محمد:١٢،م) ، قيل إن فيه موضعين للاحتباك ، **الأول** درس في بابه [1] . **والثاني** : في قول الحق ﷻ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ ، فـــ"ذكر دخول الجنات أولًا دليلًا على دخول النار ثانيًا ، والمثوى ثانيًا دليلًا على المأوى أولًا" [2] . فالمحذوف من الطرف الأول (هي مأواهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَثْوًى لَّهُمْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يدخلهم النار) ؛ لدلالة ذكر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار مأوى لهم ، والذين كفروا يدخلهم النار هي مثوى لهم . وسرّه : أنه ذكر أفضل ما يؤول إليه المؤمنون ترغيبًا في الإيمان ؛ لكونه أسر ، وأنكأ ما يؤول إليه الكافرون ترهيبًا من الكفر ؛ لكونه أضر .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز حسن جزاء أهل الإيمان ، وقبح مآل أهل الكفر ترغيبًا وترهيبًا ؛ لذا فالاحتباك يسعى في المقام الأول إلى تحقق الدلالة على وجوب العمل والحرص على الطاعة ، فجاء في سياق يدعو إلى إلزام أهل الإيمان حفظ دينهم بجهاد أهل الكفر والتخلي عن جميع مظاهر الكفر ، التي من أولها عبادة غير الله [3] ، وهذا ما حققه السياق العام ، أمّا الخاص فتحقق فيه إثبات صدق الوعد ، فإنه ﷻ ينصر من ينصره ويدخله دار نعمته ، ويخذل من يعانده ويدخله دار شقوته[4] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في المعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ، الأول في الإشادة بذكر نعيم أهل الإيمان ﴿يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ ﴾ ، والثاني في ذكر عذاب أهل الكفر ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ فهما كفيلان بإبراز ما لأهل الجنة من النعيم ، وما لأهل النار من

---

(١) ينظر : ص(٤١٤) من البحث .

(٢) نظم الدرر ٢١٥/١٨ وما بعدها .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٩٤/١٨ .

(٤) ينظر : المرجع السابق٢١٦/١٨ .

الجحيم . أمّا القول بالاحتباك فحقق للنظم جملة ثرية من لطائف المعاني من أبرزها : أن في إعلام البشر بحقيقة إيمان المؤمن المخلص في إيمانه بالتزود من الأعمال الصالحة ؛ نعمة عليّة تحيل النفوس على مراعاة التزود بالصالحات والعمل من أجل الآخرة ، فإن " المؤمن في الدنيا يتزود ، والمنافق يتزين ، والكافر يتمتع "[١] ، ففي التزود بالطاعات إعمال للفكر والنظر ، فهم ليسوا غافلين عن آخرتهم [٢] ، فتحقق أن الدنيا للمؤمن سجن ، والكافر ليس له إلا الدنيا ينتفع بمتاعها غافلًا عن عاقبته[٣] ، وللاحتباك أثر في إحداث علاقات ربط جديدة بين المعاني أبرزت سعة الكرم الإلهي لأهل الإيمان على إيمانهم بالله وبرسوله[٤] ، فهو كرم علوي رفيع ينالونه جزاءً على الإيمان والصلاح[٥] .

*

وفي قول الحق﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات:١٤م) احتباكان ، **الأول** درس في بابه[٦] ، **والثاني** : في قول الحق ﷻ : ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ "ذكر عدم الإيمان أولًا دليلًا على إثباته ثانيًا ، وذكر توفير الأعمال ثانيًا دليلًا على بخسها أو إحباطها أولًا"[٧] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول الأول (أحبطتم أعمالكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فإن تؤمنوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وأحبطتم أعمالكم ،فإن تؤمنوا وتطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئًا . وسرّه : "أنه نفى أساس الخير أولًا ، ورغَّب في الطاعة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٣٥/١٦ .

(٢) ينظر : روح المعاني٤٦/٢٦ ، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي٤٣/٨،٤٥ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير٤٥/٢٨ .

(٤) ينظر : جامع البيان٤٧/٢٦ بتصرف .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن٣٢٩٠/٢٦ .

(٦) ينظر : ص (٣١٤) من البحث .

(٧) نظم الدرر ٣٨٨/١٨ .

بحفظ ما تعبوا عليه من الأعمال ثانيًا" [١] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترهيب من الكفر الذي يتبعه بخس الأجر وإحباط العمل ، والترغيب في الإيمان الذي ثمرته زيادة الأجر وعلو القدر[٢] ، ويظهر حسن المعنى بعد مراعاة النظر فيما يحتويه السياق العام من تحقق الإرشاد إلى مكارم الأخلاق ، وذلك بحسن التأدب مع الرسول ﷺ ؛ لكونه دليل حسن الإيمان[٣] ، أمّا الخاص فهو أشد اعتلاقًا ؛ لما تحقق فيه من ترسيخ مبدأ علي من مبادئ لزوم الإيمان وهو الإخبار بأن الإيمان ما تمكن في القلب ، ولا يكون إلا بطاعة الرسول ﷺ[٤] . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متحققة في الركنين المذكورين ، الأول : في الإخبار بأن الإقرار باللسان لا يعد إيمانًا ، لذا فلم ﴿يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ ، والثاني : في إبراز ثمرة طاعة الرسول ﷺ ﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ .فمن خلال التقابل يبرز عدد من دقائق المعاني المتمثلة في جملة المعاني الإحسانية ، والتي من أجلِّها : ترسيخ مبدأ الإيمان الحقيقي ؛ ليعلم البشر شرائع الإيمان وحقائق معانيه ؛ فإن أصله القلب والجوارح "فلا يُعد إقرار اللسان إيمانًا إلا بمواطأة القلب"[٥] .

*

كما قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾(النجم٣١،ك) ، احتباك **على تقدير** "خلق الله العالم وجعل التكليف ؛ ليجزي المسيئين بأعمالهم السيئة ويجزي المحسنين بأعمالهم الحسنة أي : بالحسنى، فـــ(الباء) الأولى سببية ذكر بعدها سبب الجزاء وحذف نوعه والثانية للمعاوضة ذكر بعدها نوع الجزاء وحذف سببه والسوءى هي: أسوأ العقوبات وهي : النار ، والحسنى أحسن المثوبات وهي الجنة" [٦] .

---

(١) الموضع السابق .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٨/٣٨٦وما بعدها .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٨/٣٤٩بتصرف .

(٤) ينظر : المرجع السابق١٨/٣٨٧ .

(٥) جامع البيان ٢٦/١٤٣ ، ونظم الدرر١٨/٣٨٧ .

(٦) روائع الإعجاز في القصص القرآني -دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز ، تأليف : محمود السيد حسن ، (الإسكندرية ، المكتب الجامعي ، الطبعة : بدون ، ١٤٠٢هـــ-١٩٨٢م)، ص٣١٥ .

وفيه نظر ؛ **لعدم تعادل المذكور والمحذوف من كل طرف** ؛ حيثُ احتوى النص القرآني على مذكور هو :﴿ بِٱلۡحُسۡنَى ﴾ مقابل المحذوف المقدر هو :(السوءى) –أي : بأعمالهم السيئة– . أمّا قوله : "**ليجزي المسيئين... ويجزي المحسنين** » فمتحقق معناه في ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ...وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ﴾ ؛ لذا انتفى القول بالحذف على طريقة الاحتباك .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(الملك:٢٨،ك) ، قيل إن فيه احتباكًا "ذكر الإهلاك أولًا دليلًا على النجاة ثانيًا ، والرحمة ثانيًا دليلًا على الغضب أولًا "[(١)] ، فالمحذوف من الطرف الأول (غضبه) ؛ لدلالة ذكر ﴿رَحِمَنَا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أنجانا) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَهۡلَكَنِيَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن أهلكني الله ومن معي بغضبه علينا ، أو رحمنا كما نرجو فأنجانا .

وفي هذا نظر ؛ لكون المعنى المراد " إن أهلكني الله كما تريدون ، أو رحمنا بالنصر عليكم ، فمن يحميكم من العذاب الذي سببه كفركم؟ ولما قال : أو رحمنا ، قال : هو الرحمن ، **ثم ذكر ما به النجاة وهو الإيمان والتفويض إلى الله تعالى** ... ولما ذكر العذاب ، وهو مطلق ، ذكر فقد ما به حياة النفوس وهو الماء ، وهو عذاب مخصوص "[(٢)] ؛ لذا فالمقصود من القول بالحذف متحقق من غير حاجة إليه .

وفي موضع آخر أسهم الاحتباك في إبراز شدة عذاب أهل النار وحسن نعيم أهل الجنة ترغيبًا وترهيبًا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ .إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ .فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴾(المدثر:٣٨-٤٠،ك) ، ففيه احتباك "أثبت أولًا الارتهان دليلًا على حذف ضده ثانيًا ، وأثبت ثانيًا الجنة دليلًا على حذف ضدها أولًا"[(٣)] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (في النار) ؛ لدلالة ذكر ﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا يرتهنون) ؛ لدلالة

---

(١) نظم الدرر ٢٦٨/٢٠ .

(٢) البحر المحيط ٢٩٨/٨ .

(٣) نظم الدرر ٧٢/٢١ .

ذكر ﴿رَهِينَةٌ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : كل نفس بما كسبت رهينة فهي في النار ، إلا أصحاب اليمين فإنهم لم يرتهنوا بأعمالهم في الجنات .

وسرّه أنه ذكر المؤلم الشديد أولًا ؛ لأنه أشد ضيقًا ؛ لبيان عِظَمِ بشاعته ، ثم ذكر الراحة العظمى ثانيًا ؛ لأنها أعظم اتساعًا ؛ حثًّا وأملاً للفوز بها .

فصورة الاحتباك في هذه الآية أسهمت في إبراز خاصية الترغيب في الثواب والترهيب من العذاب في سياق إثبات البعث وتقريره في نفوس المكذبين ؛ لما فيه من النذارة لأصحاب الخسارة ، وهذا هو المقصد الأعظم الذي قامت عليه السورة [١] ، والخاص بما فيه من تحقق الثواب لأهل الطاعة ، والعذاب لأهل المعصية . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد قائمة في المعاني الجوهرية الساعية إلى تقرير حقيقة أن "كل نفس ذكر أو أنثى بما كسبت خاصة ، لا بما كسب غيرها مرتهنة "[٢] ، وهذا متحقق في الركنين المذكورين ، الأول في ذكر حال الكافرين ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ، والثاني في ذكر جزاء أصحاب اليمين ﴿فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ ، فبهما تحقق أصل المراد وهو هلاك الكافرين ، ونجاة المؤمنين ، فالمؤمنون تحيزوا إلى الله فائتمروا بأوامره وانتهوا بنواهيه ؛ لذا لم يرتهنوا بأعمالهم ، بل رحمهم ربهم فتقبل حسناتهم وتجاوز عن سيئاتهم . والكافرون في النار محبوسون فيها نتيجة كفرهم [٣] ، وفي إعلام البشر بأن كل نفس مرتهنة بكسبها ، مأخوذة بعملها تذكير نبيل ينفع المؤمنين ويوجههم إلى المسارعة في فعل الخيرات . وفي تبصر دلالة الاستثناء بـــ ﴿إِلَّآ﴾ في ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ دلالة جليلة تكشف عن عظيم الفضل ومنتهى الإحسان لأهل الإيمان ، كما أن إيثار (الهاء) في ﴿رَهِينَةٌ﴾ إشارة إلى ما ينال أهل الكفر من شدة العذاب ، فهي موثقة إيثاقًا بليغًا ، محبوسة حبسًا عظيمًا في النار[٤] .

*

ويقول تعالى : ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾(الإنسان:٣١،م) ، ففي قول

---

(١) ينظر : المرجع السابق٢١/٣٩ .

(٢) المرجع السابق ٢١/٧٠ وما بعدها .

(٣) ينظر : الموضع السابق .

(٤) ينظر : المرجع السابق٢١/٧١ .

الحق ﷻ : ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ احتباك "ذكر الإدخال والرحمة أولًا دلالة على الضد ثانيًا ، والعذاب ثانيًا دلالة على الثواب أولًا " [١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (يعد له ثوابًا جسيمًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (يدخلهم في نقمته) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يدخل من يشاء في رحمته ، ويعد له ثوابًا جسيمًا ، والظالمين يدخلهم في نقمته وأعد لهم عذابًا أليمًا .

وسرّ "ذلك أن ما ذكره أولى بترغيب أهل العدل فيه ، وإن ساءت حالهم في الدنيا ، وبترهيب أهل الظلم منه ، وإن حسنت حالهم في الدنيا ، فقد رجع هذا الآخر المفصل إلى السعادة والشقاوة على أولها ، المؤذن بأن الإنسان معتنى به غاية الاعتناء ، وأنه ما خُلق إلا للابتلاء ، فهو إما كافر مغضوب عليه ، وإما شاكر منظور بعين الرضا إليه" [٢] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترغيب في ذكر ثواب أهل الإيمان نتيجة صلاح أعمالهم ، والترهيب في ذكر عذاب أهل الكفر نتيجة سوء أعمالهم ، فيتحقق جمال المراد بعد النظر في السياق العام الساعي لإبراز خاصيتي الترغيب بتنعيم المطيع في الجنات ، والترهيب من تعذيب العاصي في النيران [٣] ، وهذا متحقق في السياق الخاص المتضمن إثبات نعيم أهل السعادة وعذاب أهل الشقاء [٤] . فأصل المراد متمثل في الركنين المذكورين ، الأول : في ذكر حسن ثواب أهل الإيمان ولطف الله بهم ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ والثاني : في ذكر قبح عذاب أهل الكفر وعدل الله فيهم ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ . فتحقق ما لأهل الهدى والطاعة من النعيم ، وما لأهل الكفر والمعصية من العذاب[٥] ؛ لهذا فالقول بالاحتباك له أثر في إنماء الإيمان ، وإبطال الكفر ، فهو يدعو إلى امتثال الطاعة والإيمان ، فالله يدخل من يشاء في رحمته بحكمته ، فييسر له اتخاذ

---

(١) نظم الدرر ١٦٣/٢١ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٢٠/٢١ .

(٤) ينظر : المرجع السابق١٦٢/٢١بتصرف .

(٥) ينظر : روح المعاني٢١٣/٢٨بتصرف .

السبيل الموصل إليه بأن يوفقه للعدل ، ويعد له ثوابًا جسيمًا ، ويدخل الظالمين في نقمته ، وقد أعد لهم إعدادًا ، أمضاه بعظمته لا يزاد فيه ولا ينقص أبدًا ، عذابًا أليمًا[١] ، فثبت أن نيل الرحمة وحسن الثواب عماده التوبة من الضلال حتى الممات ، وإحلال العذاب المؤلم الموجع سببه المكوث في الكفر والموت عليه [٢] . فإعلام البشر بهذا نعمة عظيمة يدركون بها أن فعل الله في خلقه –من إحاطة الثواب والعذاب بهم– جارٍ بحسب مقتضيات الحكمة الإلهية الشريفة[٣] . فأسهم الاحتباك من خلال الكشف عن أوجه التقابل بين ذكر النعيم والعذاب في جعل النعيم محل ترغيب للعقول الواعية التي تدرك عظيم فضله ومنتهى كرمه فتلجا إلى العبادة ، والعذاب محل ترهيب للعقول الغافلة به يخلص وَجَعُه إلى قلوبهم فيتنبهوا لشدة مآلهم فيرجعوا إلى طلب الهداية[٤] .

*

–القول بشبه الاحتباك:

يقول تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٌ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ . وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(آل عمران:١٠٤–١٠٥م) ، ففي قول الحق ﷻ :﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ... وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ شبه احتباك "إثبات (المفلحون) أولًا يدل على (الخاسرون) ثانيًا ، و(العذاب العظيم) ، ثانيًا يدل على (النعيم المقيم) ، أولًا" [٥] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (لهم نعيم مقيم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وهم الخاسرون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ... يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولهم نعيم مقيم وأولئك هم المفلحون ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات فأولئك هم الخاسرون ولهم عذاب

---

(١) ينظر : الموضع السابق .

(٢) ينظر : جامع البيان ٢٢٧/٢٩ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير٤١٦/٢٩ .

(٤) ينظر : لطائف الإشارات٢٣٧/٦بتصرف .

(٥) نظم الدرر ٢١/٥ .

عظيم .
وسرّه أنّه ذكر أعلى أحوال الكمال تنبيهًا لشرفهم ، وترغيبًا في جميل صنيعهم ، وأنكأ ما يؤل إليه الخاسرون ترهيبًا لشناعة فعلهم .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترغيب والترهيب حثًّا للنفوس على مراعاة العمل بأمر الله ونهيه ، والذي يهدي إليه السياق يعضد من شأن الحذف ؛ لما تحقق في العام من إثبات أصول العقيدة الواجبة مراعاتها ؛ لدلالتها على كمال التوحيد ، أمّا الخاص فتحققت فيه الدعوة إلى هداية الغير بالاجتماع على الخير والسعي إليه بالوعظ والتذكير ، والنهي عن التفرق والاختلاف وارتكاب المعاصي [1] . فثبت بالحذف إعلام البشر عامة أن امتثال الأوامر والنواهي يقتضي الارتقاء بالنفوس في تعلم وتعليم مبادئ الإسلام ، والعمل بها سمة أهل الإسلام والإيمان والإحسان ، وهذا من أبرز محاسن الحذف ؛ لأنه يُعظم في النفوس حب امتثال الأوامر والنواهي ، فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في الركنين الجوهرين ، الأول : في الترغيب في الفوز بالفلاح في ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ؛ لما هم عليه من العمل بموجب الأمر الجليل الساعي لجعل القلوب كالجسد الواحد في الاجتماع على فعل الخيرات [2] ، والثاني : في الترهيب من شدة العذاب في ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ؛ لما هم عليه من مخالفة الأمر الإلهي والعمل بضده فأصبحوا متفرقين مختلفين . وفي القول بالحذف لطائف عِظام تدعو في المقام الأول إلى إعلاء شأن العمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرصًا على قيام الدين أولًا ، ثم العمل بموجب الأمر الإلهي الكريم الساعي إلى وحدة الصف واجتماع الكلمة ثانيًا ، وهذا من أهم مبادئ الحفاظ على الدين "فمنهج الله في الأرض ليس مجرد وعظ وإرشاد وبيان ، فهذا شطر . أما الشطر الآخر فهو القيام بسلطة الأمر والنهي على تحقيق المعروف ونفي المنكر من الحياة البشرية"[3] . كما أن في الحذف تنبيهًا جليلاً يدعو إلى ملازمة ما فعله الرسول ﷺ ومن معه من أصحابه – عليهم الرضوان– من أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وفي إعلام البشر بملازمة ذلك

---

(١) ينظر : المرجع السابق٥/١٨وما بعدها بتصرف .

(٢) ينظر : المرجع السابق٥/١٩ .

(٣) في ظلال القرآن ٤/٤٤٤ .

ذكرى تنفع المؤمنين وتعلي شأنهم [١] ففيه تبشير عظيم ، ووعد كريم لمن اتصف بصفاتهم وعمل بفعلهم[٢] ، ووعيد وتهديد لمن خرج عنهم[٣] . وللحذف أثر جليل في تثقيف النفوس وتطهيرها من الأحقاد والأضغان والأنكاد التي هي مفاتيح الشر الداعية إلى الكفر والموجبة العذاب ، ويرشدها إلى الائتلاف والاجتماع اللذان هما مفتاح الخير ، وأساس التوحيد .

*

ويبرز التقابل حسن ثواب أهل الطاعة وقبح عذاب أهل المعصية ترغيبًا وترهيبًا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هود:٤٨،ك) . ففيه موضعان للقول بالحذف ، **الأول** : في قول الحق ﷻ : ﴿ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ففي ذكر البركات والسلام أولًا دليل على نفيهما ثانيًا ، والمتاع ثانيًا دليل على حذفه أولًا [٤] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (لا نمتعهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا بركات عليهم منا ولا سلام) ؛ لدلالة ذكر ﴿بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك ، لا نمتعهم بالدنيا إلا قليلًا ، ولهم إذا رجعوا إلينا نعيم مقيم . وأمم سنمتعهم في الدنيا ولا بركات عليهم منا ولا سلام ، ثم يمسهم منا عذاب أليم .

فلو قيل : لو ذكر البركات والسلام أولًا دليلًا على نفيهما ثانيًا ، والعذاب الأليم ثانيًا دليلًا على حذفه أولًا لكان أدق ؛ لانتظامه مع نسق تركيب النظم أولًا ، ولجمال صورة الاحتباك ثانيًا ، ولاتفاق المقصود منه في القولين ثالثًا . وسرُّه أنه ذكر أفضل ما يكون للمستجيبين لأمره ترغيبًا في الإقبال على الحق ، وأنكأ ما للمعرضين ترهيبًا من سوء الصنيع .

---

(١) ينظر : نظم الدرر٥/١٩ .

(٢) ينظر : البحر المحيط٣/٢٤ .

(٣) ينظر : تفسير البيضاوي٢/٧٦ .

(٤) ينظر : نظم الدرر٩/٢٩٦وما بعدها .

فالنمط التركيبي لصورة الاحتباك – كما في التأويل الثاني – أسهم في إبراز خاصية الثواب المقيم الذي أعده الله لسيدنا نوح عليه السلام ولمن آمن معه –فحلّ لهم من الله الأمن والبركات ، وسبقت لهم منه السعادة ، وبارك عليهم قبل أن يخلقهم في بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم– ، وما أعده لأهل الشقاء من ذريته عليه السلام –فسيمتعهم الله في الحياة الدنيا إلى أن يبلغوا آجالهم ، ثم يذيقهم عذابًا مؤلمًا موجعًا–[١] . فالأنفع للسياق والأولى لما يقتضيه المقام حمل النظم على الحذف ؛ لما يحققه من معان عِظَام تبرز المقصد الأعظم المتضمن بيان "أحكام البشارة والنذارة بالعاجل والآجل "[٢] ، أمّا السياق الخاص فهو أشد بيانًا للقول بالحذف ؛ لما تحقق فيه من ذكر فضل الله لأهل الطاعة الذين آمنوا بنوح عليه السلام ، وعذابه لأهل المعصية الذين كفروا بنوح عليه السلام ترغيبًا وترهيبًا . فأصل المراد متحقق في الركنين الجوهرين ، الأول : في إحلال السلام والبركات الموجبة النجاة من الهلاك ، والثاني في ذكر ما أعده لأهل المعصية من العذاب الأليم ؛ لجريهم على غير هدى ، ولجرأتهم على مخالفة أمر الله[٣] . وفي تبصر دلالة الخطاب إشارات عليّة تبرز عظيم القدرة الإلهية ؛ لذا بني الفعل ﴿قِيلَ﴾ للمفعول دلالة على العظمة والجلال التي تكون لأجله الأمور العظيمة بأدنى إشارة[٤] ، ومن أبرز جواهر المعاني التي يحققها القول بالحذف الدعوة إلى المحافظة على الإيمان ؛ لينال بنو الإنسان شرف سعادته في الدارين ، و في إعلام البشر بما هو غيب عنهم نعمة عليّة ترشدهم إلى دلائل وحدانية الله ، وتعلمهم لزوم العلم ونبذ الجهل ، فإن في العلم نورًا للأبصار والبصائر ، وفي الجهل طمسًا للعقول والأفهام . كما أسهم الحذف في إحداث علائق ربط جديدة بها تحقق أن في لزوم الإيمان والدعوة إليه آمنًا وسلامًا واطمئنانًا بها تحصل البشرى والنجاة لكل من آمن إلى يوم القيامة [٥] ، وفي لزوم الكفر والدعوة إليه خوف ورعب بهما يحصل العذاب لكل من كفر إلى يوم القيامة[٦] .

---

(١) ينظر : جامع البيان١٢/٥٥ .

(٢) نظم الدرر ٩/٢٢٤ .

(٣) ينظر : المرجع السابق٩/٢٩٦وما بعدها .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٢/٥٥وما بعدها بتصرف ، ونظم الدرر٩/٢٩٦ .

(٦) ينظر : الموضع السابق .

أمّا الموضع **الثاني** ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ﴾ ، والتقدير : "بسلام منا عليك ، وبركات منا عليك"[1] ، فالمحذوف من الطرف الأول (عليك) ؛ لدلالة ذكر ﴿عَلَيۡكَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (منا) ؛ لدلالة ذكر ﴿مِّنَّا﴾ في الطرف الأول .

فصورة الاحتباك السابقة أدق وأشمل من حيثُ إبانة الغرض المقصود ؛ لذا فالأنسب للنظم الاقتصار على الموضع الأول.

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا . وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا﴾ (مريم:٨٥-٨٦،ك) ، شبه احتباك . "ذكر الرحمن أولًا دليلًا على المنتقم ثانيًا ، وجهنم ثانيًا دليلًا على حذف الجنة أولًا " [2] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الجنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿جَهَنَّمَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (المنتقم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يوم نحشر المتقين إلى الرحمن فيدخلهم الجنة وفدًا ، ونسوق المجرمين إلى جهنم بسطوة المنتقم وردًا .

وسرُّه أنه ذكر أيسر ما للمتقين ترغيبًا في نيل رحمته ، وأنكأ ما للمجرمين ترهيبًا من النار .

فصورة الحذف أسهمت في إبراز شمول رحمة الله لأهل التقوى لحسن إيمانهم ، وشدة عذاب أهل الكفر لقبح كفرانهم ، في سياق ذكر شمول الرحمة المستلزم شمول القدرة الموجبة البعث والتنزيه عن الولد[3] وهذا هو المقصد الأعظم الذي قامت عليه السورة ، أمّا الخاص فهو أشد اعتلاقًا لبيان وجه الحذف ؛ لما تحقق فيه من إكرام الأولياء وإهانة الأعداء [4] .

فأصل المراد متحقق في الركنين الجوهرين ، الأول في ذكر ﴿إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ ، والثاني في ذكر ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ فتحقق إثبات ما لأهل الإيمان من الرحمة ، وما لأهل الكفر من النار ، فحمل النظم على الحذف أسهم في إبراز أوجه التقابل بين المعاني لإيضاح حالة النعيم المقيم المعد

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوي ١٠٤/٥ .

(٢) نظم الدرر ٢٤٧/١٢وما بعدها .

(٣) ينظر : المرجع السابق١٥٦/١٢ .

(٤) ينظر : المرجع السابق٢٤٧/١٢ .

لأهل الإيمان ، فهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها ، رحالها الذهب وزمامها الزبرجد يركبونها حتى يقرعوا باب الجنة [(١)] ، وحالة العذاب الأليم المعد لأهل الكفر ، فهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف إلى جهنم عطاشًا [(٢)] ، فمفاتيح كسب النعيم مخافة الله ﷻ واتباع رسله (عليهم الصلاة والسلام) في أمرهم ونهيهم ، والإعراض والكفر والتكذيب من أعظم أسباب الحشر إلى جهنم [(٣)] . فشبه الاحتباك أسهم بأثر بارز في توجيه البشرية إلى ما يوجب الأُنْس والبِشْرَ حثًّا على العمل بطاعة الرسل واتباعهم ، فإن في ذلك انشراحًا للنفس ومسرة للقلب برؤية النعيم ثم الخلود فيه .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ إلى ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ (ص: ٤٩-٥٥،ك) شبه احتباك [(٤)] ، فالمحذوف من الطرف الأول (خير) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَشَرَّ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (قبح) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَحُسْنَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "إن للمتقين لخير مآب وحسن مآب ، وإن للطاغين لقبح مآب وشرّ مآب" [(٥)] . وسرُّه أنه ذكر أحسن ما يؤول إليه المتقون ، وأنكأ ما يؤل إليه الطاغون .

فالحذف أبرز ثواب المتقين وعقاب الطاغين ترغيبًا وترهيبًا ، ويظهر حسن المراد بعد مراعاة المقصد الأعظم الذي قامت عليه السورة بكليتها ، وهو إعلام البشر أن جند الله هم الغالبون وإن تأخر نصرهم [(٦)] ، والخاص بما فيه من " ذكر النعيم لأهل الطاعة والعذاب لأهل المعصية" [(٧)] ، فتحقق بأصل النظم أن للمتقين الذين اتقوا الله فخافوه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، لحسنَ مَرْجع يرجعون إليه في الآخرة ، وللطاغين الذين تمرّدوا على ربهم

---

(١) ينظر : جامع البيان١٦/١٢٦ .

(٢) ينظر : جامع البيان١٦/١٢٧ ، الكشاف٢/٥٢٤ .

(٣) ينظر : جامع البيان١٦/١٢٦ وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : حاشية الشهاب على البيضاوي٧/٣١٦ .

(٥) الموضع السابق .

(٦) ينظر : نظم الدرر١٦/٣٢١ .

(٧) المرجع السابق ١٦/٤٠٣ .

فعصوا أمره مع إحسانه إليهم ، لشرّ مرجع يصيرون إليه في الآخرة[١] .

ويذهب بعض أهل العلم إلى بُعد هذا الوجه ، " وظاهر المقابلة يقتضي أن يقال : لقبح مآب هنا أو لخير مآب فيما مضى ، لكن مثله لا يلتفت إليه إذا تقابلت المعاني ؛ لأنه من تكلف الصنعة البديعية ... واستحسنه الخفاجي وفيه نوع بُعد " [٢] . فالقول بالحذف وجه من وجوه فهم المعنى لا يتعارض مع مقصد القرآن بل حقق للنظم معاني ، من أبرزها : إيثار عزائم أهل الإيمان ؛ لإبعادهم عن الوقوع في المعاصي أولًا ، ولدفعهم إلى الارتقاء في الإيمان بفعل الطاعات ثانيًا ، كما حقق نوعًا لطيفًا من الإيجاز الدال على دقة القرآن في بيان معانيه ثالثًا .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ . وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (الزمر: ٣٢- ٣٣،ك) ، موضعان للحذف ، الموضع **الأول** . في قول الحق ﷻ : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ . وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ ففيه شبه احتباك "ذكر المثوى في جهنم دليلًا على حذف ضده ثانيًا ، والاتقاء ثانيًا دليلًا على حذف ضده أولًا "[٣] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (ليسوا بمتقين وهم الكافرون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أليس في الجنة مترل للمتقين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أليس في جهنم مثوىً للكافرين ؛ لأنهم ليسوا بمتقين ، والذي جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون ، أليس في الجنة مترل للمتقين .

وسرّه أنه ذكر "أنكأ ما للمجرم من الكفر وسوء الجزاء . وأسرّ ما للمسلم من قصر التقوى عليه"[٤] .

---

(١) ينظر : جامع البيان١٧٣/٢٣وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ٢١٤/٢٣ .

(٣) نظم الدرر ٥٠٥/١٦وما بعدها .

(٤) الموضع السابق .

فصورة الحذف أبرزت خاصيتي الترهيب من قبح جزاء الكافرين ، والترغيب في حسن جزاء المتقين ، فالقول بالحذف جاء في سياق يدعو إلى إثبات صدق الدلائل الدالة على تحقق صدق الوعد بوقوع الجزاء لأهل النار عدلًا منه ﷻ وفضلًا على المتقين من عباده[1] ، وهذا ما كشفه السياق العام ، فتحقق بالحذف أن في النار مسكنًا لمن جحد التوحيد وكذب الرسول ﷺ ، وهم بذلك الصنيع كافرون ، وفي الجنة مترلًا لمن عمل بالتوحيد وصدق الرسول ﷺ ، وهم بذلك متقون[2] ، " وتقريره أن التوحيد والشرك ضدان ، وكلما كان أحد الضدين أشرف وأكمل كان الضد الثاني أخس وأرذل ، ولما كان التوحيد أشرف الأسماء كان الشرك أخس الأشياء ، والآتي بأحد الضدين يكون تاركًا للضد الثاني ، فالآتي بالتوحيد الذي هو أفضل الأشياء يكون تاركًا للشرك الذي هو أخس الأشياء وأرذلها " [3] . كما تحقق بالحذف نوع لطيف من الدقة المتناهي ة في الإيجاز . أمّا الموضع **الثاني** درس في بابه[4] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (غافر٨-٩،ك) ، شبه احتباك ؛ حيثُ " ذكر إدخال الجنات أولًا دليلًا على حذف النجاة من النار ثانيًا ، ووقاية السيئات ثانيًا دليلًا على التوفيق للصالحات أولًا" [5] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول(الصالحات) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف(نجيته من النار) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ ﴾ في الطرف الأول. وتقديره: ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم، لأجل التوفيق للصالحات، وقهم السيئات، ومن تَقِ السيئات يومئذ فقد رحمته ونجّيته من النار باجتناب السيئات

---

(١) ينظر : المرجع السابق١٦/٤٣٦ .

(٢) ينظر : جامع البيان٢٤/٤وما بعدها بتصرف .

(٣) التفسير الكبير ٢٦/٢٤٣ .

(٤) ينظر : ص(٤٦٦) من البحث.

(٥) نظم الدرر ١٧/١٦وما بعدها .

"وسرُّ ذلك التشويق إلى المحبوب -وهو الجنات- وإلى عمل المحبوب -وهو الصالح- ، والتنفير من النيران باجتناب الممقوت من الأعمال ، وهو السيئ ، فذكر المسبب أولًا ، وحذف السبب ؛ لأنه لا سبب في الحقيقة إلا الرحمة ، وذكر السبب ثانيًا في إدخال النار وحذف المسبب" (١) . فالقول بالحذف يسعى في المقام الأول إلى إبراز خاصيتي الترغيب في العمل الصالح والترهيب من العمل السيئ ؛ لأجل الدخول في الجنة والنجاة من النار .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (غافر:٤٠،ك) ، شبه احتباك "ذكر المساواة أولًا عدلاً يدل على المضاعفة ثانيًا فضلًا ، وذكر إدخال الجنة ثانيًا يدل على إدخال النار أولًا"(٢) ، فالمحذوف من الطرف الأول (يدخل النار) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يضاعف لهم أعمالهم فضلًا) ؛ لدلالة ذكر﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها عدلاً لا يُزاد عليها ، ويدخل النار ، ومن عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ، بعد أن ضاعف لهم أعمالهم فضلًا . وسرّه أنه "ذكر فضله في كل من الشقين" (٣) ؛ ترغيبًا في صالح الأعمال وترهيبًا من سيئها ، فإن من لقي الله مؤمنًا لا يشرك به شيئًا دخل الجنة ، ومن لقي الله كافرًا قد أشرك معه غيره دخل النار(٤) .

فالنمط التركيبي لصورة الحذف أسهم في إبراز عظيم الفضل وحلاوة النعيم لمن فاز بالأعمال الصالحة ، وحكمة العدل ومرارة العقاب لمن لها في الأعمال السيئة ؛ بغية تحريك الهمم إلى حسن الاتعاظ ، والإعراض عن دار الأنكاد والأمراض ، والإقبال على دار الجلال والجمال ، فتحقق بالحذف الإرشاد إلى التمسك بمحاسن الأعمال وترك السيئ من الخلال(٥) ، لهذا فالقول بالحذف علي أسهم في إنماء الجانب الإيماني من خلال الدعوة إلى

---

(١) المرجع السابق ١٦/١٧وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ٧٥/١٧ .

(٣) الموضع السابق .

(٤) ينظر : جامع البيان٦٧/٢٤وما بعدها بتصرف .

(٥) ينظر : نظم الدرر٧٣/١٧ .

الترقي فيه . فبالنظر فيما يحتويه السياق العام والخاص يبرز حسن الحذف ؛ لما تحقق في العام من تصنيف الناس في الآخرة صنفين ، وتوفية كل ما يستحقه على سبيل العدل [(١)] ، أمّا الخاص فتحقق فيه الحث على التقوى بفعل الطاعات والبعد عن المعاصي . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تمثلت في الركنين الجوهرين ، الأول : في الإعلام بأن من عمل بمعصية الله في الدنيا لا يجزيه الله في الآخرة إلا سيئة مثلها ، وهذا جزء من العقاب[(٢)] ؛ لأن في عمله السيئة معصية لله يُوجب العقاب[(٣)] ، والثاني : في أن الذين يعملون الصالحات من عباد الله يدخلون الجنة في الآخرة ، وهذا محل الثواب [(٤)] ؛ لأن في عملهم الحسنات طاعة لله بها يحصل النعيم[(٥)] ، فتحقق بالركنين المذكورين إبراز الجزاء ترغيبًا وترهيبًا ، ومن أبرز محاسن الحذف الحذف إظهار عِظم الفرق في الجزاء على الأعمال من خلال المقابلة بين حسن الثواب لأهل الإيمان نتيجة عملهم الصالحات -في الدنيا- ، وقبح الجزاء لأهل الكفر نتيجة عملهم السيئات -في الدنيا- ، ففي الأول جزاءٌ جزيلٌ وثوابٌ كبيرٌ ، بدايته مضاعفة الأجور ونهايته الخلود في الجنة ، وفي الثانية جزاء موافق للأعمال لا يعتريه النقص أبدًا ، بدايته إحلال أعظم العقوبات ونهايته الخلود في النار[(٦)] . ففي إعلام البشر بهذا نعمة جليلة ترشد إلى فضل الرب الرب عليهم ؛ ليرتقوا في مقام القرب منه ، فإن جانب رحمته غالب على جانب العقاب[(٧)] . العقاب[(٧)] . " فقد اقتضى فضل الله أن تضاعف الحسنات ولا تضاعف السيئات ، رحمة من من الله بعباده ، وتقديرًا لضعفهم ، وللجواذب والموانع لهم في طريق الخير والاستقامة ، فضاعف لهم الحسنات ، وجعلها كفارة للسيئات . فإذا هم وصلوا إلى الجنة بعد الحساب ، رزقهم الله فيها بغير حساب" [(٨)] .

*

---

(١) ينظر : المرجع السابق١/١٧ .

(٢) ينظر : جامع البيان٦٧/٢٤ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٣١٧/١٥بتصرف .

(٤) ينظر : جامع البيان٦٧/٢٤ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٣١٧/١٥بتصرف .

(٦) ينظر : الموضع السابق .

(٧) ينظر : التفسير الكبير٦٠/٢٧ .

(٨) في ظلال القرآن ٣٠٨٣/٢٤ .

وفي قول الحق ﷻ : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (الشورى:٨،ك) ، شبه احتباك "ذكر الرحمة أولًا دليلًا على اللعنة ثانيًا ، والظلم وما معه ثانيًا دليلًا على أضداده أولًا"[١] ، فالمحذوف من الطرف الأول (المقسطون) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لعنته) ؛ لدلالة ذكر ﴿رَحْمَتِهِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ، ولكن يدخل من يشاء في رحمته ، وهم المقسطون ، والظالمون فيدخلهم في لعنته . "وسرّه أنه ذكر السبب الحقيقي في أهل السعادة ليحملهم على مزيد الشكر ، والسبب الظاهري في أهل الشقاوة لينهاهم عن الكفر" [٢] .

فالنمط التركيبي أسهم في إبراز فضل الله على المقسطين أهل الطاعة والتوحيد ، وأبان عن نقمته للظالمين أهل المعصية والكفر ترغيبًا وترهيبًا ، ففي تبصر دلالة السياق العام إشارة عظمى ترشد إلى علو القول بالحذف ؛ لما تحقق فيه من الدعوة إلى الاجتماع على الدين الذي أساسه الإيمان [٣] ، أمّا الخاص فهو ذو أثر بالغ في بيان وجه الحذف ؛ لما احتواه من الإبانة عن جزاء أهل الطاعات لرفعة درجاهم ، وأهل المعاصي لدنو دركاهم[٤] ، فهو لذلك لذلك علي يوجب الترقي في درجات الإيمان ، فتحقق بالمعاني الجوهرية ذكر فضله بالتوفيق والهداية لمن اتبع الرسل وعمل بالدين أن يدخله في رحمته[٥] ، وهذا متمثل في الركن الأول ، الأول ، أمّا الثاني : فتضمن ذكر أن الظالمين ليس لهم ولي يتولاهم برحمته ، ولا نصير ينصرهم من العذاب [٦] ، فثبت أن التوفيق لحسن الصنيع مستلزم حسن الثواب ، وسوءه مستلزم قبح العقاب ، ومن أبرز دقائق المعاني التي يحققها الحذف إبراز أوجه التقابل بين المعاني ليتحقق للنظم مزيد دقة وإيجاز في بيان المراد ، فالله يرسل برحمته إلى البشر –عامة– من ينذرهم شدة العذاب ، فيتأثر بعضهم بالإنذار فيصرفون اختيارهم إلى الحق فيوفقهم الله

---

(١) نظم الدرر ٢٥٣/١٧ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) ينظر : المرجع السابق٢٣٠/١٧ .

(٤) ينظر : المرجع السابق٢٥١/١٧وما بعدها بتصرف .

(٥) ينظر : جامع البيان١٠/٢٥ .

(٦) ينظر : الموضع السابق .

للإيمان والطاعات ويدخلهم في رحمته ، ولا يتأثر به الآخرون ويتمادون في غيهم وهم الظالمون فيبقون في الدنيا على ما هم عليه من الكفر ، ويصيرون في الآخرة إلى السعير من غير ولي يلي أمرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب[1] .

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ هَٰذَا هُدًى ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾(الجاثية:١١،ك) ، شبه احتباك "ذكر الهدى أولًا دليلًا على الضلال ثانيًا ، والكفر والعذاب ثانيًا دليلًا على ضدهما أولًا" [2] ، فالمحذوف من الطرف الأول (الذين اهتدوا وآمنوا لهم نعيم مقيم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ضلوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿هُدًى﴾ في الطرف الأول . وتقديره : هذا هدى ، فالذين اهتدوا بآيات ربهم فآمنوا لهم نعيم مقيم ، والذين كفروا بآيات ربهم فضلوا لهم عذاب من رجز أليم .

ولو **قيل** : الهدى دليلٌ على الضلال ، والعذاب دليلٌ على النعيم ؛ لكان أولى لتحقق شرطي التقابل والنسبة على التقدير السابق . وسرُّه : "أنه ذكر السبب المسعد ترغيبًا فيه ، والمشقي ترهيبًا منه" [3] .

فصورة الحذف أسهمت في إبراز وجه التقابل بين (الهدى) وضده (الضلال) ، وبين (النعيم) وضده (العذاب) ؛ ترغيبًا في قبول الحق المترتب عليه معرفة الضلال للبعد عنه ، وترهيبًا من الإعراض عنه . ومن أبرز المعاني التي يحققها الحذف الدعوة إلى استخدام العقل في إمعان التأمل والتدبر في آيات الله ليصل المرء إلى الإيمان الحق الذي يوصله إلى تمام المعرفة بالخالق ، فتحقق أن القرآن الكريم هاد للناس ، فمن آمن به فقد اهتدى ، ومن كفر به فله العذاب ؛ لأنه حَرَمَ نفسه من الهدى ، فكان في الضلال[4] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ . وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾(التكوير:١٢-١٣،ك) ، شبه احتباك "ذكر

---

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم٢٣/٨ .

(٢) نظم الدرر ٧٤/١٨ .

(٣) الموضع السابق .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير٣٩٠/٢٥بتصرف .

التسعير أولًا دال على ضده في الجنة ثانيًا ، وذكر التقريب ثانيًا دال على مثله أولًا "[1] ، فالمحذوف من الطرف الأول (قربت) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أُزْلِفَتْ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (نعمت) ؛ لدلالة ذكر ﴿ سُعِّرَتْ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وإذا الجحيم سعرت وقربت من الكافرين ، وإذا الجنة أزلفت ونعمت ببرد العيش للمؤمنين . وسرُّه أنه ذكر أنكأ ما للكافرين من العذاب ، وأيسر ما للمؤمنين من الثواب .

فالنمط التركيبي لصورة الحذف أسهم في إبراز هول الجحيم ترهيبًا من الخوض في الكفر والمكوث فيه، ولذة النعيم ترغيبًا في الدخول في الإيمان والعمل به فالأنفع للسياق القول بالحذف على نسق شبه الاحتباك؛ لما تحقق في السياق العام من إبراز التهديد الشديد بيوم الوعيد لكونه أعظم مقام لظهور الجلال لمن كذب بالقرآن[2] ، أمّا الخاص فتحقق فيه ذكر دار الأعداء البعداء الأشقياء ترهيبًا، ودار الأولياء المقربين السعداء ترغيبًا[3] . فتحقق أن فريقًا في السعير يعذبون وفريقًا في الجنة ينعمون ؛ كما تحقق إعلام البشر بحصول الجزاء لأجل إنماء الجانب الإيماني والترقي فيه بلزوم الطاعات والبعد عن المعاصي فالقول بالحذف أضاف إلى النظم علاقات ربط أسهمت في إعلام البشر بما في الآخرة من هول العذاب وشدته ويسر النعيم وحلاوته فالنار يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم، فيزداد توقدها ولهيبها ووهجها وحرارتها للكافرين في الدنيا والجنة ينعمها رضا الله وطاعات بني آدم فيظهر لأهل الإيمان سهولة مدخلها ويسر ولوجها[4].

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا . وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا . وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ . فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا . وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا . إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴾(الانشقاق:٨-١٣،ك) ، شبه احتباك"ذكر الحساب اليسير الذي هو الثمرة ، والمسبب أولًا يدل على حذف ضده ثانيًا ، وذكر السرور في الأهل الذي هو السبب في الثاني يدل على حذف ضده ، وهو سبب السعادة ، وهو الغم ومحاسبة النفس في الأول "[5] . فالمحذوف من الطرف الأول (مغمومًا) ؛ لدلالة ذكر

---

(١) نظم الدرر ٢٨٣/٢١ .

(٢) ينظر : المرجع السابق٢٧٤/٢١ .

(٣) ينظر : المرجع السابق٢٨٢/٢١ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٧٣/٣٠ ، وفي ظلال القرآن٣٨٤١/٣٠ .

(٥) نظم الدرر ٣٤٤/٢١وما بعدها .

﴿مَسْرُورًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (حسابًا عسيرًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿حِسَابًا يَسِيرًا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا وينقلب إلى أهله مسرورًا ، إنه كان في أهله مشفقًا من العرض على الله مغمومًا ، وأمّا من أوتي كتابه وراء ظهره... إنه كان في أهله مسرورًا ، فهو يحاسب في الآخرة حسابًا عسيرًا .
وسرُّه أنه ذكر أيسر ما لأهل الطاعة وأنكأ ما لأهل المعصية .

فالصورة التركيبية للحذف أسهمت في إبراز حالة النعيم لأصحاب اليمين ؛ لما هم عليه من الدين المرضي ترغيبًا في امتثاله ، وحالة العذاب لأصحاب الشمال ؛ لما هم عليه من الدين الباطل ترهيبًا من الوقوع فيه [1] ، ففي تبصر دلالة السياق إشارة عظمى تُعضد من شأن الحذف ؛ لما تقرر فيه من ذكر حقيقة أن الأولياء ينعمون والأعداء يعذبون ؛ لأنهم لا يقرون بالبعث والعرض على الله [2] ، ففيه إرشاد علي يُوجب أهمية الإيمان بالغيب ، أمّا الخاص فتحقق فيه ذكر حال العبيد عند العرض على ربهم منهم المقبول ومنهم المردود [3] ؛ ترغيبًا في شدة التمسك بالطاعة والمحافظة على الإيمان ، فأصل المراد –وهو تحقق حسن ثواب المؤمن المطيع ، وقبح عقاب الكافر العاصي– متحقق في الركنين المذكورين ، الأول في ذكر ثواب المؤمن في الآخرة فإن حسابه يكون يسيرًا "فلا يناقش فيه ؛ لأنه كان يحاسب نفسه فلا يقع له المخالفة إلا ذهولًا ؛ فلأجل ذلك تعرض أعماله فيقبل حسنها ويعفو عن سيئها"[4] ، والثاني في ذكر حال الكافر في الدنيا " ثابتًا له السرور وبطر المال والجاه فرحًا به مخلدًا إليه" [5] . فحصل أن القول بالحذف ذو أثر فاعل في العناية بالتصعيد الإيماني ؛ إذ أسهم في نشوء جملة من المعاني الإحسانية التي من أبرزها : الدعوة إلى محاسبة النفس بكرة وعشيا حسابًا عسيرًا يلزمها الخوف من الله في دار العمل ، ويبلغها حصول السرور في دار الجزاء[6] ، فهذه سنة الصالحين المتقين ، والأقتداء بهم يُعد أنبل غذاء للروح ؛ لأن منها يتعلم

---

(١) ينظر : المرجع السابق٢١/٣٣٩وما بعدها بتصرف .
(٢) ينظر : المرجع السابق٢١/٣٣٥ .
(٣) ينظر : المرجع السابق٢١/٣٣٩بتصرف .
(٤) المرجع السابق ٢١/٣٤٠ .
(٥) المرجع السابق ٢١/٣٤٤ .
(٦) ينظر : المرجع السابق٢١/٣٤١وما بعدها بتصرف .

يتعلم المرء أساس الحياة الإيمانية [١] "فوصف الله أهل الجنة بالمخافة والحزن والبكاء والشفقة في الدنيا فأعقبهم به النعيم والسرور في الآخرة"[٢] . ففي الحذف تثقيف للنفوس يرشدها إلى ما يحقق لها حسن الثواب من المبادرة بالتوبة ، والتفكر في الآخرة ، والحذر من السرور في دار الحزن[٣] .

*

وفي موضع آخر يبرز الحذف خاصية التقابل بين المعاني ترغيبًا في التوحيد وترهيبًا من الكفر ، وذلك في قول الحق ﷻ :﴿ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ . ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ . قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ . وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾(الأعلى: ١٢-١٥، ك) ففيه شبه احتباك "ذكر أولًا الصلي دليلًا على حذف ضده ثانيًا ، وثانيًا التزكية دليلًا على حذف ضدها أولًا "[٤] . فالمحذوف من الطرف الأول (لم يتزك) ؛ لدلالة ذكر ﴿تَزَكَّىٰ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا يصلى النار الكبرى) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : الذي يصلى النار الكبرى ، ثم لا يموت فيها ولا يحيى ؛ لأنه ما تزكى فلا صدق ولا صلّى ، قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى ، فلا يشقى ، ولا يصلى النار الكبرى . وسرّه أنه ذكر المؤلم المشين الأشد عذابًا والأعظم شقًا ترهيبًا من المكوث في الكفر والموت عليه ، ثم ذكر التزكية ترغيبًا في الرجوع إلى الحق والعمل به ؛ لذا جعلها في امتثال التسبيح، والصلاة ، والزكاة ؛ لكونها أعظم العبادات ، فالصلاة أعظم عبادات البدن ، والزكاة أعظم عبادات المال[٥] .

فالنمط التركيبي لصورة الحذف أسهم في ترسيخ مبدأ ثبوت الجزاء على الأعمال ترغيبًا وترهيبًا ؛ لأجل التخلي عن النقائص التي من أعظمها الشرك ، والتحلي بالكمالات التي من أجلِّها التوحيد . ففي تبصر دلالة السياقين العام والخاص إشارات عظمى تعضد من شأن الحذف ، من أبرزها : أن مقصد السورة قائم على مراعاة حق الله على البشر وهو حسن

---

(١) ينظر : الموضع السابق .

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٧٣/١٩ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٣٤٤/٢١ .

(٤) المرجع السابق٤٠٤/٢١.

(٥) ينظر: المرجع السابق ٤٠٣/٢١ بتصرف .

عبادته ، وتقديسه –سبحانه– عن شوائب النقص[1] ، وهذا ما أبرزته دلالة الأمر في مفتتح السورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ (الأعلى:١، ك) ؛ لتتحقق في النفوس البشرية عبادة الله كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه . ومن أبرز جواهر المعاني الإحسانية التي يحققها الحذف الإرشاد إلى امتثال الأمر واجتناب النهي بالمجاهدة في فعل المقربات التي توصل إليه ، والتي من أعظمها التسبيح والصلاة والزكاة ، فإن في العمل بها تطهيرًا للنفوس من فاسد الاعتقادات ، والأخلاق ، والأقوال ، والأفعال ، والأموال[2] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ . وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ . فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ (القارعة:٧-٩،ك) ، شبه احتباك "ذكر العيشة أولًا دليلًا على حذفها ثانيًا ، وذكر الأم ثانيًا دليلًا على حذفها أولًا" [3] ، فالمحذوف من الطرف الأول (أمه جنة عالية) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (عيشة ساخطة) ؛ لدلالة ذكر ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فهو في عيشة راضية ؛ لأن أمه جنة عالية ، وأمّا من خفت موازينه فأمه هاوية ، وهو في عيشة ساخطة .

وسره أنه ذكر أفضل ما للمؤمنين من النعيم ترغيبًا في الجنة ، وأسوأ ما للكافرين من الجحيم ترهيبًا من النار .

فالعلاقة الرابطة بين المعاني أسهمت في تقرير حسن المصير لأهل الإيمان ترغيبًا ، وسوءه لأهل الكفر ترهيبًا ؛ لأجل الإقبال على العمل بما يُرجح الموازين ويثقلها من الأعمال الصالحة ؛ لذا فالقول بالحذف عليٌ يولد جملة من لطائف المعاني أسهمت في المقام الأول في ترسيخ مبدأ المحافظة على الأعمال باتباع الحق واجتناب الباطل .

*

(١) ينظر: المرجع السابق ٣٨٨/٢١ .

(٢) ينظر: المرجع السابق ٤٠٢/٢١ .

(٣) المرجع السابق ٢٢٣/٢٢وما بعدها .

المبحث السادس : الحث على الإنفاق في وجوه الطاعات ترغيبًا ، والتنفير منه في وجوه المعاصي ترهيبًا .

-القول بالاحتباك:

قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (البقرة:٢٧٦،م) ، احتباك : "ولما جعل المحق بالربا وجُعل الإرباء بالصدقات كانت المقابلة مؤذنة بحذف مقابلين آخرين ، والمعنى : يمحق الله الربا ويعاقب عليه ، ويربي الصدقات ويبارك لصاحبها على طريقة الاحتباك " [(١)] . قال احتباكًا ، والأصل فيه كما عُرِفَ حذف المقابل من كل طرف على أبسط تعريف ، وهو -هنا- جعل الطرف الأول (يمحق الله الربا) مذكورًا ، ومقابله (يربي الصدقات) مذكورًا أيضًا ، وفي الطرف الثاني (يعاقب عليها) محذوف ، ومقابله كذلك محذوف ، وهو : (يبارك لصاحبها) ، فالمذكوران في الطرف الأول يفهمان محذوفين مقدرين في الطرف الثاني ، وهذا ليس احتباكًا ، فالأولى حمل النظم على ظاهره دون تقدير .

*

ومن الآيات القرآنية التي أكدت حسن الإنفاق في وجوه الطاعات قوله تعالى : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران:٩٢،م) ، ففيه احتباك[(٢)] ، المحذوف من الطرف الأول (فإن أنفقتم منه علمه الله) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وإن تيممتم الخبيث الذي تكرهونه فأنفقتموه لم تبروا) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، فإن أنفقتم منه علمه الله فأثابكم به البر ، وإن تيممتم الخبيث الذي تكرهونه فأنفقتموه لم تبروا ، وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم .

---

(١) التحرير والتنوير ٩١/٣ .

(٢) ينظر : نظم الدرر٥/١ وما بعدها .

وسرّه : أنه ذكر الأصل في الإنفاق -وهو مما تحبون- لعموم نفعه تأكيدًا على أهمية تحقيقه ، وترغيبًا في العمل به ، ثم ذكر سعة العلم الإلهي المطلق ؛ لإحاطته الكاملة ، فهو وحده الذي يعلمه من جميع وجوهه(١) .

فالعلائق الرابطة بين المعاني في صورة الاحتباك أسهمت في تعريف البشر بحقيقة كمال البر المترسم في حسن الإنفاق ؛ ترغيبًا في لزوم أسمى مراتبه ، وهو : أن الأحب منه أجدر بالقبول فلو فُقِد هذا الشطر لبطلت الفائدة العظمى منه (٢) . ففي تبصر دلالة الخطاب بـــ : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ توجيهات رفيعة وإرشادات سامية نبيلة تغرس في النفوس مبدأ لزوم الكمال في إنفاق الطيب الحميد ، فالتعريف في : ﴿ٱلۡبِرَّ﴾ "للجنس ؛ لأنّ هذا الجنس مركّب من أفعال كثيرة ، منها الإنفاق المخصوص ، فبدونه لا تتحقَّق هذه الحقيقة... وقد جعل الإنفاق من نفس المال المُحَبّ غاية لانتفاء نوال البرّ ، ومقتضى الغاية أنّ نوال البرّ لا يحصل بدونها ، وهو مشعر بأنّ قبْل الإنفاق مسافات معنوية في الطريق الموصلة إلى البرّ ، وتلك هي خصال البرّ كلّها ، وأنّ البرّ لا يحصل إلاّ بنِهايتها ، وهو الإنفاق من المحبوب ، فظهر لـــ(حتّى) موقع من البلاغة لا يخلفها فيه غيرها ؛ لأنَّه **لو قيل** : إلاّ أن تنفقوا مِمَّا تحبّون ، لتوهمّ السامع أنّ الإنفاق من المحَبِّ وحده يوجب نَوال البِرّ ، وفاتت الدلالة على المسافات والدرجات الَّتي أشعرت بها (حتَّى الغائية)" (٣) . ثم إيثار صيغة : ﴿تُنفِقُواْ﴾ ؛ للدلالة على التكرار والاستمرار في الإنفاق ؛ لأن الفعل يفيد التجدد والحدوث ، فتحقق بالاحتباك إرشاد العباد إلى أهم مبادئ قبول الإنفاق ؛ فالمبادرة به تتطلب أن يتصدق المرء مما يحب أن يكون له من نفائس الأموال وكرائمها ، فذلك ربح وافر ينال به شرف امتثال الدين والارتقاء في سلم التقوى (٤) ؛ "لأن إخراجه على النفس أشق وأصعب من إخراج ما لا تتعلق بها" (٥) ، فكشف الاحتباك في طرفه الأول عن ركنين هامين ، يصور الأول : جانب الإنفاق الطيب القائم على المحبة في الإنفاق ، والثاني : جانب

---

(١) ينظر : الموضع السابق .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) التحرير والتنوير٤/٦ .

(٤) ينظر :جامع البيان٣/٣٤٧ ،والجامع لأحكام القرآن الكريم٤/١٣٢ ،وإرشاد العقل السليم ١/٥٧

(٥) البحر المحيط ٢/٥٤٦ .

الإنفاق الخبيث القائم على الكراهية فيه ، وهذا دافع إلى نمو الحذف وبروزه في الطرف الثاني ، ولما كان كل من المحبة والكراهية أمرًا خفيًّا قال مرغبًا مرهبًا : ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ ، فتحقق بهذا إبراز سعة العلم الإلهي المطلق ترهيبًا من إنفاق الخبيث ، وترغيبًا في أنفاق الطيب[1] ، ففي إيثار التعبير بـــ ﴿مِن شَيْءٍ﴾ فائدة عظمى تبرز مطلق علم الله بكل شيء . فالقول بالاحتباك في هذا الموضع عليّ يولد جملة ثرية من المعاني الإحسانية التي من أبرزها : أن في إعلام البشر بما تقدم نعمًا عليّة تجبل النفوس على حب الإنفاق والإخلاص فيه ، فالعلم بعظيم الأمور يجرد المرء من رداء الجهل ، ويغرس فيه إحساسًا قويًّا يدفعه إلى العمل والاقتداء بعظماء الأمة ، فإنهم إذا أحبوا شيئاً جعلوه خالصًا لله تعالى[2] .

*

وفي موضع آخر يبرز التقابل قبح الإنفاق في وجوه المعاصي ترهيبًا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾(آل عمران: ١١٧،م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ ﴾ احتباك ، حيثُ "حذف أولًا مثل الإنفاق لدلالة الريح عليه ، وثانياً الحرث لدلالة ما ينفق عليه" [3] . وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (مثل إنفاقهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَمَثَلِ رِيحٖ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (زرع) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا ومثل إنفاقهم له كمثل حرث أصيب بالريح كمثل ريح فيها صر .

وسرّه : أنه ذكر العقلي طريقًا لإدراك الحسي ، والحسي طريقًا لإدراك المعنوي ؛ لذا ذكر الأدل على القدرة والعظمة ، وهذا من دقيق حكمته وعظيم قدرته ، «فلما كانت الريح أمرًا مشاهدًا جليّاً جعلت في إهلاكها مثلًا لضياع إنفاقهم الذي هو أمر معنوي خفي ، ولما كان الزرع المحترق أمرً ا محسوسًا جعل فيما حصل له بعد التعب من العطب مثالًا لأمر

---

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم٢/٥٨ .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) نظم الدرر٥/٣٦ .

معقول ، وهو أموالهم ، في كون إنفاقهم إياها لم يثمر لهم شيئًا غير الخسارة والتعب ، فالمثلان ضياع الزرع والإنفاق ، وضياع الزرع أظهر ، فهو مثل لضياع الإنفاق ؛ لأنه أخفى»[١] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترهيب من خلال تصوير نفقة الذين كفروا ؛ لإثبات حقيقة بطلانها في الدنيا والآخرة [٢] ؛ وليتقرر في النفوس عِظم الحاجة إلى حصول الفائدة وقت طلبها ، فلا فائدة ترجى في الآخرة إلا بحسن امتثال الإيمان في الدنيا ؛ لذا حقق الحذف بالدليل القطعي ما يلحق إنفاق الكافرين الجاحدين لوحدانية الله والمكذبين بمحمد ﷺ في أن ذلك غير نافعهم مع كفرهم ، ومضمحلّ ذاهب عند حاجتهم إليه[٣] ، ففي تدبر دلالة الخطاب ما يعلِي من شأن الاحتباك ؛ إذ أسهم النظم في إبراز حسنه ، وإعلاء دلالته بالتشبيه القائم على دقة التصوير ، فهيئة إنفاقهم المعجب ظاهرُها ، المخيَّب آخِرُها ، شبهه بهيئة زرع أصابته ريح باردة فأهلكته ، من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس[٤] ، «فمثل ما ينفقون في كونه لم ينفعهم في الدنيا بإنتاج ما أرادوا في الدنيا ، ومثل إنفاقهم له في كونه ضرهم ولم ينفعهم مثل الريح في كونها ضرت الزرع ولم تنفعه»[٥] . ثم إيثار الإفراد في : ﴿رِيحٍ﴾ ؛ لكونها ريح عذاب[٦] ، «فحيث كانت في سياق الرحمة أتت مجموعة ، وحيث وقعت في سياق العذاب أتت مفردة ، **وسرّ ذلك** : أن رياح الرحمة مختلفة الصفات ، والمهاب ، والمنافع ، وإذا هاجت منها ريح أنشأ لها ما يقابلها مما يكسر سورتها ، ويصدم حدتها ، فينشأ من بينهما ريح لطيفة تنفع الحياة والنبات ، فكل ريح منها في مقابلها ما يعدلها ويرد سورتها ، فكانت الرحمة رياحًا . وأما في العذاب فتأتي من وجه واحد لا يقوم لها شيء ، ولا يعارضها غيرها ، حتى تنتهي إلى حيث أُمرت لا يرد

---

(١) الموضع السابق .

(٢) «في الدنيا ضياعه في غير شيء ، وفي الآخرة بالمعاقبة عليه ؛ لتضييع أساسه ، وقصدهم الفاسد ؛ لذا ضرهم في الدنيا بضياعه ، وفي الآخرة بما قصدوا به من المقصود الفاسد» . الموضع السابق .

(٣) ينظر : جامع البيان ٧/١٣٨وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٤/٦١ .

(٥) نظم الدرر ٥/٣٦ .

(٦) ينظر : البحر المحيط ٣/٧٣ .

سورها ، فتمتثل ما أمرت به ، وتصيب ما أرسلت إليه ... »[1] . ثم التقييد بالظرف : ﴿رِيحٍ فِيهَا﴾ ؛ «لإفادة شدّة برد هذه الريح ، حتّى كأنّ جنس الصر مظروف فيها ، وهي تحمله إلى الحرث »[2] . فدقة اختيار لفظ : ﴿صِرٌّ﴾ ؛ للدلالة على المبالغة في تصوير التمثيل ، جعل لهذا اللفظ وقعًا خاصًا متناسبًا في سياق الكلام . ثم إن القول بالاحتباك جاء في سياق يدعو إلى إقامة البراهين الدالة على كمال التوحيد وإثباته لله ، وهذا ما حققه السياق العام ، أمّا الخاص فأبرز عظمة الله في إبطال أعمال الكافرين من خلال ضرب المثل ، ليحقق في النفوس الضالة استبصار دلائل العظمة ، فإن في تأمل موضع الحذف وتدبره أثرًا جليلًا يبعث في النفوس الخشية من الله ويرشد إلى وحدانيته ، وهذا من أسمى مراتب التصعيد الإيماني .

وللاحتباك أثر بارز في إحداث علائق ربط بين المعاني أسهمت في إعلام البشر أن صنيع الله بالنفقة كمثل صنيع الريح شديدة البرد بالزرع ، ولم يفعل الله بالكفار من إحباطه ثواب أعمالهم وإبطال أجورها ظلمًا منه لهم ؛ بل هم كانوا يظلمون أنفسهم[3] ، ففي هذا تثقيف للنفوس يعلمها عظم الإنفاق ويُجنبها ضرره في الدارين ؛ كي تحذر سوء عاقبة أفعالها ، وهذا يُعظم في النفوس حب لزوم الإخلاص في الإنفاق .

*

– القول بشبه الاحتباك :

أبرز التقابل الحث على الإنفاق المحمود –ترغيبًا– وذلك في قوله تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٦١م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ ، شبه احتباك ، فـ«ذكر المنفق أولًا دليل على حذف الزارع ثانيًا ، وذكر الحبة ثانيًا دليل على حذف النفقة أولًا »[4] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول

---

(١) بدائع الفوائد١/١٨١ .

(٢) التحرير والتنوير٤/٦١ .

(٣) ينظر : جامع البيان٧/١٣٨وما بعدها بتصرف .

(٤) نظم الدرر ٤/٧٥ .

(النفقة) ؛ لدلالة ذكر ﴿حَبَّةٍ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الزارع) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : «مثل الذين ينفقون ونفقتهم كمثل حبة وزارعها»[١] .

وفي موضع آخر قريب -من هذا- [٢] ، يقول تعالى : ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة:٢٦٥،م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ ، شبه احتباك «ذكر المنفق أولًا دال على حذف صاحب الجنة ثانيًا ، وذكر الجنة ثانيًا دال على حذف النفقة أولًا »[٣] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (النفقة) ؛ لدلالة ذكر﴿حَبَّةٍ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الزارع) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾في الطرف الأول . وتقديره : مثل الذين ينفقون أموالهم ونفقتهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتًا من أنفسهم كمثل جنة وصاحبها . ولعل السر من وراء حمل المعنى على الحذف : أنه ذكر ما فضله أعظم ونفعه أعم ، فـ«المقصود ذكر حاله وشأنه ، وسكت عن ذكر النفقة لدلالة اللفظ عليها ، وذكر من شق الممثل به البذر ؛ إذ هو المحل الذي حصلت فيه المضاعفة وترك ذكر الباذر ؛ لأن القرض لا يتعلق بذكره»[٤] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الحذف أسهمت في بيان حقيقة الإنفاق القائمة على التمثيل ؛ لزيادة الترغيب في الممثل به ؛ لكونه مما ترغب النفوس فيه ؛ لِعِظَمِ ما يعود عليها من الخير . ففي تبصر دلالة الخطاب إيضاح لأصل حمل النظم على الاحتباك ؛ حيثُ تحقق فيه تأكيد حسن الإنفاق في وجوه الطاعات من خلال إبراز صورة التشبيه في :﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ ، فثبت بالحذف

---

(١) الموضع السابق .

(٢) صورة الحذف في الآية الثانية تقترب كثيرًا من الآية الأولى ، غير أن هناك فارقًا دقيقًا في اتساع مدلول المعنى ، كلٌّ في سياقه . ينظر:التفسير القيم ، ص١٥٠وما بعدها .

(٣) نظم الدرر ٨٤/٤ .

(٤) التفسير القيم ، ص١٥٥ .

جليل معانٍ ترشد العباد إلى أهمية إنفاق المخلصين ، وتنبههم إلى لطف كرم الرب ؛ مما يدفعهم إلى التسابق والارتقاء في مقامات القرب من الله ؛ لذا جاء الخطاب بـ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ -في الموضعين ، كما أن في الحذف إعلامًا لهم بأن التمثيل جاء للتكثير لا للحصر ، وهذا دليل عِظم الفضل الإلهي واللطف الجميل : ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ ، «وفي هذا التمثيل تصوير للأضعاف ، كأنها ماثلة بين عيني الناظر»[(1)] ، وفي هذا نعم عليّة تدفع إلى إنماء حب الإنفاق وتحرض على البذل ؛ «لأن الباذل متى علم أن عين ماله يعود إليه سهل عليه إخراجه ، فإن علم أن المستقرض يتجر له بما اقترضه ، ينميه له ويثمره حتى يصير أضعاف ما بذله ، كان بالقرض أسمح وأسمح ، فإن علم أنه مع ذلك كله يزيده من فضله وعطائه أجرًا آخر من غير جنس القرض ، فإن ذلك الأجر حظ عظيم ، وعطاء كريم ، فإنه لا يتخلف عن قرضه إلا لآفة في نفسه من البخل والشح ، أو عدم الثقة بالضمان ، وذلك من ضعف إيمانه ، ولهذا كانت الصدقة برهانًا لصاحبها »[(2)] . فتحقق في النفس العلم بأهم دعائم الإنفاق -وهي أولًا : أن في الإنفاق ابتغاء رضوان الله وتعبدًا له ، وثانيًا : أن فيه تزكية النفوس وتطهيرها من الشوائب التي تعوقها عن الكمال [(3)] ، وتخلصها من آفات الإنفاق ، وهي أولًا : أن يكون إنفاقها لطلب محمدة أو ثناء ، وثانيًا : ضعف النفس وتقاعسها وترددها ، هل تفعل أم لا؟- [(4)] . وبالوقوف عند ما يحمله النظم من لطائف المعاني فائدة عظمى ، وأثر عليّ ، يوجبان في النفوس ملازمة الصبر واعتلاق الإيمان ؛ لأن في ذلك سعادة يأنس المرء بها في القرب من ربه .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾(البلد:١٥-١٦،ك) ، شبه احتباك «ذكر القرب أولًا يدل على ضده ثانياً ، وذكر المتربة ثانياً يدل على ضدها أولًا »[(5)] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (غنيًّا) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَتْرَبَةٍ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف

---

(١) الكشاف١/٣٩٣ ، وإرشاد العقل السليم١/٢٥٧ .

(٢) التفسير القيم ، ص١٤٩ .

(٣) ينظر : تفسير المنار٣/٦٧ .

(٤) ينظر : التفسير القيم ، ص١٦٠ .

(٥) نظم الدرر ٢٢/٦٣ .

الثاني حذف (أجنبيًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَقْرَبَةٍ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يتيمًا ذا مقربة وإن كان غنيًا ، أو مسكينًا ذا متربة وإن كان أجنبيًا . وسرُّ ذلك : «أنه ذكر في اليتيم القرب المعطف ، وفي المسكين الوصف المرقق الملطف ، فهو لا يقصد بإطعامه إلا سد فاقته»[1] .

فمن خلال المعاني المتقابلة في صورة الاحتباك تأكد مبدأ كريم من مبادئ حب الإنفاق والتصدق ترغيبًا في لزوم عمل الخير ، فتحقق بالحذف دعوة نبيلة تثقف النفوس وتعلمها الارتقاء بالإيمان في باب التصدق والإنفاق ، فــ«الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي القرابة اثنتان ، صدقة وصلة»[2] ، فإطعام صغير لا أب له من القرابة في يوم مجاعة من أعظم وجوه البر حسنًا وأعلاها أجرًا ؛ لجمعها بين الصدقة والصلة [3] ، وفي إعلام البشر «أن الصدقة على القرابة أفضل منها على غير القرابة ، وعلى اليتيم الذي لا كافل له أفضل منها على اليتيم الذي يجد من يكفله »[4] ، نعمة عليّة تعظم الإيمان في القلوب ، وتزيد الإخلاص في الأعمال ، وهذا مما يدفع إلى الترقي في الأعمال لبلوغ درجه الإحسان ، ففي تبصر دلالة الخطاب في إيثار : ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ فائدة عظمى ترقق في القلوب لزوم التصدق ؛ «فقد لصق بالتراب من فقره وضره ، فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يوطئه »[5] . فالقول بالحذف ذو اعتلاقٍ بالغ بالسياق الخاص ؛ لما تحقق فيه من ذكر أعمال البر الدالة على جودة الطبع ، وعلو الهمة ، وكرم العنصر [6] ؛ فالمسارعة في تلك الأعمال في الدنيا طريق إلى الترقي بالإيمان في حصول النفع في الدنيا والأجر في الآخرة[7] .

*

---

(١) الموضع السابق .

(٢) أخرجه بنصه ابن ماجة في سننه ، كتاب : الزكاة ، باب : فضل الصدقة١/٥٩١ ، رقم الحديث : (١٨٤٤) من حديث سلمان بن عامر الضّبي ، رضي الله عنه . قال الألباني : «صحيح لغيره » . صحيح سنن ابن ماجة٣/٢٦٢ ، ورقم : (٣١٣٠) .

(٣) ينظر : نظم الدرر٢٢/٦٣ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٠/٦٩ .

(٥) التفسير الكبير ٣١/١٦٩ .

(٦) ينظر : نظم الدرر٢٢/٦٣ .

(٧) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٢٠/٦٩بتصرف .

المبحث السابع : نفي التسوية والخيرية بين الحق والباطل –في جميع ما يدلان عليهما – ترغيبًا ، وترهيبًا .

–القول بالاحتباك :

يكشف الاحتباك نفي التساوي بين من اتبع رضوان الله وعمل بطاعته ، متبعًا في عمله كل ما يرضي الله ، مجتنبًا سخطه ، وبين من انصرف متحملًا سخط الله وغضبه فاستحق جهنم[(١)] ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾(آل عمران:١٦٢م) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ[(٢)] ﴾ احتباك ، ذكر اتباع رضا الله أولًا دال على حذف ضده ثانيًا ، وذكر الإباء بسخط الله ثانيًا دال على حذف ضده أولًا ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فباء برضا الله) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (كمن لم يتبع رضوان الله) ؛ لدلالة ذكر ﴿ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : «أفمن اتبع ما يؤول به إلى رضا الله عنه ، فباء برضاه كمن لم يتبع ذلك فباء بسخطه»[(٣)] .

وسرّه أنّه ذكر أفضل ما يكون من أهل الطاعة والإيمان ترغيبًا بالنتيجة السعيدة للفوز برضا الله . ثم أنكأ ما يؤول إليه أهل المعصية والكفر ؛ ترهيبًا بالنهاية المشقية لأهلها بجامع عدم المساواة بينهما .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في نفي التساوي بين المقبلين على اتباع رضوان الله والمعرضين عنه ترغيبًا وترهيبًا ، في سياق ذكر جملة من أصول العقيدة الدالة على كمال التوحيد ؛ ليتحقق الإيمان بها ، ومن أعلاها : الدعوة إلى الإيمان بالغيب ؛ لكونه المقصد الأعظم الذي قامت عليه السورة بكليتها ، فأصل المراد تحقق في الركنين المذكورين ،

---

(١) ينظر : جامع البيان٤/١٦١بتصرف .

(٢) للمفسرين في الآية وجوه . ينظر : التفسير الكبير٩/٦١ .

(٣) البحر المحيط٣/١٠٧ .

الأول : أفمن كان على طاعة الله فثوابه الجنة ورضوانٌ من ربه ، والثاني : كمن باء بسخط من الله ، فاستوجب غضبه ، وكان مأواه جهنم[1] . فتحقق فيهما أصل المراد القائم في تحقق انتفاء التسوية مطلقًا . أمّا حمل النظم على الاحتباك فحقق جملة ثرية من دقائق المعاني التي من أجلِّها : إعلام البشر بحقيقة نفي المساواة في الآخرة بين المطيع والعاصي ؛ لأنه لمن أطاع الله فيما أمره ونهاه الجنةُ ، ولمن عصاه في أمره و نهيه النار[2] ، فاستحقاق الجنة والرضوان سببه اتباع الشرع المتمثل في الإيمان ، واستحقاق النار والسخط سببه الإعراض عن الشرع المتمثل في الكفر ، وبمعرفة المرء ذلك إرشاد نبيل يدفع إلى المسارعة في نيل رضوان الله للارتقاء في عبادته والعمل بما توجبه الأوامر والنواهي .

وللاحتباك أثر بارز في إحداث علاقات ذات دلالات جمة تغرس في النفوس تعلُم القيم العليّة التي من الواجب الالتفات إليها والانشغال بها، فكل من أقدم على الطاعة داخل في : ﴿ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ ، وكل من أخلدإلى متابعة النفس داخلفي : ﴿بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[3] . وفي تبصر دلالة الخطاب إشارات عليّة تبرز شأن الاحتباك وتُعلي من القول به ، منها : الاستفهام في : ﴿أَفَمَنِ﴾ لنفي التماثل في مساواة الإيمان والكفر ، ثم الطباق بين لفظي : ﴿... رِضۡوَٰنَ .... بِسَخَطٖ ...﴾ لاستشعار عِظَم الفرق بين حسن الرضوان وقبح السخط . ووضع المظهر موضع المضمر في ﴿بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لإدخال الرَّوْعةِ وتربيةِ المهابة[4] . والتوسع في التعبير بلفظي ﴿...ٱتَّبَعَ ... بَآءَ ...﴾ فكلاهما استعارة تصريحية تبعية ، ففي (اتبع) شبه العمل بما يرضي الله ورسوله بالاتباع الحسي سعيًا لتحقيق منافع قيمة، بجامع شدة الحرص على نجاح المطلوب في كل . وفي (باء) شبه سوء المصير بالرجوع إلى الخلف مع الخيبة والانتكاس وحصول نقيض المطلوب[5] .

*

(١) ينظر : جامع البيان٤/١٦١ .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) ينظر : التفسير الكبير٩/٦١ ، في ظلال القرآن٤/٥٠٦ .

(٤) ينظر : إرشاد العقل السليم٢/١٠٧ .

(٥) ينظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ١/١٩٥ .

في قول الحق ﷻ : ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا . دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا . إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾(النساء:٩٥-٩٧م) احتباك «ذكر الجهاد أولًا في ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ دليل على حذفه ثانيًا بعد : ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ، وذكر الهجرة ثانيًا دليل على حذفها أولًا بالقعود عنها»[1] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (القعود عن الهجرة) ؛ لدلالة ذكر الهجرة ﴿ فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الجهاد) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فضّل الله المجاهدين على القاعدين عن الجهاد وعن الهجرة أجرًا عظيمًا... إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم بالقعود عن الجهاد قالوا فيم كنتم؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها .

وسرّه أنّه ذكر ما عَظُمَ فضله ، وقلّ فعله ؛ تحريضًا لهم وترغيبًا ، فذكر العام (الجهاد) لشموله على الخاص (الهجرة) ، وقد يكون السر في الحذف أيضًا أنّه ذكر أعلى أسنان سنام الإسلام (الجهاد) ؛ تنبيهًا على شرفه ، وأنه سبب السعادة في الدارين .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز مبدأ الحرص على الخروج للقتال والهجرة في سبيل الله ترغيبًا فيها وترهيبًا من القعود عنها لغير ضرر ، فبالنظر فيما احتواه السياقان البعيد والقريب يتضح حسن القول بالاحتباك ؛ لما تقرر في البعيد من ذكر أصول تشريعية تدعو إلى الاجتماع على التوحيد [2] ، ولما تحقق في القريب من نفي التسوية بين المجاهدين والمهاجرين في سبيل الله ، وبين القاعدين عنهما للضرر ، وبين القاعدين عنهما لغير ضرر ؛ فثبت إعلام البشر بأن الله فضل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين من أولي الضرر فضيلة واحدة ؛ وذلك بفضل جهاده بنفسه ، فأما فيما سوى ذلك فهما مستويان ، وفضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين من غير أولي الضرر أجرًا

---

(١) نظم الدرر ٣٧٣/٥ .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٦٩/٥ .

عظيمًا[1] ، كما تحقق الحث على ترك أرض الكفر والهجرة إلى أرض الله الواسعة التي فيها إعلاء الدين ونشر الخير [2] ، وللاحتباك أثر فاعل في إنماء العقول ؛ لما تكشفه المعاني الإحسانية من باهر الدلالات وعليّ الأسرار ، والتي منها : حث النفوس على مراعاة الاهتمام بالأمر المقتضي بيان خاصية الأفضلية لمن عمل بمقتضى الأمر استجابة له -الخروج للجهاد ، وللهجرة- ؛ لإعلاء كلمة الحق ، وإعزاز أهله ، وإضعاف قوة الكافرين ، وكسر شوكتهم ، فالعمل بمقتضى ذلك ينمي في النفس التحلي بالصبر ، ودليل قوة الإيمان ، ففيه بيان لعلو رتبة المجاهدين وأفضليتهم على القاعدين . كما أن في الحذف تثقيفًا للنفوس يرشد إلى بذل طاقتهم في قتال أعداء الله وأعداء دينهم [3] ، فـ«إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، بين الدرجتين كما بين السماء والأرض»[4] ، فهذه نعم عليّة يجب العمل بها ؛ ليتحقق العمل على جهاد أعداء الله أولًا ، وهجران الأرض التي تعمل المعاصي ثانيًا[5] .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (التوبة: ١٩،م) ، احتباك[6] على قراءة الجماعة [7] ، «دلّ ذكر السقاية والعمارة في جانب المشبّه ، وذكر من آمن وجاهد في جانب المشبّه به ، على أنّ العملين ومَن عملهما لا يساويان العملَين الآخرين ومَن عملهما »[8] . فالمحذوف من الطرف الأول (كالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد) ؛

---

(١) ينظر : جامع البيان٥/٢٣١ .

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم٢/٣٢٣ .

(٣) ينظر : جامع البيان٥/٢٣٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٥/٣٤٤ .

(٥) ينظر : المرجع السابق٥/٣٤٤وما بعدها .

(٦) ينظر : نظم الدرر٨/٤١٦ .

(٧) قراءة الجماعة : ﴿سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ﴾ ، وانفرد الشطوي عن ابن هارون في رواية ابن وردان في : ﴿سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ﴾ وهي شاذة ، لا تحتاج إلى تقدير . ينظر : النشر في القراءات العشر ١-٢/٢٠٩ ، ونظم الدرر٨/٤١٦ .

(٨) التحرير والتنوير ١٠/١٤٦ .

لدلالة ذكر ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (أهل السقاية والعمارة من غير إيمان) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : أجعلتم سقاية الحاج المجردة عن الإيمان وعمارة المسجد الحرام كالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد ، وأهل السقاية والعمارة من غير إيمان كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله؟ . **وقيل** : «أجعلتم **سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام** كالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله ، **وجعلتم سقاية الحاجّ وعمّار المسجد** كالمؤمنين والمجاهدين في سبيل الله»[(١)]؟ ، والأول أنسب للقول بالاحتباك ؛ لتحقق خاصية التقابل بين المعاني في الطرفين .

وسرّه أن ذكر الأصل في قبول الأعمال ؛ ليتحقق الإيمان وينتفي الشرك ، فلا يجتمع الشرك والإيمان في قلب واحد[(٢)] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في تأكيد نفي التسوية بين المشبه والمشبه به من كل طرف ، فمن عمل في السدانة والسقاية من غير إيمان ليس كمن عمل بالإيمان . فالقول بالاحتباك في هذا الموضع أشد اعتلاقًا بدلالة السياق العام للسورة ؛ لأنها في المقام الأول ترشد إلى تحقق معاداة مَن أعرض عن التوحيد ، وموالاة من أقبلَ عليه [(٣)] ؛ ليتحقق الإيمان وينتفي الشرك . أمّا السياق الخاص فتضمن نفي التسوية في الآخرة بين أهل الصلاح والفساد في أعمالهم الخيرة ؛ لذا فأصل المراد ، وهو الإعلام بأن الافتخار يكون في الإيمان لا في الشرك[(٤)] ، متحقق في الركنين المذكورين ؛ فهما كفيلان بإيضاح مبدأ الحق ﷻ في قبول قبول الأعمال ، فشطر ذلك الإيمان قولًا وعملًا واعتقادًا ، والتخلي عن الشرك والتبرؤ منه ، فإن العمل مع الإيمان يحقق الفائدة العظمى ، وهي نيل الأجر والثواب ، والعمل مع الكفر يوجب العقاب وشدة العذاب ، وفي حمل النظم على الاحتباك معانٍ عِظامٌ ترشد أهل الحرم الذين يفخرون به ويستكبرون من أجل أنهم أهله وعُمَّاره إلى أن السقاية و السدانة من غير

---

(١) الموضع السابق .

(٢) ينظر : التفسير الكبير١٦/١٠ بتصرف .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير١٣٤/١٠ بتصرف .

(٤) ينظر : جامع البيان٩٤/١٠ .

إيمان لا تستوي في الآخرة مع مَن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد [١] ، وفي هذا ترسيخ لمبدأ جليل من مبادئ الدين ، وهو الدعوة إلى تأصيل الإيمان في النفوس وتخليصها من شوائب الشرك ، فالله لا يقبل بغير الإيمان به وباليوم الآخر عملًا[٢] ، فالإقدام على السقاية والسدانة لمجرد الاقتداء بالآباء وطلب الرياسة ينافي كمال الإيمان [٣] ؛ «لأن العمارة لا تكون بالكفر ، وإنما تكون بالإيمان والعبادة وأداء الطاعة»[٤] .

*

وفي موضع آخر أسهم التقابل في نفي الخيرية بين أعمال أهل الخير الدالة على الصلاح ، وأعمال أهل الشر الدالة على الفساد ترغيبًا وترهيبًا ، وذلك في قوله تعالى :﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(التوبة:١٠٩م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ ﴾ احتباك ، أثبت أولًا التقوى دليلًا على حذف ضدها ثانيًا، وأثبت ثانيًا ضعف البناء حسًا دليلًا على حذف ضده أولًا[٥] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (بنى بنيانه على جبل لا تهدمه الأمطار)؛ لدلالة ذكر ﴿ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (بنيانه على فسق)؛ لدلالة ذكر ﴿ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله كان كمن بنى بنيانه على جبل لا تهدمه الأمطار خير ، أم من أسس بنيانه على فسق، فكان كمن بنى بنيانه على شفا جرف هارٍ فانهار به وسرّه أنّه ذكر التقوى ؛ لأن أهل الإسلام أحق بها ، وأثبت ضعف البناء حسًا ؛ لأن مسجد الضرار أولى به ، فذكر النهاية المعقولة لأهلها ، والبداية المحسوسة للناظرين إليها[٦] .

---

(١) ينظر : المرجع السابق١٠/٩٤وما بعدها .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٠/٩٦ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير١٦/١١ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٨/٩٢ .

(٥) ينظر : نظم الدرر٩/٢١ بتصرف يسير .

إليها[١] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إيضاح صورتين متقابلتين بقصد نفي الخيرية : ﴿...خَيْرٌ أَم مَّنْ ...﴾ ، فبمراعاة النظر في السياقين يتضح حسن المراد من الحذف ، ففي العام تحقق الحث على معاداة من أعرض عن اتباع الشرع [٢] ، وفي الخاص تحقق إثبات حقيقة أن من جبل من أول مرة جبلة شر لا يصلح للخير أبدًا [٣] ، وهذا وذاك يعنيان عناية فائقة بالحث على امتثال الإسلام والإيمان والإحسان في الأقوال والأفعال والأعمال ظاهرًا وباطنًا ؛ لأجل التخلي عن جميع علائق الشرك ، فأصل المراد قائمٌ في الركنين المذكورين : أفمن أسس بناء مسجده على اتقاء الله بطاعته في بنائه وأداء فرائضه خير ، أم الذ ي ابتدأ بناءَ مسجده على شفا جُرفٍ هارٍ؟ [٤] ، فتحقق المراد -وهو انتفاء الخيرية بين ما كان للخير وما كان للشر- بالمعاني الجوهرية التي أسهمت في إيضاح أصل المراد على أتم وجه ، كما تحقق بالحذف إبراز جمال المعنى من خلال مراعاة أوجه التقابل بين المعاني ، فالصورة الأولى بنيان من الاعتقاد في الله ، والخوف منه وتقواه[٥] ، وغرض الباني دوام ما بناه ، فهم لما بنوه لقصد التقوى ورضا الله [٦] ، فكان كمن بنى بنيانه على جبل لا تهدمه الأمطار ، ولا تؤثر فيه السيول[٧] . وفي الصورة الثانية بنيان من الفسق ، والفجور - بنيان ريبة وشك- ، وهو ثابت في قلوبهم لا يبرحها إلا إذا تقطع بتقطع هذه القلوب ، وانهدم بانهدامها[٨] ، فلم يحصل غرض بانيه ، فخابوا فيما قصدوه ، فلم يثبت المقصد[٩] ، فكان كمن بنى بنيانه على مكان جرف السيل ، فصار مشرفًا على السقوط ؛ لأنه سقط

---

(١) ينظر : الموضع السابق .

(٢) ينظر : المرجع السابق٨/٣٥٠ .

(٣) ينظر : المرجع السابق٩/٢٠ .

(٤) ينظر : جامع البيان١١/٣٢ .

(٥) ينظر : الإعجاز البلاغي -دراسة تحليلية لتراث أهل العلم- ، تأليف : محمد محمد أبو موسى ، (القاهرة ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية١٤١٨هـ-١٩٩٧م) ، ص١٢٩ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير١١/٣٥ .

(٧) ينظر : نظم الدرر ٩/٢١ .

(٨) ينظر : الإعجاز البلاغي-دراسة تحليلية لتراث أهل العلم- ، ص١٢٩ بتصرف يسير .

(٩) ينظر : التحرير والتنوير١١/٣٥ بتصرف يسير .

سقوطًا لا تماسك معه ، وهو آمنٌ من سقوطه بقلبه وعقله وسفاهة رأيه . فأيهما خير؟ فهدى الله الأول إلى ما فيه صلاحه ، ولم يهد الثاني ؛ لما عَلِمَ فيه من عدم قابلية الخير [1] ، وبهذا يترسخ في النفس حب الإيمان الدال على كمال الاعتقاد بالله الدافع إلى تعمق التقوى ، وكره الكفر الدال على كمال السقوط المؤدي إلى موت القلب ؛ لما يغشاه من الفجور . وفي تدبر أسلوب الخطاب دلالات تعضد من شأن الاحتباك ، من أبرزها : وقع الاستعارة التي دعمت القول به : «﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ ﴾ ، فأصل البنيان إنما هو للحيطان وما أشبهها ، وحقيقة اعتقادهم الذي عملوا عليه ، والاستعارة أبلغ ؛ لما فيها من البيان بما يحسن ويتصور »[2] . وفيه استعارة تصريحية تحقيقية[3] ، حيث شبه الباطل والنفاق بشفا جرف هارٍ في قلة الثبات ، ثم استعير لذلك ، والقرينة المقابلة ، وقوله : ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ ترشيح[4] . ثم الاستفهام التقريري في ﴿ أَفَمَنْ ﴾ ، ثم بلاغة وضع المظهر موضع المضمر في ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ ﴾ ؛ «للإيذان باختلاف البناءين ذاتًا مع اختلافهما وصفًا وإضافة»[5] .

*

وفي صورة أخرى من صور التقابل في سياق الحديث عن أهل الضلال وأهل الهداية يشيد القرآن ببيان كلمة التوحيد إيمانًا بأفضلية أهله على أهل الكفر والفسوق ؛ لصحة عقيدتهم ، حيثُ قال : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ** ﴾ (إبراهيم:٢٤،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ احتباك «ذكر (ثابت) أولًا دال على (عال صاعد) ثانيًا ، وذكر (السماء) ثانيًا دال على (الأرض) أولًا»[6] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الأرض) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلسَّمَآءِ ﴾

---

(١) ينظر : نظم الدرر٩/٢١ بتصرف يسير .

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص٩١،٩٢ .

(٣) «هي أن يكون المتروك شيئًا محسوسًا» . التبيان في البيان ، ص١٨٩ .

(٤) ينظر : روح المعاني١١/٢٢ .

(٥) إرشاد العقل السليم ٤/١٠٣ .

(٦) نظم الدرر ١٠/٤١١ .

في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (صاعد) ؛ لدلالة ذكر ﴿ثَابِتٌ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أصلها ثابت في الأرض ، وفرعها صاعد في السماء .
وسرّه أنّه ذكر الأصل أولًا ؛ لكونه أدل على أصالة تلك البداية ؛ لتعمق الثبات فيها ، ثم ذكر السماء ثانيًا ؛ لكونها أدل على شرف تلك النهاية تشريفًا لجهة العلو منها ؛ ليرغب العباد في كلمة التوحيد ؛ لما فيها من خير الدنيا والآخرة .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في بيان أفضلية كلمة التوحيد ؛ ليتبين أن كلام أولياء الله الذي هو من كلامه من أثبت الأشياء ، وأطيبها ، وأعظمها ثمرة ، وكلام أعدائه الذي هو من كلام الشيطان من أبطل الأشياء و أخبثها[1] ، ويزداد هذا المقصد حسنًا بمراعاة السياقين ، العام لما فيه من إثبات التوحيد الذي هو أصل الإيمان[2] ، والخاص لما تحقق فيه من إثبات أفضلية كلمة أهل التوحيد على غيرها . فالقيمة الحقيقية لأصل النظم تمثلت في الركنين المذكورين ، الأول : في ذكر : ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ بقول «لا إله إلا الله» في قلب كل مؤمن ، وهذا أساس الإخلاص ، والثاني : في ذكر : ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ ، فالعمل بمقتضى «لا إله إلا الله » يصعد إلى السماء ، وهذا أساس الخشية [3] ، فتحقق بهذين الركنين أصل المراد القائم في بيان الأفضلية العظمى لكلمة التوحيد ؛ لما لها من جليل الأثر الباعث في النفوس الشعور بالعزة والارتقاء . وفي حمل النظم على الاحتباك مزايا عِظام تعمق في النفوس الإقبال على التوحيد والعمل بمقتضاه ، وتدعو العاقل إلى بناء أساس دينه ومنهج شريعته على الاعتقاد الصحيح من الإخلاص ؛ حتى يثبت في القلب ويرسخ كتلك الشجرة الراسخة العالية ، ففي ضرب المثل بما يعرفه المخاطبون ، وهو صورة الشجرة أصلها ثابت راسخ في الأرض ، آمن من الاجتثاث بالرياح ، وفرعها عالٍ مهتز في السماء ؛ لحسن منبتها ، وطيب عنصرها[4] ، نعمة جليلة تبعث في النفوس تَعلُّم مبدأ الإخلاص في العبادة ، والبعد عن الشرك ، فتحقق معرفة البشر «بأن الشجرة لا بد لها من عروق ، وساق ، وفروع ، وورق ، وثمر . فكذلك شجرة الإيمان والإسلام ؛ ليطابق المشبه المشبه به ، فعروقها :

---

(١) ينظر : المرجع السابق١٠/٤١٠وما بعدها .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٠/٣٦٩ .

(٣) ينظر : جامع البيان١٣/٢٤٠ .

(٤) ينظر : نظم الدرر١٠/٤١٠وما بعدها .

العلم ، والمعرفة ، واليقين . وساقها : الإخلاص . وفروعها : الأعمال . وثمرتها : ما توجبه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة ، والصفات الممدوحة ، والأخلاق الزكيّة ، فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور . فإذا كان العلم صحيحًا مطابقًا لمعلومه الذي أنزل الله كتابه به ، والاعتقاد مطابقًا لما أخبر به عن نفسه ، وأخبرت به عنه رسله ، والإخلاص قائمًا في القلب ، والأعمال موافقة للأمر ، علم أن شجرة الإيمان في القلب أصلها ثابت وفرعها في السماء»[1] .

*

ولعلّ من أبرز الشواهد القرآنية التي أسهم الاحتباك في إبراز جانب تحقق انتقاء التسوية في الأعمال و الأجور قوله تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾(ص:٢٨،ك) ، ففيه احتباك «ذكر (الذين آمنوا) أولًا دليلاً على (الذين أفسدوا) ثانيًا ، وذكر (المفسدين) ثانيًا دليلاً على (المؤمنين) أولًا ، وأفهم ذلك ذكر الذين اتقوا وأضدادهم»[٢] . **ولو قيل** : احتباكان كان أكثر دقة لبيان المراد . فالموضع **الأول** : في قول الحق ﷻ :﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ، فالمحذوف من الطرف الأول (الذين أفسدوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ، ومن الطرف الثاني حذف (المؤمنين) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ . وتقديره : أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالذين أفسدوا وعملوا السيئات ، أم نجعل المؤمنين كالمفسدين .

وسرّه «أنه ذكر أدنى أسنان الإيمان ؛ تنبيهًا على شرفه ، وأنه سبب السعادة ، وإن كان على أدنى الوجوه ، وذكر أعلى أحوال الفساد ، إشارة إلى أنه يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، وذكر أعلى أحوال التقوى إيماء إلى أنه لا يوصف بها ويستحق جزاءها إلا الراسخ فيها ؛ ترغيبًا للمؤمن في أن يترقى إلى أوجها»[٣] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في نفي التسوية بين أهل الإيمان بمختلف درجاته ، وأهل الفساد بمختلف دركاته ؛ ترغيبًا في الإقبال على الإيمان الذي ثمرته حسن

---

(١) التفسير القيم ، ص٣٢٩وما بعدها .

(٢) نظم الدرر ٣٧٣/١٦ .

(٣) الموضع السابق .

الثواب ، وترهيبًا من الخوض في الفساد الذي نتيجته سوء العذاب ؛ وذلك للرد على منكري البعث الذين جعلوا مصير المطيع والعاصي واحدً ا[١] ، فيبرز حسن المراد بعد مراعاة النظر في السياق العام لما تقرر فيه من إثبات أن جند الله هم الغالبون ، وإن تأخر نصرهم[٢] ، والخاص لما تحقق فيه من نفي التسوية في الآخرة بين المؤمنين والمفسدين ، فتحقق في حكم الله انتفاء التسوية مطلقًا بين الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمر الله وانتهوا عما نهاهم عنه ، وبين الذين يشركون بالله ويعصونه ويخالفون أمره ونهيه [٣] ، فبطل أن يكون للمفسد ما للمصلح من الدرجات[٤] ، كما بطل قول بعض المشركين من قريش : نحن لنا في الآخرة أعظم مما لنا في الدني ا[٥] ، وفي حمل النظم على الاحتباك مزايا تنبثق من خلال المعاني الإحسانية التي تعمق في النفوس معاني عِظامًا ، من أجلِّها : الإعلام والتنويه بعِظم الحكمة في نفي المساواة بين المصلح والمفسد في غير الحياة الدنيا ، فإن إعلام المرء بهذا يرشده إلى الصلاح ويجنبه الوقوع في الفساد ، فتحقق أن في الآخرة فريقًا ينعم ويَسعد ، وهم مَن عملوا بالإيمان وأخلصوا ، وآخر يعذب ويَشقى ، وهم مَن أهملوا و لم يؤمنوا ، فكيف يتساويان في الآخرة ، فالعمل الصالح والإيمان لا يجتمعان مع العمل السيئ والكفران ، وهذا دليل حكمه وعدله [٦] ؛ لذا نبه ﷻ على المعاد والرجوع إلى جزائه ، فذكر ما بين المؤمن عامل الصالحات ، والمفسد عامل السيئات من التباين[٧] ، فإن من جليل جليل المعاني ما يرشد النفوس ذات الفطرة السوية والعقول ذات الفكر النير إلى إدراك أعظم دلائل الحذف ، وهو تحقق أن هناك دارًا أخرى ، الجزاءُ فيها واقع ، والتسوية منتفية [٨] .

والموضع **الثاني**[٩] في قول الحق ﷻ : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٩١/١٥ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٣٢١/١٦ .

(٣) ينظر:جامع البيان ١٥٢/٢٣ .

(٤) ينظر:الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٩١/١٥ .

(٥) ينظر : البحر المحيط٣٧٩/٧ .

(٦) ينظر : جامع البيان١٥٢/٢٣ما بعدها بتصرف .

(٧) ينظر : البحر المحيط٣٧٩/٧ .

(٨) ينظر : الموضع السابق .

(٩) ينظر : نظم الدرر ٣٧٣/١٦ .

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾(ص:٢٨،ك) ، تقديره : أم نجعل الذين اتقوا كالذين فجروا ، أم نجعل المتقين كالفجار .

وفيه نظر ؛ لكون ركني الطرف الأول محذوفين : (الذين اتقوا) ، و(الذين فجروا) ، وركني الطرف الثاني مذكورين : ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ ، و﴿كَٱلۡفُجَّارِ﴾ .

*

وفي آية أخرى يبرز التقابل ثواب المحسنين وعقاب المسيئين بنفي التساوي بينهم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾(الزمر:٢٢،ك) ، ففيه احتباك «ذكر أولًا الشرح والنور دليلًا على حذف ضده ثانيًا ، وثانيًا الويل القاسي والضلال دليلًا على حذف ضده أولًا »[١] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فبشرى له فهو على صرا ط مستقيم) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (كمن جعل صدره ضيقًا فكان في الظلام خابطًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فبشرى له ، فهو على صراط مستقيم ، كمن جعل صدره ضيقًا حرجًا فكان في الظلام خابطًا ، فويل للقاسية قلوبهم . وسرّه أنه ذكر (الشرح والنور) لكونهما أتم دلائل التوحيد ؛ ترغيبًا في امتثاله ، ثم ذكر المبغض المشين (الويل القاسي ، والضلال المبين) ؛ لكونهما أنكأ ما يؤول إليهما الكافرون ترهيبًا .

فالقول بالاحتباك أسهم في إبراز التفاوت في الثواب والعقاب بين المحسنين لله في العبادة والمسيئين فيها ، ليثبت حقيقة التباين بين المنشرح صدره والقاسي قلبه ، فليس ما للمنشرح من حلاوة النعيم مثل ما للقاسي من مرارة الجحيم[٢] ، والذي يهدي إليه السياقان يُعلي من من شأن الاحتباك ؛ لما في العام من إثبات الحكم بين أهل الإيمان فضلاً ، وأهل الكفر عدلاً[٣] ، ولما في الخاص من نفي التساوي بين أهل الإيمان والكفر في الآخرة . فأصل المراد

---

(١) المرجع السابق ٤٨٦/١٦ .

(٢) ينظر : جامع البيان ٢٠٩/٢٣ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٤٣٦/١٦ .

–القائم في تحقق الانتفاء لأجل وقوع الجـــزاء– متمثل في الركنين المذكورين ، الأول : في ذكر : «أفمن فسح الله قلبه لمعرفته والإقرار بوحدانيته والخضوع لطاعته فهو على بصيرة»[١] ؛ لأن في تمكن الإيمان في القلب سعةً ونورًا ، من أبرز علاماته : «الإنابة إلى دار الخُلُود ، والتَّجَافِي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت »[٢] ، والثاني : في إيضاح صلابة المعرضين عن قبول الحق وسماع الدعوة ؛ لأن تمكن الكفر في القلب ضيق وقسوة تنفي خصال الإيمان وتولد خصال الكفر ، فأسهم الاحتباك في إبراز البون الشاسع بين من هم على اتباع الحق وسماع الدعوة والعمل بالصواب المؤدي إلى لين القلب ، وبين من هم في الإعراض عن الحق وسماع الدعوة الموصل إلى قسوة القلب[٣] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (الزمر: ٢٤،ك) احتباك «ذكر الاستفهام أولًا دليلًا على حذف متعلقه ثانيًا ، وما يقال للظالم ثانيًا دليلًا على ما يقال للعدل أولًا »[٤] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (وقيل لأهل النعيم طيبوا نفسًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (كمن أمن العذاب) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة حينما يلقى في النار على وجهه كمن يأتي آمنًا يوم القيامة؟ وقيل للظالمين : ذوقوا عقاب ما كنتم تكسبون في الدنيا من سيئات ، وقيل للمتقين : هذا ثواب ما كنتم تعملون في الدنيا من حسنات . وسرّه أنه ذكر أنكأ ما يؤول إليه الظالمون ، وحذف أيسر ما يكون للمتقين ؛ لكون السياق اقتضى حذفهما ؛ لإبراز شدة العذاب ترهيبًا .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في نفي التسوية بين من هو في العذاب خائف ومن هو في النعيم آمن ؛ ليتقرر في الأذهان وجه انتفاء المساواة في الجزاء بين من

---

(١) جامع البيان ٢٣/٢٠٩ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم١٥/٢٤٧وما بعدها بتصرف يسير .

(٤) نظم الدرر ١٦/٤٩٣ .

عمل بالإيمان وبين من عمل بالكفر، فالعذاب سببه المكوث في الضلال ، والنعيم سببه التوفيق للهدى[1] ، فتحقق بالمعاني الإحسانية إيضاح شدة العذاب الذي يصيب أهل الكفر- فأول ما تمس النار وجهه- ترهيبًا منه[2] ، ثم إعلام البشر حقيقة نفي التسوية بين أهل الإيمان وأهل الكفر يوم القيامة ، فليس الناس فيه سواء ؛ ليدفعهم إلى المسارعة في عبادة الله ، ففيه إرشادٌ جليلٌ يدعو إلى الإيمان لحفظ الوجه الذي هو أعز موضع في ظاهر البدن من شدة العذاب وحرقة النار[3] . والمتفق عليه عند جمهرة المفسرين في هذه الآية تحقق حذف الخبر ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أي : كمن أمن من العذاب .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾(فصلت:٣٤،ك) ، احتباك ، على اعتبار تقدير : «لا تستوي الحسنة والسيئة ، ولا السيئة ولا الحسنة»[4] .

وفيه **نظر** : لأن في (لا) وجهين ؛ أحدهما : جعلها زائدة للتوكيد ؛ لكون (استوى) لا يكتفي بواحدٍ . والثاني : أنها مؤسِّسَةٌ غيرُ مؤكْدةٍ ؛ لكون المراد بالحسنة والسيئة الجنس ، أي : «لا تَسْتوي الحسناتُ في أنفسِها ؛ فإنها متفاوتةٌ ، ولا تستوي السيئاتُ أيضًا ، فرُبَّ واحدةٍ أعظمُ مِنْ أخرى»[5] . وقال أبوحيَّان : «فإن أَخَذْتَ الحسنةَ والسيئةَ جنسًا لم تكنْ زيادتُها كزيادتِها في الوجهِ الذي قبلَ هذا»[6] . وعليه يكون المعنى : ولا تستوي الحسنات ؛ الحسنات ؛ إذ هي متفاوتات في أنفسها ولا السيئات ؛ لتفاوتها أيضًا[7] .

والجدير ذكره : أن عدم تكرار (لا) في ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾(فاطر:١٩،ك) ؛ لشدة ظهور المفارقة بين أفراد كل صنف من الصنفين ؛ لذا أغنى عن ذكر النافي ، أي : لا

---

(١) ينظر : المرجع السابق١٦/٤٩٢ .

(٢) ينظر : جامع البيان٢٣/٢١٢ .

(٣) ينظر : البحر المحيط٥/٤٢٩ .

(٤) روائع الإعجاز في القصص القرآني - دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز- ، ص٣١٤ .

(٥) الدر المصون ٩/٥٢٧ .

(٦) البحر المحيط ٧/٤٧٦ .

(٧) ينظر : الدر المصون٩/٥٢٧ ، — هامش رقم : (٥) .

الصنفان ولا أفرادهما ، ولا أفراد صنف منهما ، فالمعنى : «أن الناس غير مستوين في العمى والبصر بل بعضهم أعمى وبعضهم بصير ، لأن (افتعل) هنا لمعنى تفاعل ، ولعله عبر به دلالة على النفي ، ولو وقع اجتهاد في أن لا يقع ، أو دلالة على أن المنفي إنما هو التساوي من كل جهة ، لا في أصل المعنى ، ولو كان ذلك مستندًا إلى الطبع لكانوا على منهاج واحد... فتجد بعض العمي يمشي بلا قائد في الأزقة المشكلة ، وآخر لا يقدر على المشي في بيته إلا بقائد ...»(١) . وقيل بــ(لا) في ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾ ؛ لأن التقدير «لا أحد أحسن قولاً منه ، بل هو المحسن وحده ، فلا يستوي هذا المحسن وغيره أصلًا ، ردًا عليهم أن حالهم أحسن من حال الدعاة إلى الله ، وكان القيام بتكميل الخلق يحتاج إلى جهاد للنفس عظيم من تحمل المشاق والصبر على الأذى ، وغير ذلك من جميع الأخلاق ، عطف عليه التفرقة بين عمليهما ترغيبًا في الحسنات فقال : ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ﴾ ، أي : وإن اجتهدت في التحرير والاعتبار ﴿ ٱلۡحَسَنَةُ ﴾ أي : لا بالنسبة إلى أفراد جنسها ولا بالنسبة إلى عامليها عند وحدها ، لتفاوت الحسنات في أنفسها ، والحسنة الواحدة باعتبار نيات العاملين لها واجتهادهم فيها ولا بالنسبة إلى غيرها ، وإلى ذلك أشار بالتأكيد في قوله : ﴿ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾ أي : في نفسها ولا بالنسبة إلى جنس آخر»(٢) .

*

ويقول تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴾ (محمد:١٤م) ، ففيه احتباك. «ذكر البينة أولًا دليلًا على ضدها ثانيًا ، والتزيين واتباع الهوى ثانيًا دليلًا على ضدهما أولًا »(٣) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (فبصر سوء عمله فاجتنبه مخالفًا لهواه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فكان على عمى) ؛ لدلالة ذكر ﴿ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أفمن كان على بينة من ربه فبصر سوء عمله فرآه سيئًا فاجتنبه مخالفًا لهواه ، كمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا

---

(١) نظم الدرر ٣٦/١٦.

(٢) المرجع السابق ١٨٧/١٧.

(٣) المرجع السابق ٢١٧/١٨ وما بعدها .

فعمله فكان على عمى وضلال ، واتبعوا أهواءهم . وسرّه «أنه ذكر الأصل الجامع للخير ترغيبًا ، والأصل الجامع للشر ترهيبًا»[١] .

فصورة الاحتباك أسهمت في نفي التسوية بين من اتبع الهدى ومن اتبع الهوى ترغيبًا وترهيبًا ، فالقول به جاء في سياق يدعو إلى إثبات الدعوة لحفظ الدين بجهاد الكفار [٢] ، وهذا ما حققه السياق العام ، أمّا الخاص فتحقق فيه تقسيم الناس في القيامة إلى أولياء مهتدين ، وأعداء ضالين . فأصل المراد متحقق في الركنين المذكورين ، الأول : في بيان نفي جانب من التسوية تمثل في : أفمن كان على حجة وبرهان يرشده إلى العلم بوحدانية الله ، فيعبده على بصيرة منه ، ويعلم أن له رَبًّا يجازيه على الطاعة بالجنة ، وعلى المعصية بالنار[٣] ، والثاني : في كمن حسَّن له الشيطان قبيح عمله فأراه جميلًا فعمل به ، واتبع هواه من غير حجة ولا برهان [٤] . ومن أبرز جواهر المعاني التي يحققها الاحتباك المساهمة في تأكيد نفي المساواة في الآخرة ؛ ليثبت للعباد حال من اتبع الهدى في الإيمان والطاعة ، وحال من اتبع الهوى في الكفر والمعصية ؛ ترغيبًا لما يوجب الجنة ، وترهيبًا مما يوجب النار . ثم إن في الحذف تثقيفًا للنفوس يدفعها إلى اختيار الإيمان والعمل الصالح ، والتدبر في البرهان الدال على الحق ؛ للاستبصار بواضح الحجة ، فالعلماءُ في ضياء برهانهم ، والعارفون في ضياءِ بيانهم ؛ فالمهتدون بأحكام أدلة الأصول يُبْصِرون ، و المضلون بحكم الإلهام والهوى يستبصرون[٥] .

*

كما أسهم التقابل في إبراز شدة البون بين أهل الجنة في الجنة ترغيبًا في ألوان النعيم ، وأهل النار في النار ترهيبًا من ألوان العذاب ، وذلك في قول الحق ﷻ : ﴿ مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾(محمد:١٥،م) ،

---

(١) الموضع السابق .

(٢) ينظر : المرجع السابق١٨/١٩٤ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٨/٢١٨ .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

(٥) ينظر : لطائف الإشارات٥/٤٠٧ .

ففيه احتباك[١] إذ المحذوف من الطرف الأول (كمثل النار) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (من هو خالد في الجنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : «أمثل الجنة الموصوفة كمثل النار ، ومن هو خالد في الجنة كمن هو خالد في النار؟»[٢] .**وقيل** :«فحصل نحو الاحتباك ، إذ دل مثل الجنة على مثل أصحابها ، ودل مثل من هو خالد في النار على مثل النار»[٣] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (مثل أصحاب الجنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ في الطرف الأول . ومن الطرف الثاني حذف (مثل النار) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ﴾ في الطرف الثاني .
وسرّه أنه قدم أن المؤمنين في جنات تجري من تحتها الأنهار ، وأن الكافرين مأواهم النار ؛ إنكارًا على من لم يرتدع للزواجر ، وتنبيهًا على أن عمله عمل من لا يسوي بين الجنة والنار ؛ لأن كون النار جزاء لمثله ، والجنة جزاء المؤمن[٤] ، أو ذكر عِظَم جزاء المؤمن ترغيبًا في الإيمان ، وقبح حال الكافر تنفيرًا من الكفر والعصيان .

فالصورة التركيبية لطبيعة الحذف أسهمت في رسم صورتين مختلفتين بقصد نفي التسوية بينهما ترغيبًا وترهيبًا ، فالأولى للجنة ، والثانية للنار . فالأنفع للسياق والأجدى لما عليه المقام القول بالاحتباك ؛ لما تحقق في السياقين من الحث على لزوم التوحيد الدافع إلى تمكن الإيمان ، فالعام أمر أهل الإيمان بحفظ دينهم [٥] ؛ لأجل تحقق الدعوة إلى التمسك بالتوحيد وإبطال الكفر ، والخاص تحقق فيه إثبات أن الناس يوم القيامة قسمان : قسم في الجنة ينعمون ، وقسم في النار يُعذَّبون [٦] ، فحصل انتفاء التسوية في الأجور ؛ لأجل الإعلام بحقيقة الجنة والنار ، فليس من هم في الدرجات كمن هم في الدركات [٧] ، ومن أنبل المعاني التي يحققها الاحتباك إبراز أوجه التقابل

(١) ينظر : نظم الدرر١٨/٢٢٥ .
(٢) الموضع السابق .
(٣) التحرير والتنوير ٢٦/٩٥ .
(٤) ينظر : نظم الدرر١٨/٢٢٥ .
(٥) ينظر : المرجع السابق١٨/١٩٤ .
(٦) ينظر : المرجع السابق١٨/٢١٨ .
(٧) ينظر : جامع البيان٢٦/٥٠ بتصرف .

بين المعاني ؛ ليتحقق جمال التركيب ، فالمعنى : «أفمن يخلد في هذا النعيم كمن يخلد في النار »[١]؟ وقيل : «أفمن كان على بينة من ربه وأعطى هذه الأشياء كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار »[٢]؟ وقيل : «مثل أهل الجنة في النعيم المقيم كم ثل أهل النار في العذاب المقيم »[٣]؟ فثبت بالبرهان أن منزلة أهل الجنة لا تتساوى مطلقًا مع منزلة أهل النار ، وهذه الفائدة العظمى من وراء القول بالاحتباك ، والمقصد منها : إعلام البشر عامة بما يكون في الجنة من الجمال والخضرة والبهاء ، وحال أهلها وهم في النعيم الأكبر يخلدون ، وبما يكون في النار من الوحشة والحرقة ، وحال أهلها وهم في العذاب المقيم يتقلبون ، وفي هذا نعم علية ترشد البشر إلى المسارعة في فعل الطاعات وترك المنكرات ، فأعلم الله عباده المتقين بما أعده لهم وهو غيب عنده ، وحذر خلقه العاصين بما أعده لهم وهو غيب عنده ؛ ليرتقوا بأنفسهم في عبادته ، لهذا فالاحتباك ذو أثر فاعل في التصعيد الإيماني .

*

ويبرز التقابل عِظم البون بين الموحد والمشرك ترغيبًا في الاستقامة ، وذلك في قول الله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(الملك:٢٢،ك) ، ففيه احتباك «ذكر الكب أولًا دليلًا على ضده ثانيًا ، والمستقيم ثانيًا دليلًا على المعوج أولًا »[٤] ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (معوج) ؛ لدلالة ذكر ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (رافعًا رأسه) ؛ لدلالة ذكر ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ في الطرف الأول ، وتقديره : أفمن يمشي مكبًّا على وجهه معوجًا أهدى ، أمن يمشي سويًّا قائمًا رافعًا رأسه على صراط مستقيم . وقيل في تقديره : «أفمن يمشي مكبًّا على وجهه أهدى ممن يمشي سويًّا على صراط مستقيم ، أمن يمشي سويًّا على صراط مستقيم أهدى ممن يمشي وهو

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٣٧/١٦ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) الموضع السابق .

(٤) نظم الدرر ٢٥٨/٢٠.

مكب»[1] . فالتقدير الأول أدق ؛ لما تحقق فيه من الكشف عن أوجه التقابل بين المعاني ، فهو أدل على بيان المراد من نفي التسوية . وسرّه أنه «ذكر أنكأ ما للمجرم وأسر ما للمسلم»[2] .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في الكشف عن عِظم التفاوت بين أهل الإيمان في سلوك طريق الحق ، وبين أهل الباطل في سلوك سبل الباطل ترغيبًا وترهيبًا ، ففي تبصر دلالة السياقين العام من حيثُ تحقق الدعوة إلى عبادة الله خضوعًا واستسلامًا ؛ لاتصافه بكمال الملك الدال على تمام القدرة [3] ، والخاص من حيثُ تحقق الإعلام بانتفاء التساوي في الآخرة بين الموحد والمشرك [4] اتضح أن القول بالاحتباك في هذا الموضع يعنى عناية بالغة بالحث على لزوم كمال الخضوع لله الحامل على لزوم طريق السعادة ؛ لأن في لزومه نجاة من كل خوف ، وهذا يرشد البشر عامة -المهتدي والضال- إلى فعل الطاعات تقربًا ، والبعد عن المعاصي تجنبًا ، فإن من أعرض أهلكه الله ، و لم يغن عنه أحد ، ومن أقبل رفعه الله واستخلصه و لم يضره أحد [5] . وفي تدبر دلالة الاحتباك أثر فاعل في الكشف عن صورتين ؛ الأولى : صورة المشرك في لزوم شركه والبقاء عليه ، فهو لهذا يمشي دائمًا ساقطًا على وجهه من كثرة التعثر وعدم الإبصار ، فقوله : ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ كناية عن السير على رسم مجهول وأثره معوج فهو على غير عادة العقلاء ؛ لخلل في أعضائه ، واضطراب في عقله ورأيه ، فأصبح ملازمًا للتعثر والوقوع على وجهه في سيره ؛ فلعدم نظره يمشي في أصعب الأماكن لإمالة الهوى له عن المنهج المسلوك ؛ ولغلبة الجهل عليه لا يكون تكرار المشاق عليه زاجرًا له ، والثانية : صورة الموحد في لزوم التوحيد والارتقاء به ، فهو في مشيه سويّ رافع رأسه ناصب وجهه سالم من العثار ، ولشدة انتصابه يبصر ما أمامه وما عن يمينه ، وما عن شماله ، فمشيه على طريق موطأ واسع مسلوك سهل قويم [6] ، فأي الصورتين

---

(١) البرهان ١٣٢/٣ .

(٢) نظم الدرر ٢٥٨/٢٠ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٢١٥/٢٠وما بعدها .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٢٥٧/٢٠بتصرف .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٢١٦/٢٠ .

(٦) ينظر : المرجع السابق ٢٥٧/٢٠وما بعدها.

الصورتين أهدى وأقوم! .

فالقول بالاحتباك علي يولد جملة ثرية من لطائف المعاني الدافعة إلى الارتقاء في مقامات التصعيد الإيماني ، ومن أجلّها : إيثار عزائم أهل الإيمان بمختلف درجاتهم ؛ لإبعادهم عن الوقوع في الإلحاد والشرك ، ودفعهم إلى الإخلاص والتوحيد .

*

– القول بشبه الاحتباك:

في قول الحق ﷻ :﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ . وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ . وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾(فاطر: ١٩- ٢١،ك) ، شبه احتباك[1] ، على اعتبار أن قوله : ﴿ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴾ تقديره : ولا الظلمات تستوي مع النور ، ولا النور يستوي مع الظلمات ، ومثلها : ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴾ ، تقديره : ولا الظل يستوي مع الحرور ، ولا الحرور يستوي مع الظل [2] . وعلى هذا التقدير يكون المحذوف من الطرف الأول (النور) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَا النُّورُ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الظلمات) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَلَا الظُّلُمَاتُ ﴾في الطرف الأول ، أما الشطر الثاني من التقدير فالمحذوف فيه من الطرف الأول (الحرور) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَا الْحَرُورُ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الظل) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَا الظِّلُّ ﴾ في الطرف الأول .

وسرّه أن ذكر الشيء مرتين أدل على تأكيده ، وأشد في تقريره ؛ ليتحقق في النفوس استشعار عِظم الفرق بينهما ؛ لأجل الوصول إلى المقصود ، «فما يستوي في الطبع والعقل المتدسي الذي هو أعمى بعصيانه في الظلمات ، ولا المتزكي الذي هو بطاعاته بصير في

---

(١) في هذه الآية قولان ، مذهب القائلين بزيادة (لا) ، وهذا يعضد القول بالحذف وذكر في المتن ، ومذهب القائلين أنها لتأكيد النفي ، اعترض أبوحيَّان على ما قال به ابن عطية قائلًا : «فدخول (لا) في النفي لتأكيد معناه ؛ لقوله:﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾(فصلت: ٣٤،ك) –[وبه قال بعض أهل التفسير من أمثال البيضاوي٥/١١٥ ، وأبي السعود٧/١٤٩ ، والآلوسي٢٢/١٨٧ ، وابن عاشور٢٢/٢٩٤]– وقال ابن عطية : دخول (لا) إنما هو على هيئة التكرار... وما ذكر غير محتاج إلى تقديره ؛ لأنه إذا نفى استواء الظلمات والنور ، فأي فائدة في تقدير نفي استوائهما ثانيًا وادعاء محذوفين؟ » . البحر المحيط ٧/٢٩٤ . كما ينظر: الدر المصون٩/٢٢٥وما بعدها .

(٢) ينظر : روائع الإعجاز في القصص القرآني– دراسة في خصائص الأسلوب القصص المعجز ، ص٣١٤ .

النور»[1] . فحقيقة القول بالحذف على نسق شبه الاحتباك قائمة في جعل دخول (لا) في ﴿وَلَا ٱلنُّورُ﴾ وفيما بعدها ﴿وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ إنما هو على نية التكرار [2] ، كأنه قال :﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ والنور ، ﴿وَلَا ٱلنُّورُ﴾ والظلمات ، فاستغنى بذكر الأوائل عن الثواني ، ودل مذكور الآية على متروكه[3] . وهذا وجه جليل من وجوه فهم المعنى لا يتعارض مع مقصد النظم ، والقول به يُعضد من شأن الحذف . ففي تبصر دلالة السياقين العام من حيثُ «تحقق القدرة الكاملة لله تعالى اللازم منها تمام القدرة على البعث الذي عنه يكون أتم الإبقائين بالفعل دائمًا أبدًا بلا انقطاع ولا زوال ، ولا اندفاع في دار المقامة التي أذهب عنها الحزن ، ودار الشقاوة الجامعة لجميع الأنكاد والهموم»[4] ، والخاص من حيثُ تحقق مبدأ الجزاء على الأعمال والأفعال والأقوال ؛ لأجل إثبات عدة مقاصد أولها : تحقق الإعلام بانتفاء التساوي بين الظلمات والنور والظل و الحرور ، وقد جعلت تلك الأجناس مثالًا للأباطيل والحق في : ﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴾ ، وما ينشأ عن الظل وهو لطف برده لكونه مرجع المؤمن في الآخرة ، وما ينشأ عن الحرور من شدة الوهج ؛ لكونها مرجع الكافر في الآخرة ، وهذا أدعى إلى قبول الحق والرجوع إليه [5] . وثانيهما : أن في ضرب تلك الأمثال وجعلها للمؤمن والكافر دلالة على تمام القدرة التي تقررت في السياق من أول السورة ؛ ليتحقق الإعلام بأن الخشية والقسوة بيده ﷻ إبطالًا لقول من يسند الأمور إلى الطبائع ، فلو كانت مستندة إلى الطبع لكان البشر على منهاج واحد[6] . وثالثهما : تحقق الحث على تأمل شدة

---

(١) نظم الدرر ٣٦٥/١٦وما بعدها .

(٢) «اختلف أهل العربية في وجه دخول (لا) مع حرف العطف في قوله : ﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾ ، فقال بعض نحويي البصرة : (ولا الظل ولا الحرور) يشبه أن تكون (لا) زائدة ؛ لأنك لو قلت : لا يستوي عمرو ولا زيد في هذا المعنى ، لم يجز إلا أن تكون (لا) زائدة ، وكان غيره يقول : إذا لم تدخل (لا) مع الواو ، فإنما لم تدخل اكتفاء بدخولها في أول الكلام ، فإذا أدخلت فإنه يراد بالكلام أن كل واحد منهما لا يساوي صاحبه ، فكان معنى الكلام إذا أعيدت (لا) مع الواو عند صاحب هذا القول لا يساوي الأعمى والبصير ولا يساوي البصير الأعمى ، فكل واحد منهما لا يساوي صاحبه» . جامع البيان١٢٩/٢٢ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز٣٧٠/٥ .

(٤) نظم الدرر ١/١٦ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٣٨/١٦ .

(٦) ينظر : المرجع السابق ٣٦/١٦ .

البون بين أهل الحق في حسن صنيعهم ، وأهل الباطل في سوء اختيارهم ، فهو في بصيرة المتأمل له معان تهدف إلى إنماء الجانب الإيماني من خلال لزوم ما تقرر في السياق الخاص من الدعوة إلى الإقبال على الداعي ، والإيمان بالغيب ، وإقامة الصلاة لكونها أدل دلائل التوحيد . وللحذف أثر فاعل في توجيه العقول إلى إدراك مظاهر الخير والوقوف عليها ، والبعد عن مظاهر الشر وتجنبها ، فإن في إيثار الجمع في ﴿ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ دلالة تأكد كثرة تعدد سبل الباطل وتشعبها ، وفي إيثار الإفراد في : ﴿ٱلنُّورُ﴾ إثباتًا إلى أن طريق الحق واحد تكذيبًا لمن قال : الطريق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق[1] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (غافر:٥٨،ك) ، شبه احتباك «ذكر عمل الصالحات أولًا دليلًا على ضدها ثانيًا ، والمسيء ثانيًا دليلًا على المحسنين أولًا »[2] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (محسنين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ٱلْمُسِىٓءُ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الذي كفر و لم يعمل الصالحات) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وما يستوي الذين آمنوا وعملوا الصالحات فكانوا محسنين ، ولا المسيء الذي كفر و لم يعمل الصالحات . **وقيل** : إن التقدير : «**والذين آمنوا وعملوا الصالحات** (لا يستوون) مع **المسيء** فينحطون لدركته ، ولا **المسيء** (يستوي **معهم**) فيرتفع لدرجتهم»[3] . وسرّه «أنه ذكر الصلاح ترغيبًا ، والإساءة ترهيبًا»[4] .

فالقول بالحذف –في التقديرين– أسهم في نفي التسوية بين أفراد كل نوع ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يستوون مع أضدادهم الذين كفروا وعملوا السيئات ، ولا يستوي المحسن مع ضده المسيء ؛ ترغيبًا في الارتقاء في درج الإيمان ، وترهيبًا من الانحطاط في درك الكفران ، فالذي يهدي إليه السياقان يُعضد من شأن الحذف لما تحقق فيهما من الإعلام

---

(١) ينظر : المرجع السابق ٣٧/١٦ .

(٢) المرجع السابق ٩٧/١٧ .

(٣) روائع الإعجاز في القصص القرآني – دراسة في خصائص الأسلوب القصص المعجز– ، ص٣١٤ .

(٤) الموضع السابق .

بحقيقة الجنة والنار ؛ لأجل الجزاء على جنس الأعمال ، فتقرر في السياق العام الإشادة بتصنيف البشر -في الآخرة- صنفين ؛ أهل جنة ، وأهل نار[١] ، وفي الخاص الإعلام بتحقق نفي استواء أهل الطاعة مع أهل المعصية في الأجر . فحصل بالحذف تأكيد معنى أنه لا يستوي المحسن بالإيمان والعمل الصالح مع المسيء بالكفر والعمل السيئ ؛ لأن ذلك أدل على القدرة[٢] ؛ لذا ففي حمل النظم على الحذف جليل من لطائف المعاني التي تسعى في المقام الأول إلى ترسيخ مبدأ عظيم من مبادئ تحقق الإيمان في النفوس ، وهو الاعتبار والاتعاظ بالحكمة الإلهية من نفي التساوي في الآخرة بين المؤمن والكافر ، فإذا حصل في النفوس الإيمان بالدار الآخرة تحقق استشعار مطلق العظمة والقدرة على الإحياء بعد الفناء ، ثم الجزاء على طيب الأعمال بالجنة ، وخبثها بالنار[٣] ، فمن استشعر عِظَم الفرق بين حسن الثواب وسوء العقاب سهل عليه ترك المعاصي والمنكرات التي تُوجب العذاب وتخلد في النار[٤] ، ولو تذكرنا لعرفنا ، فالأمر واضح قريب لا يحتاج إلى أكثر من التذكر والتذكير[٥] .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(فصلت:٤٠،ك) ، شبه احتباك «ذكر الإلقاء في النار أولًا دليلًا على دخول الجنة ثانيًا ، والأمن ثانيًا دليلًا على الخوف أولًا »[٦] ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (خائفًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ءَامِنٗا﴾ ، ومن الطرف الثاني حذف (يدخل الجنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ﴾ ، وتقديره : أفمن يلقى في النار فيكون خائفًا خير ، أم من يأتي آمنًا يوم القيامة فيدخل الجنة .

وسرّه أنه «ذكر المقصود بالذات ، وهو ما وقع الخوف لأجله أولًا ، والأمن الذي هو

---

(١) ينظر : نظم الدرر١٧/١ .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) ينظر : جامع البيان٧٧/٢٤ وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم٣٢٥/١٥بتصرف .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن٣٠٩١/٢٤ .

(٦) نظم الدرر ١٩٩/١٧ .

العيش في الحقيقة ثانيًا »[١] ، «وكان الظاهر أن يقابل الإلقاء في النار بدخول الجنة ، لكنه عدل عنه ؛ اعتناءً بشأن المؤمنين ؛ لأن الأمن من العذاب أعم وأهم ، ولذا عبر في الأول بالإلقاء الدال على القسر والقهر ، وفيه بالإتيان الدال على أنه بالاختيار والرضا مع الأمن ودخول الجنة لا ينفي أن يبدل حالهم من بعد خوفهم أمنًا»[٢] .

فصورة الحذف أسهمت في نفي التسوية بين من عمل في الدنيا فآمن بآيات الله واتبع أمره ونهيه ، وبين من لم يعمل للآخرة وكفر بالآيات ولم يتبع أمره ونهيه ؛ ترغيبًا في الإيمان وترهيبًا من الكفر ، ويظهر جمال المراد بعد مراعاة النظر في السياق العام لما تقرر فيه من إثبات علم الله الدافع إلى الإيمان والطاعة [٣] ، والخاص لما تحقق فيه من بيان خطر الإلحاد في آيات الله ترهيبًا منه[٤] . فحصل بالمعاني الإحسانية مزيد تأكيد لانتفاء المساواة ؛ لبعد التباين التباين في جنس العمل الموجب الإلقاء في النار والإتيان آمنًا .

ويذهب بعض أهل العلم إلى أن في القول به نظرًا [٥] . والظاهر أنه وجه من وجوه فهم فهم المعنى لا يتعارض مع المراد ، بل حقق للنظم جملة من المعاني ، من أبرزها : تعريف العباد بأن الإعراض عن تأمل دلالات الحق والإلحاد فيها سبب الإلقاء في النار التي توجب الخوف ؛ لما فيها من شدة الأهوال ، فيدوم خوفه ، والإيمان بها يُوجب الخلود في الجنة ، فيدوم أمنه [٦] ؛ لهذا فالقول به ذو أثر بارز في العناية بالتصعيد الإيماني بغية التمسك بالطاعات والبعد عن المعاصي .

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (الزخرف:٥١-

---

(١) المرجع السابق ١٣٤/١٧ .

(٢) روح المعاني ١٢٧/٢٤ .

(٣) ينظر : نظم الدرر١٩٩/١٧ .

(٤) ينظر : جامع البيان٢٣٢/٢٤ .

(٥) ينظر : روح المعاني١٢٧/٢٤ . قيل : «لا اشتراك بين الإلقاء في النار والإتيان آمناً ، لكنه –كما قلنا– استفهام تقرير ، كما يقرر المناظر خصمه على وجهين ، أحدهما فاسد يرجو أن يقع في الفاسد فيتضح جهله ، ونبه بقوله : ﴿يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ﴾ على مستقر الأمر ، وهو الجنة ، وبقوله : ﴿ءَامِنًا﴾ على خوف الكافر وطول وجله ، وهذه الآية عامة في كل كافر ومؤمن» . البحر المحيط٤٧٨/٧ .

(٦) ينظر : نظم الدرر١٩٩/١٧بتصرف .

٥٢،ك) ، شبه احتباك «ذكر الإبصار أولًا دليلاً على حذف مثله ثانيًا ، والخيرية ثانيًا دليلاً على حذف مثلها أولًا»[١] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (خير عندكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ ﴾ ، ومن الطرف الثاني حذف (أفلا تبصرون) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ، وتقديره : أفلا تبصرون ، أفهذا الذي جاء يسلبنا عبيدنا -بني إسرائيل- خير عندكم مني ، أم أنا خير ، أفلا تبصرون ما نبهتكم عليه؟ .

وسرّه : أنه ذكر ما اقتضى السياق ذكره ؛ لبيان حقارة فرعون في نسب الخيرية إليه وإثبات مكابرته ؛ لذا أثبت نفي الإبصار عنهم ، حتى لا يتعجل فرعون في نسب الخيرية إليه[٢] .

إن القول بالحذف يُعد وجهًا من وجوه فهم المعنى على اعتبار جعل «أم أنا(خَيْرٌ)؟ من الاستفهام الذي جُعل بـــ(أم) ؛ لاتصاله بما قبله من الكلام ، بمعنى : أأنا خير من هذا الذي هو مهين؟ أم هو؟ »[٣] . فالنمط التركيبي لطبيعة الحذف أسهم في نفي التسوية بين موسى عليه السلام وفرعون ، ليتحقق المقصد الأعظم من إعلاء الحق على الباطل ، ويتضح جلال المراد بعد رعاية السياق لما احتواه من حصول «البشارة بإعلاء هذه الأمة بالعقل والحكمة ؛ حتى يكونوا أعلى الأمم في العلم »[٤] ، والخاص لما تحقق فيه من تأكيد عجز فرعون في إدعائه القوة والقدرة ، وإثبات قوة موسى عليه السلام وقدرته بتقدير الله له[٥] . فأصل المراد متحقق في في الركنين الجوهريين ، الأول : في «أفلا تبصرون -أيها القوم- ما أنا فيه من النعيم والخير ، وما فيه موسى من الفقر وعيّ اللسان »[٦]؟ ، والثاني : في «أنا خير-أيها القوم- أم هذا الذي لا شيء له من الملك والأموال مع العلة التي في جسده ، والآفة التي بلسانه ، فلا يكاد من أجلها يبين كلامه؟ »[٧] ، فتحقق المقصد الأعظم ، وهو انتفاء الخيرية . ولكنَّ في الحذف تثقيفًا للنفوس يرشد إلى مراعاة تحكيم العقل ودقة النظر في تأمل الدلائل ؛ لأجل

---

(١) المرجع السابق ١٧/٤٤٧وما بعدها .

(٢) ينظر : جامع البيان٢٥/٨٢ .

(٣) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه ، أسراره ، ص١٦٢ .

(٤) نظم الدرر ١٧/٣٧٦ .

(٥) ينظر : المرجع السابق١٧/٤٤٨ .

(٦) جامع البيان ٢٥/٨١ .

(٧) الموضع السابق .

معرفة الصواب ، وهذا يتطلب قلوبًا مؤمنة تحس مظاهر القدرة والعظمة ، لا قلوبًا يخدعها البريق القريب من العيون ؛ لأنها لم تحصل على العلم الذي يؤهلها لمعرفة دلائل الله الدالة على كماله ، «وعند أصحاب العقول الغافلة لا بد أن يكون فرعون الذي له ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحته ، خيرًا من موسى عليه السلام ومعه كلمة الحق ومقام النبوة ودعوة النجاة من العذاب الأليم! »[1] ، ففي الحذف تنبيه لحقارة فرعون وضعفه ؛ لأن ملكه منحصر في الدنيا ، ولنزاهة موسى عليه السلام وقوته ؛ لما عنده من دلائل القدرة وخارق المعجزات .

*

وفي قول الحق عز وجل : ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾(القمر:٤٣،ك) ، شبه احتباك «أثبت الخيرية أولًا دليلًا على حذفها ثانيًا ، والبراءة ثانيًا دليلًا على حذفها أولًا »[2] . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (لم يكن لهم براءة في الزبر) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ في الطرف الأول . ومن الطرف الثاني حذف (خير منكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : أكفاركم خير من أولئكم فلهم براءة في الزبر ، أم لكم براءة في الزبر فأنتم خير منهم[3] .

وسرّه أنه ذكر الأدل على التبكيت والتوبيخ ؛ ليتحقق أن الكفر كله ملة واحدة ، لا تفضيل لأحد على أحد ، ولا خيرية فيه لكافر إطلاقًا[4] .

فصورة الحذف تشير إلى نفي الخيرية عنهم ؛ ترهيبًا من شدة العذاب ، ويزداد حسن المعنى بعد مراعاة النظر في السياق العام لما ثبت فيه من تحقق أمر الساعة وشدة قربها [5] ، والخاص لما تحقق فيه من تمادي الكفرة في الكفر بالله ، رغم موعظة الله لهم بذكر عذاب السابقين[6] ؛ فحصل الإعلام بأنهم ليسوا خيرًا من الكفرة السابقين فليس لهم براءة في

---

(١) في ظلال القرآن ٣١٩٣/٢٥ .

(٢) نظم الدرر ١٣٠/١٩ .

(٣) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص٢٨٢ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ، ص٢٨٢وما بعدها .

(٥) ينظر : نظم الدرر١٩/٨٦ .

(٦) ينظر : المرجع السابق١٩/١٣٠ .

الكتب تبين أن كفارهم لا ينالهم العقاب الذي حل بأمثالهم [١] ، ففي الحذف زيادة تأكيد أنهم سواء في الكفر وسواء في إحاطة العذاب ؛ تحذيرًا من هول المصير الذي ينتظرهم[٢] ، ثم إن في تأمل الحذف بثًّا للرعب في نفوس الكافرين ؛ ليتحقق إبعادهم عن الوقوع في العذاب .

*

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير٢٧/٢١١ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن٢٧/٣٤٣٥ .

خاتمة البحث

– أهم نتائج البحث ما يلي :

❖ من أقدم من أشار إلى هذا النوع من الحذف سيبويه (١٨٠هـ) .

❖ يعد السجلماسي (٧٠٤هـ) ، من أقدم من أطلق اسم حذف التقابل ، كما أن ابن هاني الغرناطي(٧٧١هـ) من أقدم من أطلق اسم الاحتباك .

❖ بدايات هذا الفن البلاغي ظهرت واضحة منذ أوائل القرن السادس الهجري عند ابن عطية الأندلسي (٥٤٦هـ) ، كما أن تحرر مفهومه اتضح بصورة أكثر دقة من حيثُ الصياغة في أوائل القرن الثامن الهجري ، عند ابي حيان الأندلسي(٧٤٥هـ) .

❖ دراسة علماء المغرب الإسلامي لهذا الفن البلاغي أكثر دقة منها عند علماء المشرق الإسلامي .

❖ عدم ظهور هذا الفن البلاغي مبكرًا كان سببًا رئيسًا وراء اختلاف وجهات نظر العلماء في تحديد طبيعته .

❖ نال فن الاحتباك عناية من العلماء خصوصًا المفسرين ، والبلاغيين ، والنحويين ، والفلاسفة ، واتضح ذلك من خلال نصوصهم .

❖ كان للنظم نصيبٌ قليل من اهتمام بعض العلماء الذين عنوا ببيان الاحتباك في أسفارهم ؛ إذ توصلت الدراسة إلى رصد ستة شواهد نظمت شعرًا ، وثلاثة نظمت نثرًا صح حملها على الاحتباك وشبهه .

❖ يعد البقاعي أكثر العلماء مهارة في الحديث عن الاحتباك ؛ حيثُ ذكر له ما يقارب : «مائتين وأربعة وتسعين» موضعًا ؛ لذا يعد أعظم مرحلة مثلت الاحتباك خير تمثيل . كما يعد الطاهر ابن عاشور أكثر العلماء إشارة إلى شبه الاحتباك .

❖ من خلال الوقوف على ما ذكره العلماء من تعريفات لمصطلح الاحتباك تبين أن له طريقتين ، الأولى : ما كانت النسبة فيه بنسبة الأول إلى الثالث ، كنسبة الثاني إلى الرابع ، والثانية : ما كانت النسبة فيه بنسبة الأول إلى الثاني كنسبة الثالث إلى الرابع ، فكل موضع أتى بتلك الطريقتين كان موافقًا لقاعدة الاحتباك ، وكل آية خرجت عن

المتعارف عليه عند العلماء بنص التعريف الموضوع للاحتباك كان شبيهًا بالاحتباك ، وإذا كان المعنى ظاهرًا واضحًا فالأولى فيه ترك التقدير ، خاصة في كلام الله ؛ لأنه قد يؤول إلى تكلف وتعسف ، وهذه قاعدة سار عليها أهل العلم ، خصوصًا المتقدمين منهم : «إنا لا نصير إلى التأويل مع إمكان حمل الشيء على ظاهره ...» .

❖ اقتضى **الجانب النظري** من الدراسة في الفصل الأول : تتبع الاحتباك عند النحاة ، فاتضح أن المتقدمين منهم لم يبرزوا القول فيه ، وإنما ظهرت عناية العلماء به في القرن الثامن الهجري . وفي الفصل الثاني : عند المفسرين ، فاتضح أن المتقدمين لم يبرزوا القول فيه ، وإنما ظهرت عنايتهم به في القرن السادس الهجري . وفي الفصل الثالث : عند أصحاب الدراسات البلاغية والنقدية ، فاتضح أن صورة القول بالاحتباك لم تبرز العناية به عند المتقدمين منهم ، وإنما ظهرت عنايتهم به في القرن السابع الهجري .

❖ من خلال دراسة الاحتباك وشبهه عند العلماء يتضح أن دراستهم الاحتباك وشبهه على أربع مراحل

☜ **المرحلة الأولى :** تبدأ من القرن الثاني إلى الرابع الهجري : أُجمل القول في بيان ملامح المنهج الذي سار عليه علماء تلك الفترة ؛ لكون الإشارة إلى الاحتباك غير ظاهرة .

☜ **المرحلة الثانية :** تبدأ من القرن الخامس إلى التاسع الهجري ، وفيها انقسم العلماء فريقين : فريق ركز النظر على التقدير ، والآخر كشف عن المصطلح له .

☜ **المرحلة الثالثة :** وهي مرحلة البقاعي وحده في القرن التاسع الهجري ، وفيها ظهر الاحتباك مصطلحًا علميًّا قائمًا على ضوابط معينة ، وقد ظهرت أبرز ملامح المنهج الذي سار عليه .

☜ **المرحلة الرابعة :** تبدأ من القرن الحادي عشر وما بعده ، واتضح أن أغلب علماء هذه الفترة لم يقدموا جديدًا في المستوى الإبداعي لفن الاحتباك . وفيها الكشف عن أهم ملامح المنهج الذي سار عليه بعض أصحابها ؛ لما وجد عندهم من إشارات تفردوا بها من جانب ، وأخرى فيها مزيد عناية ببيان الاحتباك من حيثُ تقريب صورته وتوضيحها .

❖ **في الجانب التطبيقي** ، الفصل الأول : درست فيه الآيات التي أسهمت في إبراز

كمال العقيدة ونزاهة الشريعة ، فاتضح أثر هذا الحذف في إنماء جوانب التصعيد الإيماني ؛ لأجل الترقي في العبادة ، ونقي الإشراك بجميع مظاهره ومختلف أشكاله . والفصل الثاني : درست فيه الآيات التي أسهمت في إبراز هيبة الأحكام الشرعية ، وأهمية التكاليف الإلهية ؛ فاتضح أثره في العمل على إدراك العلم بما هو عليٌّ من الأحكام ؛ ليوجب في النفوس التخلق بما تقتضيه الأحكام وتفرضه التكاليف من أحكام شرعية وتكاليف ربانية . والفصل الثالث : درست فيه الآيات الخاصة بالترغيب والترهيب ، فاتضح أن هذا الفصل أكثر الفصول السابقة احتواءً لمواضع الحذف ، فكان الحذف فيه عونًا على استبصار لطائف المعاني المثيرة لعزائم أهل الإيمان ؛ لتدفعهم إلى الإقبال ، والمحافظة على الطاعة .

❖ الاحتباك وشبهه أكثر وقوعًا في آيات الترغيب والترهيب : حيثُ بلغ (مائتين وثلاثة) مواضع ، ثم آيات العقيدة : حيثُ بلغ (مائة وتسعة وثلاثين) موضعًا ، ثم آيات بيان الأحكام : حيثُ بلغ (اثنين وعشرين)موضعًا . **ودراسة هذه المواضع على النحو الآتي :**

☜ **الفصل الأول : الاحتباك وشبهه في آيات العقيدة** : حاصل عدد المواضع المدروسة في هذا الفصل : (مائة وتسعة وثلاثون) موضعًا. في(مائة واثنتين وستين) آية، من أصل (مائة وستين آية) منها (مائة وثلاث وعشرون) مكية و(وتسع وثلاثون) مدنية.

☜ **الفصل الثاني : الاحتباك وشبهه في آيات الأحكام الشرعية والتكاليف الإلهية :** فحاصل عدد المواضع المدروسة في هذا الفصل(اثنان وعشرون) موضعًا ، في(ثلاثٍ وعشرين) آية ، منها (ثمان) مكية ، و(وخمس عشرة) مدنية .

☜ **الفصل الثالث : الاحتباك وشبهه في آيات الترغيب والترهيب** : حاصل عدد المواضع المدروسة في هذا الفصل (مائتان وثلاثة) مواضع ، في (ثلاثمائة وأربع عشرة)آية ، من أصل (مائتين وست وتسعين آية)منها (مائتان وعشرون آية مكية) ، و(وتسعون آية مدنية) .

❖ جمال الاحتباك وشبهه يكمن في لطائف المعاني التي تحملها الأساليب البلاغية .

❖ أسهم الاحتباك وشبهه في إنماء الجانب الإيماني لمن يتدبره من خلال ملازمة الحث على التصعيد في مقامات القرب من الله ، والتي من أبرزها :

☜ إرشاد البشر إلى لزوم التسبيح والتحميد ، تسبيحًا يليق بعظيم القدرة ، وتحميدًا يليق بجليل الفضل .

☜ إعلام البشر بما هو في سابق علم الله المطلق من جعل القدرة على الهداية والضلال فعلاً من أفعاله الخاصة لا يشاركه فيها أحد من خلقه .

☜ الدعوة إلى وجوب التحلي التام بما تقتضيه الملة الحنيفية ، والتخلي عن لزوم سائر الملل .

☜ سلب مطلق القدرة والعلم عن رسل الله وأنبيائه ؛ لإثبات أنهم بشر مكلفون تبليغ الدعوة ؛ حتى يتحقق الهدف الأسمى من جميع الرسالات وهو عبادة الله ربًّا واحدًا .

❖ أسهم الاحتباك وشبهه بأثر ملموس في الكشف عن هيبة الأحكام والتكاليف الإلهية ؛ لتثقيف النفوس فيما يتعلق بحياتها تجاه مراعاة تطبيق الأحكام ، وحثًّا على التمسك بفرائض الإسلام ، وصيانة لتلك الأحكام والتكاليف بالمحافظة عليها والعمل بموجبها كما أمر التنزيل ، كما أبرز الاحتباك ماهية الحكم الشرعي بصورة أكثر دقة ؛ تأكيدًا على أهميته وإيضاحًا له . فمن تلك الأحكام والتكاليف التي أبرزها الاحتباك وشبهه :

☜ إبراز الوجه الأكمل في حكم وطء الحائض من خلال دلالة النهي .

☜ إبراز مشروعية الإسلام والإيمان من خلال دلالة الأمر .

☜ إنماء الجانب العاطفي والمعرفي لدى القارئ من خلال ما يبرزه –الاحتباك– من جليل المعاني التثقيفية .

☜ تحري الدقة في الانضباط في تعيين شهر الصيام .

☜ تعمق مشروعية الاستغفار والتوبة عند تحقق المراد .

❖ للاحتباك وشبهه أثر فاعل في تحقيق جملة من المعاني الإحسانية الدافعة إلى الترقي في مدارج الإيمان ، والبعد عن التردي في دركات الكفر ، من خلال :

☜ إبراز صورة الدنيا وحقارتها ، وتأكيد حقيقتها في أنها دار تكليف ، وصورة الآخرة ونزاهتها ، وتأكيد حقيقتها في أنها دار تشريف للمؤمنين .

☜ إعلام البشر بما هو غيب عنهم ؛ ليرتقوا بالعلم والمعرفة .

☜ ترسيخ دعائم الإيمان في النفوس ، وذلك بإيضاح حلاوة النعيم ، وحال ساكنيه .

☜ نزع أواصر الكفر من النفوس ، وذلك بإيضاح شدة العذاب ، وحال ساكنيه .

☜ نفي المساواة بين الكفر والإيمان لحمل المشركين على الإيمان .

❖ يلحظ لدى البقاعي تكلف في تحديد وجه الاحتباك في بعض الآيات ، مما جعله يحدد أوجه التقابل أو التناظر وفق اصطلاحه الخاص .

❖ عدد مواضع الاحتباك وشبهه في القرآن الكريم (ثلاثمائة وأربعة وستون) موضعًا توصَّل البحث إلى إحصائها ، والجدير ذكره أنَّ تلك المواضع من أصل (ثلاثمائة وخمسين) موضعًا ؛ لأنه في بعض المواضع ، وهي (أربعة عشر) موضعًا قيل إن فيها موضعين للحذف ، وهي على النحو الآتي : البقرة : (٣٨-٣٩) ، (٢٠٥) ، آل عمران : (٣٠) ، النساء : (٧٤) ، الأعراف : (٢٩-٣٠) ، هود : (٤٨) ، الإسراء : (٧١-٧٢) ، الروم : (٤٤) ، ص : (٢٨) ، الزمر : (٣٢-٣٣) ، محمد : (١٢) ، :(٣٦) ، الحجرات : (١٤) ، النازعات : (٣٧-٤٠) فهذه المواضع اختلفوا في معالجة الأسلوب فيها ؛ لذا أصبح في الموضع الواحد احتباكان كل موضع يختلف عن الآخر في بيان المعنى .

❖ الاحتباك يكثر في آيات الترغيب والترهيب ، إذ بلغ عدد مواضعه(مائة وثمانية وعشرين) موضعًا ، ثم في آيات العقيدة ، إذ بلغ عدد مواضعه(تسعة وثمانين) موضعًا ، ثم في آيات الأحكام ، إذ بلغ عدد مواضعه(أربعة عشر) موضعًا .

❖ شبه الاحتباك يكثر في آيات الترغيب والترهيب ، إذ بلغ عدد مواضعه (خمسة وسبعين) موضعًا ، ثم في العقيدة إذ بلغ عدد مواضعه(خمسين) موضعًا ، ويقل في آيات الأحكام إذ بلغ عدد مواضعه(ثمانية) مواضع .

❖ اتضح عند بعض العلماء اختلاف بناء العبارة من حيثُ نمط صياغتها في ذكر التقدير فأصبح للموضع الواحد تقديران يتفقان معنى ويختلفان صياغة ، وعليه قد يكون عند أحدهما احتباك ، وعند الآخر من باب شبه الاحتباك ، فهذه المواضع اعتبر فيها أحد التقديرين أولى من الآخر ، فأصبح فيها موضع واحد .

❖ أكثر سورة تَمثَّل فيها الاحتباك (البقرة في سبعة وعشرين موضعًا) ، ثم (الأنعام في خمسة وعشرين موضعًا) ، ثم (آل عمران في ثمانية عشر موضعًا) . ثم (الأعراف في أربعة

عشر موضعًا) . ثم (غافر في ثلاثة عشر موضعًا) . ثم (الزمر في اثني عشر موضعًا) . ثم (الأحزاب في أحد عشر موضعًا) . ثم (التوبة ، والقصص ، ومحمد في تسعة مواضع) . ثم (النحل ، وفصلت ، في ثمانية مواضع) ، ثم (الروم ، والشورى في سبعة مواضع) ثم (المائدة ، ويونس ، وهود ، والإسراء ، والحج ، ويس ، وص ، في ستة مواضع) . ثم (النساء ، والرعد ، وإبراهيم ، وفاطر ، والواقعة ، والجن في خمسة مواضع) . ثم (الأنفال ، ويوسف ، والكهف ، وطـــه ، والنمل ، والعنكبوت ، ولقمان ، والجاثية ، والحجرات في أربعة مواضع) . ثم (سبأ ، والأحقاف ، والقمر ، والإنسان ، والأعلى في ثلاثة مواضع) . ثم (مريم ، والأنبياء ، والشعراء ، والزخرف ، والفتح ، والنجم ، والحديد ، والصف ، والملك ، والقلم ، ونوح ، والقيامة ، والنبأ ، والنازعات ، وعبس ، والتكوير ، والمطففين ، والانشقاق ، والليل في موضعين) . ثم (الفاتحة ، الحجر ، والنور ، والفرقان ، والطور ، والرحمن ، والحشر ، والممتحنة ، والمنافقون ، والتحريم ، والحاقة ، والمزمل ، والمدثر ، والغاشية ، والفجر ، والبلد ، والشمس ، والتين ، والعلق ، والقارعة ، والتكاثر ، والماعون ، والنصر في موضع واحد) . وفي المقابل لما سبق ، فإنَّ هناكَ سورًا خلت من الإشارة إلى الاحتباك أو شبهه وهي كالآتي : (المؤمنون ، السجدة ، والصافات ، و الدخان ، وق ، والذاريات ، والمجادلة ، والجمعة ، والتغابن ، والطلاق ، والمعارج ، والمرسلات ، والانفطار ، والبروج ، والطارق ، والضحى ، والشرح ، والقدر ، والبينة ، والزلزلة ، والعاديات ، والعصر ، والهمزة ، والفيل ، وقريش ، والكوثر ، والكافرون ، والمسد ، والإخلاص ، والفلق ، والناس) .

❖

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم (مصحف المدينة المنورة ، مجمع الملك فهد) . ومصحف بخط السيد مصطفى نظيف الشهير بقدروغلى ، بتصريح من مراقبة البحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف ، رقم:١١٢، الصادر في:١٩٦٧/٤/١٥، (القاهرة ، دار التأليف) .
- ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن ، تأليف:عبد الفتاح لاشين ، (بيروت ، لبنان، دار الرائد العربي ، الطبعة الأولى ،١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢م) .
- الإتقان في علوم القرآن ، تأليف:جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ،قدم له وعلق عليه: محمد شريف سُكر ، راجعه:مصطفى قصاص ، (بيروت ، لبنان ، دار إحياء العلوم ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م) .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تأليف : أبي حيان الأندلسي ، تحقيق: رجب عثمان محمد ، مراجعة:رمضان عبد التواب ، (القاهرة ، مكتبة الخانجى ، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م) .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، تأليف:أبي السعود محمد بن محمد العمادي، (بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون).
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، بإشراف:محمد زهير الشاويش ، (المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ-١٩٧٩م).
- أساس البلاغة ، تأليف: جار الله الزمخشري ،(بيروت ، دار الفكر ، الطبعة بدون ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م) .
- أسرار البلاغة ، تأليف:عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ، قرأه وعلق عليه أبو فهر: محمود محمد شاكر (القاهرة ، مطبعة المدني ، جدة ، دار المدني ، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩١م).
- الإصابة في تمييز الصحابة ، تأليف:أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق:علي محمد البجاوي ، (بيروت ، دار الجيل، الطبعة الأولى،

١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).

📖 الإعجاز البلاغي - دراسة تحليلية لتراث أهل العلم- ، تأليف: محمد محمد أبو موسى ، (القاهرة ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧م) .

📖 إعراب القراءات السبع وعللها ، تأليف:أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني النحوي الشافعي ، حققه وقدم له :عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، (القاهرة، مطبعة المدني ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولى،١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

📖 إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ، تحقيق ودراسة: إبراهيم الابياري ، (بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الثانية،١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢م).

📖 أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تأليف: ابن هشام الأنصاري ، معه -كتاب- عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت ، صيدا ، المكتبة العصرية ، الطبعة بدون ،١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

📖 البحر المحيط ، تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق:عادل أحمد عبد الموجود ، وآخرون ، (لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

📖 بدائع الفوائد ، تأليف:أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن القيم الجوزية ، تقريظ وتقديم الدكتور: وهبة الزحيلي ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: معروف مصطفى زريق ، و آخرين ، (دمشق ، دار الخير ، الطبعة بدون ، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م).

📖 بديع القرآن المجيد ،تأليف: ابن أبي الإصبع ، تحقيق: حفني محمد شرف ، (القاهرة ، دار نهضة مصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م).

📖 البديعيات في الأدب العربي نشأتها -تطورها وأثرها- ، تأليف: علي أبو زيد ، (بيروت، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .

📖 البرهان في علوم القرآن ، تأليف: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (بيروت ، صيدا ، المكتبة العصرية ،الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون).

📖 بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، تأليف:عبد المتعال الصعيدي ،

(الرياض ، مكتبة المعارف، القاهرة ، مكتبة الآداب ، طبعة نهاية القرن: ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، تأليف: محمد محمد حسنين أبو موسى ،(القاهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون).
- تأملات في سورة البقرة ، تأليف: حسن محمد باجودة ، (القاهرة ، مكتبة مصر، الطبعة بدون ، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م).
- التبيان في البيان ، تأليف: شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبيي، تحقيق: توفيق الفيل ، و عبد اللطيف لطف الله ، (الكويت ، ذات السلاسل ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م).
- التحبير في علوم التفسير ، تأليف:جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، حققه وقدم له ووضع فهارسه فتحي عبد القادر فريد ، (الرياض ، دار العلوم ، الطبعة بدون ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).
- التحرير والتنوير ، تأليف: محمد الطاهر ابن عاشور ، (تونس ، الدار التونسية للنشر ، الطبعة بدون ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م) .
- تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير ، تقديم وتحقيق : محمادي عبد السلام الخياطي ، (الدار البيضاء ، مطبعة النجاح ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م).
- التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف:محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي ، (لبنان ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .
- التعريفات ، تأليف:علي بن محمد الشريف الجرجاني ،(بيروت ،لبنان ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م) .
- تفسير ابن زمنين، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة –محمد بن مصطفى الكنز، (القاهرة ، دار الفاروق الحديثة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) .
- تفسير البغوي المسمى (معالم التنزيل) ، تأليف:الحسين بن محمود بن محمد البغوي ، تحقيق : محمد عبد الله النمر وآخرون،(الرياض ، دار طيبة ، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م) .

- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ،تأليف:عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني ، (القاهرة ، مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م) .
- تفسير البيضاوي المسمى(أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .
- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير (المنار) ، تأليف:محمد رشيد رضا ، (بيروت ، لبنان ، دار المعرفة ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .
- تفسير القرآن العظيم ، لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة بدون ، ١٤٠١هـ-١٩٨٠م) .
- التفسير القيم ، تأليف: ابن القيم الجوزية ، جمعه : محمد أويس الندوي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، تأليف: محمد بن عبد الله بن عمر التميمي الرازي الشافعي (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م) .
- تفسير النسفي المسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، تأليف:عبد الله أحمد بن محمود النسفي ، قدم له :قاسم الشماعي الرفاعي ، راجعه وضبطه وأشرف عليه : إبراهيم محمد رمضان ، (بيروت ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٩م) .
- تفسير آيات الأحكام ، تأليف : عبد القادر شيبة ، (الرياض ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦هـ) .
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تأليف:المرادي المعروف بابن أم قاسم، تحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، (القاهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) .
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي ،حققها وعلق عليها : محمد خلف الله أحمد ، محمد زغلول سلام ، (القاهرة ، دار المعارف، الطبعة الرابعة ، سنة الطبع بدون) .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تأليف : أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة بدون ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .
- الجامع لأحكام القرآن ، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ،

تحقيق:مصطفى السقا ، (القاهرة ، دار القلم ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م) .

📖 الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تأليف : أبي زيد عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، تحقيق : محمد الفاضلي ، (بيروت صيدا ، المكتبة العصرية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م) .

📖 حاشية الأسعد أبي العباس سيد أحمد بن محمد ابن حمدون الحاج على شرح – ألفية ابن مالك– تأليف:أبي زيد سيدي عبد الرحمن المكودي ، طبعة جديدة تشرف بخدمتها وتصحيحها وضبطها : محمد صدقي ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .

📖 حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ضبط وتشكيل وتصحيح: يوسف محمد البقاعي ، (بيروت ، دار الفكر، الطبعة بدون ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م) .

📖 حاشية الشهاب المسماة : عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ، (بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .

📖 حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة بدون ، ١٣٩٧هـ-١٩٧٦م) .

📖 حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه الشواهد للعيني ، (القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ، ١٣٣٦هـ-١٩١٨م) .

📖 حاشية القنوي وابن التمجيدي على تفسير البيضاوي ، (الناشر بدون ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .

📖 حاشية فتح الجليل ، تأليف : أحمد السجاعي على شرح ابن عقيل على متن الألفية لابن مالك ، (القاهرة ، طبع بمصر ، الطبعة بدون ، ١٢٩٠هـ-١٨٧٠م) .

📖 حاشية محي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي ، (بيروت ، دار صادر ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .

📖 حجة القراءات السبع ، تأليف:أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، حققه وعلق عليه: سعيد الأفغاني ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م) .

📖 الحجة للقراء السبعة –أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن

مجاهد- ، تأليف : أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي ، وضع حواشيه وعلق عليه : كامل مصطفى الهنداوي ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

- الخصائص ، تأليف: أبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، (بيروت، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).
- خصائص التراكيب - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني- ، لمحمد أبو موسى ، (القاهرة ، مكتبة وهبه ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م) .
- الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تأليف:أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، (دمشق ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م) .
- دلائل الإعجاز ، تأليف:أبي بكر عبد القاهر الجرجاني النحوي ، قرأه وعلق عليه:أبو فهر محمود محمد شاكر ، (جده ، دار المدني ، القاهرة ، مطبعة المدني ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م) .
- ديوان الحارث بن حلزة بن مكروه ، تحقيق : طلال حرب ، (بيروت ، دار صادر ، الطبعة بدون ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م) .
- الرحيق المختوم-بحث في السيرة النبوية- ، تأليف:صفي الرحمن المباركفوري ، (دار المؤيد الإسلامية، الطبعة بدون ،١٤١٧هـ-١٩٩٦م) .
- روائع الإعجاز في القصص القرآني- دراسة في خصائص الأسلوب القصصى المعجز-، تأليف:محمود السيد حسن ، (الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، الطبعة بدون ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) .
- روح البيان ، تأليف : إسماعيل حقي البروسوى ، (استانبول ، مطبعة عثمانية ، الطبعة بدون ، ١٣٤٥هـ-١٩٢٦م) .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تأليف:شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، (بيروت ، دار الفكر ، طبعة جديدة مصححة ومنقحة: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .
- الروض المريع في صناعة البديع ، تأليف:ابن البناء المراكشي العددي ، تحقيق:رضوان

بنشقرون ، (الرباط ، الطبعة بدون ، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م) .

- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، (الرياض ، مكتبة المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م) .
- سنن ابن ماجه ، تأليف : محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة بدون ، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م) .
- سنن أبي داود ، تأليف : سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، الطبعة الثانية ، ١٣٦٩، ١٩٥٠م) .
- سنن الترمذي ، تأليف:محمد بن عيسى الترمذي السلمي ، حققه وصححه : عبد الرحمن محمد عثمان ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .
- سنن الدارمي ، تأليف:عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م) .
- السنن الصغرى ، تأليف:أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، (المدينة المنورة ، مكتبة الدار ، الطبعة الأولى،١٤١٠هـ- ١٩٨٩م) .
- السنن الكبرى ، تأليف:أحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي ، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ- ١٩٩١م) .
- شرح ألفية ابن مالك ، تأليف: ابن الناظم ، أبو عبد الله بدر الدين محمد ابن جمال الدين محمد بن مالك ، حققه وشرح شواهده ووضع فهارسه عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، (بيروت ، دار الجيل ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون).
- شرح المفصل ، تأليف: علي بن أبي السرايا ابن يعيش ، (بيروت ، عالم الكتب ، مكتبة المتنّبي ، الطبعة بدون ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).
- شرح ديوان الحماسة ، تأليف:أبي علي أحمد بن محمد المرزوقي ، نشره:أحمد أمين ، وعبد السلام هارون ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م) .
- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، تأليف:جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ،

(مصر ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .

- شرح كتاب سيبويه ، تأليف:أبي سعيد السيرافي ، حققه وقدم له وعلق عليه : رمضان عبد التواب وآخرون ، (القاهرة ، دار الكتب المصرية ، الطبعة بدون ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م) .
- صحيح البخاري -الجامع الصحيح المختصر- ، تأليف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، (بيروت ، دار ابن كثير ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م) .
- صحيح الترغيب والترهيب ، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني ، بإشراف : محمد زهير الشاويش ، (المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) .
- صحيح سنن ابن ماجة ، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، (الرياض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، توزيع المكتب الإسلامي - بيروت- ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) .
- صحيح مسلم ، تأليف: مسلم بن الحجاج ، أبو الحسين القشيري النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ،(بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .
- الصناعتين - الكتابة والشعر- لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، (بيروت ، المكتبة العصرية ، الطبعة بدون ، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م) .
- الصيغ البديعي في اللغة العربية ، تأليف:أحمد إبراهيم موسى ، (القاهرة ، دار الكتاب العربي ، الطبعة بدون ، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م) .
- طراز الحلة وشفاء الغلة - شرح الحلة السيرا في مدح خير الورى- بديعية الإمام شمس الدين أبو عبدالله محمد بن جابر الأندلسي ، حققته وقدمت له: رجاء السيد الجوهري ، (الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الطبعة بدون ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م) .
- غرائب التفسير وعجائب التأويل ، تأليف:محمود بن حمزة الكرماني ، تحقيق : شمران سركال يونس العجلي ، (جدة ، دار القبلة ، بيروت ، مؤسسة علوم القرآن ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .
- غريب القرآن وتفسيره ، تأليف: أبو عبدالرحمن عبد الله بن يحي بن المبارك اليزيدي ،

حققه وعلق عليه:محمد سليم الحاج ، (بيروت ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .

- في ظلال القرآن ، تأليف:سيد قطب، (دار الشروق ، طبعة جديدة مشروعة ، الطبعة الشرعية السابعة ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).
- قراءة في الأدب القديم ، تأليف:محمد محمد أبو موسى ، (القاهرة ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م) .
- القرآن الكريم وتفاعل المعاني -دراسة دلالية لتعلق حرف الجر بالفعل وأثره في المعنى في القرآن الكريم- ، محمد محمد داود ، (القاهرة ، دار غريب ، الطبعة بدون ، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م) .
- الكتاب ، تأليف:بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون ، (القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٧م) .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف:أبو القاسم جار الله الزمخشري الخوارزمي ، - ومعه كتاب الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، تأليف : ناصر الدين أحمد بن محمد ابن المنير الإسكندري المالكي- ، (بيروت ، لبنان ، دار المعرفة ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .
- لباب التأويل في معاني التنزيل ، تأليف:أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الخازن ، (مصر ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م) .
- اللباب في علوم الكتاب ، تأليف : أبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق وتعليق : عادل عبد الموجود ، وآخرون ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩، ١٩٩٨م) .
- لسان العرب، تأليف : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، (بيروت ، دار صادر ، الطبعة السادسة ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م) .
- لطائف الإشارات – تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم- تأليف : القشيري ، قدم له وحققه وعلق عليه : إبراهيم بسيوني ، صدر له:حسن عباس زكي ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، الطبعة بدون ،١٣٩٠هـ-١٩٧١م) .
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، تأليف:فاضل صالح السامرائي ،(دار عمار ،

الطبعة الأولى ،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م) .

- المـاس في احتباك يعجز الجنة والناس في تفسير قوله:{ومن يكرهن... الآية} ، تأليف: محمد ابن عيسى الجزائري التونسي ، (تونس ، طبعت بالمطبعة الرسمية التونسية ، الطبعة بدون ، ١٣٠٦هـ-١٨٨٨م) .
- متن الألفية ، تأليف: محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي ، (القاهرة ، مكتبة التراث الإسلامي ، الطبعة بدون ، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م) .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تأليف: أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت، المكتبة العصرية ، الطبعة بدون ، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م) .
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : علي النجدي ، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي ، (القاهرة ، إحياء التراث الإسلامي ، الطبعة بدون ، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م) .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تأليف : أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، (فأس ، المجلس العلمي ، الطبعة بدون ، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م) .
- مسند أحمد بن حنبل ، تأليف: أحمد بن حنبل الشيباني ، رقم أحاديثه : محمد عبد السلام الشافي ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م) .
- المطول – شرح تلخيص مفتاح العلوم –، تأليف: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) .
- مع بلاغة القرآن-تفسير بياني لسورتي الأنفال والفرقان - ، تأليف: عبد الحميد العيسوي، (مكان النشر بدون ، طبع بدار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م).
- معاني القرآن الكريم ، تأليف : أبي جعفر النحاس ، تحقيق: محمد علي الصابوني ، (مكة المكرمة ، معهد البحوث العلمية ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) .

📖 معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، تأليف : عبد الرحيم أحمد العباسي ، حققه وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت ، دار الكتب ، الطبعة بدون ، ١٣٦٧هـ-١٩٤٧م) .

📖 معترك الأقران في إعجاز القرآن، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق : علي محمد النجاوي ، (القاهرة ، دار الفكر العربي ، مكتبة الدراسات القرآنية ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .

📖 معجم المصطلحات البلاغية ، تأليف:أحمد مطلوب ، (مطبعة المجمع العلمي العراقي ، الطبعة بدون ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .

📖 مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تأليف:جمال الدين ابن هشام الأنصاري ، حققه وخرج شواهده:مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، وراجعه: سعيد الأفغاني ، (دار النشر بدون ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م) .

📖 مفتاح العلوم ، تأليف: يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ، حققه وقدم له وفهرسه :عبدالحميد هنداوي ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م) .

📖 المفردات في غريب القرآن ، تأليف : أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق وضبط:محمد خليل عيتاني ، (بيروت ، لبنان ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م) .

📖 من أسرار التعبير القرآني- دراسة تحليلية لسورة الأحزاب- ، تأليف : محمد محمد أبو موسى ، (القاهرة ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ،١٤١٦هـ-١٩٩٦م) .

📖 من الإعجاز البلاغي للقرآن ، تأليف:صباح عبيد دراز ، (الأزهر ، دار التوفيقية ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .

📖 المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، تأليف: أبي القاسم السجلماسي ، تحقيق : علال الغازي ، (الرباط ، مكتبة المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ-١٩٨٠م) .

📖 النشر في القراءات العشر ؛ تأليف: أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، قدم له علي محمد الضباع ، خرج آياته : زكريا عميرات ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة بدون ، ١٣٩١هـ-١٩٧١م) .

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، تأليف: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م ، ودائرة المعارف العثمانية بالهند، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م) .
- النظم القرآني في سورة الرعد ، تأليف:محمد بن سعيد بن حسن الدبل ، (الرياض ، عالم الكتب، الطبعة بدون ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م) .
- النكت والعيون ، تأليف:علي بن محمد بن حبيب الماوردي ،(بيروت ،دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ،١٤١٢هـ-١٩٩٢م) .

*

المجلات

- محاضرات الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية ، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م ، رقم إيداع ٢١/٢٧٧٣، وتاريخ:١٩/٦/١٤٢١هـ ، (**العنوان** : لمحات في إعجاز سورة آل عمران ، لحسن محمد باجودة) .

*

البحوث والرسائل

- الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره ،لإبراهيم صلاح الهدهد ، (القاهرة ، جامعة الأزهر الشريف ، كلية اللغة العربية ، قسم البلاغة والنقد ، وقم الإيداع : ٩٩/١٥٩٦٦) -بحث ترقية-.
- الاحتباك في القرآن الكريم ، دراسة بلاغية ، لعدنان عبدالسلام أسعد ، المشرف : أحمد فتحي رمضان (ماجستير) ، (العراق ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، قسم التربية الإسلامية ، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م ، نسخة على قرص (CD)غير موثّق توثيقًا علميًّا ، و لم أتمكن من العثور على النسخة الخطية أو صورة pdf منها) .
- الاحتباك في نظم الدرر للبقاعي ، ليوسف بن عبدالله الأنصاري ، (مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، قسم البلاغة والنقد) -بحث ترقية- .
- بلاغة الاحتباك في القرآن الكريم ، لعرفات محمد محمد أحمد عثمان ، (القاهرة ، جامعة الأزهر الشريف ، رقم الإيداع بدار الكتب :٢٠٠٣/١٠٣٣٩) -بحث ترقية- .
- شرح ألفية ابن مالك ، لسري الدين إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي بن هاني

اللخمي الغرناطي الأندلسي المالكي ، تحقيق : أحمد بن محمد بن أحمد بن محجوب ذيبان القرشي ، إشراف : سليمان بن إبراهيم العايد ، (دكتوراه) ، (مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، قسم النحو والصرف ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م) .

- مقال من صور الحذف البليغ (الاحتباك) ، لعبدالحميد محمد العيسوي ، (مجلة الأزهر الشريف ، رمضان:١٤٠٩هـ-١٩٨٩م ، الإصدار الأول).-بحث ترقية-

*

المصادر المخطوطة:

- تفسير ابن عرفة ، أبو عبد الله بن محمد بن عرفة ، مخطوط مصور عن نسخة رقم :(٥٤٠ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، مكتبة الحرم المكي الشريف ، (٢٨١٢) .
- حاشية التفتازاني على الكشاف ، لسعد الدين التفتازاني ، مخطوط مصور عن نسخة رقم :(٥٧٦، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، مكتبة الحرم المكي الشريف : (٢٨٤٢).

*

فهرس الموضوعات: